

الدور الخامس

دور النقد والتنقيح والاختيار من منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن السابع الهجري

تمهيد:

اتسع سلطان السلاجقة في النصف الأول من هذا الدور، وكان عصرهم (٤٢٩هـ - ٥٥٢هـ) مناسبة لإعادة توحيد الشرق الإسلامي، فاستولوا على خراسان وجرجان وطبرستان وخوارزم، وفي أثناء نموّ دولة السلاجقة بهذه الجهات كانت الفوضى عامّة في بغداد لقيام الفتن بين جنود بني بويه والجيوش التركيّة وما لبثت أن انقضت دولة بني بويه بعد أن استمرّ ملكهم ١١٣ سنة من تاريخ دخول معزّ بن بويه بغداد سنة ٣٣٤هـ، وابتدأت دولة آل سلجوق ببغداد وعظم أمرهم في الشرق وخطب باسمهم من بلاد الصين إلى الشام، ومن أقاصي بلاد الإسلام في الشمال إلى بلاد اليمن في الجنوب، وكان لفترة حكمهم أهميّة خاصّة في التاريخ لقيام الحروب الصليبيّة في أيّامهم.

ثمّ ما لبث أن تفرّق ملك السلجوقيين وثارَت بينهم الحروب الداخليّة العائليّة، وسفكت خلالها دماء المسلمين فتوطّدت في أثناءها أقدام المسيحيين في جهات الشام وأسسوا بها إمارات مسيحيّة.

وتقاسم ملك السلاجقة دول كثيرة تعرف بدول الأتابكة الذين بسطوا

نفوذهم على دمشق والموصل وحلب وأرمينية وأذربيجان وسوريا والعراق وبلاد فارس.

وفي هذه الظروف قيض الله الملك الصالح نور الدين زنكي (٥٦٩هـ) الذي استخلص من المسيحيين أغلب بلاد الإسلام، ثم خلفه صلاح الدين الأيوبي على الشام والجزيرة وجميع البلاد التي كانت تابعة له، واستمر على الفتح واسترجاع بلاد الإسلام إلى أن مات بدمشق سنة ٥٨٩هـ، وبموته تفرقت البلاد بين أبنائه وانفرط عقد انتظامها إلى دويلات متعادية متنافرة حتى أدركهم جيوش التتار والمغول الذين خرجوا من بلادهم الواقعة غرب بلاد الصين سنة ٦١٧هـ تحت قيادة زعيمهم جينكيز خان فقصدوا بلاد خوارزم فاستولوا عليها، ثم ملكوا بخارى وسمرقند وغزنة وتركستان، وغيرها من بلاد الإسلام، وكانوا أثناء ذلك يقتلون الرجال ويسبون النساء ويخربون الجوامع ويحرقون الكتب النفيسة، ويرتكبون أنواع المنكرات الشنيعة جهاراً، ووصل سلطانهم إلى بغداد، القلب النابض من بلاد الإسلام، سنة ٦٥٦هـ تحت إمرة هولوكو خان حفيد جنكيز خان، فقتل الخليفة المستعصم، وتتبع من قدر عليه من بني العباس والأمراء والعلماء، وجعل من نصف أراضي العراق خراباً، فانتهدت بذلك دولة العباسيين ببغداد بعد أن استمرت ٥٢٤ سنة.

أما في الغرب، فقد كانت بلاد الإسلام آخذة أيضاً في الانحطاط حيث تفرقت بلاد الأندلس طوائف، وضعف حال المسلمين بصقلية وتفرقت أهلها واستحكمت الشقاق بينهم حتى استعانوا على بعضهم بملوك الإفرنج.

وفي المغرب الأقصى أنشأ المرابطون (٤٤٨هـ - ٥٤١هـ) دولتهم التي اكتسبت شرعيتها من الجهاد، وظلت قائمة بالدفاع عن الإسلام في الأندلس، وعلى الرغم من مسؤولياتهم الجسيمة في المغربين الأقصى والأوسط، فإن الدفاع عن الإسلام في الأندلس كان عملهم الرئيسي، ففيه أنفقوا معظم أموالهم، وفيه جاهدوا واستشهدوا خيرة رجالهم، ثم تابع من بعدهم الموحدون (٥٥٥هـ - ٦٢٨هـ) ذلك النهج الجهادي حيث تمكن

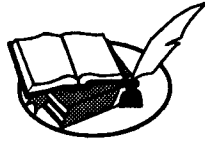
عبدالمؤمن بن عليّ الفاتح النشيط من توحيد معظم ما بقي من الأندلس تحت رايته، وكان صدًا منيعًا ضدّ أطماع الإسبان، كما دفع الموحّدون بقوتهم البحريّة إلى السواحل التونسيّة لقطع أطماع النورمان عنها، ووحدوا المغرب العربي الكبير في سنة الأخماس^(١).

وعندما اضمحلّت دولة الموحّدين في منتصف القرن السابع الهجري قام على أنقاضها ثلاث عائلات متنافسة:

بنو حفص المنتسبون إلى قبيلة هنتاتة البربريّة الذين أسسوا الدولة الحفصيّة في المغرب الأدنى - تونس - .

بنو زيّان الذين أسسوا الدولة الزيّانيّة في المغرب الأوسط - الجزائر - .

بنو مرين الذين أسسوا الدولة المرينيّة في المغرب الأقصى.



(١) تاريخ الدولة العليّة العثمانية ٦١ - ٨٤، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي

والاجتماعي ١/٤ - ٣٤ و٦٠ - ١٣٦، معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ١٧١ -

١٧٥ و٣٧٦ - ٣٨٠.

مظاهر العناية بمصادر الفقه في هذا الدور

١ - القرآن الكريم:

ألّف في تفسير القرآن في هذا الدور عدد لا يحصى، اختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال تترى، فدخل من هذا الباب الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كلّ من ينسخ له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يأتي بعده ظاناً أنّ له أصلاً، ملفت غيره إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن يرجع إليهم في التفسير.

ثم صنّف بعد ذلك قوم برعوا في علوم، فكان كلّ منهم يقتصر في تفسيره على الفنّ الذي يغلب عليه، فالنحوي ليس له همّ إلاّ الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كما فعل أبو الحسن الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ) في كتابه البسيط، وكان أوحده عصره في التفسير، والإخباري ليس له شغل إلاّ القصص والإخبار عمّن سلف، سواء كانت تلك الأخبار صحيحة أو باطلة.

والفقيه يكاد يسرد في تفسيره الفقه من باب الطهارة إلى سائر أبواب الفقه الأخرى، وربما استطرد إلى إقامة أدلّة الفروع الفقهيّة التي لا تعلق لها بالآية، والجواب عن أدلّة المخالفين كما فعل الإمام أبو عبدالله القرطبي (٦٨١هـ) الذي صنّف كتابه المسمّى «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنّة وآي القرآن» وأسقط منه القصص والتواريخ وأثبت مكانها أحكام القرآن واستنباط الأدلّة.

وصاحب العلوم العقلية قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، كما فعل فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) المعروف بابن الخطيب الشافعي، الذي جمع في تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب كل غريب وغريبة وأكثر من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية والعلوم الفلكية والكونية، وتوسع في ذلك توسعا كبيرا، وجمع من ذلك أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير حتى قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير^(١).

وكان الإمام الغزالي أكثر من استوفى بيان هذا القول في تفسير القرآن، وعمل على نشره في الأوساط العلمية، حيث عقد في الجزء الثالث من كتابه إحياء علوم الدين في الباب الرابع من أبواب آداب تلاوة القرآن فصلا بعنوان فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل، ذكر فيه عن بعض العلماء أن: «لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي من فهمها أكثر» وأن: «القرآن يحوي سبع وسبعين ألف علم ومائتي علم، إذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع»^(٢).

وبرز أعلام أثبات في فن علوم القرآن كابن الجوزي (٥٩٧هـ) صاحب كتابي: فنون الأفتان في علوم القرآن، والمجتبى في علوم تتعلق بالقرآن، وعلم الدين السخاوي (٦٤١هـ) صاحب كتاب جمال القراء، وأبو شامة (٦٦٥هـ) صاحب كتاب المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز، غير أن كتاباتهم في هذا المجال كانت عبارة عن طائفة يسيرة، ونبذ قصيرة، بالنسبة للمؤلفات التي ألّفت بعد ذلك في هذا النوع^(٣).

وواصل علماء القراءات عنايتهم في جمع القراءات والروايات والطرق، فرحل من المغرب أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي (٤٦٥هـ) إلى المشرق، وطاف البلاد وروى عن أئمة القراءات حتى انتهى إلى

(١) الإتيان في علوم القرآن ١٩٠/٢ - ١٩١.

(٢) إحياء علوم الدين مج ١، ج ٣، ص ١٣٥.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن ٣٦/١.

ما وراء النهر، وقرأ بغزنة وغيرها، وألف كتابه الكامل جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة، و١٤٥٩ - ألفا وأربعمائة وتسعة وخمسين - رواية وطريقا، قال فيه: فجملة من لقيت في هذا العلم ٣٦٥ - ثلاثمائة وخمسة وستون - شيخا، من آخر المغرب إلى باب فرغانة يمينا وشمالا وجبالا وبحرا، وكان بمكة معاصره أبو معشر عبدالكريم بن عبدالصمد الطبري (٤٧٨هـ) مؤلف كتاب التلخيص في القراءات الثمان وسوق العروس فيه ١٥٥٠ - ألف وخمسمائة وخمسون - رواية وطريقا.

وهذان الرجلان أكثر من علمنا جمعا في القراءات - كما قال ابن الجزري - لا نعلم أحدا بعدهما جمع أكثر منهما إلا أبا القاسم عيسى بن عبدالعزيز الإسكندري (٦٢٩هـ) الذي ألف كتاباً سماه الجامع الأكبر والبحر الأزخر، وقد احتوى سبعة آلاف رواية وطريق.

ولا زال الناس يؤلفون في كثير القراءات وقليلها، ويروون شاذها وصحيحها بحسب ما وصل إليهم أو صحّ لديهم، ولا ينكر أحد عليهم، بل هم في ذلك متبعون سبيل السلف حيث قالوا: القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأوّل^(١).

- ٢ - السنة النبوية:

بعد أن كان علماء السنة في الدور السابق يدونون كتبهم من محفوظهم ومسموعاتهم عن شيوخهم، أصبح عمل العلماء في هذا الدور قاصرا على الجمع والترتيب، أو التهذيب لكتب السابقين.

وقد تمثلت جملة أعمالهم التهذيبية في هذا الدور في النواحي التالية:

أولا: الجمع بين الصحيحين: حيث تناول كثير من العلماء الجمع بين أحاديث صحيحي البخاري ومسلم في مصنف واحد، كما فعل أبو محمد حسين بن مسعود الفراء البغوي (٥١٦هـ) والإمام أبو محمد

(١) النشر في القراءات العشر ١/٣٥ - ٣٦.

عبدالحق بن عبدالرحمن الإشبيلي (٥٨٢هـ) وأبو جعفر أحمد بن محمد القرطبي (٦٤٢هـ) ابن أبي حجة^(١).

ثانياً: الجمع بين الكتب الستة: والمراد بالكتب الستة الصحيحان للبخاري ومسلم، وموطأ مالك، وكتب السنن الثلاثة للنسائي وأبي داود والترمذي، وقد قام بالجمع بينها رزين بن معاوية العبدري (٥٣٥هـ) السرقسطي في كتابه تجريد الصحاح الستة^(٢) غير أنه قد ترك بعضاً من أحاديث الستة، فاستدرك ذلك أبو السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري (٦٠٦هـ) فهذب وعمد إلى كل كتاب من كتبه وفضّله إلى أبواب وفصول لاختلاف معنى الأحاديث، وجعل الكتب مرتبة على حروف المعجم، فأودع مثلاً كتاب الإيمان وكتاب الإيلاء في حرف الألف، ثم عمد إلى آخر كل حرف فذكر فيه فصلاً يستدل به على مواضع الأبواب من الكتاب، ورجح اختيار الأبواب على المسانيد، وبنى الأبواب على المعاني، فكل حديث انفرد لمعنى أثبتته في بابه، فإن اشتمل على أكثر أورده في آخر الكتاب في كتاب سمّاه كتاب اللواحق، ورقم على اسم كل راو علامة من أخرج ذلك الحديث من أصحاب الكتب الستة^(٣)، وسمّاه: «جامع الأصول لأحاديث الرسول» وبين الغرض من جمع هذا الكتاب فقال: «لما وقفت على الكتب ورأيت كتاب رزين هو أكبرها وأعمّها حيث حوى الكتب الستة التي هي أم كتب الحديث وأشهرها، فأحببت أن أشتغل بهذا الكتاب الجامع، فلما تتبعت وجدته قد أودع أحاديث في أبواب غير تلك الأبواب أولى بها، وكرّر فيه أحاديث كثيرة، وترك أكثر منها، فجمعت بين كتابه وبين ما لم يذكره من الأصول الستة، ورأيت في كتابه أحاديث كثيرة لم أجدّها في الأصول لاختلاف النسخ والطرق وأنه قد اعتمد في ترتيب كتابه على أبواب البخاري، فناجيتني نفسي أن أهذب كتابه وأرتب أبوابه، وأضيف

(١) كشف الظنون ١/٤٧٠.

(٢) المصدر السابق ١/٢٩٩.

(٣) نفس المصدر ١/٤٢٤.

إليه ما أسقطه من الأصول، وأتبعه شرح ما في الأحاديث من الغريب والإعراب والمعنى، فشرعت، فحذفت الأسانيد، ولم أثبت إلا اسم الصحابي الذي روى الحديث إن كان خبيراً، أو اسم من يرويه عن الصحابي إن كان أثراً، وما كان من أقوال التابعين والأئمة فلم أذكره إلا نادراً^(١).

وجمع بين الكتب الستة أيضاً عبدالحق بن عبدالرحمن الإشبيلي (٥٨٢هـ) المعروف بابن الخراط^(٢).

ثالثاً: الجمع بين أحاديث من كتب مختلفة: ومنها كتاب مصابيح السنة للإمام حسين بن مسعود الفراء البغوي (٥١٦هـ) الذي جمع ٤٧١٩ - أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة عشر - حديثاً منها المختص بالخاري ٣٢٥ حديثاً، والمختص بمسلم ٨٧٥ حديثاً، ومنها المتفق عليه ١٠٥١ حديثاً، وباقي الأحاديث من سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي، وترك في مصنفه هذا ذكر الأسانيد اعتماداً على نقل الأئمة، وقسم أحاديث كل باب إلى صحاح وحسان، وعني بالصحاح ما أخرجه الشيخان، وبالحسان ما أورده أبو داود والترمذي وغيرهما - وفي كتب السنن الصحيح والحسن والضعيف والمنكر، ولكنه اصطلاح اصطلاح عليه المصنف في كتابه، فلا مشاحة فيه - وما كان فيها من ضعيف أو غريب أشار إليه، وأعرض عن ذكر ما كان منكراً - وهو ما رواه الضعيف مخالفاً الثقات - أو موضوعاً^(٣).

واعتنى العلماء بشأن هذا الكتاب وتناولوه بالشرح والتهديب والتعليق وتذييل أبوابه والاختصار^(٤).

وجمع أبو الفرج عبدالرحمن بن عليّ الجوزي (٥٩٧هـ) بين

(١) كشف الظنون ١/٤٢٣ - ٤٢٤.

(٢) المصدر السابق ١/٤٧١.

(٣) نفس المصدر ٢/٥٦٩.

(٤) كشف الظنون ٢/٥٦٩ - ٥٧٣.

الصحيحين ومسند الإمام أحمد وسنن الترمذي في كتاب سمّاه جامع المسانيد والألقاب^(١).

رابعاً: كتب منتقاة في أحاديث الأحكام والمواعظ: مثل كتاب الأحكام الصغرى للحافظ أبي محمد عبدالحق بن عبدالرحمن الإشبيلي (٥٨٢هـ) المعروف بابن خراط، قال فيه: «جمعت في هذا الكتاب متفرّقا من حديث رسول الله ﷺ في لوازم الشرع وأحكامه وحلاله وحرامه، وفي ضروب من الترغيب والترهيب، أخرجتها من كتب الأئمة وهداة الأمة، أبو عبيدالله مالك بن أنس، وأبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، وبقية الكتب الستة، وفيها أحاديث من كتب أخرى^(٢).

ومثل كتاب عمدة الأحكام للحافظ أبي محمد تقي الدين عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور الجماعيلي المقدسي الدمشقي (٦٠٠هـ) جمع أحاديث الأحكام التي اتفق فيها البخاري ومسلم، جمعا عزّ نظيره، تناول فيه التعريف بمن ذكر من رواة الحديث إجمالاً، وبيّن ما وقع في الأحاديث التي جمعها من مهمّات وضبط ألفاظها وأشار إلى بعض ما يستنبط منها، وشرحه العلماء من بعده^(٣).

ومثل كتاب الترغيب والترهيب لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني (٥٣٥هـ) الذي جمعه من أصحاب الكتب المشهورة كالصحيحين والسنن الأربعة وبعض المسانيد، وقد أساغ التساهل في أنواع من أحاديث الترغيب والترهيب، ولم ينبّه على حالها ودرجة قبولها^(٤).

(١) كشف الظنون ١/٤٥٢ - ٤٥٣.

(٢) كشف الظنون ١/٨٠، الحديث والمحدثون ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٣) كشف الظنون ٢/١٦٩.

(٤) المصدر السابق ١/٣٣٦.

ومثل كتاب الترغيب والترهيب للحافظ زكيّ الدين أبي محمد عبدالعظيم بن عبدالقويّ بن عبدالله المنذري (٦٥٦هـ) وذكر أنّه ألفه حاويا لما تفرّق في غيره من الكتب مقتصرًا على ما ورد صريحًا في الترغيب والترهيب، وذكر الحديث بعزوه إلى من رواه من أصحاب الكتب المشهورة كالصحيحين والسنن الأربعة وبعض المسانيد، ثمّ أشار إلى صحّة إسناده وحسنه أو ضعفه، وأفرد للراوي المختلف فيه بابًا في آخر الكتاب ذكرهم على ترتيب حروف المعجم، وذكر الأحاديث في خمسة وعشرين كتابًا على ترتيب المصابيح، واستوعب جميع ما في كتاب الترغيب والترهيب لأبي القاسم الأصبهاني ممّا لم يكن في الكتب المذكورة، وهو قليل، وأضرب عن ذكر ما فيه من الأحاديث المتحقّقة الوضع^(١).

ومثل كتاب المنتقى من الأخبار في الأحكام للحافظ مجد الدين أبي البركات عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الحراني المعروف ابن تيميّة الحنبلي (٦٥٢هـ) انتقاه من صحيحي البخاري ومسلم، ومسند الإمام أحمد، وكتب السنن الأربعة للترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه^(٢)، وهو كتاب قال في شأنه شارحه العلامة الشوكاني: «لم ينسج على بديع منواله ولا حرّر على شكله ومثاله أحد من الأئمّة الأعلام قد جمع من السنّة المطهّرة ما لم يجتمع في غيره من الأسفار، وبلغ إلى غاية في الإحاطة بأحاديث الأحكام^(٣)».

- ٣ - الاجتهاد:

استمرّ هذا الدور لقرنين من الزمن عرف الفقه خلال هذه الفترة الطويلة نشاطًا اتّسم بالنقد والتنقيح، وتنازل الاجتهاد فيها عن مرتبة الاجتهاد

(١) كشف الظنون ١/٣٣٥ - ٣٣٦.

(٢) كشف الظنون ٢/٦٨٢، الحديث والمحدّثون ص ٤٣٢.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ١/٢.

في المسائل إلى اجتهاد الترجيح والاختيار الذي هو تصرف في الأقوال بفحص أدلتها، أو فحص أساليب نقلها، أو فحص ملاءمتها للأحوال، حتى يختار منها ما هو الراجح المأخوذ به، وما هو غير الراجح^(١).

وهكذا أدخل فقهاء هذا الدور نزعة اجتهادية جديدة على المنهج الذي كان يسير عليه الفقهاء في دراسة الفقه خلال الدور السابق، هذه النزعة هي نزعة التصرف، فكانوا يعتمدون أحياناً على نقد الأقوال من ناحية إسنادها، فيعتبرون أنّ أحد القولين أصحّ من القول الآخر، أي إسناداً، وأحياناً ينتقدون الأقوال من ناحية رشاقة استخراجها من الأصول التي استخرجت بها، وهو ما يعبرون عنه بالأولى، أو ينظرون إلى آتة الأقرب إلى تحقيق المصلحة المرعية من الشرع في تفريع ذلك الحكم^(٢).

فسلك أعلام هذا الدور طريقة جديدة في خدمة الحكم هي الطريقة النقدية، حيث صاروا في الفقه يتصرفون تصرف تنقيح، وينتصبون في مختلف الأقوال انتصاب الحكم الذي يقضي بأنّ هذا مقبول، وهذا ضعيف، وهذا غير مقبول، وهذا ضعيف السند في النقل، وهذا ضعيف النظر في الأصول، وهذا مغرق في النظر في الأصول، وهذا محرج للناس، أو مشدد على الناس، إلى غير ذلك^(٣)، وهي الطريقة التي درج عليها أقطاب فقهاء هذا الدور في سائر المذاهب، فتكوّنت بهم مذاهبهم تكوّنًا جديداً، إذ دخل عليها عنصر النقد والتنقيح والاختيار، وأصبحت الأقوال مختلفة في كلّ مسألة مصنّفة تصنيفاً تقديرياً، منها ما هو أولى، ومنها ما هو راجح، ومنها ما هو أصحّ، إلى غير ذلك من الاصطلاحات المتعلقة بالترجيح، بحيث يمكن القول بأنّ المذاهب الفقهية قد وضعت وضعا جديداً، أو أنّها قد ظهرت في ثوب جديد، بأعلام هذا الدور الذين وضعوا هذه الطريقة النقدية في خدمة مذاهبهم وأسّسوا منهجها، بناء

(١) ابن عاشور محمد الفاضل: ومضات فكر: ١/١٤٤.

(٢) ابن عاشور محمد الفاضل: محاضرات مغاربية ص ٨١، بتصرف.

(٣) محاضرات مغاربية ص ٨١.

على أن ما عليه الفقهاء بعد هذا الدور من تصنيف تقديري للأقوال، ووضع لها في سلم من التفاوت بحسب قيمتها، قد أصبح الفقهاء فيه فيما بعد، عالة على فقهاء هذا الدور، وعلى الأوضاع المهمة التي ترجع إلى هؤلاء الأعلام الذين أسسوا هذا المنهج الجديد المبني على الطريقة النقدية^(١).

* جهود العلماء وعملهم في هذا الدور.

١ - وضع المصطلحات المتعلقة بعلامات الإفتاء والترجيح في المذاهب:

أبدع فقهاء هذا الدور في وضع الاصطلاحات المتعلقة بالترجيح والتضعيف، وبناء قواعد الترجيح بين الأقوال المختلفة داخل المذهب الواحد.

فظهرت في المذهب الحنفي اصطلاحات تتعلق بعلامات الإفتاء^(٢) كقولهم: عليه الفتوى، وبه يفتى، وهما اصطلاحان يستعملان عند تعدد الأقوال في حكم مسألة معينة، فيأخذ الفقيه بقول منها لقوة الدليل ويوشحه بقوله: وعليه الفتوى - الذي يفيد معنى الصحة -، أو وبه يفتى - الذي يفيد الحصر، فلا تكون الفتوى إلا به -، وكقولهم: وبه نأخذ، وعليه الاعتماد، وكقولهم: وهو الصحيح - الذي يدل على أن بقية الأقوال ضعيفة -، أو وهو الأصح - الذي يشعر بأن بقية الأقوال صحيحة -، وكقولهم: وهو الأظهر والأوجه - وهما لفظان مترادفان من حيث المعنى الاصطلاحي، يفيدان بأن الاختيار الذي ارتآه الفقيه هو الأظهر وجها من حيث إن دلالة الدليل عليه متجهة ظاهرة أكثر من غيره، وكقولهم: وهو المختار - للدلالة على اختيارهم لفتوى دون غيرها من بقية الفتاوى، لا لقوة الدليل، وإنما

(١) محاضرات مغاربية ص ٨٢، بتصرف.

(٢) الظفيري: مريم محمد صالح: مصطلحات المذاهب الفقهية ص ١١١ - ١٢١.

للضرورة أحياناً، أو لعموم البلوى، أو لتغيّر الزمان وفساده - وكقولهم: وهو الأشبه - أي الأقرب في معناه إلى النصّ المروي عن الإمام أو صاحبه من جهة، والراجح على بقية الأقوال لمعرفة دليله من جهة أخرى، وهو معنى قولهم الراجح دراية -.

وظهرت كذلك هذه الاصطلاحات أو ما يقاربها في المذهب المالكي^(١) كقولهم: وهو الراجح - أي ما قوي دليله -، وقولهم: وهو المشهور - أي ما كثر قائله -، وقولهم: الأشهر - وهو دليل على أنّ في المسألة قولين، المشهور منهما دون الآخر في الرتبة - وقولهم: الأصحّ والصحيح - حيث يكون كلّ واحد من القولين صحيحاً، وأدلة كلّ واحد منهما قوية، إلا أنّ الأصحّ مرجح على الآخر بوجه من وجوه الترجيح -، وقولهم: الظاهر: - ويراد به الظاهر من الدليل، أو الظاهر من المذهب - وذلك أنّ المسألة التي لم يرد فيها نصّ على حكمها، ينظر في الدليل، أو فيما تدلّ عليه قواعد المذهب وأصوله، فما دلّ عليه ظاهر الدليل، أو ظاهر المذهب يكون حكمها حيث لا نصّ، وهذا يعني أنّ المسألة غير المنصوصة قد يدلّ المذهب أو الدليل على أكثر من معنى، فالمعنى الراجح هو الظاهر، وقولهم: وهو المعتمد - أي القويّ سواء كانت قوته لرجحانه أو لشهرته، فالذي يعتمد عليه من الأقوال ويفتى به هو الراجح أو المشهور، فإن كان الحكم الفقهي قويّ الدليل أو كثر قائلوه، فهو المعتمد من الأقوال -، وقولهم: الذي جرى به العمل - وهو أن يصحّ أحد شيوخ المذهب المتأخرين قولاً غير مشهور ولا راجح، فيفتي به ويعمل به وتجرى الأحكام بناء على تصحيحه، وذلك مراعاة للعرف، أو للمصلحة العامة، أو لأنّ في الأخذ به أرفق بالناس، أو لدرء مفسدة - وقولهم: الأشبه - أي أشبه بالأصول من القول المعارض له، وذلك كأن يكون في المسألة قولان قياسيان، إلا أنّ أحدهما أقرب شيها بالأصل المقاس عليه، فاستقام القياس على هذا الأصل -، وقولهم: المختار -

(١) مصطلحات المذاهب الفقهية ص ٢٠٢ - ٢١٩.

وهو ما اختاره بعض الأئمة لدليل رجحه به، وقد يكون ذلك المختار هو المشهور أو خلافه -، وقولهم الأصوب - للدلالة على وجود قولين كلاهما صواباً إلا أنّ أحدهما أصوب من الآخر -، وقولهم: الحق - وهذا اللفظ يطلق عند المتأخرين على تحقيق صواب ما ذهب إليه من أقوال في المسألة أو تقييدها، فإذا كان في المسألة عدّة أقوال، فإنّ الفقيه يعبر بلفظ الحق حين يتحقّق بنفسه حسب اجتهاده من صحّة أحد هذه الأقوال.

وليس من الخفيّ ما اشتهر به الإمام اللخمي من التصرف في المذهب حتّى أنّ المتأخرين جعلوا تصرفات اللخمي في المذهب المالكي وما يأتي به من القول اختياراً، كما درج على ذلك الاصطلاح الذي بني عليه مختصر الشيخ خليل^(١)، وعرف ابن يونس بأنّه أكثر المجتهدين ترجيحاً لأقوال من قبله.

وجرى في المذهب الشافعي ما جرى في المذهبين الحنفي والمالكي من ظهور الاصطلاحات الخاصّة بالترجيح والتضعيف^(٢) كقولهم: الأظهر - للترجيح بين أقوال الشافعي المختلفة، ولفظ الأظهر يدلّ على ظهور مقابله، ولذلك لا يأتي به الإمام النووي إلاّ حينما تكون الأقوال المخالفة قويّة من حيث الدليل ويكون الأظهر هو الأقوى دليلاً منها - وقولهم: المشهور - للترجيح أيضاً بين أقوال الشافعي، إلاّ أنّه يأتي حيث يكون القول المقابل ضعيفاً لضعف مدركه، ويستعمله الغزالي كذلك للترجيح بين الأقوال والأوجه وهو عنده: القول أو الوجه الذي اشتهر بحيث يكون مقابله رأياً غريباً - وقولهم: الأصحّ - للترجيح بين الأوجه للأصحاب، فما كان من الأوجه قويّ الدليل فهو الصحيح، وما كان أقوى دليلاً فهو الأصحّ - وقولهم: الصحيح

(١) محاضرات مغاربية ص ٨١.

(٢) مصطلحات المذاهب الفقهيّة ص ٢٦٩ - ٢٧٦.

والصواب - للترجيح بين وجوه الأصحاب حين يكون المقابل وجهاً ضعيفاً أو واهياً لضعف مدركه -، وقولهم: المذهب - للترجيح بين الطرق في حكاية أقوال الإمام، أو وجوه الأصحاب، فيقول أحدهم في المسألة الواحدة قولان أو وجهان، فما عبّر عنه النووي بالمذهب هو ما كان طريقه أصحّ، وقد يكون طريقه الخلاف، فيعبّر عن المسألتين بالمذهب للدلالة على الاختلاف - وقولهم: الظاهر - وهو القول أو الوجه الذي قوي دليله، وكان راجحاً على مقابله، إلا أنّ الظاهر أقلّ رجحاناً من الأظهر - وقولهم: الأرجح - وهو ما كان رجحانه أكثر من غيره، ومقابله الراجح الذي تعضّد بأحد أسباب الترجيح - وقولهم: الأشبه - الذي يستعمل حينما يكون للمسألة الواحدة حكمان قياسيَّان تكون العلة في أحدهما أقوى شبيهاً بالأصل - وقولهم: الأشهر - وهو القول الذي زادت شهرته على الآخر لشهرة ناقله أو مكانته عن المنقول عنه أو اتفاق الكلّ على أنّه منقول منه - وقولهم: وهذا مجزوم به، أو: وهذا لا خلاف فيه - للدلالة على ترجيح الرأي باتّفاق أهل المذهب دون وجود مخالف بينهم - وقولهم: المختار - وهي من ألفاظ الترجيح عند النووي، حيث يكون في المسألة خلاف في المذهب، ويظهر له أنّ الدليل الصحيح مع الطائفة القليلة، تصريحاً منه بأنّه الراجح دليلاً، رغم أنّ الأكثر الأشهر في المذهب على خلافه ..

وتواضع كذلك فقهاء الحنابلة كما تواضع من قبلهم فقهاء المذاهب الأخرى، على ألفاظ تدلّ على الترجيح في المذهب^(١) كقولهم: الأصحّ - ويعنون به أنّ حكم المسألة قد صحّت نسبه إلى الإمام أو إلى بعض أصحابه، سواء اشتهرت نسبه إليهم وظهرت، أو صحّ طريق النقل عنهم، أو كان الأصحّ دليلاً من الأقوال أو صحّ هذا الحكم عند القائل فقط، حسب ما دلّه عليه اجتهاده، فيطلق الأصحّ على جميع تلك المعاني، والقريظة هي التي تدلّ على المراد من تلك المعاني - وقولهم:

(١) مصطلحات المذاهب الفقهية ص ٣٦٣ - ٣٧٠.

في الصحيح من المذهب - ويستعمله ابن قدامة حين يكون في المسألة خلاف، للدلالة على تصحيحه هو واختياره دون غيره -، وقولهم: في الصحيح عنه - والمقصود بهذا اللفظ ما صحّ نسبه إلى الإمام، وهذا من ألفاظ ابن قدامة في المقنع -، وقولهم: الظاهر - وذلك حين يكون الدليل أو الرواية أو الوجه الذي يحتمل معنيين أحدهما أكثر وضوحاً، سواء تبادر إلى ذهن المجتهد أو لا -، وقولهم: الأظهر - وهو الأكثر ظهوراً من مقابله الظاهر، وقد يكون الأظهر شهرة أو نقلاً أو دليلاً، سواء كان عن الإمام أو بعض أصحابه - وقولهم: المشهور - وهو ما اشتهرت نسبه إلى الإمام أو إلى بعض أصحابه - ويقابل المشهور لفظ الأشهر الذي له استعمالات دقيقة عند الحنابلة بحسب اقترانه بحروف الجرّ، وقولهم: المذهب - للدلالة على أنّ حكم المسألة هو الذي يقتضيه مذهب الإمام أحمد سواء كان بنصّ من الإمام أو بتنبيهه وإيمانه، أو كان وجهاً للأصحاب، أو استنباطاً من أقواله -، وقولهم: الأولى والأقوى والأقيس - والترجيح بأحد هذه الألفاظ قد يكون بنصّ الإمام، أو بعض أصحابه، سواء كانت شهرة أو نقلاً أو دليلاً أو عند القائل، ويقدم لفظ الأولى على غيره، وإن كانت الأقوال الأخرى أقوى وأصحّ منه دليلاً، ربّما لمناسبته لظروف الزمان والمكان، وكونه أرفق بالناس حيث روعي فيه عرفهم -

- ٢ - انتشار المختصرات الفقهية:

كان أعلام الدور السابق قد ضربوا المثل للاختصار وفتحوا الباب للمختصرات التي توالى على تجديده وضبط المصطلح، من أمثال الإمام الطحاوي والحاكم الشهيد والقُدوري في المذهب الحنفي، ومن أمثال ابن أبي زيد وابن الجلاب والبراذعي في المذهب المالكي، ومن أمثال ابن الحذاد وابن القاص والمحاملي في المذهب الشافعي، ومن أمثال الخرقى في المذهب الحنبلي.

وكانت جميع مختصراتهم قد راجت ووقع الاعتماد عليها، وعلى

تعبيراتها تأسست كتب المذاهب التي توالى في هذا الدور، وفي الذي بعده^(١).

فلم تكن المختصرات الفقهية إذن بالأمر الجديد، وإنما كانت موجودة في الدور السابق - كما وضحنا - بل إننا نجد نشأة لهذه المختصرات حتى في أواخر القرن الثاني، ولكن الأمر الملفت للنظر في هذا الدور هو تطوّر هذا اللون من الكتابة بصفة غريبة، واقتصار الفقهاء على هذا النوع من التأليف، مع عنايتهم بجمع أكثر ما يمكن من المسائل واختصارها في أقل ما يمكن من الألفاظ، وما يعني ذلك من صعوبة معاناتها على الناس، فتحوّلت نتيجة ذلك الكتابة الفقهية إلى ما يشبه الألغاز بحيث لا تكاد تفهم عباراتها، حتى وصل الأمر بابن الحاجب - رجل المختصرات - حين كان مشغلاً بوضع مختصره الفقهي، وجمع أمهات كتب المذهب المالكي، وما اشتملت عليه من مسائل فقهية في كلام موجز، وصل به الأمر في بعض الأحيان بعد أن أكمل كتابه، إلى إعمال الفكر والتأمل لفهم بعض العبارات التي كان قد أثبتها في مختصره الفقهي^(٢).

هذا الاختصار الموعغل في الإيجاز، الذي طغى على حساب المعاني وفهمها، هو الذي دفع بالإمام الشاطبي فيما بعد إلى القول بأن ابن بشير وابن شاس وابن الحاجب - من المالكية - قد أفسدوا الفقه^(٣).

وهو الذي دفع كذلك ابن خلدون إلى إنكار هذا التوجّه بمسار الفقه الذي آل به إلى الجمود، وتبرّم به وشكا من الفقهاء الذين ذهبوا إلى اختصار الطرق والأنحاء في الفقه - وفي سائر العلوم - يولعون بها ويدونون منها برنامجاً مختصراً يشتمل على حصر مسائله وأدلتها، باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفنّ، حتى صار ذلك

(١) ومضات فكر ٧٠/٢، بتصرّف.

(٢) الإنادات والإنشادات للشاطبي ص ١٦٣.

(٣) نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتبكتي ٣٩/١ - ٤٠.

مخللاً بالبلاغة وعسيراً على الفهم، وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطوّلة فاختصروها تقريباً للحفظ، واعتبر ابن خلدون أنّ في ذلك النهج فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل، لأنّ فيه تخليطاً على المبتدئ، ثمّ فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلّم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتراحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها^(١).

ولفهم معاني تلك المختصرات تطلّب الأمر الاستنجاد بوضع الشروح التي احتاجت بدورها إلى حواشي وهكذا أصبحت الكتب التي يؤخذ منها الفقه ذات ألوان ثلاثة: المتن: وهو المختصر، والشرح: وهو شرح المتن، والحاشية: وهي شارحة الشرح، فضلاً عن التقريرات التي هي التعليقات على الحواشي، فأصبح يلتقي على الكتاب الواحد مجموعة من الفقهاء هم: المؤلف، والمختصر، والشارح، والمحسّي، والمعلّق، وباتت العناية مركّزة على المناقشات اللفظية، والوقوف على أساليبها، والعمل على حلّ تراكيبها وعباراتها، في الوقت الذي بقيت فيه قواعد الفقه وأصوله جامدة غير متطورة.

فكان ذلك ممّا زاد في إلحاق الضرر بالمتعلّمين في تحصيل العلم والوقوف على غياته لكثرة التآليف التي انتشرت بين أيديهم، ومطالبتهم باستحضار أكثرها وحفظ أغلبها، ولا يفي عمر المتعلّم بالإحاطة بهذه المختصرات الفقهية وما كتب عليها من الشروح والتنبيهات والمقدمات والحواشي والتعليقات ولو تجرّد لها الطالب كامل حياته، فينقضّي العمر دون مطلبه، ولا يطمع أحد في الغاية منه إلاّ في القليل النادر^(٢).

- ٣ - اتّساع التآليف في مسائل الأحكام وكتب النوازل:

إلى جانب اعتناء علماء هذا الدور في وضع المختصرات الفقهية، سيرا منهم وفق المنهج التقني المبنّي على الاقتصار والاختصار، كانت

(١) المقدمة ص ٥٥١.

(٢) المقدمة ص ٥٤٧.

عنايتهم كذلك متّجهة إلى التأليف في الأحكام وإجراءات النوازل المخصّصة لتسجيل القضايا وتثبيت الحوادث وإجراء الأجوبة المتعلقة بتلك المسائل، وبيان فتاوى العلماء فيها.

وقد زاد اعتناؤهم هذا في توسيع المعاني الفقهية من حيث تطبيقها على الحياة العملية، وأحكم الوصل بين الوقائع المستجدة حسب متغيّرات الأحوال، وبين مقتضيات الحكم الشرعي في إجراء النوازل وتنزيل الأحكام من حيث الوفاء بتحقيق المصالح الشرعية المنوطة بها على حسب مقتضيات تلك الأحوال.

وقد نشأ عن ذلك ازدهار التحقيق الفقهي في جزئيات المسائل العملية الذي طفحت به كتب الفتاوى والنوازل^(١).

والكتب المؤلفة في ميدان الفتاوى والنوازل لهذا الدور على أنواع:

* فمنها: كتب النوازل التي يعتني فيها صاحبها بجمع فتاوى غيره من معاصريه أو من السابقين له، مثل الفتاوى الكبرى للإمام الصدر الشهيد، حسام الدين عمر بن عبدالعزيز الحنفي (٥٣٦هـ) الذي جمع بين ما أودعه أبو الليث في نوازله، وبين ما أورده أبو العباس الناطقي في واقعاته، وبين فتاوى أبي بكر محمد بن الفضل، وفتاوى أهل سمرقند، ثم بوبها نجم الدين يوسف بن أحمد الخاصي (٦٣٤هـ) المعروف بفطيس^(٢)، ورتّب فيها المتفرّقات^(٣)، ومثل الفتاوى الظهرية، لظهير الدين أبي بكر محمد بن أحمد البخاري الحنفي (٦١٩هـ) الذي ذكر فيها أنّه جمع كتاباً من الواقعات والنوازل ممّا يشتدّ الافتقار إليه وفوائد غيره من كتب المتقدمين التي لا يستغني عنها علماء المتأخّرين^(٤)، ومثل البيان والتحصيل والشرح والتوجيه

(١) ومضات فكر ٧٢/٢.

(٢) كشف الظنون ٢١٩/٢.

(٣) كشف الظنون ٢١٤/٢ و ٢١٦/٢.

(٤) كشف الظنون ٢١٧/٢.

والتعليل في مسائل المستخرجة لأبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد الجدّ (٥٢٠هـ) وقد جمع فيه أسئلة كثيرة وأجوبتها لأعلام المذهب المالكي وأسمعتهم، ووشحها بشروحه وتوجيهاته وتعليلاته.

وقد يطنب الفقيه أحياناً ببيان الأحكام وزوائد الروايات، كما في فتاوى قاضي خان لفخر الدين حسن بن منصور الأوزجندی الفرغاني (٥٩٢هـ) الذي ذكر في كتابه جملة من المسائل التي يغلب وقوعها وتمسّ الحاجة إليها، وتدور عليها واقعات الأمة، ويبيّن لكلّ فرع أصلاً، وفيما كثرت فيه الأقاويل من المتأخرين اقتصر منه على قول أو قولين، وقدّم ما هو الأظهر^(١).

* ومنها: كتب النوازل التي تجمع أجوبة فقيه واحد، سواء كان هذا الجمع له أو لأحد تلاميذه، وربما جمعت خلال فترة تولّيه خطة القضاء أو الإفتاء، وهذا النوع من التاكيف هو الغالب، مثل فتاوى أبي عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري الشافعي (٦٤٣هـ) المعروف بابن الصلاح، وقد جمع له هذه الفتاوى بعض طلبته، وهو الكمال إسحاق المعزي الشافعي^(٢) أو الفتاوى النسفية لنجم الدين عمر بن محمد النسفي (٥٣٧هـ) وهي فتاواه التي أجاب بها عن جميع ما سئل عنه في أيامه دون ما جمعه لغيره^(٣) أو فتاوى ابن رشد الجدّ، التي تسمّى أيضاً بالنوازل والأجوبة، وقد جمعها تلميذه أبو الحسين ابن الوزان، أو فتاوى محيي الدين بن يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ).

* ومنها: كتب النوازل التي تنسب لمدينة ما، حيث أنّ الفقيه قد سئل عن تلك المسائل والفتاوى بتلك المدينة فنسبت إليها، مثل فتاوى عزّ الدين عبدالعزيز الشافعي المعروف بابن عبدالسلام (٦٦٠هـ) التي سئل عنها

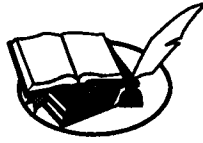
(١) كشف الظنون ٢/٢١٨.

(٢) كشف الظنون ٢/٢١٢.

(٣) كشف الظنون ٢/٢٢٠.

بالموصل، ولذلك يقال لها الفتاوى الموصلية^(١).

وتتابع التأليف في مسائل الأحكام والنوازل، فكان من الفقهاء من اقتصر على تفصيل ما أورده السابقون مما لا بدّ من معرفته لأهل الفتوى، واقتصر في تخريج المسائل على ما كان من نظائرها، وكان منهم من تصدّى للإفتاء بهمة عالية، وأعطى حكمه لكلّ صورة من الوقائع الحادثة، مما لم تشتمل كتب الأقدمين على نصوص أحكامها.



(١) كشف الظنون ٢/٢١٢.

مراكز الفقه في هذا الدور وأشهر القائمين عليها من الأئمة الأعلام

- ١ - مصر:

تراجع فقه المذاهب الأربعة السنية بمصر خلال المرحلة الثانية من الدور السابق، وبداية هذا الدور، وذلك إلى منتصف القرن السادس الهجري، نظرا لسياسة بني عبيد القمعية، ولم تعرف المذاهب السنية الأربعة عودتها الحقيقية بالديار المصرية إلا في ظل الدولة الأيوبية التي عاد بقيامها فقه أهل السنة والجماعة إلى الظهور.

وكان ملوك ووزراء الدولة الأيوبية يهتمون بإنشاء المدارس والمعاهد الدينية، ويقفون عليها الأوقاف الكثيرة^(١)، ويرتبون لها الفقهاء والعلماء، حيث يدرّس بها فقه المذاهب الأربعة السنية.

وقد عني صلاح الدين الأيوبي عناية خاصة ببناء المدارس، فبنى المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي، وجعلها وقفا على الشافعية، كما جعل المدرسة المعروفة بزين التجار وقفا على الشافعية، وأنشأ سنة ٥٦٦هـ المدرسة القمحية لتدريس المذهب المالكي، ثم أنشأ لهم وللشافعية القاضي

(١) ستانلي لينبول: سيرة القاهرة ص ١٦٢ و ٢٥٤، مصر في العصور الوسطى للدكتور علي إبراهيم حسن ص ٤٦٢، وفيات الأعيان ٢٠٦٧ - ٢٠٧، تاريخ الإسلام ٤٢٥/٤ - ٤٢٦، تاريخ الأدب العربي للدكتور شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، مصر، ص ١٣٧ و ١٤١ و ١٤٥ و ١٤٨.

الفاضل عبدالرحيم بن عليّ البيساني وزير صلاح الدين المدرسة الفاضليّة، وذلك سنة ٥٨٠هـ، وكان بهذه المدرسة مكتبة تشتمل على مائة ألف مجلد.

وأنشأ صلاح الدين المدرسة السيوفية سنة ٥٧٢هـ لتدريس المذهب الحنفي، وهي أول مدرسة وقفت على المذهب الحنفي بمصر، ثم بنى ابنه الملك العزيز عماد الدين عثمان (٥٩٥هـ) المدرسة العزيزية.

وهذا الإجراء في بناء المدارس لم يكن معروفا لدى العرب وإنما نقله صلاح الدين الأيوبي عن نور الدين محمود زنكي حاكم الشام الذي نقله بدوره عن الفرس في القرن السادس الهجري.

ومن المدارس التي أنشئت كذلك في عهد الأيوبيين المدرسة الكاملية بناها السلطان الكامل بن العادل سنة ٦٢٢هـ، ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي، وعلى فقهاء الشافعية، وأنشأ الصالح أيوب بن كامل المدرسة الصالحية سنة ٦٣٩هـ، وجعلها لتدريس المذاهب الأربعة، ثم أنشأ المدرسة الناصرية، وهي ثاني مدرسة تخصص لتدريس المذاهب الأربعة، وذلك سنة ٦٤١هـ. وشارك بعض الأثرياء من أصحاب الثروات العظيمة في هذا العمل الخيري، كما هو الحال بالنسبة للشجاع محمود الدماغ (٦١٤هـ) الذي وقف مدرسة للشافعية والحنفية، عرفت بالدماغية^(١).

فكان طلبة العلم يؤمّون تلك المدارس لتلقي العلم بانتظام، وكثرت المدارس وازداد الاهتمام بإنشائها، وعاد إلى مصر فقه أهل السنة من المذاهب الأربعة إلى أحسن ما كان ونفقت سوقه.

فكان من أقطاب المذهب الحنفي في هذه البلاد:

* عبدالله بن محمد بن سعد الله الجريري (٥١٣هـ - ٥٨٤هـ) المعروف بابن الشاعر: الذي برع في مذهب أبي حنيفة، وكان قد قدم

(١) شذرات الذهب ١٤٤/٥.

مصر صحبة صلاح الدين الأيوبي، فأقام بها يفتي ويدرس بالمدرسة السيوفية إلى أن توفي^(١).

* أبو محمد عبد الوهاب بن النحاس (٥٩٩هـ) المعروف بالبدر بن المجن: الذي برع في المذهب وأفتى ودرّس بالسيوفية، وكان مجيداً في مناظراته، فريداً في محاوراته، ناظر الفحول الواردين من وراء النهر وخراسان^(٢).

* أبو الحسن علي بن أحمد بن عود العماد بن الغزنوي (٥٥٧هـ - ٦٣٣هـ): وكان فقيهاً حنيفياً فاضلاً.

درّس بالسيوفية وغيرها من المدارس^(٣).

* عبدالرحمن بن محمد بن عبدالعزيز اللخمي (٥٥٥هـ - ٦٤٣هـ) وجيه الدين أبو القاسم القوصي: له تصانيف في علوم عديدة نظماً ونثراً، كان متبحراً في مذهب أبي حنيفة، درّس وناظر، وعمر^(٤).

* أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الحلبي صاحب كمال الدين بن العديم (٥٨٦هـ - ٦٦٠هـ) الملقّب برئيس الأصحاب، برع وساد وصار أوحد عصره فضلاً ونبلاً ورئاسة، وكان عديم النظر رأياً وحزماً وذكاءً وبلاغته، درّس وأفتى وصنّف في الفقه والحديث والأدب والتاريخ^(٥).

(١) حسن المحاضرة ٢١٣/١.

(٢) حسن المحاضرة ٢١٤/١، شذرات الذهب ٥٧/٥.

(٣) حسن المحاضرة ٢١٤/١.

(٤) الجواهر المضية ٣٩٤/٢، تاج التراجم ١٢٤، طبقات المفسرين للداوودي ٢٠١، حسن المحاضرة ٢١٤/١.

(٥) الفوائد البهية ١٤٧، الجواهر المضية ٦٤٣/٢، تاج التراجم ١٦٦، حسن المحاضرة ٢١٤/١، شذرات الذهب ٤٤٠/٥ - ٤٤١، النجوم الزاهرة ٢٠٨/٧، البداية والنهاية ٢٣٦/١٣، فوات الوفيات ١٢٦/٣ - ١٢٩، معجم الأدياء ٢٠٦٨/٥ - ٢٠٦٩.

ومن أعلام فقهاء المالكية بمصر:

* أبو بكر الطرطوشي محمد بن الوليد الفهري (٤٥٠هـ - ٥٢٥هـ):
أصله من طرطوشة بشرق الأندلس نشأ أول أمره ببلده ثم طاف بلاد
الأندلس وصحب الإمام الباجي بسرقسطة، وعنه أخذ مسائل الخلاف،
وكان يميل إليها، وتفقه عليه، ثم رحل إلى المشرق فدخل بغداد والبصرة
وسكن الشام مدة ودرّس بها، بعد أن تقدّم في الفقه مذهباً وخلافاً، فبعد
صيته هناك، وأخذ عنه الناس علماً كثيراً.

نزل الإسكندرية، بعد أن باشر العبيديون قتل علمائها، فوجد البلد
عاطلاً عن العلم، فأقام بها وبيث علماً جمّاً، وفتح داره للطلبة فجعلها
مدرسة ولازم التدريس، وكان يقول: إن سألني الله تعالى عن المقام
بالإسكندرية، أقول له: وجدت قوماً ضالّلاً، فكنت سبب هدايتهم، ثم
امتحن بدوره بالإخراج من الإسكندرية، ومنع العبيديون الناس من الأخذ
عنه، فلزم الفسطاط.

وكان الطرطوشي صاحب نزهة مع طلبته، يخرج معهم في أكثر
الأوقات إلى البستان فيقيمون الأيام المتوالية في فسحة ومذاكرة، وكان عدد
الذين يخرجون معه من الطلبة يصل أحياناً إلى ثلاثمائة وستين طالب علم،
لكثرة الآخذين عنه، المحبّين لصحبته وخدمته.

شرح وألّف تأليف حساناً منها: تعليقه في مسائل الخلاف، وفي
أصول الفقه، وغير ذلك من الكتب، وعنه أخذ القاضي عياض إجازة جميع
رواياته ومصنّفاته.

وفي تاريخ وفاته خلاف، فقيل توفّي سنة ٥٢٠هـ، وقيل توفّي سنة
٥٢٥هـ^(١).

(١) الديباج المذهب ص ٣٧١ - ٣٧٣، حسن المحاضرة ٢٠٨/١، النجوم الزاهرة
٢٣١/٥، هدية العارفين ٨٥/٢، شذرات الذهب ٢٠٧/٤ - ٢٠٩، الصلة، مج ١٣،
ج ٣ ص ٨٣٨ - ٨٣٩، وفيات الأعيان ٢٦٢/٤ - ٢٦٤، نفح الطيب ٨٥/٢ - ٩٠.

* أبو عليّ سند بن عنان بن إبراهيم الأزدي (٥٤١هـ): تفقّه بالطرطوشي وجلس في حلقاته لإلقاء الدرس بعده، وانتفع به الناس، صتف الطراز في شرح المدوّنة، توفّي قبل إكماله، واعتمده الحطّاب وأكثر من النقل عنه في شرح مختصر خليل، وله تآليف في الجدل وغير ذلك. وكان فقيهاً فاضلاً من أهل النظر، ومن زهّاد العلماء وكبار الصالحين^(١).

* صدر الإسلام أبو طاهر إسماعيل بن مكّي بن عوف الزهري (٤٨٥هـ - ٥٨١هـ): الإسكندراني، ربيب الشيخ أبي بكر الطرطوشي، وقيل كان الطرطوشي زوج خالته، فتفقّه عليه أبو طاهر، وبه انتفع في علوم شتى، حتّى برع في المذهب وتخرّج به الأصحاب، وقصده السلطان صلاح الدين الأيوبي وسمع منه الموطأ وكان بعد ذلك يعظّمه ويراسله ويستفتيه.

كان إمام عصره وفريد دهره في الفقه على مذهب مالك، وعليه مدار الفتوى مع الورع والزهد والتواضع ونزاهة النفس، وكان من العلماء الأعلام ومشائخ الإسلام.

كان بيته بالإسكندرية بيت كبير شهير بالعلم، وكان فيه جماعة من الفقهاء، اجتمع منهم سبعة في وقت واحد، وكانوا إذا دخلوا على الفقيه أبي عليّ سند بن عنان يقول: أهلاً بالفقهاء السبعة، تشبيهاً لهم بالفقهاء السبعة أئمة المدينة المنورة^(٢).

وكان حفيده أبو الحرم مكّي نفيس الدين ألف شرحاً عظيماً على كتاب التهذيب للبراذعي، وكان يقيده على دروسه التي كان يلقيها في المدرسة العوفية، وكان يحضر عنده فضلاء، ويتحرّر بينهم بحوث، فيكتبها

(١) الديباج المذهب ص ٢٠٧، حسن المحاضرة ٢٠٨/١، هدية العارفين ٤١١/١، شجرة النور الزكية ص ١٢٥.

(٢) الديباج المذهب ص ١٥٥ - ١٥٧، حسن المحاضرة ٢٠٨/١، شجرة النور الزكية ص ١٤٤، شذرات الذهب ٤٥٥/٤، تذكرة الحفاظ ١٣٣٦/٤.

في الحواشي، حتى كمل الكتاب، وله كذلك شرح على كتاب التفريع لابن الجلاب، اشتمل على فقه جيّد وتوجيه حسن^(١).

* أبو منصور ظافر بن الحسين الأزدي (٥٩٧هـ): شيخ المالكية الذي كان منتصباً للإفادة والفتيا، وانتفع به بشر كثير^(٢).

* أبو محمد جلال الدين عبدالله بن محمد - وقيل بن نجم - بن شاس (٦١٠هـ): شيخ المالكية، وأحد الأئمة الكبار العاملين، كان فقيهاً فاضلاً في المذهب، عارفاً بقواعده.

صنّف كتاباً نفيساً في المذهب سمّاه الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة الذي اختصر فيه المذهب المالكي، وضعه على منوال كتاب الوجيز للغزالي، والكتاب دليل على غزارة علم صاحبه، وقد اعتكف المالكية بمصر على دراسته لحسنه وكثرة فوائده.

كان يدرّس بمصر بالمدرسة المجاورة للجامع العتيق، ولمّا حجّ في آخر عمره ورجع إلى مصر، امتنع من الفتيا إلى أن مات بدمياط مجاهداً في سبيل الله سنة ٦١٠هـ، وقيل سنة ٦١٦هـ^(٣).

* أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن عليّ الأبياري (٥٥٧هـ - ٦١٨هـ): الملقّب شمس الدين، وشهرته بأبي الحسن الأبياري، أحد العلماء الأعلام وأئمة الإسلام تفقّه بأبي طاهر بن عوف - صدر الإسلام -، برع في علوم شتى، الفقه والأصول والكلام، حتّى إنّ بعض الأئمة مثل شهاب الدين عبدالله المعروف بابن عقيل المصري الشافعي كان يفضّل الأبياري على الإمام الأصولي فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ).

(١) انظر: الديباج المذهب ص ١٥٦، حسن المحاضرة ص ٢٠٨.

(٢) حسن المحاضرة ٢٠٩/١، شذرات الذهب ٤٢/٥ - ٤٣.

(٣) الديباج المذهب ص ٢٢٩ - ٢٣٠، حسن المحاضرة ٢٠٩/١، شذرات الذهب ١٥٥/٥، هدية العارفين ٤٥٩/١، البداية والنهاية ٨٦/١٣، شجرة النور الزكية ص ١٦٥، وفيات الأعيان ٦١/٣.

صنّف تصانيف حسنة منها كتاب سفينة النجاة على منوال إحياء علوم الدين للغزالي، وقيل إنّ كتابه أكثر إتقاناً من كتاب الإحياء للغزالي، وأحسن منه، وله في الفقه كتباً تدلّ على قوّة باعه فيه.

درّس بالإسكندرية، وانتفع به الناس، وتخرّج به الفقيه ابن الحاجب، وفي تاريخ وفاته خلاف، فقيل سنة ٦١٦هـ وقيل سنة ٦١٨هـ^(١).

* أبو عليّ الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق الربيعي المالكي (٥٤٩هـ - ٦٣٢هـ) شيخ المالكية في وقته، الذي كان عليه مدار الفتيا في الفقه بالديار المصرية، تتلمذ على صدر الإسلام أبي الطاهر إسماعيل بن مكّي.

كان بيته بيت علم وقضاء وفتيا في الإسكندرية، حيث كان صاحب الترجمة وأبناؤه الثلاثة والبعض من أحفاده ممّن تولّوا القضاء والفتيا بها.

وكان فقيهاً بمذهب مالك، عالماً بالأصلين - أصول الدين وأصول الفقه - وبالخلاف، درّس بمصر وأفتى وصنّف، وانتفع به الناس وتخرّجوا^(٢).

* جمال الدين ابن الصفراوي أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالمجيد الإسكندراني (٥٤٤هـ - ٦٣٦هـ) الذي طال عمره وبعد صيته وانتهت إليه رئاسة الإقراء والإفتاء ببلده^(٣).

* جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب (٥٧٠هـ - ٦٤٦هـ) : الذي برع في الفقه والأصول والقراءات وتحقيق علم العربيّة، وأتقنها غاية الإتقان، فكان علامة زمانه ورئيس

(١) الديباج المذهب ص ٣٠٦، حسن المحاضرة ٢٠٩/١، شجرة النور الزكية ص ١٦٦.

(٢) الديباج المذهب ص ١٧٤ - ١٧٥، حسن المحاضرة ٢٠٩/١، شجرة النور الزكية ص ١٦٦.

(٣) حسن المحاضرة ٢٠٩/١ - ٢١٠، شذرات الذهب ٢٩٣/٥ - ٢٩٤، النجوم الزاهرة ٣١٦/٦ غاية النهاية في طبقات القراء ٣٧٣/١، تذكرة الحفاظ ١٤٢٤/٤.

أقرانه، بعد أن استخرج ما كمن من درر الفهم، ومزج نحو الألفاظ بنحو المعاني، وأسس قواعد تلك المباني.

كان علم اهتداء في مذهب مالك، استوطن مصر ثم انتقل إلى الشام فدرّس بدمشق في زاوية المالكية، وأكبّ الناس على الاشتغال عليه، والتزم له الدرس هناك، ثم عاد إلى مصر فأقام بالقاهرة والناس ملازمون الاشتغال عليه، ثم انتقل إلى الإسكندرية للإقامة بها فلم تطل مدته هناك.

كان محباً للشيخ عزّ الدين بن عبدالسلام، وحين حبس ابن عبدالسلام بسبب إنكاره على السلطان، ودخل ابن الحاجب معه السجن موافقة ومراعاة، ولعلّ انتقاله إلى مصر كان بسبب انتقال الشيخ ابن عبدالسلام.

صنّف المختصر الفقهي المسمّى بجامع الأمّهات، وقد بالغ الشيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد الشافعي في مدح هذا الكتاب في أوّل شرحه له، وصنّف الكافية مقدّمة وجيزة في النحو، ونظّم لها نظماً سمّاه الوافية في نظم الكافية، ومثلها في التصريف سمّاه الشافية، وصنّف مختصراً في أصول الفقه سمّاه منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، ثمّ اختصره، وكلّ تصانيفه في نهاية الحسن والإفادة^(١).

وكان يعاصره رفيقه:

* رشيد الدين أبو محمد عبدالكريم بن عطاء الله الإسكندراني (٦١٢هـ) وكان إماماً في الفقه والأصول والعربية، تتلمذ على أبي الحسن الأبياري رفقة ابن الحاجب، وتفقّها عليه معاً في المذهب.

له تآليف غاية في التحرير والتحقيق، منها: البيان والتقريب في شرح التهذيب، جمع فيه علوماً كثيرة وفوائد غزيرة، وأقوالاً غريبة، وله مختصر

(١) الديباج ص ٢٨٩ - ٢٩١، غاية النهاية ٥٠٨/١، النجوم الزاهرة ٣٦٠/٦، شذرات الذهب ٣٥٩/٥ - ٣٦٠، النجوم الزاهرة ٣٦٠/٦، هدية العارفين ٦٥٤/١، وفيات الأعيان ٢٤٨/٣ - ٢٥٠.

التهديب، اختصره اختصاراً حسناً، ومختصر المفصل للزمخشري^(١).

* قاضي القضاة شرف الدين أبو حفص عمر بن عبدالله بن صالح السبكي (٥٨٥هـ - ٦٦٩هـ): الذي تفقه وأفتى ودرّس بالصالحية، وولي الحسبة بالقاهرة، ثم قضاء الديار المصرية حين وقع تولية قاض من كل مذهب^(٢).

وعلى نحو انتشار أعلام المذهب المالكي بمصر، كذلك كان الحال بالنسبة لأعلام المذهب الشافعي، بل ربما أنّ عدد فقهاء الشافعية كان يربو كثيراً على فقهاء المذهب المالكي، خاصة وأنّ صلاح الدين الأيوبي قد فوّض القضاء بمصر للشافعية.

واشتهر من فقهاءهم لهذا الدور ممّن عاصروا دولة بني عبيد الفاطميين:

* أبو الفتح سلطان بن إبراهيم بن مسلم المقدسي (٤٤٢هـ - ٥١٨هـ): الذي دخل مصر بعد سنة ٤٧٠هـ وبرع في المذهب فكان من أئمة الفقهاء بمصر، وعليه قرأ أكثرهم^(٣).

* القاضي أبو المعالي مجلى بن جميع بن نجا المخزومي (٥٥٠هـ): تفقه على أبي الفتح سلطان، وبرع فصار من كبار الأئمة، وأعيان الفقهاء المشار إليهم في وقته، والذي إليه ترجع الفتيا بمصر.

تفقه عليه جماعة منهم العراقي شارح المهذب، ولّي قضاء الديار المصرية سنة ٥٤٧هـ.

صنّف كتاب الذخائر في الفقه، وهو من الكتب المعتبرة والمفيدة في

(١) الديباج المذهب ص ٢٦٩، شجرة النور الزكية ص ١٦٧، حسن المحاضرة ١/٢١٠.

(٢) حسن المحاضرة ص ٢١٠.

(٣) حسن المحاضرة ١/١٨٤، شذرات الذهب ٤/٢٠١.

المذهب، إلا أن تربيته غير معهود متعب لمن أراد استخراج المسائل منه، وهو كثير الفروع والغرائب^(١).

* أبو محمد عبدالله بن رفاعة بن غدِير السعدي (٤٦٧هـ - ٥٦١هـ):
كان فقيهاً ماهراً في الفرائض، تتلمذ على القاضي أبي الحسن الخلعي (٤٩٢هـ) ولازمه، ولّي قضاء الجيزة - من ضواحي القاهرة على ضفة النيل - ثم ترك القضاء واعتزل في القرافة مشغولاً بالعبادة^(٢).

ومن أعلام الشافعية الذين عاصروا دولة بني عبيد الفاطميين وطرفاً من الدولة الأيوبية:

* أبو البركات نجم الدين محمد بن سعيد بن علي الخبوشاني (٥١٠هـ - ٥٨٧هـ): وكان فقيهاً فاضلاً كثير الورع، تفقه على محمد بن يحيى تلميذ الإمام الغزالي، وكان يستحضر كتابه المحيط في شرح الوسيط، وصنّف عليه كتاباً سمّاه تحقيق المحيط في شرح الوسيط.

كان صلاح الدين الأيوبي يكرمه ويبالغ في احترامه، وله بنى المدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعي، فكان الفقيه أبو البركات نجم الدين شيخها وناظرها^(٣).

* أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقي المعروف بابن زين التجار (٥٩١هـ): وكان من أعيان الشافعية، تولّى التدريس بالمدرسة الناصرية وطالت مدته فيها حتى عرفت المدرسة به^(٤).

* أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد بن شهاب الدين الطوسي (٥٢٢هـ - ٥٩٦هـ): شيخ الفقهاء وصدر العلماء في عصره، تفقه على

(١) حسن المحاضرة ١/١٨٤، كشف الظنون ١/٦٢٠، شذرات الذهب ٤/٣٢٩، هدية العارفين ٤/٢، البداية والنهاية ١٢/٢٣٣، وفيات الأعيان ٤/١٥٤، طبقات الشافعية الكبرى ٧/٢٧٧ - ٢٨٤.

(٢) حسن المحاضرة ١/١٨٤، شذرات الذهب ٤/٣٧٧.

(٣) حسن المحاضرة ١/١٨٥، البداية والنهاية ١٢/٣٤٧، شذرات الذهب ٤/٤٨٧.

(٤) حسن المحاضرة ١/١٨٥.

جماعة من أصحاب الشافعي منهم محمد بن يحيى، ثم دخل مصر فدرّس وأفتى ونشر العلم وانتفع به الناس، وتخرّج به الأصحاب، وكان معظماً عند العامة والخاصّة، وكان عليه مدار الفتوى بمصر في مذهب الشافعي.

كان شيخ المدرسة المنسوبة إلى تقيّ الدين شاهنشاه بن أيّوب التي تعرف بمنازل العزّ^(١).

* أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن المسلم العراقي المصري (٥١٠هـ - ٥٩٦هـ): قيل له العراقي لأنه سافر إلى بغداد وأقام بها مدة وتفقه بها على أبي بكر الأرموي تلميذ أبي إسحاق الشيرازي، وتلمذ بمصر على القاضي أبي المعالي مجلى صاحب كتاب الذخائر، تولى خطابة الجامع العتيق بمصر، وشرح كتاب المهذب لأبي إسحاق الشيرازي شرحاً حسناً، وهو أول شرح للمهذب^(٢).

* أبو القاسم عبدالملك بن عيسى بن درباس الماراني، المعروف بصدر الدين (٥١٦هـ - ٦٠٥هـ): قاضي القضاة بالديار المصرية، رحل في طلب العلم إلى حلب ودمشق، ودخل مصر في أوائل الدولة الأيوبية فاختاره صلاح الدين للقضاء^(٣).

* ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس (٦٢٢هـ): أخو القاضي صدر الدين عبدالملك.

كان ضياء الدين أعلم الفقهاء في وقته بالمذهب الشافعي، عالماً بارعاً، ماهراً في أصول الفقه، شرح المهذب في الفقه، وهو الشارح الثاني للمهذب بعد العراقي، لكنّه لم يكمله ووصل فيه إلى كتاب الشهادة،

(١) حسن المحاضرة ١/١٨٥، شذرات الذهب ٤٠/٥، النجوم الزاهرة ٦/١٥٩، البداية والنهاية ١٣/٢٤، كشف الظنون ٢/٧٢٨، طبقات الشافعية الكبرى ٦/٣٩٦ - ٤٠٠.

(٢) حسن المحاضرة ١/١٨٥، الشذرات ٥/٣٥، طبقات السبكي ٧/٣٧ - ٣٩، الوفيات ١/٣٣ - ٣٦.

(٣) حسن المحاضرة ١/١٨٥ - ١٨٦، البداية والنهاية ١٣/٥٢، النجوم الزاهرة ٦/١٩٦.

وسمّاه الاستقصاء لمذاهب العلماء الفقهاء، وشرح أيضاً اللّمع في أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي.

ناب عن أخيه صدر الدين في قضاء القاهرة، وتوفّي بمصر وقد قارب التسعين^(١).

* أبو الحسن صدر الدين محمد بن عماد الدين عمر بن عليّ الجويني (٥٤٤هـ - ٦١٧هـ) : شيخ الشيوخ وابن شيخ الشيوخ، من بيت رئاسة وإمرة عند بني أيوب، برع في المذهب وأفتى ودّرس بمصر المذهب الشافعي، وكان كبير القدر وله حرمة وافرة عند الملوك^(٢).

* قاضي القضاة عماد الدين عبدالرحمن بن عبدالعليّ المعروف بابن السكري (٥٥٣هـ - ٦٢٤هـ) : تفقّه على الشهاب الطوسي، وبرع في المذهب وأفتى ودّرس وولّي قضاء القاهرة وخطابتها، وله حواشي مفيدة على كتاب الوسيط^(٣).

ومن أعلام الشافعيّة الذين أمضوا حياتهم العلميّة في ظلّ الدولة الأيوبيّة:

* شمس الدين عثمان بن سعيد بن كثير الصنهاجي (٥٦٥هـ - ٦٣٩هـ) : الذي قدم في صباه مصر واستوطنها وتفقّه بها على الشهاب الطوسي، وبرع في المذهب ودّرس بالجامع الأحمر، وتولّى قضاء الأعمال القوصيّة^(٤).

* أبو المكارم شرف الدين محمد بن عبدالله الإسكندري المعروف بابن عين الدولة (٥٥١هـ - ٦٣٩هـ) :

قدم القاهرة سنة ٥٧٣هـ بعد أن ولّى شبح الدولة الفاطميّة، فتفقّه

(١) حسن المحاضرة ١/١٨٦، البداية والنهاية ١٣/١١٠، شذرات الذهب ٥/٧٤، كشف الظنون ٢/٧٢٨، النجوم الزاهرة ٦/٢٥١، وفيات الأعيان ٣/٢٤٢ - ٢٤٣.

(٢) حسن المحاضرة ١/١٨٦، شذرات الذهب ٥/١٦٥، البداية والنهاية ١٣/٩٣.

(٣) حسن المحاضرة ١/١٨٧، شذرات الذهب ٥/٢١٠، كشف الظنون ٢/٧٩٨.

(٤) حسن المحاضرة ١/١٨٧.

بالعراقي شارح المهذب، وحفظ المهذب للشيرازي، وكان من بيت رئاسة وقضاء، تولّى الإسكندرية من أعمامه وأخواله ثمانية أنفس، أمّا هو فقد ناب في القضاء سنة ٥٨٤هـ عن نصر الدين بن درباس، ثمّ ناب بعد ذلك عن غير واحد، ثمّ وليّ قضاء القاهرة والوجه البحري سنة ٦١٣هـ، وجمع له العملان سنة ٦١٧هـ، ثمّ عزل عن قضاء مصر خاصّة قبل وفاته بشهر.

كان ذكياً كريماً متديناً ورعاً قانعاً باليسير، وكان عارفاً بالأحكام، مطلعاً على غوامضها، وعنه نقل المصريون كثيراً من النوادر، وفي تاريخ وفاته خلاف، فقيل توفي سنة ٦٣٦، وقيل سنة ٦٣٩هـ^(١).

* شرف الدين عبدالله بن محمد بن علي الفهري المعروف بابن التلمساني (٦٤٤هـ): الذي ولد في السنة التي ذهبت فيها ربح الدولة الفاطمية، وذلك سنة ٥٦٧هـ

كان إماماً عالماً بالفقه والأصلين، تصدّر للإقراء بمدينة مصر، وانتفع به الناس، وصنّف الكتب المفيدة منها شرح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي، وشرح المعالم في أصول الفقه لفخر الدين الرازي، وصنّف المجموع في الفقه، وناب في القضاء بالقاهرة^(٢).

* أبو الحسن بهاء الدين بن علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي (٥٥٩هـ - ٦٤٩هـ): كان فقيهاً مقرّناً ومحدّثاً، قرأ على الإمام الشاطبي، وتفقه بالعراقي والشهاب الطوسي وغيرهما، وسمع من الحافظ ابن عساكر والسلفي.

أتقن معرفة المذهب الشافعي حتّى تفرّد في زمانه على أقرانه، وتميّز

(١) حسن المحاضرة ١٨٧/١ - ١٨٨، شذرات الذهب ٢٩٥/٥ - ٢٩٦، ٣٢٣/٥، طبقات الشافعية الكبرى ٦٣/٨ - ٦٦.

(٢) حسن المحاضرة ١٨٨/١، كشف الظنون ٣٩٧/١، ٥٩٠/٢.

عليهم بفقهِه وعلمه، فرحل إليه الطلبة وانتهت إليه مشيخة العلم بالديار المصرية^(١).

ومن أعلام الشافعية الذين أدركوا طرفاً من دولة المماليك البحرية:

* صدر الدين موهوب بن عمر بن موهوب الجزري (٥٩٠هـ - ٦٦٥هـ): أخذ العلم عن الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام الدمشقي الذي كان قد ولي قضاء مصر، ودرّس المذهب الشافعي بالمدرسة الصالحية.

تفقه صدر الدين وبرع في الفروع والأصول، ودرّس وأفتى، وتخرّجت به الطلبة وجمعت عنه الفتاوى المشهورة، ولي نيابة القضاء بمصر عن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، فلما استقال الشيخ عز الدين، استقلّ بها الشيخ صدر الدين، وكان من فضلاء أهل زمانه^(٢).

* ابن بنت الأعرّ تاج الدين أبو محمد عبدالوهاب بن خلف (٦٠٤هـ - ٦٦٥هـ): قاضي قضاة الديار المصرية كان عالماً فاضلاً، متبحراً في العلوم، ذا ذهن ثاقب وحس صائب وعقل ونزاهة وتثبت في الأحكام، وتولية الأكفاء، وكانت له الحرمة الوافرة عند الملك الظاهر بيبرس - من المماليك الأتراك -.

ولي القضاء بتعيين الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، ودرّس بالمدرسة الصالحية، وتولى خطة مشيخة الشيوخ والخطابة بمصر، وغيرها من الخطط، حتى كان بيده خمسة عشر وظيفة، فاجتمع له ما لم يجتمع لأحد قبله من الوظائف الدينية.

وخلف من بعده ولدان صدر الدين عمر، وتقي الدين عبدالرحمن، وكانا من أهل العلم بالمذهب^(٣).

(١) حسن المحاضرة ١/١٨٨، البداية والنهاية ١٣/١٨١.

(٢) حسن المحاضرة ١/١٨٩، شذرات الذهب ٥/٤٦٠ - ٤٦١، طبقات الشافعية الكبرى ٣٨٧/٨.

(٣) شذرات الذهب ٥/٤٥٩ - ٤٦٠، حسن المحاضرة ١/١٨٩، النجوم الزاهرة ٧/٢٢٢ - ٢٢٣ البداية والنهاية ١٣/٢٤٩ - ٢٥٠، طبقات الشافعية الكبرى ٨/٣١٨ - ٣٢٣.

أما أعلام الحنابلة فهم بالديار المصرية قليل جداً، ولم يسمع بخبرهم فيها إلا في القرن السابع الهجري وما بعده، وأول إمام من الحنابلة حل بمصر - حسبما أفاده الإمام السيوطي -^(١) هو:

* تقي الدين أبو محمد الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي الجماعيلي (٥٤١هـ - ٦٠٠هـ): الذي هاجر إلى دمشق صغيراً، بعد سنة ٥٥٠هـ، ثم رحل في طلب العلم إلى بغداد والإسكندرية وأصبهان، وأكثر من الإقامة بها بعد سنة ٥٧٠هـ، وكان - كما قيل - لو أراد أن يملكها لملكها من حب أهلها له.

كان أحد الأئمة الأعلام المبرزين، ومحدث الإسلام في عصره، امتحن في مسألة خلق القرآن، وأفتى أصحاب الرأي والتأويل بإراقة دمه، فخرج إلى مصر وأقام بها، ولقي من أهلها حفاوة وتقديراً.

وكان محسوداً لعلمه وجراته، وأينما حلّ وجد من يعاديه ويحسده ويشاكسه، فكان في أصفهان في دروسه ومواعظه ينتقد أبا نعيم الأصفهاني، فأطرده الشافعية، وفي الموصل انتقد أبا حنيفة وشكك في كفاءته في علم الحديث، فأطروه، فاستقرّ به المقام في مصر إلى أن مات.

من مصنفاته كتاب عمدة الأحكام الكبرى، وقد اختصره في عمدة الأحكام الصغرى، وهو كتاب عزّ نظيره، اعتنى بشرحه العلماء من بعده^(٢).

ولم يأخذ المذهب الحنبلي في الانتشار إلا بعد أن أنشأ الصالح أيوب بن كامل المدرسة الصالحية سنة ٦٣٩هـ، التي وقفها على تدريس المذاهب الأربعة السنّية، ثمّ أنشئت سنة ٦٤١هـ المدرسة الناصرية، وهي ثاني مدرسة تخصصت لتدريس المذاهب الأربعة - كما مرّ بيانه -، وأوّل من

(١) حسن المحاضرة ١/٢٢٢.

(٢) حسن المحاضرة ١/٢٢٢، شذرات الذهب ٥/٦٢ - ٦٣، كشف الظنون ٢/١٦٩، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران ص ٤٦٨ - ٤٦٩، إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ٦٦.

درّس بها من الحنابلة هو: قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن العماد المقدسي الصالحي.

وفي سنة ٦٦٣هـ جعلت القضاة بمصر أربعة^(١) لكلّ مذهب من المذاهب الأربعة قاض، وبهذا عرف المذهب الحنبلي في أواخر هذا الدور بمصر بداية نشاط سيكون له ثمرته في الدور القادم.

- ٢ - الشام:

في الحقيقة أنّ نظام المدارس الذي أحدثه صلاح الدين الأيوبي بمصر، إنّما كان اقتداءً منه بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الذي بنى بدمشق وحلب وأعمالهما عدّة مدارس للشافعيّة والحنفيّة، فتأسست في دمشق المدرسة الصادريّة سنة ٤٩١هـ، وعدّ ابن شدّاد من فقهاؤها حتّى سنة ٦٥٨هـ أحد عشر فقيهاً حنفيّاً، وتأسست بحلب المدرسة الزجاجيّة سنة ٥١٦هـ^(٢).

وبعد وفاة السلطان نور الدين، أصبح صلاح الدين صاحب النفوذ بالشام فأنشأ بدمشق المدرسة الصلاحية، وعلى إثر تحريره لبيت المقدس سنة ٥٨٣هـ بنى مدرسة القدس.

وبنى مجاهد الدين - أمير الموصل - (٥٩٥هـ) عدّة مدارس بالموصل، وكان حنفيّ المذهب^(٣).

وفي سنة ٦٦٢هـ كملت المدرسة الظاهريّة - نسبة إلى الظاهر بيبرس من المماليك الأتراك - ورُتب لتدريس الشافعيّة بها القاضي تقيّ الدين محمد بن الحسين بن رزين، ولتدريس الحنفيّة مجد الدين عبدالرحمن بن كمال الدين عمر بن العديم^(٤).

(١) انظر: شذرات الذهب ٤٦٠/٥.

(٢) تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الشام، ص ١٠٤.

(٣) البداية والنهاية ٢٩٦/١٢.

(٤) المصدر السابق ٢٤٢/١٣.

وغير ذلك من المدارس التي تنافس السلاطين والأمراء في بنائها وتشبيدها، فكان لها الأثر البالغ في إذكاء الحركة العلمية في هذا الدور، وقد اشتهر من أعلام الحنفية بهذه الديار:

* أبو بكر علاء الدين بن مسعود بن أحمد الكاساني - وقيل الكاشاني - (٥٨٧هـ) المعروف بملك العلماء: من أهل حلب، تفقه على علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء الذي زاد فيه على مختصر القدوري ورتبه أحسن ترتيب، فقام أبو بكر الكاساني بشرح كتاب التحفة شرحاً عظيماً وسماه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ولما أتمه عرضه على شيخه فاستحسنه وزوجه ابنته فاطمة الفقيهة، حتى قال أهل عصره: «شرح تحفته وتزوج ابنته» وكان الملك نور الدين زنكي قد فوض إليه التدريس بالمدرسة الحلاوية بحلب^(١).

وكان شيخ الحنفية الذي انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة طيلة الثلث الأول من القرن السابع الهجري:

* جمال الدين الحصيري، أبو المحامد محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري (٥٤٦هـ - ٦٣٦هـ): الذي برع وناظر وحدّث ودرّس بالمدرسة النورية بدمشق، وكان أول درسه بها في سنة ٦١١هـ، واستمر على التدريس بها خمسا وعشرين سنة، إلى أن توفي وله تسعون سنة.

صنّف الكتب المفيدة، منها: شرحان على الجامع الكبير لمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، أحدهما المختصر الذي زاد فيه زهاء ١٦٣٠ من المسائل، وكثيراً من القواعد الحسابية، وقد بالغ في الإيضاح بالنظائر والشواهد وإيراد الفروق وتصحيح الحسابيات بأوجز العبارات تسهيلاً للحفظ، وثانيهما المطول الذي سمّاه «التحرير في شرح الجامع الكبير»،

(١) الفوائد البهية ٥٣، الجواهر المضية ٢٥/٤، تاج التراجم ٢٩٤، كشف الظنون ٣١٦/١

وبلغ به في الجمع والتحقيق الغاية، وكان قد ألفه حين قرأ عليه الملك عيسى بن أبي بكر الأيوبي (٦٢٤هـ) حاكم بلاد الشام، الذي اختار لنفسه المذهب الحنفي وخالف ما جرى عليه ملوك الأيوبيين من اعتناق المذهب الشافعي، وكان من اعتناء هذا الملك بمذهب أبي حنيفة وحرصه على تفقيه الناس فيه أنه كان يعطي مائة دينار لمن يحفظ الجامع الكبير، وخمسين دينار لمن يحفظ الجامع الصغير^(١)، ومن بقية أصحاب الشيخ جمال الدين الحصري، نذكر:

* قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز بن وهيب (٥٩٤هـ - ٦٧٧هـ) الأذري - نسبة إلى أذرعات ناحية بالشام - شيخ الحنفية في زمانه، وعالمهم شرقاً وغرباً، وأحد من انتهت إليه رئاسة المذهب في زمانه، أقام بدمشق مدة يفتي ويدرس، ثم انتقل إلى الديار المصرية يدرس بالصالحية مدة، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالظاهرية، وولي القضاء بعد مجد الدين بن العديم ثلاثة أشهر، ثم كانت وفاته وله ثلاث وثمانون سنة^(٢).

واشتهرت أسر في الشام بتوارث المذهب الحنفي مثل أسرة بني العديم التي قدم بعض أفرادها من البصرة في تجارة إلى الشام واستوطنوا حلب^(٣)، ومنهم:

* أبو القاسم كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم (٥٨٦هـ - ٦٦٠هـ): الذي سمع الحديث ثم حدّث وتفقه وأفتى ودرس وصنّف، وكان إماماً في فنون كثيرة، أقام بدمشق في الدولة الناصرية،

(١) الفوائد البهية ٢٠٥، الجواهر المضية ٤٣١/٣، تاج التراجم ٢٤٥ شذرات الذهب ٢٩٦/٥ - ٢٩٧، النجوم الزاهرة ٣١٣/٦، البداية والنهاية ١٥٢/١٣، الفوائد البهية ص ٢٠٥، وأرّخ وفاته بسنة ٦٣٧هـ، كشف الظنون ٤٤٨/١ - ٤٤٩.

(٢) البداية والنهاية ٢٨١/١٣، شذرات الذهب ١١/٦ - ١٢، النجوم الزاهرة ٢٨٥/٧.

(٣) شجرة هذه العائلة في: معجم الأدباء ٢٠٦٨/٥ - ٢٠٩١.

وتوفي بمصر - وقد قدمنا ترجمته في أعلامها - (١).

وابنه: * محمد بن عمر بن أحمد بن هبة الله (٦٦٥هـ) جمال الدين أبو غانم الحلبي العقيلي، كان عالماً بحراً بارعاً من العاملين بعلمهم (٢).

* وقاضي القضاة مجد الدين عبدالرحمن بن كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم (٦٧٧هـ): الذي كان عارفاً بالمذهب، ولي قضاء الحنفية بدمشق بعد ابن عطاء، وكان رئيساً ابن رئيس الحنفية، له إحسان وكرم أخلاق، وقد ولي الخطابة بجامع القاهرة الكبير، وهو أول حنفي وليه (٣).

وكان المذهب الشافعي هو المذهب المنافس للأحناف بهذه الديار، وقد نما وازدهر خاصة بعد مجيء صلاح الدين إلى الشام ونشر نفوذه فيها، حيث أقرّ المذهب الشافعي مذهباً رسمياً للدولة، دون أن يتعسف على المذاهب السننية الأخرى، وإنما فسح المجال أمام جميعها، وأنشأ المدارس لتعليمها ونشرها جنباً إلى جنب مع المذهب الشافعي.

غير أنّ الانتشار الأكبر والازدهار الأعظم كان بلا شك للمذهب الشافعي، حيث عدّ ابن شدّاد حتى أيامه أربعين مدرسة من مدارس الشافعية بدمشق وحدها، ولو تتبعنا سائر مدن الشام الأخرى لتبيّن لنا مدى الإشعاع الذي كان يحظى به المذهب الشافعي خلال هذا الدور بالشام.

ومن هؤلاء الأعلام الشافعيين الذين ازدحمت بهم الشام في القرن السادس الهجري، نذكر:

* أبو الحسن جمال الدين علي بن المسلم (٥٣٣هـ): الفقيه الفرضي، المدرّس بالمدرسة الغزالية، وأول من درّس بالمدرسة الأمينية -

(١) الفوائد البهية ١٤٧، الجواهر المضية ٦٣٤/٢، تاج التراجم ١٦٦، البداية والنهاية ٢٣٦/١٣، حنين المحاضرة ٢١٤/١، شذرات الذهب ٤٤٠/٥ - ٤٤١ النجوم الزاهرة ٢٠٨/٧.

(٢) الجواهر المضية ٢٧٩/٣، تاج التراجم ٢٢٨.

(٣) البداية والنهاية ١٣ ٢٨٢، شذرات الذهب ١٢/٦، النجوم الزاهرة ٢٨٥/٧.

المنسوبة لأمين الدولة - التي تأسست سنة ٥١٤هـ.

كان عالماً بالمذهب والفرائض، ملازماً للتدريس والإفادة، موقفاً في الفتاوى، وكان مفتي الشام في عصره، لزم الإمام الغزالي مدة مقامه بدمشق، ودرس في حلقاته بالجامع، وكان الغزالي يثني على علمه وفهمه، وصنّف في الفقه والتفسير^(١).

* أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبدالقوي المصيبي اللاذقي (٥٤٢هـ): تفقّه بصور، ثم طاف البلاد في طلب العلم، فرحل إلى بغداد والأنبار وأصبهان، درس بالغزاليّة وأفتى واشتغل بالعلم حتى صار شيخ دمشق وأحد مشائخ الشام في وقته.

كان فقيهاً في الأصول والفروع، توفي وله أربع وتسعون سنة^(٢).

* قاضي القضاة أبو الفضل كمال الدين محمد بن عبدالله بن القاسم الموصلّي (٤٩١ هـ - ٥٧٢ هـ): تفقّه بالموصل من جدّه لأمه، ثم رحل إلى بغداد فتفقّه بعلمائها.

ولي قضاء بلده الموصل وبنى بها مدرسة، ثم وفد على نور الدين فبالغ في تبجيله، وولاه قضاء دمشق سنة ٥٥٥هـ، ثم صار قاضيه ووزيره ومشيره، ولما أخذ صلاح الدين الأيوبي دمشق - بعد أن تمتعت عليه القلعة أياماً - مشى إلى دار القاضي كمال الدين، وقال له: الأمر أمرك والبلد بلدك.

حكم البلاد الشاميّة واستتاب ولده محيي الدين بحلب، وابن أخيه

(١) شذرات الذهب ٢٥٨/٤، طبقات المفسرين ص ٣٠٠ - ٣٠١، هدية العارفين ٦٩٦/١ - ٦٩٧ طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٥/٧ - ٢٣٧.

(٢) شذرات الذهب ٢٩٦/٤ - ٢٩٧، البداية والنهاية ٢٢٣/١٢، طبقات الشافعية الكبرى ٣٢٠/٧ - ٣٢١، تذكرة الحفاظ ١٢٩٤/٤.

أبي القاسم في قضاء حماة، وابن أخيه الآخر في قضاء حمص^(١).

* قاضي القضاة شرف الدين أبو سعد، عبدالله بن محمد بن هبة الله (٤٩٢هـ - ٥٨٥هـ) المعروف بابن أبي عصرون: فقيه الشام، أصله من الموصل، تفقه بالشام، ثم رحل في طلب العلم إلى بلدان كثيرة فذهب إلى بغداد وقرأ بها القراءات وتلقى العلوم، ودخل واسط فتفقه بها، ثم عاد إلى الموصل بعلوم كثيرة، فدرّس بها وأفتى، وأقبل عليه السلطان نور الدين فدخل معه دمشق حين افتتحها، وبنى له المدارس بحلب وحماة وحمص وبعليك فدرّس بها، وبنى هو لنفسه مدرسة بحلب وأخرى بدمشق.

قدم دمشق في أيام صلاح الدين فولاه خطة قاضي القضاة في سنة ٥٧٣هـ، وبقي على خطته تلك ١٢ سنة.

كان شيخ الحنابلة موفق الدين بن قدامة يشهد له بالعلم والإمامة، ويقول: كان ابن أبي عصرون إمام أصحاب الشافعي، وشهد له ابن الصلاح بالتقدم في الفقه والفتوى، فقال في طبقاته: كان ابن أبي عصرون من أفقه أهل عصره، وإليه المنتهى في الفتاوى والأحكام.

صنّف كتباً كثيرة، منها: الانتصار لمذهب الشافعي، وصفوة المذهب في نهاية المطالب، وهو اختصار لكتاب نهاية المطالب في دراية المذهب لإمام الحرمين الجويني، والذريعة في معرفة الشريعة، والمختصر في الفرائض، وغيرها^(٢).

وكانت أسرة جهيل من الأسر التي توارثت الفقه في المذهب الشافعي ببلاد الشام فكان منهم:

(١) شذرات الذهب ٤/٤٢٦ - ٤٢٧، النجوم الزاهرة ٦/٧٩ - ٨٠، البداية والنهاية ١٢/٢٩٦ - ٢٩٧ وانظر في ترجمة ابنه محمد: شذرات الذهب ٤/٤٧٧، و٥/٥٧، البداية والنهاية ١٢/٣٤١، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١١٧ - ١٢١.

(٢) شذرات الذهب ٤/٤٧٢ - ٤٧٣، البداية والنهاية ١٢/٣٣٣ - ٣٣٤، كشف الظنون ١/١٨٨.

* مجد الدين طاهر بن نصر الله بن جهبل الحلبي (٥٣٢هـ - ٥٩٦هـ): مدرّس مدرسة صلاح الدين بالقدس وهو الذي صنّف للسلطان نور الدين كتاباً في فضل الجهاد، وهو والد بني جهبل الفقهاء الدمشقيون^(١).

وكان من ذريته: حفيده محيي الدين بن إسماعيل بن طاهر بن جهبل قاضي طرابلس الشام^(٢) ثمّ كان من بعده مفتي المسلمين، وأحد أعيان الفقهاء، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محيي الدين يحيى بن تاج الدين بن إسماعيل بن طاهر بن جهبل، الذي درّس بالصلاحية بالقدس، ثمّ تحوّل إلى دمشق فباشر بها مشيخة دار الحديث الظاهرية مدة^(٣).

ثمّ وُلِّي مشيخة البادرائية وأقام بالتدريس بها إلى أن مات^(٤).

وتوارثت عائلة ابن الزكي القضاء بدمشق لسنين عديدة، وكان منهم:

* ابن زكي: محيي الدين أبو المعالي محمد بن عليّ بن محمد بن يحيى القرشي (٥٥٠ هـ - ٥٩٨ هـ): قاضي قضاة دمشق، وكذلك أبوه زكيّ الدين أبو الحسن عليّ، وجدّه مجد الدين أبو المعالي منتجب الدين محمد بن يحيى، وجدّ أبيه زكيّ الدين يحيى بن عليّ، الذي كان أوّل من وُلِّي القضاء بدمشق.

اشتغل القاضي محيي الدين على القاضي شرف الدين ابن أبي عصرون، وناب عنه في القضاء، ثمّ تولّى قضاء دمشق، وولّي ولداه زكيّ الدين أبو العباس الطاهر، ومحيي الدين أبو الفضل يحيى فكانوا قضاتها من بعده.

(١) شذرات الذهب ٣٦/٥.

(٢) البداية والنهاية ١٧٤/١٤.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ١٣٢/٧، تذكرة الحفاظ ١٣٥٧/٤ - ١٣٥٨.

(٤) انظر: البداية والنهاية ٦٧/١٤، ١٢٢، ١٢٤، ١٤٣، ١٦٣.

كان فقيهاً إماماً، طويل الباع في البلاغة والخطابة، فصيحاً مفوهاً، وكانت له عند السلطان صلاح الدين المنزلة العالية، وحين فتح صلاح الدين حلب سنة ٥٧٩هـ، أنشده القاضي محيي الدين قصيدة بائية، وحين فتح القدس سنة ٥٨٣هـ، كان القاضي محيي الدين أول من خطب بها، وكانت خطبته من أبلغ الخطب وأشهرها^(١).

ونلقى من أعلام الشافعية بالشام في هذا الدور كذلك:

* أبو حامد عماد الدين محمد بن يونس الإربلي الموصلية (٥٣٥هـ - ٦٠٨هـ): الذي درس في عدة مدارس بالموصل منها النورية والعزمية والزينية والبشمية والعلائية، فاشتهر بين أهل العلم، وكان يتمتع بصيت عظيم وشهرة كبيرة في زمانه، فقصده الطلبة من أنحاء البلاد.

كان رئيس الشافعية بالموصل وإمام وقته في المذهب والأصول وعلم الخلاف، صنف كتاب المحيط، جمع فيه بين المذهب للشيرازي والوسيط للغزالي، غير أنه لم يرزق السعادة في تصانيفه^(٢).

* جمال الدين أبو القاسم عبدالصمد بن محمد (٥٢٠هـ - ٦١٤هـ) المعروف بابن الحرساني: قاضي القضاة، بدأ يطلب العلم وهو ابن خمس سنوات، ورحل إلى حلب وتفقه بها، ثم درس بالعزمية، وأفتى وبرع في المذهب، وكان إماماً عارفاً به، وانتهى إليه علو الإسناد.

ناب في القضاء عن ابن أبي عصرون، ثم طلب للقضاء بالشام في آخر عمره، بعد عزل ابن الزكي، وذلك سنة ٦١٢هـ، فامتنع حتى ألحوا عليه فيها، وألزم ولايتها، فكان محمود الأحكام، حسن السيرة، عادلاً، من أعدل القضاة وأقومهم بالحق.

(١) شذرات الذهب ٥/٥٢، ٤٦٩، البداية والنهاية ١٣/٣٢ - ٣٣، النجوم الزاهرة ٦/١٨١ - ١٨٢، وفيات الأعيان ٤/٢٢٩ - ٢٣٧.

(٢) شذرات الذهب ٥/١١٠، البداية والنهاية ١٣/٦٢، وفيات الأعيان ٤/٢٥٣ - ٢٥٥.

وكان ورعا صالحا متعبدا، ولم تفته صلاة الجماعة بجامع دمشق طول حياته، إلا في مرض^(١).

* فخر الدين أبو منصور عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله (٥٥٠هـ - ٦٢٠هـ): الإمام المفتي، شيخ الشافعية بدمشق، اشتغل من صغره بالعلم على شيخه قطب الدين مسعود بن عروة النيسابوري، فتزوج ابنته ودرّس مكانه، ثم تولى التدريس بالصلاحية بالقدس الشريف - فك الله أسره وحرّر أقصاه - ثم درّس بالتقوية بدمشق، وكان يقيم بالقدس أشهراً، وبدمشق أشهراً.

كان لا يملّ أحد من رؤيته لحسن سمته واقتصاده في لباسه، ولطفه ونور وجهه، وكثرة ذكره لله تعالى وانقطاعه للعلم والعبادة، وكان الناس يفتدون عليه من الأقطار، وعليه تفقه جماعة من أعلام هذا العصر، أريد على القضاء فامتنع وأشار بتولية ابن الحرساني، صتف في الفقه والحديث مصتفات كثيرة^(٢).

* أبو نصر شمس الدين محمد بن هبة الله بن محمد الشيرازي الدمشقي (٥٤٩هـ - ٦٣٥هـ): الذي درّس وأفتى، وناظر، وصار من كبار أهل دمشق في العلم والرواية والرياسة.

ولي قضاء بيت المقدس، ثم وليّ تدريس الشافعية البرانية، ثم وليّ قضاء دمشق في سنة ٦٣١هـ، وكان فقيهاً فاضلاً يصرف أكثر أوقاته في نشر العلم^(٣).

(١) شذرات الذهب ١٤٢/٥ - ١٤٣، النجوم الزاهرة ٢٢٠/٦، البداية والنهاية ٧٧/١٣ - ٧٨.

(٢) شذرات الذهب ١٨٤/٥، البداية والنهاية ١٠١/١٣، النجوم الزاهرة ٢٥٦/٦، وفيات الأعيان ١٣٥/٣، طبقات الشافعية الكبرى ١٧٧/٨ - ١٧٨.

(٣) شذرات الذهب ٢٨٦/٥، البداية والنهاية ١٥١/١٣، طبقات الشافعية الكبرى ١٠٦/٨ - ١٠٧.

وفي أواخر هذا الدور ظهر من أعلام الشافعية بالشام ثلاثة رجال طال باعهم في تحرير المذهب الشافعي، وأدخلوا عليه روحاً جديدة، حيث جنحوا إلى الاجتهاد وترك التقليد، وهم:

* تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن بن موسى الشهرزوري (٥٧٧هـ - ٦٤٣هـ): المشهور بابن الصلاح، شيخ الإسلام، ومفتي الشام ومحدثها، قرأ الفقه أول الأمر على والده المفتي صلاح الدين الكردي، ثم انتقل إلى دمشق وحلب وحران والموصل واشتغل بها مدة، ثم ارتحل إلى أقاصي البلاد، فدخل بغداد وهمذان ومرو ونيسابور وخراسان وأقام بها زمناً، وهناك حصل علم الحديث.

تفقه وبرع في المذهب وأصوله، وفي الحديث وعلومه، فكان من العلم والدين على قدر عظيم، وكان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، وما يتعلّق بعلم الحديث واللغة، وإذا أطلق الشيخ عند علماء الحديث فالمراد به هو.

تولّى التدريس بالمدرسة الصلاحية بالقدس، وأقام بها مدة، فاشتغل الناس عليه وانتفعوا به، ثم انتقل إلى دمشق وتولّى تدريس المدرسة الرواحية - التي أنشأها الزكي بن رواحة الحموي - ولما بنيت دار الحديث بدمشق فوّض تدريسها إليه، كما تولّى تدريس مدرسة ستّ الشام - أو الشامية الصغرى -.

كانت فتاواه مسدّدة، بالغ في الطلب حتى صار يضرب به المثل، وبه تخرّج الأصحاب، ولم يزل أمره جارياً على السداد والصلاح والاجتهاد إلى أن توفي.

صنّف التصانيف الكثيرة، منها: كتاب الفتاوى، وكتاب علوم الحديث المشهور بمقدّمة ابن الصلاح، وشرح مسلم وكتاب أدب المفتي والمستفتي، وله نكت على المهذب، وإشكالات الوسيط وهي تعاليق حسنة على

الوسيط، وغيرها^(١).

* شهاب الدين أبو القاسم عبدالرحمن بن إسماعيل الدمشقي (٥٩٩هـ - ٦٦٥هـ): المعروف بأبي شامة - لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر - العلامة المجتهد، ختم القرآن وله دون عشر سنين، وأتقن فنّ القراءة وله ست عشرة سنة.

سمع الكثير حتى عدّ من الحفاظ، وتفقه على أعلام عصره: الفخر بن عساكر، والعزّ ابن عبدالسلام، وسيف الدين الأمدي، وموفق الدين ابن قدامة، وكتب الكثير من العلوم، وأتقن الفقه، ودرّس وأفتى، وبرع في علوم العربية، فكان شيخ الإقراء، وحافظ العلماء.

ورغم تواضعه وبعده عن التكلف فقد جرت له محنة سنة ٦٦٥هـ حيث دخل عليه داره رجلان في صورة مستفتيين، ثم ضرباه ضرباً مبرحاً إلى أن عيل صبره ولم يغثه أحد، في تاسع رمضان من ذلك العام، ثم عادوا إليه ثانية فقتلوه ليلة تاسع عشر من رمضان.

ويذكر أهل العلم أنّه قد بلغ رتبة الاجتهاد، صنّف المصنّفات العديدة المفيدة، منها: المحقّق من علم الأصول فيما يتعلّق بأفعال الرسول^(٢).

* عزّ الدين أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام (٥٧٧هـ - ٦٦٠هـ): شيخ الإسلام، العلامة، وحيد عصره، سلطان العلماء، تفقه على فخر الدين بن عساكر، وقرأ الأصول على سيف الدين الأمدي.

جمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه واختلاف أقوال

(١) شذرات الذهب ٣٤٣/٥ - ٣٤٤، البداية والنهاية ١٦٨/١٣ - ١٦٩، النجوم الزاهرة ٣٥٤/٦ طبقات المفسرين ص ٢٦٢ - ٢٦٤، كشف الظنون ٧٩٨/٢، وفيات الأعيان ٢٤٣/٣ - ٢٤٥، طبقات الشافعية الكبرى ٣٢٦/٨ - ٣٣٦، تذكرة الحفاظ ١٤٣٠/٤ - ١٤٣٣.

(٢) شذرات الذهب ٤٥٨/٥ - ٤٥٩، البداية والنهاية ٢٥٠/١٣ - ٢٥١، كشف الظنون ٥٠٩/٢ طبقات الشافعية الكبرى ١٦٥/٨ - ١٦٨، غاية النهاية ٣٦٥/١ - ٣٦٦.

الناس وماآخذهم، وبرع في الفقه والأصول والعربية، وفاق الأقران.

بلغ رتبة الاجتهاد، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد، وعنه روى ابن دقيق العيد، وهو الذين لقبه بسُلطان العلماء.

دَرَسَ بعدة مدارس بدمشق، وولّي خطابتها بالجامع الأموي فأزال كثيراً من بدع الخطباء، واجتنب الثناء على الملوك، بل كان يدعو لهم، وأبطل صلاة الرغائب والنصف، فوقع بينه وبين ابن الصلاح بسبب ذلك، ولم يكن يؤذن بين يديه يوم الجمعة إلا مؤذن واحد.

كان علم عصره في العلم جامعا لفنون عديدة، مشهور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلابة في الدين، وله مواقف كثيرة في القيام على السلاطين وردع الظلمة منهم.

نال على المنبر من الملك الصالح إسماعيل لما سلّم قلعة الشقيف وصعد للعدوّ، فأمر السلطان بسجنه، ثم أطلق سراحه، فخرج إلى مصر حيث تلقاه السلطان الصالح أيوب بالكرم، وفوض إليه قضاء مصر دون القاهرة والوجه القبلي، وأسندت إليه خطابة جامع عمرو بن العاص، فأقام بمهامه أتمّ قيام، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، ثم استقال من القضاء، وعزله السلطان من الخطابة، وأقرّه على تدريس الصالحية.

لزم التدريس، وحلقات التفسير، وهو أول من استرسل في ذلك، ولما حضرته الوفاة أوصى بتدريس الصالحية بعده إلى القاضي تاج الدين ابن بنت الأعزّ.

ولما بلغ السلطان خبر وفاته قال: لم يستقرّ ملكي إلا الساعة، لأنّه لو أمر الناس فيّ بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره.

صنّف التصانيف المفيدة، منها: الغاية في اختصار النهاية للإمام الجويني، والقواعد الكبرى والقواعد الصغرى، والإمام في أدلّة الأحكام،

وله الفتاوى الموصلية والفتاوى المصرية^(١).

وأما المذهب الحنبلي فقد أخذ في هذه الفترة ينتقل شيئاً فشيئاً إلى الشام، حيث كثر اتصال الشاميين بعلماء الحنابلة ببغداد وأكثروا من الأخذ عنهم، خاصة وأن المذهب الحنبلي قد ظهر فيه علماء نوابغ في هذا العصر من تلامذة أبي يعلى الفراء، من أمثال: محمد بن الحسن البرداني (٤٩٤هـ) صاحب الاجتهادات والاختيارات في الفقه على مذهب أحمد، وأحمد بن محمد البرداني (٤٩٨هـ) الذي جلس في حلقة أبي يعلى سنين طويلة، وأبو الفتح محمد بن عليّ الحلواني (٥٠٥هـ) صاحب كتاب الكفاية في الفقه، وأبو العباس أحمد بن الحسين المخلطي (٥٠٨هـ) صاحب الكتب المفيدة التي اعتمدها شيخ الإسلام ابن تيمية.

فكان من أبرز أعلام الحنابلة في هذا الدور بالشام:

شرف الإسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن عليّ (٥٣٦هـ):
الشيرازي ثمّ الدمشقي، المعروف بابن الحنبلي، شيخ الحنابلة بالشام ورئيسهم في وقته، وباني المدرسة الحنبليّة بدمشق.

تفقّه وبرع وناظر وأفتى، ودرّس الفقه والتفسير، وكان فقيهاً بارعاً وواعظاً فصيحاً، ذا حرمة وسؤدد ورئاسة، وكان له بجامع دمشق مجلس يعقده للوعظ، وناظر مع الفقهاء ببغداد في المسائل الخلافية.

له تصانيف في الفقه والأصول، منها: المنتخب في الفقه^(٢).

وكان بيت ابن الحنبلي بيت علم وفقه بالشام، وقد خلف عبد الوهاب من بعده ابنه:

(١) شذرات الذهب ٤٣٩/٥ - ٤٤٠، البداية والنهاية ٢٣٥/١٣ - ٢٣٦، كشف الظنون ١٨٣/١ و ٣١٨/٢، طبقات الشافعية الكبرى ٢٠٩/٨ - ٢٥٥.

(٢) شذرات الذهب ٢٧٣/٤، طبقات المفسرين ص ٢٥٣ - ٢٥٤، كشف الظنون ٣٧٩/٤.

أبو العلاء نجم الدين بن عبد الوهاب (٤٩٨هـ - ٥٨٦هـ): شيخ الحنابلة بالشام بعد أبيه، الذي أفتى ودرّس وهو ابن نيف وعشرين سنة، وكان معظماً محترماً.

وكان الشيخ موقّق الدين المقدسي وأخوه أبو عمر عليّ جلالتهما إذا أشكل عليهما شيء سألا الشيخ نجم الدين.

ولمّا مرض مرض الموت، قال لولده وقد رآه يبكي: لا تحزن عليّ، فما تولّيت قضاء، ولا حبست ولا ضربت، ولا دخلت بين الناس، ولا ظلمت أحداً، وإن كانت لي ذنوب فبيني وبين الله عزّ وجلّ، ولي ستون سنة أفتي الناس، والله ما حايت في دين الله تعالى^(١).

وخلف عبد الوهاب أبناء منهم: عبد الرحمن وشهاب الدين، فأما:

* عبد الرحمن بن نجم الدين بن عبد الوهاب (٥٥٤هـ - ٦٣٤هـ): فهو أبو الفرج الناصح، حفيد شرف الإسلام، رحل إلى البلاد، فأقام ببغداد مدّة، وسمع بها وبأصبهان وبالموصل، ودخل بلاد كثيرة، واجتمع بفضلائها وصالحيتها وأخذ عنهم، وقدم مصر مرّتين.

كانت له حرمة عند السلاطين، خصوصاً ملوك الشام بني أيّوب، وحضر فتح بيت المقدس مع صلاح الدين الأيوبي، واجتمع به في المقدس بعد الفتح بستين فسأله عن أشياء كثيرة، درّس بمدارس كثيرة، منها مدرسة جدّه شرف الإسلام، ودرّس بالمسماريّة، ثمّ بنت له الصاحبة ربيعة خاتون مدرسة بالجبل، وهي المدرسة المعروفة بالصاحبيّة، فدرّس بها سنة ٦٢٨هـ.

انتهت إليه رئاسة المذهب بعد الشيخ موقّق الدين، وكان الشيخ الموقّق حين سمع بقدمه إلى دمشق، قال له: سررت بقدمك مخافة أن أموت وأنت غائب، فيقع وهن في المذهب، واختلاف بين أصحابنا.

(١) شذرات الذهب ٤/٤٧٦.

وكان الشيخ الناصح من بيت الحديث والفقه، حدّث هو وأبوه وجده، وجدّ أبيه، وجدّ جده^(١).

وأما:

أبو الفضائل شهاب الدين عبدالكريم بن نجم الدين بن عبدالوهاب (٦١٩هـ): فهو أصغر من عبدالرحمن بتسع سنين، تفقّه وبرع وأفتى وناظر، ودرّس بمدرسة جده بدمشق، وهو أصغر إخوته، ولكنّه كان أبرعهم في الفقه والمناظرة والمحاكمات، بصيراً بما يجري عند القضاة في الدعاوي والبيّنات عارفاً بالمذهب والخلاف^(٢).

وكان بيت ابن عبدالواحد كذلك من بيوت العلم بالشام الذين اشتهروا بتوارث المذهب الحنبلي، فمنهم:

* تقيّ الدين أبو محمد الحافظ عبدالغنيّ بن عبدالواحد بن عليّ بن سرور (٥٤١هـ - ٦٠٠هـ): المقدسي الجماعيلي - وجماعيل قرب نابلس بفلسطين - وهو مقدسي الآباء والأجداد.

أخذ ببغداد عن علمائها ومحدّثيها، ثمّ دخل إلى دمشق فمصر والإسكندرية، وقد تقدّمت ترجمته في أعلام مصر.

* أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالواحد بن عليّ بن سرور (٥٤٣هـ - ٦١٤هـ): العلامة الشيخ العماد، أخو الحافظ عبدالغنيّ، وكان قد ولد بجماعيل، ثمّ هاجر سنة ٥٥١هـ مع أقاربه، وسمع بالموصل ودخل بغداد.

ألقي الدروس وناظر واشتغل، وكان فقيهاً مفتياً، متصدّياً لإقراء القرآن والفقه، عالماً بالنحو والفرائض، وغيرها من العلوم، ورعا تقيّاً متواضعاً سمحاً، موصوفاً بطول الصلاة.

(١) شذرات الذهب ٢٧٤/٥ - ٢٧٦، النجوم الزاهرة ٢٩٨/٦، البداية والنهاية ١٤٦/١٣.

(٢) شذرات الذهب ١٧٦/٥، البداية والنهاية ٩٩/١٣.

صنّف كتاب الفروق في المسائل الفقهيّة، وكان من كثرة اشتغاله بالإقراء والتعليم، لا يتفرّغ للتصنيف والكتابة، وكان يشغل بالجبل إذا كان الشيخ موقّق الدين في المدينة، فإذا صعد الموقّق نزل هو فاشتغل بالمدينة، وكان يشغل بجامع دمشق من الفجر إلى العشاء لا يخرج إلّا لما لا بدّ له منه، فكان يقرئ القرآن والعلم، فإذا لم يبق له من يشتغل عليه اشتغل بالصلاة، وكان يحترز في الفتاوى احترازا كثيراً.

لما أخرجت جنازته إلى جامع دمشق، ما وسع الناس الجامع، وصلى عليه موقّق الدين بحلقة الحنابلة بعد جهد جهيد^(١).

وكان ابنه:

شمس الدين أبو بكر وأبو عبدالله محمد بن العماد إبراهيم بن عبدالواحد (٦٠٣هـ - ٦٧٦هـ) المقدسيّ الدمشقيّ، نزيل مصر، قد تفقّه في علوم شتى حتّى صار شيخ المذهب علماً وصالحاً أدياناً ورئاسة، وهو أوّل من درّس بالمدرسة الصالحيّة للحنابلة، وأوّل من وليّ قضاء قضاء الحنابلة بمصر^(٢).

ثمّ كان من أبناء الحافظ عبدالغنيّ:

* أبو سليمان عبدالرحمن بن أبي محمد عبدالغنيّ (٥٨٣هـ - ٦٤٣هـ): الذي سمع بدمشق، وتفقّه على الشيخ موقّق الدين حتّى برع، وكان يؤمّ معه في الجامع الأمويّ بمحراب الحنابلة، ثمّ دخل مصر وبغداد.

أفتى ودرّس، وكان إماماً عالمياً فاضلاً ورعاً، حسن السمّة، دائم البشر، كريم النفس، مشتغلاً بنفسه وبإلقاء الدروس المفيدة^(٣).

* أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالغنيّ المقدسيّ (٥٩١هـ -

(١) شذرات الذهب ١٤٠/٥ - ١٤٢، النجوم الزاهرة ٢٢٠/٦، البداية والنهاية ٧٧/١٣.

(٢) شذرات الذهب ٧/٦ - ٨، البداية والنهاية ٢٧٧/١٣.

(٣) شذرات الذهب ٣٤١/٥.

(٦٤٣هـ): الذي سمع بدمشق، ثم رحل فسمع بأصبهان وبغداد، وتفقه على الشيخ موقّق الدين - وهو جدّه لأمه - وبرع، حتّى انتهت إليه مشيخة المذهب الحنبلي^(١).

وكان للحافظ عبدالغنيّ عمّان عالمان وهو أسنّ منهما^(٢)، وهما:

موقّق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد (٥٤١هـ - ٦٢٠هـ): المشهور بابن قدامة المقدسي، شيخ الحنابلة، وأحد أئمّة الإسلام.

ولد بجماعيل وهاجر مع أخيه الشيخ أبي عمر - الآتي ترجمته - سنة ٥٥١هـ، وأهلهم من جماعيل إلى دمشق بعد أن استولى الفرنج على الأرض المقدّسة.

حفظ القرآن وتفقه، ثم ارتحل إلى بغداد في مناسبتين، إحداهما سنة ٥٦١هـ، مع قريبه الحافظ عبدالغنيّ، فأقام بها أربع سنوات، والثانية سنة ٥٦٧هـ، وحبّ سنة ٥٧٤هـ ثم رجع مع وفد العراق إلى بغداد وأقام بها سنة، ثم رجع إلى دمشق.

برع وأفتى وناظر وتبحر في فنون كثيرة، فكان إماماً في القرآن، إماماً في التفسير، إماماً في علم الحديث ومشكلاته، إماماً في الفقه وقد غلب عليه الاشتغال به، بل كان أوحد زمانه فيه، إماماً في علم الخلاف، أوحد زمانه في الفرائض، إماماً في أصول الفقه، إماماً في النحو، إماماً في الحساب، ففاق بذلك الأقران، وحاز قصب السبق، وإليه كان المنتهى في معرفة المذهب الحنبلي وأصوله.

وكان ابن الصلاح يقول: ما رأيت مثل الشيخ الموقّق، وكان أبو بكر بن غنيمة المفتي ببغداد يقول: ما أعرف أحداً في زماننا أدرك درجة الاجتهاد إلاّ الشيخ الموقّق، وكان بعض أهل العلم يقولون: ما دخل الشام بعد الإمام الأوزاعي أفقه من الشيخ الموقّق.

(١) شذرات الذهب ٣٣٩/٥.

(٢) إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ٧٦، البداية والنهاية ٥٩/١٣، و ١٠٠.

اشتغل بتصنيف كتاب المغني في شرح الخرقى، فبلغ الأمل في إتمامه، وهو كتاب بليغ في المذهب، أجاد فيه وجمل به المذهب، وقرأه عليه جماعة من أهل العلم، وانتفع بعلمه طائفة كبيرة، وله كذلك في الفقه، الكافي والمقنع ومختصر الهداية والعمدة وفي أصول الفقه روضة الناظر وجنة المناظر، وله فتاوى ومسائل مثورة ورسائل شتى كثيرة.

انتفع بتصانيفه المسلمون عموماً، وأهل المذهب خصوصاً، وانتشرت واشتهرت بحسن قصده وإخلاصه، ولا سيما كتاب المغني، الذي عظم النفع به، حتى قال الشيخ العزّ بن عبدالسلام: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلّي والمغني في جودتهما وتحقيق ما فيهما، وقال: ما طابت نفسي بالفتيا حتى صار عندي نسخة من المغني، مع أنه كان قد أدرك زمان الشيخ^(١).

* أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة بن مقدام (٥٢٨هـ - ٦٠٧هـ):
أخو موقّ الدين، حفظ القرآن وقرأه بحرف أبي عمرو، وحفظ مختصر الخرقى في الفقه، وحفظ الحديث، والفرائض والنحو، وكتب بخطه كثيراً، وكان سريع الكتابة، مع الزهد والعمل وقضاء حوائج الناس.

كان يزور القبور كلّ جمعة بعد العصر، ولا ينام إلا على وضوء، وله أوراد كثيرة، وكان لا يترك غسل الجمعة، ولا يخرج إلى الجمعة إلاّ ومعه شيء يتصدّق به، وكان يؤثر بما عنده، وإذا جاءه شيء إلى بيته فرّقه على الخاص والعام، وكان لا يسمع بجنازة إلاّ حضرها، ولا مريض إلاّ عاده، ولا بجهاد إلاّ خرج فيه، وكان هو وأخوه موقّ الدين، والحافظ عبدالغنيّ وأخوه الشيخ العماد لا ينقطعون عن الجهاد، فكانوا يخرجون مع

(١) شذرات الذهب ١٧٩/٥ - ١٨٣، البداية والنهاية ٩٩/١٣ - ١٠٠، المدخل إلى مذهب

الإمام أحمد ص ٤١٣، و٤٢٥ - ٤٢٦، إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ٧٨ -

٨١، فوات الوفيات ٣٥٠/٢ - ٣٥٢.

السلطان العادل صلاح الدين الأيوبي، وقد حضروا معه فتح القدس والسواحل وغيرها من البلدان^(١).

أما المذهب المالكي فكان أقل المذاهب الأربعة حظًا وأنصارا ببلاد الشام، ولم يعرف نشاطا مذكورا إلا عندما أنشأ السلطان صلاح الدين الأيوبي المدرسة الصلاحية بدمشق، وكان من شيوخها أبو عمرو ابن الحاجب، وحين خرج الشيخ ابن الحاجب من دمشق خلفه:

* الضياء عبدالرحمن الغماري (٦٤٤هـ): الذي ولي وظائف الشيخ ابن الحاجب سنة ٦٣٨هـ، وجلس في حلقة ودرّس مكانه بزواية المالكية^(٢).

وكان خطيب القدس في بداية القرن السابع:

* أبو الحسن المعافري علي بن محمد علي بن جميل المالقي المالكي (٦٠٥هـ): الذي سمع كتاب الأحكام من مصنفه عبدالحق، وسمع بالشام، وكتب وحصل العلم، ونال رئاسة مع الدين والخير^(٣).

وكان أول من باشر قضاء المالكية بدمشق، هو:

* أبو محمد زين الدين عبدالسلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي (٥٨٩هـ - ٦٨١هـ): قاضي قضاة المالكية بدمشق، وشيخ القراء، قرأ القراءات بالإسكندرية، وتلقى العلم على ابن الحاجب، وبدمشق على الإمام السخاوي، برع في الفقه وعلوم القرآن، وولي مشيخة الإقراء بتربة أم الصالح اثنتين وعشرين سنة.

ولي القضاء تسعة أعوام، ثم عزل نفسه سنة ٦٧٣هـ، واستمر على

(١) شذرات الذهب ١٠١/٥ - ١٠٤، البداية والنهاية ٥٨/١٣ - ٦١، النجوم الزاهرة ٢٠١/٦.

(٢) البداية والنهاية ١٧٢/١٣ - ١٧٣.

(٣) شذرات الذهب ٨٦/٥، النجوم الزاهرة ١٩٧/٦.

التدريس والإقراء إلى أن توفي بعد ثمان سنين من اعتزال القضاء^(١).

- ٣ - العراق :

استفحل النزاع بين أصحاب المذاهب الفقهية في العراق منذ أواخر الدور السابق، وقويت شوكة الشافعية بسبب قربهم إلى الخليفة بواسطة رئيسهم أبي حامد الإسفراييني، وعملوا على استبعاد منافسيهم من أعلام المذاهب الفقهية الأخرى حتى لا يكون في بغداد من ينافسهم، وقابلهم الحنابلة بالمثل حفاظاً منهم على وجودهم، إذ كانوا من أكثر المذاهب أتباعاً وأنصاراً في هذا الدور.

أما المالكية فقد أصبحوا بعد موت أبي بكر الأبهري وخروج القاضي عبدالوهاب بن نصر أقلية لا يعار لها اهتمام، ولا يقام لها وزن.

وأما الحنفية فقد أوجدوا لأنفسهم موطن قدم خاصة وأن العراق هي منسقط رأسهم، ومما ساعدهم على تواصل نشاطهم واستمراره، قيام السلطان أبو الفتح جلال الدين والدولة ملكشاه (٤٨٥هـ) السلجوقي، ببناء مدرسة أبي حنيفة عند مشهد الإمام^(٢) كما أنشأ الخليفة أبو جعفر المستنصر بالله (٦٤٠هـ) المدرسة المستنصرية التي رتب فيها الرواتب الحسنة لأهل العلم، وفوض التدريس فيها لأربعة مدرّسين على المذاهب الأربعة، ورتب لبيوتهم فيها ما لم يسبق إلى مثله^(٣) فكان ذلك من العوامل المساعدة على استمرار المذهب الحنفي جنباً إلى جنب خاصة مع المذهبين الشافعي والحنبلي.

وكان من أعظم القائمين بالمذهب الحنفي ببغداد خلال هذا الدور، أسرة الدامغاني، التي توارثت العلم جيلاً بعد جيل، وكان قاضي القضاة أبو عبدالله محمد بن عليّ الدامغاني (٤٧٨هـ) - وقد تقدّمت ترجمته - الذي

(١) البداية والنهاية ٣٠٠/١٣ - ٣٠١، شذرات الذهب ٣٢/٦، غاية النهاية ٣٨٦/١.

(٢) البداية والنهاية ١٤٢/١٢.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٦١.

ينحدر من دامغان الإيرانية، نواة هذه الأسرة العلمية ببغداد، حين قدم إليها سنة ٤١٨هـ، وولي قضاءها سنة ٤٤٧هـ، بعد أن انتهت إليه رئاسة الحنفية.

وظهر من الأعلام من أهل بيته:

قاضي القضاة أبو الحسن علي بن أبي عبد الله الدامغاني (٤٤٦هـ - ٥١٣هـ): الذي ولي القضاء بضعا وعشرين سنة، وكان ذا حزم ورأي وسؤدد، وهيبة وافرة وديانة ظاهرة^(١).

أبو منصور جعفر بن عبد الله بن أبي عبد الله محمد بن علي الدامغاني (٥٦٨هـ)^(٢).

وأبو علي عبد الله بن محمد بن جعفر الدامغاني (٥١٩هـ)^(٣).

وأبو الحسن علي بن أحمد بن أبي عبد الله محمد بن علي الدامغاني (٥١٣هـ - ٥٨٣هـ): الذي ولي القضاء في مناسبتين، وكانت ولايته الثانية من سنة ٥٧٠هـ إلى أن توفي^(٤).

أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن أحمد بن علي بن أبي عبد الله الدامغاني (٦١٥هـ): العلامة عماد الدين، الذي ولي القضاء ببغداد مرتين نحو من أربع عشرة سنة، وكان مشكور السيرة، عارفاً بالحساب والفرائض وقسمة التركات^(٥).

وكان المذهب الشافعي أكثر نشاطا بهذه البلاد، إذ كان معظم نوايغ الشافعية الذين تميزوا في هذا الدور بالتصنيف والقيام على المذهب، كان معظمهم من أهل العراق وخراسان وما وراء النهر.

(١) شذرات الذهب ١٧٩/٤، البداية والنهاية ١٨٥/١٢.

(٢) شذرات ٤٠٩/٤.

(٣) البداية ١٩٤/١٢.

(٤) شذرات ٤٦٣/٤، البداية ٣٢٩/١٢.

(٥) شذرات ١٤٧/٥، البداية ٨٢/١٣.

وكان أشهر أعلام الشافعية بالعراق في بداية هذا الدور:

أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزابادي الشيرازي (٣٩٣هـ - ٤٧٦هـ): الذي دخل بغداد سنة ٤١٥هـ فاستوطنها ولزم القاضي أبا الطيب إلى أن صار معيده^(١) في حلقة.

كان أنظر أهل زمانه، إماماً في الفقه والأصول والحديث، وفي فنون كثيرة، وإليه انتهت رئاسة المذهب الشافعي العراق، بل وفي العالم الإسلامي كله.

بنى له الوزير السلجوقي نظام الملك المدرسة النظامية سنة ٤٥٧هـ - وكانت أول مدرسة تعليمية بالمعنى المتعارف عليه اليوم للمدرسة في تاريخ الإسلام - فرحل إليه الفقهاء من الأقطار، وتخرج به أئمة كبار، ودرّس بها إلى حين وفاته، وكانت الطلبة ترحل من المشرق والمغرب إليه، والفتاوى تحمل من البرّ والبحر فتوضع بين يديه، حتى إنه حين خرج في رسالة الخليفة المقتدر إلى خراسان لم يدخل بلداً ولا قرية إلا وجد قاضياً أو خطيباً أو مفتياً من تلامذته، وتراكب الناس عليه في بلاد العجم حتى تمسحوا بأطراف ثيابه وتراب نعليه.

لم يحجّ ولا وجب عليه لأنه كان فقيراً متعقفاً، لا يملك شيئاً من متاع الدنيا، وقد بلغ به الفقر حتى كان لا يجد في بعض الأوقات قوت يومه، ومع هذا، فقد كان طلق الوجه، دائم البشر، كثير البسط، حسن المجالسة.

صنّف مؤلفات كثيرة شهيرة نافعة، منها: التنبيه في فروع الشافعية الذي بدأ في تصنيفه سنة ٤٥٢هـ، والمهذب في الفقه، والنكت في علم

(١) المعيد: هو المكلف بإعادة إلقاء الدرس على الطلبة بعد أن يكون الشيخ المدرّس قد

ألقاه عليهم، حتى يتمكن الطالب من استيعابه وفهم مسأله.

الجدل، واللمع والتبصرة في أصول الفقه، وغير ذلك^(١).

ومن المعلوم أن أبا إسحاق الشيرازي قد أمضى ما يقرب من نصف قرن من حياته في الدور السابق، في حين لم يمض إلا نصف هذه الفترة في هذا الدور، ورغم ذلك فقد أدرجناه في أعلام هذا الدور لأنّ عطاءه العلمي وإنتاجه الكتابي إنما تكثف مع بداية هذا الدور، وخاصة بعد أن تولّى التدريس بالمدرسة النظامية سنة ٤٥٧هـ.

وكان من نظرائه وأقرانه:

* أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد (٤٠٠هـ - ٤٧٧هـ):
المعروف بابن الصبّاغ، أحد أئمّة الشافعية وكان يضاوي الشيخ أبي إسحاق.
تفقه ببغداد على أبي الطيّب الطبري، حتّى فاق الشافعية بالعراق، وكانت الرحلة إليه، ومن الشافعية من يقدّمه على أبي إسحاق في نقل المذهب.

كان فقيهاً أصولياً محققاً، ولّى التدريس بالنظامية بعد أبي إسحاق، وكان من أكابر أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي، حتّى قيل إنّه قد كملت له شرائط الاجتهاد المطلق.

من تصانيفه: الشامل، وهو من أجود كتب الشافعية وأصحّها نقلاً، وأتقنها أدلّة، والكمال في الخلاف بين الشافعية والحنفية، والطريق السالم، والعمدة في أصول الفقه، وغيرها^(٢).

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٢١٥/٤ - ٢٢٩، شذرات الذهب ٤٥/٤ - ٤٧، النجوم الزاهرة ١١٧/٥ - ١١٨، هدية العارفين ٨/١، البداية والنهاية ١٢٤/١٢ - ١٢٥، كشف الظنون ٢٩٥/١، و٣٩٥، و٤٦٩/٢، و٧٢٨، و٧٧٥، وفيات الأعيان ٢٩/١ - ٣١.

(٢) شذرات الذهب ٥١/٤ - ٥٢، البداية والنهاية ١٢٦/١٢ - ١٢٧، النجوم الزاهرة ١٩٩/٥، هدية العارفين ٥٧٣/١، كشف الظنون ٦١/٢، و١٢٩، و٣٣٥، طبقات الشافعية الكبرى ١٢٢/٥ - ١٣٤، وفيات الأعيان ٢١٧/٣ - ٢١٨.

ومن تلاميذ أبي إسحاق الشيرازي وابن الصبّاغ:

أبو بكر الشاشي فخر الإسلام محمد بن أحمد بن الحسين (٤٢٩هـ - ٥٠٧هـ): شيخ الشافعية، وأحد أئمتهم في زمانه، لزم ببغداد الشيخ أبا إسحاق وابن الصبّاغ، وكان في حدّاته يلقب بين الطلبة بالجنيد لشدة ورعه.

انتهت إليه رئاسة الشافعية ببغداد بعد انقراض مشائخه، فكان ينشد:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن العناء تفرّدي بالسؤدد
وذكر هذا البيت في بعض دروسه، ثمّ وضع المنديل على عينيه
وبكى بكاء شديداً.

صنّف وأفتى وولّي تدريس النظامية، ومن تصانيفه: حلية العلماء
بمعرفة مذاهب الفقهاء، وفيه ذكر خلافاً كثيراً للعلماء، حيث ذكر في كلّ
مسألة الاختلاف الواقع بين الأئمة، ويسمّى هذا الكتاب كذلك
بالمستظهري، لأنّ صاحبه قد صنّفه للخليفة المستظهر بالله، وصنّف أيضاً
المعتمد وهو كالشرح لحلية العلماء، وله الشافي، والعمدة في الفروع،
صنّفه لعمدة الدين المسترشد ابن المستظهر^(١).

وعلى أبي بكر الشاشي تفقّه:

أبو الحسن محمد بن المبارك بن محمد المعروف بابن الخلّ
(٥٥٢هـ): وكنيته أبو البقاء، كان قد تفقّه على أبي بكر الشاشي، وبرع في
العلم، حتّى تفرّد بالفتوى ببغداد.

صنّف كتاباً سمّاه توجيه التنبيه شرح به كتاب التنبيه لأبي إسحاق

(١) شذرات الذهب ١٥١/٤، البداية والنهاية ١٧٧/١٢ - ١٧٨، النجوم الزاهرة ٢٠٦/٥،
كشف الظنون ٥٣١/١، ١٧٣/٢، و٥٩٤، وفيات الأعيان ٢١٩/٤ - ٢٢١، الوافي
بالوفيات ٧٣/٢، تذكرة الحفاظ ١٢٤١/٤، طبقات الشافعية الكبرى ٧٠/٦ - ٧٨.

الشيرازي، وعُلِّل مسأله بعبارة مختصرة، وهو أول شرح للتنبيه^(١).

وأبو الفضل عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالقاهر الطوسي ثم البغدادي (٤٨٧هـ - ٥٧٨هـ): الذي برع في الفقه والأصول، وكان قد تفقّه على إلكيا الهراسي وأبي بكر الشاشي، وتفرد في الدنيا وقصده الرحالون^(٢)، وكان خاتمة فقهاءهم في القرن السادس:

المجبر أبو القاسم محمود بن المبارك الواسطي ثم البغدادي (٥١٧هـ - ٥٩٢هـ): أحد الأذكياء والمناظرين الذي صار المشار إليه في زمانه، والمقدّم على أقرانه، وما رثي في زمانه أجمع لفنون العلم منه.

كان ذكياً غوّاصاً على المعاني، درّس بالمدرسة النظامية، وكان أينما حلّ بنيت له مدرسة، فحين دخل دمشق بنيت له مدرسة جاروخ، ولما توجه إلى شيراز بنى له ملكها مدرسة^(٣).

وممن كان له الحظّ الأوفر في التدريس بالمدرستين النظامية والمستنصرية:

أبو عبدالله محمد بن يحيى بن علي بن الفضل، محيي الدين بن فضلان (٦٣١هـ): الذي برع في الفقه والأصول والخلاف والنظر، وولي القضاء في آخر عهد الناصر.

ولي تدريس النظامية ببغداد، ثم ولي قضاء القضاة، ودرّس بالمستنصرية عند كمال عمارتها في رجب سنة ٦٣١هـ، وهو أول من درّس بها، ثم توفي بعد أشهر عن بضع وستين سنة^(٤).

وأما الحنابلة فقد كانوا من أكثر المذاهب انتشاراً، وقد برز منهم في

(١) شذرات الذهب ٣٣٨/٤ - ٣٣٩، كشف الظنون ٣٩٥/١، وفيات الأعيان ٢٢٧/٤.

(٢) شذرات الذهب ٤٤٧/٤، النجوم الزاهرة ٩٤/٦، طبقات الشافعية الكبرى ١١٩/٧ - ١٢٠، تذكرة الحفاظ ١٣٤١/٤، طبقات الشافعية الكبرى ١١٩/٧ - ١٢٠.

(٣) شذرات الذهب ١٨/٥، النجوم الزاهرة ١٣٦/٦، البداية والنهاية ١٢/١٣.

(٤) شذرات الذهب ٢٥٣/٥، طبقات الشافعية الكبرى ١٠٧/٨ - ١٠٨.

بداية هذا الدور بالعراق نخبة من تلاميذ القاضي أبي يعلى الفراء، كان أشهرهم بلا منازع، علما هما:

* أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني (٤٣٢هـ - ٥١٠هـ): شيخ الحنابلة وأحد المجتهدين في المذهب، وصاحب التصانيف في الأصول والفروع.

كان إماماً علامة، غزير العلم، وافر العقل، حسن المحاضرة، جيد النظم، وكان يفتي وينظر في مذهبه وعليه تفقه جماعة من أئمة المذهب. من تصانيفه: الهداية في الفقه، والتمهيد في أصول الفقه، والانتصار ويعرف بالخلاف الكبير، ورؤوس المسائل ويعرف بالخلاف الصغير^(١).

* وأبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل (٤٣١هـ - ٥١٣هـ): شيخ الحنابلة، وصاحب التصانيف كان إماماً مبرزاً، كثير العلوم، خارق الذكاء، مكباً على الاشتغال والتصنيف، عديم النظر في عصره وما كان أحد يستطيع أن يتكلم معه لغزارة علمه، وقوة حجته.

اجتمع له من الشيوخ العدد الوافر من الرجال والنساء في علوم الحديث والأصول والفرائض والقراءات والتصوّف والوعظ وفي الشعر والترسل، وقرأ الفقه على القاضي أبي يعلى سنة ٤٤٧هـ، وحظي من قربه بما لم يحظ به أحد من أصحابه رغم حداثة سنّه.

كان دائم الاشتغال بالعلم، بارعاً في الفقه وأصوله، له في ذلك استنباطات عظيمة حسنة، وتحريرات كثيرة مستحسنة، أفتى ودرّس وناظر الفحول من أهل وقته، ولقد تكلم يوماً مع الشيخ أبي الحسن إلكيا الهراسي في مسألة، فقال له الشيخ: ليس هذا مذهبك، فقال له ابن عقيل: أنا لي اجتهاد، متى طالبني خصمي بحجّة، كان عندي ما أدفع عن نفسي، وأقول له بحجّتي.

(١) شذرات الذهب ٤/١٦٤ - ١٦٥، البداية والنهاية ١٢/١٨٠، النجوم الزاهرة ٥/١٢١،

المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤١٩، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٦١.

وكان يجتمع بجميع العلماء من كلّ مذهب، فربّما لآمه بعض أصحابه، فلا يبالي، ولذلك برز على أقرانه وساد أهل زمانه، وكان أوجد المجتهدين في عصره.

من تصانيفه: كتاب الفصول في الفقه ويسمى كفاية المفتي، وله التذكرة ورؤوس المسائل، وغير ذلك في الفقه^(١).

وعلى الفقيهين أبي الخطاب الكلوذاني وابن عقيل تخرّج جمع غفير. فأما تلاميذ الكلوذاني فأشهرهم:

* أبو بكر أحمد بن أبي الفتح محمد بن أحمد الدينوري (٥٣٢هـ) : أحد أئمّة الحنابلة ببغداد، تفقّه على أبي الخطاب الكلوذاني، وبرع في الفقه، وتقدّم في المناظرة على أقرانه، حتى قال أسعد الميهني - أحد شيوخ الشافعية - ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد إلاّ ثلمه.

تخرّج به أئمّة كبار، وصنّف تصانيف في المذهب، منها: كتاب التحقيق في مسائل التعليق^(٢).

* أبو محمد عبدالرحمن بن أبي الفتح محمد بن علي الحلواني (٤٩٠هـ - ٥٤٦هـ) : الذي تفقّه على أبيه وعلى أبي الخطاب الكلوذاني، وبرع في الفقه والأصول، وصنّف التصانيف فيهما، منها: كتاب التبصرة في الفقه وكتاب الهداية في أصول الفقه، وله تعليقة في مسائل الخلاف كبيرة.

كان فقيها، مناظرا، من شيوخ الحنابلة، يفتي وينتفع به جماعة أهل محلّته، وكان موصوفا بالخير والصلاح والفضل^(٣).

(١) شذرات الذهب ١٧٤/٤ - ١٧٧، طبقات الحنابلة ٣٤٦/٢، البداية والنهاية ١٨٤/١٢، غاية النهاية ٥٦٦/١، النجوم الزاهرة ٢١٩/٥، هدية العارفين ٦٩٥/١، المدخل إلى مذهب أحمد ص ٤١٦.

(٢) شذرات الذهب ٢٥٣/٤ - ٢٥٤، البداية والنهاية ٢١٣/١٢.

(٣) شذرات الذهب ٣١٢/٤، طبقات المفسرين ص ١٩٥.

* أحمد بن معالي - ويسمى عبدالله أيضاً - بن بركة الحربي (٥٥٤هـ): تفقه على أبي الخطاب الكلوذاني، وكان فقيهاً مناظراً عارفاً، له فهم حسن وبراعة وفطنة في المناظرة^(١).

* أبو الحسن سعد الله بن نصر بن سعيد، ويلقب مهذب الدين (٤٨٢هـ - ٥٦٤هـ): المعروف بابن الدجاجي، وبابن الحيواني، تفقه على أبي الخطاب الكلوذاني وقرأ عليه بالروايات، ودرّس وناظر، وكان ملازماً لمطالعة العلم إلى أن مات^(٢).

وأما تلاميذ ابن عقيل، فأشهرهم:

* أبو بكر عبدالله بن عبد الباقي بن التبان (٥٤٥هـ): ويسمى محمد وأحمد أيضاً، تفقه على ابن عقيل وناظر وأفتى ودرّس، وكان مذهبيّاً جيّداً، وخلافياً مناظراً، ومن أهل القرآن، بقي على حفظه لعلومه إلى أن مات^(٣).

* صدقة بن الحسين بن بختيار بن الحداد (٥٧٣هـ) تفقه على ابن عقيل وعلى أبي الحسن ابن الزعفراني (٥٢٧هـ) وبرع في الفقه وفروعه وأصوله والحساب ومتعلقاته من الفرائض، وبرع في الفلسفة والمنطق والكلام.

كان شيخاً عالمياً فاضلاً، أفتى، وتردّد إليه الطلبة في فنون العلم، وصنّف مصتفات حسنة^(٤).

ومن أسرة أبي يعلى العالمية بالعراق، تلقى في هذا الدور:

القاضي أبو الحسين بن الفراء محمد بن القاضي أبي يعلى (٤٥١هـ

(١) شذرات الذهب ٣٤٥/٤ - ٣٤٦.

(٢) شذرات الذهب ٣٩٢/٤ - ٣٩٣، البداية والنهاية ٢٥٨/١٢ - ٢٥٩.

(٣) شذرات الذهب ٣٠٥/٤ - ٣٠٦.

(٤) شذرات الذهب ٤٢٨/٤ - ٤٢٩، البداية والنهاية ٢٩٨/١٢ - ٢٩٩.

- ٥٢٦هـ): ابن القاضي أبي يعلى، كان مفتياً مناظراً، عارفاً بالمذهب ودقائقه، أفتى وناظر ودرّس، له تآليف كثيرة في الفروع والأصول كالمجموع، ورؤوس المسائل، والمفردات، والمفتاح في الفقه، والمفردات في أصول الفقه^(١).

وأبو خازم محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد (٤٥٧هـ - ٥٢٧هـ): ابن القاضي أبي يعلى، وأخو القاضي أبي الحسين، ولد قبل موت والده بسنة.

برع في معرفة المذهب والخلاف والأصول، وكان من الفقهاء الزاهدين والأخيار الصالحين.

صنّف تصانيف مفيدة منها: التبصرة في الخلاف، ورؤوس المسائل، وشرح مختصر الخرقى^(٢).

القاضي أبو يعلى الصغير محمد بن أبي خازم (٤٩٤هـ - ٥٦٠هـ): شيخ المذهب، تفقّه على أبيه وعمّه أبي الحسين، درّس وناظر في شبابه، وكان مناظراً فصيحاً مفوّهاً، ذا ذكاء مفرط وذهن ثاقب.

ظهر علمه في الآفاق وتفقّه عليه في المذهب جماعة كثيرة من أهل العلم والفضل، ورأى من تلاميذه من ناظر ودرّس وأفتى في حياته.

صنّف مصنّفات كثيرة، منها: المفردات والتعليقة في مسائل الخلاف، وشرح المهذب وكتاب النكت والإشارات^(٣).

ونلتقي في النصف الثاني من القرن السادس بثلاثة من أعلام الحنابلة، كان لهم السؤدد بالعراق دهرا، وحازوا فيها رئاسة الفقه عمرا، وهم:

أبو الفتح بن المنى ناصح الإسلام نصر بن فتيان بن مطر (٥٠١هـ -

(١) شذرات الذهب ٢٢٩/٤، البداية والنهاية ٢٠٤/١٢.

(٢) شذرات الذهب ٢٣٣/٤ - ٢٣٤، غاية النهاية ١٣١/٢، النجوم الزاهرة ٢٥١/٥.

(٣) شذرات الذهب ٣٦٩/٤.

٥٨٣هـ): فقيه العراق وشيخ الحنابلة على الإطلاق، تتلمذ على أبي الحسن الزعفراني، وعلى أبي بكر الدينوري.

سرف همته طول حياته إلى الفقه أصولاً وفروعاً، ومذهباً وخلافاً، ومناظرة، وتصدر للدرس والاشتغال والإفادة، وكان مسجده بالفقهاء والقراء معموراً، وكلّ فقيه عنده من فضله وأفضاله معموراً.

طال عمره وبعد صيته وقصده الطلبة من البلاد، وشدت إليه الرحال في طلب الفقه، وتخرج به أئمة كبار، وكان فقهاء الحنابلة من بعده في سائر البلاد يرجعون إليه وإلى أصحابه، لأنّ فقهاء الحنابلة كانوا يعولون في الفقه من جهة الشيوخ والكتب على الشيخين: موفق الدين المقدسي، ومجد الدين بن تيمية الحراني، فأما الشيخ موفق الدين فهو تلميذ ابن المنى، وعنه أخذ الفقه، وأما ابن تيمية، فهو تلميذ تلميذه أبي بكر بن الحلّوي^(١).

* أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (٥١٠هـ - ٥٩٧هـ): بغدادى المولد والوفاة، أحد أفراد العلماء، سمع العلم من سبعة وثمانين شيخاً حتى فاق الأقران وحصل له من القبول والاحترام ما لا مزيد عليه، ووعظ وهو ابن عشرين سنة أو دونها، وكان يحضر مجلسه أكثر من مائة ألف، فربّما كان أكثرهم لا يسمعون مقالته.

نظر في جميع العلوم وألّف فيها، وكان له في كلّ علم مشاركة، فكان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسّعين، ولديه فقه كاف يدرّسه ويصنّف فيه.

سئل عن عدد تصانيفه، فقال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصتفاً، وتصانيفه شهيرة في أنواع العلوم منها: التحقيق في مسائل الخلاف، والانتصار في مسائل الخلف، والدلائل في مشهور المسائل، والمنفعة في

(١) شذرات الذهب ٤/٤٦٤ - ٤٦٥، النجوم الزاهرة ٦/١٠٦، البداية والنهاية ١٢/٣٢٩.

المذاهب الأربعة^(١).

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الصقال (٥٢٥هـ - ٥٩٩هـ): مفتي العراق، الملقب بموفق الدين، تتلمذ على القاضي أبي يعلى الصغير، وعلى أبي الفتح بن المنى وغيرهما، حتى برع في الفقه مذهباً وخلاقاً وجدلاً، وأتقن علم الفرائض والحساب.

أفتى ودرّس وناظر، وكان من أعيان المفتين المعتمد على أقوالهم في المحافل والمجالس^(٢).

وفي آخر هذا الدور نلتقي بفقيهين حنبلين ملاّ العراق علماً وحازا بها رئاسة، هما:

قاضي القضاة نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر الكيلاني، عماد الدين أبو صالح الجبلي (٦٣٣هـ) ثمّ البغدادي: الذي درّس وأفتى وناظر وبرع في المذهب، وكان محباً للعلم، مكرماً لأهله، ولآه الخليفة الظاهر ابن الناصر قضاء القضاة بجميع مملكته، فكان أوّل من دعي بقاضي القضاة من الحنابلة، وردّ إليه النظر في جميع الأوقاف، فكان يولّي ويعزل من يشاء في جميع المدارس حتّى النظاميّة، ثمّ أقرّه الخليفة المستنصر ابن الظاهر فترة مديدة، فكان متحرّياً في قضاة، قويّ النفس في الحقّ، عديم المحاباة والتكلف، متخلّقاً بسيرة السلف.

صنّف في الفقه كتاباً سمّاه «إرشاد المبتدئين» وعليه تفقّه جماعة من الحنابلة وانتفعوا به^(٣).

(١) شذرات الذهب ٤٣/٥ - ٤٥، البداية والنهاية ٢٨/١٣ - ٣٠، غاية النهاية ٣٧٥/١، طبقات المفسّرين ص ١٩١ - ١٩٥، النجوم الزاهرة ١٧٤/٦، وفيات الأعيان ١٤٠/٣ - ١٤٢، تذكرة الحفاظ ١٣٤٢/٤ - ١٣٤٨.

(٢) شذرات الذهب ٥٤/٥ - ٥٥.

(٣) شذرات الذهب ٢٦٩/٥ - ٢٧٠.

* أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي السعادات الدباس (٦٤٨هـ):
أحد أعيان فقهاء بغداد وفضلانهم تفقه على إسماعيل بن الحسين صاحب
أبي الفتح بن المنى، وقرأ علم الخلاف والجدل والأصول، وبيع في
ذلك، وتقدم على أقرانه.

كان محباً للعلم ونشره، صابراً على تعليمه والاشتغال به، إلى أن
توفي وقد ناهز الثمانين^(١).

وهكذا ظلّ المذهب الحنبلي في العراق سائداً ظاهراً طوال هذا
الدور، كالشمس إذا ظهرت خفيت الكواكب لظهورها.

وأما المذهب المالكي فقد ضعف شأنه بهذه الأنحاء، حتى انقرض
أتباعه، ولم يعد له ظهور ولا ذكر إلا من حين لآخر حين يظهر فقيهاً
مالكياً كبيراً.

وقد ذكر الشيخ مخلوف أنّ الطبقة التاسعة - التي هي طبقة أقران
عبدالوهاب بن نصر - كانت آخر طبقات المالكية بالعراق، إذ أصبحت
الطبقة العاشرة لا تعدّ إلا فقيهاً واحداً، هو:

أبو يعلى أحمد بن محمد العبدى (٤٨٩هـ) إمام المالكية بالبصرة
وصاحب تدريسهم ومدار فتواهم، ذو التأليف مذهباً وخلاقاً^(٢).

وبه انتهى فرع فقهاء المالكية بالعراق، ولم يسجل لهم عودة إلا في
الطبقة الخامسة عشرة، أي بعد أكثر من قرنين من زمن انقطاعه^(٣).

أما عن مذاهب الشيعة فقد كان:

* أبو الحسن محمد بن الحسن أبو عليّ بن أبي جعفر الطوسي
(٥٤٠هـ): شيخ الرافضة وعالمهم وابن شيخهم وعالمهم، قد رحلت إليه

(١) شذرات الذهب ٣٦٨/٥.

(٢) شجرة النور الزكية ص ١١٦.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٣.

طوائف الشيعة من كل جانب إلى العراق وحملوا إليه، وكان عالماً كثير الزهد، حتى أن الإمام السمعاني أثنى عليه^(١).

ومن بعده:

* محمد بن حيدرة بن أبي البركات عمر بن إبراهيم بن محمد أبو المعمر (٥٩٣هـ) الحسيني الزيدي الكوفي: الذي سمع من جده، وكان آخر من حدّث عن أبي النرسي^(٢).

- ٤ - بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر:

أصبح المذهب الشافعي هو المذهب السائد في هذه الأصقاع خاصّة بعد أن انتقل الأمير الغزنوي محمود بن سبكتكين من مذهب أبي حنيفة إلى مذهب الإمام الشافعي، وأنفق الأموال الطائلة في تأسيس المدارس وتفقيه الناس في مذهب الشافعي، فبرز أعلام كثيرون كانت مجالسهم محطّ رحال العلماء، ومقصد الأئمة والفقهاء في سائر أنحاء هذه البلاد.

فكان منهم بطبرستان - مقاطعة إيرانية على بحر قزوين تعرف بـمازندران - :

* أبو المحاسن عبدالواحد بن إسماعيل الروياني (٤١٥هـ - ٥٠٢هـ): فخر الإسلام، شيخ الشافعية وشافعي الوقت، رحل إلى الآفاق حتى بلغ ما وراء النهر، وبرع في المذهب حتى كان يقول: لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي، ولهذا كان يقال له: شافعي زمانه.

ولي قضاء طبرستان، وبنى مدرسة بأمل - مدينة إيرانية في سهل مازندران - وبجامع أمل هجم عليه الباطنية فقتلوه، فكان استشهاده عند

(١) شذرات الذهب ٢٤/٥، النجوم الزاهرة ١٤٣/٦.

(٢) شذرات الذهب ٢٩٠/٤.

ارتفاع النهار بعد فراغه من الإملاء من تصانيفه: كتاب البحر وهو كتاب حافل كامل شامل، وفي المثل: حدّث عن البحر ولا حرج، وله الكافي والحلية وفيه اختيارات كثيرة، وكثير منها يوافق مذهب مالك^(١).

وظهر بأصبهان:

* عبداللطيف بن صدر الدين أبي بكر محمد الخجندي (٥٨٠هـ):
رئيس أصبهان في العلم، كان فقيهاً فاضلاً، درّس وأفتى، توفي وهو ابن ثمان وأربعين سنة (١٥٢).

وخلفه ولده: * أبو بكر محمد (٥٩٢هـ) الذي انتهت إليه رئاسة الشافعية بأصبهان بعد موت أبيه، وكان فقيهاً بارعاً، ورئيساً كبيراً، عريقاً في الفضل ورئاسة العلم^(٢).

وبطالقان - مدينة في الديلم قرب قزوين - كان:

* أبو الخير رضي الدين أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني (٥١٢هـ - ٥٩٠هـ): أحد الأعلام، ورئيس أصحاب الشافعي، كان إماماً في المذهب والخلاف والأصول والتفسير والوعظ، وله يد باسطة في النظر والاطلاع على العلوم، ومعرفة الحديث.

درّس ببلده، ثم دخل بغداد في حدود سنة ٥٦٠هـ ودرّس بها، ثم رجع إليها في حدود سنة ٥٧٠هـ، ودرّس بالمدرسة النظامية، وفي سنة ٥٨٠هـ رجع إلى قزوين واستقرّ بها إلى أن مات.

كان كثير العبادة، دائم الذكر، دائم الصوم، له كلّ يوم ختمة.

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣٤٩/٤ - ٣٥٦، شذرات الذهب ١٣٥/٤، البداية والنهاية ١٧٠/١٢ - ١٧١، النجوم الزاهرة ١٩٧/٥، هدية العارفين ٦٣٤/١، وفيات الأعيان ١٩٨/٣ - ١٩٩.

(٢) شذرات الذهب ٣٣٧/٤.

صنّف مصنّفات كثيرة في التفسير والحديث والفقه مطوّلاً ومختصراً،
وانتفع بعلمه أهل العلم^(١).

وبمدينة الرّي:

* عماد الدين محمد بن أبي سعد عبدالكريم، ابن الوزان الرازي
(٥٩٨هـ): شيخ الشافعية بالرّي وصاحب شرح الوجيز، كان عالماً محققاً
مدققاً^(٢).

وبقزوين - مدينة إيراينة جنوبي بحر قزوين -:

* أبو الفضل ركن الدين عزيز بن محمد بن العراقي القزويني
(٦٠٠هـ): كان إماماً مناظراً، قيماً في علم الخلاف، ماهراً فيه، اشتغل فيه
على الشيخ رضي الدين النيسابوري الحنفي حتّى برز فيه، وصنّف تعاليق
ثلاث، الأولى مختصرة، والثانية والثالثة مبسّطة.

اشتهر صيته في البلاد، واجتمع عليه الطلبة بمدينة همذان، وقصدوه
من البلاد البعيدة، وعلّقوا تعاليقه، وبنى له الحاجب جمال الدين بهمذان
مدرسة تعرف بالحاجية^(٣).

* أبو القاسم عبدالكريم بن محمد بن الفضل القزويني الرافعي
(٦٢٣هـ): مجتهد زمانه في المذهب الشافعي، الذي إليه انتهت معرفة
المذهب ودقائقه، وفريد وقته في التفسير.

برز في الفقه على كثير ممّن تقدّمه، وحاز قصب السبق، وكان أوحد
عصره في علوم الدين، أصولاً وفروعاً، وإليه كان يرجع عامّة فقهاء
الشافعية في غالب الأقاليم والأمصار في عصره، وكان مع براعته في
العلم، صالحاً زاهداً ذا أحوال وكرامات ونسك وتواضع.

(١) شذرات الذهب ٧/٥ - ٨، طبقات المفسرين ص ٢٨ - ٢٩، البداية والنهاية ٩/١٣،
النجوم الزاهرة ١٣٤/٦، غاية النهاية ٣٩/١، طبقات الشافعية الكبرى ٧/٦ - ١٣.

(٢) شذرات الذهب ٥١/٥ - ٥٢.

(٣) شذرات الذهب ٦٣/٥ - ٦٤، وفيات الأعيان ٢٥٨/٣ - ٢٥٩.

صنّف الشرح المشهور الكبير على كتاب الوجيز للغزالي، وسمّاه العزيز في شرح الوجيز، وعنه يقول النووي بعد وصفه: واعلم أنّه لم يصنّف في مذهب الشافعي ما يحصل لك مجموع ما ذكرته أكمل من كتاب الرافعي ذي التحقيقات، بل اعتقادي واعتقاد كلّ مصنّف أنّه لم يوجد مثله في الكتب السابقة ولا المتأخّرات فيما ذكرته من المقاصد المهمّات، ثمّ صنّف أوجز منه، وهو الشرح الصغير^(١).

واشتهر منهم بخراسان وبنيسابور:

* أبو المعالي عبدالملك بن أبي محمد عبدالله بن يوسف الجويني (٤١٩هـ - ٤٧٨هـ): المعروف بإمام الحرمين لمجاورته بمكة أربع سنين، تفقّه على والده في صباه واشتغل به مدّته، فلما توفّي والده وكان هو دون العشرين سنة، تردّد على المشايخ في أنواع العلوم، حتّى ظهرت براعته، ثمّ جلس مكان أبيه في التدريس، وأخذ في تحقيق المذهب والخلاف وسلك طريق المباحثة والمناظرة، وجمع الطرق بالمطالعة، فظهرت فطنته وشاع ذكره، حتّى أربى على المتقدّمين، وأنسى مصنّفات الأولين.

خرج إلى بغداد وتولّى تدريس النظاميّة والخطابة والإمامة، وهجرت له المجالس، فكان يقعد بين يديه كلّ يوم نحو ثلاثمائة طالب، وكان المقبول منهم من يجلس بين يديه ويقرأ عليه، ثمّ عاد إلى نيسابور فسلمّ إليه بها التدريس والخطابة والوعظ، وكان مع رفعة قدره وجلالته له حظّ وافر من التواضع، بحيث لا يستصغر أحداً حتّى يسمع كلامه، ولا يستنكف أن يعزو الفائدة إلى قائلها.

وحين توفّي، وكان دون الستين من عمره، كسّر تلاميذه أقلامهم ومحابرهم من شدّة الوجد عليه، ومكثوا سنة على تلك الحالة.

(١) طبقات الشافعيّة الكبرى ٢٨١/٨ - ٢٩٣، شذرات الذهب ٢٠٣/٥ - ٢٠٤، النجوم

الزاهرة ٢٦٦/٦، فوات الوفيات ٣٧٦/٢ - ٣٧٧.

ورغم أنّ إمام الحرمين قد انقطع نسله ظاهراً، فإنّ آثاره في الدين كانت باقية، إذ أنّ نشر علمه يقوم مقام كلّ نسب، وقد أثنى عليه علماء وقته بما يطول ذكره، حتّى كان أبو إسحاق الشيرازي يصفه بمفيد أهل المشرق والمغرب وينعته بإمام الأئمة.

صنّف تصانيف كثيرة في كلّ علم وفنّ، منها: نهاية المطلب في دراية المذهب، أودعه من التدقيق والتحقيق ما تعلم به مكانته من العلم والفهم، واعترف أهل وقته بأنّه لم يصنّف في المذهب مثله، واختصره بنفسه في كتاب سمّاه مختصر النهاية، وله تلخيص التقريب والإرشاد والبرهان في أصول الفقه^(١).

* حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي (٤٥٠هـ - ٥٠٥هـ): أحد الأعلام، تعلّم بمسقط رأسه طوس - مدينة قديمة في خراسان قرب نيسابور - ثم ارتحل إلى جرجان ومنها إلى نيسابور حيث أخذ عن إمام الحرمين ولازمه، حتّى صار أنظر أهل زمانه، فندب للتدريس بالمدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٨٤هـ، وشدّت إليه الرحال، وصار إمام أهل العراق بعد إمامة أهل خراسان، ثمّ خرج إلى الحجاز سنة ٤٨٨هـ فحجّ، ودخل دمشق واستوطنها عشر سنين، ثمّ صار إلى القدس والإسكندرية، ومنها عاد إلى وطنه طوس مقبلاً على التصنيف والعبادة وملازمة التلاوة ونشر العلم، ثمّ ألحّ عليه الوزير فخر الدين بن نظام الدين في التدريس بالنظامية بنيسابور، فأجابته إلى طلبه وأقام هناك مدة، ثمّ عاد إلى وطنه.

صنّف تصانيف كثيرة، منها: البسيط، والوسيط لخصه من البسيط مع زيادات، والوجيز وهو مختصر مستفاد من الكتابين السابقين، اقتصر فيه على أخذ القول الراجح، وقد أبدع في تحريره وأتقن في ضبطه، ودقّق في

(١) طبقات الشافعية الكبرى ١٦٥/٥ - ٢٢٢، شذرات الذهب ٥٦/٤ - ٥٩، وفيات الأعيان ١٦٧/٣ - ١٧٠، البداية والنهاية ١٢٨/١٢، النجوم الزاهرة ١٢١/٥، هدية العارفين ٦٢٦/١، شرف الطالب في أسنى المطالب لابن القنفذ ص ٥٨.

اختصاره، وهو كتاب جليل عمدة في المذهب الشافعي اعتنى به الأئمة، وقيل إن له سبعون شرحاً.

وله الخلاصة الفتاوى المشتمل على مائة وتسعين مسألة، وله في الخلاف كتاب المآخذ وكتاب تحصيل المآخذ، وله المستصفي في أصول الفقه، وغير ذلك، وتوفي وله من العمر خمس وخمسون سنة^(١).

* أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري (٥٤٤هـ - ٥٣٦هـ): نسبة إلى خوار بالرّي، تفقه على إمام الحرمين وسمع البيهقي، وكان إمام جامع نيسابور ومفتياً^(٢).

* أبو سعد محيي الدين محمد بن يحيى النيسابوري (٥٤٨هـ): شيخ الشافعية، وصاحب الغزالي انتهت إليه رئاسة المذهب بخراسان، وقصده الفقهاء، وصنّف التصانيف، منها: المحيط في شرح الوسيط^(٣).

* معين الدين أبو حامد محمد بن إبراهيم الجاجرمي (٦١٣هـ): - نسبة إلى جاجرم بلدة بين نيسابور وجرجان - الإمام الفاضل المتقن المبرز، الذي سكن نيسابور ودرّس بها، واشتغل عليه الناس وانتفعوا به وبكتبه.

صنّف في الفقه كتاب الكفاية، في غاية الإيجاز، مع اشتماله على أكثر المسائل التي تقع في الفتاوى، وله كتاب إيضاح الوجيز، وله كتاب القواعد الذي أكبّ الناس على الاشتغال به من بعده.

وكانت وفاته بنيسابور^(٤).

(١) شذرات الذهب ١٤٣/٤ - ١٤٦، البداية والنهاية ١٧٣/١٢ - ١٧٤، النجوم الزاهرة ٢٠٣/٥، هدية العارفين ٧٩/٢ - ٨١، وفيات الأعيان ٢١٦/٤ - ٢١٩، طبقات الشافعية الكبرى ١٩١/٦ - ٣٨٩، شرف الطالب ص ٥٩.

(٢) شذرات الذهب ٢٦٢/٤، و ٢٧٢.

(٣) شذرات الذهب ٣٢١/٤ - ٣٢٢، النجوم الزاهرة ٣٠٥/٥، هدية العارفين ٩١/٢، طبقات الشافعية الكبرى ٢٥/٧ - ٢٨، وفيات الأعيان ٢٢٣/٤ - ٢٢٤.

(٤) شذرات الذهب ١٣٨/٥، طبقات الشافعية الكبرى ٤٤/٨ - ٤٥، وفيات الأعيان ٢٥٦/٤.

واشتهرت بنيسابور أسرة السمعاني التي كانت بسماعهم تخشع الأصوات وتخضع الرؤوس، وبأسمائهم تنشرح الصدور وتنشط العقول، وكان منهم:

* أبو بكر السمعاني تاج الدين محمد بن أبي المظفر منصور بن محمد التميمي (٤٦٦هـ - ٥١١هـ) المروزي، الإمام ابن الإمام ابن الإمام، ووالد الإمام الحافظ أبي سعد، وجد الإمام فخر الدين، نشأ في عبادة الله، وفي تحصيل العلم من صباه، إلى أن أرضى أباه، ثم برع في الفقه مستدرًا خلافة من أبيه، بالغا في المذهب والخلاف أقصى مراميه، وزاد على أقرانه وأهل عصره بالتبحر في علم الحديث ومعرفة الرجال والأسانيد وما يتعلّق به من الجرح والتعديل وحفظ المتن.

خلف أباه في مجالس التدريس والنظر، وسخر وقته وحياته للإفادة ونشر العلم بجامع مرو^(١).

ثم حفيده: * أبو المظفر فخر الدين عبدالرحيم بن عبدالكريم بن أبي بكر محمد (٥٣٧هـ - ٦١٧هـ): الذي كان مفتيا عارفاً بالمذهب، وقد رحل الناس إليه، وعنه حدّث الأئمة: ابن الصلاح والضياء المقدسي وغيرهما، وإليه انتهت رئاسة الشافعية ببلده، وبه ختم البيت السمعاني^(٢).

وبهراة، نلقى: * أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (٥١٦هـ): نسبة إلى بغ قرية بقرب هراة، يعرف بابن الفراء، ويلقب محيي السنّة، وركن الدين، عالم أهل خراسان، تفقّه بالقاضي الحسين ولازمه، وهو أخصّ تلاميذه، برع في علوم القرآن والسنّة والفقه، وصنّف التصانيف النافعة، منها: التهذيب في الفقه، وقلّ ما كان يختار لنفسه فيه، وله كتاب الفتاوى مشهور، وهو غير كتاب فتاوى القاضي

(١) شذرات الذهب ١٦٦/٤، طبقات المفسرين ص ٤٧٢ - ٤٧٥، البداية والنهاية ١٨٠/١٢، طبقات الشافعية الكبرى ٥/٧ - ١١، تذكرة الحفاظ ١٢٦٦/٤ - ١٢٦٩.

(٢) شذرات الذهب ١٦٣/٥ - ١٦٤.

حسين الذي علّق هو عنه، وقد بورك في تصانيفه، ورزق فيها القبول الحسن.

كان قانعا يأكل الخبز وحده، فلمّا عدل في ذلك صار يأكله بزيت، توفي وقد جاوز الثمانين ولم يحجّ، وكانت وفاته بمرور، وبها كانت إقامته^(١).

وفي بخارى تلقى:

* أبو الخطاب محمد بن أحمد بن أبي سعد (٦٠٦هـ): رئيس الشافعية ببخارى هو، وأبوه، وجدّه، وجدّ جدّه، كان عالم تلك البلاد وإمامها ومحقّقها وزاهدا وعابدا، وكان مجتهد زمانه وعلامة أقرانه.

صنّف الملخّص والمصباح في الفقه^(٢).

وبالكرج - جورجيا اليوم - تلقى:

* أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي (٤٥٨هـ - ٥٣٢هـ): شيخ الكرج وعالمها ومفتيها، كان إماماً ورعاً، وعالمّاً عاقلاً، وفقياً مفتياً، ومحدّثاً وشاعراً وأديباً، أفنى عمره في طلب العلم ونشره.

كان شافعيّ المذهب إلاّ أنّه كان لا يقنت في صلاة الفجر، ويقول: لم يصحّ في ذلك حديث، وقد قال إمامنا الشافعي: إذا صحّ الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي الحائط.

صنّف في المذهب والتفسير، وله في الفقه كتاب الذرائع في علم الشرائع، ذكر فيه أنّه أخذ الفقه عن أبي منصور محمد بن أحمد بن محمد

(١) شذرات الذهب ١٨٩/٤ - ١٩٠، طبقات المفسّرين ص ١١٣ - ١١٤، البداية والنهاية ١٩٣/١٢، النجوم الزاهرة ٢٢٣/٥، تذكرة الحفاظ ١٢٥٧/٤ - ١٢٥٩، طبقات الشافعية الكبرى ٧٥/٧ - ٨٠، وفيات الأعيان ١٣٦/٢ - ١٣٧.

(٢) شذرات الذهب ٨٨/٥، طبقات الشافعية الكبرى ٤٣/٨.

الأصبهاني، عن الإمام أبي بكر عبيدالله بن أحمد الزاذقاني، عن الشيخ أبي حامد الإسفراييني^(١).

فهؤلاء هم أشهر أعلام هذا الدور ممن حصل لهم قبول، حتى أصبحوا من مذكوري الزمان ومشهوري المذهب الشافعي بهذه الديار.

أما المذهب الحنفي فرغم أنه لم يكن له من الانتشار بهذه الديار ما كان للمذهب الشافعي في هذا الدور، فقد برز له أعلام كانوا أئمة الدنيا وأقطاب الفقه وفرسان المناظرة ورؤوس العلم في عصرهم، افتخرت برسمهم المحابر، واهتزت بعلمهم المحافل.

وكان من أشهر من ظهر منهم بإيران:

* أبو الفضل الحسين بن أحمد بن الحسين بن سعيد بن علي بن بندار الهمذاني اليزدي (٥٩١هـ): نسبة إلى يزد - مدينة إيرانية جنوب شرقي أصفهان - وكان تحت يده في بلاده - حسب ما ذكر السيوطي - اثنا عشر مدرسة فيها من الطلبة ألف ومائتا طالب^(٢).

وظهر بخراسان:

* أبو نصر أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد (٤٨٢هـ) : رئيس الحنفية بنيسابور وقاضيا وكبيرها وكان يقال له شيخ الإسلام، غير أنه كان مبالغا في التعصب في المذهب^(٣).

* أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل شمس الأئمة السرخسي (٤٨٣هـ): من أهل سرخس بخراسان، كان فقيهاً مجتهداً، وإماماً من أئمة الحنفية في عصره، وكان جريئاً في قول الحق لا يخاف في الله لومة لائم،

(١) شذرات الذهب ٢٥٥/٤، طبقات المفسرين ص ٤٢٧ - ٤٢٨، البداية والنهاية ٢١٣/١٢، النجوم الزاهرة ٢٦٢/٥، طبقات الشافعية الكبرى ١٣٧/٦ - ١٤٧.

(٢) حسن المحاضرة ٢١٣/١ - ٢١٤.

(٣) شذرات الذهب ٦٨/٤، النجوم الزاهرة ١٢٩/٥، الفوائد البهية ص ٣٤ - ٣٥.

سجنه الخاقان بسبب كلمة حقّ كان فيها من الناصحين، ولمّا خرج من السجن توجه إلى فرغانة فالتفّ عليه الطلبة وذاع صيته واشتهر.

من مصنفاته: المبسوط الذي أملاه من خاطره من غير مطالعة أيّ كتاب، وهو في السجن، بأوزجندة بفرغانة، وشرح مختصر الطحاوي، وشرح كتاب الكسب لمحمد بن الحسن، في الفقه، وله أصول السرخسي في أصول الفقه، وغيرها^(١).

وكان أكثر أعلامهم في ما وراء النهر، واشتهر منهم:

* أبو بكر محمد بن الحسين البخاري القديدي المعروف ببكر خواهر زادة الحنفي (٤٨٣هـ): شيخ الطائفة بما وراء النهر الذي برع في المذهب وفاق الأقران، وصنّف شرح المبسوط لمحمد بن الحسن، ويسمّى مبسوط البكري، وكانت وفاته ببخارى^(٢).

* طاهر بن برهان الدين محمود بن تاج الدين أحمد (٤٤٢هـ - ٥٠٤هـ): المعروف بصدر الإسلام البخاري، صنّف فتاوى البخاريّة، والفوائد في الفقه^(٣).

* أبو محمد عمر بن عبدالعزيز بن عمر بن مازة (٤٨٣هـ - ٥٣٦هـ): المعروف بحسام الدين الشهيد، أحد أعيان الفقهاء، وأوحد أهل زمانه فيما وراء النهر.

صنّف كتاب الأجناس المعروف بالواقعات في الفروع، والجامع

(١) الفوائد البهية ١٥٨، الجواهر المضية ٧٨/٣، تاج التراجم ١٨٢، كشف الظنون ٤٨٣/٢، و٥١٨، هدية العارفين ٧٦/٢، النجوم الزاهرة ١٢٩/٥.

(٢) شذرات الذهب ٧٠/٤، الفوائد البهية ص ١٦٣، الجواهر المضية ١٤١/٣، تاج التراجم ٢١٣ كشف الظنون ٤٨٢/٢ - ٤٨٣.

(٣) تاج التراجم ١١٠، كشف الظنون ٢١٣/٢، و٣٥٢/٥ - ٣٥٣.

الصغير في الفروع كذلك، وله الفتاوى الكبرى والفتاوى الصغرى وعمدة المفتي والمستفتي وغيرها^(١).

* طاهر بن أحمد بن عبدالرشيد بن الحسن (٥٤٢هـ): المعروف بافتخار الدين البخاري، شيخ الحنفيّة بما وراء النهر، صنّف خزانة الواقعات ونصاب الفقيه ومنهما لخص كتابه المسمّى بخلاصة الفتاوى، وقال فيه: كلّ مسألة أذكرها من الفتاوى أو في فتاوى الأصل، فهي من مسائل الواقعات المنسوب تأليفها للصدر الشهيد حسام الدين^(٢).

* أبو نصر - وقيل أبو القاسم - زين الدين أحمد بن محمد بن عمر العتّابي البخاري (٥٨٦هـ): أحد من سار ذكره في الآفاق، كان الإمام الكرديّ ملازماً له، صنّف كتاب جوامع الفقه وشرح الجامع الصغير وشرح الزبادات، أوجز فيه العبارات واجتهد في بسط ما صعب منها، وقد اشتهر هذا الشرح ورواه عنه جماعة منهم شمس الأئمة الكردي، والعتّابي: نسبة إلى «دار عتاب» ببخارى^(٣).

وبمدينة سمرقند ظهر:

* أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم البزدوي (٤٨٢هـ): من أهل سمرقند، ينسب إلى بزدة قلعة بالقرب من نسف - المعروف بفخر الإسلام، كان فقيهاً أصولياً من أكابر الحنفيّة، صنّف: المبسوط في الفقه، وكنز الوصول المعروف بأصول البزدوي وشرح الجامع الصغير^(٤).

(١) الفوائد البهيّة ١٤٩، الجواهر المضية ٦٤٩/٢، تاج التراجم ١٦١، كشف الظنون ٢١٦/٢، و٦٢٤/٥.

(٢) الفوائد البهيّة ٨٤، الجواهر المضية ٢٧٦/٢، تاج التراجم ١٠٩، كشف الظنون ٥٤٠/١، و٧٥٨/٢ - ٧٥٩، و٣٥٣/٥.

(٣) الفوائد البهيّة ٣٦، الجواهر المضية ٢٩٨/١، تاج التراجم ٢٥، طبقات المفسرين ص ٦٢، كشف الظنون ٤٧٨/١، و١٥/٢.

(٤) الفوائد البهيّة ١٢٤، الجواهر المضية ٥٩٤/٢، تاج التراجم ١٤٦، كشف الظنون ٤٨٣/٢، و٢٥٩/٤.

* أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي السمرقندي (٤٦٢هـ - ٥٣٧هـ): كان فقيهاً فاضلاً، وإماماً مبرزاً متفتناً، وعارفاً بالمذهب والأدب، صتّف التصانيف في الفقه والحديث والتفسير والشروط، ونظّم الجامع الصغير لمحمد بن الحسن، وبلغت تصانيفه المائة مصتّف، وكانت وفاته بسمرقند^(١).

* أبو منصور علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي : من أهل سمرقند، شيخ الإمام الكاساني، كان شيخاً فاضلاً جليل القدر، صتّف كتاب تحفة الفقهاء، زاد فيه على مختصر القدوري ورتبه أحسن ترتيب وشرحه تلميذه أبو بكر الكاساني شرحاً عظيماً وسمّاه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ولما أتمّه عرضه على شيخه فاستحسنه وزوّجه ابنته فاطمة - وكانت فقيهة - قيل توفي سنة ٥٣٩ وقيل ٥٤٠، وقيل بعد ذلك^(٢).

* ركن الدين أبو حامد محمد العميدي السمرقندي (٦١٥هـ) الإمام في علم الخلاف، وصاحب التصانيف في المذهب، منها الإرشاد في علم الخلاف والجدل، وكتاب النفائس، وكانت وفاته ببخارى^(٣).

وبمدينة فرغانة الأوزبكستانية لمع نجم:

* فخر الدين الحسن بن منصور بن محمود بن عبدالعزيز الأوزجندي الفرغاني (٥٩٢هـ): المعروف بقاضي خان، مفتي الشرق وبقية السلف، من طبقة المجتهدين في المسائل وعليه تفقه شمس الأئمة الكردي.

صتّف الفتاوى المعروفة بفتاوى قاضيخان، وهي فتاوى مشهورة مقبولة

(١) شذرات الذهب ٢٧٦/٤، طبقات المفسرين ص ٣٠٦ - ٣٠٧، الفوائد البهية ١٤٩، الجواهر المضية ٦٥٧/٢، تاج التراجم ١٦٢، هدية العارفين ٧٨٣/١، معجم الأدباء ٢٠٩٨/٥ - ٢٠٩٩.

(٢) الفوائد البهية ١٥٨، الجواهر المضية ١٨/٣، تاج التراجم ٢٠٦، كشف الظنون ٣١٦/١ - ٣١٧.

(٣) الفوائد البهية ٢٠٠، الجواهر المضية ٣٥٥/٣، تاج التراجم ١٩٩، شذرات الذهب ١٤٩/٥، كشف الظنون ١١٥/١، وفيات الأعيان ٢٥٧/٤.

معمول بها متداولة بين أيدي العلماء والفقهاء، كانت هي نصب عين من تصدر للحكم والإفتاء، وشرح الجامع الصغير والزيادات^(١).

* أبو الحسن علي بن أبي بكر برهان الدين المرغيناني (٥٩٣هـ): نسبة إلى مرغيلان في أوزبكستان، بلغ رتبة الاجتهاد في المذهب وصنف المصنفات المعتمدة في فروع الفقه الحنفي كبدية المبتدي وهو مختصر ذكر فيه أنه جمع بين مختصر القدوري والجامع الصغير، واختار ترتيب الجامع الصغير تبركا بما اختاره محمد بن الحسن وشرحه في كتاب سماه الهداية أمضى في تأليفه ثلاث عشرة سنة، وكان قد أمضى حياته بفرغانة^(٢).

وبخوارزم ظهر خاتمة أئمة الحنفيّة في هذا الدور: * شمس الأئمة محمد بن عبدالغفار بن محمد العلماوي الكردي (٦٤٣هـ): - نسبة إلى كردر ناحية بخوارزم - كان أستاذ الأئمة على الإطلاق، والموفود إليه من الآفاق، برع في معرفة المذهب، ورفع علم أصول الفقه بعد اندراسه من زمن القاضي أبي زيد الدبوسي وشمس الأئمة السرخسي، وعنه تفقه كثير من الفقهاء، وكانت وفاته ببخارى^(٣).

واختصّت حرّان - مدينة قديمة في تركيا ما بين النهرين - بالمذهب الحنبلي وأقبلت عليه، واشتهر أعلام من أهلها بالتقيّد به والتزامه، وكان من أشهر القائمين عليه:

* أبو الكرم فتیان بن مباح بن حمد الحراني (٥٦٦هـ): الذي دخل بغداد وتفقه بها على مذهب الإمام أحمد، ثم عاد إلى بلده حران، فأفتى به ودرّس إلى أن مات، وكان فهما في الأحكام، ومواقع الحلال والحرام،

(١) الفوائد البهية ٦٤، الجواهر المضية ٩٣/٢، تاج التراجم ٨٢، شذرات الذهب ١٥/٥ - ١٦، الأعلام ١٣٣/١، كشف الظنون ١٤٤/١ و ١٥/٢ و ٢١٨/٢.

(٢) الفوائد البهية ١٤١، الجواهر المضية ٦٢٧/٢، تاج التراجم ١٤٨، كشف الظنون ٢٢٥/١ و ٨١٦/٢.

(٣) شذرات الذهب ٣٣٨/٥.

وعنه تلقى أهلها منهم: فخر الدين بن تيمية^(١).

* أبو الفضل حامد بن محمود بن حامد بن أبي عمرو الحراني (٥١٣هـ - ٥٧٠هـ): المعروف بابن أبي الحجر، ويلقب تقي الدين: شيخ حران في وقته وخطيبها ومدرسها ومفتيها.

رحل إلى بغداد وتفقه بها، وبرع وناظر، ثم عاد إلى حران فأفتى ودرّس، وعنه أخذ العلم جماعة من أهل حران منهم: الخطيب فخر الدين بن تيمية^(٢).

* أبو محمد عبدالمحسن بن يعيش بن إبراهيم بن يحيى الحراني (٦١١هـ): سمع بحران، ثم رحل إلى بغداد فأقام بها مدة حيث قرأ المذهب والخلاف حتى تميّز، ثم عاد إلى حران فأقام بها^(٣).

* أبو الخير موفق الدين سلامة بن صدقة الحراني (٦٢٧هـ): الذي تفقه ببغداد، وكان من أهل الفتوى مشهورا بعلم الفرائض والحساب والجبر، وكانت وفاته ببلده حران^(٤).

* ناصح الدين عبدالقادر بن عبدالظاهر بن عبدالمنعم الحراني (٥٦٤هـ - ٦٣٤هـ): شيخ حران ومفتيها، سمع ببلده، ثم بدمشق، ثم ببغداد، وكان معروفا بالفتوى في مذهب أحمد، طلب للقضاء فأبى، ودرّس في آخر حياته بمدرسة بني العطار، من تصانيفه: المذهب المنضد في مذهب أحمد^(٥).

ومن أبناء حران وفقهائها:

* أبو الفتوح وأبو الخطاب شمس الدين عمر بن أسعد بن المنجي

(١) شذرات الذهب ٣٩٩/٤.

(٢) شذرات الذهب ٤١٩/٤ - ٤٢٠.

(٣) شذرات الذهب ١٢٦/٥.

(٤) شذرات الذهب ٢٢٤/٥.

(٥) شذرات الذهب ٢٧٦/٥ - ٢٧٧.

الحراني (٥٥٧هـ - ٦٤١هـ): ولد بحران حين كان أبوه قاضياً في عهد نور الدين، وبها نشأ وتفقّه، ثم خرج إلى دمشق، ثم العراق وخراسان.

كان عارفاً بالقضاء بصيراً بالشروط، ولّي قضاء حران ثم استوطن دمشق وبها توفي^(١).

وممن نزل مدينة حران واستوطنها من أعلام المذهب الحنبلي:

* أبو الفتح أحمد بن أبي الوفاء عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالصمد (٤٩٠هـ - ٥٧٥هـ): البغدادي نزيل حران، الذي ولد ببغداد ولزم أبا الخطاب الكلوذاني وتفقّه عليه، ثم سافر إلى حلب وسكنها ثم استوطن حران إلى حين وفاته، وكان هو المفتي والمدرس بها، وقرأ عليه الفقه جماعة من أهلها منهم: الشيخ فخر الدين بن تيمية^(٢).

وكانت أعظم أسرة اشتهرت بحران، هي أسرة ابن تيمية التي تربعت على عرش المذهب الحنبلي تدريساً وتعليماً، وخطابة ووعظاً، وإرشاداً وتوجيهاً، وكان أشهر أفرادها في هذا الدور:

* فخر الدين بن تيمية أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد الحراني (٥٤٢هـ - ٦٢٢هـ): شيخ حران وعالمها وخطيبها وواعظها، اشتغل بالعلم منذ الصغر، وتردّد على فتیان بن مياح وغيره، ثم ارتحل إلى بغداد وتفقّه بها على أبي الفتح بن المنى ولازم ابن الجوزي، ثم عاد إلى حران وجدّ في الاشتغال والبحث وأخذ في التدريس والوعظ والتصنيف وإلقاء التفسير بجامع حران، وواظب على ذلك حتى فسّر القرآن خمس مرّات، له تصانيف كثيرة، منها: ثلاث مصنّفات في المذهب والموضح في الفرائض^(٣).

(١) شذرات الذهب ٣٣٠/٥، النجوم الزاهرة ٣٤٩/٦، تذكرة الحفاظ ١٤٣٥/٤.

(٢) شذرات الذهب ٤٣٣/٤.

(٣) شذرات الذهب ١٩٦/٥، البداية والنهاية ١٠٩/١٣، النجوم الزاهرة ٣٦٢/٦ - ٣٦٣.

وفيات الأعيان ٣٨٦/٤ - ٣٨٨.

وقام مقامه من بعده ابنه:

* أبو محمد سيف الدين عبدالغني بن فخر الدين بن تيمية الحراني (٥٨١هـ - ٦٣٩هـ): خطيب حران وابن خطيبها الفخر، سمع ببلده حران من والده، ثم رحل إلى بغداد فتنقّه بها، ثم عاد إلى حران وقام مقام أبيه بعد وفاته، فكان يخطب ويعظ ويدرس ويلقي التفسير في الجامع^(١).

ثم قام من بعده ابن عمّه وزوج أخته:

* أبو البركات عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن محمد الحراني (٥٩٠هـ - ٦٥٢هـ): مجد الدين ابن تيمية، شيخ الإسلام وأحد الحفاظ الأعلام، فقيه الوقت من أعيان العلماء وأكابر الفضلاء وفرد زمانه في معرفة المذهب الذي إليه المرجع في الفقه الحنبلي وعليه المعول، وهو جدّ شيخ الإسلام ابن تيمية.

حفظ القرآن ببلده حران، وسمع من عمّه، ثم ارتحل إلى بغداد سنة ٦٠٣هـ مع ابن عمّه سيف الدين عبدالغني، وأقام بها ستّ سنين يشتغل بأنواع العلوم، ثم رجع إلى حران فولي بها التفسير والتدريس بعد ابن عمّه، وكان عجباً في حفظ الأحاديث وسردها، وحفظ مذاهب العلماء بلا كلفة، رأساً في الفقه وأصوله، فرد زمانه في معرفة المذهب، بارعاً في الحديث ومعانيه، له اليد الطولى في القراءات والتفسير، وكان يقال: ألين للشيخ المجد الفقه كما ألين لداود الحديد.

صنّف التصانيف الكثيرة، منها: المنتقى في الأحكام وهو الكتاب المشهور، وله المحرّر في الفقه، ومنتهى الغاية في شرح البداية^(٢).

وأما المذهب المالكي فلم يكن له بهذه البلاد موطن قدم، ولم يعرف له بهذه الأصقاع ذكر ولا خبر.

(١) شذرات الذهب ٣٢٢/٥.

(٢) شذرات الذهب ٣٨٧/٥، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ٤١٥ و ٤٣٣.

- ٥ - بلاد المغرب:

انحصر عمل أهل المغرب على الفقه المالكي، واقتصروا على اعتناق مذهبه دون سواه من المذاهب الفقهية الأخرى، والذين ذاع صيتهم في هذا الدور وتحذت بمؤلفاتهم النفيسة الأجيال تلو الأجيال كثيرون لا يسعنا أن نستقصي جميع أسمائهم الكريمة، ولا أن نعرّف بجميع من قام منهم على دفع الحركة الفقهية في بلاد المغرب وأسهم في ازدهارها وتنشيطها.

وحسبنا من ذلك أن نلقي الأضواء على من كان منهم في طليعة الركب، ممّن ذاعت أسماؤهم عبر الأقطار، وامتدت أصواتهم عبر الأعصار. وفتتح بأعلامهم مجدا وأسماهم قدرا ذاك الذي ظهر بالمغرب الأدنى - القطر التونسي - وابتدأ يجنح إلى اللحاق برجال دور التفرّيع في منزلتهم من الاجتهاد المقيد، ألا وهو:

* أبو الحسن علي بن محمد الربيعي (٤٧٨هـ): المعروف باللخمي، أصيل القيروان، ونزيل مدينة صفاقس، ومن أعيان فقهاؤها وأفاضلها المشهورين.

تفقه بأعلام الدور السابق من أمثال: ابن محرز، وابن بنت خلدون، والتونسي والسيوري وغيرهم، حتّى ظهر في أيامه، وطارت فتاويه عبر الأقطار، كان فقيه وقته وأبعد الناس صيتا في بلده، وبقي بعد أصحابه، حتّى حاز رئاسة بلاد إفريقية جملة^(١).

كان الإمام اللخمي قد أدخل على المنهج الذي كان يسير عليه الفقه من منتصف القرن الثالث إلى منتصف القرن الخامس، نزعة جديدة، هي نزعة التصرف في المذهب، حيث كان في شرحه على المدونة الذي سمّاه

(١) ترتيب المدارك ٧٩٧/٤، الديباج المذهب ص ٢٩٨، معالم الإيمان ٢٤٦/٣، نزهة الأنظار المشهورة بدائرة مقديش ٢٧٦/٢ - ٢٧٧، كشف الظنون ٥٥٥/٥، تراجم المؤلفين التونسيين ٢١٤/٤ - ٢١٩، شجرة النور الزكية ص ١١٧، هدية العارفين ٦٩٢/١، معجم المؤلفين ١٩/٧، كتاب العمر ٦٨٢/٢ - ٦٨٤.

بالتبصرة يعتمد أحياناً على نقد الأقوال من ناحية إسنادها، وأحياناً ينتقدها من ناحية رشاقة استخراجها من الأصول التي استخرجت بها، حتى أنّ المتأخرين جعلوا تصرفات الإمام اللخمي في المذهب المالكي وما يأتي به من القول اختياراً^(١).

وهكذا كان اللخمي مقدّماً بتخريج الخلاف في المذهب واستقراء الأقوال، بحيث كان يتّبع أحياناً ما ظهر له فيخالف المذهب فيما ترجّح عنده، فكانت اختياراته بذلك تخرج في الكثير من المسائل عن قواعد المذهب.

توفي بمدينة صفاقس، ومسجده هناك مشهور، وقبره خارج سور المدينة يعرفه الخاص والعام^(٢).

وكان أبرز من تكوّن بالإمام اللخمي، وسلك طريقته النقدية الجديدة، ثلاثة من أعلام بلاد المغرب، اثنان تونسيان، وواحد من المغرب الأقصى، فأما التونسيان فهما:

* أبو عبدالله محمد بن عليّ بن عمر التميمي المازري (٥٣٦هـ):
أصيل مدينة مازر - على الساحل الجنوبي من جزيرة صقلية، تقابل شمال البلاد التونسية - ونزّل مدينة المهديّة وحامل لواء الفقه فيها وفي إفريقية وما وراءها من المغرب.

كان الإمام المازري آخر المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه، ورتبة الاجتهاد، ودقة النظر، خاتمة العلماء المحققين والأئمة الأعلام المجتهدين، قد بلغ رتبة الاجتهاد، وكان الإمام لقباً له، فلا يعرف بغير الإمام المازري.

اطّلع على علوم كثيرة من الطبّ والحساب والأدب، وغير ذلك،

(١) محاضرات مغاربية ص ٨١.

(٢) انظر: المصادر السابقة في ترجمته.

ودرس الفقه وأصوله، وتقدم في ذلك حتى كان أحد رجال الكمال في العلم في وقته، ولم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض في وقته أفقه منه، ولا أقوم لمذهبهم، وكان يفرع إليه في الفتوى في الطب في بلده، كما يفرع إليه في الفتوى في الفقه.

صنّف في الفقه شرح التلقين للقاضي عبدالوهاب، يقال: ليس للمالكية مثله، وتعليق على مدونة الإمام سحنون، وكشف الغطا عن لمس الخطأ، وهي رسالة في مسألة فقهية استفتي فيها فأجاب عنها بإيضاح وعلم وتحقيق، وله جامع مسائل الأحكام ممّا نزل بالمفتين والحكام، وصنّف في أصول الفقه شرح البرهان للجويني، وسمّاه إيضاح المحصول من برهان الأصول، وله شرح على صحيح مسلم.

توفي بالمهدية، عن نيف وثمانين سنة، ودفن بمدينة المنستير، وقبره بها مشهور معروف^(١).

* أبو طاهر إبراهيم بن عبدالصمد بن بشير التنوخي المهدي (كان حياً سنة ٥٢٦هـ): كان إماماً عالماً، مفتياً جليلاً فاضلاً، ضابطاً متقناً، حافظاً للمذهب، إماماً في أصول الفقه والعريّة والحديث، من العلماء المبرزين في المذهب، المترفعين عن درجة التقليد إلى رتبة الاختيار والترجيح.

صنّف كتاب الأنوار البديعة إلى أسرار الشريعة، وهو كتاب جامع من أمّهات الفقه المالكي، وله التنبيه على مسائل التوجيه، وهو شرح على المدونة مشى فيه على استنباط أحكام الفروع من قواعد أصول الفقه، وسار فيه على منهجه في الاختيار والترجيح، وذكر أنّ من أحاط به علماً ترقى

(١) شجرة النور الزكية ص ١٢٧ - ١٢٨، الديباج المذهب ص ٣٧٤ - ٣٧٥، شذرات الذهب ٢٧٣/٤ - ٢٧٤، تراجم المؤلفين التونسيين ٢٣٢/٤ - ٢٣٨، معجم المؤلفين ٣٢/١١، النجوم الزاهرة ٢٦٩/٥، هدية العارفين ٨٨/٢، كتاب العمر ٦٩٦/٢ - ٧٠٤، وفيات الأعيان ٢٨٥/٤، شرف الطالب ص ٦٢.

عن درجة التقليد، وتعقّب في كتابه هذا على أبي الحسن اللخمي في كثير من المسائل، وردّ عليه اختياراته الواقعة في كتاب التبصرة، وتحامل عليه في كثير منها، وله أيضاً التهذيب لمسائل التهذيب، وهو كالشرح لتهذيب البراذعي، وكتاب التحرير وهو مختصر يحفظه المبتدئون فرغ من تأليفه سنة ٥٢٦هـ.

لم أفق على تاريخ وفاته، والثابت أنّه توفي بعد سنة ٥٢٦هـ، حيث ذكر ابن بشير في كتابه المختصر أنّه أكمله في سنة ٥٢٦هـ^(١)، وأكد محمد العروسي المطوي وبشير البكوش في مراجعتهما لكتاب العمر أنّ ابن بشير عاش بعد سنة ٥٧٣هـ^(٢).

وأما الذي هو من المغرب الأقصى، فهو:

* القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى (٤٩٦هـ - ٥٤٤هـ): الأندلسي الأصل، السبتي الدار والميلاد، المراكشي الوفاة، كان إمام وقته في الحديث وعلومه، عالماً بالتفسير وجميع علومه، فقيهاً أصولياً، بصيراً بالأحكام، حافظاً لمذهب مالك، إمام وقته في علوم شتى، عديم النظر، حسنة من حسنات الأيام.

رحل إلى الأندلس سنة ٥٠٧هـ في طلب العلم، ثمّ إلى المشرق، وكان معتنياً بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم، وقد اجتمع له من الشيوخ بين من سمع منه وأجاز له، نحو مائة شيخ، ألف فيهم فهرسة سماها الغنية.

ومن أشهر شيوخه: أبو الوليد ابن رشد وأبو بكر ابن العربي وأبو بكر ابن عطية، فكان ابن رشد أجلّ شيوخه في نفسه، وأقواهم تأثيراً عليه، وكانت طريقة ابن رشد في الفقه قد تأثرت بالمنهاج الذي خطه أبو الوليد الباجي، في خدمة الفقه بالأنظار والأصول، وتأسيس المسائل وتفريعها،

(١) الديباج المذهب ص ١٤٢ - ١٤٣، شجرة النور الزكية ص ١٢٦، معجم المؤلفين ٤٨/١، تراجم المؤلفين التونسيين ١٤٣/١، كتاب العمر ٦٩٣/٢ - ٦٩٥.

(٢) كتاب العمر ٦٩٤/٢.

وهي الطريقة التي امتاز بها الكتاب الشهير لابن رشد: كتاب المقدمات الممهّدة، فتخرّج عياض على تلك الطريقة في فقهه.

ثمّ كان لابن العربي ولابن عطية يد في إكمال تخريجه وتحلية تحصيله، وكلاهما ممّن تخرّج في المشرق على الأصول الأشعرية والحكمة الغزالية، فكانا له علمين على طريقة الاتجاه، وبهما أشرب قلبه أسلوب الفقه المبني على الكلام والأصول، وهي طريقة إمام الحرمين، التي وصلها بالفقه المالكي أبو عبدالله المازري، فاتصل عياض بالمازري بالمكاتبة ووردت عليه من المهدية كتبه وإجازته.

أجلسه أهل سبتة للمناظرة عليه في المدونة، وهو ابن ثلاثين سنة، ثمّ أجلس للشورى، ثمّ ولي قضاء بلده مدة طويلة، ثمّ نقل إلى قضاء غرناطة في سنة ٥٣١هـ، ثمّ عاد إلى قضاء سبتة ثانية.

صنّف تصانيف مفيدة، منها: التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة، جمع فيه غرائب من ضبط الألفاظ وتحرير المسائل، وله مختصر وجيز لخص فيه مسائل العقائد والعبادات، وأبدع في تأسيسه على قواعد الإسلام، وأحسن تصنيفه وسبكه وتزيينه، وهو المعروف بكتاب القواعد، وقد كتبت عليه شروح.

وصنّف كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، أبدع فيه كلّ الإبداع، وانفرد به في موضوعه، وكان له مزية السبق إليه، حتى تشوّف أكفأؤه للوقوف عليه، وأنصفوا في الاستفادة منه، وطارت نسخه شرقا وغربا، وتعاقب عليه الشراح والمختصرون والمعلّقون والمخرّجون، من صدر القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر، وله كذلك في الأدب والتاريخ آثار كثيرة^(١).

(١) الديباج المذهب ص ٢٧٠ - ٢٧٣، النجوم الزاهرة ٢٨٦/٥، أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص ٥٦ - ٦٢، شذرات الذهب ٣٠٤/٤ - ٣٠٥، البداية والنهاية ٢٢٥/١٢، النجوم الزاهرة ٢٨٥/٥، هدية العارفين ٨٠٥/١، شجرة النور الزكية ص ١٤٠ - ١٤١، وفيات الأعيان ٤٨٣/٣ - ٤٨٥، تذكرة الحفاظ ١٣٠٤/٤ - ١٣٠٧، شرف الطالب ص ٦٢.

ومن أقران الإمام اللخمي ومعاصريه:

* أبو محمد عبد الحميد بن محمد المعروف بابن الصائغ (٤٨٦هـ):
الذي أدرك جماعة من كبار فقهاء الدور السابق كأبي إسحاق التونسي صاحب التعليقة على المدونة وأبي القاسم التونسي وعبد الخالق السيوري، وعليه كان اعتماده، وتضلّع في العلوم الشرعية وأصبح فقيهاً نبيلاً فهماً فاضلاً وأصولياً نظاراً جيد الفقه قويّ العارضة محققاً.

لزم المهدية ودارت عليه فتواها في زمن الأمير الصنهاجي المعز بن باديس، ثم حدث أن ثارت مدينة سوسة على تميم بن المعز الصنهاجي، قبض على جماعة منهم ولد الشيخ عبد الحميد وضربه وأغرمه ستمائة دينار، فاضطرّ الشيخ عبد الحميد إلى بيع كتبه لدفع الغرامة، ومن ذلك الحين انقبض على الفتوى والتزم داره وأظهر التجافي، فلم يعد يجالس أحداً ولا يتنفع به في شيء.

وحاول السلطان تميم بن المعز إرضاءه فلم يفلح، وبقي الشيخ على حالته تلك ستة أعوام، ثم تحيل في الخروج إلى سوسة متعللاً بحسن هوائها، فخرج إليها سنة ٤٨٠هـ، وفي سوسة عاد الشيخ عبد الحميد إلى نشاطه المعهود في الإفتاء والتدريس وانتفع به ناس كثيرون إلى أن وافاه الأجل المحتوم، ودفن بالمكان الذي اشتهر باسمه، وعرف إلى يوم الناس هذا، بسيدي عبد الحميد.

صنّف تعليقا مهماً على المدونة مشهور أكمل به الكتب التي بقيت على التونسي، ودرس عليه أبو عبد الله المازري وأبو علي حسان البربري وأبو الحسن الحوفي، وأخذ عنه من أهل الأندلس أبو بكر ابن عطية، وكان أصحابه يفضلونه على أبي الحسن اللخمي قرينه تفضيلاً كثيراً^(١).

(١) ترتيب المدارك ٧٩٤/٤ - ٧٩٦ ، معالم الإيمان ٢٤٨/٣ - ٢٤٩ ، الديباج المذهب ص ٢٦٠ ، نزهة الأنظار ٣٨١/١ - ٣٨٢ ، شجرة النور الزكية ص ١١٧ ، تراجم المؤلفين التونسيين ٢٢٥/٣ - ٢٢٦ ، كتاب العمر ٦٨٥/٢ - ٦٨٧ .

ونلقى بالمغرب الأدنى في آخر هذا الدور:

* أبو عبدالله محمد بن عبدالجبار الرعيني السوسي (٥٨٧هـ - ٦٦٢هـ) الفقيه المتقن، الذي تلقى العلم عن قاضي المهديّة المحدث أبو يحيى زكرياء بن الحدّاد من أكابر تلامذة الإمام المازري، وإذا علمنا أنّ الإمام المازري قد أخذ بدوره عن الإمام اللخمي وعبدالحميد الصائغ، وأنّ هذين الأخيرين قد أخذوا عن سبقيهما كابن بنت خلدون وعبدالخالق السيوري ومن في طبقتهما الذين تلقوا بدورهم عن ابن أبي زيد وأبي الحسن القابسي، وأنّ هذا السند العلمي في تلقّي الفقه المالكي بقي يتسلسل بسند متصل إلى أن وصل إلى الإمام سحنون فبالرحمن بن القاسم فإمام المذهب ومؤسسه مالك بن أنس.

إذا تبين هذا اتّضح أنّ ابن عبدالجبار الرعيني يعتبر واسطة كبيرة وعقدا فريدا في انتقال سند الفقه المالكي من القيروان والمهديّة إلى مدينة تونس التي أصبحت في نهاية هذا الدور عاصمة الدولة الحفصيّة.

وقد وصفه ابن الأبار معاصره بالأستاذ، وكان كثيراً ما يوجد خطّه بالإجازات على ظهور الكتب وفي أواخرها بتصحيح المقابلة.

كان يقرىء في كلّ علم من العلوم ويبتدىء القارىء عليه من التجويد إلى حيث قضيت قسمته من العلوم وقد أقرأ بجامع الزيتونة الأمير أبي زكرياء يحيى بن عبدالواحد الحفصي (٦٤٧هـ) وتلمذ عليه أقطاب العلم في عصره من أمثال قاضي الجماعة والخطيب والمدرس بالجامع الأعظم أبو إسحاق إبراهيم ابن حسن بن عبدالرفيع الربيعي التونسي (٧٣٣هـ) وأبو محمد عبدالعزيز بن إبراهيم التونسي (٦٦٣هـ) المعروف بابن بزيمة من أئمّة المذهب المالكي المعتمد عليهم، والذين بلغوا رتبة الاجتهاد^(١).

ويقول المرحوم الشيخ محمد الشاذلي النيفر: ونجزم جزما يقينا أنه ترك مدرسة من طلبته بمدينة سوسة لكثرة من أنجبهم من الأشياخ.

(١) نيل الابتهاج ٢٩٥/١.

طال عمره حتى أصبح يسمّى ملحق الآباء بالأبناء، فأقرأ الحفيد والأب والجدّ حتى وافاه الأجل بتونس وقد بلغ من العمر خمس وتسعون سنة^(١).

وفي المغرب الأوسط - الجزائر - اشتهرت مدينتان بحمل لواء العلم والفقه، لمعتا في سماء الجزائر وعلت منزلتهما واشتهرتا بتخريج العلماء، هاتان المدينتان هما: قلعة بني حمّاد وبجاية.

فأمّا قلعة بني حمّاد فقد تأسست سنة ٣٩٨هـ، وكانت حاضرة علم، استمرّ نشاطها خلال هذا الدور طوال مائة عام إلى أن خرّبها الموحدون سنة ٥٤٧هـ، ونبغ خلال هذه الفترة من أشهر أعلامها:

* أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي (٥١٣هـ) : ناظم المنفرجة، توزريّ الأصل، من قلعة بني حمّاد، صحب الإمام اللخمي، وأخذ عنه صحيح البخاري، وتلمذ عليه مع الإمام المازري، ثم أخذ بعد ذلك عن المازري.

كان من العلماء العاملين، ومن أهل العلم والفضل، عارفاً بالأصول والفقه، يميل إلى النظر والاجتهاد، قد حصلت له المزية في الفقه والنظر، وأخذ عنه من الأئمة الأعلام النظّار كالفقيه أبي عبدالله محمد بن الرمانة مفتي فاس، وغيره.

ورد مدينة فاس سنة ٤٩٤هـ، ثم سافر إلى قلعة بني حمّاد واستقرّ بها للإقراء والتدريس إلى أن توفي عن ثمانين سنة^(٢).

(١) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ ص ١٢٦، الحلة السيرة لابن الأبار ٢٣٥/٢، رحلة التجاني ص ٥٢ - ٥٣، الحلل السندسية في الأخبار التونسية للوزير السراج ٣١٦/٢ - ٣١٧، نزهة الأنظار ١٩٢/٢، شجرة النور الزكية ص ١٩٠، محاضرة بعنوان علماء سوسة ودورهم في بناء الحضارة للمرحوم الشيخ محمد الشاذلي النيفر ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٢) توشيح الديباج لبدر الدين القرافي ص ٢٦٥، نيل الابتهاج للتبكتي ٣١٩/٢ - ٣٢٣، شرف الطالب ص ٦٠.

وأما بجاية - عاصمة بني حمّاد الثانية - التي تأسست سنة ٤٦١هـ، فقد كانت اسماً خالداً في تاريخ بلاد المغرب بشكل عام، والجزائر بشكل خاص، على مدى أربعة قرون ونصف، ولم تعرف تراجعاً في مسيرتها العلمية إلا حين نالت منها أيدي العابثين من المستعمرين الأسبان سنة ٩١٥هـ بالتخريب والتدمير.

وقد ترجم الشيخ أبو العباس أحمد الغبريني (٧٠٤هـ) في كتابه «عنوان الدراية» لمن اشتهر ذكره، ونيل قدره، وظهرت جلالته، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته، من علماء المائة السابعة ببجاية، التي تعدّ من أعظم الفترات نشاطاً بالنسبة لهذه المدينة، ووصلهم بذكر ثلاثة أعلام كانوا في أعقاب المائة السادسة لانتشار فخرهم.

وهؤلاء الأعلام الثلاثة هم:

* أبو مدين شعيب بن الحسين (٥٩٤هـ) الأندلسي البجائي: الذي اشتهر بشيخ المشائخ، رحل إلى المشرق وأخذ عن العلماء، ثم رجع إلى بجاية واشتهر بها أمره، وكانت الفتاوى ترد إليه في مذهب مالك فيجيب عنها في الوقت، وقصده الناس من جميع الأقطار، وتخرّج عليه أكثر من ألف شيخ.

كان رجلاً زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى، قد جمع بين الشريعة والحقيقة، من أعلام العلماء، استوطن بجاية وكان يفضّلها على كثير من المدن، ويقول: إنها تعين على طلب الحلال، وكانت وفاته ببجاية عن نحو ٥٨ سنة، ودفن بتلمسان^(١).

* القاضي أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي: الفقيه المجتهد، المسّمى بأبي حامد الصغير، ولي قضاء بجاية، وبقي على دراسة العلم والاشتغال به حتى احتاج إليه الناس في أمر دينهم وعولوا عليه.

(١) نيل الابتهاج ٢٠٧/١ - ٢١٢، عنوان الدراية للغبريني ص ٥٥ - ٦٥، شجرة النور

كان حين يشار إليه بالتفرد في العلم والتوحد في الفهم، يقول: أدركت ببجاية سبعين مفتياً ما منهم من يعرف الحسن بن عليّ المسيلي، وهذا من فضله وتواضعه.

صنّف مصنفات حسنة تدلّ على إحاطته بعلم المعقول والمنقول^(١).

* القاضي أبو محمد عبدالحقّ بن عبدالرحمن الأزدي الإشبيلي (٥١٠هـ - ٥٨٢هـ): الذي رحل إلى بجاية وتخيّرنا وطناً، وكمل بها خبرة، وظهر بها حالاً وتأليفاً، وولّي خطابتها وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم، ونشر بها علمه.

كان فقيهاً حافظاً، عالماً بالحديث، جليل العلم، كامل الفهم، وكان قانعاً متعقفاً موصوفاً بالصلاح والورع ولزوم السنة، وكان يقسم ليله ثلاثة أثلاث، ثلثاً للقراءة، وثلثاً للعبادة، وثلثاً للنوم.

صنّف تصانيف جليلة نبل قدرها واشتهر أمرها وتداولها رواية وقراءة وشرحاً وتبييناً، واشتهرت بالمشرق ووقع النقل منها^(٢).

وكان من بعدهم من عرف بالحفظ والإتقان:

* أبو الحسن عليّ بن أحمد بن الحسن الحرالي التجيبي (٦٣٧هـ) الذي حصل من العلم ما سبق به أبناء وقته، وجمع فنون العلم بجملتها واستولى على كليّتها، وما من علم إلا وله فيه تصنيف وتأليف وكان أعلم الناس بأصول الفقه، وله في علم الفرائض كتاب الوافي لم يسبق إليه، وحيث تكلم في علم يعتقد الناظر فيه أنّه لا يعرف غيره^(٣).

(١) عنوان الدراية ص ٦٦ - ٧٢، نيل الابتهاج ١٦٧/١ - ١٦٩.

(٢) الديباج المذهب ص ٢٧٦ - ٢٧٨، عنوان الدراية ص ٧٣ - ٧٥، شذرات الذهب ٤٥٧/٤، تذكرة الحفاظ ١٣٥٠/٤، فوات الوفيات ٢٥٦/٢.

(٣) عنوان الدراية ص ١٤٥ - ١٥٧، نيل الابتهاج ١٣٥٧/١ - ٣٥٩.

* أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد المتوسي الملياني (٦٤٤هـ) الشيخ المتقن المجتهد، الذي كان له في كتاب التلقين للمازري تقدّم ونظر لم يكن لغيره، ولم يكن له مثل في غيره من الكتب، وإن كان الرجل إماماً في الفقه ولكّنه في هذا الكتاب أجّل من غيره من الكتب، وله عليه تقييد فيه تنبيهات خفيفة، وقد كَمَل بعض ما فات المازري على التلقين^(١).

* علي بن أبي نصر فتح بن عبدالله (٦٠٦هـ - ٦٥٢هـ) الذي استقرّ قراره ببجاية، وكان أهلها يتفقّون عليه^(٢).

* أبو بكر محمد بن أحمد الزهري المعروف بابن محرز البلسني (٦٥٥هـ): الذي رحل إلى بجاية في حدود سنة ٦٤٠هـ واستوطنها فكان معظماً عند أهلها محترماً، واشتغل عليه الكثير منهم.

لم يكن يخلو له وقت عن الاشتغال بالعلم، إمّا الرواية وإمّا التدريس وإمّا المقابلة وإمّا عرض المسائل على سبيل المذاكرة، وكان رأس الجماعة الأندلسيّة ببجاية، له تقييد على التلقين، وله على بعض الكتب الفقهية الأخرى تقييدات وتطويرات في غاية الجودة^(٣).

* أبو الحسن عليّ الشهير بابن الزيّات: الحافظ لمذهب مالك، المحضّل له، وقد كان ممّن يقرأ عليه ويجتمع إليه، استوطن بجاية وأقرأ بها وانتفع به، وكانت تقرأ عليه سائر كتب المذهب، كتهذيب البراذعي والتلقين للقاضي عبدالوهاب والتفريع لابن الجلاب والرسالة لابن أبي زيد، وكان يحفظ تنبيه ابن بشير ومنتقى الباجي وغيرهما من أمّهات المذهب المالكي^(٤).

ولم يكن طلب العلم وقفاً على رجال مدينة بجاية دون نساؤها، إذ

(١) عنوان الدراية ص ١٧١.

(٢) عنوان الدراية ص ١٤٢ - ١٤٤.

(٣) عنوان الدراية ص ٢٤١ - ٢٤٤.

(٤) عنوان الدراية ص ١٧٨ - ١٧٩.

كانت هناك أكثر من ألف امرأة تحفظ المدونة عن ظهر قلب، فضلاً عن حفظ القرآن الكريم.

وكانت هناك مراكز أخرى بالمغرب الأوسط، وإن لم تبلغ شأو بجاية في الازدهار العلمي، إلا أنها كانت تطلّ علينا من حين لآخر بأسماء أعلام طبقت شهرتهم بلاد المغرب كمدينة تلمسان، وورجلان بجنوب الجزائر، وغيرها من مدن المغرب الأوسط.

وأما المغرب الأقصى فقد كان كذلك ساحة واسعة للنشاط الفقهي، وظهر من أعلامه في هذا الدور مجموعة صالحة ترجم الشيخ مخلوف في طبقاته لأكثر من ثلاثين منهم، وكان على رأسهم:

* قاضي سبتة أبو عبدالله محمد بن عيسى التميمي السبتي (٤٢٩هـ - ٥٠٥هـ): الفقيه المحدث الحافظ شيخ القاضي عياض، وإمام أهل المغرب في وقته^(١).

وكان أشهرهم مهارة في الشروط والوثائق:

* القاضي أبو الحسن علي بن عبدالله بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالمتيطي (٥٧٠هـ): السبتي الفاسي العارف بالشروط وتحريير النوازل.

لازم بفاس خاله أبا الحجاج المتيطي وبه تفقه وبين يديه تعلّم عقد الشروط، واستوطن مدينة سبتة ولازم بها مجلس القاضي أبي محمد بن أبي عبدالله التميمي للمناظرة والتفقه.

مهر في كتابة الشروط واستقلّ حتّى لم يكن في وقته أقدر منه عليها، ناب عن القاضي أبي موسى عمران بن عمران في الأحكام بإشبيلية، وولّي قضاء شريش بجنوب الأندلس - وهي اليوم خريس بإقليم قادس في إسبانيا -.

صنّف في الوثائق كتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام،

(١) شجرة النور الزكية ص ١٢٤.

اعتمده المفتون والحكام^(١).

وأما القطر الليبي فقد كان هو الآخر محطّ الأنظار ومنبعا للعلماء الأخيار، الذين نافسوا أقرانهم في سائر الأقطار، وكان خاتمتهم، العلمان:
* أبو موسى عمران بن موسى بن معمر الطرابلسي (٦٦٠هـ): الفقيه الحافظ للمذهب، العارف بالمسائل، البصير بالأحكام.

ولي قضاء طرابلس، والإمامة والخطابة بجامعها، واشتهر بالتوفيق في أفضيته؛ فطلبه السلطان الحفصي المستنصر، وولاه قضاء الحاضرة تونس سنة ٦٥٧هـ، واستمرّ على القضاء إلى أن توفي^(٢).

وعبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي (٦٠٦هـ - ٦٨٤هـ): الذي اشتهر ذكره، فوجه إليه السلطان الحفصي واستدعاه للسكنى بتونس، حيث تولّى الخطط النبيلة بها، منها قضاء الأنكحة، ثمّ قلّد قضاء الجماعة^(٣).

- ٦ - الأندلس:

أظهر المرابطون في عهد يوسف بن تاشفين (٤٨٠هـ - ٥٠٠هـ) وابنه عليّ (٥٠٠هـ - ٥٣٧هـ) المذهب المالكي، وقوي نفوذ هذا المذهب، لا سيّما في الأندلس، حتّى أنّه لم يكن يحظى فقيهه بالقبول عند أمير المسلمين إلّا إذا كان عالماً في فروع المذهب المالكي، فنفتت كتب فروع المذهب، ووقع الاعتناء بها أيّما اعتناء، وجرى العمل بمقتضاها، ونبذ ما سواها.

غير أنّ هذا النفوذ قد اضمحلّ بمجيء الموحّدين وخاصّة في عهد يعقوب المنصور (٥٨٠هـ - ٥٩٥هـ) الذي ألزم الفقهاء ترك الاشتغال بكتب الفروع، وأمرهم بالتخلّي عن تقليد المذهب المالكي، وأوجب عليهم

(١) نيل الابتهاج ٣٥٢/١، شجرة النور الزكيّة ص ١٦٣، كشف الظنون ٤/٤٦٣.

(٢) أعلام ليبيا ص ٢٤٠.

(٣) الديباج المذهب ص ٢٦١، عنوان الدراية ص ١٢٢ - ١٢٣، شجرة النور الزكيّة ص

الاجتهاد والرجوع مباشرة إلى القرآن والسنة، بحيث تكون أحكامهم بما ينتهي إليه اجتهادهم.

وأتخذ إجراءات عملية في ذلك حيث أمر بأمهات كتب الفقه المالكي فحرقها، فكانت الكتب تؤتى بالأحمال فتوضع في الشوارع ويطلق فيها النار.

وتوعد بالعقوبة الشديدة كل من يخالف أمره، وألزم المشتغلين بكتب الفقه، الأيمان المغلظة من عتق وطلاق على أن لا يتمسكوا بشيء من تلك الفروع، وأوقع بكل من تمسك بمذهب مالك المحن، حتى خافه الفقهاء، وتركوا الفقه والرأي، واشتغلوا بالحديث والأثر، وأدرك جماعة من أهل عصره هذا النهج مثل: أبي الخطاب بن دحية وأخيه أبي عمرو، ومحي الدين بن عربي الطائي، وغيرهم^(١).

غير أنه بمجرد أن مات المنصور الموحد سنة ٥٩٥هـ انطفأت جذوة دعوته، وعاد الناس إلى ما كانوا عليه من الاشتغال بكتب فروع المذهب المالكي.

وهكذا عرف أعلام المذهب المالكي بالأندلس خلال هذا الدور الفقهي امتحانات وابتلاءات لا تقل خطورة عن تلك التي عرفها أعلامه بإفريقيّة التونسية خلال قيام الدولة الفاطمية، غير أنّ هذه المحن فيما يبدو قد زادت المذهب المالكي تجذراً ببلاد المغرب عاقمة وبالأندلس على وجه الخصوص.

ومن أبرز من نلتقي بهم في هذا الدور بمركز الأندلس:

* أبو عبدالله محمد بن فرج المعروف بابن الطلاع (٤٠٤هـ - ٤٩٧هـ): من أهل قرطبة، بقيّة الشيوخ الأكابر في وقته، وزعيم المفتين بحضرته.

(١) شذرات الذهب ٣٣/٥ - ٣٤، القوانين الفقهية لابن جزي ص ٤١٣، الفكر السامي

كان فقيهاً عالمياً حافظاً للفقه على مذهب مالك وأصحابه، حاذقاً بالفتوى، مقدّماً في الشورى، وليّ الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة وأسمع الناس به وأفتاهم فيه.

عمر وأسنّ حتى سمع منه الكبار والصغار والآباء والأبناء، وكانت الرحلة في وقته إليه لسماع الموطأ والمدوّنة^(١).
ومن تلاميذه:

* أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (٤٥٠هـ - ٥٢٠هـ): ابن رشد الجدّ - قاضي الجماعة بقرطبة، وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع، وزعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ومقدّمهم، المعترف له بصحّة النظر وجودة التأليف ودقّة الفقه.

كان عالمياً حافظاً للفقه، مقدّماً فيه على جميع أهل عصره، عارفاً بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه، بصيراً بأقوالهم واتّفاقهم واختلافهم، نافذاً في علم الفرائض والأصول، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية.

ولي قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٥١١هـ، ثمّ استعفى منها سنة ٥١٥هـ.

من مصنفاته: المقدمات لأوائل كتب المدوّنة، المعروف بمقدمات ابن رشد، والبيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، وكتاب النوازل المسمّى أيضاً بالفتاوى والأجوبة، وقد جمعه تلميذه أبو الحسن محمد بن عبدالرحمن المعروف بابن الوزان (٥٤٣هـ)، وله اختصار المبسوطة ليحيى بن إسحاق بن يحيى الليثي، وكتاب المسائل الخلفيّة، وغير ذلك^(٢).

(١) الصلة لابن بشكوال ٨٢٣/٣ - ٨٢٤، بغية الملتمس ١/١٦٠ - ١٦١، شذرات الذهب ١٢٣/٤، هدية العارفين ٧٨/٢، شجرة النور الزكية ص ١٢٣.

(٢) بغية الملتمس ١/٧٤، الصلة ٣/٨٣٩ - ٨٤٠، الديباج المذهب ص ٣٧٣ - ٣٧٤، هدية العارفين ٥٨/٢، شذرات الذهب ٢٠٧/٤، شرف الطالب ص ٦٠، شجرة النور الزكية ص ١٢٩.

وكان يعاصره: * أبو عبدالله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لبّ بن بطير (٤٥٨هـ - ٥٢٩هـ) التجيبي: المعروف بابن الحاج، قاضي الجماعة بقرطبة.

كان من جلة الفقهاء وكبار العلماء، بصيراً بالفتوى، رأساً في الشورى، وكانت الفتوى في وقته تدور عليه، وكان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة يسمع الناس فيه، ولم يكن في زمانه أطلب للعلم منه.

تقلد قضاء قرطبة مرتين، ولم يزل آخر مدّته يتولّى القضاء إلى أن قتل ظلماً بالمسجد الجامع يوم الجمعة وهو ساجد^(١).

* أبو عبدالله محمد بن أصبغ بن محمد بن محمد بن أصبغ الأزدي (٥٣٦هـ): قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها، وخاتمة الأعيان بحضرتها.

تولّى خطة أحكام المظالم بقرطبة مع شيخه ابن رشد، وكان يستحضره عنده مع مشيخة الشورى في وقته، ثم تقلد قضاء الجماعة بقرطبة مدة طويلة، ثم صرف عن ذلك وأقبل على التدريس والإسراع.

تولّى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة فأنسى من قبله لحسن قراءته وتمكين صلاته واستمرّ على ذلك إلى أن توفي وهو من أبناء الستين^(٢).

* أبو بكر محمد بن عبدالله المعافري الإشبيلي (٤٦٨هـ - ٥٤٣هـ) المعروف بابن العربي: عالم أهل الأندلس ومسندهم، وختام علمائها.

رحل إلى المشرق رحلة طويلة التقى فيها بكثير من الأعلام، مثل: الغزالي وأبي بكر الشاشي والطرطوشي، ثم عاد إلى إشبيلية بعلم كثير لم يدخل به أحد قبله ممّن كانت له رحلة إلى المشرق.

(١) بغية الملتمس ٧٥/١، الصلة ٨٤٤/٣ - ٨٤٥، شذرات الذهب ٢٤٦/٤، شجرة النور ص ١٣٢.

(٢) الصلة ٨٥٠/٣ - ٨٥١، بغية الملتمس ٧٨/١ - ٧٩.

كان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها، مقدماً في المعارف كلها، نافذاً في جميعها، حريصاً على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها.

سكن بلده وشوور فيه، وسمع، ودرّس الفقه والأصول، وجلس للوعظ والتفسير، ورحل إليه للسمع.

استقضي ببلده إشبيلية فنفذ الله به أهله، ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه.

صنّف تصانيف كثيرة مفيدة، منها: أحكام القرآن، والمحصول في أصول الفقه، والإنصاف في مسائل الخلاف، وغيرها، وذكر في كتابه القبس على موطاً مالك بن أنس أنّه ألف كتاب «أنوار الفجر في تفسير القرآن» في ثمانين ألف ورقة تفرّقت بأيدي الناس وأنه أمضى في تأليفه عشرين سنة^(١).

* أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد (٥٢٠هـ - ٥٩٥هـ) - ابن رشد الحفيد - من أهل قرطبة، وقاضي الجماعة بها، وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع.

أدرك من حياة جدّه شهراً واحداً، وتفقه على أبيه واستظهر عليه الموطأ حفظاً، وتفقه على علماء عصره كالمازري وغيره، حتّى برع، وسمع الحديث وأتقن الطب، وكان يفرّج إلى فتياه في الطب كما يفرّج إلى فتياه في الفقه، وأقبل على علم الكلام والفلسفة، حتّى صار يضرب به المثل فيها.

(١) بغية الملتبس ١/١٢٥ - ١٣١، الصلة ٣/٨٥٥ - ٨٥٧، الديباج المذهب ص ٣٧٦ - ٣٧٨، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٩٤ - ١٢٩٨ وفيات الأعيان ٤/٢٩٦ - ٢٩٧، نفع الطيب ٢/٢٥ - ٤٣، شرف الطالب ص ٦٢، شذرات الذهب ٤/٣٠٨ - ٣٠٩، البداية والنهاية ١٢/٢٢٨ - ٢٢٩، النجوم الزاهرة ٥/٣٠٢، هديّة العارفين ٢/٩٠، شجرة النور ص ١٣٦ - ١٣٨، طبقات المفسرين ص ٤١١ - ٤١٤.

مال إلى علوم الأوائل، وكانت له فيها الإمامة، ولم ينشأ بالأندلس مثله: كمالاتاً وعلماً وفضلاً.

حمدت سيرته في القضاء، وتأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة، ولم يصرفها في ترفيع حال، ولا جمع أموال، وإنما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة، ومنافع أهل الأندلس عامة.

كان مفرط الذكاء، ملازماً للاشتغال بالعلم ليلاً ونهاراً، منذ صغره، لم يدع النظر في الكتب منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه، وليلة بنائه على أهله، وسود فيما صنّف وقيد وهذب واختصر نحواً من عشرة آلاف ورقة.

صنّف تأليف كثيرة نافعة، تنيف على ستين تأليفاً، منها: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لا يعلم في فقه أنفع منه، ولا أحسن سياقاً، ذكر فيه مؤلفه أسباب الخلاف بين الفقهاء، وعلل ووجه، فأفاد وأمتع به^(١).

وقد أهلت شجرة النور الزكية في طبقات المالكية بعدد كبير من أعلام المركز الأندلسي على مدى هذا الدور، فاقت في كثرتها وعدّها أعلام المالكية بسائر المراكز الأخرى - التي هي مصر وإفريقية وفاس - بأضعاف أضعافها، حيث أربت تراجم أعلام الأندلس في الطبقات الثلاث - الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة - عن مائة وخمسين ترجمة، في حين لم يتجاوز عدد من ترجم لهم من أعلام المراكز الأخرى جميعاً سوى الستين ترجمة.

وهذا الفارق الهائل بين أعلام المركز الأندلسي، وبين أعلام مراكز الفقه المالكي الأخرى جميعاً، يعكس بوضوح مدى الازدهار الذي عرفه الفقه المالكي ببلاد الأندلس.

غير أنه والحق يقال، أننا لا نكاد نجد في تلك المجموعة الهائلة من تراجم المركز الأندلسي طوال هذا الدور من هو في منزلة الإمام اللخمي

(١) بغية الملتبس ٧٩/١، النجوم الزاهرة ١٥٤/٦، الديباج المذهب ص ٣٧٨ - ٣٧٩، شذرات الذهب ٣١/٥.

في الاجتهاد والتصرف في المذهب، أو من هو في مكانة الإمام المازري في الاشتغال بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد، أو من هو من طراز ابن بشير في الترفع عن درجة التقليد والتعلق برتبة الاختيار والترجيح، أو من هو في درجة القاضي عياض في اعتماد أسلوب الفقه المبني على الكلام والأصول، إلا إذا استثنينا ثلاثة من تلك المجموعة الهائلة من الأندلسيين، وهم: ابن رشد الجدّ المعترف له بصحة النظر وجودة الفقه، واعتماد طريقة خدمة الفقه بالأنظار والأصول، وابن العربي الذي كان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والنفاز في جميعها، وابن رشد الحفيد الذي كان ختام علماء الأندلس في هذا الدور الفقهي، وآخر أئمتها وفقهائها، بحيث لم تخرج بعده الأندلس فقيهاً مالكيًا كبير القدر عظيم الشأن طيلة العقود الخمسة المتبقية من هذا الدور.

هذه ملاحظة أردنا الإشارة إليها، ولكن عموماً كانت الأندلس طيلة هذا الدور الفقهي تعجّ بأعلام المالكية، وحتى فترة حكم يعقوب المنصور الموخدي، التي عرفت التمكين لمذهب أهل الظاهر على حساب مذهب مالك، فقد كانت مجرد جذوة عابرة سرعان ما انطفأت بموت المنصور، وعاد الناس إلى ما كانوا عليه من الاعتناء بالمذهب المالكي.

ومن الأسماء البارزة التي نلتقي بها من فقهاء الظاهرية:

* أبو عامر العبدري محمد بن سعدون بن مرجى الميورقي (٥٢٤هـ): - نسبة إلى ميورقة - وكان فقيهاً جليلاً، من أعيان علماء الإسلام، ومن أعيان الحفاظ، متصرفاً في فنون من العلوم، يميل إلى الاجتهاد في نظره، ويغلب طريقة الظاهرية على مذهب داود، وفيه قال القاضي أبو بكر بن العربي: هو أنبل من لقيته^(١).

* أبو محمد عبدالله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري

(١) شذرات الذهب ٢١٨/٤ - ٢١٩، تذكرة الحفاظ ١٢٧٢/٤ - ١٢٧٥، البداية والنهاية

الأندلسي (٥٤٩هـ - ٦١٢هـ): وكان موصوفاً بالإتقان، وُلِّي قضاء إشبيلية وقرطبة، وأدب أولاد المنصور^(١).

* أبو خطاب عمر بن حسن بن محمد الجميل بن فرح بن خلف الداني ثم السبتي (٥٤٦هـ - ٦٣٣هـ) المعروف بابن دحية: الذي جال في مدن الأندلس ومدن العدو، وكان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، لكنّه كان يثلب علماء المسلمين ويقع في أئمة الدين بدعاوي مدحضة وعبارات مبغضة، فترك الناس كلامه، وكذبوه^(٢).

- ٧ - اليمن وبلاد الحجاز:

نشط باليمن وبالجزيرة خلال هذا الدور الفقهي المذهبان الشافعي والزيدي نشاطاً واسعاً، وكان أشهر علماء اليمن من الشافعية:

* محمد بن عبدويه (٥٢٥هـ): الذي تفقّه بأبي إسحاق الشيرازي ببغداد، وقرأ عليه كتابه المهذب، ونكته في الأصول والجدل، وهو أول من دخل بكتاب المهذب إلى اليمن.

سكن عدن، ثمّ انتقل إلى زبيد، ثمّ خرج إلى كرمان وأقام بها إلى أن توفّي، وكان الله قد رزقه مالا واسعا فكان ينفق منه على طلبة العلم.

صنّف الإرشاد في أصول الفقه، وكان له ولد عالم في الأصول والفقه، تفقّه بأبيه، ومات قبله^(٣).

* أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم بن سعيد العمراني اليمني (٤٨٩هـ - ٥٥٨هـ): شيخ الشافعيين بإقليم اليمن، تفقّه على أعلام

(١) شذرات الذهب ١٢٩/٥، تذكرة الحفاظ ١٣٩٧/٤ - ١٣٩٩، الديباج المذهب ص ٢٣١، شجرة النور الزكية ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) شذرات الذهب ٢٦٨/٥ - ٢٦٩، وفيات الأعيان ٤٤٨/٣ - ٤٥٠، تذكرة الحفاظ ١٤٢٠/٤ - ١٤٢٢، البداية والنهاية ١٤٤/١٣ - ١٤٥، النجوم الزاهرة ٢٩٥/٦ - ٢٩٦.

(٣) شذرات الذهب ٢٢٥/٤.

اليمن مثل: أبي الفتوح بن عثمان العمراني، وزيد بن عبدالله اليفاعي.
كان عالماً خيراً، مشهور الاسم، بعيد الصيت، عارفاً بالفقه وأصوله،
وأعرف أهل الأرض بتصانيف أبي إسحاق الشيرازي، ويحفظ المهدّب عن
ظهر قلب.

ناظر بمكة الشريف محمد بن أحمد العثماني في مسائل علمي الفقه
والكلام، وفي اليمن أقام بذى أشرق يدرّس المذهب وينشر العلم إلى سنة
٥٤٩هـ.

كان من أحسن العلماء تعليماً، وكانت طريقته في ذلك أن يقرّر
للطالب الفصل من كتاب المهدّب، ويقرأه هو على الطالب حفظاً ثمّ ينّبّه
على مواطن الخلاف مع مالك وأبي حنيفة خاصة، وقد يذكر أحياناً معهما
غيرهما، ثمّ يذكر احترازات المهدّب، ثمّ يتطرّق إلى بيان الأدلة، ويقرّر
الأقيسة بأوضح عبارة، ويكرّرها بعبارات مختلفة إلى أن ترسخ في ذهن
الطالب.

ومنذ آخر سنة ٥٤٩هـ انتقل إلى سير بسبب الفتن والحروب، ثمّ
خرج منها إلى ذي سفال بسبب التباضغ والتحاسد بين الفقهاء، وبقي بها
إلى حين وفاته.

صنّف كتاب الزوائد ابتداء سنة ٥١٧هـ، ومكث فيه قرابة أربع سنين،
ثمّ صنّف كتاب البيان ابتداء سنة ٥٢٨هـ، وفرغ منه سنة ٥٣٣هـ، وله
السؤال عمّا في المهدّب من الإشكال، كما صنّف كتاب الاحترازات
وغرائب الوسيط^(١).

وكان ممّن صحبه في الطلب:

* عمر بن إسماعيل بن يوسف اليميني (٥٥٣هـ): الفقيه الإمام

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣٣٦/٧ - ٣٣٨، شذرات الذهب ٣٦٣/٤ - ٣٦٤.

الورع، الذي أخذ عن الإمام زيد بن الحسن الفايشي المهدّب وأصول الفقه^(١).

* القاضي أبو بكر بن محمد بن عبدالله اليافعي (٥٥٢هـ): الذي روى عن أبيه وجدّه كتاب الرسالة للشافعي، ومختصر المزني، ووليّ قضاء اليمن^(٢).

وأما المذهب الزيدي فاشتهر منهم:

إسحاق بن يوسف بن يعقوب الصردفي (٥٠٠هـ): - نسبة إلى صردف باليمن - وكان له ابنتان، زوّج إحداهما الفقيه زيد بن عبدالله اليافعي، فأنجبت منه هندة أمّ محمد بن سالم الإمام بجامع ذي أشرق، ولذلك صارت كتب زيد اليافعي بأيديهم، إذ لم ترثه غير هندة، وتزوج الأخرى إمام مسجد الجند حسان بن محمد، فأنجبت له ولداً، الذي ورث بعض كتب جدّه إسحاق.

صنّف كتاب الكافي في الفرائض لم يسبق إلى تدريجه للمبتدئ^(٣).

زيد بن عبدالله بن جعفر اليفاعي اليمني (٥١٤هـ): - نسبة إلى يفاعه مكان باليمن - تفقّه على الشيخ أبي بكر بن جعفر المخائي - نسبة إلى مخا من سواحل اليمن -، وتفقّه كذلك على أبي إسحاق الصردفي - المتقدّمة ترجمته - الذي زوّجه ابنته.

ورحل زيد بعد ذلك إلى مكّة فقرأ على الحسين بن عليّ الشاشي تلميذ أبي إسحاق الشيرازي، ثمّ عاد إلى نجد فاجتمع عليه الموافق والمخالف من أهل اليمن، وقرأ عليه يحيى بن أبي الخير^(٤).

(١) شذرات الذهب ٤/٣٤٢.

(٢) شذرات الذهب ٤/٣٣٤ - ٣٣٥.

(٣) شذرات الذهب ٤/١٢٨ - ١٢٩.

(٤) شذرات الذهب ٤/١٨٣ - ١٨٤.

أما بالحرمين، فقد ذكر ابن السبكي في طبقاته: أن الناس منذ سنة ٥٦٣هـ كانوا يخطبون في مسجد رسول الله ﷺ ويصلون على مذهب الإمام الشافعي^(١) غير أنه قلما كُتبا نجد علماء من غير الوافدين، الذين كانوا يترددون على مكة والمدينة في موسم الحج أو يدخلون مكة للعمرة، ويمكنون هناك ينشرون علومهم.

ومن أمثال هؤلاء:

الفقيه الشافعي: أبو عبدالله محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي النيسابوري (٤٤١هـ - ٥٣٠هـ): مسند خراسان، الملقب كمال الدين والمعروف بفقيه الحرم لأنه أقام بالحرمين مدة طويلة ينشر العلم ويسمع الحديث ويعظ الناس.

كان فقيهاً شافعيًا، محدثًا متفتنًا، ومناظرًا واعظًا، وإمامًا مفتيًا، بارعا في الفقه والأصول حافظاً للقواعد أظهر العلم بالحرمين، حتى كان له فيهما ذكر وصيت، ثم عاد إلى بلده نيسابور^(٢).

والفقيه الحنبلي: أبو محمد المبارك بن علي الطباخ البغدادي (٥٧٥هـ): نزيل مكة، وإمام الحنابلة بالحرم، الذي سمع الكثير ببغداد، وتفقه بالقاضي أبي الحسين، ثم وفد على مكة، فكان حافظ مكة في زمانه والمشار إليه بالعلم بها، واستقر بمكة إلى حين وفاته بها^(٣).

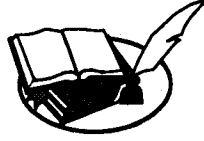
والفقيه المالكي: أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني، ثم المصري (٦٣٦هـ): تلميذ الشيخ أبي عبدالله القرشي، درس بمصر وأفتى، ثم جاور بمكة مدة.

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٣٢٧/١.

(٢) وفيات الأعيان ٢٩٠/٤ - ٢٩١، طبقات الشافعية الكبرى ١٦٦/٦ - ١٧٠، شذرات الذهب ٢٤٩/٤، البداية والنهاية ٢١١/١٢، هدية العارفين ٨٧/٢.

(٣) شذرات الذهب ٤٣٧/٤.

يحكى أنّ أهل المدينة أجدبوا، فاتّفق رأيهم أن يستسقوا يوماً والغرباء يوماً، فاستسقى أهل المدينة يومهم فلم يسقوا، ثمّ عمل هو طعاماً للضعفاء واستسقى مع المجاورين فسقوا، وكانت وفاته بمكّة^(١).



(١) شذرات الذهب ٢٩٢/٥، النجوم الزاهرة ٣١٤/٦.

حركة تدوين الفقه في هذا الدور

رغم أنّ المظهر العام الذي اتّسم به هذا الدور، هو انتشار روح التقليد، والاعتكاف على دراسة كتب الأئمة السابقين، شرحاً أو اختصاراً أو جمعاً، فإنّ ثلّة من بين فقهاء هذا الدور استطاعوا أن يدخلوا روحاً جديدة على تلك الطريقة التي كان يسير عليها أقرانهم في دراسة الفقه.

تمثّلت هذه الروح الجديدة في إدخال عنصر النقد والتنقيح والاختيار في دراسة المسائل الفقهية، بحيث أصبحت الأقوال المختلفة في كلّ مسألة مصنّفة تصنيفاً تقديرياً، منها ما هو أولى، ومنها ما هو راجح، ومنها ما هو أصحّ، إلى غير ذلك.

وبهذا الوضع الجديد للفقه في هذا الدور، تعتبر المذاهب الفقهية قد تكوّنت تكوّناً جديداً، بناء على أنّ ما عليه الفقهاء من بعد هذا التصنيف التقديري للأقوال، قد أصبحوا فيما بعد هذا الدور عالة على هذا الوضع الفقهي، وعلى الأوضاع المهمة التي ترجع إلى فقهاء هذا الدور^(١).

وبناء على ما تقدّم فإنّ حركة تدوين الفقه في هذا الدور قد سارت في اتجاهين اثنين:

اتّجاه محافظ: ركّز جهده على دراسة المصنّفات القديمة شرحاً وتعليقاً وتنبهياً، أو اختصاراً ونظماً، أو جمعاً وترتيباً.

(١) محاضرات مغاربية ص ٨١ - ٨٢، بتصرّف.

وأتجاه تجديدي: ظهر في ثوب جديد، وركز عمله في دراسة الفقه على عنصر النقد والتنقيح والاختيار.

أما الاتجاه الأول: فقد ملأ أعلامه صدر هذا الدور، وكانت مصنفاتهم من الكثرة بحيث لا يلحقها حصر ولا يستوعبها عدّ، وكان همهم منصباً على مناقشة وتفسير الألفاظ، والإيغال في ضبط الحروف على مقتضى القواعد النحويّة، وتتبع الأقوال والاكتفاء بجمعها والإحاطة بها في حلقة مفرغة من المدّ والجزر، وأكثر أعمالهم هي تصرّفات على الأصل بنوع من التغيير أو الترتيب أو الزيادة كما هو دأب أغلب الفقهاء في هذا الدور، دون التجرؤ على النقد والمقارنة، أو الاختيار والترجيح من خلال تلمس العلل ومقاصد الشريعة.

وفي ما يلي عرض سريع لنماذج من هذه التصانيف:

ففي المذهب الحنفي^(١): صنف أبو الحسن عليّ بن أبي بكر المرغيناني (٥٩٣هـ) كتاب بداية المبتدي وهو مختصر فقهي جمع فيه بين مختصر القدوري والجامع الصغير لمحمد بن الحسن، واختار ترتيب الجامع، ثم شرح مختصره في كتاب سماه كفاية المنتهي.

وصنف ركن الدين عبدالرحمن بن محمد المعروف بابن أميرويه الكرمانني (٥٤٣هـ) كتاب التجريد في الفقه، ثم شرحه وسماه الإيضاح، وقام بشرحه أيضاً تاج الدين عبدالغفار بن لقمان الكردي (٥٦٢هـ) وسماه المفيد والمزيد.

وصنف ناصر الدين أبو القاسم محمد بن يوسف الحسيني السمرقندي (٥٥٦هـ) كتاب الملتقط في فتاوى الحنفيّة، ثم شاكله وجنّسه جلال الدين محمود الأسروشنني من غير زيادة عليه ولا نقصان في سنة ٦٠٣هـ وأملاه تماماً سنة ٦١٦هـ بسمرقند.

(١) كشف الظنون ٢٢٥/١، و٢٩٩/١، و٣٣١/١، و٦٥٥/٢.

ومن الكتب المجردة في هذا الدور كتاب التذكرة المشهور بالتذكرة المعظميّة، نسبة إلى سلطان الشام الملك المعظم عيسى بن أيوب، الذي أمر فقهاء الحنفيّة أن يجردوا له مذهب أبي حنيفة دون صاحبيه، فصنّفوا له كتاب التذكرة في عشر مجلّدات.

واعتنى الحنفيّة بالجامعين الصغير والكبير لمحمد بن الحسن أيّما اعتناء، فأما الجامع الصغير^(١) فشرحه فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي (٤٨٢هـ) شمس الأئمّة أبو بكر السرخسي (٤٩٠هـ) وأبو الأزهر الخجندي (حدود ٥٠٠هـ) والحسن بن منصور الأوزجندي الفرغاني (٥٩٢هـ) المشهور بقاضي خان وأبو بكر أحمد بن عليّ المعروف بالظهير البلخي (٥٥٣هـ) وحسين بن محمد المعروف بالنجم (٥٨٠هـ) وتاج الدين عبدالغفار بن لقمان الكردي (٥٦٢هـ) وأبو سعيد مطهر بن حسن اليزدي، وسماه التهذيب، وفرغ من تأليفه في سنة ٥٥٩هـ، والقاضي مسعود بن حسين اليزدي (٥٧١هـ)، سماه التقسيم والتشجير في شرح الجامع الصغير، وأبو نصر أحمد بن محمد العتّابي البخاري (٥٨٦هـ).

وقام الصدر الشهيد حسام الدين عمر بن عبدالعزيز بن مازة (٥٣٦هـ) بترتيب مسائل الجامع الصغير، وعرف كتابه بجامع الصدر الشهيد، ثمّ قام الحنفيّة بالاعتناء بهذا الجامع وصنّفوا عليه شروحات كثيرة، كشرح بدر الدين عمر بن عبدالكريم الوردسكي (٥٩٤هـ) وأبي نصر أحمد بن منصور الأسبيجاني (٥٠٠هـ) وجمال الدين محمود بن عبدالسيد الحصري (٦٣٦هـ) ومرتب لأبي المعين ميمون بن محمد (٥٠٨هـ) النسفي، وصدر الإسلام أبي يسر البزدوي (٤٩٣هـ).

كما وقع الاعتناء بنظم الجامع الصغير، مثل: نظم نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي (٥٣٧هـ) ونظم شمس الدين أحمد بن محمد بن أحمد العقيلي البخاري (٦٥٧هـ) ونظم بدر الدين أبي نصر

(١) كشف الظنون ٤٤٣/١ - ٤٤٦.

محمود - وقيل مسعود - بن أبي بكر الفراهي الذي أتمه في سنة ٦١٧هـ،
وسمّاه لمعة البدر.

وأما الجامع الكبير، فقد اعتنى به من أعلام هذا الدور^(١): جمال
الدين محمود بن أحمد (٦٣٦هـ) البخاري الذي شرحه في مناسبتين،
أحدهما: مختصره الذي زاد فيه على ما في الجامع زهاء ١٦٣٠ من
المسائل، وبالغ في الإيضاح بالنظائر والشواهد وإيراد الفروق، بأوجز
العبارات تسهيلاً للحفظ، وثانيهما: المطوّل الذي بلغ في الجمع والتحقيق
الغاية، وهو المسمّى بالتحريّر في شرح الجامع الكبير.

كما شرح الجامع الكبير أيضاً، أبو نصر أحمد بن محمد بن عمر
العتابي البخاري (٥٨٦هـ) وافتخار الدين عبد المطلب بن الفضل
الهاشمي الحلبي (٦١٦هـ) وأبو بكر أحمد بن منصور (حدود ٥٠٠هـ)
الأسبيجاني، وأبو بكر محمد بن حسين المعروف بخواهر زادة البخاري
(٤٨٣هـ) وعلاء الدين محمد بن عبد الحميد (٥٥٢هـ) السمرقندي، وفخر
الدين حسن بن منصور الشهير بقاضي خان (٥٩٢هـ) وركن الدين أبو
الفضل عبدالرحمن بن محمد الكرمانى (٥٤٣هـ) وبرهان الدين علي بن
أبي بكر المرغيناني (٥٩٣هـ) والقاضي محمد بن الحسين الأرسابندي
(٥١٢هـ) وأبو المظفر يوسف بن قزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي
(٦٥٤هـ) والصدر الشهيد حسام الدين عمر بن عبدالعزيز بن مازة
(٥٣٦هـ) وله تلخيصه، وممن لخص الجامع الكبير أيضاً كمال الدين بن
عباد الخلاطي (٦٥٢هـ).

وعلى الجامع الكبير منظومات منها: نظم أحمد المحمودي النسفي
الذي أحكم نظمه، ثم بنى عليه النشر، ثم لخص للنظم نسخة، وطرح
النشر، وأورد في كلّ باب قصيدة، وأتمه في سنة ٥١٥هـ وعدد أبياته
٥٥٥٥ بيتاً وشرح هذا المنظوم أبو القاسم محمود بن عبيدالله بن صاعد

(١) كشف الظنون ١/٤٤٨ - ٤٥٠.

الحارثي (٦٠٦هـ) وسمّاه تفهيم التحرير، ومنها: نظم أبي الحسن عليّ بن خليل الدمشقي (٦٥١هـ).

وصنّف علماء الحنفيّة في هذا الدور مصنّفات حاولوا فيها استيعاب أهمّ كتب الفقه الحنفي، والإحاطة بكلّ مصنّفات أصحابهم^(١) كالجامع الكبير لفخر الإسلام البزدوي، والجامع الكبير لقطب الدين أبي الحسن عليّ بن محمد الأسبيجاني، والجامع الكبير لعلاء الدين السمرقندي والجامع الكبير لفخر الدين قاضي خان والجامع الكبير في الفتاوى لناصر الدين أبي القاسم محمد بن يوسف السمرقندي (٥٥٦هـ) وكان قد أتمّه في سنة ٥٤٨هـ، وخزانة الأكمل لأبي يعقوب يوسف بن عليّ بن محمد الجرجاني الذي ذكر أنّ كتابه هذا قد أحاط بأغلب تآليف الأصحاب، واستوعب الكافي للحاكم والجامعين والزيادات لمحمد بن الحسن والمجرّد لابن زياد والمنتقى والكرخي وشرح الطحاوي، وآته قد اتّفق بدايته يوم عيد الأضحى سنة ٥٢٢هـ.

وفي المذهب المالكي كان الاعتناء موجّهاً بالخصوص إلى المصادر التي كان عليها الاعتماد في المذهب فعكف عليها المالكيون شرقاً وغرباً، منها:

رسالة ابن أبي زيد القيرواني: التي تداول الفقهاء عبر الأدوار على شرحها بتحقيق مبانيها وتحرير معانيها، وأشهر الذين اعتنوا بها في هذا الدور^(٢): أبو محمد صالح بن جنون (٦٥٣هـ) الفاسي، وأبو عبدالله محمد بن قاسم الفاسي (٦٥٣هـ) في تقييدهما على الرسالة، وممّن شرحها أيضاً: عبدالله بن أحمد بن سعيد العبدري البلنسي المعروف بابن أبي الرجال (٥٦٦هـ) وأبو بكر محمد بن عبدالله المعافري (٥٤٣هـ)، وأبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (٥٢٠هـ) وأبو بكر بن عبدالله

(١) كشف الظنون ٤٥١/١ و٥٣٩.

(٢) مقالة بعنوان دراسة بيبليوغرافية لأهمّ شروح الرسالة، للدكتور الزين الفيلاي (ملتقى ابن أبي زيد بالقيروان ١٤١٣/١٩٩٣).

اليابري الإشبيلي (٥١٩هـ).

واعتنوا بمدونة الإمام سحنون، فصنّف عبدالحميد ابن الصائغ (٤٨٦هـ) تكميلاً لتعليق أبي إسحاق التونسي على المدونة، وشرحها أبو طاهر إبراهيم بن عبدالصمد القيرواني (كان حيّاً سنة ٥٢٦هـ) المعروف بابن بشير، في كتابه المسمّى التنبيه على مبادئ التوجيه، وصنّف القاضي عياض كتاب التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة والمختلطة، وكان اعتناؤهم موجّهاً إلى شرح الكلمات المشكّلة ممّا اشتملت عليه كتب المدونة والمختلطة، وأبو الحسن عليّ بن سعيد الرجرجي (كان حيّاً سنة ٦٣٣هـ) صاحب مناهل التحصيل ونتائج لطائف التأويل على كشف أسرار المدونة، وهو شرح لخص فيه ما وقع للأئمّة من التأويلات، واعتمد في ذلك على القاضي ابن رشد والقاضي عياض وتخريجات أبي الحسن اللخمي، وعاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن حكم الأنصاري (٥٦٧هـ) في كتابه الجامع البسيط وبغية الطالب النشيط، الذي شرح به المدونة مسألة مسألة وحشد فيه أقوال العلماء، وأبو عبدالله محمد بن أبي الخيار العبدري (٥٢٩هـ) في كتابه التنبيه على المدونة، واختصرها عبدالله بن عبدالرحمن بن عمر المعري (٦٦٩هـ) على وجه غريب وأسلوب عجيب من النظم والترتيب^(١).

وأقبلوا على كتاب التفرّيع لابن الجلاب، فشرحه من أعلام هذا الدور^(٢): عبدالله بن محمد بن طريف السرقسطي الأندلسي المعروف بحفيد هاشم (ق ٥هـ) وإبراهيم بن عبدالصمد بن بشير المهدي (كان حيّاً سنة ٥٢٦هـ) ونفيس الدين مكّي بن عوف بن أبي طاهر (ق ٦هـ) وعليّ ابن أحمد بن محمد الغساني (٦٠٩هـ) وسمّاه الترصيع في شرح مسائل التفرّيع، ومحمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن التلمساني (٦٥٦هـ) وعبدالله بن

(١) مقالة بعنوان: حضور المدونة الكبرى في المؤلفات والحلقات الدراسية المالكية للأستاذ محمد المنوبي (ملتقى الإمام سحنون ١٤١٢هـ/١٩٩١).

(٢) التفرّيع لابن الجلاب، دراسة المحقّق ص ١٥٢ - ١٥٣.

عبدالرحمن بن عمر المعري (٦٦٩هـ) وسمّاه البديع.

وصنّف رجل المختصرات جمال الدين بن عمر المعروف بابن الحاجب (٦٤٦هـ) كتابه جامع الأمّهات المشهور بمختصر ابن الحاجب، أو المختصر الفرعي - في مقابلة المختصر الأصلي -، وهو كتاب جليل اختصره من ستّين مصدرا من مصادر الفقه المالكي، وجمع فيه أكثر من ستّين ألف مسألة في مقدار وجيز من الكلام، أتى فيه بعج العجاب، واعتنى علماء الدور القادم بشرحه شرقا وغربا^(١).

وفي المذهب الشافعي^(٢): صنّف أبو سعيد عبدالرحمن بن مأمون المتولّي (٤٧٨هـ) التتمّة على إبانة شيخه الفوراني وصل فيها إلى كتاب الحدود، وجمع فيها نوادير المسائل وغرائبها ممّا لا تكاد توجد في غيرها، ثمّ صنّف أبو الفتوح أسعد بن محمد العجلي (٦٠٠هـ) تتمّة التتمّة، وكان عليها الاعتماد في الفتوى بأصفهان، ولتتمّة المتولّي تتمّات آخر لجماعة من العلماء لم يأتوا فيها بالمقصود.

وصنّف حسين بن سعود البغوي (٥١٦هـ) التهذيب في الفقه، وهو كتاب مجرّد عن الأدلّة غالبا، لخصه من تعليق شيخه القاضي حسين، وزاد فيه وأنقص، ثمّ لخصه حسين بن محمد المروزي الهروي في كتاب سمّاه لباب التهذيب واشتمل على مزيد التنقيح والترتيب، واختصره كذلك الشهاب أحمد بن محمد الإسكندراني (٦٨٣هـ) المعروف بابن المنير.

ولكتاب الشامل لابن الصبّاغ (٤٧٧هـ) الذي يعتبر من أجود كتب الشافعيّة وأصحّها نقلاً، شروح وتعليقات عديدة، ولكتاب العمدة لأبي بكر الشاشي (٥٠٧هـ) كذلك شروح عديدة.

وشرح الكافي للزبير (٣١٧هـ) جماعة من أعلام الشافعيّة، منهم: نصر بن إبراهيم (٤٩٠هـ) المقدسي، وأبو المحاسن الروياني (٥٠٢هـ)

(١) محاضرات مغاربيّة ص ٨٤ - ٨٥، الديباج المذهب ص ٢٩٠.

(٢) كشف الظنون ٦٧/١، و٤١٥/١، و٦١/٢، و١٧٣، و٣٣٣، و٥٢٤ - ٥٢٥.

ومعين الدين بن إبراهيم السهيلي الجاجرمي (٦١٣هـ) وهي شروح خالية من الاستدلال على طريقة البغوي في تهذيبه.

واعتنى أعلام الشافعية في هذا الدور بمختصر الإمام المزني ووضعوا عليه الشروح العديدة، كما وضع الذين من قبلهم، وكان من أشهرهم: أبو بكر الشاشي (٥٠٧هـ) في كتابه الشافي، وشمس الدين محمد بن أحمد (٦٤٩هـ) وعبدالجبار بن عبدالغني بن علي بن أبي الفضل (٦٢٤هـ) الأنصاري.

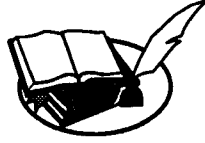
وفي المذهب الحنبلي^(١): صنّف عبدالوهاب بن عبدالواحد بن محمد بن عليّ الشيرازي، ثمّ الدمشقي (٥٣٦هـ) المنتخب والمفردات، وصنّف عليّ بن عبدالله بن نصر بن السري الزعفراني البغدادي (٥٢٧هـ) الإقناع والواضح والمفردات والتلخيص، وصنّف محمد بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني (٦٢٢هـ) كتاب البلغة والتلخيص وشرح الهداية لأبي الخطاب الكلوذاني، وصنّف محمد بن عبدالله بن الحسين السامري (٦١٠هـ) كتاب المستوعب، وصنّف محمد بن عليّ بن محمد بن عثمان بن مرق الحلواني (٥٠٥هـ) كتاب كفاية المبتدي، وصنّف يحيى بن يحيى الأزجي (حدود ٦٠٠هـ) نهاية المطلب في علم المذهب، هذا فيه حذو نهاية المطلب لإمام الحرمين، وأكثر استمداده من المجرد للقاضي أبي يعلى، والفصول لابن عقيل، وفيه أشياء ساقطة لا تحقيق فيها.

وهكذا شحنت هذه المصنّفات المطوّلة بآلاف المسائل الفقهية، وأغلب هذه الحصيلة العظيمة من التصانيف تصرفات على الأصل بنوع من التغيير أو الترتيب أو الزيادة كما هو دأب أغلب الفقهاء في هذا الدور.

وأما أصحاب الاتجاه الثاني: فقد عولوا على دراسة الأقوال وتمحيصها، وتفصيل الأدلة على طريقة أهل النظر والاختيار والترجيح، وقد

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤١٥ - ٤٢٠.

تصدى لهذا العمل كلّ من وصف بالاجتهاد والتجديد في المذهب، وعرف بدقّة النظر والتحقيق، واشتهر بالبراعة في سبك الخلاف وتحريره. وفيما يلي لمحة عن حركة التدوين في المذاهب الأربعة عند أصحاب هذا الاتجاه.



حركة التدوين في المذهب الحنفي

١ - المبسوط:

هذا الكتاب لشمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (٤٨٣هـ) من أعظم الكتب المطبوعة في المذهب الحنفي، شرح به كتاب الكافي للحاكم الشهيد محمد بن محمد المروزي (٣٣٤هـ) إمام الحنفية في وقته.

والكافي كتاب معتمد في نقل المذهب، جمع فيه صاحبه كتب محمد بن الحسن الشيباني وما في جوامعه.

وقد قام جماعة من مشائخ الحنفية بشرحه، منهم الإمام السرخسي في كتابه المشهور بالمبسوط، الذي أملاه من ذاكرته وهو في السجن بأوزجندة بفرغانة، وفي مقدمة كتابه يقول السرخسي: «فرايت الصواب في تأليف شرح المختصر، لا أزيد على المعنى المؤثر في بيان كل مسألة، اكتفاء بما هو المعتمد في كل باب، وقد أضمت إلى ذلك سؤال بعض الخواص من أصحابي زمن حبسي حين ساعدوني لأنسى، أن أملي عليهم ذلك فأجبتهم».

ومنهج السرخسي في مبسوطه يتمثل في ذكر المسألة الفقهية وإقامة الأدلة عليها والانتصار لمذهب الأحناف فيها، ثم يبسط أقوال بعض المذاهب الأخرى وخاصة منهم الشافعية والمالكية، وأحياناً قد يتطرق إلى

الحنابلة والظاهرية، ويعرض أدلتهم في المسألة، ثم يعمد إلى مناقشتها ودحضها.

ومع ذلك فقد نلمس فيه أحياناً ميلاً إلى أقوال غير الحنفيّة، بما يستدلّ عليه من حجج قويّة، ولا غرابة في ذلك إذ هو معدود من أئمة الاجتهاد في عصره.

وإذا أطلق المبسوط في شروح الهداية وغيرها أريد به مبسوط السرخسي^(١).

- ٢ - تحفة الفقهاء:

هذا الكتاب لعلاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، زاد فيه صاحبه على مختصر القدوري، ولكّنه جاء دون مبسوط السرخسي في الطول، فهو وسط بين مختصر القدوري ذلك المتن المتين، وبين مبسوط السرخسي المشهور بالتطويل.

رتّب السمرقندي كتابه على أحسن ترتيب، واستوعب فيه أقوال أئمة الحنفيّة، وقارن بينها وبين أقوال الشافعيّة، وانتصر لمذهبه وعماده في ذلك الاحتجاج والاستدلال.

والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور زكيّ عبدالبرّ في ثلاثة أجزاء، ثمّ أعيد طبعه في أجزاء أربعة بعد أن قام بتخريج أحاديثه كلّ من الشيخ السيّد محمد المنتصر الكتاني، والدكتور وهبة الزحيلي^(٢).

- ٣ - بدائع الصنائع:

لأبي بكر بن مسعود الكاساني (٥٨٧هـ)، وعنوان الكتاب كاملاً:

(١) كشف الظنون ٢/٣٣٣، ٤٨٣، المبسوط، ط ٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

(٢) كشف الظنون ١/٣١٦، تحفة الفقهاء ١/٢٢، الطبعة ٢، سنة ١٩٦٤، دمشق.

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، صنفه صاحبه شرحاً على تحفة الفقهاء لشيخه السمرقندي، ولما أتمّ الشرح عرضه عليه، فاستحسنه الشيخ وزوجه ابنته، فقيل شرح تحفته وتزوج ابنته.

وهذا الشرح - كما قال حاجي خليفة - تأليف يطابق اسمه معناه، ذكر فيه أنّ المشائخ لم يصرفوا همهم إلى الترتيب سوى أستاذه، والغرض الأصلي من التصنيف في كلّ فنّ، تيسير سبيل الوصول إلى المطلوب، ولا يلتئم هذا المرام إلاّ بترتيب تقتضيه الصناعة، وهو التصفّح عن أقسام المسائل وفصولها وتخريجها على قواعد أصولها ليكون أسرع فهماً.

ولذلك نرى الكاساني قد رتبّ المسائل في الكتب والأبواب ترتيباً جديداً يرتضيه أرباب الصناعة، إلاّ أنّه أدمج الشرح بالمتن حتّى أنّه لم يعد القارئ يستطيع التمييز والفصل بينهما.

ومنهج الكاساني يعتمد على عرض المسألة الفقهية على ضوء المذهب الحنفي، ثمّ يذكر أدلّة المعارضين له وخاصّة المذهب الشافعي، ويبسط أدلّتهم في المسألة، ويتنصر للمذهب الحنفي.

وقد يعرض أحياناً لأقوال بعض التابعين، كقوله: «قال عاقمة أهل التأويل: إنّ الحقّ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [من سورة الأنعام الآية ١٤١] هو الزكاة، قاله الحسن - أي البصري - وقتادة وجابر بن زيد - تلميذ ابن عباس - وغيرهم»^(١).

- ٤ - الهداية:

لبرهان الدين أبي الحسن عليّ بن أبي بكر المرغيناني (٥٩٣هـ) والكتاب شرح على متن مختصر له سمّاه بداية المبتدئ، وقد جمع في مختصره بين مختصر القدوري والجامع الصغير، وشرحه شرحاً مطوّلاً سمّاه

(١) كشف الظنون ٣١٦/١ - ٣١٧، بدائع الصنائع ٩٢٥/٢، نشر زكرياء عليّ يوسف،

كفاية المنتهي، وحين كاد يتكوى عنه اتكاء الفراغ تبين فيه نبذا من الإطناب، فصرف العنان والعناية إلى شرح آخر موسوم بالهداية جمع فيه بين عيون الرواية ومتون الدراية تاركاً للزوائد في كل باب معرضاً عن هذا النوع من الإسهاب مع ما يشتمل على أصول ينسحب عليها فصول.

وقد شرح المرغيناني في كتابه الهداية مسائل الجامع الصغير ومختصر القدوري، ورتبه كترتيب الجامع الصغير لمحمد ابن الحسن تبركا بما اختاره صاحب أبي حنيفة، ومتى خالف روايته رواية القدوري صرح بلفظ الجامع الصغير، وإذا قال: قال في الكتاب، أراد القدوري.

وكتاب الهداية من الكتب المعتمدة في المذهب الحنفي، بلغ فيه صاحبه رتبة الاجتهاد في المذهب، إذ أن من عاداته في هذا الكتاب أن يحزر كلام الإمامين من المدعي والدليل، ثم يحزر مدعي الإمام الأعظم ويبسط دليله، بحيث يخرج الجواب من أدلتها، فإذا كان تحريره مخالفا لهذه العادة، يفهم منه الميل إلى ما ادعى الإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن.

وقد روي أنه بقي في تصنيف كتاب الهداية ثلاث عشرة سنة، وكان خلال تلك المدة دائم الصيام، يجتهد أن لا يطلع على صومه أحد، فكان كتابه مقبولا بين العلماء ببركة زهده وورعه، حتى قيل في شأنه:

إن الهداية كالقرآن قد نسخت ما صنفوا قبلها في الشرع من كتب
فاحفظ قواعدها واسلك مسالكها يسلم مقالك من زيغ ومن كذب

وللمرغيناني آداب واختيارات نبه عليها الشراح، وقد اعتنى بشرحه الفقهاء، وأول من شرحه هو: حميد الدين علي بن محمد بن علي الضرير البخاري (٦٦٧هـ) وسماه الفوائد^(١).

(١) الهداية شرح بداية المبتدي ١١/١، كشف الظنون ٢٢٥/١، ٨١٦/٢ - ٨١٧.

حركة التدوين في المذهب المالكي

١ - التبصرة:

لعلّي بن محمد الربيعي القيرواني الصفاقسي (٤٧٨هـ) وكتابه التبصرة تعليق كبير على المدونة مشهور معتمد في المذهب، حاذى به المدونة نفسها، فيه علم غزير، وتقييد المطلقات، وتخصيص العمومات.

وقد اعتمد الإمام اللخمي في التبصرة على نقد الأقوال من ناحية إسنادها، حيث يعتبر أنّ أحد القولين أصحّ من القول الآخر - أي إسناداً - وأحياناً ينتقدها من ناحية رشاقة استخراجها من الأصول التي استخرجت بها وهو ما يعبر عنه بالأولى، فيقول أحياناً: وهذا أولى، أو ينظر إلى أنّه الأقرب إلى تحقيق المصلحة المرعية من الشرع في تفريع ذلك الحكم، وهو ما يقول فيه أحياناً: وهذا أرفع.

واشتهر اللخمي في هذا المعنى من التصرف في المذهب، حتّى أنّ المتأخرين جعلوا تصرفات اللخمي في المذهب المالكي، وما يأتي به من القول: اختياراً، فكان مقدّماً بتخريج الخلاف داخل المذهب المالكي، واستقراء الأقوال، ولكثرة اختياراته ربّما خرج ببعضها عن المذهب، وأتبع نظره فيما ترجّح عنده من أدلّة.

ولهذا السبب كان شيخه السيوري يسيء الرأي فيه كثيراً، ويطعن في هذا الكتاب، وانتقده أيضاً القاضي عياض، كما انتقده المقري الكبير من وجه آخر، ودافع عنه الهلالي أحمد بن عبدالعزيز فيما شرحه من المختصر

الخليلي: «بأنَّ المحققين من المتأخرين أكثروا من النقل لنصوص التبصرة وما لوحظ عليها نادر بالنسبة لغالبية الكتاب»^(١).

٢ - التنبيه على مسائل التوجيه:

لأبي الطاهر إبراهيم بن عبدالصمد المعروف بابن بشير (كان حيًّا سنة ٥٢٦هـ) وكتابه هذا، شرح على المدونة مشى فيه على استنباط أحكام الفروع من قواعد أصول الفقه، وسار فيه على منهج الاختيار والترجيح وذكر أنَّ من أحاط به علماً ترقى عن درجة التقليد.

وقد درج ابن بشير في كتابه هذا، على نفس الطريقة النقدية التي كان قد أسس منهجها الإمام اللخمي، حيث كان يتصرّف في الفقه تصرّف تنقيح، وانتصب في مختلف الأقوال انتصاب الحكم الذي يقضي بأنَّ هذا مقبول، وهذا ضعيف، وهذا غير مقبول، وهذا ضعيف السند في النقل، وهذا ضعيف النظر في الأصول، وهذا مغرق في النظر في الأصول، وهذا مخرج للناس أو مشدّد على الناس، إلى غير ذلك.

والجدير بالملاحظة أنَّ ابن بشير قد تعقّب في كتابه هذا على أبي الحسن اللخمي في كثير من المسائل، وردّ عليه اختياراته الواقعة في كتاب التبصرة، وتحامل عليه في كثير منها، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أنَّ ابن بشير كان من المترفعين عن درجة التقليد إلى رتبة الاختيار والترجيح^(٢).

٣ - و- ٤ - البيان والتحصيل، والمقدمات الممهّدة:

كلاهما لأبي الوليد ابن رشد - الجدّ - (٥٢٠هـ)، فأما الكتاب الأوّل

(١) محاضرات مغاربية ص ٨١، ترتيب المدارك ٧٩٧/٤، الديباج المذهب ص ٢٩٨، نزّهة الأنظار ٢٧٦/٢، مقالة بعنوان: حضور المدونة الكبرى في المؤلفات والحلقات الدراسية المالكية للدكتور محمد المنوني (محاضرات ملتقى الإمام سحنون ١٤١٢هـ/١٩٩١).

(٢) كتاب العمر ٦٩٤/٢، محاضرات مغاربية ص ٨١، بتصرّف.

ف عنوانه الكامل: البيان والتحصيل والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، وهو كتاب حافل من أمهات الفقه المالكي، يطابق اسمه مسماه بياناً وتحصيلاً وشرحاً وتوجيهاً وتعليلاً لمسائل كتاب المستخرجة لمحمد العتبي المعروفة بالعتبية.

استغرق تأليف كتاب البيان والتحصيل اثنتي عشرة سنة، ابتدأها سنة ٥٠٦هـ، وأكمل نصفه بحلول عام ٥١١هـ، تاريخ توليه القضاء، واشتغل من وقتها بأمور المسلمين عن التأليف، ولم يعد يتفرغ إلى التأليف إلا يوماً واحداً في الأسبوع، طيلة فترة قضائه التي امتدت من سنة ٥١١هـ إلى سنة ٥١٥هـ، ثم تدارك ابن رشد ما فات بهمة عالية حتى أتمه في مستهل شهر ربيع الآخر سنة ٥١٧هـ.

وقد جاء في مقدمة البيان والتحصيل أن جماعة من الفقهاء طلبوا من ابن رشد في صدر سنة ٥٠٦هـ أن يستخرج لهم المسائل المشكلات من العتبية ويشرحها لهم، فبين لهم أن كل مسألة منها وإن كانت جلية في ظاهرها، إلا وهي مفتقرة إلى التكلّم على ما يخفى من باطنها، وأنه لا تكون الفائدة التامة التي يعظم النفع بها ويستسهل العناء فيها، إلا أن يتكلم على جميع الديوان كله مسألة مسألة، فلما سمعوا ذلك من قوله تنبهوا له وشرهوا إليه وحرصوا عليه ورغبوا إليه فيه في غير ما موطن.

فلم يجد ابن رشد بداً من إسعافهم والشروع في تحرير كتاب البيان والتحصيل مسألة مسألة، يذكر المسألة على نصّها، ثم يشرح من ألفاظها ما يفتقر إلى شرحه، ويبين من معانيها بالبسط لها ما يحتاج إلى بيانه وبسطه، ويحصل من أقوال العلماء فيها ما يحتاج إلى تحصيله.

وإذا تكررت المسألة في موضع آخر دون زيادة عليها ذكرها في موضعها على نصّها، وأحال على التكلّم عليها في الموضع الأوّل.

وقد احتوى الكتاب مع استيعاب شرح مسائله على شرح عامة مسائل المدونة، وتحصيل كثير من أمهاتها لتعلقها بها بما لا مزيد عليه ولا غاية

وراءه، ذلك أنّ ابن رشد قد اعتمد في كلّ مسألة تكلم فيها على بيان كلّ ما تحتاج إليه المسألة، بكلام مبسوط واضح موجز يسبق إلى الفهم بأيسر تأمل وأدنى تدبّر.

وبهذا استوعب كتاب البيان والتحصيل مسائل مستخرجة الأندلسيين، ومدوّنة القرويين اللتين كان فقهاء الغرب الإسلامي في القرون الأولى يحفظونهما عن ظهر قلب، ويقطعون أعمارهم في تدارس ما كتب حولهما، أو حول المدوّنة بالخصوص من شروح وتعليقات وتنبهات وزيادات وتفرعات واختصارات.

وقد تمكّن ابن رشد بما أوتي من عبقرية نادرة أن يطّلع على كلّ ما كتب قبله وينقده نقد الفقيه المجتهد في نطاق المذهب المالكي، ويحرّره بأسلوب واضح يستوي في إدراكه المبتدي والشادي، حيث أودعه جميع معارفه الفقهية التي اكتسبها من دراساته الواعية المستوعبة للمدوّنة، وما كتبه عليها أئمة المذهب في نحو سبعة أجيال من شروح واختصارات وتعليقات، ومن تأملاته وتجاربه الشخصية في التدريس والإفتاء والقضاء، فجاء الكتاب خلاصة وافية محيطية بالفقه المالكي في أسلوب جزل سلس مشرق.

وجلس ابن رشد لإسماع كتابه البيان والتحصيل في مجلس حافل بملاً من الفقهاء من أول شهر محرّم سنة ٥١٨هـ، واستمرّ بانتظام طوال عشرين شهراً أقرأ خلالها ٩٨ كتاباً من مجموع ١١٠ كتاباً من البيان والتحصيل^(١).

- ٤ - المقدمات الممهّدة:

وأما الكتاب الثاني المعروف بمقدمات ابن رشد، فعنوانه الكامل هو:
المقدمات الممهّدة لبيان ما اقتضته رسوم المدوّنة من الأحكام الشرعية

(١) مقدّمة البيان والتحصيل ٢٦ - ٣٢، ومقدّمة المحقّق ص ٥ - ١٨، دار الغرب الإسلامي، ط ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م، مقدمات ابن رشد، مع المدونة الكبرى، دار الفكر لبنان، ط، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦ م.

والتحصيلات المحكمات لأتهات مسائلها المشكلات.

وقد كان بعض أصحاب ابن رشد طلبوا منه أن يمهد في أول كل كتاب من البيان والتحصيل بمقدمة تنبئ عن مسائله من القرآن والسنة، وترد إليها بالقياس عليها، فرأى ابن رشد أن يكتفي بالمقدمات الممهّدة التي كان يوردها أثناء تدريسه للمدونة، وضمّنها جملاً وافرة ممّا كان يورده في كل كتاب منها.

وهذا الكتاب مبني على مقدمات من الاعتقادات في أصول الديانات، وأصول الفقه في الأحكام الشرعية، ممّا لا يسع جهلها، ولا يستقيم التفقه في حكم من أحكام الشرع قبلها.

ويرى ابن رشد أنّ طالب العلم إذا جمع كتاب المقدمات إلى كتاب البيان والتحصيل حصل على معرفة ما لا يسع جهله من أصول الديانات وأصول الفقه، وعرف العلم من طريقه، وأخذ من بابه وسبيله، وأحكم ردّ الفرع إلى أصله، واستغنى بمعرفة ذلك كلّ عن الشيوخ في المشكلات، وحصل في درجة من يجب تقليده في النوازل المعضلات، ودخل في زمرة العلماء الذين أثنى الله تعالى عليهم في غير ما آية من كتابه، ووعدهم فيه بترقيع الدرجات.

وجلس ابن رشد لإسماع كتابه المقدمات في مستهلّ جمادى الآخرة سنة ٥٢٠هـ، وأكمل في اثنتين وعشرين يوماً قراءة تسعة عشر كتاباً - وعدة كتب المقدمات ٢٧ كتاباً - ثم مرض ولزم الفراش أربعة أشهر وأياماً، ثم توفي.

وكلّ من يطلع على هذين الكتابين - البيان والتحصيل والمقدمات - يلمس بوضوح طريقة ابن رشد في خدمة الفقه بالأنظار والأصول، وتأسيس المسائل وتفريعها، وهي عين الطريقة التي كان قد خطّها أبو الوليد الباجي بالأندلس، وأسس منهجها أبو الحسن اللخمي بإفريقية^(١).

(١) محاضرات مغاربية ص ٨١، وأعلام الفكر الإسلامي ص ٥٧.

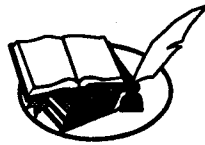
- ٥ - التنبيهات:

لعياض بن موسى اليحصبي السبتي (٥٤٤هـ) وعنوانه الكامل هو: التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة والمختلطة، وورد في بعض المخطوطات بعنوان: التنبيهات المستنبطة على كتب المدونة والمختلطة، وتقييد مهملاتها، وشرح غريب كلماتها، وبيان اختلاف رواياتها، وإصلاح الغلط والوهم الواقع في بعض رواياتها.

وهو شرح على المدونة متين الوضع، بديع المنزع، جمع فيه عياض بين طريقة العراقيين التي تعتمد القياس والتأصيل، وتحقيق المسائل وتقرير الدلائل، وبين طريقة القرويين التي تعتمد الضبط والتصحيح وتحليل المسائل والمباحث واختلاف التخارج والمعامل.

وقد امتاز هذا الشرح بمتانة التقرير، ووضوح العبارة وإحكامها، درج فيه عياض على الطريقة النقدية في تناول الأحكام الشرعية، التي تأثر بها عن طريق ابن رشد، أجل شيوخه في نفسه وأقواهم تأثيراً عليه.

فأشرب قلب عياض أسلوب الفقه المبني على الأصول، وهي طريقة إمام الحرمين التي وصلها بالفقه المالكي الإمام المازري، إذ كان قد اتصل به عياض عن طريق المكاتبه ووردت عليه من المهدية كتبه وإجازاته^(١).



(١) أعلام الفكر الإسلامي ص ٥٨ - ٦١، محاضرات مغاربية ص ٨١ - ٨٢، مقالة بعنوان: حضور المدونة الكبرى في المؤلفات والحلقات الدراسية المالكية للدكتور محمد المنوني (محاضرات ملتقى الإمام سحنون ١٤١٢هـ/١٩٩١).

حركة التدوين في المذهب الشافعي

١ - المهذب:

لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الشيرازي (٤٧٦هـ) وهو كتاب جليل القدر، بدأ صاحبه في تصنيفه سنة ٤٥٥هـ، وفرغ منه سنة ٤٦٩هـ، جمع فيه أقوال أئمة المذهب الشافعي، واتبع فيه منهج تنقيح المسائل وتحرير الأدلة مستقصيا فيه كل الفروع الفقهية المعروفة، وواضعا أسس الاستنباط والاستخراج لما يجد ويحدث.

وكان المنهج الذي اتبعه: أنه يذكر المسألة الفقهية ثم يردفها بدليلها من القرآن والسنة النبوية، ويتطرق إلى عرض الأقوال في المذهب، مستحضرا الأدلة الشرعية، ولا يرجح إلا نادرا، وإذا رجح بانت قدرته على التعليل وتجلت موهبته في النقد والتحقيق.

ويعتبر كتاب المهذب أحد الكتب المشهورة والمتداولة بين الشافعية، لكثرة أقواله ومسائله وأصوله، ولذلك اعتنى بشأنه الفقهاء فشرحوا غريبه ومشكلات ألفاظه، وصنّفوا في الكلام على أحاديثه، واختصروا عباراته وكتبوا في احترازاته، وأول من شرحه أبو إسحاق إبراهيم بن منصور العراقي (٥٩٦هـ).

وقد صرح النووي في كتاب المجموع بأن كتاب المهذب - والوسيط للغزالي - فيهما دروس المدرسين وبحث المحصلين المحققين وحفظ

الطلاب المعتنين فيما مضى وفي هذه الأعصار - أي عصر النووي - في جميع النواحي والأمصار.

ويروى في سبب تصنيف الشيرازي للمهذب أنه بلغه أن ابن الصبّاغ قال: «إذا اصططح الشافعي وأبو حنيفة ذهب علم أبي إسحاق الشيرازي» يعني أن علمه هو مسائل الخلاف بينهما، فإذا اتفق الإمام الشافعي وأبو حنيفة، ارتفع علم الشيرازي، فصنّف الشيخ حينئذ المهذب.

ويروى أن الشيرازي قد صنّف المهذب مراراً، فلما لم يوافق مقصوده رمى به في دجلة، وأجمع رأيه على هذه النسخة المجمع عليها^(١).

٢ - نهاية المطلب في دراية المذهب:

لعبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني (٤٧٨هـ) المشهور بإمام الحرمين، وكتابه نهاية المطلب شرح موسّع لمختصر المزني، جمعه بمكة المكرمة وأتمه بنيسابور، وحرّره وأملاه وأتى فيه من البحث والتقريب، والتدقيق والتحقيق بما شفى الغليل وأوضح السبيل.

وكان منهجه يتمثل في ذكر المسألة الفقهية بدليلها، ثم يذكر الأقوال الأخرى في المذهب، ثم يجري مقارنتها مع آراء المذاهب الأخرى في المسألة عارضاً أدلتهم ومناقشاً لهم بطريقة جدلية راقية، بحيث يسلم له المنصف، ويقرّ له بعلو مكانته، ووفور عقله في استنباط الغوامض، وتحقيق المسائل، وترتيب الدلائل.

ونظراً للمكانة السامية التي حازها كتاب النهاية في المذهب الشافعي، فقد أطلق عليه بعضهم اسم المذهب الكبير، وفي ذلك يقول ابن السبكي

(١) كشف الظنون ٧٢٨/٢، طبقات الشافعية الكبرى ٢٢٢/٤، المهذب، طبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، مصر، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩ م، ووضع بأسفل صفحاته كتاب: النظم المستعذب في شرح غريب المهذب لمحمد بن أحمد بن بطال اليمني (٦٣٠هـ)، المجموع شرح المهذب ١٦/١، الإمام الشيرازي، حياته وآراؤه الأصولية للدكتور محمد حسن هيتو ص ١٦٣ - ١٦٧.

في طبقاته: «وصار أكثر عنايته - أي إمام الحرمين - مصروفاً إلى تصنيف المذهب الكبير المسمى بنهاية المطلب في دراية المذهب» ومدحه قائلاً: «النهاية في الفقه لم يصنّف في المذهب مثلها فيما أجزم به».

ونظراً لكون كتاب النهاية من المطوّلات، فقد لخصه إمام الحرمين بنفسه، لكنّه لم يتمّه، واختصره أيضاً أبو سعيد عبدالله بن محمد اليميني المعروف بابن أبي عسرون (٥٨٥هـ) وسماه صفوة المذهب من نهاية المطلب^(١).

٣ - حلية العلماء:

لمحمد بن أحمد بن القفال الشاشي (٥٠٧هـ)، والعنوان الكامل للكتاب، هو: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، ويسمى كذلك بالمستظهري، لأنّ صاحبه قد صنّفه للخليفة المستظهر بالله.

وفيه ذكر خلاف كثير للعلماء، حيث ذكر في كلّ مسألة الاختلاف الواقع بين الأئمة، فعّدّد الأقوال في المسألة الواحدة عند جميع الأئمة وأتى بأقوال العلماء في المذهب الواحد وبيّن ما فيها من الوجهين أو القولين.

وكان في أثناء عرضه للأقوال منصفاً لأئمة المذاهب يأتي بأقوى الآراء عندهم لا بأضعفها^(٢).

٤ - ٥ - ٦ - البسيط والوسيط والوجيز:

جميعها لحجّة الإسلام أبي حامد الغزالي (٥٠٥هـ) وكان الإمام الغزالي قد صنّف أوّل الأمر كتاباً كبيراً يستدعي همّة عالية سماه البسيط جمع فيه - كما قال - بين حسن الترتيب وغازاة الفوائد والنقاء من الحشو والتزيق واشتمل على محض المهمّ وعين التحقيق، ثمّ اختصره في كتاب

(١) كشف الظنون ٧٨٤/٢، طبقات الشافعية الكبرى ١٧١/٥، و١٧٧.

(٢) شذرات الذهب ١٥١/٤، كشف الظنون ٥٣١/١، حلية العلماء، ط، مؤسسة الرسالة، ودار القلم، مقدّمة المحقّق الدكتور ياسين أحمد درادكة ٣٤/١.

الوسيط ابتعد فيه عن داعية الإملال وترقى فيه عن الإيجاز القاضي بالإخلال، فحذف منه بعض الأقوال والوجوه الضعيفة وتكلف فيه مزيد تأنق في تحسين الترتيب وزيادة تحذق في التنقيح والتهديب حتى أصبح أحد الكتب الخمسة المتداولة بين الشافعية، ثم اختصر الوسيط في كتاب سماه الوجيز، ثم اختصر الوجيز في كتاب سماه الخلاصة.

وقد سجّل بعضهم عمل الغزالي في تهذيب المذهب الشافعي بقوله:

هَذَّبَ الْمَذْهَبَ حَبْرٌ أَحْسَنَ اللَّهُ خُلَاصَهُ
بِبَسِيطٍ وَوَسِيطٍ وَوَجِيزٍ وَخُلَاصِهِ

وقد راعى الغزالي في البسيط سهولة العبارة مع الاهتمام بالتعريفات والحدود وتفريع الأحكام على الأصول والقواعد الكلية، وخلا الكتاب من الحشو والإطالة.

وذكر النووي في مقدّمة شرحه للوسيط المسمّى بالتنقيح بأنّ العلماء من الشافعية قد أكثروا في تصنيف الفروع من المبسوطات والمختصرات وأودعوا فيها من الأحكام والقواعد والنفائس الجليلة ما هو معلوم مشهور لأهل العناية، وصرّح بأنّ من أحسنها جمعا وترتيبا وإيجازا وتلخيصا وضبطا وتقعيدا وتأصيلا وتمهيدا، كتاب الوسيط للغزالي.

وذكر أنّ متأخري الشافعية من زمن الغزالي إلى زمن النووي قد اشتغلوا بهذا الكتاب في جميع البلدان، ففيه تدريس المدرّسين وحفظ الطلاب المعتمنين وبحث الفضلاء والمبرزين، لما جمعه من المحاسن والنفائس والمقاصد.

وذكر ابن العماد أنّ الغزالي قد زاد في الوسيط أمورا من كتاب الإبانة للفوراني، ومنها أخذ هذا الترتيب الحسن الواقع في متبه، وتعليق القاضي حسين والمهذّب للشيرازي واستمداده منه كثير.

وحاول أن يستوعب المذهب وفروعه، وصاغ أحكامه وأورد فروعه ميّنا علة كلّ حكم متبعا قاعدة كلّ فرع، واعتنى عناية تامّة بذكر الأدلة.

وذكر أقوال المذاهب الأخرى كأبي حنيفة ومالك وأحمد وداود الظاهري وأوضح في بعض المواضع آراء الشيعة، وعرض في كثير من الأحيان آراءهم وأدلتهم دون تعقيب بتضعيف أو تجريح، وإن عقب ببيان ضعف دليل أو رأي فإنه يعقب بطريقة مؤدبة لا تكاد تشعر معها بأنه يضعف دليل صاحب مذهب مخالف.

ونظراً لما لهذا الكتاب من أهمية في مذهب الشافعي فقد اعتنى به العلماء عناية كبيرة بين شروح ومختصرات وتعليقات وعلى رأسها التنقيح للإمام النووي^(١).

وأما الوجيز فقد أبدع في تحريره وأتقن في ضبطه ودقق في اختصاره وامتاز فيه بحسن الترتيب ووضوح العبارة، وقال في مقدمته: وقد مخّضت لك فيه جملة الفقه فاستخرجت زبدته، وتصفحت تفاصيل الشرع فانتقيت صفوته وعمدته وأوجزت لك المذهب البسيط الطويل وخففت عن حفظك ذلك العبء الثقيل وأدمجت جميع مسائله بأصولها وفروعها بألفاظ محرّرة لطيفة في أوراق معدودة خفيفة، وعيّبت فيها الفروع الشوارد تحت معاهد القواعد ونبّئت فيها بالرموز على الكنوز، واكتفيت عن نقل المذاهب والوجوه البعيدة بنقل الظاهر من مذهب الإمام الشافعي، ثم عرّفتك مذهب مالك وأبي حنيفة والمزني والوجوه البعيدة للأصحاب... فتحرّر الكتاب مع صغر حجمه وجزالة نظمه وبديع ترتيبه وحسن ترصيعه وتهذيبه حاوياً لقواعد المذهب مع فروع غريبة، خلا عن معظمها المجموعات البسيطة.

فجاء الكتاب على طريقة الفقه المقارن في إشاراته إلى آراء أبي حنيفة ومالك والمزني وأقوال في المذهب لفقهاء شافعية.

وقد نوّه الرافعي بقيمة كتاب الوجيز في مقدّمة شرحه عليه، فقال: هو كتاب غزير الفوائد جمّ العوائد وله القدر المعلى والحظّ الأوفى من

(١) كشف الظنون ٧٩٧/٢ - ٧٩٨، الوسيط ١٠٣/١ - ١٠٤، ومقدّمة المحقّق ١١/١ - ١٩، والتنقيح في شرح الوسيط ٧٧/١ - ٧٨، دار السلام، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، شذرات الذهب ١٤٥/١.

استيفاء أقسام الحسن والكمال واستحقاق صرف الهمة إليه والاعتناء بالإكباب عليه... لما فيه من حسن النظم وصغر الحجم.

وعول على الوجيز أئمة الشافعية واعتنوا بشرحه واختصاره وتخريج أحاديثه، فبلغت شروحه أكثر من سبعين شرحاً^(١).

٧ - العزيز شرح الوجيز:

لعبدالكريم بن محمد القزويني الرافعي (٦٢٣هـ)، وكتابه شرح كبير لكتاب الوجيز للإمام الغزالي، وقد توزع بعضهم عن إطلاق لفظ العزيز مجرداً على غير كتاب الله، فقال فتح العزيز.

وكان عمل الرافعي في شرحه - كما بيّنه في مقدّمته -: توضيح فقه مسائل الوجيز وتوجيهها، والكشف عما انغلق من الألفاظ، ودق من المعاني، وقد اشتهر هذا الكتاب حتى قيل لم يصنّف في المذاهب مثله، لما حواه من المسائل الغزيرة، والأدلة الكثيرة، والتحقيقات الجمة الدقيقة.

وذكر ابن السبكي أنه قد اشتهر على لسان طلبة العلم أنّ الإمام الرافعي لا يصحح إلا ما كان عليه أكثر الأصحاب، وقد عقب على هذا بأن والده قد بيّن خطأ هذا القول في كتابه الطوالع المشرقة، ولخص ابن السبكي - الابن - كلامه فيه في كتاب التوشيح، وذكر أماكن رجح الرافعي فيها ما يعرف على أنّ أكثر الشافعية على خلافه^(٢).

ويعتبر هذا الكتاب حلقة هامة من حلقات سلسلة الفقه الشافعي، والواسطة المهمة في انتقال فقه المذهب، إذ أنّ الرافعي قد شرح بكتابه هذا وجيز الغزالي، الذي اختصره من الوسيط والبسيط، وهذا الأخير قد

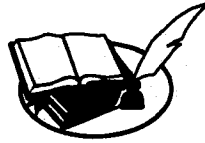
(١) الوجيز ص ٩، المكتبة العصرية بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦ م، العزيز شرح الوجيز ٣/١، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق علي محمد معروض وعادل أحمد عبدالموجود، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧ م، كشف الظنون ٧٩٣/٢.

(٢) العزيز شرح الوجيز ٣/١، كشف الظنون ٧٩٣/٢، طبقات الشافعية الكبرى ٢٨١/٨، و٢٩٢.

تفقه عن إمام الحرمين ولازمه، وتلقى إمام الحرمين بدوره عن سبقة من أئمة المذهب الشافعي، في سلسلة مترابطة محكمة إلى الإمام المزني، فإمام المذهب محمد بن إدريس الشافعي.

ويأتي من بعد الرافعي الإمام النووي الذي يعمل على اختصار وترتيب وتنقيح كتاب فتح العزيز، ليلتقي عمله مع عمل الرافعي في تحقيق أقوال المذهب، وتنقيح الآراء فيه، وتحرير مواطن الخلاف، ويتلقى علماء الشافعية أعماله بالقبول والاعتماد، ويعولون عليه.

وهكذا تجتمع جهود محققي المذهب الرافعي والنووي، ويكون الرافعي بذلك حلقة مهمة من حلقات تسلسل التصنيف الفقهي داخل المذهب الشافعي من عهد مؤسس المذهب إلى الأدوار الفقهية اللاحقة.



حركة التدوين في المذهب الحنبلي

١ - الهداية:

لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني (٥١٠هـ) أحد المجتهدين في المذهب الحنبلي، وطريقته في كتابه الهداية أنه يذكر المسائل الفقهية، والروايات عن الإمام أحمد بها، فتارة يجعلها مرسلة، وتارة يبين اختياره، وإذا قال فيه: قال شيخنا، أو عند شيخنا، فمراده به القاضي أبو يعلى الفراء.

حذا في كتاب الهداية حذو المجتهدين في المذهب، المصطحين لروايات الإمام^(١).

٢ - ٣ - ٤ - ٥ - المغني والكافي والمقنع والعمدة:

جميعها لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، فأما المغني فهو شرح لمختصر الخرقى وهو كتاب بليغ في المذهب أجاد فيه صاحبه، وبلغ به الأمل في إنهائه، حتى قال معاصره الشيخ عز الدين بن عبدالسلام: «ما رأيت في كتب الإسلام مثل المحلى - لابن حزم - والمغني - للشيخ موفق الدين - في جودتهما وتحقيق ما فيهما، ونقل عنه أنه قال: لم تطب نفسي بالإفتاء حتى صارت عندي نسخة المغني.

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤١٩، ٤٣٢، كشف الظنون ٨١٦/٢.

وطريقة ابن قدامة في هذا الشرح أن يكتب المسألة من مختصر الخرقى، ثم يأتي على شرحها وتبيينها، وبيان ما دلت عليه بمنطوقها ومفهومها ومضمونها، ثم يتبع ذلك ما يشبهها مما ليس بمذكور في المختصر.

وبيّن في كثير من المسائل ما اختلف فيه ممّا أجمع عليه، ويذكر لكلّ إمام ما ذهب إليه، ويشير إلى دليل بعض أقوالهم، ويعزو الأخبار إلى كتب الأئمة من أهل الحديث، ليحصل التفقه بمدلولها، والتمييز بين صحيحها ومعلولها، فيعتمد الناظر على معرفتها، ويعرض عن مجهولها.

والحاصل أنّه يذكر المسألة من مختصر الخرقى، وبيّن غالباً روايات الإمام بها، ويتصل البيان بذكر الأئمة من أصحاب المذاهب الأربعة، وغيرهم من مجتهدي الصحابة والتابعين وتابعيهم، وما لهم من الدليل والتعليل، ثم يرجح قولاً من تلك الأقوال على طريقة فنّ الخلاف والجدل. وممّا يلاحظ في كتاب المغني أنّ صاحبه قد يتوسّع في ذكر فروع المسائل زيادة على ما في المتن، حتّى صار كتاباً جامعاً لمسائل المذهب الحنبلي.

وفي المغني يطلع القارىء فضلاً على خلاف الأئمة، وأدلتهم، على الروايات الحديثية، وما لها وما عليها من الأخذ والردّ. فمن كان فقيه النفس حينئذ مرّناً نفسه على السموّ إلى الاجتهاد، إن كان أهلاً لذلك.

ولهذا كان كتاب المغني كتاباً مفيداً للعلماء كافة على اختلاف مذاهبهم، ومن يطلع عليه يحصل له علم بمواطن الإجماع والوفاق، ومواطن الخلاف والمذاهب المتروكة، بحيث تتضح له مسالك الاجتهاد، فيرتفع من حضيض التقليد ويمرح في روضة التحقيق^(١).

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٢٤ - ٤٢٧، كشف الظنون ٥١٦/٢، المغني ٥/١، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي وعبدالفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

وأما الكافي فيذكر فيه الفروع الفقهيّة، ولا يخلو من ذكر الأدلّة والروايات، وقد توسّط فيه ابن قدامة بين الإطالة والاختصار، وأوماً إلى أدلّة مسائله مع الاقتصار، وعزا أحاديثه إلى كتب أئمّة الأمصار ليكون الكتاب كافياً في فنه عمّا سواه، مقنعا لقارئه بما حواه، وافيا بالغرض من غير تطويل، جامعا بين الحكم والدليل^(١).

ولم يجعل ابن قدامة في كتابه الكافي مسائل الأحكام قضايا مسلّمة، وإنّما ضمّنه كثيراً من الأدلّة، لتسمو نفس قارئه إلى الاجتهاد، وترتفع نفسه إلى مناقشتها.

وأما المقنع فذكر في كثير من مسائله روايتين في المذهب، ليتدرّب القارئ على ترجيح الروايات ويتربّى فيه الميل إلى الدليل، وقد قال ابن قدامة في مقدّمته: «اجتهدت في جمعه وترتيبه، وإيجازه وتقريبه، وسطاً بين القصير والطويل، وجامعا لأكثر الأحكام عريّة عن الدليل والتعليل.

ويعتبر المقنع من أعظم الكتب نفعا في مذهب الإمام أحمد وأكثرها جمعا وأوضحها إشارة وأسلسها عبارة وأوسطها حجما وأحسنها تفصيلا وتفريعا وأجمعها تقسيما وتنوعا وأكملها ترتيبا، حوى على غالب أمّهات المسائل في المذهب، إلّا أنّه أطلق في بعض مسائله الخلاف من غير ترجيح بحيث يشته على الناظر فيه الضعيف من الصحيح.

وقد اشتهر هذا المختصر عند علماء المذهب قريبا من اشتهار مختصر الخرقى إلى عصر التسع مائة، وعكف الناس عليه وهجروا ما سواه من كتب المتقدّمين، وأول شارح له هو عبدالرحمن بن محمد بن أحمد (٦٨٢هـ) حيث شرحه شرحاً وافياً سمّاه الشافي، وقال في مقدّمته: «اعتمدت في جمعه على كتاب المغني، وذكرت فيه من غيره ما لم أجده

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٣٠ وص ٤٣٤، الكافي ٤/١، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

فيه من الفروع والوجوه والروايات، ولم أترك من كتاب المغني إلا شيئاً يسيراً من الأدلة، وعزوت من الأحاديث ما لم يعز مما أمكنتني عزوه»^(١).

وأما العمدة فهو كتاب مختصر جرى فيه على قول واحد مما اختاره، وهو سهل العبارة، يصلح للمبتدئين وطريقته فيه أنه يصدر الباب بحديث من الصحاح، ثم يذكر من الفروع ما إذا دقت النظر وجدتها مستنبطة من ذلك الحديث، فترتقي همة مطالعه إلى طلب الحديث، ولنفاسته ولطف مسلكه شرحه معاصره وقرينه بهاء الدين عبدالرحمن بن إبراهيم المقدسي (٦٢٤هـ) في كتاب العدة شرح العمدة، كما شرحه شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، فزيّنه بمسالكه المعروفة، وأفرغ عليه من لباس الإجازة صنوفه، وكساه حلل الدليل، وحلّاه بحليّ جواهر الخلاف، وزيّنه بالحق والإنصاف، وغيرهما^(٢).

والحاصل أنّ ابن قدامة المقدسي قد راعى في مؤلفاته الفقهية الأربعة، طبقات أربع:

صنّف العمدة للمبتدئين، ثمّ المقنع لمن ارتقى عن درجتهم، ولم يصل إلى درجة المتوسّطين، فلذلك جعله عريّاً عن الدليل والتعليل، غير أنّه يذكر الروايات عن الإمام ليجعل لقارئه مجالاً إلى كدّ ذهنه، حتّى يتمرّن على التصحيح، ثمّ صنّف الكافي للمتوسّطين، وذكر فيه كثيراً من الأدلة لتسمو نفس قارئه إلى درجة الاجتهاد في المذهب حينما يرى الأدلة، وترتفع نفسه إلى مناقشتها، ولم يجعلها قضية مسلّمة، ثمّ صنّف المغني لمن ارتقى درجة عن المتوسّطين، وهناك يطّلع قارئه على الروايات، وعلى

(١) المقنع ٣/١ - ٤، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ١٣/١، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٣٣ - ٤٣٥، كشف الظنون ٦٥٢/٢، الشرح الكبير على متن المقنع ٣/١، ط ٢، مطبعة المنار مصر.

(٢) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٣١، عمدة الفقه ١١/١، تحقيق أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، ط ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ومقدمة المحقق ص ٥ و ٧، العدة شرح العمدة ١١/١، دار الحديث، مصر، ط ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

خلاف الأئمة، وعلى كثير من أدلتهم، فمن كان فقيه النفس حينئذ مرن نفسه على السمو إلى الاجتهاد، إن كان أهلاً لذلك، وتوفرت فيه شروطه، وإلا بقي على أخذه بالتقليد لمن لم يستطع إلى الاجتهاد سبيلاً^(١).

- ٦ - المحرر:

لمجد الدين عبدالسلام بن تيمية الحراني (٦٥٢هـ) الذي حذا فيه حذو كتاب الهداية لأبي الخطاب، حيث يذكر الروايات، فتارة يرسلها، وتارة يبين اختياره فيها، وهو كتاب مختصر قد حوى لأكثر أصول المسائل، خالياً من العلل والدلائل، اجتهد صاحبه في اختصار لفظه تيسيراً على طلاب حفظه.

وقد شرحه عبدالمؤمن بن عبدالحق القطيعي البغدادي، الملقب بصفي الدين، شرحاً سماه «تحرير المقرّر في شرح المحرّر» وطريقته فيه: أنه يذكر المسألة من الكتاب، ثم يشرع في شرحها ببيان مقاصدها، ويبيّن منطوقها ومفهومها، وما تنطوي عليه من المباحث، ولا يخلّ مع ذلك بذكر الدليل والتعليل والتحقيق، فهو من الكتب التي يليق الاعتناء بها^(٢).

- ٧ - المختصر:

لمحمد بن تميم الحراني (حدود ٦٧٥هـ)، وكتابه مشهور بمختصر ابن تميم، وطريقته فيه: أنه يذكر الروايات عن الإمام أحمد وخلاف الأصحاب، ويذهب فيه تارة مذهب التفرّيع، وأونة إلى الترجيح، وهو كتاب نافع جداً لمن يريد الاطلاع على اختيارات الأصحاب، لكنّه لم يكمل، بل وصل فيه مؤلفه إلى أثناء كتاب الزكاة^(٣).

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

(٢) المحرر في الفقه ٢/١، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤١٦ و ٤٣٣، كشف الظنون ٥٠٦/٢.

(٣) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤١٧، و ٤٣١.

مقاربة نقدية

* المذاهب الفقهية بين الاختصار والاختيار *

١ - مبادرة الغزالي إلى منهج الالتزام والاختصار:

ظهر الإمام الغزالي في بداية هذا الدور بنزعة جديدة، تميّزت بنقده المنهجي للطريقة التي كان يسير عليها الفقه ولا سيما عند الشافعية، تلك الطريقة الجدلية التي كانت روح الجدل فيها غالبية على روح الأصول، حيث بيّن في كتاب إحياء علوم الدين من خلال نقده لتلك الطريقة الجدلية أنّ اختصار الفقه أولى من سعة النقل فيه، وأنّ الاختصار على الأخذ بالقول الراجح أولى من تعبيد الأقوال، خاصّة وأنّ تلك الأقوال مرتبة ترتيباً تقديرياً، وأنّ بعضها أولى من بعض في الأخذ والعمل بها، فالأجدر إذن ألاّ نأخذ إلاّ بالأولى، وأن نختصر الفقه اختصاراً جديداً نقتصر فيه على أخذ القول الراجح، أو القول المصحح من بين الأقوال المختلفة في كلّ مسألة.

وسار في هذا المنهج من خلال كتابه الوجيز الذي لخصه من كتابيه البسيط والوسيط، حيث اقتصر فيه على قول واحد، ولم يشر إلى الأقوال الأخرى في المذاهب إلاّ بطريقة الإشارة، أو بطريقة الرمز، بحيث إنّه لا يذكر في كلّ مسألة إلاّ قولاً واحداً^(١).

(١) محاضرات مغاربية ص ٨٢، بتصرف.

٢ - تثبّت ابن رشد بمنهج الاختيار والترجيح :

لقد كان هذا العمل الذي ظهر به الإمام الغزالي عملاً أعجب به الناس، لأنهم رأوا أنه في حقيقته متجاوب مع متطلّع الحاجات العامة إلى معرفة الأحكام الفقهية، وأن مجال النظر والنقد والشرح والتوجيه والتعليل إنّما ينبغي أن يقتصر فيه على الذين يريدون أن يصعدوا بأنفسهم إلى مراكز الفقهاء المجتهدين.

وعلى ما اصطبغ به كتاب الغزالي الوجيز من إبداع في التحرير وإتقان في الضبط ودقّة الاختصار، فإنّ كثيراً من الفقهاء نظروا بعيداً فأروا أنّ هذا المنهج الذي سلكه الغزالي - وإن كان مقبولاً بحسب ما رآه من الاعتبارات التي بيّنها في خطبة الوجيز، وبيّنها من جهة أخرى في كتاب إحياء علوم الدين - فإنّه سيكون خطراً في المستقبل لأنّه سيجعل الفقه ملتزماً التزاماً بصورة تنسي الناس الأقوال المختلفة، وتجعلهم في حرج من قول يطبّق بالتزام، مع أنّ لهم مندوحة عن ذلك القول إلى أقوال أخرى لو أرادوا.

ومن العجيب أنّ الوقفة في وجه هذا الأسلوب الجديد الذي طلع به الإمام الغزالي، قد أتت من قريعه في هذا الدور ابن رشد الحفيد، فإنّ ابن رشد كان يتتبع الغزالي في كلّ مجال، وكلّ منهما كان مجاله الأصليّ المجال الفقهي، قبل أن يكون المجال الحكمي أو الكلامي أو الفلسفي له مجالاً، فتلاقيا في هذا المجال وليس في مجال الظرف، وجاء ابن رشد يلاحظ أنّ الطريقة التي درج عليها الغزالي من شأنها أن تؤدّي إلى تضيق المجال في تكوين الفقهاء حتّى تقتل فيهم ملكة النظر، ويضيق الأفق الفقهي أمام أنظارهم، فلا يتكوّن منهم الفقيه الذي يستطيع أن يعالج الحوادث بحق بصورة يمكن أن تأخذ من أقوال المتقدمين، أو من التخرّيج على أصولهم ما يكون كفيلاً بتحقيق الحكم الشرعيّ المناسب للمصالح التي أمر الله تعالى بمراعاتها في تلك الجزئيات.

ووضع ابن رشد في آخر القرن السادس - تحديداً للغزالي - كتابه المشهور بداية المجتهد ونهاية المقتصد، وتوسّع فيه ما شاء له بسبر في

جمع الأقوال والمذاهب، فإذا كان الغزالي لم يرتض أن يجمع أقوال فقهاء مذهبه، فإن ابن رشد قد جمع أقوال فقهاء مذهبه وغير مذهبه من المذاهب المتبعة يومئذ تقليدياً، والمذاهب الغير المتبعة، والمذاهب المدونة، والمذاهب غير المدونة، وأبرز على ذلك كتابه بداية المجتهد في مقابلة كتاب الوجيز للغزالي.

ولكن الحاجة التي نظر إليها ابن رشد من ذلك، إنما كانت في حقيقة الأمر حاجة لا تدرك إلا بالنظر البعيد لأن الإعدام الذي أعدم به جانب كثير من الفقه على هذه الطريقة التقنية الاختصارية التي مال إليها الغزالي، إنما كان أمراً متلائماً مع حاجات الناس في ذلك العصر، وقد اطمأن الناس إليه اطمئناناً واضحاً، ووجدوا أن لا حرج في إلغاء تلك الأقوال، لأن الذي كانوا سائرين عليه قد كان صحيحاً قوي الإِسناد محققاً للمصالح لا سيما مع تشابه الظروف^(١).

- ٣ - تأثر المذاهب الفقهية بالطريقة التي درج عليها الغزالي:

لقد كان ترحال العلماء الدائم وكثرة الاتصال بعضهم ببعض عاملاً قوياً في تقريب الفوارق وتناقل الأفكار والآراء بين العلماء.

لذلك نرى أنه كلما ظهر امتياز في مركز لا يلبث بعد ظهوره أن يقلد في سائر المراكز الأخرى حتى تصبح تلك الميزة مظهراً عاماً للوحدة المشتركة بين سائر المراكز.

وبهذا نستطيع أن نجزم بأن نشأة منهج الالتزام والاختصار عموماً في كل المراكز كانت متقاربة فما إن بدأ بالنمو في مركزه الأصلي حتى تعاهدته بقية المراكز الأخرى بالعناية، وتأثرت جميع المذاهب الفقهية بالطريقة التي درج عليها الإمام الغزالي.

فهذا ابن عقيل البغدادي الحنبلي (٥١٣هـ) يصنّف كتابه التذكرة

(١) محاضرات مغربية ص ٨٢ - ٨٤.

ويجعله على قول واحد في المذهب ممّا صحّحه واختاره^(١).

وهذا موفق الدين المقدسي الحنبلي (٦٢٠هـ) يضع مختصره العمدة في الفقه ويجري فيه على قول واحد ممّا اختاره^(٢).

وظنّ المالكيّة في مصر أنّ المذهب المالكي الذي بدأ شأنه يضعف في العراق إنّما كان ذلك لأنّه لم يفز بأوضاع محكمة مثل الذي ظهر بها الإمام الغزالي في كتابه الوجيز، وهذه النزعة التي جدّت بالفقهاء المالكيّة في القرن السابع - من المصريين على الخصوص - أن يتتبّعوا طريقة الاقتصار والاختصار^(٣).

فابتدأ أبو محمد عبدالله بن محمد بن شاس (٦١٠هـ) بوضع كتابه الذي اختصر فيه المذهب المالكي اختصاراً، وسماه «الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة» وأشار في مقدّمة الكتاب إلى هذا المعنى، وهو أنّ المذهب المالكي قد قلّ أتباعه نظراً لاتّساع الكتب التي يؤخذ منها الفقه، وصعوبة معاناتها على الناس، وأنّه لمّا رأى كتاب الوجيز أعجب به، فوضع كتابه على مثاله، وقد استحسنه المالكيّة بمصر واعتكفوا على دراسته^(٤).

وكان الفقهاء يقولون: إنّ كثيراً من المسائل تسرّب فيها الحكم الشافعي لابن شاس لتأثره بمجاعة وجيز الغزالي ومسايرته^(٥).

ثمّ جاء ابن الحاجب، فقام بوظيفة الإيجاز، واختصر الفقه المالكي في كتابه جامع الأمّهات المشهور بالمختصر الذي جمع فيه أكثر من ستين ألف مسألة في ذلك المقدار الوجيز من الكلام، وأتى فيه بعجب العجاب، فأظهر فيه مثلاً عجيباً من وفرة المعاني وكثرة المسائل مع قلّة الألفاظ ممّا

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٣٢.

(٢) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٣١.

(٣) محاضرات مغاربيّة ص ٨٤.

(٤) محاضرات مغاربيّة ص ٨٤، شجرة النور الزكيّة ص ١٦٥، الديباج المذهب ص

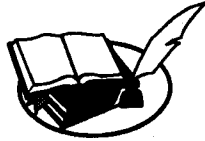
٢٢٩.

(٥) محاضرات مغاربيّة ص ٨٤.

جعله الكتاب المعتمد في أواخر القرن السابع وطيلة القرن الثامن، ولا سيما في المغرب، ذلك الالتزام والاعتماد الذي تبرّم به ابن خلدون وشكا منه^(١).

وحدث في المذهب الحنفي ما حدث في المذهبيين المالكي والحنبلي، من التأثر بتلك الأوضاع الجديدة التي ظهرت في المذهب الشافعي، حتى أنّ بعض أعلام الحنفيّة طلبوا من صاحب المختصرات في المذهب الشافعي، تاج الدين بن عبدالرحيم بن رضي الدين (٥٩٨هـ - ٦٧١هـ) - الذي صنّف التعجيز ومختصر الوجيز والنبية في اختصار التنبية ومختصر المحصول، وكان آية في القدرة على الاختصار، ومن أحسن مختصر له في الفقه كتاب سماه نهاية النفاسة - طلبوا منه أن يختصر لهم القدوري فاختصره اختصارا حسنا حتى أنّ ابن السبكي قال في شأنه: قلّ أن رأيت مثله في عذوبة منطقته وكثرة المعنى وصغر الحجم^(٢).

وهكذا دخلت المذاهب الفقهية في مذهب الالتزام الذي ضربه الإمام الغزالي على مذهب الشافعي، إلّا أنّ وقفة جديدة في وجه هذا التيار ستظهر في الدور القادم - في القرن الثامن - كما ظهرت وقفة ابن رشد في هذا الدور - في أواخر القرن السادس -^(٣).



(١) محاضرات مغاربية ص ٨٤ - ٨٥، بتصرّف، والديباج المذهب ص ٢٩٠.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ١٩١/٨ - ١٩٢.

(٣) محاضرات مغاربية ص ٨٥.

استخلاص ونتائج

إنّ أهمّ ما نخرج به من نتائج واستخلاصات من هذا الدور الفقهي الذي استمرّ على مدى قرنين من الزمن هو:

١ - أنّ فقهاء المذاهب في هذا الدور قد أبدعوا مصطلحات جديدة تتعلّق بعلامات الإفتاء والترجيح في المذهب تحرّوا فيها أرقى أنواع الشفافية، وسلكوا بها نهج الأمانة العلمية، حيث كانوا يتخيرون أدقّ الألفاظ التي يوسمون بها الفتاوى، وكانت هذه الاصطلاحات مختلفة باختلاف المذهب الواحد.

٢ - أنّ المذاهب الفقهيّة في مختلف المراكز قد تفاعلت فيما بينها لتصبح الميزة التي يختصّ بها علم من أعلامها مظهراً عامّاً للوحدة المشتركة بين المذاهب الأخرى في سائر المراكز، فابن العربي الأندلسي المالكي كان ممّن تخرّج في المشرق على الأصول الأشعريّة والحكمة الغزاليّة، وعبّاض المالكي كان يسير على أسلوب الفقه المبني على الكلام والأصول، وهي طريقة إمام الحرمين، التي وصلها بالفقه المالكي الإمام اللخمي، وسار عليها من بعده المازري وابن بشير المغربيين، وابن رشد الأندلسي، ثمّ ظهر بها الإمام الكاساني الحنفي.

٣ - أنّ قيام الأسر على بعض المذاهب قد أصبحت عادة جارية في كلّ عصر من العصور، فكان في هذا الدور من بيوت العلم بالشام، بيت ابن الحنبلي وابن عبدالواحد في الفقه الحنبلي، وأسرة بني العديم في

المذهب الحنفي، وأسرة جهبل في الفقه الشافعي، وتوارثت أسرة ابن الزكي القضاء بدمشق لسنين عديدة، وفي العراق توارثت أسرة الداغاني الحنفيّة العلم جيلا بعد جيل، وفي نيسابور اشتهرت أسرة السمعاني الشافعية، وفي حران اشتهرت أسرة ابن تيميّة، وكان بيت ابن رشيقي المالكي بيت علم وقضاء وفتوى في الإسكندرية.

٤ - أنّ اعتناء الفقهاء ببعض المصنّفات الفقهية على وجه التحديد، والاعتكاف عليها شرحاً واختصاراً وتعليقاً وتحشية، إنّما يعود إلى أسباب عديدة أهمّها: ما يميّز به المؤلّف من تكوين علمي عميق وإبداع في منهجية التّأليف من ناحية، وإلى قدرته وبراعته على جمع مسائل المذهب وتهذيبها من مصادر الفقه المعتمدة من ناحية ثانية.

٥ - أنّ عمل الاختصار والإيجاز الذي طغى على حركة الإنتاج الفقهي في هذا الدور، قد كان في كثير من الأحيان على حساب وضوح المعاني ودقّة الفهم، الأمر الذي جعل تلك المختصرات مستعصية الفهم حتّى على واضعيها أحياناً، كما حدث مع ابن حاجب في مختصره الفرعي.

٦ - أنّ هذا الدور قد حفل بلون خاص من التصنيفات الفقهية، وهي: كتب الفتاوى والنوازل والأجوبة، التي أصبحت مكتملة لكتب الفقه.

٧ - أنّ ظاهرة التقليد التي سيطرت على اهتمامات أغلب فقهاء هذا الدور قد ولدت فيهم عزوفاً عن الاجتهاد، وأقنعتهم بالقيام على أقوال أئمّتهم دون استقصاء الدليل، حتّى أصبحوا أسارى مذاهبهم يتعصبون له وينتصرون لأقواله وأحياناً يحملون النصوص فوق ما تطيقه، ويحاولون في المقابل تضعيف أدلّة المخالف دون التزام الحقّ في مناقشتهم الاستدلالية.

وكان منهم في المقابل من اتّصف بأسلوب الحوار الرصين، فربّما ظهر له قوّة دليل المذهب المخالف، فيخالف مذهبه فيما ترجّح عنده، وكانوا لا يحصرون جهودهم العلمية في مذهب واحد ويشيخون عمّا سواه، بل كانوا يعتنون بكتب المذاهب المخالفة ويقومون عليها شرحاً وتعليقاً، أو اختصاراً وتجريداً، أو مقارنة وتحقيقاً، ويذكرون خلافاً كثيراً للعلماء،

معتبرين أنّ من شأن المجتهد أن يكون عارفاً بمذاهب العلماء.

وقد طال باع هؤلاء في تحرير المذاهب الفقهيّة، وجنحوا إلى الاجتهاد وترك التقليد كالمرغيناني والكاساني في المذهب الحنفي، واللخمي والمازري وابن بشير وابن رشد في المذهب المالكي، وأبي بكر الشاشي وأبي شامة وعزّ الدين بن عبدالسلام والرافعي في المذهب الشافعي، وأبي الخطاب الكلوذاني وابن عقيل وابن قدامة في المذهب الحنبلي، وظهر البعض منهم بطريقة حديثة في الفقه، أدخلت عليه روحاً جديدة وأصبغت عليه أوضاعاً جديدة، مثل الإمام الغزالي الذي انتصب في المذهب الشافعي يتصرّف فيه بالإلغاء والإقصاء، أو بالإبقاء والإثبات، ومثل ابن رشد الحفيد الذي انتصب شارحاً ومفسّراً في المذهب المالكي يتصرّف بالترجيح والتوجيه والتعليل، ومثل ملك العلماء الإمام الكاساني الذي صاغ الفقه الحنفي صياغة جديدة صارفاً همته إلى الترتيب والتنظيم بتخريج المسائل على قواعد أصولها، وغير هؤلاء كثيرون.

ولكن رغم ذلك كلّه فلم يحدث أن ظهر مذهب فقهي جديد، رغم وجود أمثال هؤلاء الفقهاء الذين ترقّوا في مراتب الاجتهاد، ولم تكن تعوزهم قدرة، ولا يقلّون عن سابقهم نظراً.

٨ - أن قرار المنصور الموحد في إلزام الفقهاء - بالغرب الإسلامي - بترك كتب الفروع وتحريضهم على الاشتغال بالسنة النبويّة والاهتمام بحفظ الأحاديث، رغم ما صاحبه من سلبيات تمثّلت في تلك الإجراءات القمعيّة والاضطهادات، فإنّ جوانب إيجابيّة قد رافقت ذلك كلّه، حيث وجدنا لهذا العهد من الفقهاء من كان يستظهر آلاف الأحاديث بأسانيدها، يسندها إلى أن ينتهي إلى النبيّ ﷺ، ويعتني بلغة الحديث وغريبه وفقهه والخلاف العالي ودقائقه ورقائقه والمستفادات منه^(١).

٩ - أنّ المركز الأندلسي بعد القرن السادس الهجري لم يعد له

(١) توشيح الديياج ص ٢٤١، عنوان الدراية ص ٢٤٧.

إشعاع فقهِي يوازي ما كان عليه حاله قبل ذلك الحين، ولم نعد نسمع فيه باسم فقيه بارز كابن رشد أو ابن العربي، لا سيّما في مجال الإنتاج والتدوين.

- ١٠ - أنّ المرأة المسلمة قد حافظت على نشاطها الفقهِي في هذا الدور التشريعي، حتّى كان طلبة العلم يتفقّهون على جماعة من النساء كما يتفقّهون على الرجال^(١)، وقد خلّدت لنا كتب الطبقات أسماء نساء بلغن مكانة عالية ودرجة سامية، طبقت شهرتهنّ الآفاق، وذاع أسماء الكثيرات منهنّ وامتد صوتهنّ رغم تباعد المراكز وتعاقب الأدوار، وكان من أشهرهنّ:

أمّ الخير فاطمة (٥٣٢هـ) بنت عليّ بن المظفر بن زعبل البغدادية الأصل، النيسابورية، المقرئة، التي روت صحيح مسلم، وكانت تلقنّ النساء، وتوفيت عن سبع وتسعين سنة^(٢).

وأمّ البهاء فاطمة (٥٣٩هـ) بنت محمد بن أبي سعد البغدادية مسندة أصبهان التي روت عن أعلام عصرها وسمعت صحيح البخاري من سعيد العيار، وتوفيت عن أربع وتسعين سنة^(٣).

وشهدة (٥٧٤هـ) بنت أبي نصر أحمد بن الفرّج بن عمر الإبري، فخر النساء الدينورية الأصل، البغدادية المولدة والوفاء، وكانت من العالمات، تفقّحت على أبي بكر الشاشي وطبقته، وسمّعها أبوها الكثير وصارت مسندة العراق، وروى عنها ابن الجوزي، وسمع منها عليّ بن هبة الله الشافعي، وعبدالرحمن بن عبدالوهاب الحنبلي الجزء الرابع من كتاب الأمالي للمحاملي، واشتهر ذكرها وبعد صيتها وسمع عليها خلق كثير، ونيفت على تسعين سنة من عمرها^(٤).

(١) شذرات ١٧٤/٤ - ١٧٥.

(٢) شذرات ٢٥٥/٤.

(٣) شذرات ٢٨٥/٤ - ٢٨٦.

(٤) وفيات الأعيان ٤٧٧/٢ - ٤٧٨، شذرات الذهب ٤٣١/٤ - ٤٣٢.

وكانت فاطمة ابنة الشيخ علاء الدين السمرقندي، وزوجة الإمام الكاساني، فقيهة عالمة^(١).

وفاطمة (٥٢٢هـ - ٦٠٠هـ) بنت سعد الخير بن محمد بن عبدالكريم، وزوجة أبي الحسن بن نجا، التي سمعت حضوراً من فاطمة الجوزدانية ومن غيرها، وسمع منها القاضي الأشرف أبو العباس أحمد بن الفاضل اليبساني المصري^(٢).

وست الكتبة نعمة (٦٠٤هـ) بنت علي بن يحيى بن الطراح التي روت الكثير بدمشق عن جدّها^(٣).

وعفيفة (٥١٠هـ - ٦٠٦هـ) بنت أحمد بن عبدالله بن محمد بن أم هانيء الفارفانية الأصبهانية التي سمعت من فاطمة المعجمين الكبير والصغير للطبراني ولها إجازة من أبي علي الحداد وجماعة، وسمع عليها بأصبهان الإمامان تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالغني المقدسي^(٤).

وتقية (٦٠٧هـ) بنت محمد بن أموسان التي روت عن أبي عبدالله الخلال وغانم بن خالد، وكان أخوها أبو محمد جعفر الأصبهاني قد سمع من فاطمة بنت البغدادي^(٥).

وأم حبيبة عائشة (٦٠٧هـ) بنت معمر بن الفاخر الأصبهانية التي حضرت فاطمة الجوزدانية، وسمعت من أهل عصرها، وسمع منها مسند أبي يعلى رجال كثير^(٦).

وعين شمس (٦١٠هـ) بنت أحمد بن أبي الفرج الأصبهانية الفقيهة التي سمعت حضوراً في سنة ٥٢٤هـ من إسماعيل بن الإخشيد، وسمعت

(١) كشف الظنون ٣١٦/١ - ٣١٧.

(٢) شذرات ٦٤/٥، و٣٣٩، النجوم الزاهرة ١٨٧/٦، تذكرة الحفاظ ١٣٦٩/٤.

(٣) شذرات ٨١/٥، النجوم الزاهرة ١٩٥/٦.

(٤) شذرات ٩٠/٥ - ٩١، و٣٣٩، النجوم الزاهرة ٢٠٠/٦.

(٥) شذرات ٩٨/٥.

(٦) شذرات ٩٨/٥ - ٩٩، النجوم الزاهرة ٢٠٢/٦.

من أبي ذر الصالحاني، وكانت آخر من حدّث عنهما^(١).

وشيخة العالمات بدمشق دهن اللوز (٦١٤هـ) بنت نورنجان، الصالحة العابدة الزاهدة^(٢).

وتجنى الوهابية التي سمع عليها الفقيه الحنفي قاضي القضاة أبو عبدالله الدامغاني^(٣).

وأم المؤيد زينب الشعرية (٥٢٤هـ - ٦١٥هـ) بنت أبي القاسم عبدالرحمن بن الحسين بن أحمد بن سهل الجرجاني النيسابوري التي سمعت من أعلام عصرها وانقطع بموتها إسناد عال^(٤).

وآسية (٦٤٠هـ) بنت عبدالواحد المقدسية، والدة ابن المجد وأخت الشيخ ضياء الدين، التي لم يكن في زمانها مثلها^(٥).

وجمال النساء (٦٤٠هـ) بنت أحمد بن أبي سعد الغراف البغدادية التي سمعت من عشرة شيوخ من أعلام عصرها^(٦).

وسعيدة (٦٤٠هـ) بنت عبدالملك بن يوسف بن محمد بن قدامة التي روت بالإجازة عن العثماني^(٧).

وعائشة (٦٤١هـ) بنت محمد بن علي بن البلب البغدادي، التي أجاز لها أبو الحسن ابن غبرة والشيخ عبدالقادر^(٨).

وأم الفضل كريمة (٦٤١هـ) بنت عبدالوهاب بن علي بن الخضر

(١) شذرات ١٢٠/٥ - ١٢١، النجوم الزاهرة ٢٠٩/٦.

(٢) البداية والنهاية ٧٨/١٣.

(٣) شذرات ١٤٧/٥.

(٤) شذرات ١٤٧/٥، وفيات الأعيان ٣٤٤/٢ - ٣٤٥، النجوم الزاهرة ٢٢٦/٦.

(٥) شذرات ٣٢٥/٥.

(٦) شذرات ٣٢٥/٥.

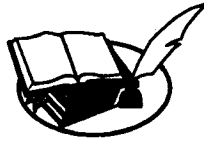
(٧) شذرات ٣٢٦/٥.

(٨) شذرات ٣٣١/٥.

القرشية الزبيرية، المعروفة ببنت الحبقق، مسندة الشام، التي روت عن حسان الزيات وغيره شيئاً كثيراً، وأجاز لها علماء عصرها^(١).

وأم البدر بدرة (٦٥٢هـ) بنت فخر الدين بن تيمية، وابنة عمّ مجد الدين بن تيمية وزوجته، التي روت بالإجازة عن أعلام عصرها^(٢).

وغيرهنّ ممّن شاركن أخواتهنّ في نشر العلم وكنّ رائدات في هذا المضمار.



(١) شذرات ٣٣٢/٥، النجوم الزاهرة ٣٤٩/٦.

(٢) شذرات ٣٨٩/٥.

الدور السادس

دور التفقه

أو توليد المسائل وابتكار الأنظار والأبحاث
من منتصف القرن السابع
إلى منتصف القرن الثالث عشر الهجري

تمهيد:

أخذت الدولة العباسية في الدور السابق تتقهقر شيئاً فشيئاً تبعاً لناموس الحياة الطبيعية القاضي بالهرم بعد الشبيبة، واستمرّ الانحلال ينخر عظامها حتى وقعت بغداد في قبضة التتار سنة ٦٥٦هـ.

ومن ثمّ لم يكن للإسلام بعدها دولة عظيمة تحمي بيضته وتضمّ أشتاته، بل ضاعت وحدته الملكيّة، واستقلّ كلّ حاكم بما وكلّ إليه أمره من الأقاليم^(١).

وما كاد القرن السابع الهجري يتمّ حتى أصبح الأتراك العثمانيون يسيطرون على أغلب البلاد الإسلاميّة، ما عدا البلاد المغربيّة التي كانت تخضع لحكم الحفصيين والمرينيين.

وكانت هذه الدول تتقلّب بين الاستقرار حيناً، والاضطراب أحياناً

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١١٣ - ١١٤.

أخرى، فتحظى خلال استقرارها بالازدهار والتطور، ويختل توازن الحياة بها أيام النكبات والثورات، ثم تحاول بعدها أن تسترجع توازنها لتتجدد الحياة بها، وتتماسك الدولة فيها، ومضى الأمر على تلك الحال خلال القرون الثلاثة الأولى من هذا الدور.

وفي القرن التاسع الهجري ظهرت أزمات اجتماعية في بلاد المغرب بصورة خاصة، تسببت عن سقوط دولة الأندلس بعد نحو ثمانية قرون من دخول الإسلام إليها، وعجزت الدول القوية التي كانت قائمة يومئذ مثل الدولة المرينية والدولة الحفصية من إغاثة الأندلس^(١).

ثم شهدت المنطقة المغربية في القرن العاشر الهجري نزاعا بين الدول القائمة، وبين البرتغاليين والإسبانيين، حيث أخضع البرتغاليون مدنا كثيرة وسيطروا على الساحل الغربي من المغرب الأقصى، واحتل الأسبان المغرب الأدنى - تونس - ومدنا كثيرة من المغرب الأوسط - الجزائر ..

وكان من جزاء ذلك أن أصاب الخراب العمراني والاقتصادي البلاد العربية بصورة عامة، والبلاد المغربية بصورة أخص.

والنشاط العلمي قد تأثر بلا شك بتلك الأوضاع السياسية وتقلباتها، حيث كان ينبعث وينتشر أيام الأمن والاستقرار، ويكاد يتوقف أيام الاضطرابات والفتن، حتى أمسى في بعض البلاد كشمس على مغيب.

وما كاد القرن العاشر يأذن بالمغيب حتى كانت الدولة العثمانية قد بسطت نفوذها على جميع البلاد العربية شرقها وغربها، وتلك هي ملامح المرحلة الأولى من هذا الدور.

غير أننا إذا نظرنا إلى ما تتابع خلال المرحلة الثانية من هذا الدور - منذ القرن الحادي عشر تحديدا - يتبين لنا أن عاملا ليس داخلا في صميم الحياة التشريعية، ولكنه مسيطر عليها بأنواع من العوامل التي هي داخلة في

(١) انظر: نفع الطيب ٥٠٧/٤، ومضات فكر ١٤٦/١، ومعالم تاريخ المغرب والأندلس

صميمها، هو الذي كان له العمل في إبداء المشكلة الواضحة التي تعلقت بالتشريع الإسلامي فيما بعد القرن الحادي عشر^(١).

هذا العامل يرجع في الحقيقة إلى أمر نفساني اجتماعي أصاب المجتمع الإسلامي، وتمثل في ما نستطيع أن نعبر عنه بالوازع الديني، هذا الوازع الذي أصبح فاترا ضعيفا بسبب أن صور الحياة الواقعية التي تصوّرت بها حياة المجتمع شرقا وغربا منذ القرن الحادي عشر قد أصبحت مختلفة في أشكالها، أو في جواهرها، أو في أسمائها، عن الصور التي هي مصوّرة في كتب الدين من كتب السنّة وكتب الفقه^(٢).

فبدأ الناس يسرون على صور الحياة وطرائقها - غير آبهين للأحكام الدينية - باعتبار أنها أمور يكادون يتظاهرون أو يعتقدون بأن لا تعلق للأحكام الشرعية بها، والذي أعان على ذلك هو ضعف الدول الإسلامية وتضعف قوتها الحاكمة أمام القوّات الطاغية عليها في عقر دارها بسبب الامتيازات القنصلية التي ظهرت في نظام الدولة العثمانية، والتي مكّنت لغير المسلمين شوكة قائمة ذات شأن في المجتمع الإسلامي^(٣).

فاضطرت الدول إلى تعطيل الأحكام الشرعية، وإلى هجر إقامة الحدود، وإلى التحاشي من إقامة ما هو راجع إلى إظهار الشوكة الإسلامية وإعلاء كلمة الله وإظهار عزة الدين ممّا زاد على فتور الوازع الديني^(٤).

هذا الفساد السياسي كان قد زين لحكام البلاد الإسلامية أن يفرّوا من العدالة الشرعية، فكانوا يعبرون على كلّ معنى من المعاني يضعف نفوذ الحكم الشرعي ويغلّ من سلطة القضاة الشرعيين، وقيم حكما يستند إلى الشهوات، لأنهم في حقيقة الأمر يريدون أن يفرّوا من العدالة الاجتماعية، فأصبح بعضهم يقومون بما استطاعوا من شعائره، ولكنهم لا يلتفتون إلى

(١) ومضات فكر ص ١٤٨.

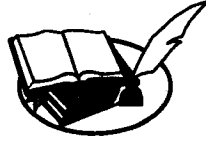
(٢) المرجع السابق ص ١٤٨ - ١٤٩، بتصرّف.

(٣) نفس المرجع ص ١٤٩، بتصرّف.

(٤) ومضات فكر ص ١٤٩.

أحكامه، بل لا يكادون يظهرون شعورهم بأنّ لتلك الأحكام المعطل منها،
والمقام على غير وجهه ارتباطا بالدين.

وعلى ذلك تلاحقت القرون الثلاثة: الحادي عشر، والثاني عشر،
والثالث عشر^(١).



(١) المرجع السابق ص ١٤٩ - ١٥٠، بتصرف.

مظاهر العناية بالقرآن والسنة في هذا الدور

١ - القرآن الكريم:

بقي التفسير في هذا الدور^(١) يسير على النهج الذي كان قد خطّه اعلام الدور السابق، واشتهر اعلام بالتفسير المأثور، وكانت من أشهر الكتب اعتماداً لهذا اللون من التفسير: كتاب تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير البصري ثمّ الدمشقي، الشافعي (٧٧٤هـ) وكتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المغربي المالكي (٨٧٦هـ) وكان مختصاً في التفسير حيث صنّف في مجاله كتباً كثيرة نافعة ككتاب الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز، وتحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن وغيرها، ثمّ صنّف الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي (٩١١هـ) كتاب الدرّ المثور في التفسير المأثور.

وظفر التفسير بالرأي الجائز بكثرة زاخرة من الكتب المؤلفة، بعضها قد غلبت عليه الصناعة النحويّة وبعضها قد غلبت عليه النزعة الفلسفية والكلامية، وبعضها قد طغت عليه الناحية القصصية والإسرائيلية، ومنها غير ذلك، ولكن الجميع ينضمّ تحت شيء واحد هو التفسير بالرأي الجائز، وأشهرها: أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي الخير ناصر الدين البيضاوي

(١) التفسير والمفسرون ١/٢٤٢، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣١٠، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٨، ٣٤٥، ١٤٥/٢، ١٨٦، ٢٨٥، ٤٣٦ - ٤٣٧، ٤٧٧، ٤٨٥، ٤٩٥.

الشافعي (٦٨٥هـ) ومدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي الحنفي (٧١٠هـ) ولباب التأويل في معاني التنزيل لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد الشيعي الشافعي المعروف بالخازن (٧٤١هـ) والبحر المحيط لأبي عبدالله أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي الشهير بأبي حيان (٧٤٥هـ) وغرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين بن الحسن الخراساني النيسابوري، من علماء رأس المائة التاسعة، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين محمد بن محمد الشربيني القاهري الشافعي (٩٧٧هـ).

وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي (٩٨٢هـ).

ومن كتب التفسير للإمامية: كتاب الصافي في تفسير القرآن الكريم لمحمد بن الشاه مرتضى المعروف بملا محسن وبالفيض الكاشي (بعد الألف بنيف يلحق تمام التسعين) وتفسير القرآن للسيد عبدالله بن محمد رضا العلوي الحسيني الشهير بشير (١٢٤٢هـ).

ومن كتب التفسير للزيدية: كتاب فتح القدير لمحمد بن علي بن عبدالله الشوكاني (١٢٥٠هـ).

وأما التفسير الفقهي فقد أُلّف فيه كثير من علماء هذا الدور على اختلاف مذاهبهم، ومنازعهم، فمن الحنفية أحمد بن أبي سعيد المدعو بملا جيون، من علماء القرن الحادي عشر الهجري صاحب التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية.

ومن المالكية أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ) صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن.

ومن الشافعية أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي المعروف بالسمين (٧٥٦هـ) صاحب كتاب القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز، وعلي بن عبدالله محمود الشنكلي، من علماء القرن التاسع الهجري صاحب

كتاب أحكام الكتاب المبين، وجمال الدين السيوطي (٩١١هـ) صاحب كتاب الإكليل في استنباط التنزيل.

ومن الزيدية حسين بن أحمد النجري، من أهل القرن الثامن الهجري صاحب شرح الخمسمائة آية، وشمس الدين بن يوسف بن أحمد (٨٣٢هـ) صاحب كتاب الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة، ومحمد بن الحسين بن القاسم من علماء القرن الحادي عشر الهجري صاحب كتاب منتهى المرام في شرح آيات الأحكام.

ومن الإمامية الإثني عشرية مقداد بن عبدالله السيوري، من أهل القرن الثامن الهجري، صاحب كتاب كنز الفرقان في فقه القرآن.

ونجد جلال الدين السيوطي ينحو في هذا الدور المنحى الذي كان قد نهجه كل من الغزالي والرازي في جعل التفسير مشتملا على جميع العلوم الكونية، ويقرّر السيوطي هذا اللون من التفسير بوضوح ويتوسّع في كتابه الإتقان في النوع الخامس والستين منه، ويسوق من الأدلة ما به يستدلّ على أنّ القرآن يشتمل على كلّ العلوم.

هذا المنهج الذي كان قد لاقى معارضة من بعض أقطاب هذا الدور مثل أبي إسحاق الشاطبي (٧٩٠هـ) حيث نجده في كتاب الموافقات يعقد بحثا خاصا لمقاصد الشارع، وينوّع هذه المقاصد إلى أنواع تولّى شرحها وبيانها، وتطرّق في النوع الثاني منها - وهو بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للأفهام - وفي المسألة الثالثة من مسائل هذا النوع، توجّه باللوم إلى من حاولوا أن يضيفوا للقرآن كلّ علوم الأوّلين والآخرين، وقد زعمهم هذا - في المسألة الرابعة من مسائل النوع الثاني من المقاصد - واعتبر أنّهم باعتقادهم هذا قد تجاوزوا به الحدّ في دعواهم على القرآن.

وهكذا سعى علماء التفسير في هذا الدور إلى محاولة الكشف عن معاني القرآن ومرامييه وسلوكوا في ذلك مناهج مختلفة وقّوا بها حقّ القرآن من البحث والتحقيق، والتفسير والتحليل، من جميع النواحي، اللغوية منها والبلاغية، والأدبية والنحوية، والفقهية، والمذهبية، والكونية الفلسفية.

كلّ هذه النواحي وغيرها، تناولها المفسّرون - من أعلام هذا الدور والذي قبله - بتوسّع ظاهر ملموس، بحيث لم يتركوا لمن جاء بعدهم من أصحاب هذا الدور من عمل جديد، أو أثر مبتكر يقومون به في تفاسيرهم التي ألفوها، اللهمّ إلا عملاً ضئيلاً لا يعدو أن يكون جمعاً لأقوال المتقدّمين، أو شرحاً لغوامضها، أو نقداً وتفنيداً لما يعتوره الضعف منها، أو ترجيحاً لرأي على آخر، ممّا جعل التفسير يقف في هذا الدور وقفة طويلة مليئة بالركود، خالية من التجديد والابتكار.

وفي مجال علوم أخرى للقرآن^(١): برز في القرن الثامن الإمام بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) أحد جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد، الذي صنّف فيما صنّف كتاب البرهان في علوم القرآن جمع فيه عصارة أقوال المتقدّمين، وصفوة آراء العلماء المحقّقين حول القرآن الكريم، جعله في سبعة وأربعين نوعاً كلّ نوع يدور حول موضوع خاصّ من علوم القرآن ومباحثه، يستحقّ كلّ نوع أن يكون موضوعاً لمؤلف خاص، حاول في كلّ موضوع أن يؤرّخ له، ويحصي الكتب التي ألفت فيه، ويشير إلى العلماء الذين تدارسوه، فأشبع الفصول وجمع أشتات المسائل، وضمّ أقوال المفسّرين والمحدّثين، إلى مباحث الفقهاء والأصوليين، إلى قضايا المتكلّمين وأصحاب الجدل، إلى مسائل العربيّة وآراء أرباب الفصاحة والبيان.

وفي مطلع القرن التاسع صنّف محمد بن سليمان الكافيجي (٨٧٣هـ) كتاباً في علوم القرآن اشتمل على بابين، الأول في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية، والثاني في شروط القول في القرآن بالرأي، ثمّ وضع جلال الدين البلقيني كتاب مواقع العلوم من مواقع النجوم، ربّه على ستّة مباحث اشتملت على خمسين نوعاً.

ثمّ وضع السيوطي كتاب التحبير في علوم التفسير، الذي فرغ من

(١) مناهل العرفان ٣٦/١ - ٣٧، البرهان في علوم القرآن، مقدّمة المحقّق ١٤/١.

تأليفه سنة ٨٧٢هـ، وضمّنه ما ذكره البلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها، حتّى أوفى الكتاب ١٠٢ من الأنواع، غير أنّ نفسه الكبيرة لم تقنع بهذا المجهود العظيم، بل طمح إلى التبحر والتوسع والترتيب، فوضع كتابه الإتقان في علوم القرآن، الذي ذكر فيه ثمانين نوعاً من أنواع علوم القرآن على سبيل الإجمال والإدماج، وقال: «ولو نوّعت باعتبار ما أدمجته فيها لزادت على الثلاثمائة».

وقد تأسّى فيه السيوطي بطريقة الزركشي، وسار في الدرب الذي رسمه، ونقل كثيراً من فصوله اقتضاباً واختصاراً.

ويمكن أن نعتبر أنّ نهاية الإمام السيوطي في بداية القرن العاشر الهجري، نهاية لنهضة التأليف في علوم القرآن، إذ لم نر من سار في هذا المضمار مثله بعده.

- ٢ - السنة النبويّة:

في هذا الدور^(١) تقاعدت همم العلماء عن الرحلة إلى الأقطار، فانقرضت الرواية الشفاهيّة، وحلّ محلّها الإجازة والمكاتبة، وصار الإسناد في الحديث يقصد للتبرّك، اللهمّ إلّا في أفراد تبعث بهم الأقدار الإلهيّة من وقت لآخر، يجدّدون ما خلق ويحيون ما اندثر.

وقد اشتهر من هؤلاء الأعلام طائفة كانوا يرحلون إلى الأقطار ويجلسون للإملاء، ويكتب عنهم أتباعهم الأمالي، ومن أمثال هؤلاء: الحافظ الكبير أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦هـ) الذي شرع في إملاء الحديث من سنة ٧٩٧هـ فأحيا الله به السنّة، ومنهم: تلميذه شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن عليّ بن حجر (٨٥٢هـ) العسقلاني الأصل، ثمّ المصري مولداً ومنشأً وداراً ووفاءً، ثمّ الحافظ السخاوي تلميذ ابن حجر.

(١) الحديث والمحدثون ص ٤٣٧ - ٤٣٨، المرجع السابق ص ٤٤٣ وما بعدها.

إلا أنّ هذه الطريقة كانت غير منتشرة انتشارها في العصور الأولى، بل كان جلّ علماء الحديث في هذا الدور عاكفين على كتب الأولين بالجمع والاختصار والشرح والتخريج، والترتيب والتهديب، وما إلى ذلك وقد تمثّلت جملة أعمالهم في هذا الدور في النواحي التالية:

*** أولاً: وضع كتب الزوائد:** حيث أخرجوا الأحاديث الزائدة في كتاب على آخر في مصنّفات خاصّة لهم، فوضع الحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري (٨٤٠هـ) ثلاثة مصنّفات في هذا المجال هي:

كتاب زوائد سنن ابن ماجة على الكتب الخمسة، وكتاب إتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة - أي على الكتب الستة - وكتاب زوائد السنن الكبرى للبيهقي على الكتب الستة، ويسمى فوائد المتقى لزوائد البيهقي.

ووضع ابن حجر العسقلاني كتاب المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية - على الكتب الستة - كما وضع الحافظ نور الدين أبو الحسين الهيثمي (٨٠٧هـ) كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، وهو كتاب عظيم جمع فيه كتباً كثيرة في الزوائد، وغير ذلك كثير في هذا الدور.

*** ثانياً: الجوامع العامة:** حيث يعملون على جمع مجموعة من الكتب في مصنّف واحد، مثل كتاب جامع المسانيد والسنن للحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) الذي جمع فيه بين الصحيحين وسنن النسائي وأبي داود والترمذي وابن ماجة، ومانيد أحمد والبزار وأبي يعلى والمعجم الكبير للطبراني، ومثل كتاب جمع الجوامع للإمام السيوطي الذي جمع فيه بين الكتب الستة وغيرها، وقد قصد في كتابه هذا جمع الأحاديث النبويّة بأسرها، غير أنّه توفي قبل أن يتمّه.

*** ثالثاً: الكتب الجامعة لأحاديث الأحكام:** مثل: كتاب الإمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) الذي جمع فيه متون الأحكام مع حذف الأسانيد، وشرحه في كتابه الإمام.

ومثل: كتاب تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد للحافظ زين الدين العراقي (٨٠٦هـ) الذي جمع فيه أحاديث الأحكام لابنه أبي زرعة.

وكتاب بلوغ المرام من أحاديث الأحكام لابن حجر العسقلاني، وقد اشتمل على ١٤٠٠ حديثاً في الأحكام، وقد شرحه علماء كثيرون منهم محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢هـ) في كتابه سبل السلام.

*** رابعاً: تخريج الأحاديث التي جاءت في بعض الكتب العلمية:**
حيث تجرّد بعض حفاظ الحديث وخرّج الأحاديث وكشف عن مواقعها من كتب الحديث، وجمع ذلك في كتاب على حدة، فخرّج الحافظ العراقي أحاديث كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وخرّج جمال الدين الزيلعي أحاديث كتاب الكشاف، وأحاديث كتاب الهداية في فقه الحنفيّة وسماه نصب الراية لأحاديث الهداية، وخرّج السيوطي أحاديث كتاب الشفا للقاضي عياض في كتاب سماه مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا، وغيرها من كتب التخاريج الكثيرة.

*** خامساً: تخريج الأحاديث التي اشتهرت على الألسن: ممّا يروج على السنة العامة، ومن لا علم له من الخاصّة، وقد أظهرت هذه الكتب الناس على حقيقة الحال، وبيّنت لهم الحقّ من الضلال، مثل كتاب المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للحافظ شمس الدين السخاوي، ومثل كتاب تسهيل السبل إلى كشف الالتباس عمّا دار من الأحاديث بين الناس، لعزّ الدين محمد بن أحمد الخليلي (١٠٥٧هـ) وكتاب كشف الخفاء ومزيل الألباس عمّا اشتهر من الأحاديث على السنة الناس للحافظ إسماعيل بن محمد العجلوني (١١٦٢هـ) وهو كتاب كثير الفوائد، لخصّ فيه المقاصد الحسنة للسخاوي، وضمّ إليه كثيراً ممّا في الكتب الأخرى.**

*** سادساً: كتب الأطراف:** حيث يذكرون طرفاً من الحديث يدلّ على بقيّته، مثل كتاب إتحاف المهرة بأطراف العشرة لابن حجر العسقلاني، وله أيضاً، أطراف مسند الإمام أحمد، ومثل كتاب أطراف المسانيد العشرة لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر الكناني البوصيري (٨٤٠هـ).

وكما اعتنى حفاظ الحديث في هذا الدور بجمع الحديث وترتيبه،

فقد اعتنوا كذلك بعلومه المتعلقة بقوانين الرواية وقواعد الجرح والتعديل، وغير ذلك من علوم الحديث.

ففي مجال الجرح والتعديل، صنّفوا مؤلفات في الثقات والضعفاء، مثل كتاب الثقات لزين الدين قاسم بن قطلوبغا (٨٧٩هـ) الذي جمع فيه الثقات ممّن ليس في الكتب الستّة، ومثل كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ) وقد رتّبته على حروف المعجم.

وفي مجال معرفة الصحابة، صنّف ابن حجر العسقلاني كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، جمع فيه ما في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر، وأسد الغابة لابن الأثير، واستدرك عليهما كثيراً.

وفي مجال تاريخ الرواة، وضعوا المصنّفات في رجال الحديث عامّة، وأفردوا بالتصنيف رجال بعض كتب الحديث، ووضعوا الكتب في أسامي من يعرف بكنيته، وكشفوا النقاب عن الألقاب، وعنوا عناية فائقة ببيان المتفق والمفترق من الأسماء - وهو أن يتفق اثنان فأكثر من الرواة في الاسم لفظاً وخطأً - وبيان المؤتلف والمختلف منها - وهو أن يتفق اسماً راويين فأكثر خطأً فقط ويختلفا بالنطق - والمتشابه منها.

وغير ذلك من أنواع علوم الحديث التي كانت وليدة أدوار متلاحقة، وجهود أمة بأسرها.

* جهود الفقهاء في هذا الدور:

من خلال تتبّع عمل الفقهاء في هذا الدور يمكن أن نلمح في نشاطهم الجهود التالية:

١ - متابعة التلخيص والتحرير والتهديب لمسائل الأحكام الموضوعية على الأسلوب الذي تركناه في الدور السابق:

وقد ظهر على هذا المنهج في القرن السابع على التعاقب الفقهاء المصريون الذين طال باعهم في تحرير المذهب المالكي واختصاره: ابن

شاس ثمّ ابن الحاجب ثمّ القرافي ومن بعدهم^(١).

وظهر الإمام يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) بكتابه منهاج الطالبين، وهو مختصر دقيق في فقه المذهب الشافعي، والنسفي بكتابه الكنز في المذهب الحنفي، وابن قدامة في المذهب الحنبلي، وغيرهم، حتى تميّز القرن السابع بكونه قرن التزام للمنهج التقني الذي هو مبني على الاقتصار والاختصار^(٢).

٢ - تسليط الأنظار المجردة على الأقوال، وإحياء الأقوال المتروكة والاستدلال لها:

إذا كان القرن السابع قد تميّز بكونه قرن التزام للمنهج التقني الذي هو مبني على الاقتصار والاختصار فإنّ القرن الثامن كان مثاراً لحركة جديدة اتّجهت بعض الاتجاه إلى معارضة هذا الالتزام في طريقة التفقه، وهي طريقة بنيت على إحياء لأقوال متروكة، واستدلال لها، وبيان لضعف الأوجه التي رجّحت منها أقوال أخرى على تلك الأقوال حتى أخذ بها^(٣)، وكانت هذه الطريقة مستمدة من أساليب فخر الدين الرازي في البحث والمناقشة والميل إلى الاجتهاد في الفروع.

وقد سار أصحاب هذه الطريقة على منهج في دراسة الفقه بني على مناقشة الأنظار المختلفة، والاختيار بينها حسب ما يرى من أدلتها قوّة وضعفاً، وهو منهج اتّسم بالتعمّق في البحث وإثارة وجوه الخلاف، فانتهى ذلك بالكثير منهم إلى الخروج في بعض اختياراتهم عمّا اختاره شيوخهم من أصحاب المختصرات الذين كانوا قبلهم^(٤).

وعلى ذلك انبنى النقد المنهجي الذي وضعه العلامة ابن خلدون

(١) ومضات فكر ٧١/٢ - ٧٢.

(٢) المرجع السابق ١/١٤٥.

(٣) نفس المرجع، نفس الجزء والصفحة.

(٤) ومضات ٧٣/٢، بتصرف.

للطريقة التي كان يسير عليها تدريس الفقه في عصره، وهي طريقة التزام مختصر ابن الحاجب، ومال إلى اختيار طريقة أخرى تكون موفية بسعة الأطلاع وبالتأمل في الأدلة وبالوقوف على أسانيد الأقوال في عزوها إلى أصحابها^(١).

٣ - فتح باب العمل القضائي، أو منهج التفاصيل في الصور العملية لمسائل الأحكام والتوثيق ودراستها من حيث الوفاء بتحقيق المصالح الشرعية المنوطة بها على حسب مقتضيات الأحوال:

كان ابن عرفة من شيوخ المنهج الجديد في دراسة الفقه، وكان تلاميذه من التونسيين والجزائريين والمغاربة والأندلسيين والليبيين قد تأثروا بالمنهج الذي وضعه شيخهم وأيقنوا بأنّ الأنظار المجردة التي كان قد سلّطها شيخهم على الأقوال، والتي ترجع من ناحية إلى ملاءمة الأقوال للأحوال قد آن الأوان لأن يؤخذ بها بصورة عملية تطبيقية، فبدأوا ينظرون إلى الأقوال على قاعدة «ملاءمة الأقوال للأحوال»، وبدأوا يرجعون إلى القاعدة الأصلية، وهي: «العادة محكمة»، فأخذوا يعالجون الأقوال الفقهية لتمحيص ما هو مبني منها على عرف راحل، وما هو مبني على حقيقة ثابتة، ورجعوا إلى أنّ من الأحكام ما بناه المجتهد على ما كان في عرف زمانه، كما صرح بذلك فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره الشيخ محمد أمين الدمشقي المعروف بابن عابدين^(٢) في رسالته في العرف: نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف، وهي الرسالة التاسعة من مجموعة رسائله المشهورة برسائل ابن عابدين^(٣).

وبهذه الاعتبارات فتح باب جديد من التصرف في الترجيح، وهو الباب الذي سمّوه باب العمل القضائي، وانتصب الفقهاء يبيّنون معنى

(١) ومضات ١٤٦/١.

(٢) ومضات ١٤٦/١ - ١٤٧.

(٣) مجموعة رسائل ابن عابدين، الرسالة التاسعة ص ١١٤ - ١٦٥.

الشيء الحادث الذي هو المذموم، والحادث الذي ليس بمذموم، والبدعة التي ليست بمذمومة، والبدعة المذمومة على الطريقة التي أصلها وفصلها الشيخ أبو الفتح تقي الدين ابن دقيق العيد الشافعي (٧٠٢هـ) باعتبار أنّ المحدث المذموم هو الذي لا مستند له شرعاً، وأنّ المحدث الذي له مستند شرعي لا يعتبر محدثاً بدعياً، ولا مذموماً، وإنما يعتبر محدثاً شرعياً^(١).

وقد نشأت من هذا الاتجاه القضائي التوثيقي أن انفتحت للقضاة أبواب واسعة للاجتهاد، في الأخذ بالأحكام المنصوص عليها في كتب المذاهب على وجه قد يحملهم على مخالفة المنصوص أو المشهور من الأقوال، إذ يرون ذلك أدعى إلى تحقيق مقصد الشرع من صلاح الناس، فيصبح جريان العمل القضائي مخالفاً في جزئيات لما هو مأخوذ به في كتب الفقه.

وذهب القضاة منهم ينتهجون نهج ذلك الاختيار في أفضيتهم، وأكدت عليهم الاضطرابات الاجتماعية لزوم اتباع ذلك المنهج قطعاً لما فشا من الفساد والحيل، فبدأ يتقرّر بذلك عمل قضائي جار على خلاف المعروف من دواوين المذاهب^(٢).

وعلى هذه الطريقة درج الذين ولّوا مناصب القضاء في الأقطار المغربية من أصحاب ابن عرفة، وفي مقدمتهم قاضي القيروان في القرن التاسع الهجري الشيخ أبي القاسم ابن ناجي، فقد أظهر من الاختيارات أخذه لأقوال مصرّح بأن لا عمل عليها، وأنها غير مشهورة ولا راجحة، واستند في أحكامه إليها حتى أصبح استناده إليها مستنداً جديداً للتطور في الترجيح، وهو دأب العمل القضائي الذي أصبح مثلاً متبعا في التصرف في الأقوال بناء على النظر في الأسباب التي من أجلها رجّحت، ومن أجلها

(١) ومضات ١٤٧/١.

(٢) المرجع السابق ٧٣/٢.

اشتهرت تلك الأقوال^(١).

واندفع العلامة الزقاق في فاس في القرن التاسع يستدلّ لهذا المنهج، ويبيّن أنّ العمل القضائي في فاس قد جرى على أمور مخالفة لمشهور المذهب ولراجحه.

واستمرت هذه الطريقة تشمل أيضاً المذهب الحنفي الذي هو المذهب القضائي يومئذ في أكثر بلاد المشرق الإسلامي، كما شملت المذهب المالكي في البلاد المغربية.

وظهر في القرن العاشر رجال في البلاد الشرقية من دانيها وقاصيها حاولوا محاولات للتحلّل من التزامات سابقة، للنظر في ترجيحات، وللأخذ باعتبارات في مباني الأحكام، لم يكن أخذ بها من قبل، كما ظهر ذلك في عمل قاضي السلطنة العثمانية، شيخ الإسلام الحنفي محمد بن فرامر بن عليّ (٨٨٥هـ) المعروف بمنلاً خسرو، صاحب كتاب «درر الحكام في شرح غرر الأحكام»، وما ظهر من المفتي شيخ الإسلام أبي السعود العمادي (٩٨٢هـ) في معروضاته المشهورة، وما ظهر من سلطان الهند أبي المظفر محيي الدين محمد أورنك زيب (١١١٩هـ) الملقب باسم عالمكير - أي فاتح الهند - في شأن الفتاوى الهندية التي نقّحها له وحرّرها وشهرها نخبة رجال فقهاء المذهب الحنفي^(٢).

وهكذا ظهرت على هذا النهج كتب الأحكام والتوثيق، وتبعها ازدهار التحقيق الفقهي في جزئيات المسائل العملية الذي طفحت به الفتاوى والرسائل في مسائل الالتزام وصيغ الأحباس وعقود المغارسة وبيع الصفقة ومسائل الأبنية والجدران وحقوق الجوار والإنزال والخلو وبيع الهواء وحقوق الطريق، إلى غير ذلك ممّا برزت به أنظار فقهية جديدة وقوالب تعبيرية مبتكرة حققت مواضع تلك الأنظار، وأضافت في كلّ موضوع شيئاً

(١) نفس المرجع ١/١٤٧.

(٢) ومضات ١/١٤٧ - ١٤٨.

جديدا إلى المصطلح الفقهي مأخوذا مما تطلع به الحوادث وتنزل به صور الأفضية.

فاهتمّ المعتنون بفقه القضاء بجمع تلك الأفضية ونظّموا فيها أراجيز عرفت باسم «كتب العمليات» وألفت عليها شروح، فأصبحت العمليات مادة لأسماء ومصطلحات كثيرة لا توجد إلا في القرون والأقطار التي جرى فيها العمل بتلك الأحكام^(١).

تلك هي الملامح العامّة لنشاط الفقهاء في هذا الدور، أما عن مراحل هذا النشاط فيمكن أن نفصل خلال هذا الدور الطويل الأمد بين مرحلتين مختلفتين:

* المرحلة الأولى: من منتصف القرن السابع إلى منتصف القرن

العاشر.

تميّزت هذه المرحلة بظهور نوابغ من العلماء انقطعوا عن القرناء والمماثل، استطاعوا أن يمدّوا في مدارك العلم باعاً وأن يتوّغّلوا في مسائله علماً وطباعاً، فكانوا فقهاء عصرهم في سائر الأقطار، قد كملت عند بعضهم أدوات الاجتهاد وحصلوا علومه وتبحّروا في فنونه.

ترد عليهم الأسئلة والاستفسارات من سائر الأمصار والأقطار فيكتبون عليها أجوبة على طريقة الاجتهاد محرّرة أحسن تحرير بأدلتها ومداركها، متقنة غاية الإتقان.

غير أنّ هؤلاء العظماء عوضاً أن يصرفوا قدراتهم الفقهية وملكاتهم الاستنباطية في الاجتهاد الصرف القائم على الأخذ المباشر من القرآن والسنة النبوية، وغيرها من الأدلة الشرعية، فإنّنا نراهم يوجهون تلك الطاقات والقدرات إلى الاعتناء بكتب المتقدمين بحفظ الوجوه والأقوال فيها،

(١) نفس المرجع ٧٢/٢ ٧٣.

والاعتناء بجمعها وتحريرها، أو تهذيبها وتلخيصها، معرضين عن الاجتهاد المباشر، ضرورة لا اختيارا.

هذه الضرورة نجد لها ما ما يبررها، من خلال نموذجين: الأول لجلال الدين السيوطي، الإمام الكبير الذي برز في جميع الفنون، ورزق التبخر في أغلب العلوم، والذي نهل من الفقه والنقول التي اطلع عليها مما لم يصل إليه، ولا وقف عليه أحد من شيوخه، فضلاً عمّن دونهم، ولو أراد - كما يقول هو عن نفسه - أن يكتب في كلّ مسألة تصنيفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها، ونقوضها وأجوبتها، والمقارنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدر على ذلك.

فهذا العالم الجليل الذي فاق الأقران، وسارت تصانيفه في الأقطار مسير النهار، بمجرد أن صرح بأن أدوات الاجتهاد عنده قد كملت، وأفرد مصتفاً في تيسير الاجتهاد لتقرير دعواه في نفسه، تألب عليه بعض معاصريه وشككوا في قدراته وإمكانياته العلمية، ولم يسلم من الحاسدين لفضله، والجاحدين لمناقبه، إلى حدّ الثلب الفظيع والسبّ الشنيع، فلا عجب بعد ذلك أن يتأثر الإمام السيوطي، فيقرّر وهو في الأربعين من عمره لزوم العزلة والانفراد والانقطاع عن العباد والإعراض عن الدنيا وأهلها، تاركاً الإفتاء والتدريس، ويعتذر عن ذلك في مؤلف بعنوان «التنفيس في الاعتذار من ترك الإفتاء والتدريس» مقيماً ببيته بروضة المقياس لم يتحوّل منه لأكثر من عشرين سنة، بل ويذكر صاحب الكواكب السائرة بأنه لم يفتح طاقاته بيته التي على النيل من سكناه إلى أن مات وهو في الثانية والستين من عمره^(١).

والثاني لأبي زرعة الذي يقول: قلت مرّة لشيخنا البلقيني: ما تقصير الشيخ تقي الدين السبكي عن الاجتهاد وقد استكمل آلاته؟ وكيف يقلّد؟ قال: ولم أذكره هو - أي شيخه البلقيني - استحياء منه، لما أردت أن

(١) الكواكب السائرة ١/٢٢٨.

أرتب على ذلك، فسكت البلقيني، فقلت: فما عندي أنّ الامتناع من ذلك إلاّ للوظائف التي قدّرت للفقهاء على المذاهب الأربعة، وأنّ من خرج عن ذلك واجتهد لم ينله شيء من ذلك، وحرّم ولاية القضاء، وامتنع الناس من إفتائه ونسب إليه البدعة، فتبسّم - أي البلقيني - ووافقني على ذلك.

وهكذا أصبح كلّ من يشتغل بعلوم الاجتهاد، ويأنس في نفسه الاجتهاد من العلماء المحقّقين، العارفين بكتاب الله وسنة رسوله غير قادر على التصريح بالوصول إلى هذه الرتبة، لأنّ في ذلك مجلبة للقلقل بينه وبين أهل عصره.

ولو ألقينا نظرة على قائمة الأعلام في هذه المرحلة لوجدناها مليئة بالعلماء البارزين الجامعين لعلوم الاجتهاد في عصرهم، غير أنّهم لو صرّحوا بذلك لقام عليهم أكثر أهل عصرهم وأنزلوا بهم من الإهانات والثلب الفظيع، ما فيه توفير أجورهم.

* المرحلة الثانية: من منتصف القرن العاشر إلى منتصف القرن الثالث

عشر:

أصبح في هذه المرحلة قصارى جهد العلماء النقل عمّن سبقهم، وإفناء العمر في الاقتصار على النظر في كتب كتبها المتأخرون، لا طمع في النظر في غيرها، أو حتّى في استبدالها وتغييرها، وكأنّ علم الأولين والآخرين قد انحصر في تلك المصنّفات دون غيرها من مئات المصنّفات، حتّى روي عن ناصر الدين اللقاني أنّه كان كلّما عورض بمسائل قد استخرجت من غير مختصر خليل، أنّه كان يقول: «نحن ناس خليليون إن ضلّ ضللنا» مبالغة منه في الحرص على متابعة خليل لكمال الاعتقاد في فضله وتحريره^(١).

(١) توشيح الديباج ص ٩٥ - ٩٦.

مراكز الفقه في هذا الدور وأشهر القائمين عليها من الأئمة الأعلام

١ - مصر:

تنامي نشاط المذاهب السنية الأربعة بمصر خلال هذا الدور الفقهي بشكل واضح بعد أن صار القضاء بها بين أصحاب المذاهب الأربعة، حيث جعل لكل مذهب قاضيه بداية من سنة ٦٦٣هـ^(١).

فأما المذهب الحنفي، فقد استهل هذا الدور ببقية من شيوخ أعلام الدور السابق الذين درّسوا وأفتوا ونشروا الفقه وانتفع بهم الناس، وكان من أشهرهم علمان، هما:

* مجد الدين عبدالرحمن بن كمال الدين عمر بن العديم (٦٧٧هـ):
الذي كان أول من درّس بالمدرسة الظاهرية حين بناها الظاهر بيبرس بالقاهرة، وقد انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر والشام.

وقرینه الذي عمّر ومات عن سنّ ثلاث وثمانين سنة، وهو:

* قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العزّ بن وهيب بن عطاء الأذري (٦٧٧هـ) أحد من انتهت إليه رئاسة المذهب الحنفي في زمانه،

(١) شذرات الذهب ٤٦٠/٥.

الذي ولي القضاء بالديار المصرية والشامية، وأذن له في الحكم حيث حلّ من البلاد الإسلامية، وكان من كبار العلماء إماماً عالماً متبحراً، عارفاً بدقائق الفقه وغوامضه^(١).

ونشأ بعد هؤلاء رجال نهلوا من رياض العلم حتى فاضت بهم ينابيعه، وفاحت أزهاره، وتنوّعت أفنانه برعوا في مذهب أبي حنيفة وغوامضه، واشتهروا في فقهه ومسائله، وبه حكموا وأفتوا، وله درّسوا وناظروا، وعلى أيديهم تخرّج الناس وبهم انتفعوا، فكانوا أفاضاً زمانهم وفرسان عصرهم.

وكان من أشهرهم في هذا الدور:

* عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني فخر الدين أبو عمرو (٦٥٠هـ - ٧٣١هـ): المعروف بابن التركماني، شيخ الأصحاب في وقته، الإمام المقدم المتصدّي للإفتاء والتدريس بالديار المصرية، وتخرّج به خلق كثير، شرح الجامع الكبير وأظهر أسراره بالتحريير والتجبير، ثم ألقاه دروساً بمدرسة الملك منصور واستمرّ على ما هو بصدده إلى أن توفي^(٢).

* فخر الدين عثمان بن علي بن محجن البارعي الزيلعي (٧٤٣هـ): الذي دخل القاهرة سنة ٧٠٥هـ، فدرّس بها وأفتى ونشر الفقه، وشرح كتاب كنز الدقائق فأجاد وأفاد وحرّر وانتقد وصحّح ما اعتمد^(٣).

* أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرني (٧٨٦هـ) علامة

(١) وقد تقدمت ترجمتهما.

(٢) الفوائد البهية ١١٥، الجواهر المضية ٥٢١/٢، تاج التراجم ١٤٣، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤٣٥/٢، حسن المحاضرة ٢١٦/١.

(٣) الفوائد البهية ١١٥، الجواهر المضية ٥١٩/٢، تاج التراجم ١٤٤، الدرر الكامنة ٤٤٦/٢ - ٤٤٧، حسن المحاضرة ٢١٦/١.

المتأخرين وخاتمة المحققين، الذي برع وساد ودرّس وأفاد وصنّف فأجاد^(١).

وخلفه في السيادة والإفادة تلميذه، شيخ الإسلام وعالم زمانه:

* أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن فارس المعروف بقارىء الهداية (٨٢٩هـ): كان في أول أمره خياطاً، ثم طلب العلم وجدّ ودأب وأكثرَ المطالعة حتى مهر في الفقه وفي غيره من العلوم، وتقدّم في الفقه إلى أن صار إمام عصره ووحيد دهره، والمشار إليه في مذهب الحنفيّة.

تصدّى للإقراء والتدريس والفتوى عدّة سنين، وإليه انتهت رئاسة السادة الحنفيّة في زمانه غير مدافع، وانتفع به غالب الطلبة، وصار المعول عليه في الفتوى بالديار المصريّة، بل لم يكن المعول إلاّ على فتياه لجلالته في نفوس الناس، وشاع ذكره وبعد صيته، وكثر تلاميذه والآخذون عنه، وانتفع به الأئمّة وصار الأعيان في المذهب من تلامذته، وكان بعضهم يرحّجه على شيخه أكمل الدين، وكان بعضهم يقول: هو أبو حنيفة زمانه، مات وقد نيف على الثمانين، ولم يخلف مثله في إتقان فقه الحنفيّة واستحضار مسائله^(٢).

وساد من بعده:

* كمال الدين محمد بن عبدالواحد بن عبدالحميد بن مسعود المعروف بابن الهمام (٧٩٠هـ - ٨٦١هـ): تفقّه على سراج الدين قارىء الهداية، في سنتي ٨١٨هـ - ٨١٩هـ، وبه انتفع، وتقدّم على أقرانه وبرع في أنواع العلوم، وتصدّى لنشر العلم فانتفع به كثير من الناس. كان علامة محققاً، وجدليّاً نظاراً، وكان يقول: أنا لا أقلد في

(١) الفوائد البهيّة ١٩٥، تاج التراجم ٢٣٥، حسن المحاضرة ٢١٧/١، شذرات الذهب ٧/٣٧، النجوم الزاهرة ٣٠٢/١١، طبقات المفسرين للداودي ٤٦٩.

(٢) حسن المحاضرة ٢١٨/١، شذرات الذهب ٣٢١/٧، الضوء اللامع ١٠٩/٦ - ١١٠.

المعقولات أحداً، ولم يبرح عن الاشتغال بالمعقول والمنقول حتى فاق أقرانه في زمن يسير، وأشير إليه بالفضل التام حتى قال بعضهم في حقه: لو طلبت حجج الدين، ما كان في بلدنا من يقوم بها غيره.

درّس وأفتى وأفاد، وعكف الناس عليه وأقروا بسعة علمه وأذعنوا له، واشتهر أمره وعظم ذكره، واستمرّ يترقى في درج الكمال حتى صار - كما قال السخاوي - عالم أهل الأرض ومحقق أولي العصر، كان عالماً متفتناً، علامة متقناً حجة، أعجوبة، ذا حجج باهرة، واختيارات كثيرة، وترجيحات قويّة، دقيق الذهن عميق الفكر، يدقق المباحث حتى يحير شيوخه، وفضله كثير من شيوخه على أنفسهم، وكان يصرح بأنه لولا العوارض البدنية من طول الضعف والأسقام وتراكمها في طول المدد لبلغ رتبة الاجتهاد.

جاور بالحرمين مدة فنشر فيهما علماً جماً، ثم عاد سنة ٨٦٠هـ إلى مصر وهو متوَعك، فعكف عليه من شاء الله من طلبته أيّاماً في الأسبوع إلى أن توفّي في يوم الجمعة سابع رمضان سنة ٨٦١هـ.

من مصنفاته: تحرير الأصول، وزاد الفقير في الفروع، وشرح بديع النظام لابن الساعاتي، وفتح القدير للعاجز الفقير من شروح الهداية للمرغيناني في الفروع كذلك^(١).

* أبو العباس تقي الدين أحمد بن كمال الدين الشمني (٨٠١هـ - ٨٧٢هـ): شيخ العلماء وفخر المدرّسين ومفيد الطالبين ومفتي المسلمين في زمانه، اعتنى به والده في صغره حتى برع في الفقه والكلام والتفسير والحديث والعربية والبيان والمعاني، وغيرها من أنواع الفنون، فكان إماماً علامة متفتناً، قويّ الحافظة.

(١) حسن المحاضرة ٢١٨/١، شذرات الذهب ٤٣٥/٧ - ٤٣٧، النجوم الزاهرة ١٨٧/١٦، الضوء اللامع ١٢٧/٨ - ١٣٢، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ص ٧١٨ - ٧١٩، كشف الظنون ١٦٠/٥.

طلب للقضاء فامتنع، فقيل له: فإذا سألك الله عن امتناعك مع تعيينه عليك، فقال: يفتح الله حينئذ بالجواب عمّ النفع به، فانتفع به الجمّ الغفير واشتدّت الرغبة في الأخذ عنه، وتزاحموا عليه وافتخروا بالأخذ عنه، حتّى بقي جلّ الفضلاء من سائر المذاهب من أهل مصر، بل ومن غيرها من تلامذته.

كان مالكيًا على مذهب والده وجدّه، ثمّ تحوّل سنة ٨٣٤هـ إلى مذهب الحنفيّة.

ابتلي بكثرة الأسقام من قبل الثلاثين في الأعضاء الباطنة، وبحبس البول بالحصاة، وكثرة الرعاف، فكان قلّ أن يصحّ، لكنّ ذلك لم يمنعه عن الاشتغال في نشر العلم^(١)، وكان يعاصره:

* أبو العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا السوداني (٨٠٢هـ - ٨٧٩هـ): المعروف بقاسم الحنفي، نشأ يتيماً وتكسّب بالخياطة فترة وبرع فيها، ثمّ أقبل على الاشتغال بالعلوم، فتعلّم تجويد القرآن، وتلقّى علوم الحديث وأصول الدين، والفقه وأصوله، والعربية والمنطق، واشتدّت عنايته بملازمة ابن الهمام من سنة ٨٢٥هـ إلى سنة ٨٦١هـ، بحيث أخذ عنه غالب ما كان يقرأ عنده من تلك العلوم وغيرها.

عرف بقوة الحافظة والذكاء وأشير إليه بالعلم، وأذن له غير واحد بالإفتاء والتدريس، فتصدّى للتدريس والإفتاء، وعنه أخذ الفضلاء في علوم كثيرة.

كان إماماً علامة، قويّ المشاركة في علوم كثيرة، واسع الباع في استحضار مذهبه، متقدّماً في الفقه، قادراً على المناظرة وإفحام الخصم.

كانت لديه رغبة في مذاكرة العلم والبحث عن الفائدة والاستفادة ولو

(١) شذرات الذهب ٤٥٥/٧ - ٤٥٧، حسن المحاضرة ٢١٨/١ - ٢١٩، الضوء اللامع

١٧٤/٢ - ١٧٨، حسن المحاضرة ٢١٨/١ - ٢١٩، درة الحجال ص ٩٥ - ٩٨.

ممن دونه مما لعله لم يكن أتقنه، حتى انفرد عن علماء مذهبه بالتقدم، وقصد بالفتاوى في النوازل والمهمّات، واشتهر بذلك.

أقبل على التأليف فكتب مصنفات عديدة نافعة^(١).

ولما استحكم النفوذ العثماني على سائر البلاد الإسلاميّة، جعلوا المذهب الحنفي مذهباً رسمياً للدولة، وحصروا العمل القضائي في أحكامه ومسائله، فازداد بذلك المذهب نشاطاً واتساعاً وانتشاراً.

وكان من أعظم أعلام الحنفيّة الذين اشتهروا بنشر العلوم، وارتوى من بحار فقههم الضمّان والصادي، وشهد لهم بذلك العاكف والبادي:

* زين الدين بن إبراهيم بن محمد الشهير بابن نجيم (٩٢٦هـ - ٩٧٠هـ): وحيد دهره وفريد عصره، عمدة العلماء العاملين، وختام المحققين والمفتين.

تفقه على قاسم بن قطلوبغا وغيره من أعلام عصره، وأجازه الكثير منهم بالإفتاء والتدريس، وكان علم الفقه قد ملأ عينه نورا، وقلبه سرورا، وصدره انشراحا، فكان كما قال عن نفسه في مقدّمة كتابه «الأشباه والنظائر»: «إنّ الفقه أول فنوني، طالما أسهرت فيه عيوني، وأعملت بدني إعمال الجدّ ما بين بصري ويدي وظنوني، ولم أزل منذ زمن الطلب أعتني بكتبه قديما وحديثاً، وأسعى في تحصيل ما هجر منها سعياً حثيثاً إلى أن وقفت منها على الجمّ الغفير، وأحطت بغالب الموجود في بلدنا القاهرة مطالعة وتأملًا بحيث لم يفتني إلاّ النزر اليسير».

من مصنفاته: الأشباه والنظائر في القواعد الفقهية، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق في الفروع، والرسائل الزينية في مذهب الحنفيّة وهي أربعون رسالة في الفقه، والفتاوى الزينية في فقه الحنفيّة التي رتبها على

(١) الضوء اللامع ١٨٤/٦ - ١٦٠، البدر الطالع ص ٥٦٤ - ٥٦٦، شذرات الذهب

٤٧٠/٧ - ٤٧١، فهرس الفهارس ٩٧٢/٢ - ٩٧٣.

كتب الفقه، وعدّتها نحو ٤٠٠ سؤال وجواب، وقد جمعها بعد وفاته ابنه أحمد، وغير ذلك من الرسائل والمسائل في الفروع والأصول^(١).

* أبو السعود محمد بن مصطفى العمادي (٨٩٨هـ - ٩٨٢هـ): قرأ على والده كثيراً، وتنقل في المدارس، ثم قلّد القضاء بأماكن كثيرة، وفي سنة ٩٥٢هـ تولّى الفتيا، فقام بأعبائها أتمّ قيام، واستمرّ على خطّه تلك إلى حين وفاته.

سارت أجوبته في جميع العلوم وجميع الآفاق مسير النجوم، وجعلت رشحات أقلامه تميمة نحر لكونها يتيمة بحر، يا له من بحر.

برع في جميع العلوم، وفاق أقرانه، وصار المرجع في جميع ما يتعلّق بالعلم، وقد عاقه التدريس والإفتاء عن التفرّغ للتصنيف، سوى أنّه اختلس فرصاً أتى فيها بما لم تسمح به الأذهان، ولم تقرع بمثله الأذان في تفسيره الشريف المسمّى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، والمشهور بتفسير أبي السعود، وله كتاب الفتاوى المعروف بفتاوى أبي السعود^(٢).

ونلقى في المرحلة الثانية من هذا الدور:

* شمس الدين محمد بن عبدالله بن أحمد التمرتاشي الغزّي (١٠٠٤هـ): صاحب الكتب العديدة في فروع الفقه الحنفي منها: تحفة الأقران - أرجوزة في الفقه - ثم شرحها في كتاب سمّاه مواهب المئان شرح تحفة الأقران، وله تنوير الأبصار وجامع البحار في الفروع، جمع فيه مسائل المتون المعتمدة عونا لمن ابتلي بالقضاء والفتوى، وقد فرغ من

(١) شذرات الذهب ٤٢١/٨ - ٤٢٢، كشف الظنون ٢/٢١٥ و ٣١٠/٥ - ٣١١، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ٣/١٥٤، هديّة العارفين ١/٣٧٨، الأشباه والنظائر ص ١١، الأعلام ٣/٦٤ معجم المؤلفين ٤/١٩٢، الطبقات الصغرى للشعراني ص ٨٦ - ٨٧.

(٢) البدر الطالع ص ٢٧٣، شذرات الذهب ٨/٤٦٧ - ٤٦٨، كشف الظنون ٢/٢١٢، الأعلام ٧/٥٩ معجم المؤلفين ١١/٣٠١.

تأليفه سنة ٩٩٥هـ، ثم شرحه في كتاب سَمَاه منح العَفَار، وشرح الوقاية في الفروع كذلك، ومسعف الأحكام على الأحكام، ومعين المفتي على جواب المستفتي، وغيرها من الرسائل والكتب في الفروع والأصول^(١).

وكان يعاصره:

* نور الدين علي بن محمد بن خليل المعروف بابن غانم المقدسي (٩٢٠هـ - ١٠٠٤هـ): نزيل القاهرة، وصاحب التصانيف المختلفة في الفقه الحنفي، منها: كنز الدقائق في الفروع، وشرح منظومة ابن وهبان، وتعليقة على الأشباه والنظائر لابن نجيم، وغيرها^(٢).

* أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس السعودي المعروف بالشلبي (١٠٢١هـ): صاحب الفتاوى^(٣).

* علي بن محمد الأستانبولي المتخلص برضائي الرومي (١٠٣٩هـ): القاضي بمصر، وصاحب نقد السائل في جواب المسائل من الفتوى^(٤).

* أبو الإخلاص حسن بن عَمَار بن يوسف الوقائي الشرنبلالي (٩٩٤هـ - ١٠٦٩هـ): المدرّس بالأزهر، وكان صاحب مصتفات كثيرة منها: غنية ذوي الأحكام وبغية درر الأحكام، وشرح غرر الأحكام لمنلا خسرو ونور الإيضاح ونجاة الأرواح مقدّمة في الفروع، ثم شرحها في كتاب سَمَاه مراقي الفلاح بإمداد الفتاح شرح نور الإيضاح، وتيسير المقاصد من عقد الفرائد في شرح منظومة ابن وهبان في الفروع، وله كتاب التحقيقات القدسية والنفحات الرحمانية الحسنية في مذهب السادة الحنفية، وهو عبارة عن ستين رسالة في مسائل من الفقه متفرقة^(٥).

(١) كشف الظنون ٤٠٤/١، و٢٠٧/٦.

(٢) كشف الظنون ٥٩٩/٥.

(٣) كشف الظنون ١٢٧/٥.

(٤) كشف الظنون ٦٠٣/٥.

(٥) كشف الظنون ٢٤١/٥ - ٢٤٢.

وكان يعاصره:

* نوح بن مصطفى القونوي (١٠٧٠هـ): نزيل القاهرة، المفتي الحنفي، الذي صنّف من الكتب: أشرف المسالك في المناسك، والقول الأظهر في بيان الحجّ الأكبر، ونتائج النظر في حواشي الدرر لمنلا خسرو، وغيرها من المسائل الدينية^(١).

* بدر الدين حسن بن برهان الدين إبراهيم الزيلعي الجبرتي العقيلي (١١٨٨هـ): صاحب المصنّفات، منها: الأقوال المعربة عن أحوال الأشربة، وبلوغ الآمال في كيفية الاستقبال، والقول الصائب في الحكم على الغائب، وغيرها من الشروح والحواشي^(٢).

* شهاب الدين أحمد بن السيد محمد مكّي الحسيني الحموي (١٠٩٨هـ): المدرّس بالمدرسة السليمانية والحسنية بمصر، وصاحب المصنّفات المختلفة، منها: بغية الأحلة بتحريم مسألة الأهلّة، وحاشية على الدرر والغرر لمنلا خسرو، وشرح كنز الدقائق في الفروع، وغمز عيون البصائر على محاسن الأشباه والنظائر لابن نجيم^(٣).

* أحمد بن محمد بن إسماعيل الطهطاوي (١٢٣١هـ): مفتي الحنفية بالقاهرة، صنّف حاشية على الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار، وهو كتاب مطبوع، ومقبول بين العلماء، وله حاشية على مراقبي الفلاح شرح نور الإيضاح^(٤).

وإذا مضينا نلقي الضوء على المذهب المالكي بهذه الديار، التقينا بجمهرة زاخرة من بحار العلوم، وبأعلام محققين من أوطاد الفهوم، ينشرون في مركزهم العلمي من جواهر معارفهم عجائب، ويبعثون لسائر

(١) كشف الظنون ٣٨٦/٥.

(٢) كشف الظنون ٢٤٧/٥.

(٣) كشف الظنون ١٣٦/٥.

(٤) كشف الظنون ١٥٢/٥، فهرس الفهارس ٤٦٧/١ - ٤٦٨.

المراكز الأخرى من فضائلهم سحائب، طالما فتحوا بمفاتيح أنظارهم الدقيقة مغالق المعضلات، وحلّوا بأفكارهم العجيبة الشأن عقد المشكلات.

وكان في طليعة هذا الدور ظهورا علمان ضربت لهما نوبة الامتياز في مشارق الأرض ومغاربها، هما:

* شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء: إدريس بن عبدالرحمن القرافي (٦٨٤هـ): أحد الأعلام المشهورين، الذي انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك.

لازم الشيخ عز الدين بن عبدالسلام مدة طويلة، وأخذ عن ابن الحاجب، وغيرهما من أعلام عصره.

كان إماماً بارعاً في الفقه والأصول، والعلوم العقلية، أحسن من ألقى الدروس، صنّف كتاباً مفيدة انعقد على كمالها لسان الإجماع، وسارت بين أقطار الأرض مسير الشمس، ورزق فيها صاحبها الحظ السامي، منها: كتاب الذخيرة في الفقه، وهو من أجل كتب المالكية، وكتاب الفروق الذي قال في شأنه ابن فرحون: لم يسبق إلى مثله ولا أتى أحد بعده بشبهه، وكتاب شرح التهذيب وكتاب شرح الجلاب، وكتاب الأحكام في الفرق بين الفتاوى والأحكام، وغيرها من المصنّفات القيمة المفيدة.

وذكر عن قاضي القضاة تقيّ الدين بن شكر، قال: أجمع الشافعية والمالكية على أنّ أفضل أهل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة: القرافي بمصر القديمة، والشيخ ناصر الدين بن منير بالإسكندرية، والشيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد بالقاهرة، وكلّهم مالكية خلا الشيخ تقيّ الدين، فإنّه جمع بين المذهبين^(١).

* أبو الحسن عليّ بن محمد بن منصور بن المنير الملقّب بزین الدين

(١) الديباج المذهب ص ١٢٨ - ١٣٠، الأعلام ٩٤/١، شجرة النور الزكية ص ١٨٨ - ١٨٩، كشف الظنون ٦٢٣/١، درة الحجال في أسماء الرجال - ذيل وفيات الأعيان - ص ٨ - ٩.

(٦٩٥هـ): أخو القاضي ناصر الدين بن المنير، ولي القضاء بعد أخيه بالإسكندرية، وقرأ الفقه على أخيه ناصر الدين وعلى أبي عمرو بن الحاجب.

كان متصرفاً في العلم وفنونه، ومتحققاً بتميز أبقاره وعونه، ومتسلطاً بشاقب ذهنه على استنباط عيونه وكانت له أهلية الترجيح والاجتهاد في مذهب مالك، وله اقتدار حسن على التأليف ومكنة في إجادته، شرح صحيح البخاري شرحاً مؤسس المباني، محقق المعاني، حسن العبارة، تكلم فيه على فقه الحديث ومذاهب العلماء، ثم كان يرجح المذهب ويفرغ^(١).

وكانت عائلة ابن المنير من العائلات العلمية القائمة على مذهب مالك بمصر^(٢).

ثم كان من بعدهما، من أعلام المالكية:

* علي بن مخلوف بن ناهض النويري (٦٣٤هـ - ٧١٨هـ): قاضي القضاة بالديار المصرية، ثلاثاً وثلاثين سنة، من بعد ابن شاس، - أي من سنة ٦٨٥هـ إلى أن مات سنة ٧١٨هـ - وكان مشكور السيرة، له دربة بالقضاء وبت الأحكام، اشتغل على مذهب مالك ومهر فيه^(٣).

* أبو الروح عيسى بن مسعود بن المنصور الزواوي (٦٦٤هـ - ٧٤٣هـ): كان فقيهاً عالماً متفتناً، انتفع به الناس، وانتهت إليه رئاسة المالكية بالديار المصرية.

تفقه أول الأمر ببجاية، ثم دخل الإسكندرية وتفقّه بها، ثم رحل إلى

(١) الديباج المذهب ص ٣٠٧، نيل الابتهاج ٣٦٣/١ - ٣٦٤، هدية العارفين ٧١٤/١، شجرة النور الزكية ص ١٨٨، معجم المؤلفين ٢٣٤/٧.

(٢) حسن المحاضرة ٢١١/١، شجرة النور الزكية ص ١٨٨.

(٣) حسن المحاضرة ٢١١/١، توشيح الديباج ص ١٦٢، نيل الابتهاج ٣٦٤/١ - ٣٦٥، الدرر الكامنة ١٢٨/٣.

قابس فأقام بها مدة وولّى القضاء بها، ثم عاد إلى مصر وأقام بالقاهرة يدرّس بالجامع الأزهر.

كانت له اليد الطولى في علم الفقه والأصول والعربية والفرائض، وكان إماماً في الفقه.

اشتغل بالعلم والتصنيف فشرح مختصر ابن الحاجب، واختصر جامع ابن يونس في شرح المدونة^(١).

* خليل بن إسحاق بن موسى الجندي (٧٧٦هـ): أحد أئمة المالكية بالقاهرة، المجمع على فضله، وحامل لواء المذهب بمصر، كان من أهل التحقيق والاجتهاد في العلم إلى الغاية، حتى أنّه لا ينام في بعض الأوقات إلاّ زمناً يسيراً بعد طلوع الفجر ليريح النفس من جهد المطالعة والكتب، وكان ثاقب الذهن، أصيل البحث، صحيح النقل.

كان خليل مشغولاً بما يعنيه حتى يحكى أنّه أقام عشرين سنة لم ير النيل بمصر، وكان من جملة أجناد الحلقة المنصورة، يلبس زيّ الجند المتقشّفين، وله في الجهاد تاريخ مشرف، وأقبل مع ذلك على نشر العلم، فنفع الله به المسلمين، وكان مدرّس المالكية بالشيخونية، كبرى المدارس المصرية في عصره.

صنّف في الفقه المختصر المشهور بمختصر خليل، قصد فيه إلى بيان القول المشهور في المذهب مجرداً عن الخلاف، وجمع فيه فروعاً كثيرة، وشرح مختصر ابن الحاجب شرحاً حسناً، سمّاه التوضيح، وضع الله عليه القبول.

ولقد عكف الناس على قبول هذين الكتابين، ولكن إقبال أهل المغرب على التوضيح أكثر، وإقبال أهل مصر على المختصر أكثر.

(١) الديباج المذهب ص ٢٨٣، حسن المحاضرة ٢١١/١، الدرر الكامنة ٢١٠/٣ - ٢١١، شجرة النور الزكية ص ٢١٩، الأعلام ١٠٩/٥، البدر الطالع ص ٥٢١، هدية العارفين ٨٠٩/١، معجم المؤلفين ٣٣/٨.

وفي تاريخ وفاته اضطراب، فقبل سنة ٧٧٦هـ، وقبل سنة ٧٦٧هـ،
وقبل سنة ٧٦٩هـ^(١).

ومن تلاميذه:

* بهرام بن عبدالله بن عبدالعزيز بن عمر بن عوض (٧٣٤هـ -
٨٠٥هـ): قاضي القضاة بمصر، وحامل لواء المذهب المالكي على كاهله.

اشتغل بالعلم وأخذ عن شيوخ عصره، وكان فاضلاً في مذهب
مالك، محققاً، ثباتاً، صحيح النقل، برع فيه وتصدر للإفتاء والتدريس سنين
عديدة، ثم ولي قضاء المالكية سنة ٧٩١هـ، فحمدت سيرته، وانتفع به
طلبة العلم سيما بعد صرفه عن القضاء.

صنف الشامل وهو مختصر في الفقه، ثم شرحه شرحاً حافلاً،
وصنف على مختصر شيخه خليل ثلاثة شروح، صار بها غالب المختصر
في غاية البيان والوضوح، واشتهر الأوسط منها غاية في جميع الأقطار مع
أن الصغير أكثر تحقيقاً، وهو أجل من تكلم على مختصر خليل علماً وديناً
وتأدباً وتفناً، مستحضراً المدونة وسراحيها^(٢).

ومن تلاميذ بهرام:

* أبو يوسف شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البساطي
(٧٦٠هـ - ٨٤٢هـ): شيخ الإسلام، وقاضي القضاة المالكية بالديار
المصرية من سنة ٨٢٣هـ، فأقام فيها عشرين سنة ورافقه من القضاة خمسة
من الشافعية، وأربعة من الحنفية، وثلاثة من الحنفية.

كان في شبابه نابغة في الطلب، ولم يزل يدأب في العلوم ويتطلب

(١) الديباج المذهب ص ١٨٦، توشيح الديباج ص ٩٢ - ٩٨، نيل الابتهاج ١/١٨٣ -
١٨٧، الدرر الكامنة ٢/٨٦، شجرة النور الزكية ص ٢٢٣، حسن المحاضرة
١/٢١٢، النجوم الزاهرة ١١/٩٢، درة الحجال ص ٢٥٧ - ٢٥٨، الأعلام ٢/٣١٥.

(٢) حسن المحاضرة ١/٢١٢، نيل الابتهاج ١/١٦٠ - ١٦٣، توشيح الديباج ص ٨٣ -
٨٥، شذرات الذهب ٧/١٧٥، الضوء اللامع ٣/١٩ - ٢٠، النجوم الزاهرة ١٣/٢٩.

المنطوق منها والمفهوم حتى تقدّم في الفقه والأصلين - أصول الفقه والكلام - واللغة والبيان والجبر والطب والهندسة، وغيرها من العلوم العقلية والنقلية، حتى اشتهر أمره وبعد صيته، وصار شيخ الفنون بلا مدافع، وتزاحم الأئمة من سائر المذاهب في الأخذ عنه.

له شفاء الغليل في شرح مختصر الشيخ خليل، ومحاضرات خواص البرية في الألغاز الفقهية، وتوضيح المعقول وتحرير المنقول على المختصر الفقهي لابن الحاجب، وله المغني في الفروع متن جعله على تصحيح ابن الحاجب وشراحه^(١).

وممن لازم الإمام البساطي كثيراً، وانتفع به:

* أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد، عرف بالقرافي (٨٠١هـ - ٨٦٧هـ): الذي كان يتوقّد ذكاء، مع الحفظ والإتقان، وكان غاية ما يكون من البراعة بحيث يروى أنّه كان يملي في المجلس الواحد على سبعة أنفس من إنشائه بأمور مختلفة.

برع في الفقه وأصوله والعربية وغيرها، وفاق أهل عصره في التدقيق، وناب عن شيخه البساطي في القضاء بعد سنة ٨٣٥هـ، فكان يبذل الجهد في إنفاذ الأحكام، وردع الجبابرة من العوام، حتى حمدت سيرته.

تصدّر بجامع عمرو بن العاص، وأفتى وصار الاعتماد في الفتاوى عليه لمزيد إتقانه واختصاره وتحريره وحسن إدراكه لمقاصد السائلين.

وحين توفي تأسف عليه الناس، إذ لم يخلف في مالكيّة مصر مثله^(٢).

(١) الضوء اللامع ٥/٧ - ٨، نيل الابتهاج ١٨٦/٢ - ١٩١، توشيح الديباج ص ١٨٨ - ٢٠١، شجرة النور الزكية ص ٢٤١ - ٢٤٢، كشف الظنون ١٥٣/٦ - ١٥٤، حسن المحاضرة ٢١٣/١.

(٢) نيل الابتهاج ٢٢٧/٢ - ٢٢٩، الضوء اللامع ٢٧/٧ - ٢٨، توشيح الديباج ص ١٨١ - ١٨٣، شجرة النور الزكية ص ٢٥٦.

* علي بن محمد أبو الحسن بن ناصر الدين المنوفي (٨٥٧هـ - ٩٣٩هـ): كان يكثر ملازمة خاتمة الحفاظ الجلال السيوطي، صنف التصانيف النافعة في الفقه منها: عمدة السالك على مذهب الإمام مالك، ومختصرها، وتحفة المصلّي وشرحها، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني ستة شروح: الأوّل: سمّاه غاية الأمانى، والثاني: تحقيق المباني، والثالث: توضيح الألفاظ والمعاني، والرابع: تلخيص التحقيق، والخامس: الفيض الرحمانى، والسادس: كفاية الطالب الربانى، ومختصره، وأشهر شروحه الستة على الرسالة هو كتاب التحقيق، وقد وضع عليه القبول فاعتنى به الناس وانتشر بينهم كثيراً، وله المقدمة العزية في فقه المالكية، وشرح مختصر خليل، وغيرها من المصنّفات في الحديث والقراءات وأصول الدين والتصوّف واللغة وعلم المعاني والبيان^(١).

* محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي (٩٤٢هـ): الأزهرى، تصدّر للتأليف والإقراء، وتخلّى عن القضاء، وكان ذا يد طولى في علم الفرائض، له شروح كثيرة - وهو رجل الشروح - منها: شرحان على مختصر خليل، شرح كبير بعنوان فتح الجليل في حلّ جواهر درر ألفاظ الشيخ خليل، وصغير بعنوان جواهر الدرر في حلّ ألفاظ المختصر، على أنّ شرحه الكبير فيه مواضع كثيرة جدّاً حصل له فيها الوهم نقلاً وتقريراً وبحثاً، وشرح مختصر ابن الحاجب الفقهى، وله شرح الإرشاد لابن عساكر والجلاب، وخطط السداد والرشد بشرح مقدّمة ابن رشد في الفروع، وغيرها من الشروح^(٢).

* ناصر الدين محمد بن حسن اللقاني (٩٥٨هـ): جلس لإقراء

(١) توشيح الديباج ص ١٣٧ - ١٣٨، نيل الابتهاج ٣٨٨/١ - ٣٨٩، كشف الظنون ٥٩٤/٥، شجرة النور الزكية ص ٢٧٢.

(٢) توشيح الديباج ص ١٨٦ - ١٨٧، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد لابن القاضي ص ٢٩٥، شجرة النور الزكية ص ٢٧٢، كشف الظنون ١٨٧/٦، فهرس الفهارس ٢٦٣/١. نيل الابتهاج ٢٧٩/١ - ٢٨٠.

العلوم على اختلاف أنواعها على وجه لم يساوه في ذلك أبناء عصره في تفكيك العبارات والنظر فيها وتحريها، فأقرأ مختصر ابن الحاجب بمطالعة التوضيح، ومختصر خليل وغيرهما من كتب الفقه، كما أقرأ علوم التفسير والأصول واللغة وغيرها من العلوم بالجامع الأزهر نحواً من ستين سنة.

كان لا يفتر عن الاشتغال بالتدريس طول نهاره، ولذا لم يتفرغ للتأليف والكتابة، غير ما كتبه على طرر نسخته من التوضيح من فوائد وتقييدات بديعة.

دارت عليه الفتيا بمصر بعد أخيه شمس الدين اللقاني (٩٣٥هـ) وأرسل إليه من سائر الأقاليم الاستفتاء في العلوم العقلية والنقلية، وكان هو وأخوه من العلماء الأجلاء العاملين، عليهما مدار المذهب بمصر، وكان شمس الدين أكبر سناً وأكثر فقهاً، في حين كان ناصر الدين أكثر تحريراً وتحقيقاً في العلوم العقلية، وقد زاد النفع به لطول عمره واشتغاله ليلاً ونهاراً بحيث كثرت تلاميذه وخلصت الفتيا له بعد أخيه، فكان آخر من انتهت إليه الرئاسة العلمية بمصر، فلم يبق بمصر من ذوي المذاهب المخالفة وغيرهم إلا من هو بين طلبته أو طلبة طلبته، فشيوخ عصره كلهم من طلبته، وكثر النفع به لطول حياته وجميل صبره على الطلبة من المذاهب الأربعة.

كان حافظاً لناموس العلم، فما دخل بيوت الأمراء، بل امتنع منهم والدخول في دنياهم، توفي وقد جاوز التسعين^(١)، وأما في المرحلة الثانية من هذا الدور فنجد:

* بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي (٩٣٩هـ - ١٠٠٨هـ):

قاضي مصر، ورئيس العلماء في عصره كان مشاراً إليه بالعلم والصلاح.

تولّى قضاء المالكية بمصر، وكان على ما قيل أمثل قضاة، شرح

(١) توشيح الديباج ص ٢٠٢ - ٢٠٤، نيل الابتهاج ٢٨٢/٢ - ٢٨٤ و ٢٧٧ - ٢٧٨، لقط

الفرائد ص ٣٠٢ الطبقات الصغرى للشعراني ص ٧٣ - ٧٤.

مختصر ابن الحاجب، وشرح مختصر خليل في كتاب سمّاه عطاء الله الجليل الجامع لما عليه من شرح جميل، وشرح التهذيب وقصد فيه تعيين المشهور خصوصاً ما ذكره أبو الحسن في التقييد من الخلاف، وله رسائل وشروح أخرى^(١).

* أبو الإمداد برهان الدين إبراهيم بن حسن اللقاني (١٠٤١هـ): أحد الأعلام وأئمة الإسلام، المتبحر في الأحكام، إليه المرجع في المشكلات والفتاوى.

كان كثير الفوائد في مجالسه، وعنه تلقى العلم من لا يعدّ كثرة، وصنّف تأليف كثيرة نافعة، منها: حاشية على مختصر خليل، ومنار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى، وله رسالة في تحريم الدخان بعنوان نصيحة الإخوان في شرب الدخان^(٢).

* أبو الإرشاد نور الدين عليّ بن زين العابدين بن عبدالرحمن الأجهوري (٩٧٥هـ - ١٠٦٦هـ): شيخ المالكية في عصره وإمام الأئمة في مصره، طار صيته وعمّ نفعه وعظمت بركته، عمّر فألحق الأحفاد بالأجداد، تلقى العلم عن أعلام يشقّ استقصاؤهم، وعنه أخذ من لا يعدّ كثرة.

صنّف تأليف كثيرة، منها: ثلاثة شروح على مختصر خليل، وحاشية على شرح التتائي على الرسالة، ورسالتان في شرب الدخان أثبت فيهما الحليّة ما لم يضر^(٣).

* أبو محمد عبدالباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني (١٠٢٠هـ - ١٠٩٩هـ): كان نظاراً عمدة، محققاً، شرف العلماء ومرجع المالكية، تلقى عن الشيخ نور الدين الأجهوري ولازمه وشهد له بالعلم، كما تلقى عن

(١) نيل الابتهاج ٢/٢٩٨ - ٢٩٩، كشف الظنون ٦/٢٠٨، شجرة النور الزكية ص ٢٨٨، فهرس الفهارس ١/٢١٥ - ٢١٦.

(٢) شجرة النور ص ٢٩١.

(٣) شجرة النور الزكية ص ٣٠٣ - ٣٠٤ وص ٢٩١، فهرس الفهارس ٢/٧٨٢ - ٧٨٤.

الشيخ برهان الدين اللقاني، من مصنفاته: شرح على مختصر خليل، يدل على فضل وإطلاع، تشد إليه الرحال، لخص ما قبله من الشروح وبالغ في الاختصار، وجمع الفروع ولم ينقحه من كثير من الأخطاء، فاعتنى به المغاربة وتتبعوه، وله مجموعة أجوبة على أسئلة رفعت إليه^(١).

* أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخرخشي (١٠١٠هـ - ١١٠١هـ): شيخ المالكية وخاتمة العلماء العاملين، انتهت إليه رئاسة المالكية بمصر، حتى لم يبق بها إلا تلاميذه، وهو أول من تولى مشيخة الأزهر، له شرح كبير على مختصر خليل، وآخر صغير رزق فيه القبول، واعتنى العلماء غربا وشرقا بالتحشية عليه^(٢).

* أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الله العدوي الشهير بالصعيدى (١١١٢هـ - ١١٨٩هـ): شيخ مشائخ الإسلام، وإمام المحققين، وصاحب التأليف العديدة، قدم مصر وحضر دروس المشائخ، ثم درس بالأزهر، وعنه أخذ أعلام منهم البناني والدردير والدسوقي.

وضع حواش كثيرة على الخرخشي، وعلى أبي الحسن المنوفي، تدل على فضله، وكان شديد الشكيمة في الدين يصدع بالحق، ولم يزل مواظبا على الإقراء والإفادة حتى توفي^(٣).

* أبو البركات أحمد بن محمد بن أبي حامد العدوي الأزهرى الشهير بالدردير (١١٢٧هـ - ١٢٠١هـ): شيخ الإسلام، وأحد المنسوب لهم التجديد على رأس المائة الثانية عشرة من المالكية، أخذ عن الشيخ الصعيدى ولازمه وانتفع به، وبه تفقه وبغيره من أعلام عصره، وعنه أخذ الدسوقي والصاوي وغيرهما.

(١) شجرة النور الزكية ص ٣٠٤ - ٣٠٥، الفكر السامي ٣٣٧/٤.

(٢) شجرة النور ص ٣١٧ كشف الظنون ٢٣٧/٦ الفكر السامي ٣٣٧/٤ معجم المؤلفين ٢١٠/١٠ - ٢١١.

(٣) شجرة النور الزكية ص ٣٤١ - ٣٤٢، كشف الظنون ٦١٤/٥، الفكر السامي ٣٤٧/٤، فهرس الفهارس ٧١٢/٢ - ٧١٣.

أفتى في حياة شيوخه، وارتقى حتى تولّى الفتيا، وصار شيخ أهل مصر في وقته، وكان يصدع بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم.

له مؤلفات غاية في التحرير، رزق في غالبها القبول، منها: أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك في شرح مختصر خليل^(١)، ومن تلاميذ الشيخ الدردير:

* محمد بن أحمد بن عرفة الشهير بالدسوقي (١٢٣٠هـ): الأزهرى، لازم حضور دروس المشايخ كالصعيدي والدردير، ثم تصدّر للتدريس وأتى بكلّ نفيس فكثر الآخذون عليه والمتردّدون إليه، صنّف حواشي كثيرة رزق فيها القبول لوضوح عباراتها، منها: حاشية على شرح الدردير لمختصر الشيخ خليل.

أفاد وأجاد، وكان فريداً في تسهيل المعاني وتبيين المباني، ولم يزل على حالته في الإفتاء والتدريس والإفادة إلى أن توفي^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد السنباوي الشهير بالأمير (١١٥٤هـ - ١٢٣٢هـ): صاحب التحقيقات الرائقة والتأليف البارعة، الذي استخراج نفائس الدرر من نحور المنقول والمعقول.

حضر دروس أعيان عصره واجتهد في تحصيل العلم، وأخذ عن أعلام المذاهب الأربعة بمصر، ولازم أبا الحسن العدوي الشهير بالصعيدي أكثر من عشرين سنة وانتفع به حتى انتهت إليه الرئاسة في العلوم بالديار المصرية، وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهية.

تصدّر لإلقاء الدروس في حياة شيوخه، واشتهر أمره وذاع ذكره وشاع

(١) شجرة النور الزكية ص ٣٥٩، كشف الظنون ١٤٩/٥، الفكر السامي ٣٤٨/٤، فهرس الفهارس ٣٩٣/١ - ٣٩٤، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة ص ٤٥ - ٤٦.

(٢) كشف الظنون ٢٧٨/٦، شجرة النور الزكية ص ٣٦١ - ٣٦٢، الفكر السامي ٣٥٣/٤.

فضله في الآفاق وخصوصاً ببلاد المغرب، ووفد عليه الطالبون، وأخذ عنه من لا يعدّ كثرة.

صنّف مؤلفات غاية في الإتقان والإجادة رزق فيها القبول، منها: حاشية على شرح عبد الباقي الزرقاني على المختصر، وعلى شرح العزّيّة، وكان شيخه الصعيدي إذا توقّف في مسألة قال: هاتوا مختصر الأمير^(١)، ومن تلاميذه:

* أبو العباس أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي (١٢٤١هـ): شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ أخذ عن شيوخ أهل عصره من أمثال الدردير والدسوقي، من مصنفاته: بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، على الشرح الصغير للدردير^(٢).

وأما الشافعيّة فقد أحصى السيوطي من أعلامهم خلال المرحلة الأولى من هذا الدور، ما يقرب عن المائة ممّن تفرّدوا في ميدان العلم، وحصل لهم من المجد والإقبال والشرف والأفضال ما لا يمكن شرحه بالمقال. وكان من أشهرهم:

* أبو الفتح تقّي الدين محمد بن عليّ بن وهب المعروف بابن دقيق العيد (٦٢٥هـ - ٧٠٢هـ): أحد علماء وقته، وأجلّهم وأكثرهم مداومة على العلم في ليله ونهاره، لا ينام من الليل إلّا قليلاً، يقطعه مطالعة وذكرًا وتهجّداً.

كان إماماً محرّراً، فقيهاً مدقّقاً، أصوليّاً مدرّكاً، بصيراً بعلم المنقول والمعقول، غوّاصاً على المعاني، مكبّاً على المطالعة والجمع، له اليد الطولى في الفروع والأصول، حافظاً للحديث وعلومه.

تفقه على والده مجد الدين شيخ المالكيّة، ثمّ تفقه على الشيخ عزّ

(١) شجرة النور الزكية ص ٣٦٢ - ٣٦٣، الفكر الإسلامي ٣٥٤/٤، فهرس الفهارس ١٣٣/١ - ١٣٤.

(٢) كشف الظنون ١٥٢/٥، شجرة النور الزكية ص ٣٦٤ اليواقيت الثمينة ص ٥٠ - ٥١.

الدين بن عبدالسلام، فحقّق المذهبين، وأفتى فيهما، واشتهر اسمه في حياة مشائخه، وشاع ذكره، وكان الشيخ ابن عبدالسلام يقول: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها: ابن منير بالإسكندرية وابن دقيق العيد بقوص.

ولي قضاء الديار المصرية من سنة ٦٩٥هـ، واستمرّ فيه إلى أن مات، فكان قاضي القضاة بمصر، وشيخها وعالمها، شيخ العصر، علامة في المذهبين المالكي والشافعي، يحقّقهما تحقيقاً عظيماً.

بسط السبكي ترجمته في «الطبقات الكبرى» ثمّ قال: «ولم ندرك أحداً من مشائخنا يختلف في أنّ ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة» ووصفه بالمجتهد المطلق.

برع في علوم كثيرة لا سيّما في علم الحديث، حيث فاق فيه على أقرانه وبرز على أهل زمانه، ورحلت إليه الطلبة من الآفاق، ووقع على علمه وورعه وزهده الاتّفاق.

صنّف التصانيف المشهورة، منها: شرح مختصر ابن الحاجب، لم يكمله، وشرح عمدة الأحكام للحافظ عبدالغنيّ، وله غير ذلك^(١).

وكان يعاصره:

* أبو العباس نجم الدين أحمد بن محمد الأنصاري الشهير بابن الرفعة (٦٤٥هـ - ٧١٠هـ): شيخ الإسلام وحامل لواء الشافعية في عصره، اشتهر بالفقه وبرع فيه إلى أن صار يضرب به المثل، ولقّب الفقيه لغلبة الفقه عليه، فكان إذا أطلق لفظ الفقيه انصرف إليه من غير مشارك.

كان أعجوبة في استحضار كلام الأصحاب، وفي معرفة نصوص

(١) حسن المحاضرة ١/١٩٢، شذرات الذهب ٦/١٣٩ - ١٤٠، الدرر الكامنة ٤/٩١ - ٩٦، البداية والنهاية ١٤/٢٧، تذكرة الحفاظ ٤/١٤٨١، طبقات الشافعية الكبرى ٩/٢٠٧ - ٢٤٩، وفيات النشريسي ص ٩٧، البدر الطالع ص ٧٤٥ - ٧٤٨، الديباج المذهب ص ٤١١ - ٤١٢، النجوم الزاهرة ٨/٢٠٦، لقط الفرائد ص ١٦٢، هديّة العارفين ٢/١٤٠.

الشافعي، وفي قوّة التخرّيج، لم يخرج المركز المصري بعد ابن الحدّاد من يدايه، ولا يعلم في الشافعية مطلعاً بعد الرافعي من يساويه.

ندب لمناظرة ابن تيميّة، فسئل ابن تيميّة عنه، فقال: رأيت شيخاً تتقاطر فروع الشافعية من لحيته، صنّف التصنيفين المشهورين كفاية التنبيه في شرح التنبيه للشيرازي، فأجاد فيه، والمطلب العالي في شرح وسيط الغزالي، لم يكمله، وهو شرح حافل اشتمل على نقول كثيرة وتخرّيجات واعتراضات تشهد بغزارة مواده وسعة علمه وقوّة فهمه^(١).

* أبو محمد جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الإسنوي (٧٠٤هـ - ٧٧٢هـ): شيخ الشافعية ومفتيهم ومصنّفهم ومدرسهم، ذو الفنون: الأصول والفقه والعربية، وكان بحراً في الفروع والأصول محققاً لما يقول من النقول.

كان فقيهاً ماهراً ومعلماً ناصحاً ومفيداً صالحاً، تقدّم في الفقه حتّى صار إمام زمانه، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، وصار أُوحد أهل زمانه، المشار إليه بالديار المصرية في أوّانه، وبه تخرّج خلق كثير من الفضلاء، وانتفع به أكثر علماء المركز المصري.

كان ملازماً للإفادة والتصنيف، ومن مصنّفاته: الفروع ومختصر الشرح الصغير للرافعي، والكوكب الدرّي في تخرّيج مسائل الفقه على النحو، وتصحيح التنبيه للشيرازي، وهو مختصر، قال: وجدت تصحيح التنبيه للنووي قد أهمل في كثير، فحسنته وجردت المهملات، وجمعتها في تأليف سمّيته التنقيح، وله أيضاً المهمّات شرح به كتاب الروضة الذي هو مختصر الشرح الكبير في شرح وجيز الغزالي، والتمهيد في تنزيل الفروع

(١) حسن المحاضرة ١/١٩٢، الدرر الكامنة ١/٢٨٤ - ٢٨٧، البداية والنهاية ١٤/٦٠، شذرات الذهب ٦/١٦٣، النجوم الزاهرة ٩/٢١٣، طبقات الشافعية الكبرى ٩/٢٤ - ٢٧، البدر الطالع ص ١٣٠ - ١٣٢.

على الأصول^(١).

ومن تلاميذ الإمام الإسنوي:

* بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (٧٤٥هـ - ٧٩٤هـ): أخذ عن الشيخين جمال الدين الإسنوي وسراج الدين البلقيني، كان فقيهاً أصولياً وأديباً فاضلاً، عني بالفقه والأصول والحديث.

صنّف تأليف كثيرة في عدّة فنون منها في الفقه: تكملة شرح منهاج الطالبين للنووي، الذي شرحه الإسنوي ولم يكمله، فأكمّله الزركشي، وله خادم الرافعي والروضة في الفروع، ويسمّى أيضاً خادم الشرح والروضة، وله خبايا الزوايا في الفروع، ذكر فيه ما ذكره الرافعي والنووي في غير مظنته من الأبواب فردّ كلّ شكل إلى شكله، وكلّ فرع إلى أصله، وشرح التنبيه للشيرازي، وشرح الوجيز للغزالي، والقواعد في الفقه والبحر المحيط في أصول الفقه، وغير ذلك في علوم الحديث والقرآن والتفسير^(٢).

* أبو حفص سراج الدين عمر بن عليّ المعروف بابن الملقن (٧٢٣هـ - ٨٠٤هـ): أحد مشائخ الإسلام ومفتي المسلمين، وسيّد المناظرين.

اشتغل في كلّ فنّ حتّى قرأ في كلّ مذهب كتاباً، وأذن له بالإفتاء فيه، فأفتى ودرّس، وتصدّى لذلك دهراً طويلاً، وأثنى عليه الأئمة، ونوّه بذكره القاضي تاج الدين السبكي.

امتنح بسبب القضاء في سنة ٧٨٠هـ، فلزم بيته وأكبّ على التأليف حتّى صار أكثر أهل زمانه تصنيفاً، وكان تصنيفه أحسن من تقريره، وقد بلغت مصنفاته نحو ٣٠٠ كتاب، سارت في الأقطار مسير الشمس.

(١) حسن المحاضرة ١/١٩٨، النجوم الزاهرة ١١/١١٤، الدرر الكامنة ٢/٣٥٤ - ٣٥٦، شذرات الذهب ٦/٤٢٢ - ٤٢٣، لقط الفرائد ص ٢١٥.

(٢) حسن المحاضرة ١/٢٠١، شذرات الذهب ٧/٨٥، النجوم الزاهرة ١٢/١٣٤، الدرر الكامنة ٣/٣٩٧ - ٣٩٨.

كان جماعة للكتب وقد احترق غالبها قبل موته، وقد جمع في بعض تصانيفه بين نحو مائتي كتاب في المذهب، وسماه جمع الجوامع، حيث جمع فيه بين كلام الرافعي في شرحه - على الوجيز للغزالي - ومحرره، والنووي في شرحه - على المهذب للشيرازي - ومنهاجه وروضته، وابن الرفعة في كفايته ومطلبه والقمولي في بحره وجواهره، وغير ذلك، مما أهملوه وأغفلوه مما وقف عليه من التصانيف في المذهب.

ومن تصانيفه الفقهية كذلك: إرشاد النبيه إلى تصحيح التنبيه للشيرازي، وغنية الفقيه في شرح التنبيه والتأديب في مختصر التدريب، وتذكرة الأخيار بما في البسط من الأخبار، وشرح الحاوي الصغير للقزويني.

وكان الناس يقولون: أعجوبة هذا العصر على رأس القرن العراقي والبلقيني وابن الملقن، الأول في معرفة الحديث وفنونه، والثاني في التوسع في معرفة مذهب الشافعي، والثالث في كثرة التصانيف، وقدّر أنّ كلّ واحد من الثلاثة ولد قبل الآخر بسنة، ومات قبله بسنة، فأولهم ابن الملقن ثمّ البلقيني ثمّ العراقي^(١).

* عمر بن رسلان سراج الدين البلقيني (٧٢٤هـ - ٨٠٥هـ): شيخ الوقت وإمامه وحجّته، الذي نال في الفقه وأصوله الرتبة العليا، وانتهت إليه مشيخة الفقه في وقته.

كان أعجوبة زمانه حفظاً واستحضاراً، حفظ القرآن وصلّى به وهو ابن سبع سنين، ثمّ حفظ المحرر في الفقه والكافية لابن مالك في النحو، ومختصر ابن الحاجب في الأصول، والشاطبية في القراءات قبل الثانية

(١) حسن المحاضرة ٢٠١/١، شذرات الذهب ١٧٠/٧ - ١٧١، الضوء اللامع ١٠٠/٦ -

١٠٥، البدر الطالع ص ٥٠٩ - ٥١٢، كشف الظنون ٦٣٠/٥ - ٦٣١.

عشرة من عمره، ثم أكمل اشتغاله على علماء عصره حتى فاق الأقران، وبهر شيوخه بذكائه وكثرة محفوظه وسرعة فهمه، فأذن له في الفتيا وهو ابن خمس عشرة سنة.

أكبّ على الاشتغال بالعلم والتصنيف حتى انفرد برئاسة العلم، ولم يبق من يزاومه، وكان كل من اجتمع به يخضع له لكثرة استحضاره، حتى يكاد يقطع بأنه يحفظ الفقه سرداً من أول الأبواب إلى آخرها لا يخفى عليه منه كبير أمر، فبهر الناس بحفظه، وحسن عبارته، وجودة معرفته، وانتفع به عامة الطلبة، وخضع له شيوخ وقته واعترفوا بفضله، وتصدّى للفتيا فكان معول الناس عليه في ذلك، واشتهر اسمه في الآفاق وبعد صيته حتى أتته الفتاوى من الأقطار، ولم تعد تركز النفس إلا إلى فتواه.

اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، فقليل: إنّه مجدّد القرن التاسع، وقال بعض معاصريه: لم تر العين أحفظ للفقه وللأحاديث الأحكام منه، كان يتكلّم على الحديث الواحد من بكرة إلى قرب الظهر، وربما أذن الظهر ولم يفرغ من الحديث الواحد، حتى اعترف له علماء جميع الأقطار بالحفظ وكثرة الاستحضار.

وكان موقفاً في الفتوى يجلس لها من بعد صلاة العصر إلى الغروب، وكان لا يأنف إذا أشكل عليه شيء من مراجعة الكتب، ولا من تأخير الفتوى عنده إلى أن يحقّق أمرها^(١).

وخلفه في علمه وفهمه ابنه:

* علم الدين صالح البلقيني (٧٩١هـ - ٨٦٨هـ): إمام الفقهاء في عصره، نشأ في كنف والده فحفظ القرآن، وصلّى به للناس التراويح على العادة بمدرسة والده وهو دون سنّ الثامنة.

(١) حسن المحاضرة ٢٠١/١، شذرات الذهب ١٧٦/٧ - ١٧٧، الضوء اللامع ٨٥/٦ -

٩٠، البدر الطالع ص ٥٠٧ - ٥٠٩، كشف الظنون ٦٣١/٥.

كان غاية في الذكاء وسرعة الحفظ، لازم الاشتغال في الفقه وأصوله والعربية والحديث، وغيرها من العلوم، وتفرد بالفقه ودرسه وهو شاب، وعنه أخذ الجَمّ الغفير وألحق الأصاغر بالأكابر، والأحفاد بالأجداد.

كان عالماً فقيهاً قويّ الحافظة سريع الإدراك طلق العبارة فصيحاً، تصدر لنشر العلم والإفتاء، وطارت فتاويه في الآفاق، واشتهر اسمه وبعد صيته، وأصبح حامل لواء المذهب الشافعي في عراقه وحجازه وشامه مصره، وعنه أخذ الفضلاء من كلّ ناحية طبقة بعد أخرى.

استقرّ في قضاء الشافعية بالديار المصرية سنة ٨٢٦هـ، فأقام سنة، ثمّ صرف، وقد تكرّر عوده للقضاء وصرفه عنه سبع مرّات، كانت مدّة ولايته القضاء في مجموع تلك المرار: ثلاث عشرة سنة ونصف.

أفرد فتاوى أبيه السراج البلقيني في كتاب سمّاه التجرد والاهتمام بجمع فتاوى الوالد شيخ الإسلام، ورتبه على أبواب الفقه، وفرغ من جمعه وترتيبه سنة ٨٣٠هـ، وله في الفقه: التدريب، وترتيب الأقسام على مذهب الإمام، وتصحيح المنهاج للنووي، ومعرفة الملمات للأسنوي في الفروع، وغيرها^(١).

ومن تلامذته:

* جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩هـ - ٩١١هـ): ختم القرآن العظيم وله من العمر دون ثمان سنين، ثمّ حفظ عمدة الأحكام للحافظ عبدالغني الحنبلي، ومنهاج النووي، وألفية ابن مالك ومنهاج البيضاوي، وعرض ذلك على علماء عصره فأجازوه.

(١) حسن المحاضرة ٢٠٥/١، الضوء اللامع ٣١٢/٣ - ٣١٤، شذرات الذهب ٤٤٧/٧، البدر الطالع ص ٢٩٧ - ٢٩٨، نظم العقيان ص ١١٩، كشف الظنون ٢٩٩/١، و٣٤٥/٥، هدية العارفين ٤٢٣/١.

شرع في حضور دروس شيخه علم الدين البلقيني ابتداء من سنة ٨٦٤هـ، وهو في سن الخامسة عشرة من عمره، فقرأ عليه ما لا يحصى، كما لزم دروس أعلام عصره حتى أجزى بالتدريس والإفتاء.

ولمّا حجّ شرب من ماء زمزم لأمر منها أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر العسقلاني.

وقد ذكر تلميذه الداودي في ترجمته أسماء شيوخه إجازة وقراءة وسماعاً، فبلغ عددهم واحداً وخمسين شيخاً، واستقصى مؤلفاته الحافلة فنافت عدتها على خمسمائة مؤلف، وشهرتها تغني عن ذكرها، وقد اشتهرت أكثرها في حياته في أقطار الأرض شرقاً وغرباً، وكان آية كبرى في سرعة التأليف مع حسن التحرير والتدقيق والإتقان.

كان أعلم أهل زمانه، قد رزق التبخر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبدیع، وقد صرح بنفسه أنه يعتقد بأنّ الذي وصل إليه من الفقه والنقول التي اطلع عليها ممّا لم يصل إليه، ولا وقف عليه أحد من شيوخه فضلاً عمّن دونهم، وصرح بأنّ أدوات الاجتهاد قد كملت عنده وأنه لو شاء أن يكتب في كلّ مسألة تصنيفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والمقارنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدّر على ذلك.

لكنّه لم يسلم من حاسد لفضله، وجاحد لمناقبه، فإنّ السخاوي في الضوء اللامع وهو من أقرانه ترجمه ترجمة مظلمة غالبها ثلب فظيع وسبّ شنيع وانتقاص وغمط لمناقبه تصریحاً وتلويحاً، وهذا غير مقبول عليه لما عرفت من قول أئمّة الجرح والتعديل بعدم قبول الأقران في بعضهم بعضاً، مع ظهور أدنى منافسة، فكيف بمثل المنافسة.

ولمّا بلغ الأربعين من عمره شرع في تحرير مؤلفاته وترك الإفتاء

والتدريس، واعتذر عن ذلك في كتاب سَمَاهُ «التنفيس في الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس»^(١).

وقد ترجم السيوطي ترجمة له من إنشائه في باب الأئمة المجتهدين من كتابه حسن المحاضرة، وذكر أنه يقتدي في ذلك بالمحدثين من قبله كالإمام عبدالغافر الفارسي (٥٢٩هـ) في تاريخ نيسابور، وياقوت الحموي (٦٢٦هـ) في معجم الأدباء، ولسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ) في تاريخ غرناطة، والحافظ تقي الدين الفاسي (٨٣٢هـ) في تاريخ مكة، والحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في قضاة مصر^(٢).

ثم كان من بعده: عمدة العلماء الأعلام، حامل لواء المذهب الشافعي على كاهله، ومحزّر مشكلاته:

* القاضي زكرياء بن محمد بن زكرياء الأنصاري (٨٢٦هـ - ٩٢٦هـ): شيخ الإسلام، قاضي القضاة زين الدين أبو يحيى السنيكي، ملحق الأحفاد بالأجداد، المتفرد في زمنه بعلو الإسناد، الذي تلقى العلم عمّن لا يحصى كثرة، ولم ينفك عن الاشتغال بالعلم حتى أذن له غير واحد من شيوخه في الإفتاء والإقراء، منهم شيخ الإسلام ابن حجر، فتصدّى للتدريس في حياة شيوخه، وانتفع به الفضلاء طبقة بعد طبقة، وقصد بالفتاوى، وزاحم كثيراً من شيوخه فيها.

كانت رويته أحسن من بديهته، وكتابه أمتن من عباراته، وعدم مسارعه إلى الفتوى يعدّ من حسناته، وله باع طويل في كلّ فنّ.

ولّى تدريس عدّة مدارس، ثمّ وُلّي منصب قاضي القضاة سنة ٨٨٦هـ

(١) شذرات الذهب ٨/٨٧ - ٩٠، البدر الطالع ص ٣٣٧ - ٣٤٣، الضوء اللامع ٤/٦٥ - ٧٠، الكواكب السائرة ١/٢٢٦ - ٢٣١، كشف الظنون ٥/٤٣٤ - ٤٤١، هدية العارفين ١/٥٣٤ - ٥٤٤، الأعلام ٤/٧١، معجم المؤلفين ٥/١٢٨، لقط الفرائد ص ٢٧٩، الطبقات الصغرى للشعراني ص ١٧ - ٣٢ فهرس الفهارس ٢/١٠١٠ - ١٠٢٢.

(٢) حسن المحاضرة ١/١٥٣.

بعد امتناع كثير، واستمرّ على القضاء، إلى أن كفّ بصره فعزل، ثم لم يزل ملازماً للتدريس والإفتاء والتأليف إلى أن توفي، بعد أن عمّر المائة من عمره، فحاز به سعة التلاميذ والأتباع، وكثرة الآخذين عنه ودوام الانتفاع.

شرح مصتقات عديدة، وألف ما لا يحصى كثرة، منها: صاحب أدب القاضي على مذهب الشافعي، وبهجة الحاوي شرح حاوي الصغير للقزويني في فروع الفقه الشافعي، واختصر تنقيح اللباب لوليّ الدين العراقي وسماه تحرير تنقيح اللباب، وضمّ إليه الفوائد، وبدّل غير المعتمد بالمعتمد، وحذف منه الخلاف، وما عنه غنى، ثم شرحه في كتاب سماه تحفة الطلاب لشرح تحرير تنقيح اللباب، وشرح مختصر المزني في الفروع ومنهج الطلاب في شرح منهاج الطالبين للنووي، ونهاية الهداية في شرح الكفاية، وغيرها^(١).

* شمس الدين محمد بن الشربيني الخطيب (٩٧٧هـ): أخذ عن أعلام عصره، وأجيز بالإفتاء والتدريس، فدرّس وأفتى في حياة شيوخه الذين وصفوه بالعلم والعمل، والزهد والورع، وكثرة النسك والعبادة.

كان من عادته أن يعتكف من أوّل رمضان فلا يخرج من الجامع إلاّ بعد صلاة العيد، وكان إذا حجّ اشتغل بتعليم الناس المناسك وآداب السفر وكيفية التقصير والجمع.

من أشهر مصتقاته الفقهية: شرح على كتاب المنهاج للنووي وشرح على كتاب التنبيه للشيرازي، وهما شرحان عظيمان جمع فيهما تحريرات شيوخه بعد القاضي زكرياء، وأقبل الناس على قراءتهما ونسخهما في حياته^(٢).

(١) شذرات الذهب ١٧٤/٨ - ١٧٦، الكواكب السائرة ١٩٦/١، الضوء اللامع ٢٣٤/٣ - ٢٣٨، كشف الظنون ٤٥٤/٢ و ٣٠٧/٥ - ٣٠٨، نظم العقيان ص ١١٣، الأعلام ٤٦/٣، الطبقات الصغرى ص ٣٢ - ٣٩، فهرس الفهارس ٤٥٧/١ - ٤٥٩.

(٢) شذرات الذهب ٤٥١/٨، الكواكب السائرة ٧٩/٣، معجم المؤلفين ٢٦٩/٨، الأعلام ٢٣٤/٦، كشف الظنون ٧٠١/٢.

ومن بين الذين سار ذكرهم في الأقطار بعد هؤلاء مسير النهار:

* شمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة الرملي (٩١٩هـ - ١٠٠٤هـ): الشهير بالشافعي الصغير، شيخ المصريين، علامة المحققين على الإطلاق، وعالم المدققين بالاتفاق، فقيه مصر في وقته.

كان عجيب الفهم، غزير العلم، يوصف بفتح أقفال مشكلات العلوم، ومحبي ما اندرس منها من الآثار والرسوم، ولي إفتاء الشافعية بالديار المصرية، وكان مرجع أهل مصر في تحرير الفتاوى، كما شهد له معاصره الشعراني.

وقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه مجدد القرن العاشر، وصرح بعضهم بأنه لم يشتهر الانتفاع بأحد في قرنه مثله.

من مصنفاته الفقهية: شرح كتاب المنهاج للنووي، وكتاب التحرير لشيخ الإسلام زكرياء الأنصاري^(١).

وظلت مصر بعد القرن العاشر تكتظ بفقهاء الشافعية الذين تسربلوا بسربال العلم، وتعلقوا بأسباب الفقه وخاضوا مع العلماء فركبوا في فلکهم ولزموهم حتى انتظموا في سلكهم.

* عبدالرؤف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي الحدادي (٩٥٢هـ - ١٠٣١هـ): خاتمة الحفاظ المجتهدين، وأعلم معاصريه بالحديث، وأكثرهم فيه إجابة وتحريرا، من مصنفاته المشهورة: فيض القدير في شرح الجامع الصغير للسيوطي، وصاحب إتحاف الطلاب بشرح كتاب العباب في الفقه، وإتحاف الناسك بأحكام المناسك، وإحسان التقرير بشرح التحرير للقاضي زكرياء في الفقه وغير ذلك^(٢).

* عبدالمعطي بن سالم بن عمر السملائي (١١٢٧هـ): صاحب

(١) البدر الطالع ص ٦١٩، الفكر السامي ٤/٤٢٠ - ٤٢١، الأعلام ٦/٢٣٥.

(٢) كشف الظنون ٥/٤١٥، فهرس الفهارس ٢/٥٦٠ - ٥٦٢.

اقتطاف الزهر من جوانب أشجار النهر من مسائل الفتاوى، والمربع في حكم العقد على المذاهب الأربعة، وغيرها^(١).

* أحمد بن عمر أبو العباس الديربي (١١٥١هـ): صاحب غاية المقصود لمن يتعاطى العقود على المذاهب الأربعة، وفتح العزيز الغفار بالكلام على شرح الاختصار في الفروع، وفتح الكريم الوهاب بختم شرح تحرير تنقيح اللباب في الفقه، ومناسك الحج على مذهب الشافعي، وغير ذلك^(٢).

* محمد بن أحمد بن الحسن بن عبدالكريم الخالدي الشهير بابن الجوهري (١١٥١هـ - ١٢١٥هـ): صاحب حاشية على ابن قاسم العبادي إلى باب البيوع، ورسالة في أركان الحجّ، وحلية ذوي الأفهام بتحقيق دلالة العام، والروض الوسيم في المفتى به من المذهب القديم، ونهج الطالب في أشرف المطالب اختصره من منهج الطلاب، وله مجموعة رسائل فقهية منها: رسالة في ثبوت رمضان، ورسالة في زكاة النابت، وغير ذلك^(٣).

* أبو السعادات حسن بن علي العطار (١٢٥٠هـ): شيخ الجامع الأزهر، الذي أقرّ له علماء عصره بالانفراد.

كان آية في حدة النظر وشدة الذكاء، وقد بلغ من تحصيل العلوم في زمن قليل ما هيأه للتدريس، كان إذا جلس للدرس ترك المشائخ حلقتهم وقاموا إلى درسه.

وقد ظلّ حسن العطار مصدر إشعاع لمختلف العلوم إلى أن ولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦هـ فزانتها وشرفها وبقي شيخاً للأزهر إلى أن توفي.

(١) كشف الظنون ٥/٥٠١.

(٢) كشف الظنون ٥/١٤٢ - ١٤٣.

(٣) كشف الظنون ٥/٢٧٥ - ٢٧٦.

ترك مؤلفات قيّمة، شروحاً وحواشٍ، في فنون مختلفة، وكان ينادي بضرورة الرجوع إلى الكتب المصادر وعدم الاكتفاء بالمتون والمختصرات^(١).

وأما المذهب الحنبلي فقد برز منهم بالمركز المصري فقهاء كانوا أئمة مصرهم بل سائر الأمصار، رفع الله لهم من الذكر الحسن والثناء الجميل حتى سارت بذكرهم الركبان إلى الأنجاد والأغوار.

ومن بين هؤلاء، نذكر:

* أبو عبدالله نجم الدين أحمد بن حمدان الحراني النميري (٦٩٥هـ): الفقيه الأصولي، شيخ الفقهاء وصاحب التصانيف منها الرعاية الصغرى والرعاية الكبرى في الفقه.

جالس ابن عمّه الشيخ مجد الدين بن تيمية، وبرع في الفقه حتى انتهت إليه معرفة المذهب بدقائقه وغوامضه.

كان عارفاً بالأصلين والخلاف والأدب، وولي نيابة القضاء بالقاهرة، وتفقه به وتخرّج عليه جماعة كثيرة بعد أن عمّر وأسنّ^(٢).

* محمد بن عبدالله بن محمد الزركشي (٧٤٤هـ): الذي شرح الخرقى شرحاً لم يسبق إلى مثله، وكان كلامه فيه يدلّ على فقه نفس وتصرف في كلام الأصحاب^(٣).

* أبو محمد موفق الدين عبدالله بن عبدالملك المقدسي (٧٦٩هـ): قاضي القضاة بالديار المصرية لأكثر من ثلاثين سنة - من سنة ٧٣٨هـ إلى

(١) كشف الظنون ٢٤٨/٥، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث لأحمد تيمور ص ٢٠ - ٣٨.

(٢) حسن المحاضرة ٢٢٢/١، شذرات الذهب ٩٨/٦.

(٣) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤١٩.

أن توفي -، تفقه وأفتى ودرّس حتى كانت له اليد الطولى في المذهب، وأثنى عليه الأئمة.

حمدت سيرته في القضاء، وانتشر في أيامه مذهب أحمد بالديار المصرية، وكثر فقهاء الحنابلة بها^(١).

* أبو الفتح ناصر الدين نصر الله بن أحمد الكناني العسقلاني (٧١٨هـ - ٧٩٥هـ): قاضي قضاة الحنابلة، أقام في قضاء الديار المصرية ستًا وعشرين سنة، وكان مشكور السيرة.

اشتغل في العلوم وتفتّن وأفتى ودرّس، وناب في القضاء عن صهره قاضي القضاة موقّق الدين نحو عشرين سنة، ثمّ استقلّ بالقضاء بعد وفاته سنة ٧٦٩هـ^(٢).

ومن ذريّته الذين نافسوا الأوائل والأواخر، ولده برهان الدين، وحفيده عزّ الدين، فأما:

* برهان الدين إبراهيم بن ناصر الدين الكناني العسقلاني (٧٦٨هـ - ٨٠٢هـ): فهو الذي ولي القضاء بعد والده وعمره سبع وعشرون سنة، فسلك طريق أبيه في الفقه والتعقّف في الأحكام، حتى أحبه الناس ومالوا إليه أكثر من والده، ثمّ لم يلبث أن مات وعمره أربع وثلاثون سنة^(٣).

وأما عزّ الدين، فهو:

* أبو البركات عزّ الدين أحمد بن إبراهيم الكناني العسقلاني (٨٠٠هـ -

(١) حسن المحاضرة ٢٢٢/١، شذرات الذهب ٤١٣/٦، النجوم الزاهرة ٩٩/١١.

(٢) حسن المحاضرة ٢٢٢/١، شذرات الذهب ٩٤/٧ - ٩٥، النجوم الزاهرة ١٣٧/١٢، الدرر الكامنة ٣٩٠/٤، الضوء اللامع ١٧٩/١، إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١٠١.

(٣) حسن المحاضرة ٢٢٢/١، شذرات الذهب ١٣٧/٧، الضوء اللامع ١٧٩/١، إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ٩٩.

- ٨٧٦هـ): اشتغل بالعلم وبرع، ولقي المشائخ، ودأب في الصغر، وحصل أنواعاً من العلوم.

مشى على طريقة السلف، وسعى إلى أن بلغ العلا، وخدم الفنون إلى أن بلغ منها المنى، وتفرد بالمذهب.

درّس وأفتى وناظر، وولّي القضاء فأحيا سنّة التواضع وطرح التكلف، وسار في أحسن سبيل، ما بين تأليف ومطالعة، وإفتاء ومراجعة، وتدرّس للحنابلة بغالب مدارس البلد.

ناب في القضاء وهو ابن سبع عشرة سنة، ثمّ وليّ قضاء الحنابلة بالديار المصرية فباشره بعقّة ونزاهة، وكان مرجع الحنابلة بهذا المركز إليه.

اشتهر ذكره وبعد صيته، وصار بيته مجمعا لكثير من الفضلاء، وأكثر من الجمع والتأليف والانتقاء والتصنيف في الفقه وأصوله وغيرها من العلوم، منها: مختصر المحرر في الفقه وتصحيحه ونظمه^(١).

* علاء الدين أبو الحسن عليّ بن سليمان المرداوي السعدي المعروف بالمرداوي (٨١٧هـ - ٨٨٥هـ): شيخ المذهب وإمامه ومصنّحه ومنقّحه، بل شيخ الإسلام على الإطلاق ومحرّر العلوم بالاتفاق.

اشتغل بالعلم واجتمع بالمشائخ وجدّ في الاشتغال، حتى برع، وانتهت إليه رئاسة المذهب، وباشر نيابة القضاء دهرأ طويلاً، فحسنت سيرته وعظم أمره.

كان فقيهاً حافظاً لفروع المذهب، مشاركاً في الأصول، مديماً للاشتغال، تصدّى للإقراء والإفتاء ببلده وغيرها، فانتفع به الطلبة، وحاز رئاسة المذهب في عصره.

صنّف كتباً كثيرة في أنواع من العلوم أعظمها: الإنصاف في معرفة

(١) حسن المحاضرة ١/٢٢٣ - ٢٢٤، شذرات الذهب ٧/٤٦٥ - ٤٦٦، الضوء اللامع

١/٢٠٥ - ٢٠٧، إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١٠٠ و ١٠٢ - ١٠٣.

الراجح من الخلاف، والتنقيح المشبع في تحريم المقنع وهو مختصر الإنصاف، والتحرير في أصول الفقه ذكر فيه المذاهب الأربعة وغيرها وشرحه في كتاب سمّاه التحبير في شرح التحرير، والجوهر المجموع في معرفة الراجح من الخلاف المطلق في الفروع لابن مفلح.

وقد أعانه على تصانيفه في المذهب ما اجتمع عنده من الكتب ممّا لعلّه انفرد به ملكا ووقفا.

وقد انتفع الناس بمصنفاته وانتشرت في حياته وبعد وفاته، وكانت كتابته على الفتوى غاية، وتنزّه عن مباشرة القضاء في آخر حياته.

صار قوله حجّة في المذهب يعوّل عليه في الفتوى والأحكام في جميع مملكة الإسلام^(١).

* تقيّ الدين محمد بن أحمد الفتوحي الشهير بابن النجار (٩٧٢هـ):
أخذ عن أبيه علوما جمّة، ثم سافر إلى الشام وأخذ عن شيوخها، ولما عاد إلى مصر ولى قضاء الحنابلة، وصنّف منتهى الإيرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات، فاشتغل به الطلبة في عصره واقتصروا عليه، ثم شرحه، وغالب استمداده فيه من كتاب الفروع لابن مفلح^(٢).

وكان والده:

* شهاب الدين أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي المعروف بابن النجار (٨٢٦هـ - ٩٤٩هـ): مغربي الأصل، وقد انتهت إليه رئاسة المذهب الحنبلي بالديار المصرية، وهو القاضي الحنبلي الوحيد من أصل مغربي.

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أنّ تاريخ المذهب الحنبلي في مصر قد عرف تداخلا كثيراً مع تاريخه في سائر المراكز الأخرى، لأنّ

(١) شذرات الذهب ٤٨٧/٧ - ٤٨٨، الضوء اللامع ٢٢٥/٥ - ٢٢٧، البدر الطالع ص ٤٤٩ - ٤٥٠ كشف الظنون ٥٨٩/٥.

(٢) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٤٠، إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص

أغلب الحنابلة الذين سادوا بمصر واشتهروا بها، وتولوا مناصب القضاء بها، كانوا من الوافدين عليها.

ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال:

* أبو محمد شرف الدين عبدالغني بن يحيى الحراني (٦٤٥هـ - ٧٠٩هـ): وهو من أقدم الحنابلة نزوحا إلى مصر^(١).

* برهان الدين بن نصر العسقلاني القاهري الكناني، وابنه عز الدين أحمد بن إبراهيم بن نصر الله العسقلاني: الذي ولد بالقاهرة سنة ٨٠٠هـ، وكان أبوه وجدّه قاضيان من أسرة عسقلانيّة عملت على نشر المذهب بمصر^(٢).

* تقي الدين أحمد بن عمر بن عبدالله المقدسي (٦٦٢هـ - ٧٣٨هـ): وكان من علماء عصره في الحديث والفقه، ولي قضاء الحنابلة بمصر، وبقي ستة وعشرين سنة قاضياً^(٣).

* قاضي القضاة عبدالله بن محمد الربيعي المقدسي موفق الدين (٦٩٠هـ - ٧٦٩هـ): الذي تعلّم بالقاهرة ودمشق ومكة المكرمة، وكان يعدّ من كبار شيوخ الحنابلة في عصره، ومتمّن نشر المذهب بمصر^(٤).

* نصر الله بن الكناني العسقلاني ناصر الدين (٧٩٥هـ): الذي تعلّم في نابلس ودمشق والقاهرة، وكان نائبا للقاضي مدة عشرين سنة، ثم سمي قاضي قضاة الحنابلة، وكانت أسرته أسرة قضاة، وهو ابن نصر الله المذكور قريبا وأخو أحمد بن نصر الآتي ذكره، وكلهم قضاة^(٥).

(١) البداية والنهاية ٥٦/١٤، إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ٩٩.

(٢) وقد سبقت ترجمتهما منذ قليل.

(٣) إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١٠٠، الدرر الكامنة ٢٢٥/١.

(٤) إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١٠١، الدرر الكامنة ٢٩٧/٢، شذرات الذهب.

(٥) الضوء اللامع ١٧٩/١، الدرر ٣٩٠/٤، إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١٠١.

* أحمد بن نصر الله بن أحمد موفق الدين (٨٠٣هـ): العسقلاني الأصل، قاضي الحنابلة بمصر^(١).

* محب الدين التستري أحمد بن نصر الله بن أحمد (٧٦٥هـ - ٨٤٤هـ): شيخ المذهب، ومفتي الديار المصرية، صاحب حواشي المحرر والفروع، البغدادي الأصل، ثم المصري، الذي رحل إلى الشام حيث تلقى العلم بدمشق وحلب وبعليك والقدس، ثم القاهرة والإسكندرية، واستقر آخر الأمر بالقاهرة، وعين على قضائها فكان من القضاة المشهورين بالعلم والعفة^(٢).

* سالم بن سالم المقدسي مجد الدين (٧٤٨هـ - ٨٢٦هـ): الذي تعلم في صغره بالقدس ثم استقر بالقاهرة سنة ٧٦٤هـ، وكان من المجتهدين في تحصيل العلم، وكان نائب القاضي، ثم سمي قاضي القضاة، وكان من المجتهدين في تحصيل العلم.

كان يدرّس الفقه الحنبلي قبل توليه القضاء وبعد إعفائه إلى وفاته، وقد باشر القضاء نيابة واستقلالاً أكثر من ثلاثين سنة^(٣).

وهكذا فإن أكثر الحنابلة بمصر في القرنين السابع والثامن وحتى التاسع إنما كانوا من أصل عراقي أو مقدسي أو شامي، وحتى من ولد منهم في مصر، وصار مصرياً، إنما كانوا من أبناء الوافدين من المشرق العربي لنشر المذهب^(٤).

ونمضي في المرحلة الثانية من هذا الدور، فنلتقي:

-
- (١) إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١٠٠.
 (٢) إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١٠٠، و ١٠٢ الضوء اللامع ٢/٢٣٣ - ٢٣٥، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤١١، إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١٠١.
 (٣) إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١٠٢، شذرات ٧/٣٠٥.
 (٤) إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١٠٤.

* محمد بن أحمد المرادوي (١٠٢٦هـ): نزيل مصر، وشيخ الحنابلة في عصره^(١).

* مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي (١٠٣٣هـ): أحد أكابر علماء المذهب الحنبلي بمصر، ومفتي رواق الحنابلة بها، وصاحب كتاب دليل الطالب، وهو متن مختصر مشهور، وله أيضاً غاية المنتهى جمع فيه بين الإقناع والمنتهى وسلك فيه مسالك المجتهدين^(٢).

* منصور بن يونس صلاح الدين البهوتي (١٠٥١هـ): شيخ الحنابلة بمصر وخاتمة علمائهم بها، ومؤسس عائلة البهوتي الحنبلية.

كان عالماً عاملاً متبحراً في الفروع الفقهية، قد انتهى إليه الإفتاء والتدريس، فكان الناس يرحلون إليه من الآفاق لانفراده في عصره بالفقه الحنبلي.

وعنه أخذ أكثر المتأخرين من الأصحاب الحنابلة، لا سيما من أسرته، فمنهم: الجمال يوسف البهوتي، والشيخ عبدالرحمن البهوتي، والشيخ محمد بن أبي السرور البهوتي وهم الذين نقلوا المذهب إلى من بعدهم.

من تصانيفه: شرح الإقناع للحجاوي، وحاشية على الإقناع للحجاوي، وشرح على منتهى الإرادات في فقه الحنابلة لابن النجار، وعمدة الراغب، وقد عمّ الانتفاع بمؤلفاته^(٣).

* محمد بن أحمد بن علي البهوتي الخلوئي (١٠٨٨هـ): المفتي،

(١) الفكر السامي ٤/٤٤٢.

(٢) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٤٢ - ٤٤٣، إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ٨٥ - ٩٦.

(٣) الفكر السامي ٤/٤٤٢، هدية العارفين ٢/٤٧٦، إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ٨٣ و ص ٨٥ - ٨٦، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٤٤.

والمدرس، كتب كثيراً من التحريرات، منها: حاشية على الإقناع، وأخرى على المنتهى^(١).

* إبراهيم بن أبي بكر بن إسماعيل الدنابي العوفي (١٠٣٠هـ - ١٠٩٤هـ): من أعيان الأفاضل، كان متبحراً في الفقه والحساب وغيرهما من العلوم، شرح منتهى الإرادات وألف رسائل كثيرة في الفرائض والحساب، وكان يرجع إليه في الأمور الدينية والدينية^(٢).

* محمد بن أبي السرور محمد سلطان البهوتي (١١٠٠هـ): أحد جلة الفقهاء، ذو اليد الطولى فيه، وفي العلوم المتداولة في عصره، انتفع به خلق كثير بمصر^(٣).

* أبو الهدى صالح بن الحسن بن أحمد بن علي البهوتي (١١٢١هـ): صاحب الألفية في الفقه، وعمدة كل فاضل وهي ألفية في الفرائض، وله وسيلة الراغب لعمدة الطالب، وهي منظومة لكتاب عمدة الواغب للشيخ منصور البهوتي، أولها:

يقول راجي عفو ربّه العليّ أبو الهدى صالح نجل الحنبلي
وغير ذلك من الرسائل والحواشي^(٤).

- ٢ - الشام:

بعد أن أنشئت في الدور السابق المدارس التي أذكت الحركة العلمية، وازدهر بها نشاط المذاهب الفقهية، جعل القضاة في الشام بداية من سنة ٦٦٤هـ أربعة، لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة قاض^(٥).

(١) الفكر السامي ٤/٤٤٣ - ٤٤٤.

(٢) الفكر السامي ٤/٤٤٤.

(٣) الفكر السامي ٤/٤٤٤.

(٤) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٤٤، كشف الظنون ٥/٣٤٦.

(٥) شذرات الذهب ٥/٤٦٠.

فأما المذهب الحنفي فتكاثر أسماء فقهاءه بالشام، وسلّم لهم أهل عصرهم في علومهم الباهرة، وبحوثهم النيرة الظاهرة، وكان من أبرزهم:

* أبو عبدالله شمس الدين محمد بن شرف الدين الأذري (٧٢٢هـ): وهو أحد مشايخ الحنفيّة وأتمّتهم وفضلاتهم في فنون من العلم متعدّدة، وليّ قضاء دمشق نحو عشرين سنة، فكان سديد الأحكام محمود السيرة جيّد الطريقة، ودرّس مدّة طويلة بمدارس الحنفيّة، وكان أفضى القضاة، فقيهاً بصيراً بالأحكام^(١).

* شمس الدين محمد بن يوسف بن إلياس القونوي (٧١٥هـ) - (٧٨٨هـ): أحد الأفراد في العبادة، كان يعمل بنفسه وأولاده في البستان الذي فيه سكنه بما يقيم به رmqه ورمق عياله على سبيل الاقتصاد لشدة ورعه ولكثرة تحريه.

اشتغل بالعلم، وبرع في الفقه والأصول وغير ذلك من العلوم، حتى صارت له اختيارات يخالف فيها المذاهب الأربعة لما يظهر له من دليل الحديث، وكان يبالغ في تعظيم نفسه في العلم، ويقول: أنا أعلم من النووي، وهو أزهّد منّي.

وكان الشيخ تقيّ الدين السبكي يبالغ في تعظيمه، وقد روي عن الحافظ زين الدين العراقي أنّه كان بدمشق سنة ٧٥٤هـ عند تقيّ الدين السبكي، فدخل القونوي عليه، فأسرع التقيّ لملاقاته حافياً، قال العراقي: فسألته بعد انصرافه: من الرجل؟ فقال: الشيخ شمس الدين القونوي الحنفي من الدين والعلم بمكان عظيم.

صنّف كتباً تدلّ على غزارة علمه ودقيق فهمه، منها: كتاب درر البحار في فقه الأئمّة الأربعة^(٢).

(١) شذرات الذهب ٢١٢/٦، البداية والنهاية ١٠٣/١٤.

(٢) الفوائد البهية ٢٠٢، تاج التراجم ٢٤١، شذرات الذهب ٥٠/٧ - ٥١، النجوم الزاهرة ٣٠٩/١١، الدرر الكامنة ٢٩٢/٤ - ٢٩٥.

* شمس الدين محمد بن محمد بن الشهاب غازي الحلبي (٧٤٩هـ - ٨١٥هـ) : المعروف بابن الشحنة الكبير، ولد بحلب ونشأ بها، وأخذ عن شيوخ بلده والقادمين إليها، رحل إلى دمشق والقاهرة فأخذ عن أعيانهما، فنبغ وتميّز في الفقه والفرائض والأدب، وكانت له اليد الطولى في جميع العلوم، وكان يتوقّد ذكاء وفطنة، ولمّا رجع من القاهرة أقام ملازماً للاشتغال والتدريس ونشر العلم، فأفتى ودرّس، وكان قد أذن له بالإفتاء والتدريس قبل أن يلتحق.

ولي قضاء حلب ودمشق والقاهرة، ثمّ قضاء الشام، فكان منفرداً بالرياسة علماً وعملاً في بلده وعصره، غرّة في جبهة دهره.

انتهى أمره إلى ترك التقليد، فكان يجتهد في مذهب إمامه، ويخرّج على أصوله وقواعده ويختار أقوالاً يعمل بها، وناهيك بذلك من مثله في عصره ومصره، فإنّ هذا باب قد سدّ منذ دهر.

صنّف في الفقه مختصراً في غاية القصر، احتوى على ما لم تحتو عليه المطوّلات، وجعله ضوابط ومستثنيات، واختصر منظومة النسفي في ألف بيت مع زيادة مذهب أحمد، ونظّم ألف بيت في عشرة علوم، كما صنّف في الأصول والتفسير وعلوم شتى^(١).

* شمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن أمير الحاج الحلبي (٨٢٥هـ - ٨٧٩هـ) : عالم الحنفيّة بحلب وصدرهم، كان إماماً عالماً.

لازم ابن الهمام في الفقه والأصلين، وغيرها من العلوم حتّى برع، وأذن له بالإفتاء والتدريس، فتصدّى للإقراء والإفتاء، فانتفع به جماعة، وأخذ عنه أكابر العلماء وافتخروا بالانتساب إليه، وما سلم من معاند.

صنّف مصنّفات شهيرة، منها: التقرير والتحبير في الفروع، حلية المحلي وبغية المهتدي في شرح منية المصلّي وغنية المبتدي، شرح المختار

(١) شذرات الذهب ٩/٨، البدر الطالع ص ٧٨٠ - ٧٨١، الضوء اللامع ٣/١٠ - ٦.

للموصلي في الفروع، منية الناسك في خلاصة المناسك^(١).

* أبو الفضل تاج الدين عبدالوهاب بن أحمد المعروف بعرب شاه (٨١٣هـ - ٩٠١هـ): كان في ابتداء أمره شاهداً، وقد بلغ من صناعة الشهادة غاية الدهاء، وبرع في علم الفرائض وتمييز فيها ونظم فيها أرجوزة سماها روضة الرائض في علم الفرائض.

ناب في قضاء دمشق والقاهرة مدة، ثم استقلّ بقضاء دمشق سنة ٨٨٤هـ، ثم عزل في السنة التي بعدها، فسافر إلى مصر وياشر التدريس بمدارسها إلى أن توفي.

من مصنفاته: نظم كبير في مذهب الحنفية يزيد على خمس وعشرين ألف بيت، سماه دلائل الإنصاف نظم مسائل طريقة الخلاف، والمنح المعظمة في نظم المسائل المقدمة لأبي الليث في الفقه، وغيرها^(٢).

* قطب الدين أبو عبدالله محمد بن محمد بن عمر بن سلطان (٨٧٠هـ - ٩٥٠هـ): شيخ الإسلام، ومفتي بلاد الشام، كان بيده تدريس القضاة المختصة بالحنفية، وتدرّس الظاهرية التي هي مسكنه، والنظر عليها، كما كان له تدريس في الجامع الأموي.

كان معظماً مهيباً نافذ الكلمة يرد إليه الأمراء في الفتوى، ماسكاً زمام الفقهاء، وكان يملئ الجواب على الأسئلة التي ترفع إليه، ويختم عليها خوفاً من التلبس عليه.

صنّف مؤلفاً في الفقه، ورسالة في تحريم الأفيون^(٣).

* برهان الدين إبراهيم بن بخشي بن إبراهيم المشهور بدادة خليفة

(١) شذرات الذهب ٤٧٣/٧، الضوء اللامع ٢١٠/٩ - ٢١١، البدر الطالع ص ٧٧١، كشف الظنون ١٦٥/٦، نظم العقيان ص ١٦١.

(٢) شذرات الذهب ٣٥/٨ - ٣٦، الكواكب السائرة ٢٥٧/١، الضوء اللامع ٩٧/٥ - ٩٨، كشف الظنون ٥١٥/٥.

(٣) شذرات الذهب ٣٣٥/٨ - ٣٣٦، الكواكب السائرة ١٢/٢، الأعلام ٥٧/٧.

(٩٦٦هـ) : مفتي حلب، كان في الأصل دباغاً، فمن الله عليه بطلب العلم حتى كان أول من درّس بمدرسة خضر باشا بحلب، ولم يزل في حلب على جدّ في المطالعة وديانة في الفتوى، حتى ولىّ منصب الإفتاء بأزنيق - في تركيا - (١).

* أبو عبدالله شمس الدين محمد بن عليّ الشهير بابن طولون الدمشقي (٨٨٠هـ - ٩٥٣هـ) : كان ماهراً في النحو، علامة في الفقه، مشهوراً بالحديث، واسع الباع في غالب العلوم المشهورة في وقته، حتى في التعبير والطب، وكانت أوقاته كلّها معمورة بالتدريس والإفادة والتأليف.

ولي تدريس الحنفيّة بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر، وإمامة السليمية بالصالحية، فقصده الطلبة، ورجب الناس في السماع عنه، وأخذ عنه جماعة من الأعيان وبرعوا في حياته، كالشيخ إسماعيل النابلسي مفتي الشافعية، والشهاب بن أبي الوفاء مفتي الحنابلة، والقاضي أكمل بن مفلح (٢).

وفي المرحلة الثانية من هذا الدور نلقى:

* عبداللطيف بن حسن الجالقي الدمشقي المعروف بالقزديري (٩٨٦هـ - ١٠٤٣هـ) : صاحب منظومة في فقه العبادات، كانت متداولة بين أيدي الطلبة، واشتهرت باليمن والبركة (٣).

* عليّ بن عبدالله البصير الحاكمي (١٠٩٠هـ) : المفتي بطرابلس الشام، صاحب منظومة في الألغاز الفقهية، تشتمل على ألف سؤال وأجوبتها، سماها حور العين، وله أيضاً قلائد الأبحر شرح ملتقى الأبحر في الفروع، ونظم الغرر، وغيرها (٤).

(١) شذرات الذهب ٤٠٨/٨، الكواكب السائرة ٧٩/٢.

(٢) شذرات الذهب ٣٥١/٨ - ٣٥٢، الكواكب السائرة ٥٢/٢، الأعلام ٢٩١/٦.

(٣) كشف الظنون ٤٩٧/٥.

(٤) كشف الظنون ٦٠٨/٥.

* محمد بن عبدالرحمن بن تاج الدين التاجي (١١١٤هـ): مفتي بعلبك الشام، وصاحب كتاب الفتاوى التاجية^(١).

* حامد بن علي بن إبراهيم بن عبدالرحيم العمادي (١٠٠٣هـ - ١١٧١هـ): المفتي الدمشقي الحنفي، صاحب التصانيف الكثيرة والمفيدة، منها: شرح الإيضاح في الفروع، وصلاح العالم بإفتاء العالم، والفتاوى الحامدية، والمطالب السنوية للفتاوى العلية، ومغني المستفتي عن سؤال المفتي، وغير ذلك^(٢).

* محمد بن محمد الطيب التلافاتي (١١٩١هـ): المغربي، مفتي الحنفية بالقدس الشريف، علامة عصره وفائق أقرانه، ونادرة زمانه، كان فقيهاً كبيراً، درس بالمغرب ثم بمصر، وصنّف نحو ثمانين مؤلفاً في فنون شتى^(٣)، وكان يعاصره:

* محمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الشهير بالإسبيري (١١٣٣هـ - ١١٩٤هـ): المفتي الحنفي بحلب، صاحب تحفة الناسك فيما هو الأهم من المناسك، وتلخيص فتاوى الخيرية للرملي، وكثير من المصنفات في فنون مختلفة^(٤).

وكان خاتمة المحققين في هذا الدور، من أعلام الحنفية بالشام: العلامة، عمدة الفقهاء والعلماء:

* محمد أمين عابدين بن عمر عابدين بن عبدالعزيز الشهير بابن عابدين (١١٩٨هـ - ١٢٥٢هـ): فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره، الذي نبغ في علوم عديدة حتى أصبح علامة زمانه.

كان شافعيّاً، ولزم الشيخ شاکر العقّاد السالمي العمري المعروف بابن مقدم سعد الحنفي، فقرأ عليه الكثير من العلوم، وألزمه التحوّل إلى

(١) الفكر السامي ٢٢٢/٤.

(٢) كشف الظنون ٢١٦/٥، فهرس الفهارس ٨٢٩/٢ - ٨٣٠.

(٣) الفكر السامي ٢٢٣/٤.

(٤) كشف الظنون ٢٦٧/٦.

المذهب الحنفي، فقرأ عليه كثيراً من كتب المذهب.

بدأ التصنيف وله من العمر سبع عشرة سنة، وتابع التصنيف والتدريس والإفادة حتى أصبح مرجع الفتوى صنّف المؤلفات الكثيرة المفيدة، منها: ردّ المحتار على الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار، وهي عمدة المذهب الحنفي، وأعظم مؤلفاته نفعا وأكثرها شهرة، وله حاشية منحة الخالق على البحر الرائق لابن نجيم شرح كنز الدقائق للنسفي في الفقه الحنفي، شرح فيها ابن عابدين ما انتهى إليه ابن نجيم من الإجازة الفاسدة، وله العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، أو مغني المستفتي عن سؤال المفتي في الفقه الحنفي، وحاشية على شرح التقرير والتحبير لابن أمير الحاج، وحاشية رفع الأنظار عمّا أورده الحلبي على الدرّ المختار، وفتاوى في الفقه الحنفي تبلغ ما يقارب المائة، وغير ذلك من الكتب الغزيرة^(١).

وكان للمذهب الشافعي نشاطه المعهود بهذه الديار، وظهر من أعلامه في هذا الدور ثلّة جمعوا بين العلوم النقلية والعقلية، وأتقنوا سائر الفنون، واشتهروا بسعة الاطلاع، وجودة الفهم، ودقّة النظر، لازموا الإفتاء والتدريس، وتميّزوا بالتصديّ لحلّ المشكلات، والاستدراك على من سبقهم.

وكان واسطة العقد الفريد، الذي سارت بذكره الركبان في بداية هذا الدور، فقيه الأمة، وعلم الأئمة:

* أبو زكرياء محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٣١هـ - ٦٧٦هـ): شيخ الإسلام، وكبير الفقهاء في زمانه الذي لزم الاشتغال بدراسة العلم ليلاً ونهاراً نحو عشرين سنة، وكان يقرأ في كلّ يوم اثنا عشر درساً على المشائخ، شرحاً وتصحيحاً، حتى فاق الأقران وتقدّم على جميع الطلبة، وحاز قصب السبق في العلم والعمل.

(١) هدية العارفين ٣٦٧/٢، الأعلام ٢٦٧/٦، كشف الظنون ٢٨٦/٦ - ٢٨٧، فهرس

كان متبحراً في سعة معرفته بالحديث والفقه واللغة، وغير ذلك من أنواع العلوم.

بدأ التصنيف من حدود سنة ٦٦٠هـ إلى أن مات، ومن تصانيفه الفقهية: تحرير ألفاظ التنبيه، والعمدة في تصحيح التنبيه، وهما من أوائل ما صنّف، والروضة والمنهاج وشرح المذهب، وصل فيه إلى أثناء الربا، وسمّاه المجموع، وغير ذلك من المصنّفات الحسنة في أنواع العلوم^(١).

وكان يعاصره ويقاسمه في مشيخة الشافعية، فقيه الشام:

* عبدالرحمن بن إبراهيم تاج الدين الفزاري المعروف بالفركاح (٦٢٤هـ - ٦٩٠هـ): تفقّه على الإمامين ابن الصلاح، وابن عبدالسلام، وبرع في المذهب وهو شاب، فجمع فنونا كثيرة من العلوم النافعة، وكان فقيه النفس، قوي المناظرة، نافذ النظر، متصفاً بالاجتهاد، قد بلغ الرتبة فيه.

جلس للتدريس وله بضع وعشرون سنة، فدرّس وناظر، وكتب على الفتاوى وله ثلاثون سنة، وكانت الفتاوى تأتيه من الأقطار حتى انتهت إليه رئاسة المذهب في جميع المراكز الفقهية، كما انتهت إلى ولده برهان الدين من بعده، انتفع به أهل عصره ومعظم قضاة الشام وما حولها وكان قضاة الأطراف من تلاميذه.

رزق حسن التصنيف، ومن مصنفاته: الإقليد لذوي التقليد في شرح التنبيه للشيرازي، وشرح الوجيز في الفقه، وشرح الورقات لإمام الحرمين الجويني في أصول الفقه، وغيرها من التصانيف.

كان أكبر من الإمام النووي بسبع سنين، ويقال أنّه كان أفقه منه

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣٩٥/٨ - ٤٠٠، فوات الوفيات ٢٦٤/٤، شذرات الذهب

٨/٦ - ١٠، تذكرة الحفاظ ١٤٧٠/٤ - ١٤٧٤، البداية والنهاية ٢٧٨/١٣ - ٢٧٩،

معجم المؤلفين ٢٠٢/١٣ - ٢٠٣.

نفساً، وأقوى مناظرة، وأكثر محفوظاً منه وكان بينهما وحشة رحمهما الله^(١).

ثم انتهت رئاسة المذهب بإقليمه من بعده إلى ولده:

* برهان الدين، إبراهيم بن عبدالرحمن (٦٦٠هـ - ٧٢٩هـ): الذي اشتغل على والده وأعاد في حلقة حتى برع في المذهب، وفاق سائر أهل زمانه من أهل مذهبه في دراية المذهب ونقله وتحريره.

تصدى للإقراء والتدريس، وكان فقيهاً أصولياً مشكور الدروس، وكانت فتاويه مسددة، له مسائل ينفرد بها مغمورة في بحر علمه.

عرض عليه قضاء قضاة الشام فامتنع، وألح نائب الشام عليه بنفسه وأعوانه من الدولة فلم يقبل، وامتنع أشد الامتناع، وزهد في المناصب إلى أن مضى على وجه جميل.

باشر الخطابة بالجامع الأموي بعد عمه شرف الدين، وأشغل الطلبة به فانتفع به المسلمون، وكان مقبلاً على شأنه عارفاً بزمانه مستغرقاً أوقاته في الاشتغال بالعلم والعبادة ليلاً ونهاراً، وكان مع مخالفته للشيخ ابن تيمية لا يهجره.

من مصنفاته: التعليقة على التنبيه، فيه من الفوائد ما ليس في غيره، وله تعليق على مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه، وله مصنفات في غير ذلك^(٢).

وكان من أقرانه الذين تتلمذوا على أبيه:

* كمال الدين أبو المعالي محمد بن علي المعروف بابن الزملكاني

(١) البداية والنهاية ٣٢٥/١٣، النجوم الزاهرة ٢٠٨/٧، شذرات الذهب ٧٨/٦ - ٧٩، الأعلام ٦٤/٤.

(٢) الدرر الكامنة ٣٤/١ - ٣٥، البداية والنهاية ١٤٦/١٤، طبقات الشافعية الكبرى ٣١٢/٩، شذرات الذهب ٢٥٠/٦.

(٦٦٧هـ - ٧٢٧هـ): شيخ الشافعية بالشام الذي برع وساد أقرانه حتى انتهت إليه رئاسة المذهب تدريسا وإفتاء ومناظرة.

كان من بقايا المجتهدين، ومن أذكى زمانه، قد عرف بحسن تقريره، وجودة احترازاته، وقوة قريحته وكان بصيراً بالمذهب الشافعي وأصوله، وكان يعدّ أحد المتقدمين في الفتوى والتدريس والمشاورين في المجالس والمرجوع إليه في المناظرة، يضرب بذكائه المثل.

أفتى وله نيف وعشرون سنة، وولّي قضاء حلب سنة ٧٢٤هـ بغير رضا، ودرّس بعدة مدارس بدمشق، وتخرّج به غالب علماء العصر.

وكانت بينه وبين ابن تيمية وحشة، وله كتاب في الرد على ابن تيمية في مسألتي الطلاق والزياره، وله تعاليق مفيدة واختيارات حميدة سديدة، ومما علّقه قطعة كبيرة من شرح المنهاج للنووي^(١).

وبأخرة عنهما قليلاً:

* قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي (٦٨٣هـ - ٧٥٦هـ): الذي تفقّه على ابن الرفعة، وبرع في الفنون، حتى أصبح أنظر أهل العلم وأجمعهم للعلوم، محققاً مدققاً نظاراً، فتفقّه به جماعة من الأئمة وانتشر صيته، وكانت له في الفقه وغيره الاستنباطات الجليلة، والقواعد المحرّرة التي لم يسبق إليها.

ولي قضاء الشام سنة ٧٣٩هـ، فباشره بعقّة ونزاهة، وبهمة وصرامة، واستمرّ على القضاء نحواً من سبع عشرة سنة، وأضيفت إليه الخطابة بالجامع الأموي فباشرها مدة، وبعد أن مرض نزل عن منصب القضاء لابنه تاج الدين.

صنّف نحو مائة وخمسين كتاباً، إذ كان كلما استشكلت عليه مسألة

(١) شذرات الذهب ٢٣٨/٦ - ٢٣٩، النجوم الزاهرة ٢٧٠/٩، طبقات الشافعية الكبرى

١٩٠/٩، الدرر الكامنة ٧٤/٤ - ٧٦، البداية والنهاية ١٣/١٣١ - ١٣٢.

صنّف فيها تصنيفاً جمع فيه شتاتها، وكان في مَدّة قضائه يصنّف إلى حين وفاته، ومن مصنّفاته في الفقه: التحقيق والابتهاج في شرح المنهاج وتكملة شرح المنهاج الذي هو تكملة لشرح النووي على مذهب الشيرازي، وجمع له ولده تاج الدين فتاويه ورتّبها^(١)، ثم كان من بعده، ابنه:

* تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي (٧٢٧هـ - ٧٧١هـ): الذي أمعن في طلب الحديث، ولازم الاشتغال بالفقه والأصول والعربية حتى مهر، وأجيز له بالإفتاء والتدريس وهو دون العشرين. درّس في غالب مدارس دمشق، وولّي خطابة الجامع الأموي، وانتهت إليه رئاسة القضاء والمناصب بالشام، وحصلت له محنة بسبب القضاء، وأوذي فصبّر، وسجن فثبت، وعقدت له مجالس فأبان عن شجاعة، وأفحم خصومه.

رزق السعادة في تصانيفه، فانتشرت في حياته، منها: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، والترشيح في اختيارات والده، والتوشيح على كتاب التنبيه للشيرازي في الفقه^(٢)، وكان في وقته بحلب:

* علاء الدين حجي بن موسى بن أحمد بن سعد (٧٢١هـ - ٧٨٢هـ): فقيه الشام في عصره، وحافظ المذهب وأحد من اعتنى بالفقه وتحصيله وتقديره وحفظه وتحقيقه وتحليله.

كان كثير الاطلاع، صحيح النقل، عارفاً بالدقائق والغوامض، معروفاً بحلّ المشكلات، مع فهم صحيح، وسرعة إدراك، وقدرة على المناظرة،

(١) شذرات الذهب ٣٦٨/٦ - ٣٦٩، طبقات الشافعية الكبرى ١٠/١٣٩، النجوم الزاهرة ٣١٨/١٠ هدية العارفين ١/٧٢٠ - ٧٢٢، البداية والنهاية ١٤/٢٥٢، ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٩ - ٤٠، الدرر الكامنة ٣/٦٣ - ٧١، البدر الطالع ص ٤٦٩ - ٤٧١، لقط الفرائد ص ٢٠٨، فهرس الفهارس ٢/١٠٣٣ - ١٠٣٧.

(٢) البدر الطالع ص ٤١٥ - ٤١٦، الدرر الكامنة ٢/٤٢٥ - ٤٢٨، البداية والنهاية ١٤/٣١٦، شذرات الذهب ٦/٤١٩ - ٤٢١، هدية العارفين ١/٦٣٩، النجوم الزاهرة ١١/١٠٨، لقط الفرائد ص ٢١٤، فهرس الفهارس ٢/١٠٣٧ - ١٠٣٨.

حتى سلّم له بعض شيوخه وأقرانه بالعلم وصرّحوا له بأنّه فقيه الشام.

كان مقبلاً على نفسه لا يفتر من الاشتغال بالعلم والمطالعة، حتى انتهت إليه رئاسة المذهب، وكان يقال: فقهاء المذهب ثلاثة، هو أحدهم وخاتمتهم^(١).

ومعاصره:

* شهاب الدين أحمد بن أحمد الأزرعي (٧٠٨هـ - ٧٨٣هـ): نسبة إلى أزرعات ناحية بالشام، ونزيل حلب.

أقبل على الاشتغال والتصنيف والفتوى والتدريس، وجمع الكتب حتى اجتمع عنده منها ما لم يحصل لأهل عصره، واشتهرت فتاويه بحلب، وانتهت إليه رئاسة العلم بها.

صنّف المؤلفات المفيدة، منها: جمع التوسط والفتح بين الروضة والشرح، وشرح المنهاج بشرحين، الأول سمّاه غنية المحتاج، والثاني سمّاه قوت المحتاج، وكان فقيه النفس، سريع الكتابة، شديد الخوف من الله، يقول الحقّ، وينكر المنكر^(٢).

وكان مفتي المسلمين، وأقضى القضاة، في أواخر القرن الثامن:

* شرف الدين أبو البقاء محمود بن جمال الدين المعروف بابن الشريشي (٧٢٩هـ - ٧٩٥هـ): الذي لازم الاشتغال والإفتاء، واشتهر بذلك، وصار المقصود بالفتاوى من سائر الجهات لحسن كتابته وإتقانها.

(١) شذرات الذهب ١٣/٧ - ١٤، النجوم الزاهرة ٢٠٦/١١، الدرر الكامنة ٦/٢ - ٧.

(٢) الدرر الكامنة ١٢٥/١ - ١٢٨، البدر الطالع ص ٥٤ - ٥٥، شذرات الذهب ١٨/٧ - ١٩.

انتهت إليه وإلى رفيقه شهاب الدين الزهري رئاسة الشافعية، وكان بعض فقهاء عصره يقولون: يقبح علينا أن نفتي مع وجود شرف الدين^(١).

ومن تلاميذ الشريشي:

* الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبدالمؤمن الدمشقي (٧٥٢هـ - ٨٢٩هـ): ويعرف بالتقي الحصني، اشتهر بالتحري في أقواله وأفعاله، واطب على الاشتغال بالعلم والتصنيف، وكتب بخطه مصنفات كثيرة في الفقه كشرح التنبيه والمنهاج والنهاية وقواعد الفقه وغيرها، وقد عدم علم كثير من الناس بوفاته^(٢).

ونلقى في القرن التاسع:

* نور الدين أبو الشناء محمود بن أحمد بن محمد المعروف بابن خطيب الدهشة (٧٥٠هـ - ٨٣٤هـ): قاضي القضاة، أصله من الفيوم، وكان أبوه قد رحل إلى حماة واستوطنها، فنشأ بها نور الدين وتفقه على جماعة من علمائها، ثم رحل إلى مصر والشام فأخذ عن أئمتها إلى أن برع وتقدم في الفقه وأصوله والعربية، وغير ذلك من العلوم.

ولي قضاء حماة، فحسنت سيرته، وأظهر في ولايته من العفة والنزاهة ما هو مشهور عنه، ثم عزل سنة ٨٢٦هـ، فلزم منزله متصدياً للإقراء والإفتاء والتدريس والتصنيف، فاشتهر ذكره، وعظم قدره، وانتفع به عامة أهل حماة، وإليه انتهت رئاسة المذهب بحماة.

من مصنفاته: لباب القوت مختصر القوت للأذرع، وتكملة شرح منهاج النووي في الفقه للسبكي، سمّاه إغاثة المحتاج إلى شرح المنهاج، وغيرها^(٣).

(١) شذرات الذهب ٩٣/٧ - ٩٤، الدرر الكامنة ٤/٣٣٤.

(٢) شذرات الذهب ٣١٩/٧ - ٣٢٠، الضوء اللامع ٨١/١١ - ٨٤.

(٣) شذرات الذهب ٣٤٢/٧ - ٣٤٣، الضوء اللامع ١٢٩/١٠ - ١٣١.

* أبو بكر تقي الدين بن شهاب الدين أحمد بن محمد بن قاضي شهبة (٧٧٩هـ - ٨٥١هـ): فقيه الشام ورئيسها ومؤرخها، كان إماماً، علامة، سمع من أكابر أهل عصره، كالسراج البلقيني، ثم أفتى ودرّس وجمع وصنّف، وطار اسمه بالفقه حتى كان الأعيان من تلامذته.

من أشهر مصنّفاته الفقهية: كفاية المحتاج في شرح منهاج الطالبين للنووي، وشرح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي، ولباب التهذيب^(١).

* أبو نصر تاج الدين عبدالوهاب بن محمد بن حسن بن أبي الوفاء العلوي الحسيني (٨٧٥هـ): قاضي قضاة الشافعية بحلب، وصاحب إرشاد الماهر لنفائس الجواهر في الفقه، وأوضح المسالك إلى علم المناسك، وشرح فرائض المنهاج، وغير ذلك^(٢).

وفي القرن العاشر نقلت أعجوبة زمانه وواسطة عقد أقرانه:

* بدر الدين حسن بن علي الإربلي الأصل الحصكفي الحلبي الشهير بابن السيوفي (٩٢٥هـ): شيخ الإسلام، الذي تصدّر ببلده للإفادة، وانتفع الناس به، وصار شيخ بلده ومفتيها ومحقّقها ومدقّقها^(٣).

ونلقى في عصر الدولة العثمانية، الشيخ الأوحد الذي استأنست به الخطط الشرعية السنية:

* قاضي القضاة كمال الدين أبو اللطف محمد بن يوسف بن عبدالرحمن الربعي الحلبي (٨٦٤هـ - ٩٥٦هـ): الذي أرسل له السلطان الغوري توقيعا بأن يكون شيخ الشيوخ بحلب، ثم ولي قضاء الشافعية بطرابلس وبحلب، فكان صدرا في قضاة العدل والإحسان، ثم فوّض إليه قضاء القضاة بالممالك الإسلامية، ونيابة الحكم بالديار المصرية.

(١) كشف الظنون ١٠٧/٥، شذرات الذهب ٤٠٥/٧، نظم العقيان ص ٩٤.

(٢) كشف الظنون ٥١٤/٥.

(٣) شذرات الذهب ١٧٣/٨ - ١٧٤، الكواكب السائرة ١٧٨/١، الضوء اللامع ١١٨/٣ -

وولي في الدولة العثمانية التدريس بعدة مدارس، وولاه خير بك كافل الديار المصرية قضاء الشافعية بمكة وجدة وسائر أعمالهما، ونظر الحرمين، فكان أول قاض ولي ذلك من غير أهل مكة في الدولة العثمانية.

وبقي على القضاء إلى أن عزل سنة ٩٣١هـ^(١).

ونسير في صدر المرحلة الثانية من هذا الدور، فنلقى:

* أحمد بن شهاب الدين عبدالكريم بن سعودي بن نجم الدين الغزي (١١٤٣هـ): المفتي بدمشق^(٢).

* إسماعيل بن محمد بن عبدالهادي بن عبدالغني العجلوني الدمشقي (١٠٨٧هـ - ١١٦٢هـ): المعروف بالجراحي، صاحب الأجوبة المحققة عن أسئلة مفرقة وغيرها من المصنفات^(٣)، وكان يعاصره:

* محمد بن عبدالرحمن الغزي (١١٦٧هـ): مفتي دمشق وعالمها، وأحد من ازدهرت بفضائله وأكنافها، كان فقيهاً محدثاً، متضلّعا، درّس في الجامع الأموي وغيره، وأفاد^(٤).

* محمد صنع الله الخالدي (١١٤٠هـ - ١٢٠٥هـ): أحد أجلاء شيوخ المتأخرين، الذي تلقى عن صفوة من أعلام الأزهريين، وكان بارعاً في العلوم، خصوصاً الفقه والعربية، وكان من تلاميذ الشيخ علي العدوي الصعيدي المالكي، كما تلقى عن غيره من أعلام المالكية والشافعية والحنفية^(٥).

(١) شذرات الذهب ٣٦٧/٨ - ٣٦٨.

(٢) كشف الظنون ١٤١/٥.

(٣) كشف الظنون ١٨١/٥.

(٤) الفكر السامي ٤٢٢/٤.

(٥) أحمد تيمور باشا: أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٢١٤ - ٢١٧.

* خالد الكردي أبو الضياء خالد بن حسن الشهرزوري (١٢٤٢هـ) :
الذي دخل دمشق وسكنها، وتوفي بها وصنّف حاشية على نهاية الرملي في
الفقه، وغير ذلك، ومما يدلّ على عظمته كثرة من أفرد ترجمته بالتأليف،
ناهيك أنّ منهم تلميذه الشهاب الألوسي وغيره^(١)، ونختم هذا الدور بـ:
* أحمد الحجّار الحلبي (١١٩٠هـ - ١٢٧٠هـ) : الذي أخذ عن
طائفة من أجلاء العلماء في عصره، وغلب عليه الاشتهار بالعلم وتدريسه.
وقلّد فتوى السادة الشافعية بحلب، وولّيّ التدريس بمدارسها، وانتفع
به خلق كثير، وتكوّن على يديه رجال وأبطال^(٢).

وإذا انتقلنا إلى المذهب الحنبلي، وجدناه أكثر المذاهب حظاً بهذا
المركز، خصوصاً وأنّ دمشق كانت أكثر بلاد الإسلام مدارس، وكلّ مدرسة
كان بها خزانة كتب تضمّ ما يحتاج إليه أهل المدرسة، وكان في مدارس
الحنابلة ما يبهر العقول، وخصوصاً المدرسة العمرية الشيخية التي
بالصالحية، فقد كان بها من خزائن الكتب ما لا يوجد في غيرها^(٣).

وسطح في سماء الشام في مطلع هذا الدور، علمان من أعلام
الحنابلة، طارت مناقبهما كلّ مطار، وانتظمت أسلاك أصالتهما في أجياد
الأسطار.

فأمّا الأوّل فكان بحراً لا ساحل له، وكنزاً ليس له نظير، قد سمح به
الزمان وهو بمثله بخيل، وألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد، وهو:

* أبو العباس تقيّ الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية
(٦٦١هـ - ٧٢٨هـ) : الحراني دمشقي، شيخ الإسلام، وإمام الأئمة، المجتهد
المطلق، الذي تفقه وتمهّر وتقدّم وصنّف ودّرّس وأفتى وفاق الأقران، وصار
عجباً من سرعة الحفظ والاستحضار وقوّة الإدراك والفهم، والتوسّع في المنقول

(١) كشف الظنون ٥/٢٨٢، فهرس الفهارس ١/٣٧٣ - ٣٧٤.

(٢) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٢٢٨ - ٢٣٣.

(٣) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٢٤.

والمعقول، وسعة العلم والاطلاع على مذاهب السلف والخلف.

برز في كلّ فنّ على أبناء عصره، فبرع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيّال، وخاطر وقّاد، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث وحفظه، وفاق أهل عصره في معرفة الفقه، واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل بما يقوم دليله عنده، وأتقن العربية أصولاً وفروعاً، وتعلّماً واختلافاً، ونظر في العقلية، وعلم الكلام، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، فكان إذا تكلم في التفسير فهو حامل رأيه، وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، حتى قيل إنّه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه، أو ذاكر الحديث فهو صاحب علمه، وذو روايته، حتّى قيل: كلّ حديث لا يعرفه ابن تيميّة فليس بحديث، وإن تكلم في الملل والنحل لم ير أوسع من نحلته، ولا أرفع من درايته.

وكان قد ناظر واستدلّ وهو دون البلوغ، وأفتى ودرّس وهو دون العشرين، وكان نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين، فضلاً عن المذاهب الأربعة، ليس له فيه نظير، وخالف الأئمة الأربعة في عدّة مسائل، صنّف فيها واحتجّ لها بالكتاب والسنة، بحيث اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

وقع له مع أهل عصره قلاقل، وجرت له فتن عديدة، وامتنحن بالسجن مرات كثيرة، ولو أنّه سلم ممّا عرض له من المحن التي استغرقت أكثر أيامه، لكان له من المؤلفات والاجتهادات ما لم يكن لغيره.

قد أعطي اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب، والتقسيم والتبيين، واشتهرت مصنفاته، وبلغت فتاويه في الفنون مجلّدات كثيرة^(١).

(١) البدر الطالع ص ٨٢ - ٨٩، الدرر الكامنة ١/١٤٤ - ١٦٠، شذرات الذهب ٦/٢٤١ - ٢٤٧، النجوم الزاهرة ٩/٢٧١، فوات الوفيات ١/٣٥ - ٤٥، البداية والنهاية ١٤/١٣٥ - ١٣٩، درة الحجال ص ٣٠.

وأما العلم الثاني الذي اشتهر في الآفاق وتبحر في معرفة مذاهب السلف، فقد كان أحد من قام بنشر السنّة، وجعلها بينه وبين الآراء المحدثّة أعظم جُتّة، وغلب عليه حبّ شيخه ابن تيميّة، فقام على نشر علمه، وهو:

* أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (٦٩١هـ - ٧٥١هـ): المعروف بابن قيم الجوزية، المجتهد المطلق، الذي أخذ عن الشيخ ابن تيميّة ولازمه من سنة ٧١٢هـ إلى تاريخ وفاته ٧٢٨هـ، وتفقه في المذهب حتى تفتن في علوم الإسلام، وبرع وأفتى.

كان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين وإليه فيه المنتهى، وبالحدِيث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، والعربية، وله فيها اليد الطولى، وغير ذلك من العلوم.

امتنح وأوذى مرات، وحبس مع شيخه ابن تيميّة في المرّة الأخيرة بالقلعة منفردا عنه، بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبا بالذرة، ولم يفرج عنه إلاّ بعد موت شيخه.

أخذ عنه العلم خلق كثير، وكان الفضلاء من أهل عصره من أمثال ابن عبدالهادي وغيره، يعظّمونه.

كان شديد المحبّة للعلم ومطالعه، واقتناء الكتب وجمعها، والكتابة والتصنيف، فصنّف مصتفات كثيرة جدّا في أنواع العلوم، وامتاز بحسن التصرّف، والتقيّد بالأدلة الصحيحة، ليس له على غير الدليل معوّل في الغالب، وقد يميل نادرا إلى مذهبه الذي نشأ عليه، ولكنه لا يتجاسر على الدفع في وجوه الأدلة بالمحامل البادرة كما يفعل أحيانا غيره من المتعصّبين لمذاهبهم، بل لا بدّ له من مستند في ذلك، وغالب أبحاثه الإنصاف والميل مع الدليل حيث مال، وإذا استوعب الكلام في بحث وطول ذيوله

أتى بما لم يأت به غيره، وساق ما ينشرح له صدور الراغبين في أخذ مذاهبهم عن الدليل^(١).

ومن أتباع الشيخ ابن تيمية لهذا العصر نذكر:

* أبو عبدالله شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي (٧٦٣هـ):
أقضى القضاة، شيخ الإسلام، وأحد الأئمة الأعلام، المجتهدين في المذهب، تفقه وبرع ودرّس وأفتى وناظر وحدث وأفاد.

كان آية وغاية في نقل مذهب أحمد، ولم ير في زمانه في المذاهب الأربعة من له محفوظات أكثر منه، وكان متفنتا في علوم كثيرة، لا سيما في الفروع، فكان أخبر الناس بمسائله واختياراته، حتى أنّ معاصره ابن القيم كان يراجع في ذلك، ويقول في شأنه: ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح.

جمع مصنفات عديدة، منها على كتاب المقنع، وكتاب الفروع الذي أجاد فيه وأحسن إلى الغاية، وأورد فيه من الفروع الغريبة ما بهر به العلماء، حتى اشتهر في الآفاق^(٢).

* قاضي القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسن بن قدامة المقدسي الدمشقي (٦٩٣هـ - ٧٧١هـ): المشهور بابن قاضي الجبل: الذي قرأ على الشيخ ابن تيمية عدّة مصنفات في علوم شتى، وبرع في الفقه إلى الغاية، فأذن له في الإفتاء فأفتى في شبابه، ودرّس بعدّة مدارس.

طلب في آخر عمره ليدرس في مصر، فأقبل عليه أهلها وأخذوا عنه،

(١) البدر الطالع ص ٦٥٩ - ٦٦٢، الدرر الكامنة ٤٠٠/٣ - ٤٠٣، شذرات الذهب ٣٥٢/٦ - ٣٥٤، النجوم الزاهرة ٢٩٩/١٠، البداية والنهاية ٢٣٤/١٤ - ٢٣٥.

(٢) الدرر الكامنة ٢٦١/٤ - ٢٦٢، شذرات الذهب ٣٩١/٦ - ٣٩٢، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤١٩، وص ٤٣٧.

وأقام بها مدة يدرّس ويفتي، إلى أن وُلِّي القضاء بدمشق سنة ٧٦٧هـ، وكانت له اختيارات في المذهب معروفة^(١).

وكان شيخ الحنابلة ورئيسهم، وقاضي قضاة دمشق في أواخر القرن الثامن:

* أبو إسحاق برهان الدين، تقي الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح (٧٤٩هـ - ٨٠٣هـ): الذي تلقى العلم عن والده، وجدّه قاضي القضاة جمال الدين المرداوي، وكان بيته بيت علم.

أفتى ودرّس بمدارس دمشق، فأجاد وأفاد، وناظر وصنّف، وكان إماماً فقيهاً عالمياً بمذهبه، بارعاً فاضلاً فشاع اسمه، واشتهر ذكره، وبعد صيته، وانتهت إليه رئاسة المعرفة بمذهبه.

كان له ميعاد في الجامع الأموي بمحراب الحنابلة بكرة نهار السبت، يحضر مجلسه الفقهاء من كلّ مذهب ولم يخلف بعده في مذهبه ببلده مثله^(٢).

وفي القرن التاسع كان شيخ الحنابلة وإمامهم، ومصحّح مذهبهم ومنقّحه على الإطلاق، ومحرّر العلوم بالاتفاق:

* علاء الدين أبو الحسن عليّ بن سليمان بن أحمد المرداوي (٨١٧هـ - ٨٨٥هـ): الذي خرج من بلده مردا صغيراً، وأقام بمدينة الخليل - عليه السلام - ثمّ دخل دمشق واشتغل بالعلم واجتمع بمشائخ أهل عصره، وجدّ في الاشتغال حتّى برع وانتهت إليه رئاسة المذهب.

وقد تقدمت ترجمته في أعلام المصريين، إذ كان من العلماء الذين

(١) الدرر الكامنة ١٢٠/١ - ١٢١، شذرات الذهب ٤١٨/٦ - ٨١٩، النجوم الزاهرة ١٠٨/١١، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤١٠.

(٢) شذرات الذهب ١٤٦/٧ - ١٤٧، الضوء اللامع ١٦٧/١ - ١٦٨.

تركوا آثارهم في فضلاء مصر والشام وكان أكثر أتباعه من هذين المركزين.

وكان يعاصره مجتهد الأمة، وشيخ عصره:

* أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن مفلح المقدسي (٨١٥هـ - ٨٨٤هـ): الذي برع في الفقه وأصوله حتى أصبح فردا بين رفقاته، وسلم إليه القول والفعل من أرباب المذهب كلها، وصار مرجع الفقهاء والناس، والمعول عليه في الأحكام، ولي قضاء دمشق غير مرة فحمدت سيرته.

من مصنفاته الفقهية: المبدع في شرح المقنع، وهو شرح حافل، هذا فيه حذو المحلي الشافعي في شرح المنهاج للنووي، وفيه من الفوائد والنقول ما لا يوجد في غيره، وصنف في الأصول كتاباً سماه: مرقة الوصول إلى علم الأصول، وغير ذلك^(١).

وأشهر من تتلمذ عليه، وعلى الشيخ علاء الدين المرداوي:

* أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبدالهادي (٨٤٠هـ - ٩٠٩هـ): الشهير بابن المبرد الصالحي، الذي درس وأفتى، وكان يغلب عليه علمي الحديث والفقه، مع مشاركته في التفسير واللغة.

وضع مصنفات كثيرة كان قد غلب عليها الجمع^(٢).

واختتمت المرحلة الأولى من هذا الدور ببقية المجتهدين والمعول عليه في مذهب أحمد بالديار الشامية، وهو العلامة:

* موسى بن أحمد بن موسى الحجاوي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي (٩٦٨هـ): مفتي الحنابلة بدمشق، وشيخ الإسلام بها، وأحد

(١) شذرات الذهب ٤٨٥/٧، الضوء اللامع ١٥٢/١، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٢١.

(٢) شذرات الذهب ٧٦/٨ - ٧٧، الكواكب السائرة ٣١٦/١، فهرس الفهارس ١١٤١/٢، الضوء اللامع ٣٠٨/١٠، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٣٨.

أساطين العلماء، كان إماماً، بارعاً، أصولياً، فقيهاً، محدثاً، صتف الإقناع لطلب الانتفاع، وهو كتاب كثير الفوائد، جم المنافع، وله أيضاً: زاد المستنقع في اختصار المقنع، وحاشية على الفروع، وغير ذلك^(١). وظل نشاط الحنابلة بالشام مستمراً قائماً خلال المرحلة الثانية من هذا الدور، فكان منهم:

* محمد بن بدر الدين بن بلبان البلباني الدمشقي الصالحي (١٠٨٣هـ): الذي كان يقرأ الفقه لطلاب المذاهب الأربعة، وصتف في الفقه متوناً ثلاثة: كافي المبتدي، ثم اختصره وسماه: أخصر المختصرات، ومختصر الإفادات الذي صدره بكلام بديع في العبادات، وجعل الكلام فيه وسطاً بين الإسهاب والإيجاز، وقد اعتنى العلماء بمختصراته شرحاً وتعليقاً^(٢)، ومن معاصريه:

* أبو الفلاح محمد عبدالحق بن أحمد بن محمد الدمشقي الصالحي (١٠٣٢هـ - ١٠٨٩هـ): المعروف بابن العماد الحنبلي، أعرف من كان في عصره بالفنون المتكاثرة، الذي درّس، وتلمذ عليه النجباء.

من تصانيفه الفقهية: بغية أولي النهى في شرح المنتهى - أي منتهى الإيرادات لتقي الدين التنوخي - ومعطية الأمان من حنث الإيمان^(٣).

وفي القرن الثاني عشر برز نجم:

* أبو المواهب محمد بن تقي الدين عبد الباقي بن عبد القادر الدمشقي (١١٢٦هـ): مفتي الحنابلة بدمشق العالم بالروايات والحديث والفقه^(٤).

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٤١ - ٤٤٢، شذرات الذهب ٣٨٤/٨، وذكره في وفيات سنة ٩٦٠هـ.

(٢) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٣) كشف الظنون ٤١٤/٥، الفكر السامي ٤٤٣/٤.

(٤) فهرس الفهارس ٥٠٥/١ - ٥٠٦، الفكر السامي ٤٤٤/٤.

* عبدالقادر بن عمر التغلبي الشيباني الدمشقي (١١٣٥هـ): الذي كان ملازماً لدروس العلم بالجامع الأموي، وانتفع به خلق كثير، وله شرح على دليل الطالب في المذهب^(١).

* أبو العون شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني (١١٤٤هـ) - (١١٨٨هـ): نسبة إلى سفارين من قرى نابلس، الذي درّس وأفتى وأفاد، ووضع الفتاوى الكثيرة، وصنّف تصانيف شهيرة منتشرة، منها: الأجوبة النجدية عن الأسئلة النجدية، والأجوبة الوهبية عن الأسئلة الزعية، ونظم الخصائص الواقعة في الإقناع، وشرح دليل الطالب، وشرح منظومة الكبائر الواقعة في الإقناع، وغيرها من التصانيف الكثيرة^(٢).

* عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن محمد البعلبي الدمشقي (١١٩٢هـ): نزيل حلب، وكان فقيهاً متفنناً صنّف كتاباً شرح به أخصر المختصرات لابن بلبان، وهو شرح محرّر منقّح، كثير النفع للمبتدئين^(٣).

أمّا المذهب المالكي فكان حظّه من بلاد الشام حظّاً ضئيلاً، ولم يعرف نشاطاً يذكر إلا بعد إنشاء صلاح الدين الأيوبي، المدرسة الصلاحية بدمشق، - كما مرّ بيانه -.

فكان أن برز بعض أعلامه في القرن السابع، واستمرّ تواجد المذهب المالكي بالشام طوال المرحلة الأولى من هذا الدور، التي تمتدّ إلى منتصف القرن العاشر، غير أنّ أغلب الذين قاموا على المذهب لم يكونوا من أبناء الشام، ولا من أبناء المراكز القريبة من الشام، وإنّما كانوا من الوافدين المغاربة.

ومن أبرز هؤلاء الأعلام نذكر:

* أبو محمد بن أبي عبدالله محمد بن عمران المعروف بالشريف

(١) فهرس الفهارس ٢/، الفكر السامي ٤/٤٤٤.

(٢) كشف الظنون ٦/٢٦٥ - ٢٦٦، الفكر السامي ٤/٤٤٥.

(٣) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٤٥.

الكركي (٦٩٨هـ): الملقب بشرف الدين شيخ المالكية بالديار المصرية والشامية في وقته، يقال إنه أتقن ثلاثين فناً من العلوم.

قدم من المغرب فقيهاً بمذهب مالك، وصحب الشيخ العزّ بن عبدالسلام، وتفقه عليه في مذهب الشافعي.

اشتغل عليه شهاب الدين القرافي، وكان يقول فيه: إنه تفرّد بمعرفة ثلاثين علماً وحده، وشارك الناس في علومهم^(١).

* أبو عبدالله الزواوي محمد بن سليمان بن سومر المنعوت بالجمال (٧١٧هـ): قاضي قضاة المالكية بالشام، وكان قد قدم من المغرب سنة ٦٤٥هـ واشتغل بالديار المصرية، وعيّن على قضاء القاهرة بعد وفاة ابن شاس، ثم ولي قضاء دمشق سنة ٦٨٧هـ، واستمرّ على القضاء ثلاثين سنة، فظهرت في أيامه ما لم يكن المالكية يعرفونه^(٢).

* أبو زيد - وقيل أبو القاسم - عبدالرحمن بن محمد السجلماسي (٧٨٩هـ): نسبة إلى سجلماسة في جنوب المغرب، المعروف بابن الحفيد.

كان بارعاً في مذهب مالك، كثير الاستحضر، غير أنه كان يزعم أنّ ابن الحاجب لا يعرف مذهب مالك، وكان لا يرفع بمن تأخر من أهل العلم رأساً، إلاّ الشيخ ابن عبدالسلام، وابن دقيق العيد.

ولي قضاء المالكية بحلب فباشره إلى أن عزل سنة ٧٨٧هـ، فسكن غزّة، ثمّ بيت المقدس^(٣).

* شهاب الدين أحمد بن عمر بن علي بن هلال الربيعي (٧٩٥هـ): الإسكندري، ثمّ الدمشقي، كان عالماً متفتناً، ماهراً في الفقه والأصول، وغيرها من العلوم، مفتياً بارعاً فاضلاً.

(١) الدياج المذهب ص ٤١٦.

(٢) الدياج المذهب ص ٤١٣، الدرر الكامنة ٤٤٨/٣.

(٣) شذرات الذهب ٥٣/٧، النجوم الزاهرة ٣١٣/١١، الدرر الكامنة ٣٤٣/٢، نيل الابتهاج ٢٧١/١.

غير أنه مع فضله وعلمه كان خامل الذكر، كثير العزلة عن أهل المناصب، بل عن الناس ما عدا خواص طلبته.

ذكر طريق اتصاله في الفقه إلى الإمام مالك بن أنس، عن قاضي القضاة فخر الدين بن مخلطة، عن جماعة منهم ابن فراج الإسكندري، عن جماعة منهم ابن عطاء الإسكندري، عن جماعة منهم أبو بكر الطرطوشي، عن جماعة منهم الإمام الباجي، عن جماعة منهم أبو طالب مكي، عن جماعة منهم ابن أبي زيد القيرواني، عن جماعة منهم ابن اللباد، عن جماعة منهم يحيى بن عمر، عن جماعة منهم الإمام سحنون وتفقه سحنون على ابن القاسم وأشهب، عن الإمام مالك، وروى مالك عن جماعة منهم نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.

صنّف ابن هلال الربيعي مصنفات عديدة، واعتنى بمختصرات ابن الحاجب، فشرح مختصره الفقهي شرحاً مطوّلاً لم يكمله لطوله، ثمّ شرحه في ثمانية أسفار كبار، وشرح المختصر الأصلي شرحان، وله شرح على كافية ابن الحاجب لم يكمله، ورفع الإشكال عمّا في المختصر من الأشكال، وضعه على المختصر الأصلي^(١).

* برهان الدين إبراهيم بن عبدالله بن عمر الصنهاجي (٧١٧هـ - ٧٩٦هـ): الذي تفقه بدمشق على القاضي بدر الدين الغماري المالكي، ولازمه، وتخرّج به، وتزوّج ابنته من بعده.

كان عالماً بالفقه والأصلين والعربية، سمّي لقضاء المالكية بدمشق غير مرّة، فكان في كلّ مرّة يمتنع، ثمّ وليها بعد ذلك^(٢).

* إسماعيل بن عبدالله المغربي (٨٠٣هـ): نزيل دمشق، كان بارعاً في مذهبه، ناب في الحكم، وأفتى وتفقه به الشاميون^(٣).

(١) الديباج المذهب ص ١٣٩، الدرر الكامنة ٢٣٢/١، شذرات الذهب ٨٩/٧.

(٢) شذرات الذهب ٩٦/٧ - ٩٧، الدرر الكامنة ٣٠/١.

(٣) شذرات الذهب ١٥١/٧، الضوء اللامع ٣٠١/٢.

* سالم بن إبراهيم الصنهاجي المغربي (٨٧٣هـ): قاضي القضاة بالشام والأندلس، ولد بالمغرب، وبه قرأ العلم، أسره الكفار، ثم أنجاه الله، ولّي قضاء الشام وسار بسيرة حسنة، وتوفي عن نحو مائة سنة^(١).

* عبد النبي المغربي (٩٢٣هـ): مفتي السادة المالكية بدمشق، والمدرس بالجامع الأموي، كانت له اليد الطولى في الفقه، وغيره من العلوم^(٢).

* عبدالرحمن بن موسى المغربي التادلي (٩٣٣هـ): نزيل دمشق^(٣).

* عبدالواحد المغربي (٩٤٤هـ): نزيل دمشق، الذي برع في فقه المالكية، وتخرّج فيه على أبي الفتح المالكي، ودرّس بالجامع الأموي حسبة^(٤).

* القاضي أبو الفتح محمد بن محمد بن عبدالسلام بن أحمد الربيعي التونسي (٩٠١هـ - ٩٧٥هـ): نزيل دمشق الذي دخل دمشق وهو شاب، وأقام بإقليم الخروب بدمشق.

وكان فقيهاً أصولياً، علامة في النحو والصرف والبيان والبديع، وأكثر العلوم النقلية والعقلية، يفتي الناس على مذهبه، وحمل الناس عنه العلم وانتفعوا به، وكانت وفاته بغزة^(٥).

ثمّ تضاعف بعد ذلك وجود المذهب المالكي بالشام، فقلّما نسمع عن عالم ينتسب إلى المالكية بهذه الديار.

(١) الفكر السامي ٣٠٦/٤.

(٢) شذرات الذهب ١٦٦/٨، الكواكب السائرة ٢٥٦/١، البواقيت الثمينة ص ١٧٧.

(٣) شذرات الذهب ٢٣٧/٨، الكواكب السائرة ٢٣٣/١.

(٤) شذرات الذهب ٣٠٦/٨، الكواكب السائرة ١٨٥/٢.

(٥) شذرات الذهب ٤٤٦/٨، الكواكب السائرة ٢١/٣.

- ٣ - العراق:

كان الصراع المذهبي بين أهل السنة من ناحية وبين الشيعة الروافض من ناحية أخرى قائما على أشده بالمركز العراقي، ومن يتتبع تاريخ بغداد في هذه الحقبة الزمنية يلاحظ الفتن المتكررة بين الفينة والأخرى، والتي كانت في كل مرة تتسبب في إزهاق الأرواح، وربما خروج الأمر عن سيطرة أولي الأمر.

ويعتبر نهاية الدور السابق، وبداية هذا الدور منعرجا حاسما وخطا فاصلا بالنسبة للمركز العراقي، الذي شهد انتكاسة المذاهب السنية وزيادة المذاهب الشيعية، حتى أصبحنا نلقى من أعلام السنة من ينتحل قول الرافضة، مثل نجم الدين سليمان بن عبدالقوي الصرصري ثم البغدادي (٦٥٧هـ - ٧١٦هـ) الحنبلي، الذي حفظ في أول نشأته مختصر الخرقى ببلده، ودخل بغداد سنة ٦٩١هـ فحفظ المحرر في الفقه، وجالس فضلاء بغداد في أنواع العلوم، وقصد دمشق سنة ٧٠٤هـ ولقي الشيخ ابن تيمية، ثم اشتهر بعد ذلك بالرفض، ووجد له قصائد في ذلك، وكان يشير إلى اعتقاده في مذهب الرافضة في كثير من مصنفاته^(١).

ولعل من العوامل التي ساعدت على بروز هذه المعادلة الجديدة، هو ما كان للشيعة من نفوذ في عهد المعتصم (٦٤٠هـ - ٦٥٦هـ) - آخر خلفاء بني العباس - الذي جعل على رأس وزارته أحد المعتقدين في مذهب الرفض، وهو مؤيد الدين محمد بن العلقمي الشيعي، هذا الوزير الذي يتهم بأنه ممن تأمر مع التتار على الإطاحة بالخلافة العباسية والقضاء عليها سعيا منه لإقامة خلافة فاطمية.

ولا شك أن الذي أصيبت به بغداد في مستهل هذا الدور من نكسة الغزو التتاري وما رافقه من إتلاف للثروة العلمية وعبث بالكتب والمؤلفات، وتخريب المساجد، وتدمير المدارس، وإبادة العلماء والمفتين، وذبح الأئمة والخطباء، وحملة القرآن، وما قام به الوزير

(١) شذرات الذهب ١٨٦/٦، الدرر الكامنة ١٥٤/٢ - ١٥٧.

الرافضي من تعطيل المساجد والجماعات والجمعات والمدارس عن القيام بوظيفتها - وفي نيّته بناء مدرسة هائلة للرافضة ينشرون بها علمهم فقصف الله عمره قبل إنجاز مشروعه ..

كلّ تلك الأحداث والوقائع الهدميّة مجتمعة، قد أردت بهذا المركز العلمي إلى قرية مدقّة خاوية على عروشها، قد اجتمع على من بقي بها من الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، وسحب الزمان على بغداد ذيل البلى، بعدما كانت عاصمة العلوم، وأنس المدن كلّها^(١).

وقد طال شوط قلّمي في مفتتح هذا المركز الفقهي، لأبين ما طرأ عليه من تحوّل مفاجيء أدّى إلى انحسار المذاهب الفقهية السنيّة، وما آل إليه أمرها مع الروافض الشيعة.

فأمّا المذهب الحنفي فكان نشاطه في غاية القلّة ونهايته، وكان بقية فقهاءهم في القرن الثامن:

* جلال الدين عبدالله بن أحمد بن عليّ الفقيه الحنفي النحوي العراقي الكوفي (٧٤٥هـ): المعروف بابن الفصيح^(٢).

وحين أقام سلاطين بني عثمان دولتهم، أسسوا في كبرى مدنهم للعلم أساساً راسخاً، واتخذوا من المذهب الحنفي مذهباً رسمياً للدولة، واستجلبوا العلماء الكبار من أقصى المراكز والديار، وأظهروا لهم العطف والإحسان، فتدفّق علماء الحنفيّة على البلاد التركيّة، وصارت بهم مدنها معدن الفخار والعلياء، بما اجتمع فيها من الأعلام العلماء، وكان ذلك من جملة الأسباب في انقراض الأحناف من مركز بغداد.

ثمّ كان في أواخر هذا الدور، ثلّة من أعلام الحنفيّة، أحيوا ذكر

(١) البداية والنهاية ٢٠٠ - ٢٠٣.

(٢) شذرات الذهب ٣٢٢/٦، وفيات الأعيان ٤٨٠/١.

مذهبهم بعد اندراسه، وأوقدوا مصباح علمه بعد انطفاء نبراسه، من أشهرهم:

* نائب بكتاش بن عمر البغدادي المعروف باسم بارودجي زادة (١١٠٧هـ - ١١٨٧هـ): وكان عالماً فاضلاً، فقيهاً فرضياً، وكان يلقب بملتقى الأبحر لسعة علمه وغزارة اطلاعه، اشتهر بالذكاء والتقوى والورع^(١).

* عبدالعزيز بن محمد الرحبي البغدادي (١٢٠٠هـ)^(٢).

* المنلا مختار بن فتحي البغدادي (١١٦٠هـ - ١٢٢٦هـ): خطيب جامع شهرابان - بلدة بشرقي بغداد - كان عالماً جليلاً، وفقياً فاضلاً، مولعاً بالعلوم الرياضيّة، أمضى حياته في الفقه والدرس والتحصيل^(٣).

* نامي الأربيلي (١١٧١هـ - ١٢٤١هـ): نسبة إلى أربيل - شمال العراق - كان من العلماء المشهورين، وقد بلغ من العلم والفقه ما أهله لتولّي قضاءها، ثمّ عين قاضياً في البصرة، واستقال من منصبه بعد سنة، وعاد إلى بغداد^(٤).

* علي السويدي البغدادي العباسي (١١٨٤هـ - ١٢٤٥هـ): من أكابر علماء العراق، ومن أشرف بيوت بغداد علماً وأدباً وفقهاً وتشريعاً^(٥).

* شهاب الدين محمود بن عبدالله بن محمود بن درويش أبو الشناء الألويسي (١٢١٧هـ - ١٢٧٠هـ): البغدادي، مفتي الحنفية بها، وهو مّمن

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٣٢٠.

(٢) كشف الظنون ٤٧٢/٥.

(٣) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٣٢١.

(٤) المرجع السابق ص ٣٢٣.

(٥) نفس المرجع ص ٣٢٧.

خدم العلم خدمة تذكّر، سافر إلى تركيا ولقي بها شيخ الإسلام بالدولة العثمانيّة، عارف حكمت بك، وجرت بينهما مباحثات، له مصنفات كثيرة، منها: الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية، ورسالة صنفها في بيان حاله ومذهبه وكيفية اشتغاله وإجازاته في العلوم العقليّة والنقليّة، وتراجم من أخذ عنهم العلم^(١).

* أمين الواعظ بن محمد أفندي الشهير بواعظ القادرية (١٢٢٣هـ - ١٢٧٤هـ): وكان عالماً تحريراً من بيت علم وفضل ببغداد وكان لاشتهاره بالتبحّر في علوم الشريعة وفقه الحنفيّة يدعى أبو يوسف الثاني^(٢).

* أحمد السويدي (١٢١٨هـ - ١٢٧٨هـ): وكان عالماً فاضلاً، اشتهر بكثرة التحصيل وسعة الاطلاع في علوم الفقه والتشريع، ولّي القضاء بالعراق مراراً^(٣).

وأما المذهب الشافعي فكان أفضل من المذهب الحنفي حظاً، وأطول بقاءً، وأعظم ثباتاً، إذ بقي من أنصاره بالعراق جمع من أهل الإسلام، ومجموعة وافرة من الأعلام، شتمّوا عن ساعد الجدّ والاجتهاد، ولم تعدم بغداد عن قائم منهم بحفظ المذهب، يناظر في المسائل، ويعارض في الدلائل.

وكان من أشهرهم:

* أبو إسحاق عزّ الدين إبراهيم بن أحمد بن عبدالمحسن الحسيني العراقي (٦٣٨هـ - ٧٢٨هـ): من ولد موسى الكاظم، سمع من والده ومن حليلة حفيده جمال الإسلام سنة ٦٥٢هـ، وكان يحفظ الوجيز للغزالي، وتفرد في عصره مع التقوى والعلم والورع^(٤).

(١) كشف الظنون ٣٢٥/٦، فهرس الفهارس ١٣٩/١ - ١٤٠.

(٢) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٣٣١.

(٣) نفس المرجع ص ٣٢٩.

(٤) شذرات الذهب ٢٤١/٦، الدرر الكامنة ١٠/١.

* أبو عبدالله الحسن بن سالار بن محمود الغزنوي ثم البغدادي (٧٨٠هـ) : وكان فقيهاً شافعيًا مشهورًا، رحل إلى بعض بلاد الإسلام، فتنقّه ومهر، ثم رجع إلى بغداد، فأفتى ودرّس بها تلخيص المفتاح عن مصنفه الجلال القزويني، واشتهر^(١).

* شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني ثم البغدادي (٧١٧هـ - ٧٨٦هـ) : تلقى العلم عن جماعة ببلده، ثم ارتحل إلى شيراز، ولازم القاضي عضد الدين اثنتي عشرة سنة، حتى قرأ عليه تصانيفه، ثم استوطن بغداد وتصدّى لنشر العلم بها ثلاثين سنة، واشتهر في جميع الأقطار.

له شرح على مختصر ابن الحاجب سمّاه السبعة السيارة، لكونه جمع فيه سبعة شروح، والتزم استيفاءها، وذكر أنّه أردفها بسبعة أخرى من دون استيعاب، فجاء شرحاً حافلاً مع ما فيه من التكرار الذي أوقعه فيه مراعاة نقل الألفاظ من تلك الشروح^(٢).

* غياث الدين أبو المكارم محمد بن صدر الدين الواسطي، ثم البغدادي (٧٣٣هـ - ٧٩٧هـ) : المعروف بابن العاقولي، صدر العراق، ومدّرّس بغداد وعالمها.

انتهت إليه رئاسة بغداد في مشيخة العلم والتدريس، وصار المشار إليه والمعول عليه، وكان متبحراً في العلوم، غاية في الذكاء.

ولما زحف تيمورلنك إلى بغداد سنة ٧٩٥هـ، هرب منها ابن العاقولي مع السلطان أحمد بن أويس، وحين رجع السلطان إلى بغداد رجع معه^(٣).

(١) شذرات الذهب ٤/٧ الدرر الكامنة ٥٥/٢.

(٢) البدر الطالع ص ٨١٠، الدرر الكامنة ٣١٠/٤ - ٣١١، شذرات الذهب ٣٨/٧، النجوم الزاهرة ٣٠٣/١١.

(٣) شذرات الذهب ١٠٤/٧ - ١٠٥، الدرر الكامنة ١٩٤/٤، وانظر: البدر الطالع ص ١٨٩.

* ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبدالرحيم العراقي (٧٦٢هـ - ٨٢٦هـ): شيخ الإسلام الشافعي، تتلمذ على جمال الدين الأسنوي، وطاف على شيوخ عصره، واشتغل في الحديث والفقه والعربية، وغيرها من العلوم ثم أقبل على التصنيف، فصنّف أشياء لطيفة في فنون الحديث، وصنّف في الفقه كتاب النكت على المختصرات الثلاثة، جمع فيه بين التوشيح للقاضي تاج الدين السبكي، وبين تصحيح الحاوي لابن الملتن، وزاد عليهما فوائد من حاشية الروضة للبلقيني، ومن المهمات للأسنوي، فتلقى طلبة العلم كتابه بالقبول ونسخوه وقرأوه عليه، كما اختصر أيضاً كتاب المهمات وأضاف إليه حواشي البلقيني على الروضة^(١).

وفي صدر المرحلة الثانية من هذا الدور، تلقى:

* أبو البركات عبدالله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين السويدي (١١٠٤هـ - ١١٧٤هـ): الفقيه البغدادي الشافعي، من مصنفاته: الجمانات في حاشية المغني وشرحه، وإتحاف الحبيب على شرح مغني اللبيب^(٢).

* المنلا عبدالرحمن بن أبي بكر البغدادي (١١٧٨هـ - ١٢٤٢هـ): وكان عالماً فاضلاً، اشتهر بالتبحر في الفقه الشافعي، وكان يعقد مجلساً للتدريس بمسجد الشواف في الكرخ - بضاحية بغداد^(٣).

* خالد بن أحمد بن حسين النقشبندي (١١٩٠هـ - ١٢٤٢هـ): أصله من بلاد شهرزور - بكرديستان - هاجر إلى بغداد في صباه، وتلقّى العلم عن أعلامها، وصنّف تأليف عديدة، وكان شافعي المذهب، بارعاً في العلوم العقلية والنقلية.

علا صيته، واشتهر علمه، ورحل إلى السلিমانيّة - شمال شرقي العراق بكرديستان الجنوبية - لبث العلوم ثم عاد إلى بغداد وأقام بها مدة

(١) شذرات الذهب ٣٠٤/٧ - ٣٠٥.

(٢) كشف الظنون ٣٩٤/٥ - ٣٩٥.

(٣) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٣٢٥.

طويلة، ثم خرج إلى الشام، فتوفي بدمشق^(١).

* عبدالغفور البغدادي (١١٦١هـ - ١٢٥١هـ): وكان عالماً فاضلاً، مشهوراً بالتقوى والزهد والورع، من علماء الشافعية الأجلاء^(٢).

وأما المذهب المالكي الذي كان قد انقطع أتباعه منذ القرن الخامس، فقد عرف في بداية هذا الدور - بعد غياب ما يقارب القرنين من الزمن - عودة من خلال بروز البعض من أعلامه، منهم:

* قاضي القضاة عز الدين الحسين بن أبي القاسم البغدادي (٧١٢هـ): المعروف بالقاضي النيلى، كان مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية بعد سراج الدين عمر الشارمساحي، وكان إماماً في الفقه، صدرا في علومه، وصنّف كتاب الهداية في الفقه، واختصر تفريع ابن الجلاب اختصاراً حسناً، وله تأليف في مسائل الخلاف، وغير ذلك^(٣)، ومن تلاميذه:

* شهاب الدين عبدالرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي (٦٤٤هـ - ٧٣٢هـ): مدرّس المدرسة المستنصرية، كان فقيهاً عالماً، له تصانيف حسنة مفيدة، منها: كتاب المعتمد في الفقه، وهو كتاب غزير الفائدة والعلم، ذكر فيه مشهور الأقوال، وله في الفقه أيضاً العمدة والإرشاد الذي أبدع فيه كلّ الإبداع، وجعله مختصراً، وضمّنه مسائل وفروع لم تحوها المطولات، مع إيجاز بليغ^(٤).

وعنه أخذ ابنه القاضي أحمد، والقاضي محمد، فأما القاضي محمد،

فهو:

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٣٢٨.

(٢) المرجع السابق ص ٣٢٢.

(٣) الديباج المذهب ص ١٧٥، شجرة النور الزكية ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٤) الديباج المذهب ص ٢٤٨، شجرة النور الزكية ص ٢٠٤، شذرات الذهب ٢٦٨/٦، الدرر الكامنة ٣٤٤/٢، لقط الفرائد ص ١٨٦.

* شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن عسكر (٧٠١هـ - ٧٦٧هـ): القائم بلواء مذهب مالك بالعراق، كان إماماً متفتناً، جامعاً بين المنقول والمعقول، فاضلاً في الفقه، متقناً للأصول، والجدل والمنطق والعربية، إماماً في علومه لا يجارى، محطّ رحلة الطلاب، ووليّ قضاء بغداد، ووليّ الحسبة بها، وكان مدرّس المدرسة المستنصرية.

شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي والفرعي، وله شرح على إرشاد والده، وغير ذلك^(١).

وأما القاضي أحمد، فهو:

* شرف الدين أحمد بن عبدالرحمن بن عسكر (٦٩٧هـ - ٧٦٩هـ): إمام العلماء، وعالم الفقهاء الفضلاء، الذي تولى قضاء القضاة للمالكية بدمشق، ثم رحل إلى مصر، وعرضت عليه مدارس ومناصب كثيرة، فلم يقبل شيئاً من ذلك، ولزم بيته للإسراع والإفادة^(٢).

وقد مثل هؤلاء المالكية في هذا المركز نهاية العنقود، إذ كانوا آخر من حمل لواءه الذي لن يعود.

وأما المذهب الحنبلي فقد كان أكثر المذاهب السنية انتشاراً في هذا الدور، أقام السنة وقمع البدعة بالعراق، ونافس المذهب الشيعي بما يشفي ويكفي، فكان من أعلامه الرجال في كلّ سبيل من لا نظير لهم في عصرهم، وكانوا الملقاً إذا نزلت المعضلات، والملاذ في شدائد الأوقات، وكان أشهرهم على الإطلاق:

* تقي الدين أبو بكر عبدالله بن محمد الزيربائي ثم البغدادي (٦٦٨هـ - ٧٢٩هـ): فقيه الحنابلة بالعراق، ومفتي الآفاق، أتم حفظ القرآن في سنّ السابعة من عمره، ثم تفقّه ببغداد على جماعة من أعلامه، حتى برع

(١) الديباج المذهب ص ٤١٦ - ٤١٧، شجرة النور الزكية ص ٢٢٢، الفكر السامي ٢٩٣/٤.

(٢) الديباج المذهب ص ٤١٧، شجرة النور ص ٢٢٢، الدرر الكامنة ١/١٦٨ - ١٦٩.

في الفقه وأصوله، وفي معرفة المذهب والخلاف والفرائض ومتعلقاتها.

كان يحفظ الهداية ومختصر الخرقى، وذكر أنه قرأ كتاب المغني للشيخ موفق الدين، ثلاثاً وعشرين مرة، وكان يستحضر أكثره، وعلق عليه حواشي وفوائد.

انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد، ومعرفة الفقه بالعراق من غير مدافع، وأقر له الموافق والمخالف، وكان الفقهاء من سائر الطوائف يجتمعون به، ويستفيدون منه في مذاهبهم، ويرجعون إلى قوله، ويردّهم أحياناً عن فتاويهم فيذعنون له ويسلمون بما يقرّره، حتى ابن المطهر شيخ الشيعة، كان الشيخ تقي الدين الزريراتي يبيّن له خطأه في نقله لمذهب الشيعة فيذعن له.

وحين توفي قال الشيخ شهاب الدين عبدالرحمن بن عسكر شيخ المالكية: لم يبق ببغداد من يراجع في علوم الدين مثله، قرأ عليه جماعة من الفقهاء، وأجاز لجماعة، وولي القضاء^(١).

وتخرّج بالشيخ الزريراتي أئمة، ساروا على نهجه، وحملوا اللواء من بعده، نذكر منهم:

* سراج الدين أبو عبدالله الحسين بن يوسف البغدادي (٦٦٤هـ - ٧٣٢هـ): حفظ القرآن في فترة وجيزة، فيقال إنّه حفظ سورة البقرة في مجلسين، والحواميم في سبعة أيام، ثمّ حفظ كتباً في العلوم، منها: المقنع في الفقه، وتفقه على الزريراتي.

صنّف كتاب الوجيز في الفقه وعرضه على شيخه، وله غير ذلك من المصنّفات^(٢).

* شمس الدين أبو عبدالله محمد بن البرزالي البغدادي (٧٣٥هـ):

(١) شذرات الذهب ٢٥١/٦ - ٢٥٢.

(٢) شذرات الذهب ٢٦٥/٦.

أحد فضلاء أهل بغداد، قرأ الفقه على الزيرياتي، حتى أصبح إماماً متقناً، بارعاً في الفقه والأصولين والعربية والتفسير، وفي علوم أخرى كثيرة، وكان يدرّس بالمستنصرية بعد شيخه^(١).

ومن معاصريه وأقرانه:

* نصير الدين أحمد بن عبدالسلام بن عكبر العمري البغدادي (٦٤٠هـ - ٧٣٥هـ): الذي تفقّه وأجاز له عدد كثير من أهل عصره، وأعاد بالمدرسة البشيرية للحنابلة^(٢).

* أبو الفضائل صفّي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي (٦٥٨هـ - ٧٣٩هـ): عالم بغداد، وشيخ العراق على الإطلاق، الإمام الفرضي المتقن، أجاز له أعلام أهل عصره من الشام ومصر والعراق وغيرها من بلاد الإسلام.

تفقّه على أبي طالب عبدالرحمن بن عمر البصري ولازمه حتى برع وأفتى، ومهر في علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة.

اشتغل في أوّل أمره بعد التفقّه بالكتابة والأعمال الدنيويّة مدّة، ثمّ ترك ذلك وأقبل على العلم فلازمه مطالعة وكتابة وتدرّيساً وتصنيفاً وإفتاء إلى حين وفاته، فتخرج به الفضلاء من أهل عصره.

صنّف في علوم كثيرة، ومن مصنفاته الفقهية: شرح المحرّر، وشرح العمدة، وإدراك الغاية في اختصار الهداية، وشرحه^(٣).

* ركن الدين شافع بن عمر بن إسماعيل الجبلي (٧٤١هـ): نزّيل

(١) شذرات الذهب ٢٨٠/٦.

(٢) شذرات الذهب ٢٧٨/٦، الدرر الكامنة ١٧١/١.

(٣) شذرات الذهب ٢٩٥/٦، الدرر الكامنة ٤١٨/٢ - ٤١٩، البدر الطالع ص ٤٠٩ - ٤١٠.

بغداد، تفقّه على الشيخ تقيّ الدين الزيرياتي ، وصاهره على ابنته، وأعاد عنده بالمستنصرية.

كان عالماً فاضلاً، عارفاً بالفقه والأصول والطب^(١).

* شرف الدين أبو محمد عبدالرحيم بن الشيخ تقيّ الدين أبي بكر الزيرياتي (٧٤١هـ) : اشتغل بطلب العلم ببغداد، ثمّ رحل إلى دمشق، فسمع من زينب بنت الكمال وجماعة من أصحاب أهل الشام، ثمّ رحل إلى مصر ولقي بها أعلام العصر، ثمّ رجع إلى بغداد بفضائل جمّة، ودرّس للحنابلة بالبشيرية بعد وفاة صفّي الدين بن عبدالحقّ، ثمّ درّس بالمجاهدية بعد وفاة صهره شافع.

ناب في القضاء ببغداد واشتهرت فضائله، وصنّف مختصرات في فنون عديدة^(٢).

وممّن سعى من الحنابلة إلى إقامة السنة وقمع البدعة ببغداد وإزالة المنكرات، حتى قتل شهيدا:

* القاضي جمال الدين أبو حفص عمر بن إدريس الأنباري ثمّ البغدادي (٧٦٥هـ) : الذي تفقّه حتى مهر في المذهب الحنبلي ونصره، حتى لم يكن ببغداد من يدانيه في ذلك، فتعصّب عليه جماعة من الرافضة فعاقبوه مدّة، فصبر إلى أن توفي شهيدا.

كان إماماً في الترسّل والنظم، له نظم في مسائل الفرائض^(٣).

وفي نهاية المرحلة الأولى من هذا الدور، نقلى:

* جلال الدين أبو الفتح نصر الله بن أحمد التستري الأصل، ثمّ

(١) شذرات الذهب ٣٠٧/٦، الدرر الكامنة ١٨٦/٢.

(٢) شذرات الذهب ٣٠٧/٦ - ٣٠٨.

(٣) شذرات الذهب ٣٩٩/٦، الدرر الكامنة ١٥٤/٣.

البغدادي (٧٣٠هـ - ٨١٢هـ): اشتغل بالفقه حتى مهر فيه، وباشر عدّة مدارس ببغداد، وانتفع الطلبة بعلمه، ثم خرج منها في سنة ٧٨٩هـ حين شاع بين الناس أنّ تيمورلنك قد نوى الدخول إليها.

صنّف في الفقه وأصوله، ونظّم الوجيز في الفقه في ستّة آلاف بيت ونظّم أرجوزة في الفرائض مائة بيت، واختصر كتاب ابن الحاجب، وله غير ذلك^(١).

* برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن التاج عبدالوهاب البغدادي (٧٩٣هـ - ٨٦٨هـ): الذي قرأ على علماء عصره ببغداد، وجدّ واجتهد، حتى صار إماماً عالمياً، يشار إليه بالبنان^(٢).

ثم غلب بعد ذلك المذهب الشيعي على سائر بلاد العراق إلى نهاية هذا الدور الفقهي، إذ هي مدرسة الشيعة الكبرى وجامعة فقهاءهم، وفيها أولى العتبات المقدّسة عندهم.

وكان من أبرز أعلامهم:

* الحسين - وقيل الحسن - بن يوسف بن المطهر جمال الدين الشيعي الإمامي (٧٢٥هـ): وكان رأس الشيعة بالحلّة - جنوبي بغداد -، اشتهرت تصانيفه، وتخرّج به جماعة في عدّة علوم، صنّف في فقه الإمامية، وكان قيّماً بذلك، داعية إليه، شرح مختصر المنتهى، وشرحه على مختصر ابن الحاجب في غاية الحسن في حلّ ألفاظه وتقريب معانيه، وله كتاب في الإمامة ردّ عليه فيه ابن تيميّة بكتابه المشهور المسمّى بالردّ على الرافضي، وإياه عني تقيّ الدين السبكي بقوله:

وابن المطهر لم تطهر خلائقه داع إلى الرفض غال في تعصّبه
ولابن تيميّة ردّ عليه له أجاد في الردّ واستيفاء أضربه

(١) شذرات الذهب ٢٢٦/٧، الضوء اللامع ١٠/١٩٨.

(٢) شذرات الذهب ٤٤٦/٧، الضوء اللامع ١/٧٣.

ولمّا وصل إليه كتاب ابن تيمية في الردّ عليه، كتب أبياتا أولها:

لو كنت تعلم كلّ ما علم الوري طرا لصرت صديق كلّ العالم

ولمّا حجّ ابن المطهر اجتمع هو وابن تيمية، وتذاكرا، فأعجب ابن تيمية كلامه، وقال له: من تكون يا هذا؟ فقال الذي تسمّيه ابن المنجس، فحصل بينهما أنس ومباشطة^(١).

* نجم الدين خضر بن شمس الدين أحمد بن علي الرازي الحبلرودي ثم النجفي (٨٥٠هـ): أخذ عن شمس الدين محمد بن السيد الشريف الجرجاني، من مصنفاته: التحقيق المبين شرح نهج المسترشدين، وغير ذلك من المصنفات^(٢).

* عبدالله بن شهاب الدين حسين اليزدي الشهابادي (١٠١٥هـ): نزيل بغداد، صاحب تحفة الشاهجانية في شرح تهذيب التفتازانية، وحاشية على حاشية الخطائي، وحاشية على مختصر التفتازاني، وشرح القواعد في فقه الشيعة، وحواشي أخرى كثيرة^(٣).

* فخر الدين طريح بن محمد بن علي بن أحمد بن طريح الرماحي المسهلي النجفي (١٠٨٥هـ): المعروف بالطريحي، من علماء الشيعة الإمامية، له من المصنفات: الاحتجاج في مسائل الاحتياج، وتحفة الوارد وعقال الشارد، وحاشية على المعتمد للحلي والضياء اللامع في شرح مختصر الشرائع وفخرية الكبرى الجامعة للفتاوى، وغير ذلك^(٤).

* مهدي بن حسن بن أحمد بن محمد الحلبي الشهير بالقزويني (١٢١٢هـ - ١٣٠١هـ): من مجتهدي الشيعة الإمامية، سكن الحلة ودفن

(١) الدرر الكامنة ٧١/٢ - ٧٢.

(٢) كشف الظنون ٢٨٣/٥.

(٣) كشف الظنون ٣٨٧/٥.

(٤) كشف الظنون ٣٥٤/٥ - ٣٥٥.

بالنجف، من مصنفاته: أساس الإيجاد في الاستعداد لملكة الاجتهاد، والبصائر في مختصر المواهب، وفلك النجاة في أحكام العبادات، وموارد الوصول إلى علم الأصول، وغير ذلك من المنظومات والرسائل^(١).

وقد أورد الإمام الشوكاني أثناء ترجمته لمحمد الكردي، أنّ أحد طلبة العلم القادمين من بغداد إلى مدينة صنعاء، في أوائل القرن الثالث عشر، وكان قد خرج من بلاده لطلب العلم، وتنقل في البلدان، ذكر له أنّ بغداد وما حولها من البلاد قد صار أكثر أهلها رافضة من روافض الإمامية^(٢).

٤ - بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر:

تواصل نشاط فقهاء هذا المركز الإسلامي، وقد غمر هذه البلاد في المرحلة الأولى من هذا الدور، المذهب الشافعي والحنفي، كان فيها فقهاء المذهبين كفرسي رهان، فربما ساد هذا المذهب، وربما ساد ذلك حتى وجدنا من كان يقرئ في المذهبين، ومنهم من صار إمام الناس فيهما يستحضر المذهبين ويفتي فيهما، ويقول: أنا حنفي الأصول، شافعي الفروع.

وظهر من أتباع الحنفية والشافعية على السواء، أعلام كانوا الملجأ في المعضلات، تعمل المطي إلى جوارهم، وتضرب البزل المهاري أكبادها في تبرح أو تبديد نحو ديارهم، صنفوا المصنفات الحسنة التي رحل الناس لأجلها وتلقوها وتداولوها، حتى طار في جميع المراكز الأخرى ذكرها وصداها.

وكان نشاطهم قد استوعب البلاد التي من حولهم من أقصاها إلى أدناها، فأما في بلاد إيران فقد برز بشيراز:

* جمال الدين عبدالحميد بن عبدالرحمن بن عبدالحميد الجيلوني الشيرازي الشافعي (٧٣١هـ): كان فقيهاً كبيراً، ذا حظّ كثير من العلوم،

(١) كشف الظنون ٣٧٥/٦.

(٢) البدر الطالع ص ٧٤٤.

بحث الحاوي الصغير بقزوين على ابن المصنف في أربعين يوماً، ثم عاد إلى بلده، وصنف كتابه البحر، وهو مختصر أوضح من الحاوي، متضمن لزيادات، وكانت وفاته بشيراز^(١).

* فخر الدين أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن ممدود التميمي الشيرازي (٧٥٦هـ): الشافعي ولي قضاء القضاة بفارس، وهو ابن خمس عشرة سنة، وعزل بعد مدة بالقاضي ناصر الدين البيضاوي، ثم أعيد بعد ستة أشهر، واستمر على القضاء خمسا وسبعين سنة.

كان مشهوراً بالدين والخير، من مصنفاته، شرح مختصر ابن الحاجب، ونظم كثير، وكانت وفاته بشيراز^(٢).

وفي نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع، سطع نجم عالم شيراز ومحدثها وفاضلها:

* الجنيد بن محمد البلياني الأصل (٧٤٦هـ - ٨١١هـ): نسبة لبليان من أعمال شيراز نزيل شيراز، وقيل توفي سنة ٨٠٩هـ^(٣).

ومن أعلام الحنفية، ظهر:

* حيدر بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الخوافي (٧٨٠هـ - ٨٥٤هـ): المعروف بالصدر الهروي، تلميذ التفتازاني، صاحب شرح فرائض السراجية^(٤).

* علي بن محيي الدين محمد علاء الدين الشيرازي (٩٤٥هـ)^(٥):

* حبيب الله بن عبدالله العلوي الدهلوي شمس الدين الشهير

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٤٥/١٠، شذرات الذهب ٢٦٠/٦.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، ١٣٩/١٠، شذرات الذهب ٣٦٨/٦.

(٣) الضوء اللامع ٧٩/٣، شذرات الذهب ٢١٧/٧.

(٤) كشف الظنون ٢٧٩/٥.

(٥) كشف الظنون ٥٩٥/٥.

بميرزا جان الشيرازي (٩٩٤هـ): له شروح وحواشي كثيرة في فنون مختلفة^(١).

وبمدينة كازون الإيرانية، الواقعة في غربي شيراز، لمع:

* نسيم الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد بن مسعود النيسابوري، ثم الكازوني (٧٣٥هـ - ٨٠١هـ): نشأ بكازون، وبها اشتغل بتحصيل العلم، وبرع في العربية، وشارك في الفقه وغيره مشاركة حسنة.

دخل مكة حاجًا سنة ٧٨٢هـ، وأقام بها مدة طويلة، فانتفع به أهلها، وكان حسن التعليم، ثم عاد إلى بلاده في سنة ٧٩٨هـ، فأقام بها على عادته في الإسماع والإقراء، ثم رجع متوجهًا إلى مكة فأدرجه أجله^(٢).

وبدوان - قرية من قرى كازون - ظهر الفقيه الشافعي، عالم أهل فارس:

* محمد بن أسعد - وقيل أحمد - الصديقي البكري الملقب جلال الدين الدواني (٩٢٨هـ): قاضي القضاة المذكور بالعلم الكثير، أخذ عنه أهل تلك النواحي، وارتحل إليه أهل خراسان وما وراء النهر، له شهرة كبيرة وصيت عظيم حتى تكاثرت تلاميذه، وولّي قضاء تلك الديار.

له مصنفات كثيرة، منها: شرح التهذيب، وحاشية على العضد، وحاشية على الأنوار لعمل الأبرار للأردبيلي في الفروع، وغير ذلك، وفي تاريخ وفاته خلاف، فقبل سنة ٩٢٨هـ، وقيل سنة ٩١٨هـ، وقيل سنة ٩٠٨هـ^(٣).

وإذا أتجھنا إلى شمال غربي إيران، وجدنا بتبريز:

(١) كشف الظنون ٢١٧/٥.

(٢) شذرات الذهب ١٣٣/٧ - ١٣٤، الضوء اللامع ٢١/١٠ - ٢٢.

(٣) الضوء اللامع ١٣٣/٧، البدر الطالع ص ٦٤٦ - ٦٤٧، شذرات الذهب ٢٠٠/٨ - ٢٠١، كشف الظنون ١٧٨/٦.

* عبدالله بن محمد الهاشمي الحسيني الملقب العبري (٧٤٢هـ) :
عالم كبير في وقته، وتصانيفه سائرة، كان أولاً حنفيًا ثم صار شافعيًا،
وكان يقرئ المذهبين، مشهوراً في الآفاق، مشاراً إليه في جميع الفنون.
سكن سلطانية، ثم تبريز، وكانت وفاته بها^(١).

وبجرجان، تلقى فريد عصره ووحيد دهره، سلطان العلماء العاملين:

* أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني الشهير بالسيد
الشريف (٧٤٠هـ - ٨١٦هـ): المحقق الحنفي صاحب كتاب التعريفات،
المعروف بتعريفات الجرجاني، وهو كتاب مطبوع مشهور.

كان إماماً في جميع العلوم، متفرداً بها، مصنفًا في جميع أنواعها،
متبحراً في دقيقتها وجليلها، عارفاً بطرق المناظرة والمباحثة والاحتجاج.

طار صيته في الآفاق، وانتفع الناس بمصنفاته في جميع البلاد، وهي
مشهورة في كل فن، يحتج بها أكابر العلماء، وينقلون منها، ويوردون
ويصدرون عنها، وكان أهل عصره يفتخرون بالأخذ عنه، ثم صار من
بعدهم يفتخرون بالأخذ عن تلامذته.

تصدى للإقراء والإفتاء، وبالغ في تعظيمه العلماء وجعلوه هو وسعد
الدين التفتازاني حجة في علومهما، وجرت بينهما مباحثات ومحاورات في
مجلس تيمورلنك، واختلف الناس في عصرهما، وفيما بعده من العصور،
من المحقق منهما.

وضع مصنفات نافعة، تزيد على خمسين كتاب، كلها غزيرة المعاني،
واضحة الألفاظ، قليلة التكلف والتعقيد، منها: حاشية على أوائل التلويح
للتفتازاني، وله شرح كنز الدقائق في الفروع، وشرح منتهى السؤل والأمل
لابن الحاجب في أصول الفقه، وشرح الهداية للمرغيناني في الفروع،
وشرح فرائض الحنفية وله غير ذلك من الشروح والحواشي والرسائل في

(١) البدر الطالع ص ٤١٧.

الفروع والأصول ومختلف العلوم.

وكانت وفاته بشيراز^(١).

وأما ببلاد خراسان فنلقى:

* محمد بن محمد بن علي، صدر الدين بن شمس الدين الرواسي الإسفراييني الشافعي مذهباً (ق ٩هـ): ولد سنة ٧٩٨هـ، وكان على قيد الحياة سنة ٨٤٩هـ، تفقه في المذهبين الشافعي والحنفي، وصنّف كتاب ضوابط العبادات، في فقه العبادات، وله حاشية على أوائل الحاوي في الفقه ورسائل في علوم شتى^(٢).

* عبدالرحمن بن أحمد الجامي (٨٩٨هـ): نسبة إلى جام من قصبات خراسان، اشتغل بالعلوم العقلية والشرعية، فأتقنها.

كان أعجوبة دهره علماً وعملاً وأدباً وشعراً، بلغ صيت فضله الآفاق، وسارت بعلمه الركبان، له مؤلفات جمّة، وكلّ تصانيفه مقبولة، وكانت وفاته بهراة^(٣).

* نظام الدين عبدالحفي بن عبدالوهاب بن علي الحسيني الأسترابادي الجرجاني (ق ١٠هـ): نزيل هراة، من علماء المسلمين، ولّي قضاء خراسان، وكان على قيد الحياة في حدود سنة ٩٥٩هـ^(٤).

وبنيسابور:

* سعد الدين فضل الله بن إبراهيم بن عبدالله الشامكاني (٧٨٧هـ): نسبة إلى شامكان، قرية بنيسابور، الفقيه الشافعي.

(١) الضوء اللامع ٣٢٨/٥ - ٣٣٠، البدر الطالع ص ٤٨٩ - ٤٩١، كشف الظنون ٥٨٣/٥.

(٢) طبقات المفسرين ص ٤٦٢ - ٤٦٣.

(٣) شذرات الذهب ٢٣/٨ - ٢٤.

(٤) كشف الظنون ٤١٤/٥.

قرأ على القاضي عضد الدين، وغيره، وحدث عنه شرح مختصر ابن الحاجب^(١).

وبسطام جمع بين رئاستي العلم والعمل، الفقيه:

* علاء الدين علي بن محمود الهروي الرازي العمري الشاهروردي (٨٠٣هـ - ٨٧٥هـ): نسبة إلى قرية قريبة من بسطام، وبسطام بلدة من بلاد خراسان، الحنفي الشهير بمصنفك، لقب بذلك لاشتغاله بالتصنيف في حداثة سنّه.

سافر مع أخيه إلى هراة لتحصيل العلوم سنة ٨١٢هـ، وهو في سنّ التاسعة من عمره، فدرس فقه المذهبين الحنفي والشافعي.

كان إماماً عالمياً، صنف مصنفات عديدة، منها: شرح اللباب، وشرح المطول، وشرح شرح المفتاح للتفتازاني، وحاشية على التلويح، وشرح البرزوي، وشرح الهداية^(٢).

وبتفتازان: بنواحي نسا تفرّد بالعلوم في القرن الثامن:

* مسعود - وقيل محمود - بن عمر المعروف بسعد الدين التفتازاني (٧١٢هـ - ٧٩٢هـ): نسبة إلى تفتازان أخذ عن أكابر أهل العلم في عصره كعضد الدين الإيجي وطبقته، فطار صيته واشتهر ذكره ورحل إليه الطلبة. لم يكن له في أهله نظير فيها، وحصل له من الحظّ والشهرة والصيت في أهل عصره، ومن بعدهم ما لم يلحق به غيره.

جرت بينه وبين السيد الشريف الجرجاني مناظرات مشهورة.

اشتهرت مصنّفاته في حياته، وانتشرت في جميع البلدان، فتنافس الطلبة في تحصيلها، من أشهرها كتاب التلويح في شرح التنقيح لصدر الشريعة في أصول فقه الحنفية، وهو من أجلّ مصنّفاته.

(١) شذرات الذهب ٤٢/٧.

(٢) شذرات الذهب ٤٦٣/٧ - ٤٦٤.

شرح التفتازاني في التصنيف وهو في السادسة عشرة من عمره، فصنّف الزنجانية سنة ٧٣٨هـ، وأتمّ شرح التلخيص الكبير سنة ٧٤٨هـ بهراة، وفرغ من مختصره سنة ٧٥٦هـ، وبخوارزم أتمّ كتبه، شرح التلويح والتوضيح سنة ٧٥٨هـ بكلكشان - بلدة من بلاد تركستان - وشرح العقائد سنة ٧٦٨هـ، وحاشية مختصر الأصول للعضد سنة ٧٧٠هـ، وشرح بهراة في تصنيف كتاب فتاوى الحنفية سنة ٧٦٩هـ، وفي سرخس أكمل تأليف مفتاح الفقه سنة ٧٧٢هـ، وبسمرقند أتمّ المقاصد وشرحه وتهذيب الكلام، كلّها سنة ٧٨٤هـ، وشرح المفتاح سنة ٧٨٩هـ، وغير ذلك من المصنّفات في أنواع العلوم التي تنافس الأئمة في تحصيلها والاعتناء بها.

وكانت وفاته بسمرقند^(١).

وبهراة:

* محمد بن عطاء الله الرازي الأصل، الهروي الشافعي (٧٦٧هـ - ٨٢٩هـ): ولد بهراة، واشتغل بتحصيل العلم في بلاده، وأخذ عن سعد الدين التفتازاني، وطبقته.

كان حنفيًا، ثمّ تحوّل شافعيًا، وكان أتباعه يقولون: إنّه إمام الناس في المذهبين الشافعي والحنفي، وكان قد أدرك العلماء الكبار، مثل التفتازاني، والسيد الشريف الجرجاني، وغيرهما.

كانت له حرمة وافرة ببلاد سمرقند وهراة وغيرهما، غير أنّ الفقهاء تعصّبوا عليه وبالغوا في التشنيع عليه ورموه بعظائم الظنّ، وبرّاه غيرهم عن أكثرها.

انتقصه الحافظ ابن حجر العسقلاني، ووصفه بالكذب، وكذلك قال السخاوي، في حين ذكر ابن قاضي شهبة: أنّه كان إماماً عالماً، غوّاصا

(١) الدرر الكامنة ٤/٣٥٠، البدر الطالع ص ٨٢١ - ٨٢٣، لقط الفرائد ص ٢٢٥.

على المعاني، يحفظ متوناً كثيرة^(١).

وبالقرم نلتقي بـ:

* ضياء الدين عبدالله بن سعد الله بن محمد بن عثمان القزويني القرمي (٧٨٠هـ): المعروف بقاضي القرم العفيفي الشافعي، أحد العلماء.

تفقه ببلاده، فأخذ عن القاضي عضد الدين وغيره، وكان لا يملّ من الاشتغال بالعلم حتى في حال مشيه وركوبه، فتقدّم في العلم حتى إنّ السعد التفتازاني قرأ عليه.

كان يستحضر المذهبين الشافعي والحنفي، ويفتي فيهما، ويقول: أنا حنفي الأصول، شافعي الفروع، وكان يدرّس تلاميذه بغير مطالعة^(٢).

* ركن الدين أحمد بن محمد بن عبدالمؤمن الحنفي القرمي (٧٨٣هـ): ولي قضاء قرم ثلاثين سنة، حتى أصبح يعرف بقاضي قرم^(٣).

* علي بن يحيى السمرقندي علاء الدين (٨٦٠هـ): نزيل لاندّة من بلاد قرمان، الفقيه الحنفي، تلميذ علاء الدين البخاري^(٤).

وأما في بلاد ما وراء النهر: فساد بالخصوص المذهب الحنفي، حيث نلقى بسمرقند:

* محمد بن شهاب بن محمود بن يوسف بن الحسن الخافي الحنفي (٧٧٧هـ - ٨٥٢هـ): نزيل سمرقند، ولد بمدينة سلومد، قرأ بها، وتلقّى عن آخرين في بلاد متفرّقة، منهم السيّد الشريف الجرجاني، وسمع منه بعض تصانيفه.

كان عالماً متقناً، محققاً، بحرّاً في جميع العلوم، موصوفاً بجودة

(١) البدر الطالع ص ٧٢٣ - ٧٢٤، الضوء اللامع ١٥١/٨ - ١٥٥.

(٢) شذرات الذهب ٤/٧، النجوم الزاهرة ١١/١٩٣.

(٣) شذرات الذهب ٧/١٩، النجوم الزاهرة ١١/٢١٧.

(٤) كشف الظنون ٥/٥٨٧.

الذهن، وقوة الفهم، له مؤلفات، منها: حاشية لشرح المفتاح للتفتازاني، وحاشية للعضد، وغير ذلك^(١).

وببخارى تصدّر:

* ذو النون بن أحمد بن يوسف السرماري (٧٧٧هـ): نسبة إلى سرماري قرية ببخارى، الحنفي، يعرف بالفقيه، أخذ عن مشايخ أذربيجان، وديار بكر، وغيرهم، ونزل عنتاب في حدود الستين، فأقام بها يفقه الطلبة، شرح مقدّمة أبي الليث، وتصدّر بجامع النجار بجوار ميدان عنتاب، إلى أن مات^(٢).

وانثال الطلبة من كلّ مذهب على:

* محمد بن محمد بن محمد العلاء البخاري الحنفي (٧٧٩هـ) - (٨٤١هـ): الذي تتلمذ على السعد التفتازاني وآخرين من أهل عصره، ثمّ رحل إلى الأقطار لطلب العلم حتى تقدم في الفقه والأصليين واللغة والمنطق والجدل، فتوجه إلى بلاد الهند ونشر علمه هناك، ثمّ عاد إلى مكّة فجاور بها، ودخل مصر فأقام بها سنين، ثمّ خرج إلى دمشق، فتوفي بها^(٣).

* ومحمد بن شمس الدين التبريزي المعروف بمنلا حنفي (٩٠٠هـ)^(٤).

* ومفتي بخارى قصير الحنفي (٩٣٧هـ)^(٥).

* وشمس الدين محمد القهستاني الحنفي (٩٥٣هـ): نسبة إلى قهستان قسبة من قصبات خراسان، المفتي ببخارى، كان إماماً عالمياً،

(١) البدر الطالع ص ٦٩٠، الضوء اللامع ٧/٢٦٧.

(٢) شذرات الذهب ٦/٧٧٧.

(٣) البدر الطالع ص ٧٧٨ - ٧٨٠.

(٤) كشف الظنون ٦/١٧٣.

(٥) شذرات الذهب ٨/٢٦٩، الكواكب السائرة ٢/٢٤٤.

وفقيهاً متبحراً، جامعاً، يقال: إنّه ما نسي قطّ ما طرق به سمعه، له شرح لطيف على الوقاية، ألفه برسم الملك العالم المستنصر السلطان أبي المغازي عبيدالله السبيكي^(١).

* وعناية الله بن عبدالله الوابكني البخاري الحنفي الشهير بأخوند (١١٧٦هـ) : كان عالماً فاضلاً ومدرساً له شروح كثيرة^(٢).

وكان للشيعة الإمامية نوع مشاركة في هذه الديار، مع المذهبيين الشافعي والحنفي، وكان من أشهر أعلامهم في بداية المرحلة الأولى من هذا الدور، من تشييع به أهل السنة، وتستنّ به أهل الرافضة، وهو:

* محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمداني ثمّ الدمشقي (٦٣٥هـ - ٧٢١هـ): شيخ الشيعة وفاضلهم، أخذ عن جماعة من الإمامية، وكان لا يغلو ولم يحفظ له سباً في الصحابة، بل له نظم في فضائلهم، حتى قال ابن تيمية: هو ممّن يتستنّ به الشيعي، ويتشييع به السنّي^(٣).

ومنهم:

* مير غياث الدين منصور بن مير صدر الدين محمد بن منصور الشنكي الشيرازي الشيعي (٩٤٨هـ): صاحب المصنفات الكثيرة^(٤).

ثمّ استغرق مذهب الشيعة الإمامية في المرحلة الثانية من هذا الدور، غالب بلاد خراسان، وكان في أهل أصفهان رافضة من روافض الإمامية، يجري بينهم وبين غيرهم فتن عظيمة^(٥).

ومن أعلام الشيعة وعلماء الإمامية الذين سادوا في هذه المرحلة،

نذكر:

(١) شذرات الذهب ٣٥٣/٧، معجم المؤلفين ١٧٩/٩، الأعلام ١١/٧.

(٢) كشف الظنون ٦٤٠/٥.

(٣) الدرر الكامنة ٤١٠/٣ - ٤١١، شذرات الذهب ٢٠٩/٦.

(٤) كشف الظنون ٣٦٨/٦.

(٥) البدر الطالع ص ٧٤٤.

* ماجد بن هاشم بن علي بن مرتضى بن علي البحراني (١٠٢٨هـ):
قاضي شيراز^(١).

* صدر الدين الثاني محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي
(١٠٥٠هـ)^(٢).

* حسين بن جمال الدين محمد الخوانساري (١٠٩٩هـ): نزيل
أصبهان، من علماء الإمامية، صنف حواشي كثيرة في علوم مختلفة^(٣).

* محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصبهاني الشهير
بالمجالس (١٠٣٧هـ - ١١١١هـ): رئيس الشيعة الإمامية في عصره،
صاحب كتاب الأحكام، وكتاب الطهارة والصلاة، وغيرها من المصنفات
في السنن والآداب، والأوامر والنواهي، والفضائل والقصص، وأخبار
الرسول ﷺ^(٤).

* بهاء الدين محمد بن محمد باقر النائيني السبزاوري (١١٣٣هـ):
نزيل أصبهان، له حاشية على الأشباه والنظائر للسيوطي، ورسائل ثلاث في
الفرائض، وشرح كتاب الهداية للعالمي^(٥).

* حسين بن محمد صالح بن عبدالواسع الحسيني الخاتون آبادي
الأصبهاني (١١٥١هـ)^(٦).

* علي أكبر بن محمد باقر الإيجي الأصبهاني (١٢٣٢هـ): من علماء
الشيعة الإمامية صاحب رؤوس مسائل العبادات، والردّ على ميرزا محمد
الإخباري في إنكاره لأساس الاجتهاد، وله رسائل عديدة في الفقه متفرقة^(٧).

(١) كشف الظنون ٣/٦.

(٢) كشف الظنون ٢٢٠/٦.

(٣) كشف الظنون ٢٦٥/٥.

(٤) كشف الظنون ٢٤٠/٦ - ٢٤١.

(٥) كشف الظنون ٢٤٨/٦.

(٦) كشف الظنون ٢٦٥/٥.

(٧) كشف الظنون ٦١٧/٥.

* محمد تقي الكاشاني الشيعي (١٢٢٦هـ - ؟هـ) : نزيل طهران، صاحب سفينة النجاة في الفقه، وإيضاح المشتبهات، وبحر الفوائد، وجامع المواعظ^(١).

* محمد صالح بن محمد إسماعيل البرغاني - من قرى طهران (١٢٨١هـ) : فقيه الشيعة، وصاحب كتاب منهج الاجتهاد^(٢).

- ٥ - بلاد المغرب:

لم تكن حركة الفقه ببلاد المغرب في هذا الدور أقل نشاطاً من المراكز الأخرى، ولا أدنى عطاء في مجال التشريع، ولا أقل منها استهواءً، إذ نجد في هذا الدور من أبناء المغرب الإسلامي من اعتنى بالفقه وتحصيله، وحفظه وتقريره، وتحقيقه وتحريره، حتى ارتقى الكثير منهم إلى درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان، وصاروا صدوراً أكابر وبحوراً زواجر، انبسطوا في العلم بنباهتهم، ونزلت بساحتهم متفرقات العلوم نزول الماء الشجاج فأوضحوا أشكالها وحلّوا أفعالها، وانتفع بهم خلق كثير.

والملاحظ أنّ هذا النبوغ قد عمّ جميع حواضر بلاد المغرب، الممتدة من طنجة إلى إفريقية التونسية، وشمل كذلك الصحراء الليبية من حدود مصر إلى حدود الجزائر، واستغرق جميع الجهات التي كانت تزدان بفقهاؤها وعلمائها، بفضل ما كان بين تلك الحواضر من تواصل عبر الرحلات العلمية، والهجرات الاختيارية أحياناً أو الاضطرارية أحياناً أخرى.

بحيث أنّ التلاقح بين جميع المراكز الفقهية بالمغرب العربي كان متواصلاً مستمراً، والوشائج العلمية قائمة لم تنفصم، رغم الفتن السياسية التي كانت دائمة الحدوث بين هذه الأقطار.

(١) كشف الظنون ٣٠٥/٦.

(٢) كشف الظنون ٢٩٤/٦.

فأمّا القطر التونسي فحين زاره العبدري في بداية هذا الدور أبدى إعجابه بنشاطه العلمي، وقال: «وما من فنّ من فنون العلم إلاّ وجدت بتونس به قائما، ولا مورد من موارد المعارف إلاّ رأيت بها حوله واردا وحائما، وبها من أهل الرواية والدراية عدد وافر»^(١).

واستمرّ تأثير هذا الازدهار في القرنين الثامن والتاسع الهجريين حتّى إنّ أبا الحسن القلصادي الذي زار تونس في القرن التاسع الهجري، صرّح بأنّ: «سوق العلم حينئذ نافقة، وينابيع العلوم على اختلافها مغدقة، فلا عليك أن ترى مدرسة أو مسجداً إلاّ والعلم فيه يبتّ وينشر»^(٢).

فكانت المدارس إضافة إلى المساجد والجوامع، هي منارات العلم في تونس منذ عهد الحفصيّين الذين كان لهم الفضل في إقامة مدارس العلم في العاصمة وفي المدن التونسيّة الكبيرة، وتسابق أمراؤهم وأميراتهم في إنشائها ونشرها.

ومن أبرز الأعلام التونسيين الذين مارسوا العلم في هذه المرحلة، بطول خدمته من لدن أن شبّوا إلى أن دبّوا، وزاولوه جمعا وفرقا، وطلبوه غربا وشرقا، حتى أحيا الله بهم سنّة الاجتهاد:

* تقيّ الدين أبو القاسم - ويقال أبو أحمد - المعروف بابن زيتون (٦٢١هـ - ٦٩١هـ): مفتي إفريقية، وقاضي الجماعة بتونس، قطب أصولها وفروعها المرجوع إليه في أحكامها، المفرع إليه في الفتيا بتونس.

تفقّه بأبي عبدالله السوسي الرعيني وغيره، ورحل إلى المشرق مرتين، الأولى سنة ٦٤٨هـ أخذ فيها عن أعلام منهم العزّ ابن عبدالسلام وسراج الدين الأرموي وغيرهما، ورجع إلى تونس بعلم كثير، والثانية سنة ٦٥٦هـ فأقام بالقاهرة يدرّس بها بالمدرسة الفاضليّة، وبمدرسة الصاحب ابن شكر،

(١) رحلة العبدري ص ٣٧.

(٢) رحلة القلصادي ص ١١٥.

ثمّ رجع إلى تونس فولّي بها قضاء القضاة، وعظم محلّه، ونبل قدره وانتفع الناس به، وكان مجلسه يخصّ بطلبة العلم^(١).

* أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن عبدالرفيع الربيعي (٦٣٧هـ - ٧٣٣هـ): علامة زمانه وفريد عصره وأوانه العالم بالأحكام والنوازل.

تردّد في ولاية القضاء بين طبرسق وقابس نحواً من ثلاثين عاماً، ثمّ تداول قضاء الجماعة بتونس خمس مرات، أولها سنة ٦٩٩هـ، وولّي الخطابة بجامع الزيتونة، ثمّ امتحن بالعزل والنفي للمهدية، والسجن بها.

صنّف تصانيف نافعة، منها: معين الحكام، وهو كتاب كثير الفائدة غزير العلم، واختصار أجوبة ابن رشد والبديع في شرح التفريع لابن الجلاب، وغيرها.

وقد كانت بينه وبين ابن راشد القفصي ضغائن غفر الله لهما، وفي تاريخ وفاته خلاف^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن راشد القفصي (٧٣٦هـ) : تلقى عن أئمة من أهل المشرق والمغرب وحين رحل إلى مصر لازم شهاب الدين القرافي وتفقه عليه، حتى أجازته بالإمامة في أصول الفقه، وفي الفقه وأذن له في التدريس والإفادة، وقرأ على ابن دقيق العيد مختصر ابن الحاجب الفقهي، وغيرهما ممّن لا يحصون كثرة.

(١) الديباج المذهب ص ١٦٣ - ١٦٤، نيل الابتهاج ٩/٢ - ١٠، شجرة النور الزكية ص ١٩٣، عنوان الدراية ص ١١٤ - ١١٥، الحلل السندسية ٦٨٤/٣، تراجم المؤلفين التونسيين ٤٣٢/٢ - ٤٣٦، كتاب العمر ٧١٤/٢ - ٧١٧.

(٢) الديباج المذهب ص ١٤٥، توشيح الديباج ص ٧٩ - ٨٠، الدرر الكامنة ٢٣/١، درة الحجال ص ١٧٧ - ١٧٨، وفيات ابن القنفذ - المسماة شرف الطالب في أسنى المطالب - ص ٧٨، وفيات الونشريسي ص ١٠٧، لقط الفرائد ص ١٨٦، الحلل السندسية ٦٥٢/٣ - ٦٥٣، شجرة النور ص ٢٠٧، تراجم المؤلفين التونسيين ٣٢٢/٣ - ٣٢٤، كتاب العمر ٧٣٠/٢ - ٧٣٤، تاريخ معالم التوحيد ٥٦ - ٥٧.

ولمّا ظفر من العلوم بما أراد، رجع إلى وطنه، فشرع في التدريس، ومالت إليه النفوس.

تولّى قضاء قفصة، ثمّ صرف عنه، صنف تأليف مفيدة تشهد بفضله، منها: الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب الفقهي، شرح لفظه وحلّ مشكلاته وأوضح رموزه وإشارات، وعزا مسائله وقرّر دلائله، وله أيضاً المذهب في ضبط قواعد المذهب،، يقال إنّه ليس للمالكية مثله، والنظم البديع في اختصار التفريع، والفائق في معرفة الأحكام والوثائق، وغير ذلك من الكتب النافعة.

وكان بينه وبين ابن عبدالرفيع فتور، وفي تاريخ وفاته اختلاف^(١).

* أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام بن يوسف الهواري (٦٧٦هـ - ٧٤٩هـ): قاضي الجماعة بتونس وعلّمتها وإمامها إمام الفقهاء والنحاة، صرف همّته لانتحال فنون العلم وفتح مختومها، فأوضح أشكالها وحلّ أفعالها.

كان عالماً بالحديث، وممّن أدرك رتبة مجتهد الفتوى، فكانت له قوّة الترجيح من الأقوال، اعتمد ترجيحه خليل معاصره وغيره.

انتشر ذكره، وعظم قدره، وانتفع به الناس، وتخرّج عليه جماعة من العلماء الأعلام، كابن عرفة وغيره.

تولّى التدريس والفتوى، وكانت ولايته للقضاء من سنة ٧٣٤هـ، إلى أن توفّي.

له تقايد وشرح مختصر ابن الحاجب الفقهي شرحاً حسناً، وضع

(١) نيل الابتهاج ٤٤/٢ - ٤٦، الدياج المذهب ص ٤١٧ - ٤١٨، وفيات ابن القنفذ ص ٧٨، وفيات الونشريسي ص ١٠٧، شجرة النور ص ٢٠٧ - ٢٠٨، هدية العارفين ١٣٤/٢، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار المعروفة بدائرة مقديش ٥٦٩/١، تراجم المؤلفين التونسيين ٣٢٩/٢ - ٣٣٤، كتاب العمر ٧٣٨/٢ - ٧٤٣.

عليه القبول، قيل هو بالنسبة للشروح الأخرى كالعين من الحاجب^(١).
ومعاصره:

* أبو عبدالله محمد بن هارون الكناني (٦٨٠هـ - ٧٥٠هـ): أحد مجتهدي المذهب، وصفه ابن عرفة ببلوغه درجة الاجتهاد المذهبي.

ولي القضاء بغير تونس، وازدحم عليه الناس واقتبسوا من أنواره، وأخذ عنه أئمة كبار مثل: المقرئ وابن مرزوق وابن عرفة وقع بينه وبين ابن عبدالسلام نزاع في مسائل.

له تأليف أحكم أصولها وأتقن فصولها مع توفية الأغراض باختصار وإيجاز، كان بها الاعتماد وعليها العمل، منها: شرح على مختصري ابن الحاجب الفرعي والأصلي، واختصر المتيضية أسقط وثنائها وتكرارها، وشرح المدونة^(٢).

وممن تخرج على ابن هارون وابن عبدالسلام، شيخ الشيوخ وبقية أهل الرسوخ:

* أبو عبدالله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (٧١٦هـ - ٨٠٣هـ): شيخ الإسلام، وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، ولي إمامة جامع الزيتونة الأعظم سنة ٧٥٦هـ، وخطابته سنة ٧٧٢هـ، والفتيا سنة ٧٧٣هـ، فكان إمام تونس وخطيب جامعها الأعظم خمسين سنة.

(١) الديباج المذهب ص ٤١٨، نيل الابتهاج ٥٩/٢ - ٦٠، وفيات ابن القنفذ ص ٨١، وفيات الونشريسي ص ١١٦، لقط الفرائد ص ٢٠١، شجرة النور الزكية ص ٢١٠، الفكر السامي ٢٨٣/٤، هدية العارفين ١٥٥/٢، الحلل السنديية في الأخبار التونسية ٥٩٤/٣ - ٥٩٨، تراجم المؤلفين التونسيين ٣٢٥/٣ - ٣٢٨، كتاب العمر ٧٤٦/٢ - ٧٤٨.

(٢) نيل الابتهاج ٦٠/٢ - ٦٢، وفيات ابن القنفذ ص ٨١، وفيات الونشريسي ص ١١٦، لقط الفرائد ص ٢٠١، شجرة النور الزكية ص ٢١١، الحلل السنديية ٥٩٨/٣ - ٦٠٠، تراجم المؤلفين التونسيين ٩٦/٥ - ٩٨، كتاب العمر ٧٥١/٢ - ٧٥٤.

أخذ عن أعلام عصره، من أمثال محمد بن عبدالسلام الهواري علامة أهل تونس، وقاضي الجماعة بها ومحمد بن هارون الذي بلغ درجة الاجتهاد المذهبي، وعمر بن علي بن قداح الذي كانت عليه مدار الفتوى مع ابن عبدالرفيع والشريف التلمساني، وغيرهم.

كان ملازماً للشغل بالعلم، لا يرى إلا في الجامع، أو في حلقة الدرس، وكان يقعد للتدريس بمدرسته بتونس من بعد صلاة الغداة إلى الزوال، وكان لا يغشى سوقاً ولا مجتمعاً ولا مجلس حكم إلا أن يستدعيه السلطان في الأمور الدينية، لا يملّ من التدريس وإسماع الحديث والفتوى، حافظاً للمذهب، ضابطاً لقواعده إمام وقته بفقه مذهبه شرقاً وغرباً، حتى أن شيخ الإسلام ابن حجر وصفه: بشيخ الإسلام في المغرب.

تبحر في العلوم، وفاق في الأصلين - أصول الدين وأصول الفقه - وتقدم في الفقه والنحو والتفسير، وأتقن المعقول والمنقول، وفاض من كل علم بأوفر نصيب، وحاز في الأصول والفروع السهم والتعصيب، إلى أن صار المرجوع إليه في الفتوى ببلاد المغرب، وانتهت إليه الرئاسة في التحقيق والفتوى والمشاورة، ولم يكن - كما حكى تلميذه أبو حامد بن ظهيرة المكي - بالغرب من يجري مجراه في التحقيق، ولا من اجتمع له من العلوم ما اجتمع له، تأتي إليه الفتوى من مسيرة شهر.

وكلام ابن ظهيرة قد يحمل على خصوص بلاد إفريقية، وإلا فقد كان بالمغرب الأوسط والأقصى والأندلس من هو مثل ابن عرفة، ومن لا يتقاصر عن رتبته فيما ذكر من جمعه وتحقيقه، من أمثال الشريف التلمساني في تلمسان، وابن لبّ والشاطبي بغرناطة، والقبّاب بفاس، وغيرهم، بل صرح ابن مرزوق في حق الشريف أنه كان أعلم أهل وقته بإجماع.

وقد يحمل كلام ابن ظهيرة على عمومته بالنسبة لآخر حياة ابن عرفة، بعد أن مات أقرانه، حيث تأخر ابن عرفة عن الشريف التلمساني بأزيد من ثلاثين عاماً، وعن ابن لبّ بأزيد من عشرين عاماً، وعن الشاطبي والقبّاب بأزيد من عشر سنين.

جرت بين ابن عرفة وابن لبّ، وكذلك بينه وبين الشاطبي مراجعات وأبحاث في عدّة مسائل، وحدثت بينه وبين شيخه ابن عبدالسلام الهواري وحشة، هجر مجلسه فيها، كما حكاها البرزلي في فتاواه.

امتاز الشيخ ابن عرفة بفتح مجال النقاش بينه وبين طلبته في الدروس، كما حكى ذلك عنه تلميذه البسيلى وقال: «ولذا كان الحذاق يفضّلون مجلسه على غيره من مجالس التدريس»، وكانت طريقته في التدريس القصد إلى توليد المسائل، وابتكار الأنظار والأبحاث، وعلى هذا المنهج صار في خدمة الفقه، فبلغ الشأو الذي ما بلغه أحد قبله، وخرج بالفقه عن نطاق الالتزام الذي ضرب عليه بمتابعة طريقة مختصر ابن الحاجب ثم مختصر خليل الذي طلع من مصر في حياة ابن عرفة، فكانت طريقة ابن عرفة الفقهية: جمع الأنظار ومقارنتها والاستخلاص منها على أسلوب الدراسة العلمية المؤسسة على المنطق والأصول، المشاركة في استخدام عامّة الأدوات الثقافية، وعلى هذه الطريقة أخرج تأليفه المختصر الفقهي^(١) الذي ابتداء تصنيفه عام ٧٧٢هـ، وأتمّه عام ٧٨٦هـ فأفاد فيه وأبدع فلم يسبق في تهذيبه وجمعه وأبحاثه الرشيقة وحدوده الأنيقة، وسلم له الفوز عن غير نظير.

وصنّف تأليف أخرى في فنون من العلم بديعة، تدلّ على توسّعه في علوم عديدة، وإتقان وتحقيق، ورسوخ قدمه، منها الحدود الفقهية والتقييد الكبير في المذهب، أقبل الناس على تحصيله شرقا وغربا، ومختصر الحوفي في الفرائض، وغيرها من المصنفات الحسنة في أصول الدين والمنطق^(٢).

(١) ابن عاشور محمد الفاضل: أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص ٦٧ - ٦٨.

(٢) الديباج المذهب ص ٤١٩ - ٤٢٠، توشيح الديباج ص ٢٥١ - ٢٥٥، نيل الإبتهاج ١٢٧/٢ - ١٣٨، شجرة النور ص ٢٢٧ الضوء اللامع ٢٤٠/٩ - ٢٤٢، شذرات الذهب ١٦٣/٧، وفيات ابن القنفذ ص ٨٨ - ٨٩، هدية العارفين ١٧٧/٢، طبقات القراء ٢٤٣/٢، وفيات الونشريسي ص ١٣٤، طبقات المفسرين ص ٤٥٨ - ٤٥٩، =

وعن ابن عرفة أخذ من لا يعدّ كثرة من أهل المشرق والمغرب، منهم جماعة من العلماء الأعلام، وقضاة الإسلام، وقلّ بتونس من لم يأخذ عنه، ومن أبرز تلامذته المغربيين: عيسى الغبريني والآبي وابن ناجي والبرزلي وابن مرزوق الحفيد.

فأمّا الغبريني، فهو:

* أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد بن محمد الغبريني (٨١٣هـ): قاضي الجماعة بتونس وعالمها وحافظها وخطيبها، بعد ابن عرفة.

استنابه شيخه ابن عرفة حين خرج للحجّ على إمامة جامع الزيتونة، والغبريني آنذاك قاضي الجماعة، ثمّ استقلّ بالإمامة بعد وفاة ابن عرفة، وبقي عليها حتى توفي.

وصفه تلميذه ابن ناجي بأنّه ممّن يظنّ به حفظ المذهب بلا مطالعة، وحكى ذلك في شرحه لتهديب البراذعي، وبالغ في الثناء عليه في غير موضع، وقال: ما رأيت أصحّ منه نقلا، ولا أحسن منه ذهنًا، ولا أنصف منه، وقال تلميذه الأمير أبو عبدالله المدعو حسين بن السلطان أبي العباس الحفصي: كان شيخنا ابن عرفة، وشيخنا الغبريني، ممّن يجتهد في المذهب ولا يحتاج للدليل على ذلك، إذ العيان شاهد بذلك.

نقل عنه معاصره أبو القاسم البرزلي في فتاويه في غير موضع،

= البدر الطالع ص ٧٧٣، إتحاف أهل الزمان ٦١/٧، الحلل السنديّة ٥٧٧/٣ - ٥٩٣، دائرة مقديش ٥٩٣/١ - ٥٩٤، عنوان الأريب ١٠٥/١ - ١٠٧، تراجم المؤلفين التونسيين ٣٦٣/٣ - ٣٧١، تاريخ معالم التوحيد ص ٥٨، طبقات القراء ٢٤٣/٢، كتاب العمر ٧٦٢/٢ - ٧٦٨، شرح حدود ابن عرفة الموسوم بالهداية لابن الرضّاع ٦١/١ - ٦٤.

ووصفه بصاحبنا، وعنه أخذ غالب تلاميذ ابن عرفة المتأخرين^(١).

وأما الأبّي، فهو:

* محمد بن خليفة بن عمر التونسي الوشتاتي المشهور بالأبّي (٨٢٨هـ): عالم المغرب بالمعقول - كما وصفه ابن حجر - اشتهر في حياته بالمهارة، وكان من العلماء المحققين، وقد غلب عليه ذكر التعريفات الفقهية، ولا سيّما المالكية.

شرح المدوّنة، وصنّف إكمال المعلم في شرح مسلم، جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنوي مع زيادات مفيدة من كلام شيخه ابن عرفة، وهو شرح جليل، مشحون بالفرائد والفوائد، والتحقيقات البارعة والزيادات الحسنة النافعة، قال فيه السخاوي: ويعجبني الأخذ عنه.

لازم ابن عرفة، وكان من أعيان أصحابه ومحققهم، وقد كثر انتقاده لشيخه مشافهة، حتى كان ابن عرفة يقول: كيف أنام وأنا بين أسدين، الأبّي بفهمه وعقله، والبرزلي بحفظه ونقله^(٢).

وأما ابن ناجي، فهو:

* أبو الفضل وأبو القاسم قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي

(١) توشيح الديباج ص ١٣٨ - ١٣٩، نيل الابتهاج ١/٣٣٣ - ٣٣٤، الضوء اللامع ١٥١/٦، وفيات النشريسي ص ١٣٧، إتحاف أهل الزمان ٧/٦٢، الحلل السندسية ٣/٦١١ - ٦١٢، دائرة مقديش ١/٥٨٧، شجرة النور الزكية ص ٢٤٣، تاريخ معالم التوحيد ص ٥٨.

(٢) توشيح الديباج ص ٢٠٤ - ٢٠٥، نيل الابتهاج ٢/١٥٧ - ١٥٨، شجرة النور ص ٢٤٤، البدر الطالع ص ٦٨٥، الحلل السندسية ٣/٦٨٦ - ٦٨٧، الضوء اللامع ١١٣/١١، دائرة مقديش ١/٥٩٦ - ٥٩٧، عنوان الأريب ١/١١٤ - ١١٥، تراجم المؤلفين التونسيين ١/٥٠، كتاب العمر ١/٣٣٠ - ٣٣٥، وفيات النشريسي ص ١٣٩، لقط الفرائد ص ٢٤٢، وذكره النشريسي وابن القاضي في وفيات سنة ٨٢٣هـ.

القيرواني (٨٣٩هـ): الحافظ للمذهب، العارف بالأحكام والنوازل، تتلمذ على أبي القاسم البرزلي مدة إقامته بالقيروان قبل رجوعه إلى تونس، ثم أدرك ابن عرفة بتونس، فأخذ عنه وعن أعلام أصحابه أعلام عصره مثل الأبي، وتشرب الطريقة الفقهية التجديدية لابن عرفة، ونبغ فيها، وأصبح محيطا بآرائه واجتهاداته، متمشيا عليها في بحوثه وتقاريراته.

ولي قضاء جهات كثيرة بإفريقية، منها: باجة وجربة وقابس والأربس وتبسة وسوسة والمنستير والقيروان وقد ذكر عن نفسه أنه تغرب في البلاد نحو سبعة عشر عاما، لا يستقرّ به المقام في القيروان إلا قليلا، فتكون حياته القضائية قد امتدت من سنة ٧٩٩هـ - تاريخ تعيينه قاضيا على جربة - إلى سنة ٨١٦هـ، ثم انقطع للتدريس بالقيروان إلى أن توفي، وكان معه تفقه عظيم، وقيام تام على المدونة واستحضار للفروع.

أقبل على تدريس الفقه بنظر تطبيقي سديد، وسع بصره فيه النظريات المؤصلة التي درج عليها بين يدي أساتذته، ولا سيما البرزلي، حتى كانت دروسه الفقهية عديمة النظير^(١).

صنّف شرحاً مفيدا على رسالة ابن أبي زيد، أثنى عليه العلماء، وله شرحان على تهذيب المدونة للبراذعي حكى فيهما عمل أهل إفريقية، الأول صغير يعرف بالصيفي، وسمّاه شرح التهذيب، والثاني كبير يعرف بالشتوي، وسمّاه نهاية التحصيل، وله شرح على تفرّيع ابن الجلاب، وتأليفه معول عليها في المذهب، حيث واظب البرزلي على التحقيق، وصرف جهوده لتحرير فقه القضاء، وتقدير ما جرت به الفتوى في إفريقية، حتى صارت مصنفاته مرجعا وثيقا لما جرى به العمل في البلاد التونسية.

قال: توفي سنة ٨٣٧هـ وقيل في التي بعدها، والأشهر أنّه توفي سنة

(١) أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص ١٠٤ - ١٠٥.

٨٣٩هـ^(١).

وأما البرزلي، فهو:

* أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني ثم التونسي الشهير بالبرزلي (٨٤٤هـ): مفتي تونس وفتيها وحافظها وإمامها بالجامع الأعظم، عمدة أهل التحقيق المفزع إليه في الفتوى.

لازم ابن عرفة نحواً من أربعين سنة، فأخذ هديه وعلمه وطريقته، وأجازته إجازة عامة، وجالس غيره في الفقه والرواية في الحديث حتى حصل له علماً كثيراً، وأجازته أغلب شيوخه، وعنه أخذ ابن ناجي والرصاع وحلولو ومحمد بن أحمد عظوم وابن مرزوق الحفيد.

كان علامة بارعاً حافظاً للفقه، متفهماً فيه، بحثاً نظاراً، أحد أئمة المالكية ببلاد المغرب، وصاحب الفتاوى المتداولة، وكان موصوفاً بشيخ الإسلام.

له ديوان كبير في الفقه جمع فأوعى، وله الحاوي في النوازل من كتب المذهب الأجلة، أجاد فيه ما شاء، وله فتاوى كثيرة في فنون من العلم، وفي تاريخ وفاته خلاف، فقبل سنة ٨٤١هـ، وقيل سنة ٨٤٢هـ، وقيل سنة ٨٤٣هـ، وقيل سنة ٨٤٤هـ.

عمّر حتى ألحق الصغار بالكبار وكانت وفاته عن مائة وثلاث

(١) توشيح الديباج ص ٢٦٦ - ٢٦٧، نيل الابتهاج ١٢/٢، لقط الفرائد ص ٢٤٧، الحلل السندسية ٧٠٧/٣ - ٧٠٨، شجرة النور ص ٢٤٤ - ٢٤٥، أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص ١٠٠ - ١٠٥، مقدمة تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان للكناني، للمحقق محمد العنابي، تراجم المؤلفين التونسيين ٨/٥ - ١٤، تكميل الصلحاء والأعيان ص ٦ - ٩، كتاب العمر ٧٧٧/٢ - ٧٨٣، تاريخ قضاة القيروان للشيخ الجودي ص ١٣٣ - ١٣٥، الضوء اللامع ١٣٧/١١، ولم يذكر إلا اسمه وتاريخ وفاته.

سنين^(١).

وأما ابن مرزوق، فهو إمام عصره وأعجوبة وقته، وستأتي ترجمته لاحقاً في أهل الجزائر.

ثم انتقل العلم بعد هؤلاء إلى:

* أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني (٨٦٣هـ): فقيه تونس وعالمها، أدرك ابن عرفة، وولي قضاء الجماعة بتونس بعد ابن عقاب، ولازم الإمامة بجامع الزيتونة.

قال عنه القلصادي لم أر أعرف بمذهب الإمام مالك ولا من يستحضر النوازل والأحكام مثله، له تأليف في المذهب معتبرة، منها: شرح الرسالة ومختصر ابن الحاجب الفرعي، وغيرهما^(٢).

* أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى بن فنदार القيرواني المعروف بعظوم (٨٨٩هـ): من بيت به معروف بالفضل والتحلي بالوقار، كان فقيهاً عالماً محصلاً، مؤلفاً متقناً، من تلاميذ البرزلي.

برع في العلوم وتصدى لعلم النوازل، من مصنفاته الفقهية: تذكير الغافل وتعليم الجاهل، معروف بين الفقهاء بكتاب الدكابة، جمع فيه من لباب الفقه أقوالاً صريحة ونقلواً صحيحة، وله مواهب العرفان والمباني اليقينية في حكم المسألة العيدودية، تعقب فيه رسم تسجيل على بيع دار جمع فيه مسائل عجيبة والتزامات غريبة، ومرشد الحكام، مختصر في الفقه قال عنه الكنانني في تكميل الصلحاء: «بهّيّ جدّاً ضاهى به مختصر ابن

(١) توشيح الديباج ص ٢٦٦، نيل الابتهاج ١٧/٢ - ١٩، وفيات الونشريسي ص ١٤٢، لقط الفرائد ص ٢٤٩، إتحاف أهل الزمان ٦٢/٧، شجرة النور ص ٢٤٥، الضوء اللامع ١١/١٣٣، الحلل السندسية ٦١٣/٣ و ٧٠١/٣ - ٧٠٣، دائرة مقديش ٦٠٢/١، تراجم المؤلفين التونسيين ١١٥/١ - ١١٨، كتاب العمر ٧٨٤/٢ - ٧٨٨، تكميل الصلحاء والأعيان ص ٩ - ١١ تاريخ معالم التوحيد ص ٥٨ - ٥٩.

(٢) نيل الابتهاج ١١٩/١ - ١٢٠، رحلة القلصادي ص ١١٥ - ١١٦، الحلل السندسية ٦٢٥/٣ - ٦٢٦، الضوء اللامع. إتحاف أهل الزمان ٦٤/٧، شجرة النور الزكية.

عرفة، لكّته مبسوط، سهل واضح^(١).

* أبو عبدالله محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني ثمّ التونسي المشهور بالرضاع (٨٩٤هـ): قاضي الجماعة بتونس، وإمامها بجامعها الأعظم، وليّ قضاء المحلة، ثمّ الأنكحة، ثمّ الجماعة، ثمّ صرف نفسه، واقتصر على إمامة جامع الزيتونة الأعظم، والخطابة به، متصدراً للإفتاء وإقراء الفقه وأصول الدين والعربية والمنطق، وغيرها من العلوم إلى أن توفي.

تلقى العلم عن جماعة من أصحاب ابن عرفة، من أشهرهم: البرزلي، وعنه أخذ أحمد زروق، شرح حدود ابن عرفة في الفقه، وله فتاوى بعضها في المعيار للونشريسي^(٢).

* أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن الزليطني القروي المعروف بحلولو (٨٩٨هـ): أحد الأعلام الحافظين لفروع المذهب، تلقى عن البرزلي كما صرح في اختصار فتاويه، وعن ابن ناجي وقاسم العقباني وغيرهم.

له شرحان على مختصر خليل، شرح كبير حسن مفيد سمّاه البيان والتكميل في مختصر خليل، فيه أبحاث وتحريير، اعتنى فيه بنقل الفقه المتين عن ابن عبدالسلام وابن عرفة، وشرح آخر صغير، وله التوضيح في شرح التنقيح للقرافي، والضياء اللامع في شرح جمع الجوامع للسبكي، وشرح الإشارات للباجي، واختصر نوازل شيخه البرزلي اختصاراً جيّداً.

ولي قضاء طرابلس، ثمّ عزل عنها ورجع إلى تونس، فتولّى مشيخة

(١) شجرة النور الزكية ص ٢٥٩، تراجم المؤلفين التونسيين ٤٠٧/٣ - ٤٠٧، تكميل الصلحاء والأعيان ص ٢٣، كتاب العمر ٧٩٩/٢ - ٨٠٢.

(٢) توشيح الديباج ص ٢١٦ - ٢١٧، نيل الابتهاج ٢٤٧/٢، وفيات الونشريسي ص ١٥٢، شجرة النور ص ٢٥٩ - ٢٦٠، الضوء اللامع ٢٨٧/٨ - ٢٨٨، لقط الفرائد ص ٢٧٠، فهرس الفهارس ٤٣٠/١ - ٤٣١، إتحاف أهل الزمان ٦٤/٧ - ٦٥، تاريخ معالم التوحيد ص ٦٢، تراجم المؤلفين التونسيين ٣٥٨/٢ - ٣٦٢، كتاب العمر ٨٠٤/٢ - ٨٠٩.

ثم جرت بعد ذلك فتن وحروب عطّلت سير العلم، كانت نهايتها الاحتلال الإسباني الذي سيطر على البلاد التونسية لمدة أربعين سنة تقريبا، بدد خلالها السكّان بالهجرة والقتل، وأهان المقدّسات حتّى ربطت الخيول بصحن جامع الزيتونة الأعظم، وألقي ما فيها من نفائس المخطوطات بالطرقات، ثم داسوها بخيولهم ومزّقوها بسيوفهم حتّى أنّ المارّ حول الجامع من جميع جهاته لا تكاد تقع قدمه على غير الكتب^(٢).

ولم يكن بجامع الزيتونة بعد ذلك إلاّ نحو عشرين مجلّدا، بقيّة من خزائن سلاطين الحفصيين التي كانت تشتمل على أكثر من ثلاثين ألف مجلّد مخطوط باليد^(٣).

وأصبحت سوق العلم بتونس في القرن العاشر خاملة، فلا نجد فيها ما وجدنا في القرون قبلها من الأعلام الذين يدلّ وجودهم في القطر على أنّ هناك علوما ساطعة وأنظارا واسعة، بحيث كادت المائة العاشرة تنقضي دون أن يكون هنالك رجال لهم في الفقه أقدام راسخة وأنظار ثاقبة^(٤).

ومما زاد الطين بلة تعاقب الأوبئة حوالي القرن الحادي عشر، حتّى قال الوزير السراج: «إنّ العلم انقطع من تونس بذلك الفناء المتعاقب، وذلك من بقيّة الأسباب التي أتت على ما تركته أيدي الفتن والسرقه، لأنّ

(١) توشيح الديباج ص ٥٢، نيل الابتهاج ١٣٤/١ - ١٣٦، شجرة النور ص ٢٥٩، الضوء اللامع ٢/٢٦٠، أعلام ليبيا ص ٣٧ - ٣٨، تكميل الصلحاء والأعيان ص ١٣ - ١٤، الحلل السندسية ٣/٦٤٥ - ٦٤٧، تراجم المؤلفين التونسيين ٢/١٦٥ - ١٦٧، كتاب العمر ٢/٨١٠ - ٨١٢، دائرة مقديش ١/٦٠٢ - ٦٠٣، وذكر وفاته سنة ٨٤١هـ.

(٢) صفحات من تاريخ تونس ص ٢٩٨، إتحاف أهل الزمان ١/١٤، تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد ص ٤٨، الحلل السندسية ٤/١١٠٤ - ١١٠٥، شجرة النور الزكية - التتمة - ص ١٥٦.

(٣) صفحات من تاريخ تونس ص ٢٨٩.

(٤) محمد الخضر حسين: تونس وجامع الزيتونة ص ٩، وص ٢٠.

الكتب لا تعيش طويلاً بين غير أهل العلم»^(١).

وهكذا أصيب النشاط العلمي بانتكاسة عظيمة، وخرج العلماء من البلاد فقصدوا مصر وفاس وتلمسان وغيرها من البلاد، خوفاً من الفتن والحروب التي امتدت خلال النصف الثاني من القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر، نتيجة سوء تصرف السلاطين الأخيرين للدولة الحفصية، وتمكينهم للاحتلال الإسباني، ثم دخول الأتراك على إثر ذلك، حتى قيل إن العلم لأول دولة الأتراك قد ارتفع من تونس بالمرّة^(٢).

وبعد استقرار الأتراك العثمانيين بتونس أتجهت الهمم لإحياء الحركة العلمية، فأعادوا المدارس القديمة - التي كان الاحتلال الإسباني قد خربها - إلى سالف أنشطتها، وأسهموا في إقامة مدارس جديدة لتدريس المذهب الحنفي، الذي أصبح المذهب الرسمي للدولة، واستقدموا لذلك العلماء والقضاة الذين كانوا يعينون من الباب العالي.

فأصبح في المرحلة الثانية من هذا الدور، المذهب المالكي - الذي هو مذهب غالبية التونسيين - والحنفي - الذي هو المذهب الرسمي للدولة - يسيران جنباً إلى جنب في إذكاء الحركة العلمية.

فأما المالكية فقد برز منهم أعلام، وضعوا التأليف الحسان، فأحكموا أصولها وأتقنوا فصولها، وجاؤوا فيها بدقة الاستنباطات، وجودة الاحترازات، وحسن الاعتراضات، من أشهرهم:

* أبو الفضل قاسم بن زروق بن محمد عظم (١٠٠٩هـ) : من بيت علم وفضل، كان فقيهاً محققاً للفتيا والنوازل.

ولي الفتيا بتونس، وكان لا يأخذ أجراً على ذلك إلا قدر ما يكفيه ليومه، مع أنه فقير ذو عيال.

(١) صفحات من تاريخ تونس ص ٢٩٩.

(٢) إتحاف أهل الزمان ١١/٧.

وضع تأليف مفيدة، منها: برنامج الشوارد على مسائل الشامل في الفقه المالكي لهبرام، اعتمده المفتون والقضاة من الحنفية والمالكية بتونس، وله أيضاً أجوبة على نوازل في الفقه، محررة مع إطناب، وكان قد سئل عنها، وله غير ذلك^(١).

* أبو عبدالله علي - وقيل محمد - تاج العارفين بن أبي بكر العثماني التونسي (ق ١١١هـ): من ذرية الخليفة الثالث عثمان بن عفان، استمرت إمامة جامع الزيتونة والخطابة في بيته بين مائة وثلاث وسبعين سنة، وكان أول الأئمة من بيته، وليها بإشارة من شيخه أبي يحيى بن قاسم الرصاع (١٠٣٣هـ).

كان زينة لجامع الزيتونة بدروسه، له رسالة إعمال النظر الفكري في تحرير الصاع النبوي التونسي، لتؤدى به زكاة الفطر، وله بينه وبين بعض أقرانه مراسلات تدل على فضل ونبل^(٢).

ثم كان من بعده تلميذه:

* أبو عبدالله محمد بن إبراهيم فتاة التونسي (١١١٥هـ): أخذ عنه من لا يعدّ كثرة من أهل عصره، وحصل على ما كتبه من الفتاوى وجمعها في مجموع، ولما تولّى الفتيا كان يفتي منها.

في سنة ١٠٨٨هـ كانت الفتنة المشهورة في عهد محمد باي وأخيه علي وعمهما، تسبب عنها القبض على صاحب الترجمة وسجنه مع رفيقه مفتي الحنفية أبي المحاسن يوسف درغوث، وقتل هناك ونجا صاحب الترجمة لفراره ليلاً من بين العسس واختفائه، ثم فرج الله عنه.

ولما تولّى الفتيا سنة ١٠٩٠هـ زانها بعلمه وعمله، أكمل شرح الدرّة

(١) ذيل بشائر أهل الإيمان ص ١٨٣ - ١٨٤، شجرة النور الزكية ص ٢٩٢.

(٢) إتحاف أهل الزمان ٦٧/٧، ذيل بشائر أهل الإيمان ص ١٨٥، شجرة النور الزكية ص

اليضاوي للشيخ الأخصري في الفرائض^(١).

ومن تلاميذه، شيخ الإسلام:

أبو عبدالله محمد زيتونة الشريف المنستيري المنشأ والدار، التونسي القرار (١٠٨١هـ - ١١٣٨هـ): ولد بالمنستير، عالم تونس ومفتيها، وحافظ المغرب على الإطلاق، أقام بالقيروان نحو الثلاثة أعوام، فتفقه على مشائخها كالشيخ محمد عظوم وطبقته، ثم سافر إلى تونس وأخذ عن أعلامها كالشيخ محمد فتاة وابنه حمودة وغيرهما.

حج سنة ١١١٤هـ ثم توجه إلى مصر فاستفاد وأفاد، وأخذ عن الشيخ محمد الزرقاني، ثم عاد إلى تونس فولى التدريس بالمدرسة المرادية فأفاد وأجاد وتخرج به الكثير من الأعلام، مثل: محمد سعادة وغيره.

لازم التدريس والإفادة وتولى الإمامة والخطابة بجامع باب بحر - المعروف اليوم بجامع الزارعية - وصنف تصانيف عديدة^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن محمد الخضراوي (١٠٨٧هـ - ١١٤٤هـ): عالم إفريقية على الإطلاق الذي تصدّر للتدريس بعدة أماكن، ثم تولى التدريس بجامع محمد باي المجاور لضريح الشيخ محرز بن خلف، وأفاد خلقا كثيراً، ثم درس بالمدرسة الحسينية الكبرى القريبة من الجامع الأعظم، وهي المدرسة التي أنشأها حسين باي وكان الشيخ الخضراوي أول مدرّس بها^(٣).

* أبو عبدالله محمد بن حسن بن عبدالرزاق الهذلي السوسي

- (١) ذيل بشائر أهل الإيمان ص ١٩٨ - ١٩٩، شجرة النور الزكية ص ٣٢٠ - ٣٢١، تراجم المؤلفين التونسيين ١٥/٤ - ١٦، كتاب العمر ٨٢٦/٢ - ٨٢٧.
- (٢) بشائر أهل الإيمان ص ٢٢٤ - ٢٣٠، شجرة النور الزكية ص ٣٢٤ - ٣٢٥، إتحاف أهل الزمان تاريخ معالم التوحيد ص ١٢٥، ٣٠١ - ٣٠٢، تراجم المؤلفين التونسيين ٤٣٧/٢ - ٤٤٢، هدية العارفين ٣١٢/٢، كتاب العمر ١٨٥/١ - ١٨٨.
- (٣) ذيل بشائر أهل الإيمان ص ٢٣٤ - ٢٣٥، شجرة النور الزكية ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(١١٩٧هـ): نشأ في بيت علم وفضل بسوسة، قرأ على والده الشيخ حسن الهدّة عالم سوسة وفقهها ومتولّي الفتيا والتدريس بها، ثم ارتحل في طلب العلم إلى مصر، فأخذ عن أعلامها مثل الشيخ الصعيدي، وغيره من أعلام الأزهر، ولما رجع تصدّر للتدريس بمسقط رأسه سوسة، فأفاد وعلا صيته.

دخل الحاضرة وسكنها، وتصدّر للتدريس بجامع الزيتونة الأعظم، فبث العلم في صدور الرجال، ثم عاد إلى مسقط رأسه.

كان محبباً إلى الناس، معظماً عنه الخاصّة والعامة، وكان الشيخ أبو الفداء إسماعيل التميمي يجلّه، له مصنّفات مفيدة، منها ما بيّضه بنفسه، ومنه ما جمعه ابنه بعد وفاته^(١).

ثم كان تلميذه، نادرة الدهر في الحفظ:

* أبو الفلاح صالح بن حسين الكواش الكافي التونسي (١١٣٧هـ -

١٢١٨هـ): شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، أخذ عن أعلام تونس، واجتمع في طرابلس بالشيخ التاودي، انتفع به الكثير، وبقي أثره وشاع، وعلى يديه تخرّج ثلّة من أعلام تونس، منهم: الشيخ إبراهيم الرياحي، والشيخ حسن الهدّة السوسي، وأحمد زروق الكافي.

خرج من الحاضرة خفية فرارا من سطوة علي باشا باي، لأنّه توسّم فيه الميل لأبناء عمّه، فتوجّه إلى طرابلس، ومنها إلى أزمير، ثم إلى الآستانة، فنال بها حظوة وشهرة، ونزل بدار شيخ الإسلام، ورام الإقامة هناك، ثم كاتبه محمد باي بن حسين باي طالبا منه القدوم إلى تونس فقدمها، ونال إقبالا، ثم اتّهمه الباشا علي باي بمقال سوء في جانبه ونفاه إلى منزل تميم شهورا، ثم عفى عنه.

(١) إتحاف أهل الزمان ١٤/٧ - ١٥، فهرس الفهارس ١١٠٣/٢ - ١١٠٤، تراجم المؤلفين التونسيين ١٠٠/٥ - ١٠١، شجرة النور الزكية ص ٣٥١، صفحات من تاريخ تونس ص ١٧٤، كتاب العمر ٤٣٨/١ - ٤٣٩، الجواهر السنّية في شعراء الديار التونسيّة ص ٣٤١ - ٣٤٦.

نال سنة ١١٧٥هـ مشيخة المدرسة المستنصرية، وحين توفي رثاه جماعة منهم تلميذه أحمد زرّوق الكافي، وقال فيها: يموت العلم إن مالت صالح^(١).

* أبو محمد حسن بن عبدالكبير الشريف المعروف بالشريف التونسي (١٢٣٤هـ): مفتي تونس وإمامها بالجامع الأعظم، نشأ في بيت شرفه ناسجا على منوال سلفه، فأخذ عن أبيه بسنده لجده الأكبر.

انتفع به خلق كثير، ومن أشهر من تلقى عنه: الشيخان إبراهيم الرياحي، وابن ملوكة، وكان رحمه الله يتمتع بسياسة تعليمية عالية، وبمنهج تربوي راق، فكان يفاكه تلاميذه في الدرس خشية سآمتهم، وإذا بحث أحدهم بحثا أحسن الإصغاء إليه وأعادته على الطلبة بأوضح عبارة، تدرّيبا لطلبته على المباحثة، واستثناسا بنجابتهم.

تولّى الإمامة بالجامع الأعظم فاهتزّ المنبر به سرورا، وامتلأ نورا، وخطب من إنشائه البديع بما يزري بالبديع، وقرع بالوعظ المسامع بما أجرى المدامع.

صنّف حاشية على ميارة على لامية الزقاق، ومعين المفتي وفتاوى، وغير ذلك، وكان قد ولي الإفتاء سنة ١٢٣٠هـ بعد تمتّع، وتوفي وهو على الإفتاء بعد أربع سنوات^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن سليمان المتاعي (١٢٤٧هـ): أخذ عن الشيخ

(١) إتحاف أهل الزمان ٤٤/٧ - ٤٦، شجرة النور الزكية ص ٣٦٥، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة ص ١٢٦ - ١٢٧، تاريخ معالم التوحيد ص ٢٩٥، كتاب العمر ٥٤٦/٢ - ٥٤٨.

(٢) إتحاف أهل الزمان ٦٩/٧ - ٧٢، شجرة النور الزكية ص ٣٦٧، اليواقيت الثمينة ص ٩٤ - ٩٥ تراجم المؤلفين التونسيين ١٨٨/٣ - ١٨٩، تاريخ معالم التوحيد ص ٦٧ - ٦٨، صفحات من تاريخ تونس ص ١٦٩، كتاب العمر ٨٥٨/٢ - ٨٦٠.

صالح الكواش، وحسن الشريف وإسماعيل التميمي وإبراهيم الرياحي، وغيرهم.

رحل في طلب الفقه إلى حاضرة فاس، فأخذ عن الشيخ التاودي وغيره، وعاد إلى تونس فدرّس بالجامع الأعظم.

كان عالماً متبحراً في الفقه وأصوله، طويل الباع في غيره من الفنون، حسن المحاضرة والمناظرة، آية في الوفاء والإعانة على نواب الدهر، حتى روي أنه حين مات كانت داره مرهونة في مال نفّس به على صديق له^(١).

* أبو الفداء إسماعيل التميمي التونسي (١٢٤٨هـ): قاضي تونس ومفتيها ثم رئيس المفتين بها، تلقى عن أعلام عصره مثل الشيخ الكواش وانتفع به وأجازه، وعنه أخذ الشيخ إبراهيم الرياحي وشيخ الإسلام محمد بن أحمد بن الخوجة، والشيخ صالح الغنوشي السوسي، وغيرهم.

تولّى خطة القضاء بالحاضرة سنة ١٢٢١هـ، ثم نقل لخطة الفتوى سنة ١٢٣١هـ، ثم أعيد للقضاء في السنة نفسها، ثم امتحن سنة ١٢٣٥هـ بالعزل والنفي إلى ماطر، وسجن أتباعه، وبعد أربعة وثلاثين يوماً صدر الإذن بسراحه، فعاد إلى تونس يقرىء بداره، فاقتطف التلاميذ من رياض منظومه ومفهومه، وقابله العام والخاص بإجلال وتعظيم لم يعهد أيام ولايته، فكان كما قيل:

إنّ الأميره والذّي يضحى أميراً بعد عزله
إن زال سلطان الولاية فهو في سلطان فضله

وفي سنة ١٢٣٩هـ أعيد لخطة الإفتاء، ثم صار سنة ١٢٤٣هـ رئيس الفتوى، وتوفّي على ذلك بعد خمس سنوات، ورثاه تلميذه إبراهيم الرياحي، وغيره.

كان آخذاً مأخذ المجتهدين الأخيار في تحليل المسائل الفقهية بمدارك

(١) إتحاف أهل الزمان ١٦٥/٧ - ١٦٦، شجرة النور الزكية ص ٣٧٠.

أصولها الشرعية، ويصرّح بأنه من أهل الترجيح، ولا ينكر عليه أحد، بل إنّ الفقهاء يعتمدون ترجيحه عند تسليم الدليل، ويفزعون إليه في الفتوى ومشكلات المسائل، يستفتونه من فاس ومن قسطنطينية ومن الجزائر ومن طرابلس، فيجيب كتابة.

وكان أحياناً يعارض شيخ الفقه وكبير أهل الشورى، أبا عبدالله محمد المحجوب، واختلفا مرّة في مسألة، فقال له الشيخ المحجوب: «أنا أفتي في دين الله ستين سنة، وأعرف المسألة من حين روايتها عن مالك، وكلّ من تكلم فيها، فقال له الشيخ إسماعيل: «لا غرابة في اتّصافك بذلك، فإنّك حافظ المذهب، لكنّي أعلم اعتماد كلّ متكلم في المسألة على أيّ دليل»، صتف رسائل وفتاوى كثيرة محرّرة مفيدة^(١).

* أبو محمد حسن بن محمد بن حسن الهدّة السوسي (١٢٤٨هـ):
رئيس المفتين بسوسة، أخذ عن والده وعن الشيخ صالح الكواش، وكان قويّ العارضة، بارعا في تحقيق المناط، وكان الشيخ إسماعيل التميمي يطيل الثناء عليه.

تصدّر للتدريس بتونس فأفاد وأجاد، ثمّ رجع إلى بلده سوسة فتدرّج في الخطط العلميّة حتّى صار رئيس المفتين بها، وله رسائل شتى في مواضع فقهية^(٢).

* أبو عبدالله محمد السنوسي بن عثمان بن محمد الكافي عرف ابن مهنية (١١٧٩هـ - ١٢٥٥هـ): نشأ في طلب العلم وجدّ في تحصيله، وانتفع بأعلام عصره، ولازم الشيخ صالح الكواش.

(١) إتحاف أهل الزمان ١١/٨ - ١٤، شجرة النور الزكية ص ٣٧٠ - ٣٧١، اليواقيت الثمينة ص ٨٤ - ٨٥، تراجم المؤلفين التونسيين ١/٢٤٧ - ٢٤٨، صفحات من تاريخ تونس ٤٠٦ - ٤١٨، كتاب العمر ٢/٨٦١ - ٨٦٤.

(٢) إتحاف أهل الزمان ٧/١٦٦، شجرة النور الزكية ص ٣٧١، تراجم المؤلفين التونسيين ٥/٩٩، كتاب العمر ٢/٨٦٥ - ٨٦٦.

كان عالماً فقيهاً، واسع الاطلاع، تقدّم للتدريس والخطط العلميّة، فولّي القضاء ببزرت، ثمّ قضاء باردو ثمّ قضاء الحاضرة سنة ١٢٥٤هـ، له رجز في الأحكام الجاري بها العمل بتونس سمّاه لقط الدرر، أطول من نظم ابن عاصم^(١).

* أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالقادر الرياحي (١١٨٠هـ - ١٢٦٦هـ):
الطرابلسي التستوري المنشأ التونسي القرار، شيخ الجماعة ورئيس المفتين بتونس وإمامها وخطيبها بالجامع الأعظم.

قدم الحاضرة أواخر القرن الثاني عشر، وأخذ عن أعلام عصره كالشيخ الكواش، والشيخ حسن الشريف والشيخ إسماعيل التميمي وغيرهم، وغالبهم أجازة عامّة متّصلة السند، واجتمع بأعلام العصر بالإسكندرية ومصر وبالحرمين الشريفين.

تصدّى لبثّ العلوم وأجاد وأفاد وتخرّج عليه الكثير من الأعلام وأخذوا عنه، منهم: الشيخ محمد بن ملوكة والشيخ المناعي والشيخ ابن سلامة والشيخ الطاهر بن عاشور الجدّ والشيخ سالم بو حاجب وغيرهم كثير.

ولاه الباي حمودة باشا خطّة القضاء سنة ١٢٢١هـ فامتنع وتعلّل بأنّه لا يسوغ له أن يتقدّم على شيخيه أبي الفداء إسماعيل التميمي، وأبي العباس أحمد بوخريص (١٢٣٥هـ) وأنهما أصلح للخطّة منه، ولمّا لم ينفعه ذلك، خرج من الحاضرة هرباً من ولاية القضاء، فقدّم الباي الشيخ إسماعيل التميمي للخطّة، فرجع عندها إبراهيم الرياحي إلى ما ألفه واعتاده من التدريس والإفادة.

غير أنّه - كما يقال - ليس في كلّ مرّة تسلّم الجرّة، فقد قدّمه بعد

(١) إتحاف أهل الزمان ٤١/٨، شجرة النور الزكية ص ٣٨٦، تراجم المؤلفين التونسيين ٧٢/٣، صفحات من تاريخ تونس ص ١٧٤ وص ١٩٤، كتاب العمر ٨٦٧/٢ -

ذلك الباشا حسين باي لرئاسة أهل الشورى من المفتين بعد موت الشيخ إسماعيل التميمي، وقال له الحاضرون: «قد تعين الأمر عليك شرعا بعد وفاة الشيخ إسماعيل» فقبل الولاية.

له رسائل وأجوبة عن مسائل فقهية، ومنظومة في الصلوات التي تفسد على الإمام دون المأموم، ورسالة رفع اللجاج في نازلة ابن الحاج في شأن الحضانة، ورسائل كثيرة في مسائل متنوعة^(١).

* أبو عبدالله محمد بن صالح بن ملوكة التونسي الشهير بابن ملوكة (١٢٧٦هـ): شيخ الجماعة، أخذ عن الشيخ حسن الشريف، والشيخ إبراهيم الرياحي، وغيرهما من أعلام عصره، وعنه أخذ من لا يعدّ كثرة منهم: الشيخ سالم بو حاجب، والشيخ محمد عليش المصري.

انتفع به غالب من يشار إليه من أهل تونس، خوطب في القضاء والفتوى فامتنع، وخوطب لإمامة الجامع فتعلّل بأنه لا يغيّر زيّ لبسه إلى زيّ الأئمة، وكان يلبس الخشن ولا يعتّم بعمامة الفقهاء.

كان له قدم راسخ في علم الفرائض، ألف فيه شرحاً على الدرّة، وله غير ذلك^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن محمد الطيّب بن أحمد بن علي بن سلامة (١٢٦٦هـ): المحرّر للأحكام والنوازل، أخذ عن الشيخ إبراهيم الرياحي، والشيخ ابن ملوكة والشيخ محمد المناعي وغيرهم.

(١) إتحاف أهل الزمان ٧٣/٧ - ٨٢، شجرة النور الزكية ص ٣٨٦ - ٣٨٩، اليواقيت الثمينة ص ٦٨ - ٧١، الفكر السامي ٤/٣٥٨، فهرس الفهارس ١/٤٣٧ - ٤٣٩، تراجم المؤلفين التونسيين ٢/٣٨٧ - ٤١٠، كتاب العمر ٢/٨٦٩ - ٨٧٤، تاريخ معالم التوحيد ص ٦٩ وما بعدها.

(٢) إتحاف أهل الزمان ٨/١٠٩ - ١١١، شجرة النور الزكية ص ٣٩٠، كشف الظنون ٦/٢٩٣، تراجم المؤلفين التونسيين ٤/٣٧٦ - ٣٧٩، هدية العارفين ٢/٣٧٦، كتاب العمر ٢/٥٦٢ - ٥٦٥.

ولي قضاء الحاضرة، ثم الإفتاء، وتقدّم على المفتين لذكائه الأصيل، ووليّ الخطابة بجامع سبحان الله.

له حاشية على شرح التاودي على التحفة^(١).

* أبو عبدالله محمد الطاهرين محمد بن الشاذلي بن عبدالقادر بن محمد بن عاشور (١٢٣٠ هـ - ١٢٨٤ هـ): أخذ عن أبيه وأخيه، وعن الشيخ محمد بن ملوكة وأبي عبدالله محمد بن الخوجة وأبي إسحاق إبراهيم الرياحي وأبي عبدالله محمد بيرم الثالث وأبي عبدالله محمد معاوية، وحبس على طلب العلم شبابه، حتى نال الغايات البعيدة وتصدّر للتدريس وجرى منه بالجامع الأعظم سيل الإفادة.

كانت له همة عالية حملته على الانقطاع إلى الدواوين الفقهية، فعمّر بها أوقاته، حتى حذا في الفقه حذو أبي الفداء إسماعيل التميمي من مشاركة الأصول بالفروع، لا يذكر فقها وترجيحا إلاّ بحديث، وكان يقول: «لا يعجبني أن أقول هكذا قال الفقهاء، وما يمنعني أن أعلم الدليل مثل ما علموه؟».

ولي سنة ١٢٦٧ هـ خطة القضاء في عهد المشير أحمد باي، ثم الفتوى سنة ١٢٧٧ هـ، فصدرت منه الفتاوى التي سارت صداها في القطر التونسي، أظهر فيها من تطبيق الفقه على الأصول ما غفل عنه كثير من أهل العلوم، ثم أسندت له نقابة الأشراف والنظارة على بيت المال، في عهد المشير محمد الصادق باي.

كان يفتح لتلامذته أبواب التفكير في حصّة الدرس، ويجرّئهم على مجاراة الكاتبيين بأنظارهم، حتى أخرج لهم خبايا العلوم بطريقته المبتكرة يومئذ بجامع الزيتونة، وهي نفوذ النظر من أول الأمر لباب المسائل، والتوسّع فيها بالنظر في أصولها ونتائجها.

وعلى هذه الطريقة تخرّج أعلام النهضة العلمية التي حدثت بتونس في

(١) إتحاف أهل الزمان ٧٧/٨ - ٧٩، شجرة النور الزكية ص ٣٨٦.

أواسط القرن الثالث عشر، من أمثال: أحمد بن الخوجة، وسالم بن حاجب ومحمود بن الخوجة، ومحمد النجار، وأحمد كريم^(١).

وأما مذهب السادة الحنفية، فقد انتشر في بداية الأمر بالأعلام الذين قدموا من دار الخلافة إلى البلاد التونسية، وكان من أشهرهم:

* أحمد أفندي المشهور بمنلا أحمد الذي قدم أيام عثمان داي (١٠٠٧هـ - ١٠١٩هـ) فمكث بتونس مدة، وقد وجدها خاوية من العلم، فأخذ عنه جماعة، من أعلام القرن الحادي عشر.

كان بارعا في الفقه والأصول والتفسير والنحو والبيان والمنطق، ومن رسوخه في الفهم، أنّ بعض طلبته أراد أن يسرد عليه تركيبا من كتاب، فقال له: «إني لست بقصاص، ولكن عبّر لي من شدك بعبارة تنبئ عن مراد المؤلف».

وكان يقول: «والله ما أبو السعود بأعلم منّي» وكان أبو السعود (٩٨٢هـ) تلميذا لوالده.

توجه المنلا أحمد إلى المغرب الأقصى، فلما عاد كان يقول: «وجدت بجامع القرويين بمدينة فاس سبعة عشر كرسيًا يقرؤون التفسير، كلهم عن التفسير بمعزل إلا أنّ ملكهم يفهم الخطاب^(٢)».

* ورمضان أفندي: وهو أول خطيب بجامع يوسف داي، وأول مدرّس بمدرسه، وأول من أفتى بمذهب الإمام أبي حنيفة بتونس، وكان سبب مجيئه إلى تونس لتولّي القضاء، وحين نزل بتونس ولّوه الخطابة والتدريس والإفتاء من أجل الانتفاع بعلمه، فاستقرّ بتونس إلى أن توفي أيام يوسف داي (١٠١٩هـ - ١٠٤٧هـ) فتولّى جميع وظائفه من بعده تلميذه أحمد الشريف الحنفي^(٣).

(١) إتحاف أهل الزمان ١٦٥/٨ - ١٦٧، تونس وجامع الزيتونة ص ١٠٨ - ١١١.

(٢) ذيل بشارت أهل الإيمان ص ١٦٧ - ١٦٨، إتحاف أهل الزمان ١١/٧.

(٣) ذيل بشارت أهل الإيمان ص ١٦٩.

* عبدالله أفندي: كان عالماً محققاً، قد شهد له أبناء عصره بالعلم والفضل، وكان أحياناً يعمل بفتواه في نوازل وقتية.

كان حين يعظ الناس بجامع القصبه يصعد على كرسي، وكان يحضره داي وقته فمن دونه، وليّ التدريس بالمدرسة الشماعية، وكان شديد النكير على من يخالف الشرع.

أطرد من تونس لكلام قيل فيه، فقصد مكة واستوطن بها، فكان علماء مكة يشهدون له بالتحقيق والفضيلة بعث إليه الداي أحمد شلبي في ولايته برسائل يطلب منه العودة إلى تونس، فامتنع واستقر بمكة^(١).

* أحمد أفندي بن عبد النبي أفندي: وكان قدومه إلى تونس بوظيفة القضاء، وحين نزل تونس منع من الرجوع إلى بلاده رغبة في الانتفاع بعلمه، وكان أول إمام خمس أم بجامع يوسف داي^(٢).

ثم نشأ بهؤلاء جيل من مواليد تونس درسوا مذهب أبي حنيفة، وتميزوا بحسن التقرير فيه، وقوة القريحة وحسن النظر، وغوصهم في استخراج المسائل الحوادث من أصولها، وردّها إلى القواعد، وكان أبرزهم:

* أبو عبدالله محمد بن أحمد أفندي الشهير بالقصري (١٠٩٣هـ): وكان فقيهاً مشاركاً، تولّى القضاء بتونس أياماً، وتولّى التدريس بالمدرسة اليوسفية عوضاً عن الشيخ مصطفى بن عبدالكريم لما عزل عنها، ودرس أيضاً بالشماعية، وكان إماماً خطيباً بجامع يوسف داي، ثم وليّ إمامة جامع القصر وخطابته، وبقي كذلك إلى أن توفي^(٣).

تولّى ابنه عبد النبي وظائفه من بعده، فولى نيابة القضاء بتونس،

(١) ذيل بشائر أهل الإيمان ص ١٨٢.

(٢) ذيل بشائر أهل الإيمان ص ١٦٩.

(٣) ذيل بشائر أهل الإيمان ص ١٨٠ - ١٨١.

وكان إماماً خطيباً بجامع القصر إلى أن توفي سنة ١١١٦هـ^(١).

* أبو العباس أحمد الشريف الذي ولد بتونس، وهو من أبناء الأتراك، فتفقه أول الأمر على المالكية، وقرأ مختصر خليل، ولما قدم رمضان أفندي قرأ عليه درر الحكام في شرح غرر الأحكام لمنلا خسرو بالمدرسة اليوسفية، وحين توفي شيخه رمضان باي، تولّى الشيخ الشريف وظائفه، الفتيا والخطابة والتدريس.

كان له شغف بقراءة الدرر، وكان يجلس للإقراء من بعد صلاة الصبح إلى قرب الزوال، ولا يقدر أحد أن يمشي في المدرسة بنعله خوفاً من التشويش عليه، وعزل في آخر حياته عن الفتوى^(٢).

* محمد بن مصطفى الأزهري : أصله من طرابلس بليبيا، كان من أبناء الأتراك، دخل الديار المصرية، وأخذ عن علمائها أشهرهم إبراهيم اللقاني، ثم دخل تونس فولّي القضاء بها على مذهب أبي حنيفة، وكان يذكر في فتواه مذهب الحنفية والمالكية.

ولي الفتوى بعد عزل الشيخ أحمد الشريف^(٣).

* محمد برناز (١٠١٢هـ - ١٠٨٤هـ): درّس بالمدرسة الشماعية مرارا، وكان خطيبا بجامع القصبة إلى أن توفي، وهو أول إمام صلّى الخمس بجامع محمد باشا، وليّ القضاء بتونس، ثم تخلى عنه، وهو أول قاض حنفي استقضى من علماء تونس، وكان منزله مقصودا للعامة والخاصة.

توفي قتيلا بسبب فتنة وقعت، ونهب ما بداره من أثاث وكتب^(٤).

* أبو عبدالله محمد بن شعبان (١٠٢٠هـ - ١٠٩٧هـ): كان أبوه

(١) ذيل بشائر أهل الإيمان ص ١٨٨.

(٢) ذيل بشائر أهل الإيمان ص ١٧٠.

(٣) ذيل بشائر أهل الإيمان ص ١٧١ - ١٧٢.

(٤) ذيل بشائر أهل الإيمان ص ١٧٣ - ١٧٤.

إفرنجياً فأسلم، ولد بتونس، وتفقه بها على علمائها، وكان عمدته أحمد الشريف.

كان فقيهاً ماهراً في الفقه، عالماً بالصحيح والأصح من الأقوال المختلف فيها، حتى كان يقال له جوهرة في الفقه، قلّد إمامة جامع يوسف داي لأكثر من ثلاثين سنة، وكان أول خطيب خطب بجامع محمد باشا، وذلك سنة ١٠٦٦هـ^(١).

* مصطفى بن عبدالكريم (١٠٢٨هـ - ١١٠٦هـ): كان أبوه خطيباً بجامع القصبة، ولد مصطفى بتونس، وتفقه بها على الشيخ أحمد الشريف وغيره حتى أصبح رئيس الأحناف في زمانه، وما من فقيه بتونس إلا وأخذ عنه ممن ليس في طبقتة.

أقرأ كتاب الدرر كثيراً، وإصلاح الوقاية في فروع الحنفية، وشرحه الإيضاح كلاهما لشمس الدين أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا (٩٤٠هـ).

ولي الخطابة بجامع يوسف داي، والتدريس بالمدرسة اليوسفية، وولّي الإفتاء بعد موت الشيخ محمد بن مصطفى الأزهري، فكان لا يفتي إلا كتابة، وولّي خطابة جامع القصبة بعد وفاة الشيخ محمد برناز، ثم ولي التدريس بجامع محمد باشا، وأضيفت له إمامة الخمس به والخطابة.

كان إذا طالع كتاباً متناً أو شرحاً يسرده في درسه بلفظه، وكان إذا طالع لا يمارى ولا يبارى، وإذا سئل عن مسألة، فربّما يجيب عنها في حينها، وربّما يتراخى عن الجواب أياماً، أو أشهراً، لأنّه كان لا يجيب إلا عن تحقيق^(٢).

* أبو عبدالله محمد الشهير بابن المحجوبة (١١١٧هـ): كان أبوه رومياً فأسلم، اجتهد مع أبيه في طلب العلم، فأخذ عن الشيخ مصطفى بن

(١) ذيل بشارت أهل الإيمان ص ١٧٤ - ١٧٧.

(٢) ذيل بشارت أهل الإيمان ص ١٧٧ - ١٧٩.

عبدالكريم، وتزوج بابنته، وأخذ كذلك عن محمد بن شعبان وغيره.

كان إمام الخمس بجامع يوسف داي، وهو أول خطيب بجامع محمد باي، كان متفناً في العربية والفقه، تولى التدريس باليوسفية^(١).

* أحمد بن مصطفى بن محمد بن مصطفى برناز (١٠٧٤هـ - ١١٣٨هـ): ولد بتونس وبها نشأ، ودرس على أعلام عصره مثل: مصطفى بن عبدالكريم، ومحمد بن شعبان ومحمد ابن المحجوبة ومحمد فتاة، وغيرهم ثم رحل إلى مصر وأخذ عن عبد الباقي الزرقاني، وإبراهيم الشبرخيتي، وغيرهما.

جاور بمكة، ثم عاد إلى تونس، وتوجه إلى الجزائر وتلقى عن أعلام عنابة وقسنطينة، ثم رجع إلى تونس فتولى التدريس بالمدرسة الشماعية، ونيابة تدريس اليوسفية، ثم تدريس المدرسة العنقية، وولي الخطابة بالجامع الجديد، ثم إمامة جامع يوسف داي.

درس بجامع الزيتونة، وعدة أماكن بتونس، وكان غواصاً في استخراج المسائل المستشكلة، صاحب تدقيق وتحقيق^(٢).

* محمد المحجوب (١١٩٨هـ): كان فقيهاً حنفياً مشاركاً في عدة فنون، وأقرأ الفقه والنحو والبيان وعلم الكلام، وولي التدريس بمدرسة علي باشا الحنفية، ثم الخطابة بالجامع الباشي، ثم الفتوى^(٣).

* أبو محمد حسين بن مصطفى برناز (١١٤٠هـ - ١٢٢٨هـ): كانت له ملكة حسنة في الفقه، وولي الفتوى بالمنستير، وإمامة جامعها الحنفي وخطبته، ثم ولي خطبة جامع القصر بتونس بعد موت أبي عبدالله محمد برتقيز، ثم إمامة الجامع اليوسفي، ثم القضاء^(٤).

(١) ذيل بشائر أهل الإيمان ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٢) ذيل بشائر أهل الإيمان ص ٢٣٠ - ٢٣٤ .

(٣) إتحاف أهل الزمان ١٦/٧ .

(٤) إتحاف أهل الزمان ٨٤/٧ - ٨٥ .

* أبو الحسن علي بن يوسف الدرويش (١٢٦٢هـ): نشأ في طلب العلم بجدّ واجتهاد، ثمّ قدمه الباشا محمود باي إمامه بمسجد بيت الباشا، ثمّ تقدّم لخطة قاضي المذهب الحنفي، ثمّ انتقل لخطة الفتوى^(١).

* أبو العباس أحمد بن أبي الثناء محمود الأبّي (١١٨٠هـ) - (١٢٧٤هـ): نشأ في حجر أبيه، وأخذ عن الشيخ صالح الكواش المالكي، ومحمد بيرم الثاني الحنفي، وغيرهما من أعلام المالكية والحنفية.

ألزمه شيخه الكواش للتدريس على شبابه فامتنع، ورأى نفسه قاصرا عن رتبة الإفادة، فقال له شيخه: «أنا أعلم بحالك منك» فتصدّر بالجامع الأعظم وأفاد، وعمّر الجامع بحلق التدريس، ثمّ انتخب إماماً ومدرساً بجامع صاحب الطابع، فلم يزل في بثّ العلم إلى أن عيّنه أحمد باي مفتياً^(٢).

* أبو النخبة مصطفى بوغازلي (١٢٧٩هـ): درّس بالجامع الأعظم وغالب دروسه الفقه الحنفي، وتولّى مشيخة مدرسة باردو^(٣).

واشتهرت في هذا الدور عائلات حنفيّة تسابقت في ميادين الكمال والنجابة، من قضاء وفتوى وتدريس وكتابة، كان أشهرها:

* عائلة البارودي *

فمنهم: * أبو عبدالله حسين بن إبراهيم البارودي (١١١٢هـ) - (١١٨٦هـ): الذي تصدّر للتدريس الفتوى والخطابة بالجامع اليوسفي، وصنّف رسائل كثيرة في مسائل من الفقه الحنفي^(٤).

وابنه: * المفتي أبو عبدالله محمد بن حسين البارودي (١٢١٦هـ):

(١) إتحاف أهل الزمان ٦٢/٨.

(٢) إتحاف أهل الزمان ١٠٤/٨ - ١٠٥.

(٣) إتحاف أهل الزمان ١٣١/٨.

(٤) إتحاف أهل الزمان ٣١/٧ (في ثنايا ترجمة بيرم الأول)، تراجم المؤلفين التونسيين ٩٥/١، كتاب العمر ٩٢٤/٢ - ٩٢٧.

المدّرس بالشّماعية نيابة عن والده في حياته، واستقلالاً بها بعد وفاته، وتولّى رئاسة الإفتاء الحنفي سنة ١٢١٤هـ، بعد وفاة الشيخ بيرم الأوّل، وكان أوّل من لقّب بالبّاش مفتي^(١).

وحفيده المفتي: * مصطفى بن محمد البارودي (١٢١٩هـ) الذي وليّ جميع وظائف أبيه، بعد أن وليّ في حياته خطبة الجامع الباشي^(٢).

والمفتي: * أبو العباس أحمد بن حسين البارودي (١٢٢٩هـ): خطب في صغره بباردو نيابة عن والده ثمّ تدرّس الدرس الحنفي بمدرسة الأمير أبي الحسن عليّ باي، ثمّ الفتوى وخطبة باردو، وسبب تأخّر ولايته الفتوى عنه امتناعه منها أوّلاً^(٣).

* أبو عبدالله محمد بن أبي النخبة مصطفى بن محمد بن الحاج حسين البارودي (١٢٦٦هـ): أخذ عن أعلام عصره كالشيخ إبراهيم الرياحي ومحمد بيرم الثالث، وغيرهما.

كان فقيهاً، وولّي إمامة جامع الطراز الذي بممرّ دريبة الداوي^(٤).

* أبو عبدالله حسين البارودي الثاني (١٢٦٦هـ): حصل في الفقه الحنفي ملكة، وتقدّم لخطبة الفتوى، فباشرها بدين، وانقياد للحقّ، فقد حكى ابن أبي الضياف أنّه حضر يوماً بالمجلس الشرعي بباردو، وقد حكم الشيخ البارودي بين خصمين، وراجع بعض الفقهاء، ويبيّن مستنده، ووجه غلطه، فأشهد الشيخ البارودي المجلس الشرعي أنّه رجّع^(٥).

* أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدالله الحاج حسين البارودي (١٢٧٣هـ): أخذ عن أبيه وعمّه، وحصلت له مشاركة في الفقه، لا سيّما

(١) إتحاف أهل الزمان ٤٠/٧، صفحات من تاريخ تونس ص ٢١٣، كتاب العمر ٩٣٠/٢

- ٩٣١، العلماء التونسيون لأرنولد هـ قرين ص ٣٤١.

(٢) إتحاف أهل الزمان ٤٧/٧، العلماء التونسيون ص ٣٤٢.

(٣) إتحاف أهل الزمان ٨٦/٧ - ٨٩.

(٤) إتحاف أهل الزمان ٧٣/٨ - ٧٤.

(٥) إتحاف أهل الزمان ٧٩/٨.

في العبادات، وتقدّم إماماً بمسجد بيت الباشا، وخطيباً بالجامع الحسيني المعروف بالجامع الجديد وتوابعه^(١).

* عائلة ابن الخوجة * : ومنهم:

* أبو العباس أحمد ويدعى حميدة بن الخوجة (١٢٤١هـ) : مؤسس لبيت ابن الخوجة العلمي، تضلّع في العلوم، وتصدّر للتدريس، وتدرّج في الولايات العلميّة، فكان إماماً مدرّساً خطيباً بجامع محمد باي المرادي وتقدّم لخطة القضاء بالمذهب الحنفي، حين صار الشيخ برناز مفتياً، ثمّ انتقل بعد ذلك للفتوى^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن حميدة بن الخوجة (١٢٧٩هـ) : نشأ بين يدي أبيه، فأخذ عنه، وعن محمد بيرم الثاني وبيرم الثالث وغيرهم.

تصدّر للتدريس، وولّي خطة قضاء المذهب الحنفي سنة ١٢٥١هـ، فبرع في تطبيق الأحكام على النوازل ثمّ انتقل إلى خطة الفتوى سنة ١٢٥٩هـ، وتقدّم للقضاء أكبر بنيه، وفي سنة ١٢٧٨هـ أسند إليه منصب شيخ الإسلام.

صنّف المحررات الفقهيّة، وتعليقات على كتاب الدرر، وحاشية على شرح المكودي للخلاصة^(٣).

* عائلة بيرم * :

وهي من أشهر الأسر العلميّة الحنفيّة بالديار التونسية، وكان أول هذا البيت رجل من الجند قدم متطوّعاً مع سنان باشا وزير السلطان العثماني

(١) إتحاف أهل الزمان ١٠١/٨.

(٢) إتحاف أهل الزمان ١٤٢/٧ - ١٤٣، تاريخ معالم التوحيد ص ١٩١، ٢٨٧، ٣٤١، كتاب العمر ٩٣٣/٢.

(٣) إتحاف أهل الزمان ١٢٧/٨ - ١٢٩، فهرس الفهارس ٣٨٢/١ - ٣٨٣، تونس وجامع الزيتونة ص ١١٩ - ١٢١، تراجم المؤلفين التونسيين ٢٥٧/٢ - ٢٥٨، كتاب العمر ٩٤٢/٢ - ٩٤٣.

سليم الثاني الذي حرّر البلاد التونسية من يد الإسبان سنة ٩٨١هـ^(١).

وكانت بداية تداول هذا البيت للوظائف العلمية مع:

* الشيخ أبي عبدالله محمد بن حسين بيرم الأول (١١٣٠هـ - ١٢١٤هـ): الذي تحوّلت إليه الفتوى والخطابة بالجامع اليوسفي بعد أن كانت في بيت درغوث من سنة ١٠٧٥هـ إلى سنة ١١٦٩هـ^(٢).

أخذ بيرم الأول الفقه الحنفي عن أبي محمد حسن البارودي، وهو عن شيخه عبدالكبير الصوفي، وهو عن شيخه أبي الحسن علي الصوفي وهو عن شيخه أبي النخبة مصطفى بن عبدالكريم، وهو عن صدر الحنفية وباتّ المذهب الحنفي بالديار التونسية أبي العباس أحمد الشريف الأندلسي.

وعنه أخذ جماعة من أعيان المذهبين، توفي بعد أن استكمل من العمر أربعاً وثمانين، وأقام في الفتوى خمساً وأربعين. من مصنفاته: بغية السائل في اختصار أنفع الوسائل، والرسالة البيروية في السياسة الشرعية^(٣).

* أبو عبدالله محمد بن محمد بن حسين بيرم الثاني (١١٦٢هـ - ١٢٤٧هـ): خطيب جامع يوسف داي نيابة عن والده، ثم ولي القضاء في مناسبتين الأولى سنة ١١٩٢هـ ثم سنة ١١٩٤هـ، وقلّد الفتوى سنة ١٢١٥هـ.

كان من قضاة العدل، متثبتاً متحرّياً، قال لابنه لما تقدّم للفتوى: «تثبت وارجع إلى الحقّ، ولا يغرّنك ثناء الناس عليك، وأنت تعلم رسالة ابن الخطّاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، التي منها: الرجوع إلى الحقّ خير من التمادي على الباطل، وهذا خير الدين الرملي صاحب «الفتاوى الخيرية» أفتى في نازلة وغلط، فكتب إلى مظنة بلوغها من

(١) تونس وجامع الزيتونة ص ١٠١.

(٢) إتحاف أهل الزمان ٣١٧ - ٣٣.

(٣) إتحاف أهل الزمان ٣٢٧ - ٣٥، تراجم المؤلفين التونسيين ١٧٤/١ - ١٧٦، كتاب

العمر ٩٢٨/٢ - ٩٢٩.

النواحي بغلظه، ودان الله بما رآه من الحق، ولا يغرتك من يمسح ظهري بيده ويمسح بها وجهه تبركا، لو أتى ذلك المتبرك إليّ في نازلة، وحكمت عليه بصميم الشرع، مزق جلدي بلسانه، فاحذر يا بنيّ من الاستبداد بفهمك، وشاور فيه، وأنت تعلم ما في المشورة من الخير».

له مصنّفات عديدة ورسائل وفتاوى ومنظومات فقهية كثيرة، منها: منظومة في المفتين الحنفيين بتونس سماها اللآل في حكم رؤية الهلال في ٤٠٩ بيت، وشرحها ورسالة في بيع الوفاء، ورسالة في صحّة رجوع الموصي عن وصيته بعد أن اشترط عدم الرجوع، جرى فيها على أصول مذهبه حيث لم يجدها منصوطة في فروعه، ونحا فيها منحى المجتهدين من أهل الترجيح، وأيد مذهبه بما يطابقه من المذهب المالكي، وقرضها له أعيان علماء العصر، وتلقوها بالقبول، وغير ذلك^(١).

* أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد بيرم الثالث (١٢٠١هـ - ١٢٥٩هـ): حصل العلوم وتصدّر للتدريس نائبا عن أبيه في المدرسة الباشية، وفي الجامع الأعظم، وبالمدرسة العنقية، وتقدّم للخطبة بجامع يوسف صاحب الطابع في شبابه، ثم وليّ الفتيا، وقام مقام والده في رئاسة المجلس الشرعي بعد وفاته.

له ولوع بالتدريس، حتى أنّه كان يقول: «إنّي في حال التدريس أخطب قوما يفهمون مقاصدي، وأستفيد من أذكيائهم في البحث ما لا أستفيده من الخصوم».

أفتى على مذهب أبي حنيفة بالقطر الإفريقي ثلاثين سنة^(٢).

* محمد بيرم الرابع (١٢٢٠هـ - ١٢٧٨هـ): نشأ بين يدي أبيه،

(١) إتحاف أهل الزمان ١٥٨/٧ - ١٦٢، تونس وجامع الزيتونة ص ١٠٢ - ١٠٣، تراجم المؤلفين ١٧٧/١ - ١٨١، كتاب العمر ٩٣٤/٢ - ٩٣٩.

(٢) إتحاف أهل الزمان ٥٤/٨ - ٥٥، فهرس الفهارس ٢٤١/١ - ٢٤٢، تراجم المؤلفين التونسيين ١٨٢/١ - ١٨٣، كتاب العمر ٩٤٠/٢ - ٩٤١.

واستأثر به جدّه، وأخذ عنهما الفقه الحنفي وأصوله، كما أخذ عن أعلام المالكية إبراهيم الرياحي ومحمد ملوكة وغيرهما.

درّس بالجامع الأعظم والمدرسة العنقية والباشية، وتقدّم لخطة الفتوى عند وفاة جدّه، مرؤوساً بأبيه وعارض أباه في مجالس الحكم بما أوتي من حدة الفهم.

وتقدّم للخطة بجامع صاحب الطابع، ثمّ انتقل لخطة الجامع اليوسفي، كان له في الفقه باع وتبحّر وإطلاع وفي غيره من العلوم أوفر نصيب.

له رسالة في الشفعة، وغير ذلك^(١).

* أبو العباس حميدة بن محمد بن حميدة بن محمد بن حسين بيرم (١٢٨٠هـ): أقبل على طلب العلم كغالب آله وسلفه، فأخذ عن عمّ أبيه المفتي أبي النخبة مصطفى بن محمد بن حسين بيرم، وعلى عمّه بيرم الرابع، وغيرهما.

كان فقيهاً ذكياً، اختير لمجلس الشورى، غير أنّ الأمراض قد عاقته عن غالب الأغراض^(٢).

* أبو النخبة مصطفى بن محمد بن حسين بيرم (١٢٨٦هـ): توفي والده سنة ١٢١٤هـ وتركه صغيراً، فكفله أخوه محمد بيرم الثاني، وأخذ عن ابن أخيه محمد بيرم الثالث، كما أخذ عن شيوخ المالكية حسن الشريف وإبراهيم الرياحي وإسماعيل التميمي.

قدّمه أحمد باي لخطة القضاء بالمذهب الحنفي سنة ١٢٦٢هـ، وكانت يومئذ هي قطب دائرة الخطط الشرعية، ثمّ انتقل لخطة الفتوى سنة ١٢٧٧هـ، وكان على طول مقامه في خطة القضاء، لم يتكلم فيه عاقل ولا

(١) إتحاف أهل الزمان ١٢٤/٨ - ١٢٦، فهرس الفهارس ٢٤٢/١ - ٢٤٣.

(٢) إتحاف أهل الزمان ١٣٥/٨ - ١٣٦.

جاهل من الخاصة والعامة بما يחדش وجه الخطّة.

وكانت هذه خصوصيّة في آل هذا البيت البيروني^(١).

* عائلة برتقيز *

فمنهم: * يوسف بن محمد بن سليمان بن عبدالله الملقّب ببرتقيز (١٠٩٢هـ - ١١٤٨هـ): ولد بزغوان وبها نشأ ثمّ انتقل إلى باجة وطلب بها العلم، ورحل إلى مصر واستكمل دراسته على علماء الأزهر، ثمّ حجّ وجاور بالحرمين الشريفين، وكان قد صرف أيامه كلّها خلال رحلته في طلب العلم وتحصيله.

اصطفاه الباي حسين بن علي لإمامته، وقدمه للخطط العلميّة كالفتوى والخطبة، له من التآليف شرح القدوري في الفقه الحنفي، سمّاه المنن على مختصر القدوري أبي الحسن، ويعتبر هذا الشرح أولى ثمار المجهودات التي بذلها الأتراك لنشر المذهب الحنفي بالبلاد التونسيّة^(٢).

وخلف في أولاده من بعده أعلام يعدّون من النجباء، منهم:

* أبو عبدالله محمد بن حمودة بن يوسف برتقيز (١٢٢٤هـ): وكان قد نشأ في بيت مجد، فقرأ العلم واستفاد، وكان فقيهاً خيراً، معدوداً من الأعيان، قتله علي باشا بن محمد خنقا لما كان يعلم من مكانته عند عمّه^(٣).

وابنه: * أبو محمد حسن بن محمد برتقيز (١٢٥٠هـ): أصله من

(١) إتحاف أهل الزمان ١٧٤/٨ - ١٧٦.

(٢) إتحاف أهل الزمان ٥٨/٧، ذيل بشائر أهل الإيمان ص ٢٥٧ - ٢٥٩، تراجع المؤلفين التونسيين ١١٠/١ - ١١٢، الحلل السنديّة ٥٢٢/٢ - ٥٢٣، كتاب العمر ٩٢١/٢ - ٩٢٣.

(٣) إتحاف أهل الزمان ٥٨/٧.

بيت علم وفقه، وحصل الملكة في الفقه والتوثيق، وتصدر للشهادة، وله في فنونها باع^(١).

وأما المغرب الأقصى الذي كان تحت سيادة المرينيين في بداية هذا الدور، فرغم الاضطرابات التي عرفها والتي كاد خلالها النشاط العلمي أن يتوقف، فقد استطاع هذا القطر أن يسترجع بسرعة سمعته العلمية المكيئة، فكانت مدارسه قبله العلماء، ومساجده تندفق علماء وفقها، ومكتباته تزخر بالتصانيف، وبيوت أسرته العلمية في نشاط متواصل، تأليفاً وتدریسا.

وقد عمّ هذا النشاط العلمي أغلب مدن المغرب الأقصى، واستغرق جميع جهاته التي كانت تفتخر بأسماء فقهاء وألقاب أعلامه.

وكان من أشهرهم في هذا الدور:

* أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالحق الزرويلي المعروف بالصغير (٧١٩هـ): الشهير عند أهل إفريقيا بالمغربي، كان قيماً على تهذيب البراذعي في اختصار المدونة، حفظاً وتفقيهاً، يشارك في شيء من أصول الفقه يطرز بذلك مجالسه، مغرماً به بين أقرانه من المدرسين في ذلك الوقت لخمولهم من تلك الطريقة قيّدت عنه تقاييد على التهذيب، وعلى رسالة ابن أبي زيد، قيدها عنه تلاميذه.

كان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته، ترد عليه الأسئلة من جميع بلاد المغرب، فيحسن التوقيع على ذلك على طريقة من الاختصار، وترك فضول القول.

وسمه ابن مرزوق بقوله: شيخ الإسلام، الذي ما عاصره مثله، بل وما تقدّمه فيما قارب من الأمصار، جمع بين العلم والعمل، وبمقامه في التفقه والتحصيل يضرب المثل.

(١) إتحاف أهل الزمان ١٨/٨ - ١٩.

ولي قضاء فاس فجرى في العدل على صراط مستقيم^(١).

* أبو زيد عبدالرحمن بن عفان الجزولي الفاسي داراً وقراراً (٧٤١هـ): حافظ المذهب وحثه، شيخ الرسالة والمدونة، كان علامة في المذهب، أعلم أهل زمانه بمذهب مالك، وكان يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيه، معظمهم يستظهر المدونة، وكان للناس احتفال بمجلسه للأخذ عنه، قيدوا عنه تقايد ثلاثة على الرسالة، إلا أن أهل المذهب حذروا من النقل عنها لعدم تحريره لها بيده، وقالوا: إنها تهدي ولا تعتمد. عمّر طويلاً وما قطع التدريس على ضعفه^(٢).

وفي أواسط القرن الثامن برز بفاس، عالم تلمسان، وعلم فخرها:

* قاضي القضاة أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ (حدود ٧١٠هـ - ٧٥٩هـ): - جد المقرئ المتأخر - قاضي الجماعة بفاس، وأحد مجتهدي المذهب ومحققه الثقات، وكبير علماء المغرب.

أخذ عن كثير من شيوخ أهل تلمسان والوافدين عليها من الفقهاء والأدباء والحكماء، وأكّب على النظر والدرس حتى أصبح المشار إليه بالعدوة الغربية اجتهادا وحفظا وعناية واضطلاعا ونقلًا ونزاهة.

رحل إلى تونس ولقي أعلامها مثل ابن عبدالسلام وابن هارون، وحضر دروسهم بجوامع تونس ومدارسها، ورحل إلى فاس وسبته وغيرهما من بلاد المغرب حتى قال عن نفسه: «استوعبت بلاد المغرب ولقيت بكل بلد من لا بدّ من لقائه من علمائه وصلحائه».

ورحل إلى المشرق فلقي أعلاما بمصر والشام والحجاز، وكان أهمّ

(١) الديباج المذهب ص ٣٠٥ - ٣٠٦، لقط الفرائد ص ١٧٦، شجرة النور الزكية ص ٢١٥، الفكر السامي ٢٧٨/٤ - ٢٧٩.

(٢) نيل الابتهاج ٢٦٥/١ - ٢٦٦، وفيات ابن القنفذ ص ٨٠، وذكره في وفيات سنة ٧٤٥، لقط الفرائد ص ١٩٣، شجرة النور الزكية ص ٢١٨ - ٢١٩، الفكر السامي ٢٨٢/٤.

من لقي ابن قيم الجوزية، لقيه بدمشق واتصل في شخصه عن كتب بحركة ابن تيمية.

وعنه أخذ أعلام عصره كالإمام الشاطبي ولسان الدين بن خطيب وابن خلدون وابن زمرك وابن جزري.

انتقل من تلمسان إلى فاس سنة ٧٤٩هـ، فعين قاضي الجماعة بها مدة سبع سنين، ثم صرف سنة ٧٥٦هـ عن القضاء، وخرج إلى الأندلس في السنة الموالية، ثم عاد إلى فاس، فكان أن عمّت فائدة علومه ذينك القطرين، وتمّ فيها تخرّج الذين رفعوا من بعده لواء خلدته في العالمين مثل أبي إسحاق الشاطبي، وأبي عبدالله ابن جزري خريجا فقهه في مدة إقامته بالأندلس، ومثل ابن خلدون بفاس، الذي امتزج به امتزاجا قويًا حتى كان يصفه مرة بقوله: شيخنا، وأخرى بقوله: صاحبنا^(١).

بلغ المقرئ درجة الاجتهاد في المذهب المالكي، فقد ذكر ابن مرزوق أنّ المقرئ كان ممن وصل إلى درجة الاجتهاد المذهبي، ودرجة التخيير والتزييف بين الأقوال.

وضع تأليف عظيمة أعلاها قيمة كتابه الفقهي، المسمّى بالقواعد، وهو كتاب فريد لخص فيه قواعد الإمام القرافي، وطرزها بذكر خلاف أبي حنيفة وصاحبيه، وراعى فيها مشهور المذهب المالكي، وقد ذكر الونشريسي في المعيار بعض فتاويه.

واستوفى ابن مرزوق ترجمته في كتاب سمّاه: النور البدرى في التعريف بالفقيه المقرئ^(٢).

(١) أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص ٨٣ - ٨٤.

(٢) نفع الطيب ٢٠٣/٥ و ٢٥٤/٥ - ٣١٠، توشيح الديباج ص ٢٤٧ - ٢٤٨، نيل الابتهاج ٧٥/٢ - ٨٤، وفيات الونشريسي ص ١٢٢، شذرات الذهب ٣٨٥/٦ - ٣٨٧، وذكره في وفيات سنة ٧٦١هـ، شجرة النور الزكية ص ٢٣٢، فهرس الفهارس ٦٨٢/٢ - ٦٨٣.

* أحمد بن قاسم القَبَاب (٧٧٨هـ): مفتي فاس، كان فقيهاً نبيلاً، جيّد النظر، شديد الفهم، من أكابر علماء المذهب حفظاً وتحقيقاً وتقدماً وجمالة.

له مباحثات مشهورة وقعت له مع تلميذه الإمام الشاطبي في مسألة مراعاة الخلاف في المذهب، أحسن فيها غاية الإحسان، وله فتاوى مشهورة نقل بعضها البرزلي في ديوانه، والونشريسي في معياره، وهو أول من نقل الونشريسي عنه في المعيار.

وفي رحلته إلى الحجّ اجتمع في تونس بابن عرفة، فأوقفه ابن عرفة على ما كتب من مختصره الفقهي، وكان قد شرع في تأليفه، فقال له القَبَاب: ما صنعت شيئاً، لأنّ تأليفك - المختصر الفقهي - لا ينتفع به المبتدي لصعوبته، ولا يحتاج إليه المنتهي، فتغيّر وجه ابن عرفة، ثمّ ألقى على القَبَاب مسائل، فأجابه عنها في الحين، ويقال إنّ كلام القَبَاب هو الذي حمل ابن عرفة على بسط العبارة في أواخر مختصره.

شرح مسائل ابن جماعة في البيوع شرحاً مفيداً، وشرح قواعد الإسلام للقاضي عياض شرحاً في غاية الإتقان، واختصر أحكام النظر لابن القطان، أسقط فيه الدلائل والاحتجاج، وناظر الإمام سعيد العقباني في مسائل جمعها العقباني، وسمّاها: لباب اللباب في مناظرة القَبَاب، وفي تاريخ وفاته خلاف^(١).

وفي بداية القرن التاسع شهد القطر المغربي هجمات خارجيّة كتلك التي عرفتها سبتة سنة ٨١٧هـ حيث عمد البرتغاليون إلى تخريب البلاد ونهب الأموال والذخائر والكتب العلميّة وتركوا المدينة قاعاً خراباً^(٢).

(١) الديباج المذهب ص ١٠٥، توشيح الديباج ص ٥٥، نيل الابتهاج ١٠٠/١ - ١٠٢،
وفيات ابن القنفذ ص ٨٥، شجرة النور الزكية ص ٢٣٥، الدرر الكامنة ٢٣٦/١،
الحلل السندسية ٦٥٥/٣ - ٩٥٧.

(٢) انظر: شذرات الذهب ٢٥٤/٧، لقط الفرائد ص ٢٤٠.

ولكن رغم ما مني به هذا القطر من مصائب وانشقاقات وفتن، فقد استطاع أن يسترجع نشاطه بسرعة، بفضل ما كان بين أقطار المغرب الخمسة - الأندلس والمغرب الأقصى وتونس والجزائر وليبيا - من تواصل علمي مطرد، من خلال الاشتراك في المشائخ، وتبادل الاستفادات، وتناقل التصانيف والروايات، وبفضل من عاد من أبناء هذا القطر إلى مسقط رأسه بعد أن كان قد فرّ وهاجر، وبفضل من وفد عليه من علماء الأقطار المجاورة، فارتفع لواء العلم بهذا القطر بهؤلاء الأبناء وبأولئك الوافدين عليه، وكان من أشهرهم:

* أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الشهير بزروق (٨٤٦هـ - ٨٩٩هـ): والبرنسي نسبة إلى قبيلة بربرية قرب فاس، أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب، منهم: حلولو، والرصاع.

له تاليف محرّرة تدلّ على مكانته وقدره في العلوم، منها: شرح مختصر خليل، وشرحان على الرسالة، وكان يميل إلى الاختصار مع التحرير، ولا يخلو شيء منها عن فوائد غزيرة، وتحقيقات مفيدة^(١).

* أبو الحسن علي بن قاسم بن محمد التجيبي الفاسي الشهير بالزقاق (٩١٢هـ): كان عارفاً بالفقه متقناً لمختصر الشيخ خليل، كثير الاعتناء به والتقييد والبحث عن مشكلاته، مع مشاركته في علوم أخرى.

صنّف لامية معروفة بلامية الزقاق، مشهورة في الأحكام الفقهية في مسائل جرى بها عمل أهل فاس ممّا يكثُر حدوثها ويحتاج القضاة لمعرفة، ومنظومة في القواعد، وتقييد على المختصر لخليل^(٢).

* أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني ثم

(١) توشيح الديباج ص ٦٠ - ٦١، نيل الابتهاج ١٣٨/١ - ١٤٢، شجرة النور الزكية ص ٢٦٧ - ٢٦٨، الضوء اللامع ٢٢٢/١، فهرس الفهارس ٤٥٥/١ - ٤٥٦.

(٢) نيل الابتهاج ٣٨٦/١ - ٣٨٧، وفيات الونشريسي ص ١٥٦، لفظ الفرائد ص ٢٨٠، شجرة النور الزكية ص ٢٧٤، الفكر السامي ٣١٢/٤ - ٣١٣.

الفاسي (٩١٤هـ): مفتي فاس، وحامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة.

تفقه بتلمسان على شيوخ بلده، كأبي الفضل العقباني، وغيره، ووليّ التدريس بها، ثم حصلت له حادثة من جهة السلطان سنة ٨٧٤هـ، فانتهبت داره وفرّ إلى فاس فاستوطنها إلى أن مات.

واظب على تدريس الفقه، وخاصة المدوّنة، وفروع ابن الحاجب، وكان فصيح اللسان والقلم، حتى كان بعض من يحضر درسه يقول: لو حضر سبويه لأخذ النحو من فيه، وبه تخرّج جماعة من الفقهاء ولازموه.

صنّف المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، جمع فأوعى، وحصل فوعى، أتى فيه على كثير من فتاوى المتقدمين والمتأخرين، فأما فتاوى إفريقية وتلمسان فاعتمد فيها على نوازل البرزلي والمازوني، وأما فتاوى الأندلس وفاس فإتّما تيسّرت له من خزانة شيخه القاضي محمد ابن قاضي البلد الجديد الغرديس التغلبي، وله كذلك تعليق على ابن الحاجب الفرعي، وشرح على وثائق القشتالي سمّاه غنية المعاصر والتالي على وثائق القشتالي، وكتاب القواعد في الفقه سمّاه إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، والفائق في أحكام الوثائق لم يكمل، وتألّف في الفروق في مسائل الفقه، وغيرها^(١).

* أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي الفاسي (٨٤١هـ - ٩١٩هـ) : الشهير بابن غازي، شيخ الجماعة بفاس، وخاتمة علمائهم وآخر محقّقيهم.

ولد بمكناسة الزيتون وأخذ العلم بها وبفاس، أنفق عمره في طلب العلم وإقراءه والعكوف على تقييده ونشره، ووليّ خطابة مكناسة ثم فاس

(١) توشيح الديباج ص ٦٥، نيل الابتهاج ١/١٤٤ - ١٤٥، شجرة النور الزكية ص ٢٧٤ - ٢٧٥ فهرس الفهارس ٢/١١٢٢ - ١١٢٣، درة الحجال ص ٩٢ - ٩٣، لقط الفرائد ص ٢٨١، الحلل السندسية ٣/٦٥١.

الجديدة، ثم الخطابة والإمامة بجامع القرويين، ولم يكن في عصره أخطب منه.

تخرّج عليه عامّة طلبة فاس وغيرها، ورحل الناس للأخذ عنه وتنافسوا فيه، ولم يزل باذل النصيحة للمسلمين محرّضاً لهم في خطبه ومجالس إقراءه على الجهاد، وحضر فيه بنفسه مواقف عديدة، وشارك في إنقاذ بلده من الاحتلال البرتغالي، فربط مرّات كثيرة، وخرج في آخر عمره لقصر كتامة للحراسة فمرض، ورجع لفاس فاستمرّ به إلى أن توفي.

صنّف في القراءات والحديث والفقه والعربية والفرائض والحساب والعروض وغيرها، تأليف نبيلة، منها في الفقه: تكميل التقييد وتحليل التعقيد من شروح المدوّنة، كملّ به تقييد أبي الحسن الزرويلي، وحلّ مشكل كلام ابن عرفة في مختصره، والجامع المستوفي بجداول الحوفي في الموارد وشفاء الغليل في حلّ مقفل مختصر خليل، تداول شرقاً وغرباً، بيّن فيه هفوات وقعت لبهرام، ومواقع مشكّلة من المختصر أجادها وكليات ابن غازي^(١).

وفي العصر العثماني برز:

* أبو العباس أحمد بن علي المنجور الفاسي (٩٢٦هـ - ٩٩٥هـ):
كان آية من آيات الله في المعقول والمنقول وأحفظ أهل زمانه، له عناية عظيمة بالمطالعة والإقراء لا يملّ ولا يضجر، ومع ذلك فقد كان أروع الناس في النقل، لا تكاد تفارق لسانه كلمة «لا أدري» أو «حتّى أنظر»، أو كلاماً يقرب من هذا.

من مصنفاته: شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، لأبي الحسن عليّ الزقاق، والمختصر المذهب من شرح المنهج المنتخب،

(١) توشيح الديباج ص ١٧٦ - ١٧٨، نيل الابتهاج ٢/٢٧١ - ٢٧٣، لقط الفرائد ص

٢٨٤ شجرة النور الزكية ص ٢٧٦، كشف الظنون ٦/١٨٠، الفكر السامي ٤/٣١٤،

فهرس الفهارس ١/٢٨٨ - ٢٩١ و٢/٨٩٠ - ٨٩١.

وشرح المختصر من ملقط الدرر، وغير ذلك^(١).

* أبو مالك عبدالواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري (٩٩٠هـ - ١٠٤٠هـ): الأندلسي الأصل الفاسي المولد والمنشأ والقرار، عالم محقق ومشارك، وفقه أصولي متكلم.

كان خاتمة العلماء العاملين، أخذ عن أعلام عصره، وعنه الشيخ ميارة وغيره، وكان يغزو في سبيل الله.

صنّف تصانيف مفيدة، منها: نظمه المسمّى «المرشد المعين على الضروري من علم الدين»، رزق فيه القبول، وكان يحفظه أبناء المغرب، وله طرر على مختصر خليل، وشرحاً عليه، التزم نقل لفظ ابن الحاجب والتوضيح، ابتدأه من باب النكاح إلى باب السلم، وله حاشية على التتائي، وغير ذلك^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد الفاسي المعروف بميارة (٩٩٩هـ - ١٠٧٢هـ): كان متبحراً في العلوم، أخذ عن ابن عاشر وشاركه في غالب شيوخه، صنّف الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام لابن عاصم، والدرّ الثمين في شرح منظومة المرشد المعين، وشرح لامية الزقاق، وشرح مختصر خليل قصد به اختصار شرح الحطاب، وتأليف محررة سهلة فصيحة مقبولة^(٣).

* أبو محمد عبدالقادر بن علي بن يوسف الفاسي (١٠٠٧هـ - ١٠٩١هـ): عالم فاس وإمامها ومسندها، بيته شهير بالعلم والفضل، استمرّ العلم به أزيد من ثلاثمائة سنة.

(١) درة الحجال ص ١٥٦ - ١٦٣، نيل الابتهاج ١٥٥/١ - ١٥٨، شجرة النور الزكية ص ٢٨٧، لقط الفرائد ص ٣٢١، فهرس الفهارس ٥٦٦/٢ - ٥٦٧.

(٢) شجرة النور الزكية ص ٢٩٩ - ٣٠٠، اليواقيت الثمينة ص ١٧٠ - ١٧١، الفكر السامي ٣٢٧/٤، كشف الظنون ٥١١/٥.

(٣) شجرة النور الزكية ص ٣٠٩، كشف الظنون ٢٢٨/٦، الفكر السامي ٣٣١/٤ - ٣٣٢.

أخذ عن أبيه وأخيه أحمد وعمّ أبيه العراف الفاسي، وهو عمدته وبه تخرّج، وعنه أخذ من لا يعدّ كثرة، منهم الشيخ اليوسي.

انتهت إليه رئاسة العلم في هذه الديار، فلا قاض ولا مفت ولا راو إلا وهو ينسب إليه، ومع غزارة علمه لم يتصدّر لتأليف خاص، وإنما ترك أجوبة عن مسائل سئل عنها، جمعها بعض أصحابه.

ترجم له ابنه عبدالرحمن - الآتي ذكره - ترجمة واسعة أفردتها في مجلّد حافل سمّاه: تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبدالقادر^(١).

* أبو زيد عبدالرحمن بن عبدالقادر الفاسي (١٠٤٠هـ - ١٠٩٦هـ):
أخذ عن أهل بيته، وعن القاضي ابن سودة وميآرة الكبير، وغيرهما، وأجازته جماعة من أهل المشرق والمغرب.

كان لا يشقّ له غبار في ملكة الحفظ والاعتدال، حتّى كان والده يقول: إنّه سيوطي زمانه.

له تأليف منها: نظم العمل الفاسي، وشرح بعضه والباهر في اختصار الأشباه والنظائر، وألف مؤلفات كثيرة في العلوم العقلية والنقلية، وتأليفه تزيد على المائة والسبعين^(٢).

* أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي (١١٠٢هـ): نسبة إلى: آيت يوسي، قرية بربرية قرب فاس، شيخ مشايخ المغرب على الإطلاق، كان إماماً فقيهاً أصولياً، وأديباً شاعراً لغوياً، نظّاراً مشاركاً ماهراً في الفنون انتهت إليه الرئاسة الكبرى في العلم في زمنه، وكانت له شهرة واسعة غرباً وشرقاً في عصره.

له فتاوى فقهية كثيرة، وتأليف عديدة تعكس اتّساع فكره وسعة اطلاعه،

(١) اليواقيت الشمينة ص ١٥٤ - ١٥٦، شجرة النور الزكية ص ٣١٤ - ٣١٥، فهرس الفهارس ٧٦٣/٢ - ٧٧١.

(٢) اليواقيت الشمينة ص ١٤٥، شجرة النور الزكية ص ٣١٥ - ٣١٦، فهرس الفهارس ٧٣٥/٢ - ٧٣٦.

وقد اعتبر مجدداً على رأس المائة الحادية عشرة^(١)، ومن تلاميذ الشيخ اليوسي:

* أبو عبدالله محمد بن القاسم بن زاكور الفاسي (١١٢٠هـ): عمدة أهل التحقيق والرسوم^(٢).

* أبو علي الحسن بن رحال المعداني (١١٤٠هـ): خاتمة العلماء المحققين أخذ عن القاضي ابن سودة، والشيخ اليوسي، وعنه تلقى العلم الشيخ التادلي.

تفرّد في وقته بالرجوع إليه في مسائل الفقه، واستحضر نصوصه، وحفظ فروعه، وكثرة مطالعته واعتناؤه.

له شرح حافل على مختصر خليل ابتداءً من النكاح كاد أن يحتوي على جميع نصوص المذهب، وله حاشية على شرح ميارة على التحفة، واختصار شرح الأجهوري على مختصر خليل.

وفي تاريخ وفاته خلاف^(٣).

* أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام البناني الأصل الفاسي المولد والدار (١١٦٣هـ): مفتي فاس ومدّرس القرويين، أخذ عن الشيخ ميارة الصغير والشيخ اليوسي وابن زاكور وغيرهم.

رحل إلى المشرق وأخذ عن أعلام، منهم: الشيخ الخرشي وعبدالباقي الزرقاني، وعنه تلقى العلم من لا يعدّ كثرة، منهم: الشيخ التاودي ومحمد البناني والشيخ الصعيدي وغيرهم.

(١) اليواقيت الثمينة ص ١٠٠ - ١٠١، شجرة النورص ٣٢٨ - ٣٢٩، فهرس الفهارس ١١٥٤/٢ - ١١٦١ الفكر السامي ٣٣٧/٤ - ٣٣٨.

(٢) شجرة النور الزكية ص ٣٣٠ - ٣٣١، كشف الظنون ٢٤٣/٦، فهرس الفهارس ١٨٥/١ - ١٨٦.

(٣) شجرة النور الزكية ص ٣٣٤، اليواقيت الثمينة ص ١٠٢ - ١٠٣، الفكر السامي ٣٢٧/٤.

من مصنفاته: الأجوبة البنانية عن الأسئلة المصرية، وشرح لامية الزقاق في الأحكام، وحاشية على مختصر خليل سماها: الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني، وتكميل شرح حدود ابن عرفة^(١).

* شهاب الدين أحمد بن الحسن بن محمد المعروف بالورشان الملقب بالمكودي (١١٦٩هـ): نشأ بفاس وبها قرأ، ثم حجّ ونزل تونس، واعتمده أهلها وإليه مرجع أسانيدهم.

تصدّر للتدريس بتونس، وولّي بها الفتيا، وبها توفي، من تلاميذه الشيخ بيرم الثاني الذي حلّاه بقوله: حافظ المغرب في عصره، الشيخ الإمام مفتي الأنام^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن الحسن بن الطالب بن سودة المعروف بالبناني (١١٢٨هـ - ١١٩٤هـ): وقيل ولد ١١٣٣هـ، الفاسي أصلاً وداراً، خطيب الضريح الإدريسي بها وإمامه، كان فقيهاً محققاً مشاركاً، من تصانيفه: الأجوبة البنانية عن أسئلة قدّمت له من علماء مصر في فنون مختلفة، والحاشية البديعة على شرح الزرقاني، وحاشية على شرح ابن جزي، وحلى المعاصم لبنتا فكر ابن عاصم في القضاء والأحكام، وطالع الأمانى على شرح مختصر الشيخ خليل للزرقاني، والفجر المنير في فقه المالكية، وغيرها^(٣).

* أبو عبدالله محمد التاودي بن محمد الطالب بن سودة المري (١١١١هـ - ١٢٠٩هـ): الأندلسي أصلاً، الفاسي داراً ومنشأً، شيخ الإسلام الذي انتهت إليه رئاسة العلم في المغرب إقراء وإفتاء.

(١) شجرة النور الزكية ص ٣٥٣، كشف الظنون ٢٥٦/٦، فهرس الفهارس ٢٢٤/١ - ٢٢٧.

(٢) فهرس الفهارس ٥٥٨/٢ - ٥٥٩، شجرة النور الزكية ص ٣٤٦.

(٣) كشف الظنون ٢٦٧/٦ - ٢٦٨، الفكر السامي ٣٤٧/٤، فهرس الفهارس ٢٢٧/١ - ٢٢٨.

قال الرهوني: ولا أعلم الآن - أي في عصره - مَن ينتمي إلى العلم بالمغرب، إلا وله عليه مئة التعليم، إما بواسطة، أو بغير واسطة، أو بهما معا.

حجّ سنة ١١٨١هـ ومعه ولداه محمد وأبو بكر، وأقرأ الموطأ بالأزهر، وحضرة غالب الموجودين من العلماء، وأجاد في تقريره وأفاد. له حاشية على شرح الزرقاني على المختصر، سماها طالع الأماني، وشرح على تحفة الحكام لخصه من شرح ميارة وغيره، وله شرح على لامية الزقاق، وشرح الجامع للشيخ خليل ومناسك الحجّ، وفتاوى كثيرة جمعها ولده أحمد، وغير ذلك^(١).

* أبو عبدالله محمد بن أحمد الرهوني (١١٥٩هـ - ١٢٣٠هـ): شيخ الجماعة وخاتمة المحققين والعلماء العاملين، حامل لواء المذهب، الذي دارت عليه الفتوى بالمغرب.

أخذ عن الشيخ التاودي، ومحمد البناني وغيرهما، له تأليف مفيدة رزق فيها القبول، منها: حاشية على شرح ميارة الكبير على المرشد المعين، لم يكمل، وحاشية على شرح الزرقاني على المختصر، لخص فيها ما زادته حاشية التاودي على بناني، دلت على طول باع وسعة اطلاع، وتمكّن في علم الفقه^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن محمد بن إبراهيم الدوكالي (١١٦٢هـ - ١٢٤١هـ): قاضي فاس ومفتيها، الذي إليه المرجع في الأحكام والنوازل.

كان بيته بفاس بيت علم وصلاح، أخذ عن والده وعن الشيخ التاودي، وعنه أخذ الشيخ التسولي ولازمه، وانتفع به، له فتاوى مشهورة جمعها تلميذه التسولي^(٣).

(١) شجرة النور الزكية ص ٣٧٢ - ٣٧٣، الفكر السامي ٣٥٠/٤، فهرس الفهارس ٢٥٦/١ - ٢٦٢.

(٢) شجرة النور الزكية ص ٣٧٨، الفكر السامي ٣٥٢/٤ - ٣٥٣.

(٣) شجرة النور الزكية ص ٣٨١.

* أبو الحسن علي بن عبدالسلام التسولي المدعو مديدش (١٢٥٨هـ): الفقيه النوازلي الحامل لواء المذهب، له تأليف شهادة بطول الباع وسعة الاطلاع، منها: البهجة في شرح التحفة - تحفة الحكام -، وحاشية على شرح الشيخ التاودي على لامية الزقاق، وجمع كتاباً في الفتاوى ضمنه فتاويه وفتاوى شيخه الدوكالي^(١).

وأما القطر الجزائري الذي كان تحت سيادة بني عبدالواد الزيانيين في بداية هذا الدور، فإنه لم ينعم بالاستقرار إلا في فترات قليلة من حكمهم، نتيجة حروبهم المتكررة مع الحفصيين المتحكّمين بتونس من ناحية، ومع المرينيين المتحكّمين بالمغرب الأقصى من ناحية أخرى، وبالرغم من مساوئ الاضطرابات السياسيّة، فإن سير الحركة العلميّة بالجزائر لم تعرف تراجعاً، ولا انقطاعاً، بفضل الصلات العلميّة الوثيقة مع سائر المراكز الفقهية الأخرى، ناهيك أنها شاركت القطر التونسي في ابن زيتون الذي ولّي قضاء تونس وقضاء بجاية، وشاركت المغرب الأقصى في الإمام المقرّي - الجدّ -، والونشريسي التلمساني الذي استوطن فاس، وأصبح مفتياً وحامل لواء المذهب بها، ومحمد بن عمر بن فتوح التلمساني الذي كان أوّل من أدخل مختصر خليل إلى مدينة فاس سنة ٨٠٥هـ وانتفع به أهلها^(٢)، وابن الإمام التلمساني الذي كان أوّل من أدخل إلى المغرب كتاب الشامل لبهرام وشرحه للمختصر وحواشي التفتازاني على العضد وابن هلال على مختصر ابن الحاجب الفقهي^(٣)، وشاركت القطر الليبي في أبي عبدالله محمد بن علي الخروبي الذي أخذ عن شيوخ عصره بطرابلس، ثم ارتحل إلى الجزائر وأقام بها.

وغير هؤلاء كثير، فضلاً عمّا اختصّت بهم الجزائر من أبنائها من أهل تلمسان وزواوة ومازونة وسجلماسة وبجاية وغيرها من المدن الجزائرية،

(١) شجرة النور الزكية ص ٣٩٧، كشف الظنون ٦١٨/٥.

(٢) شجرة النور الزكية ص ٢٥١.

(٣) نيل الابتهاج ١٩٩/٢، شجرة النور الزكية ص ٢٥٤.

حتى أن أبا الحسن القلصادي الذي زار تلمسان في القرن التاسع قد أعجب بكثرة علمائها وارتقاء همهم في طلب العلم بجِدِّ واجتهاد، فقال: «تلمسان فيها كثير من العلماء وسوق العلم فيها نافقة وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة والهمم إلى تحصيله مشرفة وإلى الجِدِّ والاجتهاد فيه مرتقية»^(١).

ومن أشهر أعلام القطر الجزائري في هذا الدور:

* أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبدالحق الزواوي المشدالي (٦٣١هـ - ٧٣١هـ): المجتهد، جمع بين معرفة الفقه وأصوله، وأحكم حظًا وافرًا في علوم كثيرة، وتكلم في أنواعها، وناظر في جميعها.

رحل صغيرًا مع أبيه إلى المشرق وأقام في رحلته نحوًا من عشرين سنة، ولقي الأفاضل كالعزّ ابن عبدالسلام الشافعي ولازمه كثيرًا، وروى عن ابن الحاجب المالكي، وأطلع على مذاهب الأئمة وخصوصًا مذهب مالك، وانفرد بمعرفته والقيام بتقريبه ونصرته، مع التحرير والتقرير والترجيح.

كان أوّل من أدخل المختصر الفقهي لشيخه ابن الحاجب إلى بجاية^(٢)، والتزم هذا المختصر ونشره بين أصحابه ورغبهم فيه فعمّ سائر الأقطار المغربيّة، وعكف الفقهاء بالمغرب عليه وهجروا لأجله المدوّنة والأمّهات الأولى، وصارت فتاوى أهل بجاية معتمدة متبّعة، ذات أثر واضح في التطوّر الفقهي، وأصبحت طريقتهم التدريسيّة في الفقه مأخوذًا بها في عامّة مراكز الدراسة الفقهيّة في البلاد المغربيّة^(٣).

* أبو عبدالله محمد بن أحمد العلوي الشريفي الحسني المعروف بالشريف التلمساني (٧١٠هـ - ٧٧١هـ): كان من أعلام العلماء، حتى كان ابن لبّ يعترف بفضله ويراجعه في المسائل.

(١) رحلة القلصادي ص ٩٤ - ٩٥.

(٢) نيل الابتهاج ٣٠٦/٢ - ٣٠٨، شجرة النور الزكية ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٣) ومضات فكر ٣٤٨/٢.

اجتمع بابن عبدالسلام التونسي بمجلس درسه، ووقعت بينهما مذكرات علمية، فاعترف بفضلها، وأخذ كل عن صاحبه.

أخذ عن ابني الإمام وبهما تفقه، وعن ابن زيتون وغيرهم، وعنه الإمام الشاطبي وابن زمرك وابن خلدون وابن مرزوق الحفيد وغيرهم^(١).

* أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني الشهير بالخطيب (٧١٠هـ - ٧٨١هـ): بيته بيت علم ودراية، ودين وولاية، كعمّه وأبيه، وجدّه وجدّ أبيه، وولديه محمد وأحمد، وحفيده المعروف بابن مرزوق الحفيد، وولد حفيده المعروف بالكفيف، وحفيده حفيده المعروف بالخطيب.

أخذ عن نحو ألفي شيخ من أهل المشرق والمغرب، جمعهم في برنامج، منهم: ابن راشد وابن جابر الوادي أشي، وابن عبدالرفيع وابن عبدالسلام وابن هارون، وعنه أخذ من لا يعدّ كثرة، منهم: أبو إسحاق الشاطبي، وابن الخطيب، وكان ملازماً للتدريس إلى أن توفي.

له تصانيف بديعة مفيدة في علوم شتى، منها شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي^(٢).

* عبدالله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني (٧٤٨هـ - ٧٩٢هـ): إمام وقته بلا مدافع، ومن أكابر علماء تلمسان ومحققهم، اشتغل بكثير من العلوم مع طلبة أبيه، فظهرت نجابته، وجلس مجلس أبيه بعد موته، وجرى على مذهبه نظراً ونقلًا وتحقيقاً، واعترف له أهل عصره بتقدمه، حتى كان

(١) نفع الطيب ١٨٩/٥ - ١٩٨، شجرة النور الزكية ص ٢٣٤.

(٢) نفع الطيب ٣٩٠/٥ - ٣٩٦ و ٤١٢ - ٤١٨، الديباج المذهب ص ٣٩٦ - ٣٩٩، نيل الابتهاج ١١١/٢ - ١١٧، الدرر الكامنة ٣/٣٦٠ - ٣٦٢، الحلل السندينية ٤/١٠٦٧ - ١٠٦٨، شجرة النور الزكية ص ٢٣٦ شذرات الذهب ٧/١٠، النجوم الزاهرة ١٩٦/١١.

القاضي عليّ أبو الحسن المغربي يقول: انتفعت به في أصول الفقه أكثر من أبيه لحسن تقرّيبه وبسطه.

كان حافظاً للمسائل بصيراً بالفتاوى والأحكام والنوازل، متنبّئاً في الفتوى، متحرّياً فيها، نحوياً لغوياً، مشاركاً في جميع العلوم.

جلس بالجامع الأعظم بفاس فأقرأ الفقه، وكان يكثر في إقرائه النقل من حفظه ويحقّق المسائل تحقيقاً بالغاً، يقطع نهاره كلّ في التدريس بلا فتور، حتى لم يكن بالمغرب أكثر اجتهاداً منه في الإقراء.

رحل إليه الطلبة من الآفاق، وكان يحضره طلبة فاس وشأنهم حفظ المسائل والنقل على عادتهم خلاف عادة التلمسانيين، فيحضره جميعاً، فيوفي لكلّ طريقه.

وكان الفقيه أبو العباس أحمد بن موسى البجائي - ممّن رحل إليه وأخذ عنه علماً جمّاً - يقول: لا يوجد اليوم من يرحل إليه في هذا البلد مثل شيخنا أبي محمد في غزارة العلم وسهولة الإلقاء وخفض الجناح.

ونقل عنه الونشريسي في المعيار فتاوى كثيرة^(١).

ومن النظار المجتهدين ممّن تتلمذ عليه، وعلى ابن عرفة:

* أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني (٧٦٦هـ - ٨٤٢هـ): المشهور بابن مرزوق الحفيد، والملقب بشيخ الإسلام، الفقيه المجتهد، المفتي المعروف، وبيته بيت علم ودراية ودين وولاية.

أخذ عن جدّه ابن مرزوق بالإجازة، وأخذ عن أعلام عصره من أهل المشرق والمغرب، أشهرهم: أبو محمد الشريف التلمساني، وابن عرفة، وسراج الدين البلقيني، وسراج الدين ابن الملقن.

كان آية الله في الفهم والذكاء، وتحقيق العلوم، والاطّلاع المفرط

(١) نيل الابتهاج ١/٢٤١ - ٢٤٤.

على النقول، والقيام الأكمل على سائر الفنون، وقوة الاجتهاد، حتى أجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية.

جرح في الفقه إلى منهج النظر في الفروع بقواعد الأصول، فنبغ في ذلك على يدي أستاذه بتلمسان أبي عبدالله الشريف التلمساني، ثم رحل إلى تونس فقصده زعيم تلك الطريقة، الإمام ابن عرفة، فتخرج عليه، وأخذ طريقته في التفقه وتمسك بها، حتى اشتهر أمره بتونس، وعلا بها ذكره، فقصده بالطلب والمراسلة والأسئلة ثم رجع إلى تلمسان واستقر بها، وأقرأ الفقه على المذاهب الأربعة، كل مذهب بالمعتمد من كتبه، فكان يدرّس في الفقه المالكي كتب: التهذيب للبرادعي والتفريع لابن الجلاب، والتلقين للقاضي عبدالوهاب، والبيان والتحصيل لابن رشد الجدّ، ومختصر خليل، وفي كتب الشافعية يعتمد على التنبية للشيرازي، والوجيز للغزالي، ومن كتب الحنفية مختصر القدوري، ومن كتب الحنابلة مختصر الخرقفي، وكان يتبحر في دراسة فقه الحديث والمذهب المالكي.

تأكدت سمعة ابن مرزوق الذائعة بالكتب القيمة التي صدرت عنه والرسائل المحرّرة والفتاوى المدقّقة التي حفلت بها كتب الفتاوى والنوازل، وقد ذكر منها المازوني في نوازله، والونشريسي في معياره، جملة وافرة.

وشاع وصف ابن مرزوق بالاجتهاد لأنه جرى في مجال الاختيار وتدقيق الأنظار مع أئمة الفقه المتقدمين به المتأخرين^(١).

من مصنفاته: اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة، تضمّن أجوبة على مسائل في الفقه والتفسير وأنواع من العلوم، وردت عليه من عالم قفصة، أبي يحيى ابن عقيبة، فأجابه عنها، وله المعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ سراج، تضمّن أجوبة عن أسئلة كتب بها إليه قاضي الجماعة بغرناطة أبو القاسم ابن سراج الغرناطي وله مختصر الحاوي في الفتاوى لابن عبدالنور التونسي، وغيرها من المؤلفات، وله كذلك ممّا لم يكمل:

(١) أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص ٩٨ - ٩٩.

شرح الجامع الصحيح للبخاري، سمّاه «المتجر الربيع والسعي الرجيح والرحب الفسيح بشرح الجامع الصحيح» وهو شرح متقن مليء بتخریجات الفقه على المنازع الأصولية العالية، واستخدام عامة مسائل العلوم، وله شرح على مختصر خليل الفقهي، سمّاه المنزح النبيل في شرح مختصر خليل، وهو كتاب في غاية الإتقان والتحرير تقريراً ونقلاً، وشرح التهذيب وسمّاه: روضة الأديب ومنتهى أمل اللبيب في شرح التهذيب، وفي تاريخ وفاته خلاف، فقبل سنة ٨٤٢هـ، وقبل سنة ٨٤٤هـ^(١).

* أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن عرف بابن زاغو التلمساني (٧٨٢هـ - ٨٤٥هـ): شيخ أبي الحسن القلصادي، وقد ذكره في رحلته وأثنى عليه كثيراً، صنّف تأليف مفيدة، منها: منتهى التوضيح في الفرائض، وشرح مختصر خليل من الأفضية إلى آخره، وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي، وله فتاوى كثيرة في أنواع العلوم، نقل الونشريسي في المعيار الكثير منها، وكذا في المازونية، وله غير ذلك من المصنّفات^(٢).

* أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني التلمساني (٧٦٨هـ - ٨٥٤هـ): شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، أحد الشيوخ المحققين، والجهابذة النقاد، المعتمّر، ملحق بالأحفاد بالأجداد.

انفرد بفتي المعقول والمنقول، وحصل من العلوم ما بلغه درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان، كانت له اختيارات خارجة عن المذهب، نازعه

(١) نفع الطيب ٤٢٠/٥ - ٤٣٣، توشیح الدیباج ص ١٧١ - ١٧٣، نیل الابتهاج ١٧١/٢ - ١٨٤، شجرة النور ص ٢٥٢ - ٢٥٣، الضوء اللامع ٥٠/٧ - ٥١، رحلة القلصادي ص ٩٦ - ٩٨، فهرس الفهارس ٥٢٣/١ - ٥٢٥، لقط الفرائد ص ٢٤٨، وفيات الونشريسي ص ١٤١، وذكره في وفيات سنة ٨٤٠هـ، دائرة مقدیش ٦٠٢/١، أعلام الفكر الإسلامي في تاریخ المغرب العربي ص ٩٧ - ٩٩، ومضات فكر ٤٣٩/٢ - ٤٤٦.

(٢) درة الحجال ص ٦٣، لقط الفرائد ص ٢٥٠ شجرة النور الزكية ص ٢٥٤، رحلة القلصادي ص ١٠٢ - ١٠٦، نيل الابتهاج ١٢٢/١ - ١٢٤.

في كثير منها معاصره ابن مرزوق الحفيد.

عكف على تعليم العلوم، وعلى تدريس فنون شتى، وصنّف تعليقا على مختصر ابن حاجب الفرعي، وبيته بيت علم ودراية، منهم: والده وولديه أحمد وإبراهيم، وحفيده القاضي محمد بن أحمد^(١).

* أبو زكرياء يحيى بن موسى المقيلي المازوني (٨٨٣هـ): قاضيها، الحافظ لمسائل المذهب، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد، وقاسم العقباني، وغيرهما.

نجب وبرع، وصنّف النوازل المشهورة المفيدة في فتاوى المتأخرين من علماء تونس وبجاية وتلمسان والجزائر وغيرهم، ومنه استمدّ الونشريسي مع نوازل البرزلي فيما يظهر، وأضاف إليهما ما تيسّر من فتاوى أهل فاس والأندلس.

وكانت وفاته بتلمسان^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن علي الخروبي (٩٦٣هـ): كان عالماً فقيهاً، محدّثاً، مفسّراً، ولد بطرابلس، وبيته بيت علم، أخذ عن شيوخ عصره بطرابلس، وعن الشيخ أحمد زرّوق، ثم ارتحل إلى الجزائر وأقام بها وكان سفيرا بين ملوك المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، بقصد إصلاح ذات البين.

كان محققاً واسع العلم المعرفة، صاحب مصنفات عديدة، وعنه أخذ كثير من أهل المغرب الأقصى والجزائر^(٣).

وحين هاجم الإسبان الجزائر، ودخلوا مدينة تلمسان سنة ٩٤٩هـ

(١) توشيح الديباج ص ١٦٩ - ١٧٠، نيل الابتهاج ١٢/٢ - ١٤، شجرة النور ص ٢٥٥، الضوء اللامع ١٨١/٦، رحلة القلصادي ص ١٠٦ - ١٠٧، وفيات الونشريسي ص ١٤٤، لقط الفرائد ص ٢٥٣.

(٢) نيل الابتهاج ٣٤٠/٢، شجرة النور الزكية ص ٢٦٥.

(٣) أعلام ليبيا ص ٢٨٦ - ٢٨٧، شجرة النور الزكية ص ٢٨٤.

بتواطؤ من أمراء الزيانيين^(١) أصيبت الحركة العلمية بالقطر الجزائري بنكسة، واعتري الروح العلمية ذبول.

ثم استأنفت نشاطها منذ الأيام الأولى لقدم العثمانيين، وأصبحت حياتها العلمية صورة من حياة الولايات العثمانية في الغرب الإسلامي بصفة عامة، وبرز من أعلامها:

* أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني المولد (١٠٤١هـ): نزيل فاس ثم القاهرة، كان آية الله الباهرة في الحفظ والذكاء، متفناً في العلوم.

تولّى الخطابة والإمامة بجامع القرويين سنة ١٠٢٢هـ، ورحل إلى الشرق سنة ١٠٢٧هـ وتردّد على دمشق ومصر، وحجّ خمس حجج، ونال خلال ذلك من الحظوة فوق ما يذكر، وطار صيته.

وكان يحضر دروسه بدمشق غالب أعيان العلماء، وكانت جلسة الدرس من طلوع الشمس إلى قرب الظهر.

صنّف مؤلفات تدلّ على سعة علمه، منها في الفقه: حاشية على مختصر خليل، سماها: قطف المهتصر من أفنان المختصر، وكانت وفاته بمصر^(٢).

* أبو الحسن علي بن عبدالواحد بن محمد بن سراج الأنصاري السجلماسي ثم الجزائري (١٠٥٧هـ): أخذ عن أئمة من أهل فاس، ودخل مصر سنة ١٠٤٣هـ وأخذ عن أعلامها.

صنّف التقييد الجليل على مختصر خليل، لم يكمل، والأشباه والنظائر في فقه عالم المدينة، وكفاية الطالب النبيل في حلّ ألفاظ مختصر خليل، ومنظومات عديدة في أنواع من العلوم^(٣).

(١) لقط الفرائد ص ٢٩٧.

(٢) فهرس الفهارس ٥٧٤/٢ - ٥٧٦، شجرة النور الزكية ص ٣٠٠ - ٣٠١.

(٣) شجرة النور الزكية ص ٣٠٨، كشف الظنون ٦٠٤/٥.

* علي بن عبدالقادر بن عبدالرحمن بن الأمين (١٢٣٦هـ): وبه عرف، العلوي النسب، الأندلسي الأصل، الجزائري الدار، مفتي المالكية بها ومسندها ومجدد رونق العلم بها^(١).

* محمد أبو راس بن أحمد المعسكري الجزائري (١٢٣٩هـ): حافظ القطر الجزائري ورحالته، رحل إلى فاس وتونس ومصر والشام والحجاز، ولقي أعلام تلك البلاد وذاكرهم وناظرهم وساجلهم.

كان حافظاً متقناً لجميع العلوم، عارفاً بالمذاهب الأربعة، لا يسأل عن نازلة إلاّ أجاب عنها بداهة كأنها حاضرة بين شفتيه، وكان محققاً لمذهب مالك غاية في ذلك، لا سيّما مختصر خليل، فله فيه الملكة التامة، كان يلقيه على طلبته في أربعين يوماً، والخلاصة في عشرة أيام، حتى وصفه بعض أهل عصره بشيخ الإسلام.

له مؤلفات تزيد على الخمسين في الفقه، وغيره من العلوم، منها: حاشية الخرشبي، وحاشية المكودي، والحاوي الجامع بين التوحيد والتصوّف والفتاوى^(٢).

* أبو عبدالله محمد سعيد بن عبدالرحمن الزواوي (١٢٤٦هـ): صاحب زاوية أقبو من بلاد زاووة، وهي زاوية من أكبر زوايا القطر الجزائري، انتشر منها العلم لا سيّما الفقه المالكي، حتى قال بعضهم: «هي أمّ الزوايا العلميّة في القرون الثلاثة الأخيرة، ومنها انتشر الفقه والنحو والفلك والحساب في بلاد زاووة، وما والاها إلى قسنطينة شرقاً، وإلى الأغواط جنوباً، وإلى المدية غرباً، والمدرسون فيها هم آل محمد سعيد الزواوي، وبهم اشتهر ذكرها^(٣)».

وإذا انتقلنا إلى القطر الليبي وجدنا أنّ حركة الفقه فيه كانت حركة

(١) فهرس الفهارس ٧٨٤/٢ - ٧٨٥.

(٢) فهرس الفهارس ١٥٠/١ - ١٥٢.

(٣) فهرس الفهارس ١٠٠١/٢.

دؤوبة، شملت أعظم مدنه، وعمّت طرابلس وزليطن والزاوية ومصراتة، وغيرها من البلاد، وبرز بها فقهاء مهرة، قد بعد العهد بوجود أمثالهم، أصبحوا في العلم رحلة لطلابيه، ونجعة لمرتاده، وكان من أشهرهم:

* أبو فارس عبدالعزيز بن عبدالعظيم بن عبدالسلام الطرابلسي (٦٣٩هـ - ق ٨هـ): كان متضلّعاً في العلم ذاكراً للمذهب لا يجاريه فيه أحد، ولا تكاد مسألة من مسائله تشرّد عنه، له اعتناء بحفظ كلام القرويين في المذهب من تعليل وتفسير أو تفريق وتخريج، واعتماده في الأصول الدينية والفقهية على كلام أبي المعالي الجويني، وكلام أبي حامد الغزالي.

كان على قيد الحياة سنة ٧٠٧هـ، وسمه التجاني بقوله: «القائم برسم العلم في هذه البلدة - أي طرابلس - في وقتنا هذا، شيخنا الإمام الحافظ، نال من المعارف ما انتهى، وحاز فيما حاز من العلوم الأصولية والفرعية الغاية والمنتهى»^(١).

* أبو موسى بن عمران الهواري الطرابلسي (٧٦٠هـ): كان عالماً فقيهاً، تولّى القضاء بطرابلس نيافاً وثلاثين سنة، وقد حمدت سيرته فيه كما حمدت أخلاقه، فأرسل إليه السلطان الحفصي إبراهيم المنتصر وولاه قضاء تونس، فأقام أقلّ من ستين، ثمّ توفي^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن أحمد الزليطني (٨٠٨هـ): رحل إلى تونس لطلب العلم، ولازم ابن عرفة حتى مات كان عالماً ورعاً، حريصاً على نفع الناس، ولّى الخطابة والإمامة بجامع الزيتونة الأعظم^(٣).

ومن أقرانه:

* أبو زيد عبدالرحمن الغرياني الطرابلسي محشي المدوّنة، الذي

(١) رحلة التجاني ص ٢١٨ - ٢١٩، أعلام ليبيا ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) أعلام ليبيا ص ٢٨.

(٣) أعلام ليبيا ص ٢٦٤.

رحل إلى تونس وتلقّى عن ابن عرفة، ومدحه الشيخ حلولو بأنّه كان عارفاً بالفقه^(١).

* أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الشهير بزروق (٨٤٦هـ - ٨٩٩هـ): الفاسي الأصل الطرابلسي المصراتي المولد والنشأة والوفاة، واشتهر بالبرنسي نسبة إلى قبيلة البرانس البربرية المشهورة بالمغرب، وقد سرى إليه هذا اللقب من أجداده، أمّا هو فمن مواليد مصراتة بطرابلس.

أخذ عن أئمّة من أهل المشرق والمغرب، منهم: حلولو، والرّصاع، وعنه من لا يعدّ كثرة.

له تأليف محرّرة معروفة، من يقف عليها يعرف قدره في العلوم، منها: شرح مختصر خليل، وشرحان على الرسالة، وكان يميل إلى الاختصار مع التحرير، ولا يخلو شيء منها عن فوائد غزيرة، وتحقيقات مفيدة.

وهو معدود من آخر أئمّة الصوفية المحققين الجامعين لعلمي الحقيقة والشرية^(٢).

* أبو حفص عمر بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز السعيدى المخزومي (٩٠٦هـ - ٩٩٩هـ): من علماء طرابلس ورجالاتها، رحل إلى تونس لطلب العلم، وأخذ عن مشائخها، ثمّ رحل إلى الأزهر، وقرأ على شمس الدين اللقاني، وأخيه ناصر الدين، وعبدالرحمن الأجهوري، وغيرهم من أعلام مصر.

ولمّا رجع إلى طرابلس، درّس بها، فكان نافذ الرأي، ثمّ انتقل إلى

(١) أعلام ليبيا ص ١٦٧.

(٢) توشيح الديباج ص ٦٠ - ٦١، نيل الابتهاج ١/١٣٨ - ١٤٢، شجرة النور الزكية ص ٢٦٧ - ٢٦٨، الضوء اللامع ١/٢٢٢، درّة الحجال ص ٩٠ - ٩١، أعلام ليبيا ص ٦٥ - ٦٧.

الصابرية من قرى مدينة الزاوية، حيث توفي بها^(١).

* محمد بن شعبان الطرابلسي (ق ١١هـ) : كان عالماً فاضلاً، ذهب إلى القسطنطينية سنة ١٠١٦هـ، وحصلت له مناظرة مع علمائها ظهر فيها فضل علمه ومكانته، فلما تهيأ للعودة إلى وطنه، كافأه شيخ الإسلام صنع الله أفندي بن جعفر، فأسند إليه قضاء طرابلس وأضاف إليه وظيفتي الإفتاء والتدريس^(٢).

* محمد بن أحمد بن مساهل (١٠٧٧هـ) : تفقه بطرابلس على مشائخ عصره، وكان حريصاً على لقاء الوفود للأخذ عن أهل العلم منهم، ولم تكن له رحلة لطلب العلم.

تولّى الإفتاء في طرابلس سنة ١٠٣٧هـ، وبقي على الإفتاء نحو أربعين سنة، ثم أعفي، فلأزم بيته والمسجد لإقراء العلم ونفع المسلمين^(٣).

* محمد بن محمد المكني (ق ١١هـ) : كان فقيهاً فظناً، يتميز بذكاء عقل، وزيادة نبل، مهر في فنون عديدة وكان بيته بيت علم من لدن أسلافه.

ولي الفتوى، فحمدت سيرته، وسدّد في فتواه، وولّي التدريس والإمامة والخطابة بالجامع الكبير، وكانت له خزانة كتب بيته ليس لها مثل عند أحد من أهل بلده.

وكان على قيد الحياة سنة ١٠٧٢هـ^(٤).

* أبو عثمان سعيد الشريف الطرابلسي (١١١٢هـ) : شيخ القطر، أخذ عن أعلام تونس كالشيخ أحمد الشريف ومحمد فتاة، علي الأندلسي ومحمد الغماد وعبدالقادر الجبالي وغيرهم.

(١) أعلام ليبيا ص ٢٢٧ .

(٢) أعلام ليبيا ص ٢٧٦ .

(٣) أعلام ليبيا ص ٢٦٣ .

(٤) أعلام ليبيا ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

انتهت إليه الرئاسة في المعقول والمنقول، وكان ممتازاً في الفقه والنحو والحديث، وقوله مقدّم على قول غيره، فرحل إليه الناس من الجهات، وأخذوا عنه منهم: الشيخ محمد زيتونة، والشيخ الخضراوي^(١).

* أبو عبدالله محمد بن خليل غلبون (ق ١٢هـ): ولد بمصراته إحدى مدن طرابلس، نشأ محباً للعلم مشاركاً فيه، رحل إلى مصر لطلب العلم بالأزهر، ثم رجع إلى بلده سنة ١١٣٣هـ.

له قدم راسخة في الأمر بالمعروف، والجهر بالحقّ وله وقفات مشرفة في إنكار المنكر بماله وجاهه، فكان ينكر على أرباب الطرق الصوفية ما أحدثوه من أعمال مخالفة للشريعة، وكانت له مناظرة في شأن الطرق مع الشيخ محمد النعاس التاجوري، فظهر عليه وألزمه الحجّة، فالتجأ النعاس إلى التعصّب بدعوى أنّ هذه الطريقة هي طريقة مشائخه لا يسعه تركها.

كان يعلم في مصراته الفقه والتفسير والحديث، وغيرها من العلوم^(٢).

* أحمد بن عبدالمحسن بن فتح الله بن عبدالله بن موسى بن أحمد بن عبدالمحسن (١١٤٧هـ): من علماء زليطن، ولي الفتيا سنة ١١٤٢هـ، وكان عالماً من العلماء الأخيار ومدرساً فاضلاً^(٣).

وكانت أسرة آل عبدالمحسن من الأسر المشهورة بالعلم في زليطن، توارثه أبناؤها خلفاً عن سلف، ومنذ أن عرفت زليطن لم ينقطع منها العلم^(٤).

* أبو عبدالله محمد بن عبدالحفيظ النعاس التاجوري الطرابلسي (١١٧٩هـ): ولد بتاجورة - قرية شرقي مدينة طرابلس - حضر مجالس العلم، وأخذ عن أعلام عصره.

(١) أعلام ليبيا ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) أعلام ليبيا ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٣) أعلام ليبيا ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٤) أعلام ليبيا ص ٤١ - ٤٢.

كان على جانب كبير في العلوم الشرعية كالفقه والحديث، وكان يجلس للدرس بالمدرسة التاجورية، وانتفع به خلق كثير^(١).

* محمد بن محمد الفطيسي (حدود ١٢١٠هـ): من علماء زليطن كان فقيهاً عالماً ولد ببلدة زليطن في أوائل المائة الثانية بعد الألف، وبيت آل الفطيسي بيت علم من قديم، وهم من الأسر الأندلسية التي هاجرت من الأندلس حين غزاها الإسبان في القرن السابع، ولهم ذكر في علماء الأندلس.

تلقى العلوم عن أهل بيته، ثم رحل إلى مدرسة تاجورة، وأخذ عن علماء بيت النعاس، وشارك في جميع العلوم، ثم رجع إلى زليطن، وتولى التدريس في زاوية آل الفطيسي بزليطن.

له تأليف مفيدة، منها: منظومته الفقهية التي جمع فيها ما ذكره خليل في مختصره وزاد عليه فوائد كثيرة، وسمّاها: الضوء المنير المقتبس، في مذهب الإمام مالك بن أنس.

وقد نالت هذه المنظومة إعجاب أهل العلم بطرابلس، وشرحها المؤلف، وقد ضاع أكثره، وله منظومات أخرى في التوحيد والنحو، وتآليف أخرى تدلّ على غزارة علمه.

وتوفي عن سنّ تناهز المائة^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن علي السنوسي (١٢٠٢هـ - ١٢٧٦هـ): العالم الجليل، والمصلح العظيم، الجزائري المولد، أخذ العلم عن فاس ومصر والحجاز.

(١) أعلام ليبيا ص ٢٧٧.

(٢) أعلام ليبيا ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

حملة حبّه للإصلاح على التجوّل في البلاد العربيّة، ليطلع على أحوال المسلمين، ويشاهد ما سرى فيهم من علل اجتماعية، ليتخذ لأدائها ما يناسبها من الأدوية.

ابتدأ نشاطه في برقة الليبية سنة ١٢٥٧هـ، واختارها مقرّاً لنشر دعوته الإصلاحية، وبقي يتنقل بينها وبين طرابلس، ثمّ اتّخذ الجغبوب مقرّاً رسمياً لإقامته، وبنى بها زاوية كبيرة لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلم.

بثّ دعوته الإصلاحية بين سكّان البادية، وبذل الجهد في التعليم والإرشاد، حتّى تخرّج عليه أساتذة أصبحوا أعلام هداية وإرشاد من بعده، وأخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة.

كان ينتدب جماعات من طلبته النجباء، فيوجّه كلّ واحد منهم أو أكثر لجهة بقصد جمع الكتب شراء واستنساخا.

صنّف في العمل بالسنة والوقوف مع الأدلّة، كتاب بغية السؤل في الاجتهاد والعمل بحديث الرسول، وكتاب بغية المقاصد وخلاصة المراصد، وكتاب إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، وغير ذلك.

وذكر الكتّاني أنّ قاضي الديار التونسيّة محمد الطيّب النيفر، حين لقي الشيخ السنوسي في حجّته الأولى قدّم له نسخة من تهذيب البراذعي، كان وجهها له معه أحد أحبّائه، فسأل الشيخ عمّا يريد منها مع ما يعرف عنه من ميلانه للاختيار والترجيح، فقال: لأجيب منها إذا سألني سائل عن المذهب المالكي.

عمّت دعوته الصحراء الليبية، من حدود مصر إلى حدود الجزائر، وكان أنصاره يسرون إلى الجهات النائية لتحفيظ القرآن، وتعليم مبادئ العلوم الدينية والعربية، وبثّ الروح الإصلاحية في النفوس.

صنّف تصانيف كثيرة، وتوفي عن سنّ عالية^(١).

(١) فهرس الفهارس ١٠٤٠/٢ - ١٠٤٩، أعلام ليبيا ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

وعموماً فإنّ فقهاء المالكية في سائر البلاد المغربية يفوتون الحصر، ومذهبهم هو المذهب السائد في جميع المدن والأرياف بلا منافس، وفقههم هو الفقه المتداول في جميع الجهات بلا منازع.

غير أنّ في بداية المرحلة الثانية من هذا الدور - أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر - دخل على المذهب المالكي - كما مرّ بنا آنفاً - عنصر آخر من عناصر المعرفة الإسلامية، ومن عناصر الهدي الإسلامي، ألا وهو المذهب الحنفي، الذي أصبح يدرّس إلى جانب المذهب المالكي^(١).

وساد المذهبان المالكي والحنفي أقطار المغرب العربي إلّا ما كان من جبل نفوسة في ليبيا، وجزيرة جربة في تونس، وبلاد ميزاب في الجزائر، فإنّها كانت تتبع المذهب الإباضي.

وبرز على ذلك الفقهاء الأحناف الذين درسوا على أعلام المالكية والحنفية، كما برز الفقهاء من المالكية الذين درسوا على أعلام المذهبين، وتواصلت في البلاد المغربية الأصول المالكية والحنفية كما لم تتواصل في قطر آخر، ناهيك أنّ الفقيه الحنفي أبو العباس أحمد الأبي^(٢) كان الذي شجّعه على التصدي للتدريس في شبابه وألزمه على ذلك - رغم ما كان يراه هذا الشاب في نفسه من قصور عن رتبة الإفادة - هو شيخه صالح الكواش المالكي، وقال له: «أنا أعلم بحالك منك» فإذا بهذا الشاب الحنفي يتصدّر بجامع الزيتونة الأعظم ويفيد، ويعمّر الجامع بحلق التدريس، ثمّ ينتخب بعد ذلك إماماً ومدرساً بجامع صاحب الطابع، ولم يزل في بثّ العلم إلى أن عينه أحمد باي مفتياً.

وتتج عن هذا التواصل تأثير الفقه المالكي بأساليب الدراسة ومناهج

(١) ومضات فكر ٣٠٧/٢ - ٣٠٨.

(٢) تقدمت ترجمته.

البحث التي كان يسير عليها الفقه الحنفي كما تأثر الفقه الحنفي بمسائل القضاء التي كان يسير عليها المذهب المالكي من قبل دخول العثمانيين، غير أنّ هذا التجديد للعلم كان تجديدا لمعالمه وآثاره وأطلاله، ولكّنه لم يكن تجديدا لروحه^(١).

وقبل أن نختم الحديث عن هذا المركز الفقهي، تجدر الإشارة إلى أنّ تجار وفقهاء شمال إفريقيا قد كان لهم الدور الفعال والتأثير القويّ في إيصال الإسلام ونشره في بلاد السودان الأوسط وخاصة كانم - الواقعة في الشمال الشرقي من بحيرة تشاد - وبرنو - الواقعة في غربي البحيرة - كما حدث بالنسبة إلى وصول الإسلام إلى غانا ومالي عن طريق الجاليات من تجار المسلمين وفقهائها في البلاد^(٢).

وكان المذهب السائد بهذه الديار هو المذهب المالكي، وبحلول القرن التاسع الهجري ساد في برنو نظام التعليم الإسلامي وازداد عدد الطلبة وانتشرت المدارس واشتهرت منها مدرسة الشيخ أحمد فاطمي في القرن التاسع الهجري، كما ظهرت في أواخر القرن العاشر مدرسة كالومباردو شمال شرقي العاصمة جازاراجامو.

ومن أشهر علمائها في بداية تأسيسها العالم الطارقي الشيخ الوالي بن الجرمي الطارقي، والشيخ وال ديدي الفلاتي الذي تلقى العلم في تنبكتو وأجاديس، وقد أحيى مدرسة كالومباردو الشيخ عبدالله البرناوي في حدود عام ١٠٧٥هـ، وكان قد تلقى العلم على يد العالم الطارقي أحمد الصادق ابن أبي محمد أويس^(٣).

وكانت لهذه المدارس صلة بالجامع الأزهر الشريف، وقصدها علماء

(١) ومضات فكر ٣٠٨/٢.

(٢) وصول الإسلام وانتشاره في كانم - برنو بالسودان الأوسط، ضمن كتاب دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٧٩ - ٣٩١.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

أترك وأندلسيون، وقد احتفظت إلى عهد قريب بجودة مستوى دراساتها الفقهية والقرآنية.

وهكذا تعزز الإسلام في كانم وبرنو منذ أواخر القرن التاسع الهجري، وأصبح للفقهاء والعلماء مكانة مرموقة في البلاد.

وفي القرن الثاني عشر الهجري ظهرت مدارس أخرى في ماشينا وفي العاصمة جازارجامو، وكان العلماء والطلبة في هذه المدارس يتلقون المساعدة والدعم من جانب السلطان، وغدت برنو مركزاً علمياً اجتذب إليه الكثير من المسلمين من بقية السودان^(١).

- ٦ - الأندلس:

هذا الدور هو نهاية العنقود من تاريخ نشاط الحركة الفقهية بأندلسنا المفقود، حيث خيمت على هذه البقعة من بلاد الإسلام الحروب والانقسامات بين الدويلات القائمة على أطلال الدولة الموحديّة، تلك الحروب التي أثرت في قوّة الإسلام ببلاد الأندلس، حتّى آلت البلاد إلى قلاع مقطّعة الأوصال ممزّقة الأطراف.

ورغم ما كان عليه حال الأندلس من اضطراب وانقسام، فإنّ جذوة الحركة الفقهية وقبس الاهتمام العلمي لم يطفأ نوره، والانحطاط الذي أصيب به جسم الأندلس لم يؤثر تأخراً سريعاً، بفعل توافر العلماء في بلاد الأندلس من سائر الفنون، حتّى كنّا نشهد في العصر الواحد طائفة من العلماء ما منهم إلّا إمام يعنى إليه، ويعتمد في علمه عليه^(٢).

ومن أعظم الفقهاء الذين ظهوروا في هذا الدور:

* أبو بكر محمد بن عليّ بن الفخار الجذامي الأندلسي (٦٣٠هـ - ٧٢٣هـ): الذي استوطن مالقة، وتصدّر للإقراء وكان كثير العكوف على

(١) وصول الإسلام وانتشاره في كانم - برنو بالسودان الأوسط، ضمن كتاب دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٧٩ - ٣٩١.

(٢) ابن عاشور محمد الطاهر: أليس الصبح بقريب ص ٦٩ - ٧٠.

العلم والملازمة، مستغرق الوقت في التدريس، فكان يدرّس من صلاة الصبح إلى الزوال، ويقرأ القرآن، ويفتي النساء بالمسجد إلى بعيد العصر، ثم يأتي الجامع الأعظم بعد المغرب يفتي إلى العشاء الآخرة.

وقد وقعت بينه وبين فقهاء بلده مشاحنات في أمور عدّوها عليه ممّا ارتكبتها اجتهاده في مناط الفتوى، وعقدت له مجالس أجلى عن ظهوره فيها، فبالغ الناس في تعظيمه، وانتفعوا بعلمه واستفادوا منه.

ألّف نحو الثلاثين تأليفاً، منها: منظوم الدرر في شرح كتاب المختصر، ونصح المقالة في شرح الرسالة، والجواب المختصر المروم في تحريم سكنى المسلمين بلاد الروم، وكتاب تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر وقتها المختار، على صلاة الصبح للمنفرد في أول وقتها بالابتدار^(١).

* أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي (٦٩٣هـ - ٧٤١هـ):
الغرناطي، كان على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاشتغال بالنظر والتقيد والتدوين، قائماً على التدريس مستوعباً للأقوال.

تقدّم خطيباً بالجامع الأعظم ببلده على حداثة سنّه، فاتفق على فضله. من مصنفاته: كتاب القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، كما صنّف في علم الأصول والقراءات والعقائد^(٢).

وكان الفقيه ابن جزى قد استشهد في واقعة طريف^(٣)، ممّا يدلّ على

(١) الديباج المذهب ص ٣٩٥ - ٣٩٦، الدرر الكامنة ٨١/٤، طبقات المفسرين ص ٤٤١ - ٤٤٢، شجرة النور الزكية ص ٢١٢، هدية العارفين ١٥٩/٢.

(٢) نفع الطيب ٥١٤/٥ - ٥١٦ و ٥٣٨/٥، الديباج المذهب ص ٣٨٨ - ٣٨٩، شجرة النور الزكية ص ٢١٣، الدرر الكامنة ٣/٣٥٦، الفكر السامي ٤/٢٨٢، هدية العارفين ١٦٠/٢.

(٣) وطريف: اسم لجزيرة خضراء بالأندلس جرت فيها واقعة مشهورة سنة ٧٤١هـ، كانت من الدوامي المعضلة الداء والأزراء، وتضعف لها ركن الدين بالمغرب، حيث قتل =

أن العلماء لم يكونوا بمعزل عن الأحداث التي كانت تجري ببلاد الأندلس، وإنما كانوا يحملون الهم الأكبر والشغل الأعظم النابع من شعورهم القوي بضرورة الدفاع عن بلاد الإسلام، ولذلك نرى الكثير منهم قد نال شرف الشهادة في سبيل الله في هذه الواقعة ذاتها، كأبي محمد عبدالله بن علي بن عبدالله بن سلمون الغرناطي (٦٦٩هـ - ٧٤١هـ): وكان إماماً في كثير من الفنون، صاحب علم وفضل^(١)، وأبي عبدالله محمد بن يحيى الأشعري (٦٧٤هـ - ٧٤١هـ) المالقي المعروف بابن بكر، الذي توفي شهيداً في نفس الواقعة مقبلاً غير مدبر، وهو يقول: هذا يوم الفرح، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ يَمَآءَ أَتْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢)، وكان من صدور العلماء قد ولي القضاء والخطابة بغرناطة، وتصدر لبث العلم بها^(٣).

ونلقى بعد هؤلاء:

* أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن محمد السيارى ويعرف بالبياني (٧٥٣هـ): من أهل غرناطة، أقرأ الفقه ودرسه طول حياته، وانتصب للفتيا، وكان مستشاراً في الأحكام، يقوم على الفقه أحسن قيام، عاكفاً على تدريسه، مكباً على تبيينه، سهل الألفاظ، حسن التعليم، وكان يدرّس بالمدرسة النصرية^(٤).

* أبو عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن الفخار البيري (٧٥٤هـ): شيخ أبي إسحاق الشاطبي وأبي البركات ابن الحاج، وغيرهما^(٥).

= فيها جمع من أهل الإسلام، وجملة وافرة من الأعلام (انظر: الديباج المذهب ص ٣٨٩، إحالة رقم ١).

(١) نيل الابتهاج ٢٣٣/١، شجرة النور الزكية ص ٢١٤.

(٢) من الآية - ١٧٠ - من سورة آل عمران.

(٣) نيل الابتهاج ٤٨/٢ - ٥٠، شجرة النور الزكية ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٤) الديباج المذهب ص ٣٨٩ - ٣٩٠، الدرر الكامنة ٢٩٥/٣.

(٥) نفع الطيب ٣٥٥/٥ - ٣٥٩، نيل الابتهاج ٢٥٠/٢، شجرة النور الزكية ص ٢٢٨ -

وبعد النصف الثاني من القرن الثامن، نلقى جماعة من أكابر فقهاء الأندلس، جمعوا أشتات الفضائل، وكانوا محطّ الأنظار، وملتقى العلماء الأخيار، أشهرهم:

* أبو البركات عماد الدين محمد بن محمد بن إبراهيم بن حزب الله البلقيقي (٧٧١هـ): المعروف بابن الحاج قاضي الجماعة، وشيخ الفقهاء وسيّد أهل العلماء بالأندلس.

نشأ ببلده المرية، وأخذ عن علماء القطر المغربي وبجاية، واستقرّ بالأندلس، فتصرّف في الإقراء والقضاء والخطابة، وبلغ في ذلك درجة عالية.

من مصنفاته: خطر فنظر على وثائق ابن فتوح، وكتاب فيما كثر دوره في مجالس القضاة^(١).

* أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لبّ (٧٠١هـ - ٧٨٢هـ): إمام غرناطة وخطيبها ومفتيها وعالمها، جلس للتدريس ببلده على وفور الشيوخ، وأقرأ بالمدرسة النصرية سنة ٧٥٤هـ.

كان من أكابر علماء المذهب ومحققهم، وممّن بلغ درجة الاختيار في الفتوى، وكانت له اختيارات خارجة عن مشهور المذهب.

أخذ عن أبي محمد بن سلمون والناصر المشذالي وابن عبد الرفيّع وغيرهم، ومن أشهر من تلقى عنه: الإمام الشاطبي وأبو عبدالله الحفّار ومحمد بن عاصم وابنه أبو يحيى بن عاصم وأخوه القاضي أبو بكر بن عاصم وأبو القاسم بن سراج وأبو محمد محمد بن جزري وابن علاق وغيرهم كثير، وقلّ من لم يأخذ عنه في الأندلس في وقته.

(١) الديباج المذهب ص ٣٨٥ - ٣٨٧، نيل الابتهاج ٨٥/٢ - ٨٧، طبقات القرّاء

٢٣٥/٢، هدية العارفين ١٦٥/٢، شجرة النور الزكية ص ٢٢٩، الدرر الكامنة

برز بمزية إدراكه وحفظه حتى أصبح حامل لواء التحصيل، وعليه مدار الشورى، وإليه مدار الفتوى ببلده لغزارة حفظه وقيامه على الفقه واضطلاعه بالمسائل.

أكثر الشيخ المواق من النقل عنه في شرح المختصر، وقال: نحن على فتاويه في الحلال والحرام.

صنّف في مسائل من العلم كمسألة الدعاء إثر الصلوات، ومسألة الإمامة بالأجرة، والردّ على ابن عرفة في القراءة بالشاذّ في الصلاة، وله فتاوى مشهورة^(١).

* أحمد بن أبي القاسم محمد بن جزي الكلبي (٧١٥هـ - ٧٨٥هـ):
قاضي غرناطة، والخطيب بجامعها، أخذ عن والده وانتفع به وبعض معاصري والده، وعنه تلقى أبو بكر بن عاصم، صنّف الأنوار السنية شرح به كتاب القوانين الفقهية لوالده^(٢).

* أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي (٧٩٠هـ): الإمام المجتهد، كانت له استنباطات جليّة وفوائد لطيفة وأبحاث شريفة، أخذ عن عظماء الفقهاء في عصره كابن الفخار ولازمه، وأبي سعيد ابن لبّ الغرناطي وأبي عبدالله الشريف التلمساني، وأبي عبدالله المقرئ والخطيب ابن مرزوق، والأخيران تلمسانيان زارا غرناطة ودرسا فيها، وكانا من أهل الاجتهاد، وكان يكتب إلى إمام تونس ابن عرفة، وفقهه فاس أبو العباس القباب بما عنده من المشكلات، وأطرد ما بينه وبينهما من تبادل التحارير في كثير من المسائل.

(١) نفع الطيب ٥٠٩/٥ - ٥١٤، الديباج المذهب ص ٣١٦، نيل الابتهاج ٤/٢، ٧، شجرة النور الزكية ص ٢٣٠ - ٢٣١، لقط الفرائد ص ٢٢٠، هدية العارفين ٨١٦/١، الفكر السامي ٢٩١/٤، شذرات الذهب ٢١/٧.

(٢) نفع الطيب ٥١٧/٥ - ٥٢٥/٥، الديباج المذهب ص ١٠٥، درة الحجال ص ١٣، الدرر الكامنة ٢٧٦/١ شجرة النور الزكية ص ٢٣١، وفيات الوئشربسي ص ١٠١، وذكر وفاته سنة ٧١٠هـ، وهو خطأ.

وعنه أخذ أبو بكر بن عاصم، وأخوه أبو يحيى محمد صاحبه الذي انتفع به وورث طريقته.

اجتهد وبرع حتى فاق أقرانه وبالغ في التحقيق، له أبحاث مفيدة في مشكلات المسائل، مع كثير من أئمة عصره كأبي العباس أحمد القباب وأبي عبدالله محمد الفشتالي والإمام ابن عرفة وأبي عبدالله محمد بن عباد الرندي أجلت عن ظهوره فيها وقوة عارضته وإمامته، منها: مسألة مراعاة الخلاف في المذهب.

صنّف تآليف نفيسة اشتملت على تحريرات للقواعد وتحقيقات لمهمّات الفوائد، منها: كتاب الموافقات الذي أبرز فيه مقاصد الشريعة، وبنى به - كما قال العلامة الشيخ الفاضل بن عاشور - هرما شامخا للثقافة الإسلاميّة، استطاع أن يشرف منه إلى مسالك وطرق لتحقيق خلود الدين وعصمته، قلّ من اهتدى إليها قبله وله كتاب الاعتصام الذي هو ثمرة كفاحه في تقويم الدين وقمع البدع، وله فتاوى كثيرة لم يجمعها في كتاب مستقلّ، وإنّما تناقلتها المصادر بعد عصر الشاطبي، وقد تتبّعها أستاذنا المحقّق الدكتور محمد أبو الأجنان، وجمعها من مظانها، وحقّقها وأصدرها في كتاب مستقلّ بعنوان فتاوى الإمام الشاطبي، مهّد له بدراسة قيّمة في التعريف بالإمام الشاطبي وعصره، وفي علم الإفتاء والمفتين^(١).

* أبو عبدالله محمد بن عليّ المعروف بابن علاق الغرناطي (٨٠٦هـ): مفتي غرناطة وإمامها وقاضي الجماعة بها، وهو سبط أبي القاسم بن جزري، تلقى العلم عن ابن لبّ والمقري والخطيب ابن مرزوق وغيرهم من أعلام عصره، وعنه أخذ ابن سراج وأبو بكر بن عاصم وغيرهما.

(١) نيل الابتهاج ٣٣/١ - ٤٠، أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص ٧٠ - ٧٧، ذرة الحجال ص ١٨٢، لقط الفرائد ص ٢٢٥، وفيات الونشريسي ص ١٣١، شجرة النور الزكية ص ٢٣١، الفكر السامي ٢٩١/٤، فهرس الفهارس ١٩١/١، فتاوى الإمام الشاطبي لأستاذنا الدكتور محمد أبو الأجنان.

له شرح على ابن الحاجب القرعي وله فتاوى نقل بعضها الونشريسي في المعيار، ونقل عنه المواق في غير موضع^(١).

* أبو عبدالله محمد بن علي المشهور بالحفّار الغرناطي (٨١٠هـ): مفتي غرناطة وإمامها، أخذ عن ابن لبّ ولازمه وانتفع به وبغيره، وعنه أخذ ابن سراج والقاضي أبو بكر بن عاصم وغيرهما.

بقي أكثر من عامين يخرج للصلوات الخمس يهادي بين رجلين لشيء كان برجله، حتّى كان بعض أصحابه يقول: الحفّار حجّة الله على من لم يحضر الجماعة.

له فتاوى نقل بعضها الونشريسي في المعيار، توفّي عن سنّ عالية، وألحق بالأحفاد بالأجداد^(٢).

* أبو يحيى محمد بن عاصم الغرناطي (٨١٣هـ): صحب أبا إسحاق الشاطبي وأخذ عنه وانتفع به، وورث طريقتة، وأخذ عن ابن لبّ وغيرهما، وعنه أخذ ابن أخيه القاضي أبو يحيى وابن فتوح وغيرهما.

له تأليف كبير في الانتصار لشيخه أبي إسحاق الشاطبي، والرّد على شيخه أبي سعيد ابن لبّ في مسألة الدعاء بعد الصلاة، مات شهيداً في جهاد العدو، وهو مقبل عليه يدافعه بجهدته والرماح تنهال عليه^(٣).

* أبو بكر محمد بن عاصم الغرناطي (٧٦٠هـ - ٨٢٩هـ): قاضي الجماعة، كان يرجع إليه في المشكلات وفي الفتوى، أخذ عن أعلام عصره منهم: الإمام أبو إسحاق الشاطبي وأبو عبدالله الشريف التلمساني وأبو إسحاق ابن الحاج وابن علاق وابن لبّ، وخاله أبو بكر ومحمد ولدا أبي القاسم بن جزى.

(١) نيل الابتهاج ١٤٤/٢، شجرة النور الزكية ص ٢٤٧، الفكر السامي ٢٩٥/٤.

(٢) توشيح الديباج ص ٢٦٩، نيل الابتهاج ١٤٤/٢ - ١٤٥، الدرر الكامنة ٨٠/٤ - ٨١، شجرة النور الزكية ص ٢٤٧.

(٣) نيل الابتهاج ١٥٢/٢ - ١٥٣، شجرة النور الزكية ص ٢٤٧.

كان رجل الأراجيز، حيث وضع أراجيز في أصول الفقه والنحو والفرائض والقراءات، وله نيل المنى في اختصار الموافقات للشاطبي رجزاً، واشتهر بالأرجوزة المسماة بتحفة الحكام في نكت العقود والأحكام التي تقع في ١٦٩٨ بيتاً، وهي من أجل ما ألف في علم الوثائق والإبرام، وقع عليها القبول واعتمدها العلماء وشرحها جماعة، منهم: أبو الحسن علي بن عبدالسلام التسولي في كتاب سماه البهجة في شرح التحفة، وأبو عبدالله محمد التاودي في كتاب سماه حلى المعاصم لبنت فكر ابن عاصم^(١).

* أبو القاسم محمد بن محمد بن سراج الغرناطي (٨٤٨هـ): مفتي غرناطة وقاضي الجماعة بها، وحامل راية الفقه والتحصيل بالأندلس، أخذ عن ابن لبّ والحقار وابن علاق وغيرهم، وعنه أخذ أبو يحيى بن عاصم والمفتي أبو عبدالله السرقسطي وإبراهيم بن الفتوح والراعي والمواق وغيرهم.

ارتحل إلى تلمسان ولقي بها ابن مرزوق وجرت بينهما مناظرات، كما رحل إلى تونس وناظر جملة من علمائها.

له تأليف، منها: شرح المختصر الخليلي اعتمده المواق وأكثر من النقل عنه في تأليفه، وله فتاوى كثيرة نقل الونشريسي في معياره جملة وافرة منها^(٢).

* شمس الدين أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الغرناطي، شهر الراعي (٧٨٢هـ - ٨٥٣هـ): أخذ عن شيوخ بلده كابن سراج والحفار وابن مرزوق الحفيد، ثم هاجر واستوطن مصر.

(١) توشيح الديباج ص ١٢٦ - ١٢٧، نيل الابتهاج ١٦١/٢ - ١٦٣، شجرة النور الزكية ص ٢٤٧، الفكر السامي ٢٩٧/٤، لقط الفرائد ص ٢٤٣، الأعلام ٢٧٤/٧، كشف الظنون ٣١٣/١ و ١٤٨/٦.

(٢) نفع الطيب ٦٩٤/٢ - ٦٩٩، توشيح الديباج ص ٢٦٨، نيل الابتهاج ٢٠٤/٢ - ٢٠٥، وفيات الونشريسي ص ١٤٣، نظم العقيان ص ١٦٦ - ١٦٧، شجرة النور الزكية ص ٢٤٨، الفكر السامي ٣٠٣/٤.

من مصنفاته: كتاب اختصر به شرح شيخه ابن مرزوق الحفيد على المختصر من باب القضاء إلى آخر الكتاب، وله انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك قام بتحقيقه والتقديم له أستاذنا المحقق الدكتور محمد أبو الأجنان^(١).

* أبو يحيى محمد بن أبي بكر محمد بن عاصم (بعد ٨٥٧هـ): قاضي الجماعة، أخذ عن والده وعمّه، وعن ابن سراج وغيرهم، تولى اثنتي عشرة خطبة في وقت واحد منها القضاء والكتابة والوزارة والإمامة والخطابة.

وقع بينه وبين معاصره المفتي أبي عبدالله السرقسطي خلاف في مسائل ومراجعات، التزم كلّ منهما حسن الأدب في الاختلاف، شأن سادات العلماء.

ذكر في شرحه على تحفة والده أنه تولى القضاء سنة ٨٣٨هـ.

من مصنفاته: شرح تحفة الحكام لوالده، أظهر فيه فقها متينا وتصرفا عجيبا، وله جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى، ألفه يندب بلاد الأندلس ويحرك عزائم الإسلام لنصرة الدين لما استولى العدو على غالب تلك البلاد، وله مصنفات وتعاليق في مسائل كثيرة، وقد نقل عنه الونشريسي في مواضع من كتابه المعيار.

وكان على قيد الحياة سنة ٨٥٧هـ، وقيل توفي ذبيحاً من طرف السلطان^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن محمد الأنصاري السرقسطي الغرناطي (٧٨٤هـ)

(١) توشيح الدباج ص ٢٢٨ - ٢٢٩، نيل الابتهاج ٢/٢١٠، شجرة النور الزكية ص ٢٤٨ وفيات الونشريسي ص ١٤٤، كشف الظنون ٦/١٥٨ الضوء اللامع ٩/٢٠٣، شذرات الذهب.

(٢) نيل الابتهاج ٢/٢١٨ - ٢١٩، شجرة النور الزكية ص ٢٤٨ - ٢٤٩، كشف الظنون ٦/١٥٩.

- ٨٦٥هـ): عالم غرناطة ومفتيها أخذ عن ابن سراج وطبقته، وعنه أخذ ابن الأزرق والقلصادي ولازمه وانتفع به وأثنى عليه في رحلته، وقال: كان من أحفظ الناس لمذهب مالك، ولا كلفة عليه في كتب الفتيا، وكان فصيحاً في كتبه وجيز العبارة له مشاركة في علوم الشريعة واعتكافه على قراءة المذهب.

كان يقرئ كتباً متعدّدة، كصحيح مسلم والموطأ وتفريع ابن الجلاب وتلقيين القاضي عبدالوهاب ورسالة ابن أبي زيد ومختصر ابن الحاجب الفرعي ومختصر خليل ومقدمات ابن رشد والمدونة.

نقل عنه المواق في مواضع من كتابه سنن المهتدين.

ووقعت بينه وبين معاصره قاضي الجماعة أبي يحيى محمد بن عاصم مراجعات وحوار في بعض المسائل العلمية مع التزام كلّ منهما لجانب الأدب^(١).

* أبو إسحاق إبراهيم بن فتوح العقيلي (٨٦٧هـ) مفتي غرناطة وعالمها وشيخ علماء الأندلس في وقته، أخذ عن ابن سراج وطبقته، وعنه أخذ ابن الأزرق والراعي والقلصادي وأثنى عليه في رحلته.

كان عالماً متفنناً نظاراً يميّز بفكر نقاد وذهن منقاد انتفع به الجهابذة والنقاد، وتخرج على يديه أكثر علماء الأندلس.

طالت مدة إقرائه للعلوم حتى لحق الأصاغر بالأكابر، له فتاوى نقل بعضها الونشريسي في المعيار.

وفي أواخر القرن التاسع الهجري ازداد الضغط الإسباني على المسلمين وتمكّنوا من السيطرة على جنوب البلاد، فاستولوا على مرسية

(١) رحلة القلصادي ص ١٦٤ - ١٦٥، نيل الابتهاج ٢٢١/٢ - ٢٢٣ الشجرة ٢٤٩ وانظر: ص ٢٦٠.

سنة ٨٨٧هـ ورندة سنة ٨٨٩هـ، ومالقة سنة ٨٩٢هـ ووادي آش والمريية سنة ٨٩٥هـ^(١).

وكان كلما سقط معقل من معاقل الإسلام من بلاد الأندلس وأيس أهله من استرجاعه نزحوا إلى المعاقل الأخرى، حتى لم يبق أواخر القرن التاسع الهجري غير غرناطة التي أضحت مأوى اللاجئين من أطراف المعاقل المتساقطة بأيدي الإسبان.

وملك هذه الناحية من الجزيرة الباقية ملوك بني الأحمر، فكانوا في جهاد وجلاد في غالب أوقاتهم، ولم يزل ذلك شأنهم حتى أدرك دولتهم الهرم الذي يلحق الدول^(٢).

ورغم عوارض السقوط التي بدت واضحة على آخر معاقل الإسلام بالأندلس، فإن حركة الفكر على وجه العموم، والنشاط الفقهي على وجه الخصوص، لم تخب جذوته نهائياً، بفضل ما كان للجامع الأعظم بغرناطة وسنده المدرسة النصرية - التي أنشئت في منتصف القرن الثامن - من إشعاع علمي، حتى قال القلصادي في شأنها: «هي أنوه مواضع التدريس بغرناطة»^(٣).

فظهر في هذه الفترة الأخيرة:

* أبو الحسن علي القلصادي (حدود ٨١٥هـ - ٨٩١هـ): خاتمة علماء الأندلس، وآخر من له التأليف الكثيرة من أئمة الأندلس، صنف في الحساب والفقه والنحو والعروض والمنطق والقراءات والحديث والتراجم والتصوف، وكانت أغلب مؤلفاته شروحاً لمتون، حيث كان الاعتناء بالشروح أمراً متداولاً ومنتشراً في عصره، من تلك المصنفات ثلاثة عشر كتاباً في الحساب وعشرة كتب في علم الفرائض منها شرح فرائض ابن أبي

(١) انظر: نفح الطيب ٤/٤٤٦، لقط الفرائد ص ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١.

(٢) نفح الطيب ٤/٥١١.

(٣) رحلة القلصادي ص ١٦٧.

شريف وابن شاط، وشرح على فرائض مختصر خليل وفرائض التلقين وفرائض ابن الحاجب وشرح الغنية في الفرائض له، وصنف في الفقه أشرف المسالك إلى مذهب مالك وشرح مختصر خليل وشرح الرسالة وشرح التلقين وشرحان على تلخيص ابن البنا وهداية الأنام في شرح مختصر قواعد الإسلام، وشرح الأنوار السنية، وله النصيحة في السياسة العامة والخاصة، وكانت وفاته بياجة^(١).

* أبو عبدالله محمد بن عليّ المعروف بابن الأزرق الغرناطي (٨٩٥): قاضي الجماعة بغرناطة، وعالمها ومفتيها، أخذ عن ابن فتوح وكان جَلَّ انتفاعه به، وأخذ عن أبي عبدالله السرقسطي وغيرهما، وعنه أخذ أحمد بن داود وغيره.

لَمَّا استولى الإسبان على بلاد الأندلس، انتقل إلى تلمسان، ثم إلى المشرق، وتولّى قضاء القضاة ببيت المقدس، وبها توفي.

من مصنفاته: شرح حافل على المختصر سمّاه شفاء الغليل في شرح مختصر الشيخ خليل، وله فتاوى بعضها منقول في المعيار^(٢).

* أبو عبدالله محمد بن يوسف العبدوسي الغرناطي المعروف بالموثق (٨٩٧هـ): إمام غرناطة وعالمها ومفتيها، وخاتمة علماء الأندلس المفقود، أخذ عن ابن سراج وكان عمدته، وعن محمد بن عاصم، وغيرهما، وعنه أخذ جماعة منهم الشيخ الدقون وأبو الحسن الزقاق وأحمد بن داود.

من مصنفاته: شرحان على مختصر خليل، كبير سمّاه التاج الإكليل، والشرحان في غاية الجودة في تحرير النقول مع الاختصار البالغ غايته، وله

(١) نفع الطيب ٦٩٢/٢ - ٦٩٤، توشيح الديباج ص ١٣٢ - ١٣٤، نيل الابتهاج، درة الحجال ٢٥١/٣ الفكر السامي ٩٦/٤، نظم العقيان ص ١٣١، لقط الفرائد ص ٢٧٠، فهرس الفهارس ٩٦٢/٢ - ٩٦٣، التحلل السندسية ٦٧١/٣ - ٦٧٣، شجرة النور الزكية ص ٢٦١، كشف الظنون ٥٩٠/٥.

(٢) نفع الطيب ٦٩٩/٢ - ٧٠٤، توشيح الديباج ص ٢١٦، نيل الابتهاج ٢٤٨/٢، شجرة النور الزكية ص ٢٦٢، الضوء اللامع ٢١/٩، كشف الظنون ١٧٢/٦.

سنن المهتدين في مقامات الدين، وهو كتاب جليل أبان فيه معرفة بالعلوم أصولاً وفروعاً، أرسله لمفتي تونس الإمام الرضّاع، فلما أطلع عليه أثنى عليه كثيراً وشكره^(١).

* أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن داود البلوي (الأندلسي):
أخذ عن والده وعن القلصادي والمواق وغيرهم، وأجازه ابن غازي.

رحل مع إخوته من غرناطة بعد سنة ٨٩٠هـ إلى تلمسان وأخذ عن شيوخها، ثم رحل إلى المشرق^(٢).

ومما تجدر إليه في هذا المجال، أنه رغم ما كان عليه أمر الأندلس طيلة هذا الدور، من اضطراب سياسي أدى إلى اقتطاع البلاد، ثم الاجتياح الخارجي الذي أدى إلى سقوط مدنها الواحدة تلو الأخرى، فقد كانت الأندلس مقصد الكثير من المغاربة بغرض الإفادة والاستفادة العلمية، كما هو الحال بالنسبة للإمام المقرئ الكبير الذي دخل الأندلس في سفارة للسلطان أبي عنان المريني سنة ٧٥٧هـ، فكان يدرّس بالجامع الأعظم، وحضر دروسه الإمام الشاطبي، وكأبي العباس أحمد القباب الذي دخل غرناطة سفيراً سنة ٧٦٢هـ، وابن مرزوق الخطيب التلمساني، والإمام الزقاق صاحب اللامية الشهيرة في الأحكام الذي كانت له رحلة إلى شيوخ غرناطة، وغيرهم ممن لا يعدّون كثرة.

ثمّ كان عام ٨٩٧هـ تاريخ سقوط غرناطة، تاريخاً حاسماً للإسلام وللغرب الأوروبي، حيث احتفلت به بلاد النصرانية كلّها وأمرت البابوية بأن تفرّج كنائس أوروبا كلّها احتفالاً بتلك المناسبة^(٣).

ورغم أنّ معاهدة تسليم غرناطة نصّت على أن يحتفظ المسلمون بكلّ

(١) توشيح الديباج ص ٢٣٤ - ٢٣٥، نيل الابتهاج ٢٤٨/٢ - ٢٥٠، شجرة النور الزكية ص ٢٦٢، الفكر السامي ٣١١/٤، الضوء اللامع ٩٨/١٠.

(٢) شجرة النور الزكية ص ٢٧٣.

(٣) معالم في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٩٢.

حقوقهم، إلا أنّ سياسة الاضطهاد والإذلال التي مارسها الإسبان في حقّ مسلمي غرناطة، وإعدام جميع آثار المسلمين وإحراق ثمانين ألف كتاب في ميادين الرحبات العامة بغرناطة، دفع بالكثير من المسلمين إلى الخروج إلى بلاد المغرب.

وتواصلت هذه السياسة الاضطهاديّة لمسلمي غرناطة، واشتدّت وطأة الإسبان على بقايا المسلمين المقيمين بها، ووقع إكراههم على التنصّر أو الخروج، ثم صدر سنة ١٠١٦هـ قرار النفي من الحكومة الإسبانية في عهد فيليب الثالث، فانتهى الأمر بطرد من تبقى من المسلمين بالأندلس سنة ١٠١٧هـ، فانتشروا في المغرب الأقصى والجزائر وتونس التي استقرّ بها جمهور الأندلسيين، وبذلك انتهت قصّة الإسلام في شبه الجزيرة وإن بقيت آثاره الحضاريّة ماثلة إلى اليوم^(١).

- ٧ - اليمن وبلاد الحجاز:

ذكر الشوكاني أنّ ببلاد اليمن في هذا الدور من أئمّة الزيدية عدداً يجاوز الوصف يتقيّدون بالعمل بنصوص الأدلّة، ويعتمدون على ما صحّ في الأمّهات الحديثية، وما يلتحق بها من دواوين الإسلام، المشتملة على سنّة سيّد الأنام، ولا يرفعون إلى التقليد رأساً، وهم على نمط السلف الصالح في العمل بما يدلّ عليه كتاب الله، وما صحّ من سنّة رسول الله، مع كثرة اشتغالهم بالعلوم التي هي آلات علم الكتاب والسنّة^(٢).

ومن هؤلاء الذين ظهرت فيهم هذه الفضائل العلميّة، وأحيوا الحركة الفقهية، نذكر:

* محمد بن يحيى بن أحمد بن حنش الثماني الزيدي (٦٥٠هـ -

(١) معالم تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٩٢، شجرة النور الزكية، التتمة ص ١٥٠ - ١٥١ و ١٥٧.

(٢) البدر الطالع ص ٦٠٢.

٧١٩هـ): قرأ على علماء عصره حتى برع في فنون عدّة، وبلغ رتبة الاجتهاد.

له مصنّفات منها في الفقه: التمهيد والتفسير لفوائد التحرير في الفقه^(١).

* يحيى بن حمزة بن عليّ المعروف بالمؤيد بالله (٦٦٩هـ - ٧٠٥هـ): من أكابر أئمّة الزيدية بالديار اليمينية، أخذ عن أكابر علماء الديار اليمينية، وتبحّر في العلوم، وفاق أقرانه، عرف بالإنصاف وسلامة الصدر، وكان كثير الذبّ عن أعراض الصحابة، صنّف تصانيف حافلة في مختلف العلوم، ومن مصنّفات الفقهية: الانتصار وهو أهمّ كتبه وأنفعها، والاختيارات^(٢).

* عبدالله بن الحسن الصعدي اليماني الزيدي (٧١٥هـ - ٨٠٠هـ): المعروف بسلطان العلماء، قرأ على علماء عصره، وتبحّر في غالب العلوم. كان الطلبة يرحلون إليه، ويتنافسون في الأخذ عنه، ولم يكن لأحد من علماء عصره ما له من تلاميذ، وقبول الكلمة وارتفاع الذكر، حتّى كان الناس باليمن يتوقّفون عن مبايعة أئمّتهم حتى يحضر.

وما زال ينشر العلوم، مكبّاً على التصانيف حتّى توفاه الله، ومن أشهر مصنّفات: الديباج النضير، وهو كتاب في الفقه، وصفه الشوكاني بكونه كتاب حافل ممتع^(٣).

* السيد محمد بن إبراهيم بن عليّ بن المرتضى (٧٧٥هـ - ٨٤٠هـ): المعروف بابن الوزير، وسمه الشوكاني بالإمام الكبير المجتهد المطلق، قرأ على أكابر مشائخ صنعاء وصعدة، وسائر المدن اليمينية، وقرأ بمكّة على الشيخ ابن ظهيرة.

(١) البدر الطالع ص ٧٩٥.

(٢) البدر الطالع ص ٨٤٩ - ٨٥١.

(٣) البدر الطالع ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

تبحر في جميع العلوم، وفاق الأقران واشتهر صيته وطار علمه في الأقطار، وارتفعت طبقته في العلم، وتكلم في الحديث بكلام أئمة المعبرين مع إحاطته بحفظ غالب المتون، حتى زاحم أئمة المذاهب الأربعة فمن بعدهم من الأئمة المجتهدين في اجتهاداتهم، ولما عرض عليه شيخه ابن ظهيرة الانتساب إلى مذهب من المذاهب الفقهية، وقال له: ما أحسن لو انتسبت إلى الإمام الشافعي أو أبي حنيفة، فغضب وقال: لو احتجت إلى هذا النسب والتقليدات ما اخترت غير الإمام القاسم بن إبراهيم أو حفيده الهادي.

مدحه الشوكاني، وقال: إنه رجل عرفه الأكابر، وجهله الأصاغر، ولو قلت: إن اليمن لم ينجب مثله، لم أبعد عن الصواب.

ومصنفاته شاهد عدل على علو طبقته، حيث يأتي في المسألة الواحدة من الوجوه ما يبهر عقل قارئه، ويعرفه بقصر باعه بالنسبة إلى علم مصنفه، ومن أشهر مصنفاته كتاب العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، صنفه في الرد على الزيدية، وقد أورد في هذا الكتاب - كما قال الشوكاني - من الحجج الكثيرة التي لا يجد العالم الكبير في قدرته استنباط البعض منها، وقد اعتبر الشوكاني هذا الكتاب من مفاخر اليمن وأهله، وله مؤلفات أخرى في التفسير وفي علوم الحديث، وله مسائل أفردتها بالتصنيف، وكان من سعة علمه وتبحره، إذا تكلم في مسألة لم يحتج الناظر بعده إلى النظر في غيره، ولم يستطع أحد من أهل عصره أن يعارضه، لعلو منزلته العلمية التي لم يدركها شيوخه فضلاً عن معارضيه من أهل طبقته، وقد صنفه الشوكاني في مرتبة ابن حزم وابن تيمية، وله شعر بعضه في تقييد الشوارد العلمية.

اشتغل بالتصنيف والتدريس ونشر العلوم الشرعية والذب عن السنة وفضح أهل البدع، في أرض لم يالف أهلها ذلك، لا سيما في أيامه، حتى امتحن من أهل عصره، وكانت له معهم قلاقل، فكانوا يثورون عليه مرة بعد أخرى، حتى انقطع عن الناس وأقبل على العبادة وساح في

الفلوات^(١).

وكان من أهل القرن العاشر:

* موسى بن أحمد بن موسى المعروف بابن الزين اليماني الزيدي (٨٤٢هـ - ٩٢٣هـ): حفظ المختصرات وبرع ولا سيّما في الفقه، وعليه دارت الفتيا ببلده، وعظّمه سلاطينها.

صنّف شرحاً لكتاب الإرشاد، سمّاه الكوكب الوقاد^(٢).

* محمد بن يحيى بن محمد اليماني الصعدي المعروف ببهران الزيدي (٩٥٧هـ): أحد علماء اليمن المشاهير، كان في أول حياته يتنقل في المدائن اليمانية للتجارة، ويطلب العلم في كلّ محلّ يتجر فيه، حتّى برع في علوم عديدة، ثمّ تفرّد برئاسة العلوم في عصره، وصنّف التصانيف الكثيرة، منها في الفقه: شرح الأئمار للإمام شرف الدين، ذكر فيه من دقائق الفقه وحقائقه ما لم يوجد في غيره، وذكر الأدلة على مسائله، ونقّحه أحسن تنقيح^(٣).

ثمّ ظهر:

* السيد الحسن بن أحمد بن محمد المعروف بالجلال (١٠١٤هـ - ١٠٨٤هـ): أخذ عن أكابر علماء صعدة وصنعاء وما حواليهما من الجهات، وبرع في العلوم الثقلية والعقلية، وصنّف تصانيف كثيرة منها: ضوء النهار في شرح الأزهار للإمام المهدي، حرّر فيه اجتهاداته على مقتضى الدليل، ولم يعبأ بمن يوافقه من العلماء أو يخالفه، وهو شرح قال فيه الشوكاني: «أنّه لم يشرح كتاب الأزهار بمثله، وأنّه لا نظير له في الكتب المدوّنة في الفقه» وقد ناقشه الإمام الشوكاني في كثير من ترجيحاته التي حرّرها في مؤلفاته.

(١) البدر الطالع ص ٥٩٩ - ٦١٠، الضوء اللامع ٦/٢٧٢.

(٢) البدر الطالع ص ٨٣١.

(٣) البدر الطالع ص ٧٩٦ - ٧٩٨.

حصلت له مع أبناء عصره قلائل وزلازل كما جرت به عادة أهل اليمن من وضع جانب أكابر علمائهم المؤثرين لنصوص الأدلة على أقوال الرجال^(١).

* إسماعيل بن القاسم بن محمد المعروف بالمتوكل على الله (١٠١٩هـ - ١٠٨٧هـ): قرأ على جماعة من أعيان عصره في سائر العلوم، وشارك فيها مشاركة قويّة، وبرع في الفقه وفاق علماء عصره في ذلك، وأقرّ له الجميع بذلك، ورجعوا إليه في المعضلات.

دعا إلى نفسه بالبيعة سنة ١٠٥٤هـ بعد موت أخيه محمد بن القاسم المعروف بالمؤيد بالله، لكونه قد رأى نفسه جامعا لشروط الإمامة المعتبرة في مذهبه التي منها الاجتهاد، وخاض حروبا حتى صارت اليمن جميعها تحت طاعته، وأذعنت إليه السلاطين من يافع وحضر موت وعدن وظفار وغير هذه الديار، حتى والاه وتابعه الشريف صاحب مكة.

من مصنفاته: أربعون حديثاً تتعلق بمذهب الزيدية وشرحها، وفوائد المسائل المرتضاة فيما يعتمده القضاة ورسائل شتى في مسائل من الفقه متنوّعة، وجوابات مسائل سأله عنها علماء عصره، وهي كثيرة جداً متفرقة، وللناس عليها اعتماد كبير ولا سيما الحكام^(٢).

* صالح بن مهدي بن عليّ المقبلي (١٠٤٧هـ - ١١٠٨هـ): نسبة إلى قرية المقبل من أعمال بلاد كوكبان باليمن، أخذ العلم عن جماعة من أكابر علماء اليمن، ثم دخل صنعاء وجرت بينه وبين علمائها مناظرات أوجبت المنافرة لما فيه من الحدة والتصميم على ما تقتضيه الأدلة وعدم الالتفات إلى التقليد.

برع في جميع علوم الكتاب والسنة وحقّق الأصولين والعربية، والحديث والتفسير، وفاق في جميع ذلك، وكان يحطّ على الفقهاء في

(١) البدر الطالع ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) البدر الطالع ص ١٦٢ - ١٦٥.

كثير من تفرعاتهم، ولا يبالي إذا تمسك بالدليل بمن يخالفه كائنا من كان. ألزم نفسه عدم التعويل على تقليد أهل العلم في جميع الفنون، فوفقت له بمكة امتحانات ونسبوه إلى الزندقة بسبب عدم التقليد والاعتراض على أسلافهم، ورفعوا أمره إلى السلطان العثماني، فأرسل بعض العلماء لاختباره، فلم يروا منه ما يعيب.

سلك مسلكه وأخذ عنه بعض أهل داغستان وعلمائها، ونقلوا بعض مؤلفاته، وكانوا يرحلون إلى صنعاء للأخذ عنه.

له مؤلفات مقبولة، سلك فيها مسلك الإنصاف، أعرض فيها عن القال والقال، وقيد فيها نفسه بالدليل، حتى تنافس العلماء في الاعتناء بها والاحتجاج بترجيحاتها.

ارتحل إلى مكة، واستقرّ بها إلى أن توفي^(١).

* يحيى الأهدل الزبيدي (١٠٧٣هـ - ١١٤٧هـ) : مفتي زبيد، وكان من الدعاة إلى الترغيب في الإقبال على علمي التفسير والحديث، وفهم معاني الكتاب والسنة، والتفقه في ذلك، والعمل بما صحّ به الدليل، حتى أنّ بعض الفقهاء كانوا يقولون: إنّ يحيى بن عمر قد خرج عن مذهب الشافعي، فكان لا يصني لقول قائل، ولا يرعوي لعذل عاذل^(٢).

* إبراهيم بن خالد بن أحمد بن قاسم العلفي الصنعاني (١١٠٦هـ - ١١٥٦هـ) : نشأ بصنعاء فطلب علم الفروع وحققه، ثم طلب بقیة علوم الاجتهاد، فشارك فيها مشاركة قوية واشتهر بصنعاء وبعد صيته وقصده طلبه علم الفروع، فأخذوا عنه وتنافسوا في ذلك، وكان يقصد بالفتاوى من العامة والخاصة، ويعارض باجتهاداته وصحيح أنظاره أنظار أكابر علماء عصره.

(١) البدر الطالع ص ٢٩٩ - ٣٠٢ .

(٢) فهرس الفهارس ١١٣٥/٢ - ١١٣٦ .

وكان للناس بما يصدر عنه من الفتاوى اشتغال ورغبة عظيمة، وقد جمع فتاويه الشيخ حامد بن حسن بن شاكر^(١).

* محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني (١٠٩٩هـ - ١١٨٢هـ): المعروف بابن الأمير، أحد الأئمة المجتهدين ومجددي الدين، وسمه الشوكاني بالإمام الكبير المجتهد المطلق.

قرأ على فضلاء أهل عصره من أعلام صنعاء، ثم رحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة، حتى برع في جميع العلوم وتفرّد برئاسة العلم في صنعاء، وولّى الخطابة بجامعها.

أقبل على الإفادة ونشر العلم تدریساً وإفتاءً وتصنيفاً، فانتفع به كثيرون وكثر أتباعه من الخاصة والعامة.

تظاهر بالاجتهاد، وعمل بالأدلة، ونفر من التقليد وزيف ما لا دليل عليه من الآراء والأقوال الفقهية، فكان لا ينسب إلى مذهب، بل مذهبه الحديث، فجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن، حتى تجمّع العوام لقتله في مناسبات عديدة.

وضع مصنفات في غالب العلوم، وأفرد كثيراً من المسائل بالتصنيف، وله شعر فصيح جمعه ولده عبدالله وغالبه في المباحث العلمية والتوجه من أبناء عصره والردود عليهم^(٢).

* أحمد بن محمد بن عبدالهادي الجبائي الصنعاني (١١١٨هـ - ١١٩٩هـ): تكسّب بالتجارة في أول حياته مع اشتغاله بالعلم، وولّى القضاء ثم امتحن واعتقل، ثم أفرج عنه بعد أن ثقل سمعه، وضعفت قوته، ورغم ذلك فقد كان يقرىء من يطلب القراءة عليه.

له عرفان تام بفنون الاجتهاد على اختلاف أنواعها، فكان يعمل

(١) البدر الطالع ص ٣٤.

(٢) فهرس الفهارس ١/٥١٣ - ٥١٤، البدر الطالع ص ٦٤٩ - ٦٥٤.

باجتهاد نفسه لا يقلّد أحداً، وإنّما يعمل بالأدلة^(١).

* يحيى بن صالح بن يحيى الشجري الصنعاني المعروف بالسحولي (١١٣٤هـ - ١٢٠٩هـ): نشأ بصنعاء وأخذ عن والده وعن جماعة من العلماء في الفقه والحديث، برع في الفروع وشارك في غيرها.

ولي القضاء وهو دون العشرين، فباشر الخطة بصرامة وشهامة، وعظمت هيئته في القلوب واشتهر صيته وطار ذكره، ثم امتحن بالسجن أعواماً، وحين أفرج عنه لزم بيته، فكان الناس يتردّدون إليه لأخذ العلم عنه ويستفتونه في المعضلات، ثم أعيد إلى القضاء الأكبر فصار إليه المرجع من جميع قضاة الديار اليمينية، واستمرّ على ذلك إلى أن توفّي.

كان له اطلاع تام على كتب الأئمة، وسائر علماء الزيدية^(٢).

* عليّ بن محمد الشوكاني (١١٣٠هـ - ١٢١١هـ): نسبة إلى شوكان قرية من قرى السحامية إحدى قبائل خولان القريبة من صنعاء، نشأ ببلدته فحفظ القرآن، ثم ارتحل إلى صنعاء لطلب العلم، فبرع في علمي الفقه والفرائض.

درّس وأفتى في صنعاء، وولّي القضاء مدّة أربعين سنة، وما ترك طلب العلم في أيّام قضاائه، ولا رغب عن التدريس لطلبته، فكان يقرئ الفقه في مسجد صلاح الدين وفي مسجد الأبرز، ويقرئ الفرائض في الجامع الكبير في شهر رمضان.

وقبل وفاته بنحو سنتين تجرّد للاشتغال بالعبادة، وصرف نفسه عن مباشرة القضاء، وترك ولدين أكبرهما محمد بن عليّ الشوكاني، شيخ الإسلام المجتهد - الآتي ترجمته -، ويحيى الذي كان مشغولاً بقراءة علوم الاجتهاد، قد انتفع في أنواع منها، مع كمال اشتغاله بعلم الفروع^(٣).

(١) البدر الطالع ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) البدر الطالع ص ٨٥٢ - ٨٥٥.

(٣) البدر الطالع ص ٤٨٠ - ٤٨٦.

* أحمد بن محمد بن أحمد بن مطهر القابلي (١١٥٨هـ - ١٢٢٧هـ): برز في علم الفقه وتفرد فيه حتى لم يبق له فيه نظير، فكان شيخ الفروع في عصره بلا مدافع، أقرأ الطلبة في جامع صنعاء، فتنافسوا في الأخذ عنه وعكفوا عليه وانتفعوا به حتى صاروا شيوخا ومفتين وقضاة. اعتمد الناس عليه في الفتوى وقصدوه بالمشكلات من كل مكان^(١). وكان خاتمة أعلام اليمن في هذا الدور:

* محمد بن عليّ الشوكاني (١١٧٣هـ - ١٢٥٥هـ): نشأ بصنعاء فحفظ القرآن الكريم ثم حفظ المختصرات وقرأ على والده وعلى غيره من أعلام عصره وطالت ملازمته لشيخه أحمد بن محمد الحرازي نحو ثلاث عشرة سنة، وبه انتفع في الفقه وتخرّج عليه ولم تكن له رحلة خارج اليمن لعدم الإذن له من الأبوين.

جدّ واجتهد في الطلب، وتصدّى للتدريس والفتوى والتصنيف، وفرّغ نفسه لإفادة الطلبة، فكانوا يأخذون عنه في كلّ يوم ثلاثة عشر درساً في علوم مختلفة، وكان في أيام قراءته على الشيوخ، وإقراءته لتلامذته يفتي أهل صنعاء، ومن وفد إليها، وترد عليه الفتاوى من ديار تهامة، وشيوخه إذ ذاك أحياء.

كانت الفتيا تدور عليه من عوام الناس وخواصهم، واستمرّ يفتي من نحو العشرين من عمره، وكان لا يأخذ على الفتيا شيئاً تنزّها، فإذا عوتب في ذلك قال: أنا أخذت العلم بلا ثمن، فأريد إنفاقه كذلك.

كان منشغلاً في جميع أوقاته بالعلم بالدرسا وتدريسا وإفتاء وتصنيفا، وترك التقليد واجتهد رأيه اجتهادا مطلقا غير مقيّد، وهو قبل الثلاثين، وابتلي بالقضاء في مدينة صنعاء سنة ١٢٠٩هـ، وهو في السادسة والثلاثين من عمره، واستمرّ على تلك الخطة أكثر من أربعين سنة.

(١) البدر الطالع ص ١١١ - ١١٢.

كان يرى أنّ مذهب الظاهر هو العمل بظاهر الكتاب والسنة بجميع الدلالات، وطرح التعويل على محض الرأي، الذي لا يرجع إليهما بوجه من وجوه الدلالة، وكان يقول: «وإذا أمعنت النظر في مقالات أكابر المجتهدين المشتغلين بالأدلة وجدتها من مذهب الظاهر بعينه، بل إذا رزقت الإنصاف وعرفت العلوم الاجتهادية كما ينبغي، ونظرت في علوم الكتاب والسنة حقّ النظر، كنت ظاهرياً، أي عاملاً بظاهر الشرع منسوباً إليه، لا إلى داود الظاهري، فإنّ نسبتك ونسبته إلى الظاهر متّفقة، وهذه النسبة هي مساوية للنسبة إلى الإيمان والإسلام، وإلى خاتم الرسل عليه أفضل الصلوات والتسليم»^(١).

اشتغل جماعة من أهل عصره بالحطّ عليه بما يقتضيه اجتهاده في كثير من المسائل كما هو دأب اليمن وأهله، بل دأب جميع المقصّرين مع من يمشي مع الدليل من العلماء.

صنّف تصانيف كثيرة مطوّلة ومختصرة، فمنها: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار في الأحكام، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول والقول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، ورسائل في مسائل شتى جمعها في كتاب سمّاه: الفتح الربّاني في فتاوى الشوكاني، وله حاشية على كتاب الأزهار سمّاهها: السيل الجرار على حدائق الأزهار، وهي مشتملة على تقرير ما دلّ عليه الدليل، ودفع ما خالفه والتعرّض لما ينبغي التعرّض له والاعتراض عليه من شرح الجلال وحاشيته^(٢).

وأما المذهب الشافعي فكان من أشهر أعلامه الذين أحيوا لليمن معالمها، وأوضحوا مجاهلها، وجدّدوا مآثرها:

* أحمد بن أبي بكر بن عبدالله الحضرمي الزبيدي (٧٨٧هـ): مفتي

(١) البدر الطالع ص ٨٠٨.

(٢) البدر الطالع للشوكاني - ترجمة له من إنشائه - ص ٧٣٢ - ٧٤١ وص ٤٦٧ وص ١٧٣ وص ١١٢، وص ١٣ مقدّمة المحقّق، فهرس الفهارس ١٠٨٢/٢ - ١٠٨٧، كشف الظنون ٢٨٤/٦ - ٢٨٦.

أهل اليمن في زمانه، الذي انتهت إليه الرئاسة في ذلك^(١).

* أبو بكر بن محمد بن صالح الجبلي اليمني المعروف بابن خياط (٧٤٢هـ - ٨١١هـ): نشأ بتعز، وتفقه بجماعة من أئمة بلده، ترقى في العلوم ومهر في الفقه، درس بالأشرفية وبالشمسية وبالمعينية وغيرها من مدارس تعز، وتخرج به جماعة.

انتهت إليه رئاسة الفقه، ولم يزل متصدياً لنشر العلم ببلده حتى صار علماء اليمن تلامذته، ونفع الله به في الفقه والحديث، وفي أصول الفقه وأصول الدين، وغيرها من العلوم.

له أجوبة كثيرة على مسائل شتى، وكان قد ولي القضاء مكرها مدة يسيرة ثم استعفى^(٢).

* شهاب الدين أحمد بن رضي الدين الناشري الزبيدي (٧٤٢هـ - ٨١٥هـ): برع في الفقه، وكان غاية في الحفظ وجودة النظر في دقائق الفقه.

قصده الناس من الآفاق وازدحموا عليه وتخرج به أهل بلده مدة طويلة، ولي قضاء زبيد وأعمالها، وإليه انتهت رئاسة الفتوى ببلده.

درس بالصلاحية بزبيد، وغيرها من المدارس، وبذل همته للطلبة سيما الذين يأنس منهم الفائدة، حتى كان يقصد أحياناً طالب العلم إلى موضعه بنفسه^(٣).

* إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله الشرجي اليماني الحسيني (٧٥٤هـ - ٨٣٧هـ): نسبة لأبيات حسين من بلاد اليمن، كان يعرف بالمقري الزبيدي، نشأ ببلدته أبيات حسين وبها تفقه، ثم انتقل إلى زبيد وأكمل تفقهه على علمائها.

(١) شذرات الذهب ٣٩/٧ - ٤٠، الدرر الكامنة ١/١١١.

(٢) شذرات الذهب ٢١٧/٧، الضوء اللامع ٧٨/١١ - ٧٩.

(٣) شذرات الذهب ٢٥٧/٧ - ٢٥٨، الضوء اللامع ١/٢٥٧.

ولي تدريس المجاهدية بتعز، والنظامية بزبيد، فأفاد الطلبة وانتشر ذكره في سائر البلاد.

كان فقيهاً محققاً، متفرداً في الذكاء، واستخراج الدقائق، حتى قيل إنه لم يبلغ رتبته أحد من أبناء عصره، ولم ينجب اليمن مثله في فقهاء الشافعية.

من مصنفاته: عنوان الشرف الوافي في الفقه، وقد وقع هذا الكتاب عند سائر علماء عصره ببلده وغيرها موقعا عظيما، وله الروض مختصر الروضة للنووي، والإرشاد وهو كتاب في فقه الشافعية غاية في الإيجاز مع كثرة المعاني، انتشر في الآفاق واشتغل به علماء الشافعية في الأقطار، وشرحه جماعة منهم، وله مختصر الحاوي الصغير وشرحه، وغير ذلك من التصانيف^(١).

وكان يعاصره ثلاثة من أقطاب زمانهم اشتهروا بمدينة تعز اليمنية، وبها درسوا وأفتوا، وهم:

* جمال الدين محمد بن رضي الدين ابن الخياط اليمني (٧٨٧هـ - ٨٣٩هـ): حافظ البلاد اليمنية، تفقه بأبيه وغيره حتى مهر وأجيز بالإفتاء والتدريس.

كان من الفقهاء المعتبرين باليمن، درس بتعز، وإليه انتهت رئاسة الفتوى بتعز بعد موت قاسم الدميني سنة ٨٣٢هـ، كما انتهت إليه رئاسة العلم بالحديث ببلاد اليمن، وكان بعض معاصريه يكاتبه، فيقول: إلى الليث ابن الليث، والماء ابن الغيث^(٢).

* ولي الدين عبدالولي بن محمد بن الحسن الخولاني اليمني (٨٣٩هـ): ولد بقرب تعز، ولازم بها الإمام رضي الدين بن الخياط،

(١) البدر الطالع ص ١٥٨ - ١٦١، الضوء اللامع ٢/٢٩٢ - ٢٩٥، شذرات الذهب ٧/٣٥٤ - ٣٥٥.

(٢) شذرات الذهب ٧/٣٦٦، الضوء اللامع ٧/١٩٤ - ١٩٥.

وغيره من أعلام عصره، ومهر إلى أن صار مفتي تعز مع ابن الخياط.
تفرغ للتدريس بالمؤدبة نيابة عن موفق الدين الناشري، وظهرت بركته
على تلاميذه^(١).

* موفق الدين علي بن أبي بكر اليميني الشهير بالناشري (٧٥٤هـ -
٨٤٤هـ): قاضي القضاة، وعالم مدينة تعز باليمن، وقاضيها ومفتيها، ولد
بزيد، وبها نشأ وتفقه بأبيه وعمه وطبقتهما.

أكثر في شببته من الحج والزيارة، وولي القضاء بنواحي من اليمن،
ثم استقر على قضاء زيد، وولي تدريس الأشرفية بها.

كان ماهرا في الأحكام، وكتب بخطه الكثير من المصنفات، منها:
الزوائد والجواهر المثمنات المستخرج من الشرح والروضة والمهمات،
والثمر اليانع وتحفة النافع^(٢).

ثم كان بعد هؤلاء:

* عمر بن مجد السراج أبو حفص اليماني الزبيدي (٨٠١هـ -
٨٨٧هـ): نشأ بزيد، وبها قرأ، ثم اشتغل بالتدريس والتصنيف، فرحل إليه
الطلبة وقصدوه من الأماكن البعيدة، وانتفع به في الفقه أهل اليمن طبقة
بعد طبقة حتى صار غالبهم من تلامذته.

من مصنفاته: مهمات المهمات، اختصر فيها مهمات الأسنوي،
والإبريز في تصحيح الوجيز للإمام الغزالي، والإمام لما في الروضة من
الأوهام للنووي، وأفرد زوائد الأنوار على الروضة وسماه: أنوار الأنوار
لعمل الأبرار للأردبيلي، وكذلك فعل في جواهر القمولي، وتقريب المحتاج
إلى زوائد شرح ابن الملقن على المنهاج للنووي لابن الملقن، وغير
ذلك^(٣).

(١) شذرات الذهب ٣٦٦/٧، الضوء اللامع ٩٦/٥.

(٢) شذرات الذهب ٣٨٧/٧، الضوء اللامع ٢٠٥/٥.

(٣) البدر الطالع ص ٥١٤ - ٥١٥، كشف الظنون ٦٣٣/٥.

* عمر بن محمد بن معيب السراج أبو حفص الزبيدي (٨٠١هـ - ٨٨٨هـ): ويعرف بالفتى، فقيه اليمن الذي ولد بزبيد وبها نشأ وحفظ القرآن، وتفقه على شيوخ عصره حتى تميز، ثم تنقل في قرى زبيد فقراً عليه أهل تلك الجهة، وقصده الطلبة من الأماكن النائية.

كان الناس يفزعون إليه في كل معضلة من ظلم ظالم، أو قهر حاكم، أو عناد مخاصم، فلا يقصر عن نفعهم جهده.

درس بالنظامية وبغيرها من المدارس، وكان في إيصال المفاهيم الدقيقة وتقريبها إلى الأذهان لا يلحق، فانتفع به الطلبة، وتفقه عليه من لا يحصى من بلاد شتى، وكثرت تلاميذه، وقصد بالفتاوى من الأماكن البعيدة، وانتفع به في الفقه أهل اليمن طبقة بعد أخرى حتى أصبح غالب فقهاء اليمن من تلامذته وأصحابه، وكان الطلبة يرجحون فقهه على سائر المشهورين في عصره، حتى صار فقيه اليمن قاطبة.

من مصنفاته: مهمات المهمات اختصر فيه مهمات الأسنوي اختصاراً حسناً اقتصر فيه على ما يتعلّق بالروضة خاصة، مع مباحثات مع الأسنوي، واستدراك كثير، وقرىء عليه مرات عديدة فكان في كل مرة ينقحه ويحرّره حتى صار في نهاية الإفادة، وله الإبريز في تصحيح الوجيز، وأفرد زوائد الأنوار على الروضة وسماه أنوار الأنوار، وكذا فعل في جواهر القمولي وشرحي المنهاج والعمدة والعجالة كلاهما لابن الملقن، وكان يقول: من حصلها مع الروضة استغنى عن تلك الكتب، سمى أولها جواهر الجواهر، وثانيها: تقريب المحتاج في زوائد شرح ابن النحوي للمنهاج، وثالثها: الصفاة في زوائد العجالة^(١).

* عبدالله بن أحمد بن علي الحضرمي العدني (٨٣٣هـ - ٩٠٣هـ): المعروف بأبي مخزومة، ولد بالهجرين وحفظ بها القرآن، ثم رحل إلى عدن وتفقه بها، ودأب واجتهد، واشتغل بالعلم، وتقدّم في الفقه وأصوله

(١) شذرات الذهب ٤/٨، الضوء اللامع ١٣٢/٦ - ١٣٤.

والعربيّة والحديث والتفسير، حتّى ساد الأقران وصار عمدة يرجع إلى قوله، وأفتى في زمن مشائخه.

ولي قضاء عدن نحو أربعة أشهر، ثم ترك ذلك وتوجّه لنفع الطلبة خاصّة، وصتّف على جامع المختصرات نكتا لطيفة جمعها في كتاب، وله فتاوى جيّدة وعبارات محكمة^(١).

وكان يعاصره أعلام سارت بفضلهم الركبان، ووقع على تقدّمهم في الفقه الإجماع، منهم:

* جمال الدين محمد بن حسين القماط الزبيدي (٨٢٨هـ - ٩٠٣هـ):
الذي ولد بزبيد، ونشأ بها واشتغل بالعلم ولازم القاضي الناشري، وبرع في الفقه وأفتى ودرّس، وكان لا يملّ الاشتغال والأشغال^(٢).

* جمال الدين محمد بن عبدالسلام الناشري (٩٠٦هـ): قاضي زبيد وإمامها وعالمها، وهو خاتم القضاة الناشرين بزبيد^(٣).
ومنهم كذلك ابنه:

* بامخرمة أحمد بن عبدالله بن أحمد اليميني (٨٦٦هـ - ٩١١هـ):
الذي أخذ عن والده، وبرع في الفقه وغيره من العلوم، لاسيّما الفرائض والحساب، حيث لم يكن له فيهما نظير، حتّى إنّ والده مع تمكّنه من هذين العلمين، كان يقول: هو أمهر متّي فيهما.

وكان يحفظ جامع المختصرات في الفقه، وممّن أخذ عنه من الأئمة الفقيه محمد بن عمر باقضام وانتفع به كثيراً^(٤).
وفي القرن العاشر تلقى:

(١) شذرات الذهب ٥٢/٨ - ٥٣، الضوء اللامع ٨/٥، الأعلام ٦٨/٤.

(٢) شذرات الذهب ٥٣/٨.

(٣) شذرات الذهب ٦٥/٨.

(٤) شذرات الذهب ٨٤/٨.

* كمال الدين موسى بن زين العابدين بن أحمد الرداد البكري (٩٢٣هـ): مفتي زبيد وعالمها، وشافعي زمانه، ورئيس أقرانه علماً وعملاً، كان له القدم الراسخة في المذهب، فأفتى ودرّس وانتشر صيته في جميع الآفاق، فرحل إليه الطلبة، ورغبوا في الأخذ عنه، واعترف له العلماء بالإمامة، وقصد للفتوى من كلّ نجد وتهامة.

روى فقه الإمام الشافعي من طريق العراقيين والمرأوزة، ووضع الأجوبة الرائقة والبحوث الفائقة، والشروح المتداولة المنقولة، منها: الكوكب الوقاد شرح الإرشاد، وفتاوى جمعها ابنه المحقق فخر الدين أبو بكر وربّتها ترتيباً حسناً، وزاد عليها زيادات مفيدة^(١).

* حمزة بن عبدالله بن محمد الناشري اليميني (٨٣٣هـ - ٩٢٦هـ): كتب له بالإجازة علماء مصر مثل ابن حجر العسقلاني والشيخ زكرياء الأنصاري والسيوطي وغيرهم، اشتهر بالعلم وله مصنّفات كثيرة في مسائل من الفقه متفرقة^(٢).

* عفيف الدين عبدالله بن أحمد سرومي الشحري (٩٤٣هـ): ولد بالشحر ونشأ بها، ثمّ رحل إلى زبيد وطلب العلم، ثمّ رجع إلى بلده الشحر ووَلّي قضاءها^(٣).

* باعلوي أحمد شريف بن عليّ (٩٠٥هـ - ٩٥٧هـ): القاضي، جدّ واجتهد حتّى برع وحاز الرئاسة والفتوى، وُلّي قضاء وادي ابن راشد، الذي يشتمل على مدن متعدّدة من أرض حضرموت^(٤).

* باقشير عبدالله بن محمد اليميني الحضرمي (٩٥٨هـ): كان من الأئمة المحقّقين والعلماء العاملين والفقهاء البارعين، من مصنّفات الفقهية:

(١) شذرات الذهب ١٦٧/٨ - ١٦٨.

(٢) شذرات الذهب ١٨٣/٨ - ١٨٤، الضوء اللامع ٣/١٦٤.

(٣) شذرات الذهب ٣٠١/٨.

(٤) شذرات الذهب ٣٦٩/٨ - ٣٧٠.

قلائد الخرائد وفرائد الفوائد، وصف بأنه نافع جداً^(١).

* شهاب الدين أحمد بن عثمان بن محمد اليميني (٩١٥هـ - ٩٦٥هـ): ولد بزييد، واشتغل في العلوم، وكان يحفظ كتاب الإرشاد في الفقه، وبرع حتى صار من كبار أهل الفتيا والتدريس، فكانت الفتاوى تأتيه من البلاد البعيدة فيجيب عنها^(٢).

* وجيه الدين عبدالرحمن بن حسين بن الصديق الأهدل اليميني (٨٩١هـ - ٩٧١هـ): ولد بزييد، وبها نشأ وقرأ القرآن، فتح الله عليه فتوح العارفين حتى نَصّب للمشيخة وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فكثر أتباعه وأصحابه من المشائخ والعلماء والقضاة^(٣).

* عبدالله بن عمر بن عبدالله بن أحمد مخرمة (٩٧٢هـ): جدّ واجتهد حتى برع وانتصب للفتوى والتدريس، وانتهت إليه رئاسة العلم والفتوى في جميع جهات اليمن، وقصد بالفتاوى من الجهات النازحة والأقاليم البعيدة، وصار عمدة يرجع إلى فتواه.

تدلّ أبحاثه وأجوبته على قوة فطنته وغازاة علمه، من تصانيفه: الفتاوى^(٤).

* عزّ الدين أبو نصر عبدالسلام بن وجيه الدين بن زياد اليميني (٩٤٣هـ - ٩٧٥هـ): تلقى العلم عن أبيه، وتغذى بعلومه وفوائده، حتى قرّت به عين والده، ودرّس وأفتى في حياته.

صنّف مصنّفات لا يستغني عنها فقيهه، وكتب معاصرو أبيه على فتاويه، وانفرد بعد والده بالإفتاء، مع اكتظاظ البلد بكثرة العلماء^(٥).

ونلقى بعد القرن العاشر أمثال:

(١) شذرات الذهب ٣٧٦/٨ - ٣٧٧، معجم المؤلفين ١١٧/٦، الأعلام ١٢٨/٤.

(٢) شذرات الذهب ٤٠٥/٨.

(٣) شذرات الذهب ٤٢٦/٨ - ٤٢٧.

(٤) شذرات الذهب ٤٣١/٨ - ٤٣٢، معجم المؤلفين ٩٥/٦، الأعلام ١١٠/٤.

(٥) شذرات الذهب ٤٤٤/٨ - ٤٤٥، معجم المؤلفين ٢٢٥/٥.

* إسحاق بن محمد بن إبراهيم بن جعمان الزبيدي (١٠٧٦هـ):
صاحب الحاشية الأنيقة على مسائل المنهاج الدقيقة في الفقه الشافعي^(١).

* السيد سليمان بن يحيى بن عمر الأهدل الزبيدي (١١٩٧هـ): أخذ
عن جماعة من أعيان بلده، وبرع في العلوم العقلية والنقلية، وعكف على
التدريس، فأخذ عنه أهل بلده ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد.

كان المفتي في الجهات الزبيدية على مذهب السادة الشافعية،
والمرجوع إليه في جميع المشكلات، ولما توفي قام مقامه ابنه عبدالرحمن
في وظيفة التدريس والإفتاء على حداثة سنّه، وفتاويه متقنة ينقل في كل ما
يرد عليه من الأسئلة نصوص أئمة مذهبه من الشافعية^(٢).

* عبدالرحمن بن محمد بن الحسين بن عمر باعلوي الحضرمي (بعد
١٢٥١هـ): مفتي الديار الحضرمية وصاحب كتاب بغية المسترشدين في
تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين الذي فرغ من تأليفه سنة
١٢٥١هـ^(٣).

وأما المذهب الحنفي، فكانت له نوع مشاركة في هذه البلاد، فكان
من حين إلى آخر يظهر منهم من تبتهج برؤيتهم الأنظار، وتسعد بذكرهم
الأسماع.

ومن هؤلاء نذكر:

* أبو بكر بن علي بن موسى الهاملي سراج الدين (٧٦٩هـ): الفقيه
الحنفي نزيل زبيد، من مصنفاته در المهتدي وذخر المقتدي في فروع الفقه
الحنفي، ويعرف بالمنظومة الهاملية، وله شرح على مختصر القدوري^(٤).

* محمد بن عبدالله بن شوعان الزبيدي (٨٢٢هـ): انتهت إليه الرئاسة

(١) كشف الظنون ١٦٦/٥.

(٢) البدر الطالع ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٣) كشف الظنون ٤٥١/٥.

(٤) كشف الظنون ١٩٣/٥.

في مذهب أبي حنيفة بزيب، ودرّس وأفاد^(١).

* جمال الدين محمد بن علي الطيب اليميني (٩٠٨هـ): إمام الحنفيّة بجامع زيب، وفقهها^(٢).

* جمال الدين محمد بن الصديق الخاص الزبيدي (٩٩٧هـ): من كبار علماء زيب وأعيان المدرسين بها والمفتين على مذهب الإمام أبي حنيفة، قيل إنّه لم يكن له نظير في زمانه^(٣).

* صديق بن علي المزجاجي الزبيدي الحنفي (١٢٠٩هـ): وكان محققاً في فقه الحنفيّة، وقد جرت بينه وبين الإمام الشوكاني مذكرات في عدّة علوم، ومراجعات في مسائل^(٤).

وأما بلاد الحجاز فقد كانت تحت أيدي الشيعة، حيث كانت الخطابة والقضاء مع آل سنان بن عبدالوهاب الحسيني، وكانوا يؤذون أهل السنّة كثيراً لغلبة الرفض على أمراء البلد وإقامتهم الحكام والقضاة من قبلهم، فكان سلطان مصر يرسل مع الموسم إماماً من أهل السنّة يؤمّ الناس إلى شهر رجب، ثم يرسل غيره، ولا يستطيع أحداً من الأئمّة أن يقيم أكثر من ذلك لكثرة الإذابة التي يتعرّضون إليها من أهل الرفض، حتّى إنّه كان إذا خطب إمام أهل السنّة اصطفّ الأعوان أمامه يحمونه من الرجم.

ويفيدنا الإمام السخاوي أنّ أوّل من أوجد موطن قدم راسخة من أهل السنّة بهذه البلاد، هو الشيخ سراج الدين عمر بن أحمد بن طراد الخزرجي المصري الشافعي (٧٢٦هـ) الذي قدم المدينة سنة ٦٨٢هـ بأمر من السلطان المنصور قلاوون بولاية الخطابة، فاستطاع بفضل صبره على الأذى، أن ينتزعها من أيدي الرفض الذين وصل بهم الأمر بادية الأمر إلى مصادرة

(١) شذرات الذهب ٢٨٨/٧، الضوء اللامع ٩١/٨.

(٢) شذرات الذهب ٦٨/٨.

(٣) شذرات الذهب ٥١٠/٨.

(٤) البدر الطالع ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

أملاكه، فانتزع سلطان مصر عوض ما صودر به الشيخ من أقطاع أهل المدينة، فعند ذلك كفّوا عنه^(١).

وكان الشيخ سراج الدين قد عرف بمداراته لهم، من ذلك أنّه صاهر بعض الإماميّة، وحين جاءه التقليد من السلطان الناصر بولاية القضاء، أخذ الخلعة وتوجّه بها إلى الأمير الرافضي منصور بن جمّاز، وقال له: جاءني مرسوم السلطان بولاية القضاء، وأنا لا أقبل حتّى تأذن، فقبل قضاءه بشرط عدم تعرّضه لهم، فبقي آل سنان يشرفون على أغلب الأمور التنفيذية حتّى الحبس والإشراف على الأعوان، وتمكّن الشيخ سراج الدين من الاستمرار في خطّة الخطابة أربعين سنة^(٢).

ويفيدنا صاحب الديباج المذهب أنّ عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون (٧٦٩هـ) كان بهمّته وسياسته قد أعانه الله على إزالة أحكام الطائفة الإماميّة من المدينة، فعزل قضاتهم وانكسرت شوكتهم، وذلك أنّه لما باشر الأحكام في سنة ٧٤٦هـ سعى في عزل قضاة الإماميّة، فنودي في شوارع المدينة بتوقيف العمل بأحكامهم، والإعراض عن حكّامهم، فكان ذلك أوّل أسباب قوّة أهل السنّة وعلوّ أمرهم^(٣).

ومن ذلك الوقت بدأ كثير من علماء أهل السنّة يوافون بلاد الحجاز، ويفدون عليها في المواسم وغيرها يجاورون المدينة المنورة ومكّة المشرفّة، فدخل البلاد كثير من محقّقي المذاهب السنيّة الأربعة، حتّى أصبح لأهل العلم فيها رونق تام وبهجة وافرة.

فأمّا المذهب الشافعي الذي كان قد شقّ طريقه في هذه البلاد منذ الأدوار السابقة، فقد عزّز وجوده في هذا الدور.

وأما المذهب المالكي فبعد انقطاع طويل عن هذا المركز، استطاع أن

(١) الدرر الكامنة ١٥٠/٣.

(٢) شذرات الذهب ٢٣٠/٦، الدرر الكامنة ١٤٩/٣ - ١٥٠.

(٣) الديباج المذهب ص ٢٣٦.

يجدّد حضوره في هذا الدور، وخصوصاً عن طريق أعلام أهل المغرب الذين وفدوا على الحرمين وجاوروا بهما، ونبغوا في الفقه وتولّوا خِطّة القضاء.

وأما المذهب الحنفي فقد كانت له مشاركة مع سائر المذاهب السنيّة في القضاء، خاصّة وأنّه قد أصبح المذهب الرسمي للخلافة العثمانيّة التي سيطرت على كافّة البلاد العربيّة والإسلاميّة.

وأما المذهب الحنبلي فرغم أنّه لم يعرف أوّل الأمر انتشاراً بهذا المركز، ورغم أنّ أوّل قاضٍ ولّي قضاء الحنابلة بمكّة كان سنة ٨٠٩هـ^(١)، فإنّ هذا المذهب قد كان له شأن أعظم في نهاية هذا الدور، حتّى أنّه قد استقلّ بهذا المركز الفقهي من دون المذاهب الأخرى وحلّ محلاً مقبولاً في قلوب أهل نجد وأصبح المذهب السائد بلا منازع.

وفيما يلي لمحة عن أعلام بلاد الحجاز وفقهاء المذاهب السنيّة الذين ارتفع بذكرهم هذا المركز الفقهي:

فأما المذهب الحنفي، فاشتهر منهم:

* ضياء الدين محمد بن محمد بن سعيد الهندي (٧٨٠هـ): نزيل المدينة ثمّ مكّة، ووالد شهاب الدين بن الضياء، وقاضي الحنفيّة بمكّة، كان عارفاً بالفقه، يدرّس بمكّة فقه الحنفيّة، غير أنّه كان شديد التعصّب لمذهبه، كثير الوقعة في الشافعيّة^(٢).

* جمال الدين محمد بن عبداللطيف الزرندي المدني (٨٠٠هـ): الذي اعتنى بعلمي الفقه والحديث، وبرع في مذهب أبي حنيفة^(٣).

وكان يعاصره:

(١) الضوء اللامع ٣٣٣/٤ - ٣٣٤، شذرات الذهب ٤٩٣/٧ - ٤٩٤.

(٢) شذرات الذهب ٧/٧، الدرر الكامنة ١٧٧/٤.

(٣) شذرات الذهب ١٢٣/٧.

* أبو طاهر أحمد بن محمد الأخوي الخجندي (٧١٩هـ - ٨٠٢هـ):
نزىل المدينة المنورة، طلب العلم ببلدته خجندة ثم ارتحل منها وهو ابن
اثنى عشر سنة، وأول ما حلّ بسمرقند ثم بخارا فأقام بها أكثر من
سنة، ولقي بها صدر الشريعة واستفاد منه، ثم دخل خوارزم وأقام بها اثنتي
عشرة سنة، ووافى بها من محققي العلماء شيوخا وكهولا وشباناً عددا
كثيراً، ثم دخل قرم وأقام بها نحو سنتين، ثم رحل إلى دمشق والعراق،
وغيرها من بلاد الإسلام.

كان خلال تلك الرحلات الكثيرة مشغولاً بالمذاكرة وطلب العلم، وقد
لاقى جمهرة من العلماء المحققين في كل بلد من بلاد المسلمين، وأدرك
أفلاطون زمانه القطب الرازي، وحافظ الدين وسعد الدين التفتازانيان،
وغيرهم من العلماء.

استوطن المدينة المنورة وهو ابن أربعين سنة، وأشغل الناس بها أكثر
من أربعين سنة، يدرّس وينشر العلم ويفتي لأهلها وللواردين عليها، حتى
أصبح رأس المدرّسين في المدينة النبوية، وانتفع بعلمه أهلها وغيرهم من
الوافدين عليها.

وكان كل من أبيه وجدّه وجدّ أبيه علماء، وكان أبوه يكتب إليه من
بلاده، وهو بالمدينة الشريفة^(١).

* شمس الدين محمد بن محمود بن بون الخوارزمي المعروف
بالمعيد (٨١٣هـ): نزىل مكة، جاور بها أكثر من أربعين سنة، وسمع
الحديث وتفقه وبرع وأفتى ودرّس واستقرّ معيدا بدرس الحنفية للأتابك يلبغا
بمكة، وأخذ عنه الكثير من فقهاء مكة وغيرهم من غير أهلها.

ولي إمامة مقام الحنفية بمكة سنة ٧٨٠هـ، واستمرّ على الإمامة بها
أكثر من ثلاثين سنة، ثم تركها لولده قبل موته بأيّام.

كان بارعا في الفقه والأصول والعربية، وتصدّر للإقراء بالمسجد

(١) شذرات الذهب ١٣٩/٧، الضوء اللامع ١٩٤/٢ - ٢٠١.

الحرام عدّة سنوات، وانتفع الناس به، وحجّ خمسين حجّة، ومات وقد جاوز الثمانين^(١).

* زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن يوسف بن الحسن بن محمود الزرندي (٧٤٦هـ - ٨١٧هـ): نسبة إلى زرنند بلد بأصبهان، ولد بالمدينة المنورة، وبها تفقه وبرع في الفقه وغيره من العلوم وتميّز.

ولي قضاء الحنفيّة بالمدينة النبويّة بعد أخيه أبي الفتح سنة ٧٨٣هـ، واستمرّ على قضائها نحو من ثلاث وثلاثين سنة، وولي حسيبتها، فحمدت سيرته لعفته^(٢).

* أبو البقاء محمد بن أحمد القرشي الصاغاني الأصل المكي (٧٨٩هـ - ٨٥٤هـ): المعروف بابن الضياء، عالم مكّة ومفتيها على مذهبه، ولد بمكّة وبها نشأ فأخذ الفقه عن أبيه، وقرأ على كبار علمائها، ثمّ رحل إلى القاهرة في مناسبات كثيرة، فأخذ الفقه عن قارئ الهداية، وأخذ عن ابن حجر وطبقته، وأجاز له البلقيني وابن الملتن وغيرهما، ثمّ رحل وطوّف البلاد، ومع ذلك فلم تفته وقفة بعرفة منذ أن بلغ الحلم إلى أن مات.

كان متقدّماً في الفقه والأصلين والعربية، وضرب في العلوم بنصيب وافر، وكان عظيم الرغبة في المطالعة والانتقاء، حتّى قال من عرفه: ما رئي أكثر من خمسين سنة إلاّ يطالع أو يكتب.

حدّث ودرّس وأفتى وصنّف، وناب في القضاء بمكّة عن أبيه، ثمّ استقلّ بقضائها بعده، ثمّ أضيف إليه نظر الحرم والحسبة، ثمّ انفصل عنهما خاصّة.

من مصنفاته: البحر العميق في مناسك حجّ بيت الله العتيق، وتنزيه

(١) شذرات الذهب ٢٣٣/٧، الضوء اللامع ٤٥/١٠ - ٤٦.

(٢) شذرات الذهب ٢٥٥/٧، الضوء اللامع ١٠٥/٤ - ١٠٦.

المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام، شرح الوافي للنسفي في الفروع، وغيرها^(١).

وفي القرن العاشر برز:

* شهاب الدين أحمد البخاري المكي (٩٣٨هـ): إمام الحنفية بالمسجد الحرام^(٢).

* شهاب الدين أحمد بن شمس الدين بن السراج البخاري الأصل المكي (٨٨٣هـ - ٩٤٨هـ): ولد بمكة، واشتغل بالعلم، ثم دخل القاهرة مرارا وسمع فيها كثيراً من الفقه والحديث على جماعة من علمائها مثل جلال الدين السيوطي وغيره، وكان قد ولي القضاء والإمامة والمشخة^(٣).

* يحيى بن إبراهيم الخجندي المدني (٩٦٣هـ): قاضي الحنفية بالمدينة المنورة وإمامهم بها بالمحراب النبوي الشريف^(٤).

* قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضي خان الهندي ثم المكي (٩١٧هـ - ٩٩٠هـ): أخذ العلم عن والده، وعن الشيخ محمد التونسي والشيخ ناصر الدين اللقاني، وغيرهم. كان بارعا متفتنا في الفقه والتفسير والعربية^(٥).

وفي بداية القرن الحادي عشر، ظهر:

* علي بن جار الله بن ظهيرة القرشي (١٠١٠هـ): قاضي المذهب الحنفي بمكة، وصاحب الفتاوى الظهيرية^(٦).

(١) البدر الطالع ص ٦٣٧، الضوء اللامع ٨٤/٧ - ٨٥، كشف الظنون ١٥٧/٦.

(٢) شذرات الذهب ٢٧٤/٨، الكواكب السائرة ١١٧/٢.

(٣) شذرات الذهب ٣٢٤/٨.

(٤) شذرات الذهب ٤٠١/٨، الكواكب السائرة ٢٥٨/٢.

(٥) شذرات الذهب ٤٩٠/٨ - ٤٩٢، الكواكب السائرة ٤٤/٣، الأعلام ٦/٦، معجم المؤلفين ١٧/٩.

(٦) كشف الظنون ٦٠٠/٥.

* منلا عليّ قاري بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي (١٠١٤هـ):
ولد بهراة ورحل إلى مكة واستقرّ بها وأخذ عن جماعة من محقّقي عصره،
وجمع بين العلوم النقلية والعقلية، وتضلّع في السنّة النبويّة.

كان يعترض على الأئمّة، ولا سيّما الإمام الشافعي وأصحابه، وله في
ذلك كتاباً سمّاه: تشييع فقهاء الحنفيّة في تشنيع سفهاء الشافعيّة، واعترض
على الإمام مالك في إرسال يديه وصنّف في ذلك كتاباً سمّاه: شفاء
السالك في إرسال مالك.

وبسبب اعتراضه على الأئمّة نهى كثير من العلماء تلاميذهم عن
مطالعة كتاباته، في حين اعتبر الإمام الشوكاني أنّ ما كان يقوم به الشيخ
ملاً عليّ قاري من اعتراضات على الأئمّة، إنّما هو دليل على علوّ منزلته،
لأنّ المجتهد شأنه أن يبيّن ما يخالف الأدلّة الصحيحة، ويعترضه سواء كان
قائله عظيماً أو حقيراً.

صنّف تصانيف كثيرة، في أنواع العلوم، وقد ذكر له حاجي خليفة
أكثر من مائة مصنّف أغلبها في التفسير والحديث والفقه^(١).

* عبدالرحمن بن عيسى بن مرشد العمري (١٠٣٧هـ): المفتي
الحنفي بمكة المكرّمة، وصاحب التصانيف الكثيرة، منها: فتح مسالك
الرمز في شرح مناسك الكنز، شرح فيه كتاب الحجّ من كنز الدقائق، وله
براعة الاستهلال فيما يتعلّق بالشهر والهلّال، وغير ذلك^(٢).

* حنيف الدين بن عبدالرحمن بن عيسى بن مرشد العمري المكي
(١٠١٤هـ - ١٠٦٧هـ): صاحب شرح المناسك الصغير والوسيط لمنلا
عليّ القاري، وغيرها من المصنّفات^(٣).

(١) البدر الطالع ص ٤٤٩، كشف الظنون ٥/٦٠٠ - ٦٠١.

(٢) كشف الظنون ٥/٤٤٤.

(٣) كشف الظنون ٥/٢٧٧.

- * أسعد بن أبي بكر الأسكداري الرومي (١٠٥٠هـ - ١١١٦هـ):
المدني المولد، مفتي الحنفية بها وصاحب الفتاوى الأسعدية^(١).
- * عبدالكريم بن عبدالله العباسي المدني المعروف بالخليفتي
(١١٣٣هـ): المفتي الحنفي، صاحب الفتاوى^(٢).
- * محمد بن مصطفى حميد الكفوي (١١٧٤هـ): قاضي مكة،
وصاحب الرسائل والشروح الكثيرة في أنواع العلوم^(٣).
- * عبدالله بن إبراهيم الحسيني عفيف الدين أبو السيادة المتقي المكي
الطائفي (١٢٠٧هـ): المعروف بالمحجوب، صاحب فرائض الدين وواجبات
الإسلام لعامة المؤمنين، والإيضاح المبين بشرح فرائض الدين، وغيرها من
المصنفات^(٤).
- * أبو الفتح عثمان بن عبدالله الدمشقي (١٢١٤هـ): المجاور في
المدينة المنورة يدرّس ويعلم إلى أن توفي بها، وصاحب قوت القلوب في
الفقه، ومنهج تحرير المطلوب في شرح قوت القلوب، وشرح الأشباه
والنظائر لابن نجيم^(٥).
- * عبدالملك بن عبدالمنعم بن تاج الدين القلعي (١٢٢٩هـ): نزيل
مكة، صاحب الكواكب الدرية من الفتاوى القلعية، وقد جمعه ورّبه تلميذه
السيد خليل طيلة^(٦).
- * جمال بن عمر المكي (١٢٤٨هـ): المفتي الحنفي ورئيس
المدرّسين بمكة، وصاحب نور الجمال على جواب السؤال^(٧).

(١) كشف الظنون ١٦٩/٥.

(٢) كشف الظنون ٤٩٣/٥.

(٣) المصدر السابق ٢٦٠/٦.

(٤) نفس المصدر ٣٩٧/٥.

(٥) نفس المصدر ٥٣٠/٥.

(٦) نفس المصدر ٥٠٦/٥.

(٧) نفس المصدر ٢١٢/٥.

وأما في المذهب الشافعي، فقد اشتهرت عائلات تربعت على رئاسة العلم والقضاء بهذا المركز، وتداولت خطط التدريس والفتوى والقضاء والخطابة على مدى أجيال، كان أشهرها ألقابا، عائلات: الطبري وابن ظهيرة والنويري.

فأما بيت آل الطبري، فكان أشهر أفراده الذين تعاقبوا على ميدان الفقه والقضاء:

* أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي (٦٣٦هـ - ٧٢٢هـ): شيخ الإسلام وإمام المقام أكثر من خمسين سنة، كان صاحب حديث وفقه ومعرفة بمذهب الشافعي، أفتى لمدة طويلة^(١).

* أبو علي نجم الدين محمد بن محمد بن محب الدين الطبري (٦٥٨هـ - ٧٣١هـ): قاضي مكة ومفتيها، ولي القضاء بعد والده سنة ٦٩٤هـ واستمر بها إلى أن توفي.

تفقه على جده محب الدين، وعلى عم جده يعقوب بن أبي بكر الطبري، ومن غيرهما حتى أصبح فقيهاً بارعا مشهورا، يقصد بالفتاوى من بلاد الحجاز واليمن، وإليه انتهت رئاسة الفتوى في بلده، وقيل إنه لم يخلف في الحرمين مثله^(٢).

ثم كان من بعده ابنه:

* شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الطبري (٧١٨هـ - ٧٦٠هـ): خطيب مكة وقاضيها، ولي قضاء مكة بعد أبيه وهو شاب^(٣).

(١) البداية والنهاية ١٠٣/١٤ النجوم الزاهرة ٢٥٥/٩ الدرر الكامنة ٥٥/١ شذرات الذهب ٢١٠/٦.

(٢) شذرات الذهب ٢٥٨/٦، الدرر الكامنة ١٦٢/٤ - ١٦٣.

(٣) شذرات الذهب ٣٧٩/٦، النجوم الزاهرة ٧٤/٨، الدرر الكامنة ٢٩٧/١ - ٢٩٨.

* أبو اليمن محمد بن أحمد بن إبراهيم الطبري (٧٣٠هـ - ٨٠٩هـ): إمام المقام^(١).

* محيي الدين عبدالقادر بن يحيى بن مكرم بن محب الدين الطبري (٩٧٦هـ - ١٠٣٣هـ): الخطيب الإمام بالمقام والمفتي ببلده الحرام^(٢).

وأما بيت ابن ظهيرة، فمن أشهر أفرادها الذين خلد الدهر ذكراهم:

* شهاب الدين أحمد بن ظهير الدين بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومي المكي (٧١٨هـ - ٧٩٢هـ): هو عم جمال الدين محمد بن عبدالله بن ظهيرة قاضي مكة، ووالد أبي البركات قاضي مكة أيضاً، وجد أبي السعادات قاضي مكة، الآتي ذكرهم.

ولد بمكة وبها تفقه، وأذن له بالإفتاء وتصدّر للاشتغال بالمسجد الحرام فانتفع به الناس، ولّي قضاء مكة وخطابتها ثم عزل سنة ٧٨٨هـ، فلازم تدريس الطلبة بالحرم الشريف إلى أن توفي^(٣).

* عبدالله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومي المكي (٧٢٨هـ - ٧٩٤هـ): أخو قاضي مكة المتقدم، ووالد قاضيها^(٤).

* أبو السعود محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومي المكي (٧٤٥هـ - ٨٠٢هـ): اشتغل بالفقه والفرائض، ومهر فيها، وناب في الحكم عن صهره القاضي شهاب الدين^(٥).

* جمال الدين أبو حامد محمد بن عبدالله بن ظهيرة بن أحمد بن عبدالله بن عطية بن ظهيرة (٨١٧هـ): عني بالحديث ولزم العراقي، وبرع في الفقه بعد أن تفقه بعمّه أبي الفضل النويري، والبلقيني وغيرهما، وانتفع

(١) شذرات الذهب ٢١١/٧، الضوء اللامع ٢٨٧/٦.

(٢) كشف الظنون ٤٨٣/٥.

(٣) الدرر الكامنة ١٤٣/١ - ١٤٤، شذرات الذهب ٧٠/٧.

(٤) شذرات الذهب ٨٣/٧.

(٥) شذرات الذهب ١٤١/٧.

الناس به بمكة وأشغلهم نحواً من أربعين سنة.

له أسئلة تدلّ على باع واسع في العلم استدعى الجواب عنها من البلقيني، فأجابه عنها، وتعرف بالأسئلة المكيّة.

حدّث بكثير من مروياته بالمسجد الحرام، وسمع منه ابن حجر العسقلاني، وولي قضاء مكة وعزل وأعيد مراراً، وتوفي قاضياً بمكة^(١).

* محبّ الدين أحمد بن جمال الدين بن ظهيرة (٧٨٩هـ -

٨٢٧هـ): قاضي مكة وابن قاضيها، ومفتيها وابن مفتيها، ولد بمكة وبها نشأ في كنف أبيه فحفظ القرآن وصلّى به وهو ابن عشر سنين، تفقّه بوالده ولازم دروسه نحو خمس عشرة سنة، فانتفع به كثيراً.

تصدّى لنشر العلم بالمسجد الحرام سنة ٨٠٩هـ، بعد أن أجاز له أعلام عصره بالإفتاء والتدريس، وكان ماهراً في الفقه والفرائض والحساب.

حضر دروسه أهل مكة والغرباء وأثنى الجميع عليه، وكان فصيحاً مسدداً في فتاويه كثير التحقيق في دروسه، جميل المحاضرة، وكانت ترد عليه الأسئلة الكثيرة من أهل الطائف وغيرها فيجيب عنها.

ولي القضاء من سنة ٨١٨هـ إلى أن توفي، فحمدت سيرته، وقيل إنه لم يخلف بعده مثله، بل قيل إن مكة قد خلت بعده ممّن يفتي فيها على مذهب الشافعي^(٢).

* برهان الدين إبراهيم بن عليّ بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة (٨٢٥هـ - ٨٩١هـ): عالم الحجاز، ولد بمكة وبها نشأ وتفقه ولازم في الفقه بالخصوص عمّه أبو السعادات ابن ظهيرة ثمّ هاجر في طلب العلم وجدّ في الطلب واجتهد، فأفاد وأجاد حتّى ذاع صيته وشهد له الأقران بالعلم وكمال أهليته وعلوّ مرتبته.

(١) شذرات الذهب ٢٥٥/٧ - ٢٥٦.

(٢) الضوء اللامع ١٣٤/٢، شذرات الذهب ٣٠٩/٧.

انتهت إليه رئاسة الحجاز، وتصدى في حياة شيوخه للإقراء بالمسجد الحرام غير متقيد بمحلّ يجلس فيه، واستقرّ في خطابة المسجد الحرام بداية من سنة ٨٥٥هـ، ثم انفصل عنها، وولّي نظر المسجد الحرام، وفي سنة ٨٦٢هـ وولّي قضاء الشافعية بمكة عوضاً عن ابن عمّه محبّ الدين ابن أبي السعادات، ثم فصل عنهما فتفرغ لمزيد الإقبال على الاشتغال والتفّ حوله الطلبة للإقراء والسماع منه، فكان حسن التدريس والتقرير، يبدي من الأبحاث الصحيحة والآراء الراجحة ما سارت به الركبان، ولم يكن ينهض من الشيوخ معه إلّا من كان في التحقيق وحسن النظر تام البصيرة، ثم أعيد لوظيفتي القضاء والنظر.

كان كثير الإنصاف مع صيانة ومعرفة بالأحكام ودربة في القضاء، واستحضر لجملة من المتون حتى انفرد عن أقرانه بدون نزاع^(١).

* محمد بن أبي السعود بن إبراهيم ابن ظهيرة (٩٢٧هـ): قاضي قضاة مكة المشرفة^(٢).

* محبّ الدين محمد بن ظهيرة (٩٤٠هـ): قاضي مكة^(٣).

* برهان الدين بن إبراهيم بن ظهيرة (٩١٥هـ - ٩٦٢هـ): قاضي قضاة الشافعية بمكة المشرفة^(٤).

وأما بيت النويري، فمن أعظم أعلامها الذين حفظ التاريخ أسماءهم وألقابهم:

* محبّ الدين أحمد بن أبي الفضل محمد بن أحمد بن عبدالعزيز النويري (٧٥١هـ - ٧٩٩هـ): قاضي مكة وابن قاضيها، تفقه بأبيه وغيره من أعلام عصره، ثم ناب عن أبيه وولّي قضاء المدينة في حياته، ثم

(١) الضوء اللامع ١/٨٨ - ٩٩، شذرات الذهب ١٠/٨، نظم العقيان ص ١٧ - ٢٣.

(٢) شذرات الذهب ١٨٨/٨.

(٣) شذرات الذهب ٨/٢٩١، الكواكب السائرة ٢/٧٠.

(٤) شذرات الذهب ٨/٣٩٠.

تحوّل إلى قضاء مَكّة سنة ٧٨٧هـ، وكان عارفاً بالأحكام^(١).

* عزّ الدين محمد بن أحمد بن محمد النويري المكي العقيلي (٧٧٥هـ - ٨٢٠هـ): ويعرف بابن القاضي محبّ الدين، ولد بطيبة حين كان أبوه قاضياً، فنشأ بها وعني بالفقه كثيراً وكان فيه نبها، حفظ كتاب التنبية وكتاب الحاوي، وكان يذاكر به.

ناب عن أبيه في الخطابة والحكم، واستقلّ بعد وفاته سنة ٧٩٩هـ، ثمّ صرف عن ذلك مراراً بشيخه جمال الدين ابن ظهيرة، ثمّ استقرّت بيده الخطابة ونظر الحرم والحسبة، وكان صارماً في الأحكام عارفاً محتملاً.

قدم مَكّة سنة ٨٠١هـ فأذن له في الإفتاء والتدريس^(٢).

* محمد بن عليّ بن أحمد أبو الخير الخضر الهاشمي العقيلي النويري (٧٦٢هـ - ٨٣٢هـ): ولد بمَكّة وبها نشأ وسمع على جدّته فاطمة ابنة أحمد بن قاسم الحرازي، وغيرها من أعلام عصرها.

أذن له في الإفتاء والتدريس وناب في الخطابة والقضاء بمَكّة، ثمّ وليّ قضاء المدينة المنورة^(٣).

وكان من بعده ابنه:

* أمين الدين أبو اليمن محمد بن محمد بن عليّ النويري (٧٩٣هـ - ٨٥٣هـ): قاضي مَكّة وخطيبها، نشأ بمَكّة فحفظ القرآن وجوّده، وحفظ الرسالة لابن أبي زيد ثمّ تحوّل إلى مذهب الشافعي وحفظ المنهاج الفقهي للنووي وحضر دروس جمال الدين ابن ظهيرة وغيره من الأعلام.

باشّر خطابة مَكّة المكرّمة عدّة سنين، ثمّ وليّ قضاءها في سنة ٨٤٢هـ، ثمّ عزل، ثمّ أعيد ومات قاضياً وخطيباً^(٤).

(١) شذرات الذهب ١١٢/٧ - ١١٣.

(٢) الضوء اللامع ٤٤/٧ - ٤٥، شذرات الذهب ٢٧٦/٧.

(٣) الضوء اللامع ١٦١/٨ - ١٦٢.

(٤) الضوء اللامع ١٤٤/٩، شذرات الذهب ٤١٤/٧.

وكان إضافة إلى أبناء تلك البيوت العلميّة، أفراد احتضنوا بعض الوظائف العلميّة، ونافسوا على ميادين العلم، سواء منهم من نشأ ببلاد الحجاز، أو من وفد عليها من المراكز الفقهية الأخرى، وكان أشهرهم:

* سراج الدين عمر بن أحمد بن طراد الخزرجي المصري (٧٢٦هـ):
قاضي المدينة المنورة وخطيبها.

برع في الفقه والأصول، وقدم المدينة سنة ٦٨٢هـ، فانتزع الخطابة من أيدي الرافضة واستمرّ بها نحو أربعين سنة^(١).

* تقيّ الدين أبو اليمن محمد بن أحمد بن قاسم اليافعي الحرازي المكي (٧٠٦هـ - ٧٦٥هـ): ولد بمكة، وسمع بها كثيراً على جدّه لأمه الرضويّ الطبري، وتفقّه على والده.

رحل في طلب العلم وأجيز بالفتوى والتدريس، وصار إليه أمر الفتيا والتدريس بمكة، ثمّ وليّ قضاءها بعد وفاة شهاب الدين الطبري - المتقدم ذكره - سنة ٧٦٠هـ، ثمّ أضيفت إليه الخطابة فباشرها نحو سنتين، ثمّ عزل عن كلّ ذلك بسبب حكم نقم عليه أنّه أخطأ فيه، فلزم بيته وكان لا يخرج منه إلاّ لحجّ أو صلاة غالباً، وبقي على ذلك إلى أن توفي^(٢).

* عفيف الدين أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي اليمني ثمّ المكي (٧٢٨هـ): شيخ الحجاز، وعالم الأبطح، أرسله والده إلى عدن فاشتغل بطلب العلم وأخذ عن مشائخها مثل شرف الدين أحمد بن عليّ الحرازي قاضي عدن ومفتيها، وحفظ الحاوي الصغير.

جاور بمكة سنة ٧١٨هـ، ولازم مشائخ العلم، وكان من شيوخه نجم الدين الطبري، وسمع الحديث من الرضويّ الطبري.

كان يتردّد بين الحرمين، ورحل إلى القدس ودمشق ومصر واليمن،

(١) شذرات الذهب ٢٣٠/٦، الدرر الكامنة ١٤٩/٣ - ١٥٠.

(٢) شذرات الذهب ٣٩٩/٦ - ٤٠٠، النجوم الزاهرة ٨٥/١١، الدرر الكامنة ٣٤٨/٣.

ثم رجع إلى مكة فأقام بها، فاشتهر ذكره وبعد صيته.
كان كثير التصنيف، يسترشد بعلومه ويقنّدى به^(١).

* نسيم الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد بن مسعود النيسابوري ثم الكازوني (٨٠١هـ): نسبة إلى كازون من بلاد فارس، نشأ بكازون وبها اشتغل بالعلم على أبيه وبرع في العربية، وشارك في الفقه وغيره من العلوم مشاركة حسنة.

حج وأقام بمكة مدة طويلة، ثم حج ثانية سنة ٧٨٢هـ وجاور بمكة نحو ست عشرة سنة ولازم إفادة الطلبة، وكان حسن التعليم، فانتفع به أهل مكة^(٢).

* تاج الدين عبدالوهاب بن عفيف الدين بن أسعد بن علي اليافعي اليمني ثم المكي (٧٥٠هـ - ٨٠٥هـ): ولد بمكة وسمع بها من أبيه وخاليه أم الحسن وأم الحسين ابنتي أحمد بن رضي الدين الطبري، ومن مشيخة الفقه، وتميّز وأذن له بالإفتاء والتدريس سنة ٧٨١هـ، وتصدّى للاشتغال بالمسجد الحرام سنين وناب في الإمامة بالمقام أحياناً عن خاليه^(٣).

* زين الدين أبو بكر بن حسين بن عمر العثماني المراغي ثم المصري (٧٢٨هـ - ٨١٦هـ): نزيل المدينة نشأ بالقاهرة واشتغل بالعلم كثيراً عند تقي الدين السبكي، ولازم الإمام الأسنوي حتى مهر وأذن له في الإفتاء.

تحوّل إلى الحجاز واستوطن المدينة المنورة نحو خمسين سنة، وتصدّر بالروضة الشريفة للتحديث والتدريس إلى أن صار شيخها المشار إليه ومفتي المسلمين.

ولي قضاء المدينة وخطابتها وإمامتها سنة ٨٠٩هـ، ثم صرف بعد سنة

(١) شذرات الذهب ٤٠٧/٦ - ٤٠٨، الدرر الكامنة ٢٤٧/٢ - ٢٤٨.

(٢) شذرات الذهب ١٣٣/٧ - ١٣٤، الضوء اللامع ٢١/١٠ - ٢٢.

(٣) الضوء اللامع ١٠٢/٥، شذرات الذهب ١٧٦/٧.

ونصف بزوج ابنته رضي الدين أبي حامد الطبري.

انتفع به أهل المدينة والوافدون إليها، كما انتفع به أهل مكة ومنى والجعرانة حين جاور بها في سنتي ٨١٤ و ٨١٥هـ، وقرأ عليه غير واحد من أهل العلم.

صنّف منسكا مفيدا جامعا سمّاه مرشد الناسك إلى معرفة المناسك، وأكمل شرح شيخه الأسنوي للمنهاج الفقهي سمّاه الوافي بتكملة الكافي، وله غير ذلك من المصنّفات^(١).

* أبو الفتح محمد بن أبي بكر القرشي العثماني المراغي القاهري الأصل المدني (٨٥٩هـ): المعروف بالمراغي، صاحب المنزع الروي في شرح المنهاج للنووي^(٢).

* علي بن محمد بن عيسى بن عمر العدني اليماني (٨١٢هـ) - ٨٨٦هـ): نزيل مكة، درس في صغره على قضاة عدن، ثم استقر بمكة.

أذن له في الإفتاء والتدريس فتصدى لإقراء الفقه والفتيا بمكة، ثم بدا له سنة ٨٨٥هـ التوجه إلى اليمن للزيارة، فاستغلّ عبدالوهاب بن طاهر فرصة زيارته، وعيّنه لتدريس الفقه بزييد طيلة شهر رمضان.

عاد بعد شهر إلى مكة واستتاب في تدريس الفقه بمدرسة زييد الشيخ موسى بن الرداد، وأقام بها إلى حين وفاته^(٣).

* نور الدين أبو الحسن علي بن عفيف الدين الحسيني المعروف بالسهمودي (٨٤٤هـ - ٩١١هـ): نسبة إلى سمهود غربي النيل بمصر، نزيل المدينة المنورة وعالمها ومفتيها والمدرّس بها.

سكن المدينة المنورة من سنة ٨٧٣هـ، ولازم فيها طلب العلم

(١) الضوء اللامع ٢٨/١١ - ٣١، شذرات الذهب ٢٤٩/٧ - ٢٥٠.

(٢) كشف الظنون ١٥٩/٦.

(٣) الضوء اللامع ٤/٦.

والجمع والتأليف وداوم على المباحثة والمناظرة وتميَّز في الفقه والأصلين، وصار شيخها غير مدافع، ودخل القاهرة أكثر من مرّة واختصّ بالجلال المحلّي وبالإمام المناوي وأذن له بالتدريس والإفتاء.

سمع بمكّة من كمالية بنت النجم المرجاني وشقيقها الكمال وغيرهما، وانتفع به طلبة الحرمين، وقلّ من لم يقرأ عليه من أهل مكّة.

من مصنفاته: حاشية على الإيضاح في مناسك الحجّ للإمام النووي سمّاها الإفصاح، وحاشية على الروضة، سمّاها أمنية المعتنين بروضة الطالبين، وصل فيها إلى باب الربا، وجمع فتاويه في كتاب، وله عقد الفريد في أحكام التقليد^(١).

* عبدالعزيز بن عمر بن محمد أبو فارس وأبو الخير المعروف بابن فهد (٨٥٠هـ - ٩٢١هـ): ولد بمكّة وبها نشأ وتعلّم، ثمّ رحل إلى بلدان كثيرة وأكثر من الطلب بالديار المصريّة، وجدّد واجتهد، ثمّ عاد إلى بلده ولازم الاشتغال بالعلم.

قرأ على شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، ولازم عالم الحجاز برهان الدين ابن ظهيرة في الفقه والتفسير وأخاه الفخر، ونور الدين الفاكهي في الفقه وأصوله.

برع في علم الحديث طلبا وضبطا وتميَّز فيه بالحجاز، وأذن له في تدريس الفقه والنحو والحديث^(٢).

* عبدالله بن أحمد باكثير الحضرمي ثمّ المكّي (٩٢٥هـ): ولد بحضرموت وبها نشأ، وحفظ القرآن في سنة واحدة وعمره ثمان سنين، ثمّ حفظ كتاب المنهاج للنووي وغيرها من الكتب.

(١) شذرات الذهب ٨/٨٥ - ٨٦، الضوء اللامع ٥/٢٤٥ - ٢٤٨، البدر الطالع ص ٤٧٣، كشف الظنون ٥/٥٩٢.

(٢) شذرات الذهب ٨/١٤١ - ١٤٢، الضوء اللامع ٤/٢٢٤ - ٢٢٦، فهرس الفهارس ٢/٧٥٤ - ٧٥٦.

رحل إلى مكة وأقام بها إلى أن توفي، ولقي جماعة من العلماء، وأجيز بالإفتاء والتدريس فتصدى لذلك وانتفع الناس به.

كان كثير الفوائد عالماً عاملاً، عين المدرسين بمكة المكرمة، من مصنفاته: الدرر اللوامع في نظم جمع الجوامع^(١).

* أحمد بن محمد بن علي بن حجر الوائلي السعدي الهيثمي (٩٠٩هـ - ٩٧٣هـ): المصري ثم المكي، إمام الحرميين كما أجمع عليه الملا، برع في جميع العلوم خصوصاً فقه الشافعي، أذن له بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين.

أقام بمكة يدرّس ويفتي ويؤلف منذ سنة ٩٤٠هـ، فأخذ عنه من لا يحصى كثرة، وافتخر الطلبة بالأخذ عنه والانتساب إليه.

صنّف التصانيف الحسنة، منها: الإمداد وفتح الجواد شرحاً على الإرشاد، الأول بسيط والثاني مختصر، وتحفة المحتاج شرح المنهاج، وشرح مختصر أبي الحسن البكري في الفقه^(٢).

* علي بن أبي بكر المعروف بابن الجمال المصري الخزرجي الأنصاري المكي (١٠٠٢هـ - ١٠٧٢هـ): له رسالة في التقليد، وكافي المحتاج لفرائض المنهاج للنووي، ومجموع الوضاح على مناسك الإيضاح، والمذلل في الفرائض، والانتصار النفيس لجناب محمد بن إدريس - أي الإمام الشافعي - وصلة المبتدي بشرح نظم الدر المهتدي في الفرائض على مذهب الحنفيّة^(٣).

* محمد بن السيد عبد الرسول بن قلندر البرزنجي الشهرزوري ثم المدني (١٠٤٠هـ - ١١٠٣هـ): صاحب إيقاظ ذوي الانتباه لفهم الاشتباه

(١) شذرات الذهب ١٧٦/٨ .

(٢) شذرات الذهب ٤٣٥/٨ - ٤٣٦، الكواكب السائرة ١١١/٣، البدر الطالع ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) كشف الظنون ٦٠٦/٥ - ٦٠٧ .

الواقع لابن نجيم في الأشباه وكتاب خالص التلخيص مختصر تلخيص المفتاح وغاية الاعتذار في الجمع في الحضر لذوي الأعذار وفتح البرّ بشرح المحرّر للرافعي^(١).

وأما المذهب المالكي، فقد شهره في هذا الدور أهل بلاد المغرب بالخصوص، كبيت ابن فرحون التونسيّ الأصل، وبيت ابن أبي الخير الحسني المغربيّ الأصل، وبيت الحطاب الأندلسيّة الأصل التي صار أبنائها من المفتين والمدرّسين بحرم الله الأمين.

ومما يذكره أصحاب الطبقات أنّ برهان الدين بن فرحون الذي وليّ قضاء المالكيّة بالمدينة سنة ٧٩٣هـ كان قد أظهر مذهب مالك بها بعد خموله، وأنه قد نبغ من هذا البيت المالكي أعلام كانوا أهل علم وقضاء.

ويذكر ابن العماد في شذراته أنّ تقيّ الدين الفاسي ثمّ المكيّ (٨٣٢هـ) كان أول قاض مالكي يولّى قضاء مكّة استقلالاً، وذلك سنة ٨٠٧هـ^(٢).

وهكذا استطاع أعلام المالكيّة أن يعيدوا بناء صرح مذهبهم بهذه البلاد التي فيها نشأ أول أمره، ومنها انتشر إلى سائر المراكز الأخرى، ومن أشهر البيوت التي عرفت بحمل المذهب المالكي، نذكر:

بيت ابن فرحون، التي وصفها السخاوي بأنها بيت رئاسة وقضاء وعلم^(٣)، وكان من أبنائها:

* أبو الحسن عليّ بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون (٦٩٨هـ - ٧٤٦هـ): التونسي الأصل المدني المولد والمنشأ، والد برهان الدين إبراهيم صاحب الديباج المذهب.

أخذ علم الفقه والأصليين عن جماعة من العلماء، فلقني بتونس قاضي

(١) كشف الظنون ٢٣٧/٦ - ٢٣٨.

(٢) شذرات الذهب ٣٣٠/٧.

(٣) الضوء اللامع ٥٥/٥.

القضاة أبا إسحاق بن عبدالرفيع، وأخذ عن أبي عليّ عمر بن عليّ قداح الهروي، ولقي بفاس جماعة من العلماء الأعلام فأخذ عنهم، وأخذ عنه بالمغرب جماعة منهم أبو العباس القباب.

لزم الاشتغال بالفقه والعربية في المسجد النبوي الشريف، وصنّف تصانيف كثيرة، منها: حواشي على شرح ابن الحاجب لابن عبدالسلام، تكلم فيها على ما لم يتكلم عليه الشارح، وتعقب عليه في مواضع كثيرة، بلغ فيه إلى أثناء الحجّ، وله الجواب الهادي على أسئلة الشيخ أبي هادي، وكان الشيخ أبو هادي أحد شيوخ القيروان في وقته، سأله عن أسئلة من القرآن والسنّة فأجاب عنها^(١).

أخوه: * أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون (٦٩٣هـ - ٧٦٩هـ): أحد أئمّة الإسلام، حدّث ودرّس وأفاد، وإليه انتهت الرئاسة بالمدينة المنورة، أقام مدرّسا للمالكية ومتصدّرا للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة، وانفرد في آخر حياته بعلوّ الإسناد، فلم يكن في المدينة أعلى سنّا وسندا منه.

كان درعا قويّا لأهل السنّة يذبّ عنهم، ويناضل الأمراء والأشراف، وانتهى به ذلك إلى أن امتحن ورصد في طريق الحرم، وطعن طعنة أريد بها قتله فعاهاه الله منها.

كان عالماً بالفقه والتفسير وفقه الحديث ومعانيه، وكان عليه مدار أمور الناس بالمدينة المنورة، وعنه أخذ ابن أخيه برهان الدين.

ناب في القضاء نحو أربعة وعشرين سنة، وكان ممّن جمع الله تعالى له العلم والعمل، فكان مواظبا على الصلوات في الصفّ الأوّل من الروضة النبويّة نحو ستّين سنة، وما يفتح باب الحرم في السّحر إلّا وهو على الباب، وحجّ نحو خمس وخمسين حجّة، ولم يخرج من المدينة إلّا إلى مكّة للحجّ، إلى أن توفي.

(١) الديباج المذهب ص ٣٠٧ - ٣٠٨ الدرر الكامنة ٣/ ١١٥ - ١١٦، شجرة النور الزكية

من مصنفاته الفقهية: شرح مختصر التفريع لابن الجلاب سَمَاهُ كفاية الطلاب في شرح مختصر ابن الجلاب، وله نهاية الغاية في شرح الآية، أسئلة وأجوبة على آيات من القرآن، وغير ذلك^(١).

* برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن علي بن فرحون (٧٩٩هـ):
التونسي الأصل، المدني المولد والمنشأ تفقه وبرع حتى صار من صدور المدرسين ومن أهل التحقيق.

كان من أهل بيت علم، أبوه وعمّه وجدّه، فنشأ في الاشتغال بالعلم وتدرّب بعمّه أبي محمد بن فرحون، ثم ولي قضاء المالكية بالمدينة سنة ٧٩٣هـ فأظهر مذهب مالك بها بعد خموله، واستمرّ على القضاء إلى أن توفي.

من مصنفاته: تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، وصفه البدر القرافي بأنه كتاب نفيس، تناول فيه فقه القضاء، ولم يلتزم فيه النصّ على مشهور المذهب، وكتاب درة الغواص في محاضرة الخواص وموضوعه الألغاز الفقهية وله إرشاد السالك إلى أفعال المناسك، وشرح مختصر ابن الحاجب سَمَاهُ كلام ابن عبدالسلام وابن راشد وابن هارون وخلييل وغيرهم من الشراح، مع التنبيه على مواضع من كلامهم وإضافات من غيرهم، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب جمع فيه أكثر من ستمائة وثلاثين من أعيان المالكية، وجميع تأليفه غاية في الإجابة لاتّساع علمه^(٢).

* محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي القاسم فرحون

(١) الديباج المذهب ص ٢٣٤ - ٢٣٦، الدرر الكامنة ٣٠٠/٢، شجرة النور الزكية ص ٢٠٣.

(٢) توشيح الديباج ص ٤٥ - ٤٦، الدرر الكامنة ٤٨/١، شذرات الذهب ١١٢/٧، درة الحجال ص ١٨٢ - ١٨٣، نيل الابتهاج ١٥/١ - ١٧، شجرة النور الزكية ص ٢٢٢، مقدّمة تحقيق إرشاد السالك إلى أفعال المناسك لأستاذنا المحقّق الدكتور محمد أبو الأجنان.

(٨٢٢هـ): قاضي المدينة، ولد بالمدينة وبها نشأ وسمع على أهلها، وأجيز له في سنة ٧٧٤هـ وما بعدها.

ولي قضاء المدينة بعد قريبه القاضي أبي اليمن محمد بن برهان الدين بن فرحون^(١).

* عبدالله بن محمد بن عبدالله ابن فرحون (٧٧٧هـ - ٨٥٩هـ): ولد بالمدينة المنورة، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم والمختصرات والمتون المقررة، واشتغل على الشيخ برهان الدين بن فرحون وغيره من أقاربه.

ولي قضاء المدينة بعد أخيه ناصر الدين في سنة ٨٢٢هـ ثم عزل في سنة ٨٥٦، ثم أعيد في السنة التي بعدها واستمر على القضاء إلى أن توفي^(٢).

وبرز في بداية القرن التاسع محمدون أربعة، هم أبناء عبدالرحمن بن أبي الخير محمد بن محمد الحسن الفاسي المكي، درسوا بمكة بعد أبيهم، وعمّ بهم النفع، وهم:

* محمد بن عبدالرحمن بن أبي الخير (٨٠٦هـ): الذي تفقه بأبيه وخلفه في تصديره بالمسجد الحرام، فأفاد وأجاد، وعظمت الرزية بفقده، إذ أنه لم يعيش بعد أبيه إلا نحو سنة، وقد جاوز الأربعين^(٣).

* أبو عبدالله محمد محب الدين (٧٧٤هـ - ٨٢٤هـ): ولد بمكة، وحفظ مختصر ابن الحاجب الفقهية، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وغيرهما من المختصرات، وحضر دروس أبيه ولازمه، وقرأ في الفقه بالقاهرة على بعض شيوخها، ثم درس بمكة^(٤).

* أبو حامد محمد رضي الدين (٧٨٥هـ - ٨٢٤هـ): ولد بمكة،

(١) الضوء اللامع ١٢٧/٩.

(٢) الضوء اللامع ٥٥/٥ - ٥٦.

(٣) توشيح الديباج ص ٢٠٩، نيل الابتهاج ١٥١/٢، الضوء اللامع ٤٠/٨.

(٤) الضوء اللامع ٤٠/٨، شذرات الذهب ٢٩٩/٧.

وتفقه بأبيه وبغيره وحفظ عدّة مختصرات، وكثرت عنايته بالفقه ومهر فيه حتى أجاز له جماعة، وأذن له في التدريس والإفتاء، فتصدّر لذلك ودرّس وأفتى ووّلّي القضاء سنة ٨١٧هـ.

كتب على مختصر خليل، وعلّق على مختصر ابن الحاجب مسائل بيّن فيها الراجح ممّا فيه خلاف، في كتاب سمّاه: أداء الواجب في تصحيح ابن الحاجب^(١).

* أبو السرور محمد (٧٧٨هـ - ٨٣٣هـ): تفقه بأبيه وجلس بعد موت أخيه أبي حامد للتدريس^(٢).

وبرز من بيت النويري من أتباع المذهب المالكي:

* شهاب الدين أحمد بن عليّ بن أحمد النويري (٧٨٠هـ - ٨٢٧هـ): قاضي مكّة وإمام المالكيّة بحرهما الشريف، وابن إمامهم.

سمع على والده وحضر دروس الشريف عبدالرحمن بن أبي الخير الفاسي وتفقه عليه وعلى غيره من أعلام عصره، وحفظ رسالة ابن أبي زيد، وأجاز له جماعة.

درّس وأفتى ووّلّي بعد أبيه بمدة إمامة مقام المالكيّة بالحرم، ثمّ ناب في القضاء، ثمّ وليه استقلالاً^(٣).

* محمد بن محمد بن عليّ بن أحمد النويري كمال الدين أبو القاسم (٨٠١هـ - ٨٥٧هـ): الخطيب بمكّة المكرّمة، وصاحب بغية الراغب في شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه، والتوضيح على التنقيح للقرافي، وتكميل الشرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، وغير ذلك^(٤).

(١) توشيح الديباج ص ٢٠٩، الضوء اللامع ٤١/٨، نيل الابتهاج ١٦٥/٢ شذرات الذهب ٢٩٩/٧.

(٢) الضوء اللامع ٤١/٨ - ٤٢.

(٣) الضوء اللامع ٨/٢، شذرات الذهب ٣٠٨/٧.

(٤) كشف الظنون ١٥٩/٦.

* علاء الدين علي بن محمد النويري (٨١٥هـ - ٨٨٢هـ) : قاضي المالكية بمكة، وابن قاضي الشافعية بها، ولد بمكة وبها نشأ وحفظ القرآن، ثم حفظ مختصرات كثيرة في علوم مختلفة، منها في الفقه: رسالة ابن أبي زيد ومختصر ابن الحاجب، وعرض على عمه التقي الفاسي، وهو الملتمس من أبيه أن يكون مالكيًا، وكان أبوه فمن فوّه شافعيّة.

ناب في القضاء عن أبي عبدالله النويري في سنة ٨٤٠هـ، ثم عن والده في سنة ٨٤٣هـ، وباشر الإمامة بمقام المالكية نيابة مدة عشر سنين، ثم تخلّى عن ذلك وعاد للإقراء، وخطب لقضاء المالكية بمكة فاستقرّ في سنة ٨٦٨هـ، ثم صرف، ثم أعيد واستمرّ على القضاء إلى أن توفي^(١).

ونذكر من بيت ابن ظهيرة:

* أبو الفرج ظهير الدين ظهيرة بن محمد بن ظهيرة القرشي المالكي (٨٤١هـ - ٨٦٨هـ): ولد بمكة وبها نشأ، وحفظ القرآن ومختصر ابن الحاجب الأصلي والفرعي، ورسالة ابن أبي زيد، وكان بارعا في الفقه والعربية، ووليّ قضاء المالكية بمكة بعد ابن أبي اليمن سنة ٧٦٨هـ^(٢).

واشتهر في القرن العاشر من بيت الخطاب:

* أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن الرعيني (٨٦١هـ - ٩٤٥هـ): المعروف بالخطاب الكبير، الأندلسي الأصل، الطرابلسي المولد، المكي الدار والقرار.

تفقّه بطرابلس، ثم تحوّل سنة ٨٧٧هـ مع بقية أهله إلى مكة وانتفع بعلمائها، ثم جلس للإقراء، فأفاد، وأخذ عنه جماعة^(٣).

(١) الضوء اللامع ١٢/٦ - ١٣، شذرات الذهب ٤٨١/٧.

(٢) توشيح الديباج ص ١١٠، لقط الفرائد ص ٢٤٨، درة الحجال ص ٢٨٢، نيل الابتهاج ٢١٨/١، الضوء اللامع ١٥/٤.

(٣) توشيح الديباج ص ٢٠٧، الضوء اللامع ٢٨٨/٧، نيل الابتهاج ٢٨٠/٢ - ٢٨١، شجرة النور الزكية ص ٢٦٩، شذرات الذهب ٣٣٧/٨.

وممن أخذ عنه العلم، ولداه محمد وبركات، فأما الأوّل فهو:
 * أبو عبدالله محمد بن محمد الحطّاب (٩٠٢هـ - ٩٥٤هـ): المكي المولد والقراري، كان من سادات العلماء المحققين، جامعاً فنون العلم، متقناً متفتناً نقاداً، عارفاً بالتفسير ووجوهه، محققاً في الفقه وأصوله، عارفاً بمسائله مقتدراً على استنباطه، حافظاً للحديث وعلومه، محيطاً باللغة وغريبها، فرضياً حسابياً، معذلاً، محققاً لها، له الإمامة المطلقة في ذلك. وبالجملة فهو آخر الأئمة المتصرفين في الفنون التصرف التام بالحجاز، وآخر أئمة المالكية بها.

صنّف التصانيف المفيدة التي تدلّ على إمامته وسعة علمه، وسيلان ذهنه، وقوة إدراكه، وجودة نظره، وحسن اطلاعه، استدرك فيها على أعلام أئمة الفقه والحديث كابن عرفة وابن عبدالسلام و خليل والسخاوي وابن حجر والسيوطي، منها: شرح مختصر خليل المسمّى: بمواهب الجليل شرح مختصر الشيخ خليل، فيه دليل على جودة تصرّفه وكثرة اطلاعه وحسن فهمه، توفي قبل تبييضه، وتركه مسوّد، فبيّضه ولده يحيى، وشرح مناسك الشيخ خليل شرحاً حسناً واستدرك فيه على خليل وشراجه، وشرح ابن الحاجب وابن عرفة، وشرح الورقات لإمام الحرمين في أصول الفقه وسمّاه قرّة العين، وله عدّة تأليف لم تكمل منها: تعليق على ابن الحاجب يتضمّن تصحيح ما أطلقه ابن الحاجب من الخلاف، والتنبيه على ما خالف فيه المشهور والمذهب، وتعليق في المسائل التي انفرد بها الإمام مالك، وتعليق في مسائل لم يقف فيها على نصّ في المذهب، وتعليق على ما في كلام الشيخ بهرام في شروحه ممّا فيه إشكال أو مخالفة للمنقول، وتعليق على ابن عرفة يتضمّن الكلام على تفرّعاته والتنبيه على بعض اعتراضاته، وله تعليقات وشروح في اللغة، وغيرها^(١).

(١) توشيح الديباج ص ٢٢٩ - ٢٣١، وذكر وفاته سنة ٩٥٣هـ، نيل الابتهاج ٢/٢٨٥ - ٢٨٨، شجرة النور الزكية ص ٢٧٠، الفكر السامي ٤/٣١٩، كشف الظنون ٦/١٩٢ وذكر أنّه طرابلسي المولد والوفاء أعلام ليبيا ص ٣١١ - ٣١٤ وذكر أنّه توفي بطرابلس ودفن بداخل المدينة.

وأما الآخر فهو:

* بركات بن محمد بن عبدالرحمن الحطاب المكي (بعد ٩٨٠هـ):
انتفع به الكثيرون، له شرح على المختصر سماء المنهج الجليل في شرح
مختصر خليل^(١).

وممن انتفع بالشيخ بركات، ابن أخيه:

* أبو زكرياء يحيى بن محمد بن محمد الحطاب المكي (بعد
٩٩٣هـ): فقيه مكة وعالمها، وآخر فقهاء الحجاز من المالكية، أخذ عن
والده محمد، وعمّه بركات، وعن غيرهما، وكانت له تأليف في الفقه
والمناسك وغيرها^(٢).

ومن البيوت التي وصفت بمكة أنها من بيوت العلم والفضل: بيت
السخاوي، ونذكر منهم:

* أبو عبدالله محمد بن أحمد بن موسى السخاوي المدني (بعد
٨٨٠هـ): قاضي المدينة خمسين سنة، أخذ عن جماعة منهم أبو القاسم
النويري، وعنه جلة منهم: ابنه محمد والحطاب الكبير والإمام السيوطي^(٣).

* أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد السخاوي المدني (٩١٣هـ):
أخذ عن والده والقرافي وغيرهما، وأذن له في التدريس، وناب في
القضاء، ثم ولي قضاء المدينة وأقام به نحو من ثلاثين سنة، شرح مواضع
من المختصر^(٤).

(١) نيل الابتهاج ١/١٦٤، شجرة النور الزكية ص ٢٧٩.

(٢) نيل الابتهاج ٢/٣٤٢ - ٣٤٣، الفكر السامي ٤/٣٢١، شجرة النور الزكية ص ٢٧٩ -
٢٨٠.

(٣) نيل الابتهاج ٢/٢٤٦، الضوء اللامع ٧/١١٠ - ١١١، شجرة النور الزكية ص ٢٥٥.

(٤) توشيح الديباج ص ٢٢٨، الضوء اللامع ٩/٤٧ - ٤٨، نيل الابتهاج ٢/٢٦٩، شجرة
النور الزكية ص ٢٦٩.

* أبو عبدالله محمد عبدالمعطي بن أحمد بن محمد السخاوي المدني (بعد سنة ٩٦٠هـ): من بيت علم وفضل، كان فقيهاً عالماً مصنفًا محققاً عمدة.

أخذ عن أبي عبدالله محمد بن محمد السخاوي وغيره، وكان بالحياة قرب سنة ٩٦٠هـ^(١).

وكان هناك أعلام آخرون - من غير تلك البيوت - شاركوا في إذكاء الحركة الفقهية طيلة هذا الدور بهذه البقاع، نذكر منهم:

* أبو الفتح محمد بن أحمد الحسني الفاسي ثم المكي (٧٣٢هـ - ٧٩٦هـ): ولد بمكة وبها نشأ وأجاز له جماعة من العلماء من مصر والشام^(٢).

* عبدالله بن عبدالله الدكاري المغربي (٨٠٦هـ): نزى المدينة، أقرأ بها وأفاد ودرّس وناب في الحكم عن بعض القضاة، وكان يتجرأ على العلماء^(٣).

* عبدالقوي بن محمد بن عبدالقوي البجائي (٧٤٣هـ - ٨١٦هـ): نسبة إلى بجاية، المغربي الأصل والمولد والمنشأ، رحل إلى مصر وعمره ثمان عشرة سنة، وسكن الجامع الأزهر، ثم تحوّل إلى مكة فقطنها أكثر من ثلاثين سنة.

درّس بالحرم الشريف وأفاد وأفتى، وكان عارفاً بالفقه مستحضراً لكثير من الأحاديث والقصص والأشعار المستحسنة^(٤).

* خلف بن أبي بكر التحريري (٨١٨هـ): أخذ عن الشيخ خليل في

(١) نيل الابتهاج ٣٢٠/١، شجرة النور الزكية ص ٢٧٩.

(٢) شذرات الذهب ٩٨/٧.

(٣) الضوء اللامع ٢٩/٥، شذرات الذهب ١٨١/٧ - ١٨٢.

(٤) توشيح الديباج ص ١٢٥ نيل الابتهاج ٣١٨/١، الضوء اللامع ٣٠٢/٤، شذرات الذهب ٢٥١/٧.

شرح ابن الحاجب، وبرع في الفقه، وناب في الحكم وأفتى ودرّس، ثمّ توجه إلى المدينة فجاور بها معتنيا بالتدريس والإفادة إلى أن توفي^(١).

* شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن عبدالرحمن الحسني (٧٥٤هـ - ٨١٩هـ): الفاسي محتداً، المكي مولداً ومنشأً ووفاء، سمع بمكة على قاضيها شهاب الدين الطبري، وبمصر على الشيخ خليل، وعلى القاضي موفق الدين قاضي الحنابلة بمصر، وغيرهم.

حفظ كتباً علمية في صغره، واشتغل في الفقه والعربية وكان ذا معرفة تامّة بالأحكام والوثائق، أذن له بالإفتاء فأفتى ودرّس وولّي مباشرة الحرم بعد أبيه في سنة ٧٧١هـ، وناب في قضاء المالكية^(٢).

وأما ابنه فهو:

* أبو الطيب تقّي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي ثمّ المكي (٧٧٥هـ - ٨٣٢هـ): ويعرف بالتقيّ الفاسي، شيخ الحرم وصاحب يد طولى في الحديث والتاريخ والفقه وأصوله، مفيد البلاد الحجازية وعالمها، سمع بمكة ونشأ بها وسمع بالمدينة من إبراهيم بن فرحون، وقرأ الفقه على ابن عمّ أبيه عبدالرحمن ابن أبي الخير، ورحل إلى القاهرة وقرأ على البلقيني وابن الملتن وغيرهما، ودخل كذلك دمشق وسافر إلى غزّة والرملة ونابلس والإسكندرية، ودخل اليمن مرارا وسمع بمشائخها، وبلغت عدّة شيوخه بالسماع والإجازة نحو خمسمائة.

وكان الشيخ ابن حجر العسقلاني يودّه ويعظّمه ويقوم معه في مهمّاته.

درّس وأفتى وحَدّث بالحرّمين والقاهرة ودمشق وباليمن، وأخذ الناس عنه وانتفعوا به، وولّي قضاء المالكية بمكة سنة ٨٠٧هـ، وهو أوّل مالكيّ وولّي القضاء بها استقلالاً.

(١) الضوء اللامع ١٨٢/٣ - ١٨٣، شذرات الذهب ٢٦٢/٧.

(٢) توشيح الديباج ص ٥٤، الضوء اللامع ٣٥/٢ - ٣٦، نيل الابتهاج ١١٤/١، شذرات الذهب ٢٦٤/٧.

فقد بصره سنة ٨٢٨هـ فلم يمنعه ذلك من مواصلة التأليف، فكان لقوة حافظته ومعرفته بالمظان يرشد من يطالع له وهو يملي على من يكتب. صتف مؤلفات عديدة في التاريخ والأخبار والأذكار، وله في الفقه كتاب المناسك على مذهبي الشافعي والإمام مالك^(١).

وممن اشتهر في القرن التاسع بتمام الخبرة بالأحكام والدربة بأحوال القضاء:

* محيي الدين عبدالقادر بن أبي القاسم بن أحمد الأنصاري العبادي (٨١٤هـ - ٨٨٠هـ): مالك زمانه وناصب أعلامه، ولد بمكة وسمع بها من علمائها واختص بالتقيّ الفاسي فحضر دروسه الفقهية وكان يطالع له كثيراً، وانتفع بمجالسته وتهذب بعبارة.

أجاز له كثيرون منهم عائشة بنت عبدالهادي ورقية ابنة ابن مزروع وغيرهما.

برع في الفقه والتفسير والعربية، وتصدّر بمكة للإفتاء وتدرّس الفقه والتفسير والعربية وغيرها من العلوم فأفاد وأجاد وانتفع به الفضلاء من أهل بلده والقادمين إليها لحسن إرشاده وتعليمه وتقريره وتفهمه، منهم الإمام السيوطي، وصار شيخ بلده في مذهب مالك وفي العربية غير مدفوع فيهما حتى أن تلميذه السيوطي قد بالغ في الثناء عليه في طبقات النحاة.

ولي قضاء المالكية بمكة المكرمة بعد موت أبي عبدالله النويري في سنة ٨٤٣هـ، وتوفي وهو على القضاء، وكان مسدداً في قضائه^(٢).

(١) الضوء اللامع ١٨/٧ - ٢٠، شذرات الذهب ٣٣٠/٧، البدر الطالع ص ٦٣٠ - ٦٣١، كشف الظنون ١٤٩/٦، نيل الابتهاج ١٩٤/٢ وذكر وفاته سنة ٨٤٢هـ.

(٢) توشيح الديباج ص ١٢٢ - ١٢٣، الضوء اللامع ٢٨٣/٤ - ٢٨٥، نيل الابتهاج ٣١٣/١ - ٣١٤ شذرات الذهب ٤٧٤/٧ - ٤٧٥، شجرة النور الزكية ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

وظهر بعد القرن العاشر:

* تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري المدني المعروف بابن يعقوب (١٠٦٦هـ): صاحب تاج المجاميع في الفقه والفتاوى، والفوائح القدسيّة والفوائح العطرية لجمع الفتاوى الفقهية، ومنهاج الترجيح والتجريح إلى معرفة معنى الراجح وسقط الترجيح، وغير ذلك^(١).

* صالح بن محمد بن نوح الفلاني المسوفي العمري (١١٦٦هـ - ١٢١٨هـ): الفقيه المالكي، قدم المدينة المنورة، ودرّس بها وصنّف مؤلفات كثيرة منها: تحفة الأكياس بأجوبة أسئلة الإمام خير الدين إلياس، وقطف الثمار في رفع أسانيد مصنّفات الفقه والآثار^(٢).

وأما في خصوص المذهب الحنبلي، فقد كان سراج الدين عبداللطيف أوّل من ولى قضاء الحنابلة بمكة سنة ٨٠٩هـ، وأضيف إليه في سنة ٨٤٧هـ قضاء المدينة المنورة فأصبح قاضي الحرمين^(٣).

غير أنّ هذا المذهب قد عرف في نهاية هذا الدور انتشاراً كبيراً عمّ بلاد الحجاز، فغدّت به أبهى من الروض الأنف إذا تفتّح زهره وأرج، ومن أشهر أعلام هذه المدرسة في هذا الدور، نذكر:

* شمس الدين أبو عبدالله محمد بن مسلم بن مالك الزيني الصالحي (٦٦٢هـ - ٧٢٦هـ): قاضي قضاة المدينة المنورة، اعتنى بالحديث وتفقه وأفتى وبرع في مذهبه وفي العربيّة، وتصدّى للاشتغال والإفادة، ثمّ ولى القضاء سنة ٧١٦هـ فتوقّف في القبول، ثمّ قبل بعد أن استخار الله تعالى.

وهو الذي حكم على ابن تيميّة بمنعه من الفتيا بمسائل الطلاق

(١) كشف الظنون ٢٠١/٥.

(٢) كشف الظنون ٣٤٧/٥.

(٣) انظر: الضوء اللامع ٣٣٣/٤ - ٣٣٤ النجوم الزاهرة ٥٤٦/١٥ شذرات الذهب ٤٩٣/٧ - ٤٩٤.

وغيرها من المسائل التي رأوها مخالفة للمذهب^(١).

* شمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمد الأمدي ثم المكي (٧٦٠هـ): إمام مقام الحنابلة بمكة، وليّ الإمامة بعد وفاة والده، واستمرّ بها نحو ثلاثين سنة^(٢).

* محيي الدين عبدالقادر بن محمد بن أحمد الشريف الحسني الفاسي الأصل (٧٩١هـ - ٨٢٧هـ): ابن عمّة التقيّ الفاسي، وابن عمّ أبيه، وشقيق قاضي القضاة سراج الدين عبداللطيف.

قرأ وتفقه وحفظ العمدة في الفقه لموقّق الدين بن قدامة، ونظر في كتب المذهب حتّى تنبّه في الفقه وأفتى في وقائع كثيرة وناب بالمدرسة البنجالية وفي الحكم عن شقيقه سراج الدين عبداللطيف.

كان يثبت الحكم بالشهادة على خطّ الشاهد الميّت أو الغائب متمسكاً في ذلك بما وقع للإمام أحمد من نفوذ وصيّة الميّت إذا وجدت عند رأسه بخطّه، متوسّعاً في ذلك إلى غير ذلك من الأحكام، ولم يوافق على ذلك علماء عصره^(٣).

وكان أوّل حنبلي قد وليّ قضاء مكة:

* أبو المكارم سراج الدين عبداللطيف بن محمد بن أحمد الحسني الفاسي الأصل (٧٧٩هـ - ٨٥٣هـ): ولد بمكة وبها نشأ وتفقه، وليّ إمامة مقام الحنابلة بمكة بعد موت ابن عمّه نور الدين عليّ بن عبداللطيف بن أحمد، ثمّ وليّ قضاء الحنابلة بمكة سنة ٨٠٩هـ، فكان أوّل حنبلي وليّ قضاء مكة، واستمرّ على خطّة القضاء أكثر من أربعين سنة، ورغم كثرة أسفاره وغيبته عن مكة فقد كان يستخلف من يختاره من أقربائه، وأضيف إليه في سنة ٨٤٧هـ قضاء المدينة المنورة فأصبح قاضي الحرمين.

(١) الدرر الكامنة ٢٥٨/٤ - ٢٥٩، شذرات الذهب ٢٣١/٦.

(٢) الدرر الكامنة ١٩٨/٤، شذرات الذهب ٣٧٨/٦.

(٣) الضوء اللامع ٢٨٧/٤، شذرات الذهب ٣١٠/٧.

كان أبوه مالكيًا ولم يزل سلفه فقهاء مالكيّة، غير أنّه لما أحدث بمكة قاضٍ للحنفيّة وقاضٍ للمالكيّة وصار بها ثلاثة قضاة، أحبّ أن يكون رابع الثلاثة، فتحوّل إلى المذهب الحنبلي، وكان أوّل من ولى قضاء الحنابلة بالحرمين^(١).

* شمس الدين محمد بن أحمد بن سعيد المقدسي النابلسي (٧٧١هـ - ٨٥٥هـ): قاضي مكة المكرمة، نشأ بنابلس ثمّ انتقل سنة ٧٨٩هـ إلى دمشق فتنقّه بها، وسكن حلب سنة ٧٩١هـ وحفظ بها عمدة الأحكام ومختصر الخرقى، وناب بها في القضاء وفي الخطابة بجامعة الكبير، وفي سنة ٨١٢ انتقل إلى بيت المقدس وأقام بها إلى سنة ٨١٨هـ.

جاور بالحرمين الشريفين، وجلس للإقراء في الروضة واستجازه الأعيان، ثمّ استقرّ بمكة وناب في إمامة المقام الحنبلي بها، وولى قضاء الحنابلة فيها بعد وفاة سراج الدين عبداللطيف الفاسي.

كان كثير الاستحضر لفروع مذهبه، من مصنفاته: المنتخب الشافي من كتاب الوافي اختصر فيه الكافي لموفق الدين^(٢).

* محيي الدين أبو صالح عبدالقادر بن سراج الدين أبي المكارم عبداللطيف الفاسي (٨٤٢هـ - ٨٩٨هـ): قاضي الحرمين، ولد بمكة المشرفة، وبها نشأ وحفظ القرآن، ثمّ رحل في الطلب وجدّ واجتهد، وأخذ الفقه عن العزّ الكناني بالقاهرة والعلاء المرداوي واشتدت ملازمته له وقرأ عليه تصانيف كثير، واشتغل بالفقه والأصليين والقراءات والعربيّة، وأذن له في الإفتاء والتدريس، وسمع الحديث وأجاز له أعلامه من أهل مكة والمدينة والقاهرة منهم عمته لأمّ الهدى وزينب ابنة اليافعي وسارة بنت

(١) الضوء اللامع ٣٣٣/٤ - ٣٣٤، النجوم الزاهرة ٥٤٦/١٥، شذرات الذهب ٤٩٣/٧ - ٤٩٤.

(٢) الضوء اللامع ٣٠٩/٦، شذرات الذهب ٤٢١/٧ - ٤٢٢.

عمر بن جماعة، وابن حجر العسقلاني وغيرهم.

درّس بالمسجد الحرام وبغيره، وحدث وأفتى، وولّي قضاء الحنابلة بمكة سنة ٨٦٣هـ، وأضيف إليه قضاء المدينة سنة ٨٦٥هـ، وبقي مباشراً للقضاء إلى أن توفي^(١).

* علي بن أحمد بن جمال الدين تقي بن صالح (٩١١هـ - ٩٧٥هـ): المعروف بابن حجّة المشهور عند الشيعة بالشهيد الثاني، كان يقيم بمكة، ونظراً لانتحاله مذهب أهل الرافض جلب إلى الآستانة أيام السلطان العثماني سايم خان العثماني، فتوفي بالطريق.

له مصنفات كثيرة في فقه الشيعة، منها: روض الجنان في شرح الإرشاد في الفقه، وشرح الألفية الفقهية ثلاثة شروح، وله فتاوى الإرشاد وفتاوى الشرائع، وغيرها^(٢).

* أبو السعادات محمد بن أحمد بن علي الفاكهي المكي (٩٢٣هـ - ٩٩٢هـ): قرأ في المذاهب الأربعة فكانت له اليد الطولى في ذلك، وزاد شيوخه على التسعين، صنّف شرح مختصر الأنوار المسمّى نور الأبصار في الفقه الشافعي، وغير ذلك.

دخل الهند وأقام بها مدة ثم رجع إلى مكة سنة ٩٥٧هـ، ثم عاد إلى الهند واستقرّ بها إلى أن توفي^(٣).

* عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي النجدي (١١٥٣هـ): والد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كان من علماء البلاد، وولي

(١) الضوء اللامع ٤/٢٧٢ - ٢٧٥، شذرات الذهب ٨/٢٤ - ٢٥.

(٢) كشف الظنون ٥/٥٩٧.

(٣) الكواكب السائرة ٣/١٦٤، شذرات الذهب ٨/٤٩٨.

القضاء في عدة جهات، وله في بعض المسائل الفقهية كتابة حسنة^(١).

الإمام: * أبو عبدالله محمد بن عبدالوهاب (١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ):
إمام الوهابية وقائدهم الأكبر، والمصلح المعروف، وأحد علماء الحنابلة
النجديين المتأثرين بفكر الإمام ابن تيمية، تربى بحجر والده فحفظ القرآن
الكريم قبل سنّ العاشرة، ودرس عليه كتب الفقه الحنبلي، ثم انتقل إلى
البصرة فأتته دراسته، وبرع في مذهب أحمد وفي سائر علوم الدين، وطاف
ببلاداً كثيرة.

تقلد مذهب الإمام أحمد غير جامد على تقليده ولا تقليد سواه، بل
أدته المعية إلى الاجتهاد، وإلى تتبع الدليل وترك أقوال المذهب إن بان له
ما يقوي خلافه، فصار يناظر أباه وعمه إبراهيم بن سليمان في بعض
المسائل بالدليل على بعض الروايات عن الإمام أحمد والوجه عن
الأصحاب.

أعلن الحرب على البدع الدخيلة في الفكر والعقيدة وفي السلوك
والعمل فالتفت حوله الناس بما أوتي من حجة ووضوح محجة، وكثر عدد
أتباعه وقوي جانبهم، وأصهر إلى الأمير محمد بن سعود بابنته، وهي أم
الأمير عبدالعزيز بن سعود الذي ظهر بمظهر الناشر لمذهبه، واتخذ من
الرياض عاصمة لدولته، فجردت له تركيا الكتاب فكسرها واستطاع السيطرة
على الحرمين الشريفين ونجد والحجاز، ومن يومها أصبح المذهب الحنبلي
هو المذهب السائد ببلاد الحجاز.

ترك الشيخ محمد بن عبدالوهاب آثاراً علمية كثيرة قدرت باثني عشر
مجلداً في الفقه والعقيدة والتفسير والحديث والسيرة والآداب الإسلامية
قامت على نشرها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(١) الفكر السامي ٤/٤٤٥، من مشاهير المجددين في الإسلام لابن فوزان ص ٥٦.

ومن آثاره الفقهية كتاب مختصر الشرح الكبير والإنصاف في معرفة
الراجح من الخلاف للعلاء المرداوي وطريقته في هذا المختصر: أنه يصدر
الباب منه بمسائل الشرح، ثم يزيد ذلك بكلام «الإنصاف»^(١).

ومن تلاميذه ومؤيدي نهجه، نذكر:

* حمد بن ناصر بن معمر التميمي النجدي (١٢٢٥هـ): من أهل
العيينة، استوطن الدرعية، تصدّر للتدريس بالدرعية وعنه أخذ خلق كثير.

ولي قضاء الدرعية للإمام سعود بن عبدالعزيز، ثم بعثه إلى مكة سنة
١٢٢١هـ، وبها توفي^(٢).

* سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١٢٠٠هـ -
١٢٣٣هـ): ولد بالدرعية وبها أخذ عن علمائها، ثم أصبح يدرّس
بمدارسها، له حاشية على المقنع في الفقه والتوضيح عن توحيد الخلاف
في جواب أهل العراق، وغير ذلك^(٣).

* عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد الناصري التميمي النجدي (١١٥٤هـ -
١٢٣٧هـ): ولي القضاء في ناحية الوشم أيام شيخه محمد بن
عبدالوهاب^(٤).

* عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١١٦٥هـ - ١٢٤٢هـ):
كان عالماً فقيهاً، وكانت الفتوى تدور عليه في أيام عبدالعزيز بن محمد
وابنه سعود وابنه عبدالله^(٥).

(١) من مشاهير المجددين في الإسلام ص ٥٦ - ٨٢، الفكر السامي ٤/٤٤٥ - ٤٤٨،
المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٤٦ - ٤٤٧، إسهام في تاريخ المذهب
الحنبلي ص ٨٧ - ٩٨، وانظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٤٠٤ وما بعدها.

(٢) إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١٠٨.

(٣) نفس المرجع ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٩.

(٥) المرجع السابق ص ١٠٦.

* عبدالعزيز بن حمد بن معمر (١٢٠٣هـ - ١٢٤٤هـ): ولد بالدرعية وبها تعلّم، وكان فقيهاً ذا يد طولى، لجأ إلى البحرين مدّة حرب الوهابيين مع إبراهيم باشا حاكم مصر، وبها توفي^(١).

* عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم (بعد ١٢٤١هـ): ولد بالدرعية وأخذ عن مشائخها، وولّي قضاءها أيام الإمام سعود، ولما خرج إلى الدرعية لحرب الجيش المصري، انتقل إلى عنيزة وتولّى قضاءها، ثمّ تحوّل إلى جنوب العراق وولّي القضاء بها إلى أن توفي.

من مصنفاته: الأجوبة والمسائل الشرعية إلى علماء الدرعية^(٢).

* أحمد بن رشيد (١١٨٠هـ - ١٢٥٨هـ): ولد بالإحساء وبها تعلّم، ونزل المدينة المنورة ودرّس بها، وولّي قضاءها أيام الإمام سعود، جلس للتدريس بالدرعية، ثمّ أخذ إلى مصر فعذب ومات منفياً^(٣).

- ٨ - تركيا - بلاد الروم قديماً - :

لئن تزامن نهاية الدور السابق مع سقوط الدولة العباسية التي استمرّ وجودها أكثر من خمسة قرون، فقد تزامن هذا الدور مع ظهور الدولة العثمانية التي ضمتّ أطراف البلاد العربية والإسلامية، وفتحت مناطق أخرى لم تكن من بلاد الإسلام قبل ذلك، وأصبحت رمز وحدة المسلمين واتّصالهم بتاريخهم.

وقد أيد سلاطينها دولتهم بفتوحات كثيرة وتنظيمات عديدة مكّنت لأركان ملكهم وثبتت صروح مجدهم واتّخذ السلطان مراد خان الأوّل من مدينة أدرنة - التي فتحها سنة ١٣٦١م - عاصمة ملكه إلى أن دخل محمد الفاتح سنة ١٤٥٣م/٨٥٧هـ القسطنطينية، التي سمّيت «إسلامبول» أي تخت

(١) المرجع السابق ص ١٠٦.

(٢) إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١٠٩.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٦.

الإسلام أو مدينة الإسلام^(١)، وعرفت أيضاً بالآستانة، وأصبحت هذه المدينة عاصمة الدولة العثمانية حتى يوم ٣ مارس ١٩٢٤م تاريخ إعلان مصطفى كمال أتاتورك إلغاء هذا النظام.

وقد أضحي هذا المركز التركي، هذا المركز الفقهي الجديد الذي انضاف في هذا الدور إلى المراكز الفقهية الأخرى، مركزاً عظيماً من مراكز التوجيه الفقهي والتخريج فيه، حيث أسس للعلم في العاصمة الإسلامية الجديدة أساساً راسخاً، وبنيت بها المدارس، فاستقطبت العلماء الكبار من أقصى الديار، وصارت بهم اسطنبول أم الدنيا ومعدن الفخار والعلية، واجتمع فيها أهل الكمال من كل علم وفقن^(٢).

وكان المذهب الحنفي هو المذهب الذي ساد هذا المركز الفقهي بلا منازع، لتبني الأتراك لهذا المذهب، ومن أشهر الأعلام الذين شهد لهم الأفاضل بوفرة العلم وغزارة الفضل، نذكر:

* شمس الدين محمد بن محمد - وقيل بن حمزة - الفناري (٧٥١هـ - ٨٣٣هـ): الذي رحل في طلب العلم ثم رجع إلى تركيا فولي قضاء بروساً - مدينة تركية في الأناضول - وانتفع بعلمه الطلبة مع اشتغاله بالقضاء، وارتفع قدره عند السلاطين العثمانيين، واشتهر ذكره وشاع فضله.

ومن شدة احتياطه وتبته في القضاء أنه رد شهادة السلطان بايزيد بن مراد في قضية، فسأله السلطان عن سبب ذلك فقال له: إنك تارك للجماعة، فبنى السلطان أمام قصره جامعاً وعين لنفسه فيه موضعاً، ولم يترك الجماعة بعد ذلك.

من مصنفاته: كتاب فصول البدائع في أصول الشرائع جمع فيه كتب المنار والبزدوي ومحصول الرازي ومختصر ابن الحاجب وغيرها، وعكف على تصنيفه ثلاثين سنة، ويعتبر من أجل الكتب الأصولية وأنفعها وأكثرها

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١١٣ وما بعدها.

(٢) شذرات الذهب ٤٩١/٧.

فوائد كما صرح بذلك الإمام الشوكاني، وله منظومة في عشرين علماً أتى في كل علم منها بمسألة، وغير أسماء تلك العلوم بطرق الألغاز ليمتحن فضلاء عصره، وشرح تلخيص الجامع الكبير في الفروع، وله غير ذلك من المصنفات.

خلف ثروة عظيمة فيها من الكتب نحو عشرة آلاف عنوان^(١).

وكان يعاصره قاضي السلطنة العثمانية:

* منلا خسرو محمد بن فرامرز بن علي المعروف بمنلا خسرو (٨٨٥هـ): شيخ الإسلام الحنفي الذي درّس بمدينة أدرنة بمدرسة شاه الملك، ثم صار قاضياً بالعسكر.

كان السلطان محمد الفاتح يجله كثيراً ويقول لوزرائه: هذا أبو حنيفة زمانه، وحين فتح القسطنطينية جعله قاضياً بها بعد وفاة المولى خضر بك، وضمّ إليه قضاء بعض النواحي الأخرى والتدريس بآيا صوفيا.

عظم أمره وشاع ذكره وعمّر عدّة مساجد بإسطنبول، ثم آل به الأمر إلى أن صار مفتياً بالتخت السلطاني، من مصنفاته التي اشتهرت وذاعت كتاب غرر الأحكام في الفروع وشرحه المسمّى بدرر الحكام^(٢).

* أحمد بن إسماعيل بن عثمان شرف الدين التبريزي الكوراني (٨١٣هـ - ٨٩٣هـ): القاهري ثم الرومي الشافعي ثم الحنفي، وصف بأنه عالم بلاد الروم لأنه هاجر إلى تركيا واستقرّ بها.

كان على براعة كاملة ومعرفة تامة بعلوم الفقه والقراءات والعربية وغيرها من العلوم، وكان أوّل أمره شافعيًا فلمّا هاجر إلى تركيا تحوّل حنفيًا وعظم اختصاصه بالسلطان العثماني محمد بن مراد المعروف بمحمد

(١) البدر الطالع ص ٧٨٤ - ٧٨٦، كشف الظنون ١٥٠/٦ - ١٥١.

(٢) نظم العقيان ص ١٠٩، شذرات الذهب ٤٨٨/٧ - ٤٨٩، كشف الظنون ١٩٦/١ و١٦٨/٦.

الفتاح، ونال منصب الإفتاء وأنشأ بإسطنبول جامعا ومدرسة، وانتشر علمه وأخذ عليه الأكابر.

عرضت عليه الوزارة فلم يقبلها، وأتاه مرّة مرسوم من السلطان فيه مخالفة للوجه الشرعي فمزّقه، ومناقبه كثيرة تدلّ على أنّه من العلماء العاملين غير أنّ الإمام السخاوي كانت له عليه انتقادات كثيرة^(١).

ومن أقرانه عالم تركيا المشهور بالتحقيق:

* مصطفى بن يوسف بن صالح البروسوي الرومي المشهور بخواجة زادة (٨٩٣هـ): المشهور بخواجة زادة، كان والده من التجار الأثرياء، فلما اشتغل ابنه بالعلم سخط عليه وأبعده عنه، ورغم ذلك فلم يزد صاحب الترجمة في العلم إلّا شغفا وتردّد على أكابر علماء تركيا، وبقي ست سنوات يشتغل بالعلم مع الفقر والحاجة حتّى صار لا يملك إلّا قميصا واحدا.

ولما تولّى السلطنة السلطان محمد خان بن مراد خان وأظهر الرغبة إلى العلم وأهله لقي الشيخ خواجة زادة حظوة، وسمّي معلّم السلطان ثمّ ولي قضاء العسكر، وهي بمرتبة قضاء الأقضية ببلاد المشرق، واشتهر الشيخ خواجة زادة في تركيا وانتشر ذكره وكثر تلامذته.

ولي التدريس ببروسا وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ثمّ التدريس بإسطنبول، ثمّ ولي قضاء أدرنة، ثمّ الإفتاء بإسطنبول، ثمّ قضاء إزنيق والتدريس بها بعد مؤامرة دبّرت ضدّه من وزير السلطان، وفي عهد السلطان بايزيد عين مفتيا لبروسا، له حواشي كثيرة في علوم متنوّعة^(٢).

وكان خاتمة القرن التاسع علامة دهره ونادرة زمانه:

* محمد بن سليمان بن سعيد بن مسعود الرومي (٧٨٨ - ٨٩٩هـ):

(١) البدر الطالع ص ٥٨ - ٦١، الضوء اللامع ١/٢٤١ - ٢٤٣.

(٢) البدر الطالع ص ٨٢٣ - ٨٢٦، شذرات الذهب ٨/١٥ - ١٦.

عرف بالكافياجي لأنه أكثر من قراءة الكافية لابن الحاجب وإقراءها حتى نسب إليها.

ولد بتركيا وطاف البلاد في طلب العلم فدخل الشام ومصر وغيرها من البلاد، ثم تصدى للتدريس والإفتاء والتأليف وعظم ذكره عند الناس وعند الملوك وخاصة السلطان العثماني الذي كان دائم المكاتبه له والإهداء. انتشر تلاميذه وشاعت فتاويه التي كان يسلك فيها منهج البسط والإسهاب والتوسع في المعقول، وأخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة، وتقدم طلبته في حياته وصاروا أعيان الوقت وتزاحموا عنده من سائر المذاهب والعلوم، ولازمه الإمام السيوطي أربع عشرة سنة، وذكر أنه ما جاءه مرة إلا وسمع من التحقيقات والعجائب ما لم يسمعه قبل ذلك.

عرف بقوة الاستنباط ومزيد الرغبة في إلقاء العلم وتقريره، وكانت له اليد الحسنة في الفقه والتفسير والنظر في علوم الحديث، وزادت تصانيفه على المائة مصنف^(١).

ومن العلماء العاملين الذين كانوا لا يفترون عن الاشتغال بالعلم والتدريس:

* مصلح الدين مصطفى القسطلاني الرومي (٩٠١هـ): وكان السلطان العثماني محمد خان حين بنى مدارس الثمانية بإسطنبول أعطاه الإشراف على واحدة منها، ثم ولي القضاء ببيروسا ثم أدرنة كذلك وإسطنبول، ثم قضاء العسكر.

وكان المولى خواجه زادة إذا ذكر صاحب الترجمة صرح بلفظ المولى، ولا يصرح بذلك لأحد من أقرانه، وكان يشهد له بقدرته على حلّ المشكلات والإحاطة بالعلوم الكثيرة في مدة يسيرة.

وقيل إنه لم يهتم بأمر التصنيف لاشتغاله بالدرس والقضاء^(٢).

(١) الضوء اللامع ٢٥٩/٧ - ٢٦١، البدر الطالع ص ٦٨٨ - ٦٨٩.

(٢) شذرات الذهب ٤٢/٨.

* علاء الدين علي بن يوسف بن شمس الدين الفناري الرومي (٩٠٣هـ): سبط المولى شمس الدين الفناري، الذي رحل في طلب العلم فدخل هراة وسمرقند وبخارى وقرأ على علمائها، وبرع في العلوم ودرّس هناك، ثم عاد إلى تركيا في أوائل سلطنة محمد خان، فعينه السلطان مدرّسا بمدينة بروسا ثم ولاءه قضاءها، ثم قضاء العسكر، ومكث فيه عشر سنوات ثم عزل، وكان قدر العلماء في زمن ولايته قد ارتفع إلى أوج الشرف، وفي عهد بايزيد أعيد على قضاء العسكر ومكث فيه ثمان سنين ثم عزل.

كان شديد الاهتمام بالعلم في جميع أوقاته لا ينام على فراش، وإذا غلبه النوم استند إلى الجدار والكتب بين يديه، فإذا استيقظ نظر فيها، واستمرّ يفيد الطلبة إلى أن توفي^(١).

ومن العلماء الكبار لهذا العصر:

* حميد الدين حمد الله بن أفضل الدين الحسيني (٩٠٨هـ): وليّ التدريس بمدرسة السلطان مراد خان ببروسا، ثم عزل عنها، وفي عهد السلطان محمد أعطي الإشراف على إحدى المدارس الثمانية، ثم القضاء بإسطنبول، ثم الإفتاء بها في أيام بايزيد واستمرّ على ذلك إلى حين وفاته.

ومن مبالغات تلميذه محيي الدين الفناري أنّه قال: لم يجد مسألة شرعية أو عقلية إلاّ وهو يحفظها^(٢).

ومن أقرانه:

* علاء الدين علي البكائي الرومي (٩٠٩هـ): قرأ على علماء عصره، وصار مدرّسا فدرّس في بروسا، ثم في إحدى المدارس الثمانية،

(١) البدر الطالع ص ٥٠٥ - ٥٠٦، شذرات الذهب ٥٠/٨، الكواكب السائرة ٢٧٨/١.

(٢) شذرات الذهب ٧٠/٨ - ٧١.

ثم عين مفتيا ببروسا، وكان عالماً سليم الطبع، انتفع به كثيرون^(١).
ومن الأعلام الذين انتفع بهم الطلبة في الثلث الأول من القرن
العاشر:

* المولى الفاضل يخشى خليفة الأماسي الرومي (٩٣١هـ): اشتغل
في العلم بأماسية على علمائها، ثم رحل إلى البلاد العربية فأخذ عن
علمائها، حتى صارت له يد طولى في الفقه والتفسير وكان يحفظ منه كثيراً.
وله مشاركة في سائر العلوم^(٢).

* علي بن أحمد بن محمد الملقب بعلاء الدين الرومي (٩٣٢هـ):
قرأ على المولى علاء الدين بن حمزة القرمانى وحفظ عنده مختصر
القدوري ومنظومة النسفي، ثم دخل إسطنبول وقرأ على الملا خسرو ونظراً
لاشتغاله بالفتوى بعث به إلى مصلح الدين بن حسام المدرّس ببروسا،
فأخذ عنه العلوم العقلية والشرعية، حتى صار معيدا له بالمدرسة، وزوجه
ابنته.

لما ولي بايزيد السلطنة عينه مدرّسا بإحدى المدارس الثمانية، ثم
فوض إليه الفتوى بمدينة أماسيا التركية، ثم ولي التدريس والإفتاء
بإسطنبول.

كان يقضي جميع أوقاته في التلاوة والعبادة والتدريس والفتوى، وكان
يجلس في بيته ويغلق باب داره وقد جعل للمستفتين زنبيلاً معلقاً، يلقون
فيه رقاع الفتاوى فيكتب عليها جوابه ثم يديها إليهم، وكان يفعل ذلك
حتى لا ينتظر الناس بيابه للفتوى، ولا يراهم فرّما يميّز بينهم في الفتوى.

وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويتدخل في أمور السلطنة

(١) شذرات الذهب ٧٦/٨.

(٢) شذرات الذهب ٢٢١/٨، الكواكب السائرة ١/١٦٤.

وشؤون السلطان، ويرى أنّ وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان^(١).

* سعد الله بن عيسى بن أمير خان القسطنطيني (٩٤٥هـ): نسبة إلى مدينة قسطنطيني التركية جنوبيّ البحر الأسود، الشهير بسعدي جلبي القاضي بإسطنبول والمفتي بها، من مصنفاته: منظومة فقهية وضعها باللغة التركية^(٢).

ومن الذين غمروا صدر القرن العاشر بشهرتهم:

* المولى نور الدين حمزة الشهير بأوج باشا (٩٤٥هـ): اشتغل بالعلم ثم درّس بمدارس كثيرة بأزنيق وأدرنة وأماسية ثم عين مفتي أماسية.

كان حريصاً على جمع المال متقللاً في معاشه حتى جمع أموالاً كثيرة، بنى بها في آخر حياته مسجداً بإسطنبول قريباً من داره وبيتاً لطلبة العلم، ووقف عليها أوقافاً كثيرة، فلما سئل عن صرف أمواله في الأوقاف وقد عرف بحبه لجمعه، قال: من غاية محبتي في المال أن يذهب معي إلى الآخرة^(٣).

* المولى سعد الدين عيسى بن أمير خان المعروف بسعدي جلبي (٩٤٥هـ): أحد المشهورين بالعلم والدين والرئاسة، أصله من مدينة قسطنطيني دخل إسطنبول مع والده ونشأ في طلب العلم وقرأ على علماء عصره.

عين مدرّساً بإسطنبول ثم ببروساً، ثم قاضياً بإسطنبول، ثم عزل وأعيد مدرّساً بإحدى المدارس الثمانية، ثم صار مفتياً، وبقي على الإفتاء مدة طويلة.

كان متفوقاً على أقرانه في التدريس وفي القضاء، من الذين صرفوا

(١) البدر الطالع ص ٤٣٤ - ٤٣٦، شذرات الذهب ٢٢٨/٨ - ٢٢٩، الكواكب السائرة ٢٦٧/١.

(٢) كشف الظنون ٣١٧/٥.

(٣) شذرات الذهب ٣١١/٨، الكواكب السائرة ١٣٩/٢.

جميع أوقاتهم في الاشتغال بالعلم، وكان في إفتائه مقبول الجواب مهتدياً إلى الصواب^(١).

* محمد بن مصلح الدين القوجوي الرومي محيي الدين المعروف بشيخ زادة (٩٥١هـ) : قرأ على علماء عصره من أعلام المركز التركي، حتى برع في العلوم ودرّس بمدارس تركيا وولي القضاء بها.

من مصنفاته شرح الوقاية في الفقه، وشرح للفرائض السراجيّة، وغيرها من المصنّفات^(٢).

* محيي الدين محمد إلياس الشهير بجوى زادة (٩٥٤هـ) : قرأ على علماء عصره وتنقل في المدارس حتى عيّن في إحدى المدارس الثمانية، ثم ولي قضاء العساكر بالأناضول، ثم صار مفتي إسطنبول، ثم عزل عن الفتوى وعاد إلى التدريس والقضاء، وكان قد عزل عن الفتوى لتغيّر الملك عليه بسبب إنكاره على محيي الدين بن عربي.

كان مقبلاً على الاشتغال بالعلم له يد طولى في الفقه والتفسير والأصول ومشاركة في سائر العلوم، سيفاً من سيوف الحقّ قاطعاً^(٣).

* المولى عبدالكريم الملقب بمفتي شيخ الرومي (٩٥٦هـ) : مفتي التخت السلطاني، اشتغل على علماء عصره، ثم جلس بأيا صوفيا بإسطنبول مشتغلاً بالإرشاد والفقه حتى أتقن مسائله، وظهرت مهارته في الفقه فنصّبهُ السلطان العثماني سليمان خان الأوّل القانوني مفتي السلطنة.

ملك كتباً كثيرة، وكان يقضي أغلب أوقاته في مطالعتها^(٤).

ومن الذين اشتغل عليهم طلبة العلم في النصف الثاني من القرن العاشر، نذكر:

(١) شذرات الذهب ٣١٢/٨ - ٣١٣، الكواكب السائرة ٢٣٦/٢.

(٢) البدر الطالع ص ٧٨٧ - ٧٨٨.

(٣) شذرات الذهب ٣٥٦/٨ - ٣٥٧، الكواكب السائرة ٢٨/٢.

(٤) شذرات الذهب ٣٦٤/٨ - ٣٦٥، الكواكب السائرة ١٧٩/٢.

* المولى كمال الدين المعروف بدادة خليفة (٩٧٣هـ): نشأ بمدينة أماسية، وكان في بداية حياته يمتحن صنعة الدباغة حتى أناف عمره على العشرين، ثم توجهت همته إلى طلب العلم فأكب على الاشتغال حتى برع وأصبحت له يد طويلة في الفقه والتفسير وعين مدرّسا بعدة مدارس ثم مفتيا ببعض الجهات التركيّة، من مصنفاته: منظومة في الفقه ورسائل كثيرة في علوم عديدة^(١).

* المولى أبو السعود محمد بن مصطفى العمادي (٨٩٨هـ) - (٩٨٢هـ): ولد بقرية قريبة من إسطنبول وقرأ على والده كثيرا حتى برع، ثم تنقل في المدارس، ثم قلّد قضاء بروسا ثم إسطنبول ثم قضاء العسكر ودام على ذلك ثمان سنين، ثم الفتيا سنة ٩٥٢هـ فسارت أجوبته في جميع الآفاق مسير النجوم، وضربت له نوبة الامتياز في مشارق الأرض ومغاربها.

كان عالماً واسع التقرير، سائح التحرير، وكان في عصره المرجع في جميع ما يتعلّق بالعلوم، عاقه الاشتغال بالتدريس والإفتاء عن التفرّغ للتأليف والتصنيف سوى أنّه اختلس فرصا صرفها للتفسير في كتاب سماه إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، واشتهر عند الناس بتفسير أبي السعود، ذكر الشوكاني أنّها من أجلّ التفاسير وأحسنها وأكثرها تحقيقا وتدقيقا، وله حاشية على كتاب العناية من أوّل كتاب البيع وبعض حواش على مواضع من تفسير الكشّاف جمعها حال إقرائه له، وتوفي بإسطنبول وهو على الإفتاء^(٢).

* المولى شمس الدين أحمد المعروف بقاضي زادة (٩٨٨هـ) : قرأ على علماء عصره كجوى زادة وسعدي حلبي، وتنقل في المدارس ثم قلّد قضاء حلب فأقام بها عدّة سنين ثم تولّى قضاء إسطنبول ثم قضاء العسكر ثم عزل بعد سبعة أشهر من ولايته، وفي عهد السلطان مراد خان أعيد

(١) شذرات الذهب ٤٣٩/٨.

(٢) شذرات الذهب ٤٦٧/٨، البدر الطالع ص ٢٧٣، لقط الفرائد ص ٣١٥، كشف

الظنون ٢١٢/٢ - ٢١٣.

لقضاء العسكر ثم قلد الفتوى بدار السلطنة.

كان كثير الاعتناء بدرسه، دائم الاشتغال في يومه وأمهه، من مصنفاته: نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار في الفقه، وشرح الهداية من أول كتاب الوكالة إلى آخر الكتاب، وله رسائل أخرى^(١).

* المولى محيي الدين محمد بن محمد بن إلياس المعروف بجوى زادة (٩٩٥هـ): أحسن قضاة الدولة العثمانية وأعفهم وأصلحهم سيرة.

ترقى في المدارس على عادة موالى بلاد تركيا، ودرس الكتب الستة في الحديث وحضر دروس الفقه والتفسير، ثم ولي قضاء دمشق سنة ٩٧٧هـ، ثم ولي قضاء مصر، ثم أصبح قاضياً بالعساكر، وفي آخر حياته عين مفتياً بالتخت السلطاني^(٢).

ومن الذين اشتهر ذكرهم بعد القرن العاشر:

* الحسين بن عبد النبي بن عمر بن الشعال (١٠٦٩هـ): الدمشقي الأصل الحلبي المولد والدار، الحنفي المذهب، دخل الآستانة وولي الإمامة السلطانية^(٣).

* علي بن محمد حفيد سيد علي زادة الشهير بباشماقجي زادة (١١٢٢هـ): مفتي الإسلام الحنفي بالبلاد التركية وصاحب المجموعة الفقهية^(٤).

* أبو إسحاق إسماعيل نعيم بن إبراهيم العلانية الرومي (١٠٥٥هـ - ١١٣٧هـ): مفتي الإسلام، وصاحب مجموع الفتاوى^(٥).

* عبدالعزيز بن حسام الدين حسين بن محمد الشهير بقرة جلبي زادة

(١) شذرات الذهب ٤٨٥/٨، معجم المؤلفين ١٧١/٢.

(٢) شذرات الذهب ٥٠٨/٨ - ٥٠٩، الكواكب السائرة ٢٧/٣.

(٣) كشف الظنون ٢٦٤/٥.

(٤) كشف الظنون ٦١٠/٥.

(٥) كشف الظنون ١٨٠/٥.

(١٠٠٠ - ١٠٦٨هـ): مفتي الإسلام الحنفي بالبلاد التركية وصاحب كتاب الألفاظ في فقه الحنفية^(١).

* إسماعيل وهبي بن محمد بن مصطفى القونوي أبو الفداء عصام الدين (١١٩٥هـ): رئيس العلماء بتركيا، وهو أول من درّس التفسير بحضور السلاطين^(٢).

* عمر بن حسين الأمدي (١٢٠٠هـ) : نسبة إلى مدينة آمد وهي ديار بكر الواقعة على دجلة شرقي الأناضول بتركيا، المعروف ببوزجي زادة، انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى ببلده^(٣).

* عبدالسلام بن عمر بن محمد المارديني (١٢٠٠هـ - ١٢٥٩هـ): نسبة إلى مدينة ماردين شرقي الأناضول قرب الحدود السورية، مفتي ماردين، وصاحب القيراطية الصغرى والكبرى في الفرائض والرسائل والحواشي الكثيرة في مختلف العلوم^(٤).

وغير هؤلاء كثيرون ممن لم يشملهم العدّ.

ومما تجدر الإشارة إليه من خلال تتبّع أعلام الفقه بالمركز التركي أنّ الكثير منهم قد سلكوا مسلك التصوّف ورغبوا فيه واتصلوا بشيوخه وتربّوا على أقطابه، فكان لهم حظّ من علم التصوّف، ويد في الوعظ والتذكير.

- ٩ - بلاد الهند:

دخل الإسلام الهند منذ عهود الإسلام الأولى مع التجّار المسلمين العرب، وحين دخل محمد بن القاسم الثقفي بلاد السند - منطقة باكستان الغربية اليوم - الواقعة على شاطئ الهند الغربي الشمالي، فتح الطريق لسيطرة الدولة الأموية على مساحة واسعة من الهند.

(١) كشف الظنون ٤٧١/٥ - ٤٧٢.

(٢) كشف الظنون ١٨٢/٥.

(٣) كشف الظنون ٦٣٧/٥.

(٤) كشف الظنون ٤٦٢/٥.

وبقي الوضع كما هو في عهد الأمويين والعباسيين، واستغل بعض الأمراء ضعف الدولة العباسية، فاستقلّوا بحكم هذه البلاد، وبقي الأمر على تلك الحال حتى أخضع محمود الغزنوي في القرن الرابع الهجري جزءاً كبيراً من أرض الهند، ثم قامت الدولة الغورية على أنقاض الدولة الغزنوية، وتتابع حملات الفتح الإسلامي بهذه البلاد حتى أصبحت الهند بكاملها تخضع لحكم المسلمين الذين اتخذوا دلهي عاصمة لها.

ولما قدمت الدولة التيمورية أو المغولية سنة ٩٣٢هـ بلاد الهند، كان الأمر قد استقرّ وبلغ الحكم الإسلامي أوجه، واتسع نطاق الدولة فانظمت الهند كلّها وامتدّت من بكين إلى بولندا، ومن بغداد إلى غابات سيبيريا، وازدهرت فيها الحضارة، وبلغت من المجد والسيادة في أوائل القرن الحادي عشر الهجري إلى الحدّ الذي ظلّ فيه رسول جيمس الأوّل ملك إنجلترا أكثر من سنتين في الهند يحاول مقابلة الإمبراطور «جهانكير» فلم يتمّ له شرف هذه المقابلة، فتوسّل في ضراعة أن يأخذ كتاباً منه يحمله إلى إنكلترا، فردّ عليه الوزير الأوّل قائلاً: «إنّ ممّا لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكتب كتاباً إلى سيّد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون».

ثم أخذت الدولة بعد ذلك تضمّر وظلّها يتقلّص شيئاً فشيئاً، وبدأ الأمراء يستقلّون بالولايات، وأتيح للفرص لأمرء السيخ أن يحاربوا الدولة وينتقصوها من أطرافها ويقتطعوا لهم من جسمها الكبير ممالك وولايات، وما زال ذلك الضعف يسري في جسد الدولة، حتى ذهب سلطانها وضاع نفوذها، ووجد الإنكليز الفرصة مواتية لبسط نفوذهم، ورغم محاولات المقاومة والثورات العاتية التي كانت آخرها سنة ١٢٧٤هـ، فقد استطاع الإنكليز السيطرة على البلاد وضمّها إلى المستعمرات البريطانية، ولم يخرجوا منها إلّا بعد أن قسّموها إلى دولتين: باكستان والهند.

ومع أنّ الإسلام قد لبث في الهند زهاء سبعة قرون، فإنّ الذي نراه اليوم من اسم الإسلام في هذه البلاد وارتفاع كلمته في بعض أقطارها، لم يكن من صنع ملوك المغول وسلاطين الترك الذين حكموا تلك البلاد باسم

الإسلام، وإنما كان الفضل فيه يعود إلى العلماء والتجار الذين دخلوا الهند دعاة مرشدين وخالطوا أهلها ولقنوهم مبادئ الدين الحق، حتى تأثر سكان البلاد بأخلاقهم الزكية وسجاياهم العالية^(١).

وكان جل هؤلاء العلماء الذين وردوا الهند ونشروا فيها العلم من علماء ما وراء النهر الذين كان يعتمدون في فقههم على المذهب الحنفي، فلذلك انتشر هذا المذهب ببلاد الهند وساد أتباعه.

ومن أشهر الذين ذاع صيتهم بتلك الأصقاع نذكر:

* عبدالحكيم بن شمس الدين محمد السيكالكوتي (١٠٦٧هـ):
البنجابي الهندي الفقيه الحنفي^(٢).

* علي أصغر بن عبدالصمد البكري القنوجي (١٠٥١هـ - ١١٤٠هـ): وهو من أعظم فقهاء الحنفية ببلاد الهند^(٣).

* أحمد بن عبدالرحيم العمري المعروف بشاه ولي الله الدهلوي (١١١٤هـ - ١١٨٠هـ): كان والده من وجوه مشائخ دلهي ومن أعيانهم ومن العلماء الممتازين الذين راجعوا الفتاوى الهندية المشهورة، وله حظ وافر من العلوم، فدرس الشيخ ولي الله على والده علوم زمانه وأتمها قبل سن الخامسة عشرة، وكان قد حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز السابعة من عمره.

اشتغل بالتدريس والتأليف في بيت أبيه، فلما كثر طلابه واشتهر أمره أعطاه السلطان محمد شاه الإشراف على دار العلوم.

(١) مقدمة محقق كتاب حجة الله البالغة ص ٦ - ١٢، نقلا عن المراجع التالية: «تاريخ الإسلام في الهند للأستاذ عبدالمنعم النمر، والجزء السادس من «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» للشيخ عبدالحق بن فخر الدين الحسن، وكتاب «نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان» للأستاذ مسعود الندوي.

(٢) كشف الظنون ٤١١/٥.

(٣) كشف الظنون ٦١١/٥.

اهتم بدراسة المذاهب الأربعة وأصولها، ونظر في الأحاديث التي يعتمد عليها أصحاب المذاهب في بناء الأحكام، وارتضى منها طريقة الفقهاء المحدثين، وشرح أصول المذاهب المختلفة وجمعها، وردّ وجوه الاستنباط إلى عشرة، وأسّس قواعد الجمع بين مختلف الأدلة وبين قوانين الترجيح، كما اهتم بعلوم اللغة والعقائد وغيرها من العلوم.

كان صاحب مدرسة عظيمة تركت أثرها في تطوّر الفكر في الهند، حتى أنّ أولاده وتلاميذه قد ساروا على نهجه وانتسبوا إلى مدرسته.

من مصنفاته: الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف بين الفقهاء والمجتهدين، حاول فيه التوفيق بين المذاهب فإنّ تعدّد ذلك أخذ بما يوافق الأحاديث الصحيحة ورجّحه على غيره، وله كتاب حجّة الله البالغة في علم أسرار الشريعة سلك فيه منهج تأصيل الأصول وتفريع الفروع وتمهيد المقدمات والمبادئ واستنتاج المقاصد وله عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، وقد زادت مصنفاته على الأربعين مؤلفاً في مختلف العلوم كالتفسير والحديث وأصول الدين والأدب وغير ذلك^(١).

ومن منن الله ونعمه السابغة على الإمام وليّ الله - كما قال الشيخ مسعود الندوي -^(٢) أن رزقه أنجالاً بررة، كلّ منهم طود علم راسخ، أفادوا جمّاً غفيراً من أهل الهند، وهؤلاء الأنجال هم:

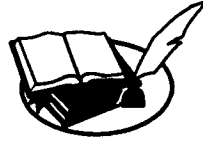
عبدالعزیز (١١٥٩هـ - ١٢٣٩هـ) ورفيع الدين (١١٦٣هـ - ١٢٣٣هـ) وعبدالقادر (١٢٣٠هـ) وعبدالغنيّ (١٢٢٧هـ)، وسبطه محمد إسحاق (١٢٦٢هـ) وحفيده إسماعيل الهنيد (١٢٤٦هـ) الذي كان غرّة في جبين الإصلاح الديني في الهند ودرّة في تاج هذا البيت العظيم.

(١) مقدّمة محقّق كتاب حجّة الله البالغة ص ١٢ - ١٨، نقلا عن المراجع التي سبق الإشارة إليها، وكشف الظنون ١٤٦/٥، وفهرس الفهارس ٢٠٤/١ - ٢٠٥.

(٢) مقدّمة محقّق كتاب حجّة الله البالغة ص ١٩، نقلا عن كتاب «نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان» للأستاذ مسعود الندوي.

ويعتبر أكبر الأنجال عبدالعزیز خلیفة أبیه ووارث علومه، ولکلّ من هؤلاء مصتقات سائرة في أنحاء البلاد.

وكذلك نبغ من تلاميذ أبناء الإمام وليّ الله وتلاميذهم من نوروا أرجاء الهند المظلمة بأنوار الكتاب والسنة، وأضاءوا جوانبها بمصايح العلم والتقوى.

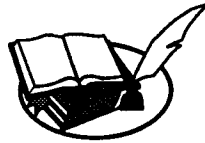


حركة التدوين في هذا الدور

حازت بعض المصنّفات الفقهية في هذا الدور شهرة عظيمة، وانتشرت مشرقاً ومغرباً، وعكف الفقهاء على دراستها وهجروا ما سواها من كتب المتقدمين، فكان كلما وضع علم من أعلام هذا العصر متناً أو مختصراً شمر من جاء بعده عن ساعد الجدّ واعتنى بشرح ألفاظه وبيان مراميّه، وربما جعلوه نظماً مقتضباً، أو أرجوزة محكمة، وتتبعوا الروايات المطلقة بالتصحيح، وقيدوا ما أخلّ به المصنّف من الشروط، وفسّروا ما أبهم فيه من حكم أو لفظ، واستثنوا من عمومه وحملوا على بعض فروع ما هو مرتبط بها، وزادوا في المسائل تحريراً وتصحيحاً حتى يصير الكتاب محور أكثر الشروح والحواشي والدراسات، ومدار أغلب البحوث والتعليقات والتقييدات.

وكانوا في أعمالهم تلك ربّما يجردون تأليفهم من الدليل ويقدمون الراجح في المذهب بلا تعليل، وربما يتوسعون في ذكر المسائل المتفق عليها والمختلف فيها بين الأئمة، ويجعلون لأنفسهم اختيارات بعد التحقيق، سالكين بذلك مسالك المجتهدين.

ومن بين تلك المصنّفات التي اتّسمت بهذا المنهج أو ذاك، نذكر:



حركة التدوين في المذهب الحنفي

١ - المختار:

لأبي الفضل مجد الدين عبدالله بن محمود بن مودون الموصلية (٦٨٣هـ) ثم شرحه وسمّاه الاختيار، ذكر فيه أنه جمع في شبابه مختصراً في الفقه سمّاه المختار للفتوى، اقتصر فيه على مذهب الإمام أبي حنيفة واعتمد فيه على فتواه، ولما حفظه جماعة من الفقهاء واشتهر وشاع ذكره بينهم وانتشر وتداولته الأيدي، طلب منه بعض أولاد بني أخيه أن يشرحه، فشرحه شرحاً أشار فيه إلى علل المسائل ومعانيها وذكر فروعاً يحتاج إليها ويعتمد في النقل عليها.

اختصره أبو العباس أحمد بن عليّ الدمشقي (٧٨٢هـ) وسمّاه التحرير ثم شرحه ولم يكمله، وشرحه أيضاً ابن أبي القاسم القره حصاري الرومي (٧٣٠هـ)، ومحمد بن الياس سمّاه الإيثار لحلّ المختار، وكذلك محمد بن إبراهيم بن أحمد المدعو بالإمام وسمّاه: فيض الفقار، وللزيلعي شرح عليه أيضاً.

ونظّمه تاج الدين أبو عبدالله بن عليّ البخاري (٧٩٩هـ) وشرحه ابن أمير الحاج (٨٧٩هـ) ذكره في شرحه للمنية، وشرحه شيخ الإسلام شمس الدين الشبرسي محمد بن الحسن الشاذلي (٨٤٧هـ) وشرح فرائضه زين الدين أبو محمد عبدالرحمن بن أبي بكر العيني (٨٩٣هـ)، وخرّج الشيخ قاسم بن قطلوبغا (٨٧٩هـ) أحاديث الاختيار وله شرح

المختار أيضاً^(١).**٢ - مجمع البحرين وملقى النهريين:**

لمظفر الدين أحمد بن عليّ بن ثعلب المعروف بابن الساعاتي البغدادي (٦٩٤هـ) جمع فيه مسائل القدوري والمنظومة مع زيادات ورتبه فأحسن ترتيبه وأبدع في اختصاره، وهو نهاية في الإيجاز وحلّ مسأله صعب لغاية الإعجاز.

ذكر في آخر كلّ كتاب منه ما شدّ عنه من المسائل المتعلقة بذلك الكتاب، وكان الفراغ من تأليفه سنة ٦٩٠هـ.

شرحه شمس الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن إلياس القونوي الدمشقي (٧٨٨هـ) في عشرة أجزاء ثمّ لخّصه في ستّة أجزاء وسمّاه درر البحار فجاء متناً مختصراً، ذكر فيه صاحبه أنّه جمع فيه بين مجمع البحرين وبين مذهب أحمد بن حنبل والشافعي ومالك.

وكان الفراغ من تأليفه سنة ٧٤٦هـ، ومدّة تأليفه شهر ونصف تقريباً، وعليه شروح منها: شرح زين الدين عبدالرحمن بن أبي بكر العيني (٨٩٣هـ) أحسن فيه وأجاد، وشرح عبدالوهاب بن أحمد الشهير بابن وهبان (٧٦٨هـ) صاحب المنظومة التي ضمّت غرائب المسائل، وهي نظم في أربعمائة بيت سمّاه قيد الشرائد ونظم الفرائد استقاها من ستّة وثلاثين كتاباً، وقد أحال في عدّة أماكن من شرحها المسمّى بعقد القلائد في حلّ قيد الشرائد على شرحه هذا، ولشمس الدين محمد بن محمد بن محمود البخاري شرح سمّاه: غرر الأذكار، ولشهاب الدين أحمد بن محمد بن خضر (٧٨٥هـ) شرح ألفه في حياة صاحب المتن وسمّاه الغوص لاقتباس نفائس الأسرار المودعة في درر البحار، وشرح زين الدين قاسم بن قطلوبغا (٨٧٩هـ).

(١) كشف الظنون ٥١٣/٢ - ٥١٤، الاختيار لتعليل المختار ٢/١.

وشرح المجمع أيضاً بدر الدين محمود بن أحمد العيني (٨٥٥) وسمّاه المستجمع، وهو شرح بالقول حافل، اقتصر فيه صاحبه على ما لا بدّ منه من الحلّ والإيضاح وزاد الإشارة إلى أقوال الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل، ولوّح إلى الأصحّ من أقوالهم، وذكر في آخر الكتاب أنّه صنّفه وعمره ٢٤ سنة، وفرغ منه في شهر رمضان من سنة ٧٨٥هـ.

ومن شروحه قرّة العين بمجمع البحرين لأبي المواهب أحمد بن أبي الروح عيسى بن خلف، من ذرية الشيخ مرزوق الرشيدي الإمام بجامع السلطان بايزيد، وكان الفراغ من تأليفه سنة ٩٤٤هـ^(١).

- ٣ - وقاية الرواية في مسائل الهداية:

لبرهان الشريعة محمود بن صدر الشريعة الأول، عبيدالله المحبوبي، صنّفه لابن بنته صدر الشريعة الثاني والكتاب متن مشهور اعتنى به الفقهاء قراءة وحفظاً وتدريساً.

وأشهر شروحه: الوقاية شرح الإمام صدر الشريعة الثاني عبيدالله بن مسعود المحبوبي (٧٥٠هـ) الذي أتمّه في سنة ٧٤٣هـ، وقد غلب نعته على شرحه حتى صار اسماً لشرحه، وقد وضعت على هذا الشرح المشهور حواشي كثيرة ذكر منها حاجي خليفة العشرات، أجمعها حاشية المولى بن جنيد المعروف بأخي لبي (٩٠٥هـ) المسماة بذخيرة العقبى، بدأ فيها سنة ٨٩١هـ وأتمّها بعد عشر سنوات، وقد كانت هذه الحاشية مقبولة معتمدة عند الحنفيّة في هذا الدور، وحاشية المولى يعقوب باشا بن خضر بيك (٨٩١هـ) أورد فيها دقائق وأسئلة مع الإيجاز في التحرير وأكثر ما ذكره مأخوذ من شروح الهداية والتلويح.

وشرح الوقاية أيضاً الشيخ جنيد بن سندل زين الدين سمّاه توفيق العناية في شرح الوقاية، وشرحه المولى علاء الدين علي بن عمر الأسود

(١) كشف الظنون ٥٧١/١ و٤٩٧/٢ - ٤٩٨ و٦٩٣/٢.

(٨٠٠هـ) وسمّاه العناية في شرح الوقاية، صنّفه حين كان مدرّساً بمدرسة أزيق، والكتاب حافل كافل لحلّ مشكلات الوقاية، وأكثر ما فيه مأخوذ من شروح الهداية، وليس للشارح فيه تصرّفات كثيرة، ورغم ذلك فهو كتاب مفيد حاو لمسائل يعتدّ بها، وشرحه كذلك المولى يوسف بن حسين الكرماسي (حدود ٩٠٠هـ) وسمّاه الحماية عند الختم بالهداية ممّن له العناية في البداية والنهاية وأشهر شروحه شرح الإمام صدر الشريعة الثاني عبيدالله بن مسعود المحبوبي (٧٥٠هـ) الذي أتمّه سنة ٧٤٣هـ، وقد غلب نعته على شرحه حتّى صار اسماً لشرحه، وعلى هذا الشرح المشهور وضعت حواشي كثيرة ذكر منها حاجي خليفة العشرات، وأجمعها حاشية المولى بن جنيد المعروف بأخي (٩٠٥هـ) المسماة بذخيرة العقبى، بدأ فيها سنة ٨٩١هـ وأتمّها بعد عشر سنوات، وقد كانت هذه الحاشية مقبولة معتمدة عند الحنفيّة في هذا الدور^(١).

ومن أجلّ مختصرات الوقاية، كتاب النقاية لصدر الشريعة عبيدالله بن مسعود (٧٤٥هـ) حيث أجاد وبالغ في إيجازها، وصنّفت على هذا المختصر شروح كثيرة، منها: شرح تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشمني (٧٨٢هـ) وسمّاه: كمال الدراية في شرح النقاية، وشرحها زين الدين أبو محمد عبدالرحمن بن أبي بكر المعروف بابن العيني (٨٩٣هـ) وعبدالواجد محمد بن محمد المشهدي (٨٣٨هـ) وأهداه إلى السلطان مراد الثاني، وقال: رغبت في جمع مختصر فيه موسوم بالاختيارات يشتمل على المهمّات ويتضمّن كتاب النقاية الذي فيه من المسائل غرائبها، وفرغ منه سنة ٨٠٦هـ، وشرحه علاء الدين علي بن محمد المعروف بمصنّفك (٨٧٥هـ) وقاسم بن قطلوبغا (٨٧٩هـ) وعبدالعلي البرجندي (٩٣٢هـ) ومحمود بن إلياس الرومي شرحه شرحاً مفيداً أتمّه في سنة ٨٥١هـ، ولشمس الدين محمد الخراساني ثمّ القهستاني (٩٦٢هـ) نزيل بخارى ومرجع الفتوى بها وبجميع ما وراء النهر شرح قيل هو من أعظم الشروح

(١) كشف الظنون ٨٠٦/٢ - ٨١٠.

نفعاً وأدقها إشارة ورمزاً، سمّاه جامع الرموز وفرغ من تأليفه سنة ٩٤١هـ، ونقد بأنه جمع في شرحه هذا بين الغث والسمين والصحيح والضعيف من غير تحقيق ولا تصحيح وتدقيق، وأنه كحاطب ليل جمع بين الرطب واليابس.

ومن شروح النقاية شرح أبي المكارم بن عبدالله بن محمد أتمّه في سنة ٩٠٧هـ، وشرح المولى نور الدين علي بن سلطان محمد القاري الهروي (١٠١٤هـ) سمّاه: فتح باب العناية لشرح كتاب النقاية، قال فيه: أنّه لما كان كتاب النقاية من أوجز المتون قصدت أن أكتب عليه شرحاً غير مخلّ مشحوناً بالأدلة من الكتاب والستة والإجماع والاختلاف، وفرغ منه سنة ١٠٠٣هـ بمكة المكرمة^(١).

- ٤ - كنز الدقائق:

لأبي البركات عبدالله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي (٧١٠هـ) لخص فيه كتابه الوافي بذكر ما عمّ وقوعه من مسائل الفتاوى والواقعات، واكتفى فيه بالعلامات، فجعل الحاء علامة لأبي حنيفة، والسين لأبي يوسف، والميم لمحمد بن الحسن، والزاي لزفر، والفاء للشافعي، والكاف لمالك، والواو لرواية الأصحاب من الأحناف.

وقد اشتمل هذا المختصر على ما يُحتاج إليه من الواقعات مع لطافة حجمه لاختصار نظمه، ولذلك اعتنى به الفقهاء وتناولوه بالشرح، وأهمّ هذه الشروح:

- شرح الإمام فخر الدين الزيلعي (٧٤٣هـ) في كتاب سمّاه: تبيين الحقائق لما فيه ما اكتنز من الدقائق، وهو شرح متوسط حلّ ألفاظه وعلل أحكامه وزاد عليه بعض الفروع.

(١) كشف الظنون ٧٧٠/٢ - ٧٧٢.

- شرح القاضي بدر الدين محمود بن أحمد العيني (٨٥٥هـ) شرحاً مختصراً، سَمَاهُ: رمز الحقائق.

- شرح زين العابدين ابن نجيم (٩٧٠هـ) سَمَاهُ البحر الرائق في شرح كنز الحقائق، وذكر أنّ كتاب كنز الحقائق هو أحسن مختصر صَنَّفَ في فقه الأئمة الحنفيّة، وأنّ شرح الزيلعي هو أحسن شروحه غير أنّه قد أطال من ذكر الخلافات، فقام ابن نجيم بشرح كنز الدقائق شرحاً أفصح به عن منطوقه ومفهومه، وردّ فروع الفتاوى والشروح إليهما مع تفاريع كثيرة، وذكر المآخذ من الشروح سبعا وعشرين، ومن الفتاوى إحدى وعشرين، وعَرَفَ الفقه في أوّله تعريفاً شافياً.

- شرح سراج الدين عمر بن نجيم (١٠٠٥هـ) سَمَاهُ: النهر الفائق بشرح كنز الدقائق، ذكر فيه أنّ كتاب كنز الدقائق قد جمع غرر فنّ الفقه وقواعده، فشرحه وأودع فيه حقائق لباب آراء المتقدمين وفوائد أفكار المتأخرين، قال: «لا سيّما شيخنا الأخ زين الدين ختام المتأخرين»^(١).

- ٥ و ٦ - جامع الفصولين ولطائف الإشارات:

كلاهما لبدر الدين محمود الشهير بابن قاضي سماونة (٨٢٣) فأما جامع الفصولين فقد شرع في تأليفه في جمادى الأولى سنة ٨١٣هـ وختمه في صفر من سنة ٨١٤هـ.

وقد كان هذا الكتاب مشهوراً متداولاً في أيدي الحكّام والمفتين من المذهب الحنفي لكونه في المعاملات خاصّة والدعاوي والقضاء.

جمع فيه صاحبه بين كتابين، الأوّل: فصول العمادي لجمال الدين بن عماد الدين، الذي جعله في أربعين فصلاً في المعاملات فقط،

(١) كشف الظنون ٤٣٤/٢ - ٤٣٥ و ٧٨٩/٢، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ٢/١، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٢/١.

والثاني: فصول الأسروشي لمجد الدين أبي الفتح محمد بن محمود بن حسين، الذي جعله في ثلاثين فصلاً.

وذكر صاحب الفصولين أنه جمع بين الكتابين ولم يترك شيئاً من مسألتهما إلا ما تكرر منها، واستغنى عن فرائض العمادي بفرائض سراج الدين السجاوندي، وأوجز العبارة وجمع ما تيسر له من مصادر الفقه الحنفي الأخرى كالخلاصة والكافي ولطائف الإشارات وغيرها، وأثبت ما سنح له من النكت والفوائد، وله فيه أسئلة واعتراضات على الفقهاء أجاب عنها يحيى الفقيه صاحب مشتمل الأحكام في أول تأليفه المسمى بفرائد الداللي.

وأجاب عنها أيضاً الشيخ سليمان بن علي القرماني (٩٢٤هـ) وعدة الأجوبة ٣٨٠ جواباً، وكذلك الفقيه زين الدين بن نجيم في تعليقه عليه.

وقد قام المولى محمد بن أحمد المعروف بنشانجي زادة (١٠٣١هـ) بترتيب مسائل جامع الفصولين وتصرف فيه بالزيادة والنقص والإبرام والنقص وسمّاه: نور العين في إصلاح جامع الفصولين، وذكر أنه لما ابتلي بالقضاء وجد أنه أنفع الكتب وأجمعها لمسائل الدعاوي، غير أنه اشتمل على التكرار والإطناب فقام بتهذيبه، وغير ترتيبه، وزاد في أكثر المواضع مسائل، وأجاب بما لاح له عن اعتراضاته على السلف.

وأما لطائف الإشارات فله عليه شرح سمّاه التسهيل، وهو كتاب يغني عن أكثر ما في المطولات، جمع فيه الأصول والفروع بأوجز العبارات ضمن قواعد تدل على الخلافات، ورتبه كترتيب مجمع البحرين.

أورد فيه جميع مسائل المجمع والمختار وكنز الدقائق والوقاية، وفي أثناء كل فصل أورد المسائل التي لم تذكر في تلك الكتب، وكان قد ألف هذا الكتاب حين كان محبوساً ببلدة أزينيق^(١).

(١) كشف الظنون ١/٤٤٧ - ٤٤٨ و ٢/٢٣٠، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٥١، ٤٦١.

٧ - البزازية في الفتاوى:

لحافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزاز الكردي (٨٢٧هـ) سماها الجامع الوجيز وهو مختصر جامع في بيان تفرعات الأحكام على وجه الإحكام، لخص فيه زبدة مسائل الفتاوى والواقعات من الكتب المختلفة، ورجح ما ساعده الدليل وذكر أئمة المذهب أن عليه التعويل، وكان الفراغ من جمعه وتأليفه سنة ٨١٢هـ.

وذكر فيه صاحبه نوازل الأيام ومختارات المشائخ الكرام على رأي أبي حنيفة النعمان وأصحابه الكرام، ليكون عوناً لمن تصدى للإفتاء.

قيل لأبي السعود المفتي، لم لم تجمع المسائل المهمة ولم تؤلف فيها كتاباً؟ فقال: أستحي من صاحب البزازية مع وجود كتابه لأنه مجموعة شريفة جامعة للمهمات كما ينبغي.

اختصره سراج الدين بن طبيب الصونيجي سنة ٨٩٣هـ، ولبعض الفقهاء منتخب من البزازية سماه الخلاصة^(١).

٨ - غرر الأحكام:

وهو متن مختصر لمنلا خسرو (٨٨٥هـ) شرحه وسماه درر الأحكام، ومن الحواشي المشهورة عليه: حاشية المولى محمد بن مصطفى الواني الشهير بوانقولي (١٠٠٠هـ) سماه: نقد الدرر، فرغ من تأليفه في شهر محرم من سنة ٩٩٥هـ، ثم حاشية المولى حالي مصطفى الشهير بعزمي زادة (١٠٤٠هـ).

ولإسماعيل بن عبدالغني بن إسماعيل النابلسي الأصل الدمشقي (١٠٦٢هـ) شرح الدرر المسمى بالأحكام، وصفه الأميني في خلاصة الأثر بأنه كتاب جليل المقدر مشتمل على حلّ فروع المذهب.

ولنوح بن مصطفى الرومي (١٠٧٠هـ) حواشي على الدرر سماها:

(١) الفتاوى البزازية بهامش الفتاوى الهندية ٢/٤، كشف الظنون ١/٢٣٥.

نتائج النظر، وللشيخ عليّ البصير الحموي (١٠٩٠هـ) مفتي طرابلس الشام نظم كتاب الغرر في ألفي بيت، ترجمها سليمان بن وليّ الأنقروي إلى التركية في عهد السلطان محمد بن مراد خان.

ومن الحواشي على الدرر حاشية أبي الإخلاص حسن بن عمّار بن عليّ الوفائي الشرنبلالي (١٠٦٩هـ) التي اشتهرت في حياته وانتفع الناس بها حين كان مدرّساً بالجامع الأزهر^(١).

- ٩ - ملّقى الأبحر:

لإبراهيم بن محمد الحلبي (٩٥٦هـ) جعله مشتملاً على مسائل القدوري والمختار وكنز الدقائق والوقاية بعبارة سهلة، وأضاف إليه بعض ما يحتاج إليه من مسائل مجمع البحرين ونبذة من الهداية، وقدم من أقوالهم ما هو الأرجح وأخر غيره، واجتهد في التنبيه على الأصح والأقوى وفي عدم ترك شيء من مسائل الكتب الأربعة، ولهذا بلغ صيته في الآفاق ووقع على قبوله بين الحنفيّة الاتّفاق.

شرحه تلميذه الحاج علي الحلبي (٩٦٧هـ) أورد فيه الاعتراض والجروح على شروح المتون الأربعة، كما شرّحه محمد بن محمد المعروف بابن البهنسي (٩٨٧هـ) أحد مشائخ دمشق، ووصل فيه كتاب البيع، ثمّ شرّحه نور الدين علي الباقلاني القادري، تلميذ البهنسي، بدأ في شرحه سنة ٩٩٠هـ وفرغ منه سنة ٩٩٥هـ، وذكر فيه أنّ ملّقى الأبحر أجلّ متون المذهب وأجمعها وأتمّها فائدة وأنفعها، فلذلك تصدّى لشرحه، وجمع فيه من كتب المذهب كالهداية وشروحها وغير ذلك وسماه مجرى الأنهر على ملّقى الأبحر.

ومن شروحه أيضاً نذكر: شرح شاه محمد بن أحمد بن أبي السعود الصديقي المسمّى بمنتهى الأنهر في شرح ملّقى الأبحر ألفه سنة ١٠٥٢هـ،

(١) كشف الظنون ١٩٦/٢ - ١٩٧.

وشرح قاضي القضاة بالعساكر الرومية عبدالرحمن بن محمد بن سليمان المدعو بشيخ زادة (١٠٧٨هـ) المسمى بمجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، وكان قد فرغ من تأليفه سنة ١٠٧٧هـ، وشرح محمد بن علي بن محمد بن علي المعروف بعلاء الدين الحصكفي (١٠٨٨هـ) المسمى بالدر المنتقى في شرح الملتقى، وشرح الشيخ عبدالباقي بن أحمد الشهير بظريفي المسمى بنور التقي في شرح الملتقى، أتمه سنة ١١٠٨هـ.

وشرح مناسكه الشيخ محمد صالح المعروف بقاضي زادة المدني (١٠٧٨هـ) كما شرح فرائضه الشيخ علاء الدين علي بن محمد الطرابلسي (١٠٣٢هـ) وسمّاه سكب الأنهر على فرائض ملتقى الأبحر.

وغير ذلك من الشروح^(١).

١٠ - شروح الهداية:

كما وقع الاعتناء في هذا الدور بكتاب الهداية - من المؤلفات التي أسهمت في إذكاء الحركة الفقهية في الدور السابق - لشيخ الإسلام الحنفي برهان الدين علي المرغيناني (٥٩٣هـ) فشرحه قوام الدين محمد بن محمد البخاري الكاكي (٧٤٩هـ) وسمّاه معراج الدراية إلى شرح الهداية، فرغ من تأليفه في سنة ٧٤٥هـ، ذكر فيه أنه أراد بعد فقدان كتبه أن يجمع الفرائد من فوائد المشائخ والشارحين ليكون ذلك المجموع كالشرح، وبيّن فيه أقوال الأئمة الأربعة من الصحيح والأصح والمختار والجديد والقديم ووجه تمسكهم.

ومن شروح الهداية أيضاً شرح تاج الشريعة عمر بن صدر الشريعة الأول عبيدالله المحبوني (٦٧٢هـ) المسمى بنهاية الكفاية في دراية الهداية، أتم تحريره في سنة ٦٧٣هـ.

ومن شروحه: شرح ابن عبدالحق إبراهيم بن عليّ الدمشقي (٧٤٤هـ)

(١) كشف الظنون ٦٥٥/٢ - ٦٥٦.

ضمّنه الآثار والحديث ومذاهب السلف، وشرح قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر الأتقاني (٧٨٥هـ) المسمّى بغاية البيان ونادرة الأقران، قام فيه بحلّ مشكلات الهداية لفظاً ومعنى، وافتتح تأليفه سنة ٧١١هـ، وأكمله سنة ٧٤٧هـ، فكان مدّة شرحه ستاً وعشرين سنة.

وشرح الهداية أيضاً: كمال الدين ابن الهمام (٨٦١هـ) وسّماه فتح القدير للعاجز الفقير ابتداءً سنة ٨٢٩هـ عند الشروع في إقرائه بعد قراءته تسع عشرة سنة على وجه الإتقان والتحقيق على الشيخ سراج الكتاني المعروف بقارىء الهداية (٨٢٩هـ) صاحب تعليقة على الهداية، ثمّ أكمله المولى شمس الدين أحمد المعروف بقاضي زادة (٩٨٨هـ) إلى آخر الكتاب وسّماه نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار.

وشرح الهداية كذلك الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود البابرّي (٧٨٦هـ) في كتاب سّماه العناية، احتوى على أكثر من ثلاثة آلاف مسألة، ذكر فيه كتاب النهاية وصعوبة استحضاره في الدرس لما فيه من الإطناب، فقام باختصاره على ما يحتاج إليه حلّ ألفاظ الهداية، وجمع فيه بين عيون الرواية ومتون الدراية تاركاً للزوائد في كلّ باب ومعرضاً عن هذا النوع من الإسهاب، واجتهد في تنقيحه وتهذيبه.

وعلى العناية تعليقة لسعد الله بن عيسى المفتي (٩٤٥هـ) سلك في تحرير أكثر مباحثها مسلك الإيجاز فأعجز الناظرين، غير أنّ المنية حالت دون إتمامها، فقام تلميذه المولى عبدالرحمن حين صار قاضياً بقسطنطينية بجمع هوامش الأصل - وهو كتاب الهداية - والشرح - وهو كتاب العناية - اللذين صرف أكثر عمره في تحشيتهما بحيث صاراً نتيجة عمره، فجمع ما نثره شيخه آداءً لحقّه من هوامش الهداية.

وخرّج الشيخ جمال الدين الزيلعي (٧٦٢هـ) أحاديثه وسّماه نصب الراية لأحاديث الهداية، ولخصه ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) وسّماه الدراية في منتخب تخريج أحاديث الهداية، وذكر فيه أنّ الزيلعي استوعب

ما كره من الأحاديث والآثار، ثم اعتمد ذكر أدلة المخالفين في كل باب، فكان كثير الإنصاف حتى كثر الإقبال عليه.

ورتب المولى كمال الدين محمد بن أحمد الشهير بطاش كبرى زادة الرومي (١٠٣٠هـ) مسائل الهداية وسمّاه عدّة أصحاب البداية والنهاية في تجريد مسائل الهداية، ذكر فيه أنّ كتاب الهداية أعظم ما صنّف في الفقه غير أنّ كثيراً من مسأله المهمة المذكورة ضمن الدلائل بالتنظير والقياس، فصارت بسبب عدم إيرادها في مواضعها مظنة الاشتباه، فقام بجمع جميع ما في كتاب الهداية من المسائل وجردّها عن الدلائل إلا في بعض المواضع النادرة، مع الإشارة إلى المواضع التي ذكرها صاحب الهداية، وأورد نبذاً يسيرة من الشروح المحتاج إليها، وكان الفراغ من إتمامه في سنة ١٠٢٤هـ.

ومن التعليقات على شرح الهداية لابن كمال، ترغيب اللبيب وهي تعليقة قال فيها مصنفها: «أردت أن أشرح كتاب الهداية فشرعت وجمعت أكثر شروحها وميّزت بينها وأشارت إلى ردّ ما وقع في شروح ذلك الكتاب، وبيّنت فيه وجوه الاختلال إلا أنّي قد شاهدت فيه التطويل والإطناب بسبب انضمام الكلام المتعلّق بشرح العلامة ابن الكمال، فأخرجت منه الاعتراضات المتعلّقة بشرحه مع الأجوبة الدافعة لجرحه، فصار المجموع حاشية مستقلة وسمّيتها ترغيب اللبيب» وسعى فيها إلى تخليص شروح الهداية عن جروح العلامة ابن الكمال، فكشف مشكلات كلامه وحلّ مغلقات مرّاه.

وغير ذلك من شروح وحواشي وتعليقات أهل التحقيق^(١).

- ١١ - تنوير الأبصار وجامع البحار.

لشمس الدين محمد بن عبدالله بن أحمد بن تمرتاش الغزّي

(١) كشف الظنون ٨١٦/٢ - ٨٢٣.

(١٠٠٤هـ) جمع فيه مسائل المتون المعتمدة في المذهب الحنفي، عوناً لمن ابتلي بالقضاء والفتوى.

فرغ من تأليفه في شهر محرّم من سنة ٩٩٥هـ، ثم شرحه المصنّف في كتاب سمّاه: منح الغفّار، ومن شروحه كذلك، شرح الشيخ علاء الدين الحصكفي (١٠٨٨هـ) في كتاب سمّاه: الدرّ المختار في شرح تنوير الأبصار، وهذا الشرح - كما وصفه ابن عابدين - : قد طار في الأقطار وسار في الأمصار وفاق في الاشتهار على الشمس في رابعة النهار حتّى أكبّ الناس عليه وصار مفرّعونهم إليه، وقد حوى من الفروع المنقّحة والمسائل المصحّحة ما لم يحوه غيره من كبار الأسفار، بيد أنّه لصغر حجمه ووفور عمله قد بلغ في الإيجاز إلى حدّ الإلغاز^(١).

ووضعت على هذا الشرح حواشي أشهرها حاشية العلامة محمد أمين المعروف بابن عابدين سمّاه: ردّ المحتار على الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار، التي أصبحت عمدة المذهب الحنفي، وأعظم مؤلفات ابن عابدين نفعاً وأكثرها شهرة.

وفيما يلي لمحة عن هذا الكتاب:

- ١٢ - ردّ المحتار على الدرّ المختار.

لمحمد أمين المشهور بابن عابدين (١٢٥٢هـ) واشتهر الكتاب بحاشية ابن عابدين، والكتاب مرجع القضاة والحكّام، والفقهاء الأعلام والمفتين الكرام.

عمل ابن عابدين فيه على جمع الفوائد من متفرّقات الحواشي، وضمّ إليها ما حرّره العلامة الحلبيّ والعلامة الطحطاوي وغيرهما من محشّي هذا الكتاب.

والتزم فيما يقع في الشرح من المسائل والضوابط مراجعة أصله

(١) كشف الظنون ٤٠٤/١، حاشية ابن عابدين ٢/١.

المنقول عنه وغيره خوفاً من إسقاط بعض القيود والشروط، وزاد كثيراً من الفروع المهمة والفوائد الجمّة، ومن الوقائع والحوادث على اختلاف البواعث والأبحاث الرائقة والنكت الفائقة.

وكشف المسائل المشكّلة وبيّن الوقائع المعضلة ودفع الإيرادات الواهية من أصحاب الحواشي، وانتصر للشارح المحقّق علاء الدين الحصكفي بالحقّ.

وكان يعزو كلّ فرع إلى أصله ويعود بالحجج والدلائل وتعليقات المسائل إلى محالّها، وبذل الجهد في بيان ما هو الأقوى وما عليه الفتوى، وبيان الراجح من المرجوح ممّا أطلق في الفتاوى أو الشروح معتمداً في ذلك ما حرّره الأئمة الأعلام من متأخري الحنفيّة كابن الهمام وتلميذيه قاسم بن قطلوبغا وابن أمير الحاج والمصنّف والرملّي وابن نجيم وابن الشلبي وغيرهم ممّن لازم علم الفتوى من أهل التقوى^(١).

- ١٣ - الفتاوى الهندية:

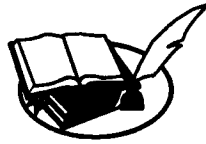
ويعرف هذا التصنيف أيضاً بالفتاوى العالمكرية، نسبة إلى سلطان الهند أبي المظفر محيي الدين محمد أورنك زيب (١١١٩هـ) الملقب باسم عالمكير - أي فاتح الهند - الذي كلّف ثلّة من أعلام عصره برئاسة العلامة الشيخ نظام، بجمع الأحكام الشرعية التي تدور عليها أمور الرعيّة في كتاب واحد، حيث رأى أنّ الكتب في هذا المجال كثيرة جداً، فقام الرجال الذين اختارهم السلطان بجمع الفتاوى وتنقيحها له وتحريها وترتيبها.

فجاء الكتاب عارياً عن الإطناب والإملال حاوياً لمعظم الروايات الصحيحة التي اتّفق عليها وأفتى بها فقهاء المذهب، جامعاً من النوادر ما تلقتها العلماء بالقبول، كيلا يفوت الاحتياط في العمل والاجتناب عن الزلل، يميّز الضعيف من المتين.

(١) حاشية ابن عابدين ٢/١ - ٣.

وقد اختار جامعوه في ترتيب كتبه ترتيب الهداية، وسلكوا في توضيحه وتنقيحه أقصى النهاية، تاركين لما تكرر في الكتب من الروايات والزوائد، معرضين عن الدلائل والشواهد إلاّ دليل مسألة يوضحها أو يتضمّن مسألة أخرى.

وقد اقتصروا في الأكثر على ظاهر الروايات ولم يلتفتوا إلاّ نادرا إلى النوادر والدرابات، حين لم يجدوا جواب المسألة في ظاهر الروايات، ونقلوا كلّ رواية من المعتبرات بعبارتها، ولم يغيروا العبارة عن وجهها إلاّ لداعي ضرورة، وإذا وجدوا في المسألة جوابين مختلفين، كلّ منهما موسوم بعلامة الفتوى وسمة الرجحان، أو لم يكن واحد منهما معلما بما يعلم به قوّة الدليل والبرهان، أثبتوهما في هذا الكتاب^(١).



(١) الفتاوى الهندية وبهامشه فتاوى قاضيخان والفتاوى البزازية ٢/١ - ٣، و٤٧٩/٦.

حركة التدوين في المذهب المالكي

١ - الذخيرة:

لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (٦٨٤هـ)، وكتابه الذخيرة مبتكر في الفقه المالكي فروعه وأصوله، وهو من أهم المصنفات في الفقه المالكي خلال القرن السابع الهجري، وآخر الأمهات في هذا العلم، ومن أجل كتب المالكية كما صرح بذلك ابن فرحون والشيخ مخلوف.

اعتمد القرافي في الذخيرة على نحو أربعين من تصانيف المذهب المالكي، وخصّ خمسة منها كمصادر أساسية يرجع إليها دائما ويقارن بينها، وهي: مدونة سحنون، ورسالة ابن أبي زيد، والتفريع لابن الجلاب، والتلقين للقاضي عبدالوهاب، والجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة لابن شاس.

تميّزت الذخيرة بدقّة التعبير وسعة الأفق وجودة التقسيم والتبويب، الأمر الذي يضمن عليها طابع الجدّة والحدّثة حتّى لكأنّها كتبت في عصرنا الحاضر بقلم أحد أعلام الفقه والقانون.

وضع المصنّف مصطلحات دقيقة ورموزا واضحة اختصر بها أسماء الأعلام والكتب التي يكثر ذكرها في الذخيرة قليلا للحجم، وجعل ضمن أبواب الكتاب وفصوله ومباحثه عناوين فرعية تضبط المعلومات الإضافية وتبرزها، مثل: تمهيد وتفرّيع وتنقيح وتحريير وتذييل وقاعدة وفائدة وغير ذلك.

ومن ميزات هذا الكتاب عناية مؤلفه بإبراز مسائل أصول الفقه المالكي وتتبعها في مختلف الأبواب، وصرح بذلك في المقدمة، حين قال: «وبينت مذهب مالك رضي الله عنه في أصول الفقه ليظهر علو شرفه في اختياره في الأصول، كما ظهر في الفروع، ويطلع الفقيه على موافقته لأصله أو مخالفته له لمعارض أرحح منه فيطلبه حتى يطلع على مدركه ويمنع المخالفين في المناظرات على أصله».

وفي الكتاب دعوة صريحة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد الأعمى في الأحكام الفقهية، وتظهر هذه الدعوة بوضوح في المقدمة الثانية للكتاب التي جعلها المؤلف في أصول الفقه وقواعد الشرع وخصّ البابين التاسع عشر والعشرين منها للاجتهاد وصرح في أثناء ذلك بأن مذهب مالك وجمهور العلماء رضي الله عنهم هو وجوب الاجتهاد وإبطال التقليد.

كما أنّ المؤلف لا يكاد يأتي بمسألة فقهية في أبواب الكتاب من العبادات كانت أو المعاملات إلاّ أبان أصل حكمها وحجج المختلفين فيها من الأئمة والفقهاء مبرزاً أدلة المالكية على وجه الخصوص بعد عبارة: «لنا» دون أن ينقل أدلة المخالفين سيرا مع المنهج الذي كان قد قرّره في المقدمة، حين قال: «وقد آثرت التنبيه على مذهب المخالفين لنا من الأئمة الثلاثة وما أخذهم في كثير من المسائل تكميلاً للفائدة ومزيداً من الاطلاع، فإنّ الحق ليس محصوراً في جهة، فيعلم الفقيه أيّ المذهبين أقرب للتقوى وأعلق بالسبب الأقوى».

وتكرّرت في الذخيرة عبارات: «ليكون الفقيه على بصيرة» و«ليستدلّ الفقيه» ونحو ذلك تحفيزاً للهمم على الاجتهاد والابتعاد عن أخذ المسائل أحكاماً مسلّمة^(١).

(١) مقدمة محقق الذخيرة ص ٥ - ٨، دار الغرب، ط ١/١٩٩٤، كشف الظنون ٦٢٣/١، الديباج المذهب ص ١٢٩، شجرة النور الزكية ص ١٨٨.

٢ - مختصر خليل:

لأبي الضياء خليل بن إسحاق الكردي المصري المعروف بالجندي (٧٧٦هـ) صنّفه في المذهب المالكي وقصد فيه إلى بيان المشهور واقتصر على ما به الفتوى من الأقوال مجرداً عن الخلاف، وجمع فيه فروعا كثيرة جداً مع الإيجاز البليغ، وأقبل عليه الطلبة ودرسوه.

وذكر التنبكتي أنّ الشيخ خليل إنّما لخص من مختصره في حياته إلى باب النكاح - في حدود ثلث الكتاب - ووجد باقيه في تركته فجمعه أصحابه من مسودّته وأضافوه إلى ما كان قد لخصه خليل في حياته، ومع ذلك فقد ذكر بعضهم أنّ خليلاً بقي في تصنيف مختصره خمسا وعشرين سنة.

لقي هذا المختصر القبول، فعكف الناس عليه شرقاً وغرباً، حتّى آل حال أتباع المالكية في البلاد المغاربية بعد ذلك إلى الاقتصار عليه، فقلّ أن ترى فقيهاً يعتني بمختصر ابن الحاجب فضلاً عن المدوّنة، وإنّما قصاراهم رسالة ابن أبي زيد ومختصر خليل.

وأذعن علماء المغرب لفضله وجلالته حتّى أنّ الفقيه ابن ناجي في شرح التهذيب ساق في غير موضع كلام الشيخ خليل على طريق الاستدلال على ما صدرت المخالفة فيه بينه وبين مشائخه، حيث قال في بعض المواطن: «ولم يزل يختلف حتّى ورد علينا تأليف خليل».

وولع العلماء به واعتمده كلّ فقهاء هذا الدور، وعكفوا على الاعتناء به كتابة وقراءة وتحصيلاً وتدرّيساً، حتّى قال في شأنه بدر الدين القرافي: «ولقد عمّ النفع بهذا المختصر إجابة لما سأل الله فيه بقوله في ديباجته والله أسأل أن ينفع به من كتبه أو قرأه أو حصّله أو سعى في شيء منه، وقد كتبه بخطي وقرأته واتخذته وظيفة عمري».

وافتنن به الطلبة والفقهاء على حدّ سواء لكثرة ما فيه من الفروع التي لا تكاد توجد في غيره، حتّى حكى عن الشيخ ناصر الدين اللقاني أنّه كان كلّما عورض بكلام غير الشيخ خليل، قال: «نحن ناس خليليون إن ضلّ

ضللنا» مبالغة منه في الحرص على متابعتة لكمال الاعتقاد في فضله
وتحريره.

ومدح ابن غازي المختصر فقال: إنه من أفضل نفائس الأعلام وأحق
ما رمق بالأحداق وصرفت له همم الحدّاق، عظيم الجدوى بليغ الفحوى
مبيّن لما به الفتوى، جمع مع الاختصار شدة الضبط والتهذيب، وأظهر
الاعتدال على حسن المساق والترتيب، فما نعلم أحد نسج على منواله ولا
سمحت قريحة بمثاله.

ولذلك تعدّدت الشروح والتعليق على مختصر خليل، وبلغت الغاية
في الكثرة، حتّى وضع عليه - كما قال ابن غازي - أكثر من ستين تعليقا ما
بين شرح وحاشية، وهذا في عصر ابن غازي فضلا عمّن جاؤوا بعده.

وتنافست المراكز الفقهية في الاعتناء بهذا المختصر، فكان من أشهر
شراحه: تلميذه بهرام الذي شرح المختصر شروحا ثلاثة صار بها غالب
المختصر في غاية البيان والوضوح، واشتهر الأوسط منها غاية الاشتهار،
واشتغل الناس به في جميع الأقطار مع أنّ الشرح الأصغر أكثر تحقيقا،
وهو أجلّ من تكلم على مختصر خليل علما ودينا وتادبا وتفننا، مستحضرا
المدونة وشراحها.

وشرحه كذلك قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي
في كتاب سمّاه شفاء العليل في شرح مختصر الشيخ خليل، أكثر فيه من
الأبحاث والمناقشة في عبارة المصنّف، كما شرحه السنهوري، وللتائي
شرحان على مختصر خليل، شرح كبير بعنوان فتح الجليل في حلّ جواهر
درر ألفاظ الشيخ خليل، وصغير بعنوان جواهر الدرر في حلّ ألفاظ
المختصر، على أنّ شرحه الكبير فيه مواضع كثيرة جدّا حصل له فيها
الوهم نقلا وتقريراً وبحثاً.

كما شرحه الحطاب وعليّ الأجهوري وتلاميذه عبدالباقي الزرقاني
وشرحه يدلّ على فضل وإطلاع، تشدّ إليه الرحال، لخصّ ما قبله من
الشروح وبالغ في الاختصار، وجمع الفروع ولم ينقحه من كثير من

الأخطاء فاعتنى به المغاربة وتتبعوه، ومحمد الخرشي له شرح كبير على مختصر خليل، وآخر صغير رزق فيه القبول، واعتنى العلماء غربا وشرقا بالتحشية عليه كحاشية الصعيدي العدوي.

وعلى شرح الزرقاني وضعت حواشي كثيرة اعتنت بتصحيح ما وقع فيه الشارح من أخطاء، فوضع البناني حاشية على مختصر خليل سماها: الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني، ووضع التاودي حاشية على شرح الزرقاني على المختصر، سماها طالع الأمانى، وكذلك الرهوني وضع حاشية على شرح الزرقاني على المختصر، لخص فيها ما زادته حاشية التاودي على البناني، دلت على طول باع وسعة اطلاع وتمكن في علم الفقه.

وصنف الدردير - المعروف بمالك الصغير - على المختصر شرحان كبير وصغير، وسمى الشرح الصغير: أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، اقتصر فيه صاحبه عند الاختلاف في حكم على القول الراجح داخل المذهب، ولم يذكر قولين إلا في القليل من المواضع حيث لم يظهر له ترجيح لأحدهما، وبدل الأقوال غير المعتمدة في مختصر خليل بأقوال معتمدة.

ووضع الدسوقي على الشرح الكبير حاشية، رزق فيها القبول لوضوح عباراتها، كما وضع الصاوي على الشرح الصغير حاشية سماها: بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، وقد صرح الشيخ الصاوي أن كتاب أقرب المسالك هو أحسن ما ألف في مذهب مالك من المختصرات متنا وشرحاً.

وممن شرح المختصر من أهل فاس الشيخ ميارة قصد به اختصار شرح الحطاب، وكذلك ابن غازي وابن عاشر وقد التزم فيه نقل لفظ ابن الحاجب والتوضيح للمصنف، ابتداء من باب النكاح إلى باب السلم، وابن رحال الذي وضع شرحاً حافلاً على مختصر خليل ابتداء من النكاح، وكاد

أن يحتوي على جميع نصوص المذهب وغيرهم، ومن أهل تلمسان ابن مرزوق ومن أهل الأندلس المواق^(١).

- ٣ - مختصر ابن عرفة:

لمحمد بن محمد بن عرفة الوردغمي (٨٠٣هـ) وهو مختصر محرّر النقول، شغل دوراً مهماً بعد ظهوره، ألفه صاحبه في اثني عشر عاماً - ما بين ٧٧٢هـ و٧٨٦هـ - ودرّسه بنفسه في بلده وفي المشرق حين حجّ.

قال في شأنه الأبّي ما وضع في الإسلام مثله لضبطه فيه المذهب مع الزيادة المكتملة وتنبيهه على المواضع المشكّلة، وتعريف الحقائق الشرعية.

جمع ابن عرفة في مختصره الكثير من النوازل والفروع الغربية، وضبط فيه مسائل وأقوالاً مع زوائد مكتملة والتنبيه على مواضع مشكّلة، فبعث الأنظار المهجورة والأقوال المتروكة منذ القرن السادس، ووضعها مع الأقوال المصطلح بين الفقهاء على الأخذ بها: ترجيحاً واختياراً، على بساط واحد من النقد والتحقيق والمقارنة والاستدلال والكشف عمّا ارتبطت به تلك الأقوال من اعتبارات باقية أو زائلة، وما ارتبط به اختيارها من اعتبار لظروف واقعية أو إعمال لأصول نظرية قد يكون وجه ذلك الاختيار قائماً ومقبولاً، وقد يكون زائلاً ومحلّ نظر، وذلك معنى تحقيق المناط.

وكان عمله في هذا المختصر الفقهي الذي اهتمّ فيه على الخصوص بما سمّاه «تعريف ماهيات الحقائق الفقهية الكلية» قد قصد به إلى ضبط المعاني الفقهية الفرعية بذاتها، بوضع حدود لأبواب العبادات وضروب المعاملات والعقود بطريقة التحديد المنطقي الجامع المانع، والتزم ذلك بصورة مطّردة في كلّ باب من أبواب الفقه التي اشتمل عليها مختصره.

(١) الديباج المذهب ص ١٨٦، توشيح الديباج ص ٩٤ - ٩٧، نيل الابتهاج ١/١٨٥ - ١٨٧، الفكر السامي ٤/٢٨٦ - ٢٨٧، كشف الظنون ٢/٥١٨، مواهب الجليل ١/٣، دار الفكر ط ١٣٩٨هـ.

ولم تكن التعاريف التي تضمّنها هذا المختصر كلّها من وضع ابن عرفة، بل كان بعضها ممّا ارتضاه من تعاريف فقهاء المذهب السابقين له مثل: أبي الوليد الباجي وابن رشد والقاضي عياض.

وكان كلّما ارتضى رسماً لغيره رسمه له وذلك من تورّعه، بحيث كان يعزو ما يقدّمه من حدود ومن أقوال إلى أصحابها.

وقد امتاز هذا المختصر بحسن سبك المسائل ومثانة جمعها وبراعة تفريعها وتفنيها، زيادة على ما امتاز به من ضبط الحقائق الشرعية بالتعريف والتحديد، حيث كان المصنّف نسيجا وحده في هذا المجال، ذلك أنّ الصناعة التأليفية والمنهج الدراسي قد بلغا في الفقه المالكي ذروتها، ولا سيّما في تعاريف الأبواب والحقائق وتمييز مواهي العقود، وقد كان ابن عرفة عمدة على الإطلاق في ذلك عند أهل المشارق والمغرب، فأقبل الفقهاء على تحصيله شرقا وغربا، والتزم دارسو الفقه حدود ابن عرفة يقيمون عليها بحوثهم وتحاريرهم، حتّى أصبح ما من تأليف كلّي أو بحث فقهي في القرن التاسع الهجري وما بعده يأخذ في بسط باب من أبواب الفقه، إلّا ويعتمد قبل كلّ شيء على إيراد تعريف ابن عرفة لتلك الحقيقة.

والكتاب مختصر موغل في الاختصار لا سيّما في نصفه الأوّل، فالتفقه به وفهمه صعب، وقد بسط المصنّف عبارته في نصفه الأخير، ومن شدّة اختصاره أشكل فهمه مرّة على مصنّفه نفسه وعلى أهل مجلسه فافترق المجلس من غير جواب، حتّى اهتمّ ابن عرفة غاية الاهتمام وفكّر في ذلك طويلا ثمّ فتح الله عليه فبان له موطن الإشكال، ويبدو أنّ عباراته المستغلقة كانت من دواعي تركه بعد حين من الدهر وإقبال الناس على مختصر خليل^(١).

(١) أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص ٦٧، ومضات فكر ٧٥/٢، نيل الابتهاج ١٣٠/٢ و١٣٣، الفكر السامي ٢٩٣/٤ - ٢٩٤، الديباج المذهب ص ٤٢٠، الضوء اللامع ٢٤٢/٩، الحلل السندسية ٥٧٨/١، مقدمة محقق شرح حدود ابن عرفة ٣٩/١ - ٤١ ٥١٧/٢.

٤ - ٥ - ٦ - شروح ابن ناجي على أمهات الفقه المالكي:

مصنّفها أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي (٨٣٩هـ) الذي صرف جهوده لتحرير فقه القضاء والتبصّر في القضايا وتقرير ما جرت به الفتوى في إفريقيّة التونسيّة حتّى صارت كتبه مرجعا وثيقا لما جرى به العمل في البلاد التونسيّة.

وقد شدّ ساعده ممارسته الطويلة للقضاء، وخبرته باختلاف مقتضيات الترجيحات والاختيارات والتصرفات بسبب اختلاف البلدان وتباين عوائدها وملاءماتها، فكانت أعماله بيانا للأحكام بأصولها وعللها.

وتقريرا لما فيها من مختلف الأنظار والتخاريج، وفحصا لما يحفّ بها من أحوال مكانية وزمانية لا تتحقّق فيها المصلحة المقصودة من الحكم إلاّ بالأخذ بوجهة نظر معيّنة، أو توليد وجهة نظر جديدة، وكان اعتناؤه في ذلك بالعامل الثالث من عوامل تكوين القانون الفقهي: وهو جريان العمل القضائي، حتّى أصبح فارس ذلك الميدان وأدخل مباحث العمل في عناصره الفقهية.

وبذلك الأسلوب امتازت شروح ابن ناجي، فأصبحت عمدة العمل القضائي في إفريقيّة، ووجّهت الفقه في فاس وتلمسان ومازونة وبجاية وقسنطينة، كما ووجّهته في تونس، نحو الاعتناء بالعمل ضبطا ونظرا، بما أحدث في المذهب المالكي طورا جديدا امتاز بكثير من المبادئ والتفاصيل في الاجراءات وفي الأحكام الموضوعية، وكانت شروح ابن ناجي هي الأصل في هذا التوجيه، وهي المرجع لتحقيق ما جرى عليه.

العمل التونسي، فما من مؤلّف في العمل في القرن التاسع فما بعده إلاّ وهو عالة على ما قضى به ابن ناجي.

أو ما نصّ ابن ناجي على جريان العمل به ووجّهه.

وشروحه التي حفلت بهذه الطريقة العالية، هي ثلاثة: شرحان على تهذيب المدونة للبرادعي، شرح كبير ويعرف بالشتوي، وذكر بعضهم أنّ

اسمه: نهاية التحصيل وترك التعليل والتطويل، وأغلب المؤلفين يسمونه شرح المدونة، وقد وصفه بعضهم بأنه من أنفس الكتب في الفقه المالكي لتحريره العمل التونسي، وشرح.

صغير على تهذيب المدونة ويعرف بالصيفي وسمّاه شرح التهذيب.

وقد ذكر الشيخ محمد الكناني في تكميل الصلحاء والأعيان: أن هذين الشرحين في غاية التحرير، والعمل عليهما عند فقهاء المغرب في الفتيا والأحكام خصوصا فقهاء إفريقية التونسية.

وذكر أنّ من التغالي فيهما: أنّه كان من ظفر ولو بجزء منهما يصير أعزّ شيء عنده، وكان لا يوجد إلا عند الخواص.

وقال البدر القرافي: وفهم في شرح ابن ناجي للمدونة أنّه إذا أطلق في كتبه لفظ: شيخنا فالمراد به البرزلي وإذا قال: وبعض شيوخنا فمراده ابن عرفة، وما عداه فيصريح باسمه.

وأما الشرح الثالث فهو: شرح التفريع لابن الجلاب ألفه قبل شرحه الكبير على التهذيب لأنّه أحال فيه على هذا الشرح وسأل الله أن يتمّ عليه بإكماله.

وشرح كذلك رسالة ابن أبي زيد شرحاً قيماً، حين كان بتونس عند إقامته فيها طالبا في حدود سنة ٧٩٠هـ، وقد أطراه العلامة المغيلي فكان يسمّيه: «المهذب» لشدة إعجابه به، غير أنّ هذا الشرح لم يبلغ في قيمته مبلغ الكتب الأخرى لتقدّم عهد تأليفه قبل اكتمال عوامل التفوق التي امتاز بها ابن ناجي^(١).

(١) توشيح الدباج ص ٢٦٦ - ٢٦٧، تكميل الصلحاء والأعيان ص ٨، ومقدمة المحقق، أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص ١٠٤ - ١٠٥، كتاب العمر ٧٧٨/٢ - ٧٨٠.

٧ - المنزعة النبيل في شرح مختصر خليل:

لمحمد بن أحمد بن مرزوق (٨٤٤هـ) المعروف بابن مرزوق الحفيد، والكتاب شرح في غاية الإتقان والتحرير تقريراً ونقلاً، أراد صاحبه أن يعتمد إلى مختصر خليل فيسلط على مسائله أنواراً من طريقة شيخه ابن عرفة المبنية على البحث والنظر والمقارنة والترجيح، ليخرج بها الفقه عن نطاق الالتزام ويكشف اللثام عن الترجيحات والاختيارات التي انفصل عليها خليل في مختصره ببيان ما فيها من الأنظار الأصولية والتحقيقات الفقهية، بجمع الأصول التي اعتمد عليها خليل وفحص ما فيها من الأقوال ووضعها على بساط التعليل والتأصيل، ثم عرضها في معرض التعليق على عبارة خليل والتحقيق لها بذلك.

وهي طريقة التحلل من قيود الالتزام، وضيق نطاقه نتيجة الاختصار على المختصرات، والرجوع إلى المجال الأوسع والنطاق الأرحب، مجال الأقوال العديدة والآراء المتباينة داخل المذهب.

وهي الطريقة التي سار عليها ابن عبدالسلام ثم اشتهر بها تلميذه ابن عرفة، ولذلك شاع وصف ابن مرزوق الحفيد بالاجتهاد لأنه جرى في مجال الاختيار وتدقيق الأنظار مع أئمة الفقه المتقدمين بله المتأخرين.

غير أن هذا الشرح لم يتناول جميع المختصر، وإنما حرّر منه جزءاً في شرح أول الكتاب، ثم جزأين من كتاب الأفضية والشهادات إلى آخر المختصر.

وقد وقف الحطاب على هذا الشرح فاستحسنه وقال: لم أر أحسن من شرحه لما اشتمل عليه من تفكيك عبارة المصنّف وبيان منظوقها ومفهومها، والكلام على مقتضى ذلك من جهة النقل^(١).

(١) أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص ٩٨ - ٩٩، ومضات فكر

٤٤٥/٢ - ٤٤٦، نيل الابتهاج ١٨١/٢، مواهب الجليل ٣/١.

٨ - التاج والإكليل في شرح مختصر خليل:

لأبي عبدالله محمد بن يوسف الغرناطي الشهير بالمواق (٨٩٧هـ) له شرحان على مختصر خليل سُمي الكبير منهما: التاج والإكليل.

وهو مختصر في غاية الجودة في تحرير النقول الموافقة لقول المصنّف مع الاختصار البالغ غايته، قصد فيه المؤلف استخراج نصوص يقابل بها مسائل مختصر خليل ليستعان بها على فهمه وتكون شاهدة على نقله وطريقته في ذلك هو: أنه يأتي بلفظ خليل بنصّه ثمّ ينقل بإزائه نصّ غيره، ويتخيّر من النصوص ما يكون أقرب للفهم وأوجز في اللفظ، ولا يزيد على ما شهر إلاّ لأمر ما، أو يكون مضاهياً له في الشهرة أو أشهر، من غير أن يتعرّض لألفاظه وحلّ تراكيبه البتّة.

وقد اعتمد ابن غازي في حاشيته على شرح المواق، وتكلّم على المواضع التي أشار المواق لاستشكالها، وافتتح بكتاب الطهارة وجعله في أحد عشر باباً، الأربعة الأولى مقدمات، والسبعة الباقية مقاصد^(١).

٩ - شرح حدود ابن عرفة:

لأبي عبدالله محمد بن قاسم الأنصاري المعروف بالرضاع (٨٩٤هـ) والكتاب بعنوان الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، قام فيه الرضاع بتجريد التعاريف الواردة في مختصر ابن عرفة وكتب عليها شرحاً مستقلاً لحدوده مبيّناً لفوائده وفتحاً لأبواب عقوده.

وكان الرضاع قد أكثر من النظر في تعريفات ابن عرفة للحقائق الفقهية الكلية، وكان يحضّ طلبته على النظر في دقائقه والتفقه في حقائقه لأنها معينة على تحصيل الفرعيات، محصّلة لحقائق الفقهيات، ذلك أنّ رسومه هي قواعد مذهبية كليّات.

(١) التاج والإكليل بهامش مواهب الجليل ٣/١ - ٧، و٢٦ - ٤١، توشيح الديباج ص

٢٣٤ - ٢٣٥، نيل الابتهاج ٢/٢٤٩، شجرة النور الزكية ص ٢٦٢.

ولذلك سعى الرضاع إلى شرح مختصر ابن عرفة فكشف أسراره، وأظهر ما خفي من معانيه، غير مقتصر على الشرح اللفظي بل متوسعاً في عرض المباحث وإيراد الاعتراضات والتصدي للجواب ومقابلة أقوال ابن عرفة بعضها ببعض، أو مقابلتها بأقوال غيره في الموضوع نفسه، فيبسط الأقوال ثم يقارن ويرجح بينها.

وكان خلال شرحه لتلك التعريفات يتطرق إلى بيان كل ما يتعلق بها من شروط وأركان وموانع، وشرح ضوابط فقهية استقاهها من المختصر، وأضاف تعريفات لم يذكرها ابن عرفة، انتقاهها من مصادر الفقه المالكي وصاغها بصياغته وفق أصول ابن عرفة ومنهجه.

تضمن هذا الشرح كثيراً من أقوال الفقهاء ومن أبحاث مجالس ابن عرفة وآراء تلاميذه الذين أخذ الرضاع عن الكثير منهم، وركز في شرحه على المسائل التي يكتنفها الغموض أكثر والتي تمس الحاجة إلى بيانها ويتوقف فهم غيرها عليها، وقد يطيل البحث إذا تطلب الأمر ذلك ولكنّه في الغالب ينهج نهج الاقتصاد في القول والعبارة حتى لا تخرجه الإطالة عن المقصد^(١).

- ١٠ - المعيار المعرب:

لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (٩١٤هـ) والعنوان الكامل للكتاب هو: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، من أعظم الكتب التي كادت تحيط بمذهب مالك، وهو عبارة عن موسوعة فقهية جمع فيها صاحبها فأوعى وحصل فوعى، وأتى فيها على كثير من فتاوى المتقدمين وفتاوى المتأخرين، فأما فتاوى إفريقية وتلمسان فاعتمد فيها على نوازل البرزلي والمازوني، وأما فتاوى

(١) شرح حدود ابن عرفة ٤٦/١ - ٤٧، ٦٠، ٦٤، ومقدمة المحقق ٥/١ - ٦، ومضات

الأندلس وفاس فإتما تيسرت له من خزانة شيخه القاضي محمد ابن قاضي البلد الجديد الغرديس التغلبي.

يمتاز المعيار بكثرة ما احتوى عليه من النوازل فهو كما قال عنه مصنفه «جمعت فيه من أجوبة متأخريهم العصريين ومتقدميهم ما يعسر الوقوف على أكثره في أماكنه واستخراجه من مكانه، لتبدده وتفريقه، وانبهاهم محلّه وطريقه».

وقد رتبّه صاحبه على الأبواب الفقهية ليسهل الأمر فيه على الناظر، وصرح بأسماء المفتين إلاً في القليل النادر، وأثبت نصوص الأسئلة إلاً في بعضها إذا لم يتيسر له الوقوف على نصّ السؤال.

ولم يكن الونشريسي جامع فتاوى فحسب، بل كان ناقداً بصيراً، يردّ ويعترض، ويرجّح ويضعف ويصدر تعقيباته بعبارة «قلت».

وقد اهتمّ بتلخيص المعيار الفقيه المغربي أحمد بن سعيد المجيلدي الفاسي (١٠٩٤هـ) في كتاب سمّاه: الإعلام بما في المعيار من فتاوى الأعلام «عمد فيه إلى تلخيص الأسئلة والأجوبة التي أوردتها الونشريسي محيلاً على الأصل لمعرفة الأدلة، وحذف المكرّر مع التنبيه على محلّه في الأصل».

وتتجلى مكانة المعيار في اهتمام فقهاء الأمصار به على توالي القرون، منذ عصر المؤلف وإلى أيامنا هذه فلا تكاد تخلو الدراسات الفقهية من النقل عنه والاعتماد عليه^(١).

١١ - مواهب الجليل:

لأبي عبدالله محمد بن محمد الحطاب (٩٥٨) وعنوانه الكامل: مواهب الجليل شرح مختصر الشيخ خليل، ذكر في مقدّمته أنّ العلماء

(١) المعيار المعرب ١/١، ومقدمة محقق المعيار، توشيح الديباج ص ٦٥، نيل الابتهاج

١٤٥/١، شجرة النور الزكية ص ٢٧٥، فهرس الفهارس ١١٢٣/٢.

أكثرها من وضع المصنّفات في الفقه، فمنها المطوّلات ومنها المختصرات وكان من أجلّ المختصرات على مذهب الإمام مالك هو مختصر الشيخ خليل، إلاّ أنّه لفرط الإيجاز كاد يعدّ من جملة الألفاظ، فلذلك اعتنى العلماء بحلّ عبارته وإيضاح إشارته وفكّ مواضع من تراكيبه العسيرة، واستخراج كنوزه، وإبراز فوائده.

وذكر الخطّاب أنّ مواضع كثيرة فيه بقيت مغلقة، ومسائل كثيرة بقيت مطلقة، فقام بشرح جميع الكتاب والتكلّم على جميع مسائله مع ذكر ما تحتاج إليه كلّ مسألة من تقييدات وفروع مناسبة وتمّمات مفيدة من ضبط وغيره، مع ذكر غالب الأقوال وعزوها وتوجيهها غالبا، والتنبيه على ما في الشروح التي وقف عليها لهذا الكتاب، وهي الشروح الثلاثة لبهرام وشرح عبدالحق بن علي ابن الفرات المصري وشرح جمال الدين بن عبدالله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسي وشرح يوسف بن خالد بن نعيم البساطي، وحاشية أبي عبدالله محمد بن أحمد بن غازي العثماني وشرح الفصلين الأوّلين من كلام أبي عبدالله محمد بن أحمد ابن مرزوق التلمساني، والتنبيه على ما في كلام ابن الحاجب وشروحه، وكلام ابن عرفة وغيرهم لقصد تحرير المسائل.

وقد التزم الخطّاب العزو غالبا إلاّ فيما ينقله من شروح بهرام والتوضيح وابن عبدالسلام وابن عرفة، فكان لا يعزو لهم غالبا إلاّ ما كان غريبا أو ذكر في غير موضعه.

ومال إلى البسط والإيضاح والبيان حرصا على إيصال الفائدة، وكان إذا ذكر نقولاً مختلفة، ذكر محصلها آخر الأمر، وأطال الكلام كلّما رأى في ذلك فائدة عظيمة.

وعموما فهذا الكتاب من أكثر شروح مختصر خليل تحريراً وجمعا وتحصيلا، استغنى به الناس عن كثير من المطوّلات والمختصرات، وفيه دليل على جودة تصرّف مصنّفه وكثرة اطلاعه وحسن فهمه، وقد توفي قبل

تبييضه، وتركه مسوّدًا، فبيّضه ولده يحيى^(١).

١٢ - البهجة في شرح التحفة:

لأبي الحسن عليّ بن عبدالسلام التسولي (١٢٥٨هـ) وهو شرح على الأرجوزة المسماة بتحفة الحكّام والمشهورة بالعاصميّة، نسبة لناظمها أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم (٨٢٩هـ) وتقع في ١٦٩٨ بيتاً.

وهذه الأرجوزة من أجلّ ما ألف في علم الوثائق والإبرام، لسلامة نظمها ووجازة لفظها، ولكونها قد اجتمع فيها ما افترق في غيرها، ولذلك وقع عليها القبول واعتمدها العلماء وشرحها جماعة، منهم الشيخ التسولي البهجة في شرح التحفة، وأبو عبدالله محمد التاودي في حلى المعاصم لبنت فكر ابن عاصم.

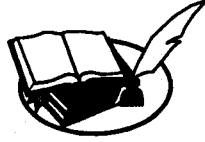
فأمّا حلى المعاصم فهو شرح وجيز قصد فيه صاحبه حلّ ما يحتاج من الألفاظ، والاقصصار على ما لا مندوحة عنه من النقل، متوخّياً في ذلك - كما قال - أسعد النقول بعبارته وأقربها إلى رمزه وإشارته مبتعداً عن طريق التطويل المملّ والإيجاز المخلّ.

وأما البهجة في شرح التحفة، فقد تطرّق فيها صاحبها إلى إبراز ما خفي من معانيها وإعراب كلّ ألفاظها، وبيان منطوقها ومفهومها، وبيّن ما به العمل عند المتأخّرين من قضاة العدل، وشرح غالب وثائق الأبواب حتّى أدّى به ذلك إلى الإطناب، ليتدرّب بذلك من لم يتقدّم له ميسيس بالفتوى من الناس، ويهتدي إلى كيفية تنزيل الفقه على وثائق الأحكام.

اعتمد المصنّف في شرحه على الشيخ خليل والتاودي - صاحب الشرح المتقدّم - وميارة والحطاب، ولكنه لم يصرّح بالانتقاد على أحد من هؤلاء الشراح، إلّا ما وقع في بعض المواطن من صدر الكتاب، وبرّر

(١) مواهب الجليل ٢/١ - ٤، نيل الابتهاج ٢/٢٨٦، شجرة النور الزكية ص ٢٧٠.

منهجه ذلك باعتبار أنّ الإعراض يكفي في الإشارة لأولي الألباب، ثم إنّ لكلّ واحد منهجا يقتضيه ومذهباً يختاره للفتوى ويصطفيه^(١).



(١) البهجة في شرح التحفة، وبهامشها حلى المعاصم ٢/١، شجرة النور الزكية ص

حركة التدوين في المذهب الشافعي

١ - ٢ - ٣ - الروضة والمنهاج والمجموع^(١):

جميعها لأبي زكرياء يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) الذي بدأ التصنيف من حدود سنة ٦٦٠هـ، فصنّف روضة الطالبين وعمدة المتّقين، وهو مختصر من كتاب العزيز في شرح الوجيز للرافعي، وصنّف منهاج الطالبين وهو مختصر كتاب المحرّر للإمام الرافعي الذي اختصره بدوره من كتاب الوجيز للغزالي، وشرح المذهب ووصل فيه إلى أثناء الربا، وسمّاه المجموع.

فأمّا كتاب الروضة فقد قصد به مؤلّفه تسهيل الطريق إلى الانتفاع بكتاب العزيز في شرح الوجيز، فسلط طريقة متوسطة بين المبالغة في الاختصار والإيضاح، وحذف الأدلّة وأشار إلى الخفيّ منها إشارات واستوعب جميع فقه الكتاب حتّى الوجوه الغربية المنكرات، واقتصر على الأحكام دون المؤاخذات اللفظيّة، وضّم إليه في أكثر المواطن تفرّعات وتتمّات، وذكر في مواضع يسيرة استدراقات على الإمام الرافعي.

وقد ذكر في مقدّمته أنّ من حصل هذا الكتاب فقد أحاط بالمذهب

(١) روضة الطالبين، ٥/١ - ٦، منهاج الطالبين ٣/١ - ٥، المجموع ١٧/١ - ٢١، ٥٠١/٩ - ٥٠٧، ٣/١٢ - ٤، كشف الظنون ٦٩٣/١ - ٦٩٤ - ٦٩٨/٢ - ٧٠١، ٧٢٨/٢ - ٧٢٩.

وحصل له أكمل الوثوق به وأدرك حكم جميع ما يحتاج إليه من المسائل الواقعات.

ولذلك كان كتاب الروضة موضع اهتمام الفقهاء المحققين ومحطّ عناية الباحثين والدارسين طيلة هذا الدور الفقهي، فوضع عليه جماعة من علماء الشافعية المختصرات والحواشي وكتبوا عليه التعليقات والزيادات وصاغوه نظماً، فاختصره برهان الدين إبراهيم بن موسى الكركي (٨٥٣هـ) وشرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (٨٣٦) وجردّه من الخلاف وسمّاه الروض، وكتب عليه زين الدين عمر بن أبي الحزم الكنعاني (٧٣٨) حاشية، ناقش فيها النووي في كثير من المواضع، ووضع عزّ الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن جماعة (٨١٩) على الروضة نكتاً، وكتب السيوطي (٩١١هـ) على الروضة حاشية وهي المسماة بأزهار الفضة، وله حاشية صغرى والينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع وله مختصر على الروضة مجرداً من الخلاف وضّم إليه زيادات وسمّاه العنبر، وله نظم على الروضة سمّاه الخلاصة وشرحه في كتاب سمّاه رفع الخصاصة، وكتب عليه الشيخ جمال الدين الأسنوي (٧٧٢هـ) كتاب المهمّات الذي استدرّك عليه زين الدين عبدالرحيم بن الحسين (٨٠٦) في مهمّات المهمّات.

وكثيرون غير هؤلاء.

وأما منهاج الطالبين الذي هو مختصر كتاب المحرّر للإمام الرافعي، فإنّ الذي حدا بالإمام النووي إلى اختصاره، هو أنّ المحرر من الكتب المعتبرة والمشهورة بين الشافعية، قد حوى على كثير من الفوائد، وهو عمدة في تحقيق المذهب، التزم فيه مصنّفه أن ينصّ على ما صحّحه معظم الأصحاب، فكان كتاباً كبير الحجم قد كبر عن حفظ أكثر أهل ذلك العصر، فرأى النووي أن يختصره في نحو نصف حجمه مع ما ضمّه إليه من النفائس المستجدات، ثمّ ذكر تصرّفاته، والتزم بعدم الحذف منه شيئاً من الأحكام أصلاً، فأودعه المعاني الغزيرة بالألفاظ الوجيزة، وقرب

المقاصد البعيدة بالأقوال السديدة، حتى اشتهر وتداوله الشافعية واشتغلوا بإقراءه وشرحه فبعضها على الغاية في التطويل وبعضها اقتصر فيه غالباً على الدليل والتعليل.

ومن أشهر من شرحه تقي الدين السبكي (٧٥٦هـ) وصل فيه إلى الطلاق وسمّاه الابتهاج، فكمّله ابنه بهاء الدين أحمد، وشرحه أيضاً جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (٨٦٤هـ) وسمّاه كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين، وهو شرح حلّ به ألفاظه وبيّن به مراده على وجه لطيف خال عن الحشو والتطويل، وحاو للدليل والتعليل، وشرحه سراج الدين عمر بن عليّ ابن الملقن (٨٠٤هـ) وسمّاه الإشارات إلى ما وقع في المنهاج من الأسماء والمعاني واللغات، ثمّ اختصره وسمّاه العجالة، ووضع عليه أيضاً كتاب تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، وشرحه عبدالرحيم جمال الدين عبدالرحيم الأسنوي (٧٧٢هـ) بلغ فيه إلى المساقاة وسمّاه الفروق وصنّف زيادات على المنهاج.

وشرحه كمال الدين محمد بن موسى الدميري (٨٠٨هـ) سمّاه النجم الوهاج لخصه من شرح السبكي والأسنوي وغيرهما، وعظم الانتفاع به خصوصاً بما طرزه به من التتمات والخاتمات والنكت البديعة، وابتدأ من المساقاة بناء على قطعة شيخه الأسنوي، وشرح مختصره أبو يحيى زكرياء الأنصاري (٩٢٦هـ) وهو شرح ممزوج اختصره أولاً وسمّاه منهج الطلاب، ثمّ شرحه وسمّاه فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب.

ومن شروح المنهاج شرحان كبيران أحدهما إرشاد المحتاج إلى توجيه المنهاج، والآخر بداية المحتاج، كلاهما لبدر الدين أبي الفضل محمد بن أبي بكر المعروف بابن شهبة الأسدي (٨٧٤هـ).

وشرح المنهاج أيضاً شمس الدين محمد بن محمد الشربيني (٩٧٧هـ) وسمّاه مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج وضح فيه المعاني الخفية وضمّنه الدليل والتعليل وبيّن ما عليه المعول من كلام المتأخرين

والأصحاب، وهذب فصوله وحققه فروعه وأصوله^(١).

وشرحه كذلك فقيه مصر شمس الدين محمد بن أحمد الرملي (١٠٠٤هـ) خلا فيه عن الإسهاب المملّ وعن الاختصار المخلّ، وذكر فيه بعض القواعد وضمّ إليه ما ظهر من الفوائد في تركيب رائق وأسلوب فائق، وميّز فيه المعمول به من الأقوال من غيرها بتوضيح مبين واقتصر فيه على القول المعمول به في المذهب غير معتن بتحرير الأقوال الضعيفة.

أسس فيه ما يعين على فهم المنقول واعتمد فيه على مصادر مشهورة ومعتبرة من شروح المنهاج وغيرها من كتب المتأخرين^(٢).

وغير ذلك من الشروح والمختصرات والحواشي والتعليقات.

وأما كتاب المجموع فقد كان عزم الإمام النووي على شرح المهذب من أعظم الأعمال في تاريخ المعارف الإسلامية إذ تناوله على نهج فريد خالف به جميع من سبقه ومن لحقه بطريقته المبتكرة، فذكر فيه جملاً من علومه الزاهرة وبيّن فيه أنواعاً من فنونه المتعدّدة وبالغ في إيضاح الأحكام بأسهل العبارات وضمّ إلى ما في الأصل من الفروع والتتمّات والزوائد المستحدثات والقواعد المحرّرات والضوابط الممهّدات.

وبيّن ما ذكره الشيرازي وقد اتّفق أصحاب الشافعي عليه وما وافقه عليه الجمهور، وما انفرد به أو خالفه فيه المعظم.

ولم يترك قولاً ولا وجهاً ولا نقلاً في مذهب الشافعي إلا ذكره ولو كان ضعيفاً أو واهياً، مع بيان رجحان ما كان راجحاً وتضعيف ما كان ضعيفاً.

وحرص على تتبّع كتب الشافعية من المتقدّمين والمتأخرين إلى زمانه من المبسوطات والمختصرات وكذلك نصوص الإمام الشافعي من الأمّ

(١) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ٢/١ - ٥.

(٢) نهاية المحتاج ٧/١ - ١٢.

ومختصر المزني والبويطي، كما تتبّع فتاوى الشافعية ومتفرّقات كلامهم في كتب الأصول والطبقات وفي شروحهم للحديث وغيرها، وذكر مذاهب السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من فقهاء الأمصار بأدلتها.

وكان النووي قد جمع هذا الشرح مبسوطاً جداً ثم رأى أنّ الاستمرار على هذا المنهج يؤدي إلى سامة مطالعه ويكون سبباً لقلّة الانتفاع به، فأعرض عن ذلك المنهج وسلك طريقة متوسطة، بحيث إذا كان من الأبواب التي لا يعمّ الانتفاع بها اختصر الكلام فيه.

فجاء الكتاب - كما قال صاحبه - : وإن سمّيته شرح المهذب فهو شرح للمذهب كلّ بل لمذاهب العلماء كلّهم.

ولم يستطع النووي إكمال موسوعته هذه، وإنّما انتهى به الشرح إلى غاية الجزء التاسع عند أوّل باب الربا فيما يتعلّق بمسألة مذاهب العلماء في بيان علّة الربا في الأجناس الأربعة ثم أكمل الجزء العاشر والحادي عشر العلامة تقيّ الدين علي بن عبدالكافي السبكي (٧٥٦هـ) وهي المحاولة الأولى لتكملة كتاب المجموع، وتوفّي عند الردّ بالغيب من كتاب البيوع ثم أكمله تكملة ثانية بعد نقصانه الشيخ محمد بخيت المطيعي (١٣٥٤هـ) فحوى من المسائل أعوصها ومن المشكلات أعمقها.

- ٤ - المهمّات على الروضة:

لجمال الدين عبدالرحيم بن حسن الأسنوي (٧٧٢هـ) وعليها تتمّات للشريف عزّ الدين حمزة بن أحمد الحسيني (٨٧٤هـ) وعليها تعقبات لشهاب الدين أحمد بن العماد الأقفهسي (٨٠٨هـ) سمّاها التعليق على المهمّات أكثر فيها من تخطّته ونسبه لسوء الفهم وفساد تصوّر مع قوله أنّه قرأ الأصل على مصتّفه، واعتذر عنه بعضهم فقال: لو أورد الكلام ساذجا لم يلتفتوا إليه لكون الأسنوي عندهم أجلاً وأعلم، واستدرك عليها زين الدين عبدالرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي (٨٠٦هـ) وسمّاها مهمّات المهمّات، وعلّق عليها شهاب الدين أحمد بن حمدان الأذرعي

(٧٨٣هـ) ولم يكمله، وعليه تعليقات للشيخ أحمد بن عماد (٨٠٨هـ) ورتبها علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبدالله المصري (٧٦٢هـ) على أبواب الفقه، وكتب سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني (٨٠٥هـ) عليها حواش سماها معرفة الملمات برّد المهمات.

واختصرها أبو زرعة أحمد بن عبدالرحيم العراقي مع إضافة حواشي البلقيني (٧٢٦هـ) واختصرها ابن الوكيل أحمد بن موسى التنوخي (٧٩١هـ) واختصرها أيضاً شمس الدين محمد بن عبدالله الصرخدي (٧٩٢هـ) ولخصها تلخيصاً حسناً شهاب الدين أحمد بن عبدالله الغزي (٨٢٢هـ) ولتقي الدين أبي بكر بن محمد الحصني (٨٢٩هـ) تلخيص المهمات.

وشرحها شرف الدين عيسى بن عثمان الغزي (٧٩٩هـ) سماه مدينة العلم، وعلى المهمات نكت للقاضي تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن شهبة (٨٥١هـ)، ومهمات المهمات لسراج الدين أبي حفص عمر بن محمد اليميني المعروف بالفتي (٨٨٧هـ) اختصر فيها المهمات اختصاراً حسناً، اقتصر فيه على ما يتعلّق بالروضة خاصّة، وعقد فيه مباحثات مع الأسنوي واستدرك عليه في الكثير من المناسبات، وله التبكيئات الواردة على مواضع من المهمات^(١).

- ٥ - الأنوار لعمل الأبرار:

لجمال الدين يوسف بن إبراهيم الأردبيلي (٧٩٩هـ) وهو كتاب معتبر في الفقه الشافعي، جمع فيه صاحبه ما يعمّ به البلوى من المسائل المهمّة غير المذكورة في المصادر المعتبرة للمذهب الشافعي.

وكان اعتماده أساساً على المصادر السبعة التالية، وهي: الكبير والصغير للرافعي والروضة وشرح اللباب والتعليقة والحاوي والمحزّر.

ومن شروح الأنوار، شرح نور الدين علي بن أحمد البوشي (٨٥٦هـ)

(١) كشف الظنون ٧٢٩/٢ - ٧٣٠.

وأفرد سراج الدين عمر بن محمد اليميني (٨٨٧هـ) زوائده في كتاب سمّاه أنوار الأنوار.

وعلى كتاب الأنوار تعليقات منها: تعليقة جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني (٩٠٧هـ) وتعليقة نور الدين علي بن محمد الأشموني (٩٠٠هـ)^(١).

وهناك كتب فقه من الأمتّات المعتبرة عند الشافعية لم ينفك الاعتناء بها في هذا الدور، حيث صنّفت حولها المطوّلات والمختصرات والشروح والحواشي والتعليق والطرر، وأهمّها:

٦ - شروح التنبيه:

ووقع الاعتناء في هذا الدور كذلك بكتاب التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي (٤٧٦هـ) فصنّف الفقهاء عليه الشروح الكثيرة، ومن أعظم تلك الشروح: شرح الإمام النووي سمّاه التحرير، وذكر فيه أنّ التنبيه من الكتب المباركة النافعة، فلذلك اعتنى بتحريره وتهذيبه، وقد سلك النووي في شرحه للتنبيه مسلكين، أولهما الاعتناء بما حواه الكتاب من مسائل تتعلّق بما يفتى به وتصحيح ما ترك المصنّف تصحيحه أو خولف فيه أو جزم بما هو خلاف المذهب وأنكر عليه، وقد جمع ذلك في كتاب سمّاه تصحيح التنبيه، والثاني بيان لغاته وذكر جميع ما يتعلّق بضبط ألفاظه، وهو ما اهتم به في كتابه التحرير.

وشرح التنبيه كذلك نجم الدين أحمد بن محمد المعروف بابن الرفعة (٧١٦هـ) شرحاً كبيراً، سمّاه كفاية النبيه، اشتمل على غرائب وفوائد كثيرة، قيل إنّه لم يعلّق على التنبيه مثله.

وعلى هذا الشرح اعتمد مجد الدين أبو بكر بن إسماعيل السنكلومي (٧٤٠هـ) في شرحه الذي لخصه من شرحي الرافعي وابن الرفعة وسمّاه تحفة النبيه في شرح التنبيه.

(١) كشف الظنون ١/٢٠٣ - ٢٠٤.

ولجمال الدين الأسنوي مختصر من كتاب التنبيه سَمَاهُ تذكرة النبيه ذكر فيه أنّ تصحيح التنبيه للنووي قد أهمل في كثير من المسائل، فقام الأسنوي بتجريد المهملات وجمعها في تأليف سَمَاهُ التنقيح، ثم استخرج في تأليف جامع كتب فيه ما أهمله في التنقيح وميّز الزيادات التي من قبله، وفرغ من تأليفه سنة ٧٣٨هـ.

ولفهاء هذا الدور على التنبيه كذلك مختصرات ومنظومات ونكات كثيرة^(١).

- ٧ - شروح المحرّر:

واعتنوا بكتاب المحرّر لأبي القاسم عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني (٦٢٣هـ) وهو كتاب معتبر مشهور بين الشافعية، فشرحه القاضي شهاب الدين أحمد بن يوسف السندي الحصنكي في (٨٩٥هـ) وسَمَاهُ: كشف الدرر في شرح المحرّر، التزم فيه ذكر خلاف الأئمة الثلاثة مع تنقيح مذهبه وبيان خلاف الترجيح بين الرافعي والنووي وما عليه الفتوى، وفرغ من تأليفه سنة ٨٨٢هـ، كما شرحه أيضاً شرف الدين عليّ الشيرازي (٩٠٧هـ).

واختصره علاء الدين عليّ بن محمد الباجي (٧١٤هـ) واختصره أيضاً الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي وسَمَاهُ المنهاج.

ومن شروحه كذلك، شرح نور الدين علي بن يحيى الزيايدي المصري (١٠٢٤هـ) والشيخ أبو بكر الشهرزوري (١٠١٤هـ) وسَمَاهُ الوضوح^(٢).

- ٨ - الحاوي الصغير:

لنجم الدين عبدالغفار بن عبدالكريم القزويني (٦٦٥هـ) وهو من الكتب المعتمدة بين الشافعية، وجيز اللفظ بسيط المعاني محرّر المقاصد

(١) كشف الظنون ٣٩٥/٢ - ٣٩٨.

(٢) كشف الظنون ٥٠٦/٢ - ٥٠٧.

مهذب المباني حسن التأليف والترتيب جيد التفصيل والتبويب.

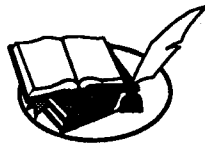
ولذلك عكفوا عليه شرحاً ونظماً واختصاراً، فمن شروحه: الشرح الموسوم بتوضيح الحاوي لقطب الدين أحمد بن الحسن الغالي (٧٧٩هـ) وعليه حاشية لبدر الدين حسن بن عمر حبيب الحلبي (٧٧٩هـ).

وسمّاها التوشيح أورد فيها زوائد مفيدة من إظهار الفتاوى وكشف بعض أسرار الحاوي وشرح أبي عبدالله محمد الناشري اليمني (٨٧٤هـ) وسمّاها إيضاح الفتاوى في النكت المتعلقة بالحاوي.

وعلى الحاوي اعتراضات وتصحيحات ونكت، ومنظومات أشهرها نظم زين الدين عمر بن مظفر الوردی (٧٤٩هـ) سمّاها البهجة الوردية، وهي في خمسة آلاف بيت وعليها شروح كثيرة^(١).

٩ - الغاية القصوى في دراية الفتوى:

للقاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي (٦٨٥هـ) اختصرها من كتاب الوسيط المحيط بأقطار البسيط للغزالي، وهو كتاب معتبر اعتنى بشرحه ودراسته الفقهاء، فشرحه غياث الدين محمد بن محمد الواسطي (٧١٨هـ) وبدر الدين محمد بن أسعد التستري (٧٣٥هـ) وجمال الدين محمد بن محمد الأقسرائي (٧٧١هـ)^(٢).



(١) كشف الظنون ٤٨٨/١ - ٤٩٠.

(٢) كشف الظنون ١٩١/٢.

حركة التدوين في المذهب الحنبلي

١ - الفروع والمبدع شرح المقنع.

كلاهما لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن مفلح (٧٦٣هـ) أجاد فيه وأحسن على مذهبه، ومدحه ابن حجر في الدرر فقال: صنّف الفروع في مجلدين أجاد فيه إلى الغاية وأورد فيه من الفروع الغريبة ما بهر العلماء.

جمع ابن مفلح في كتابه الفروع غالب مسائل المذهب الحنبلي، حتى كان يسمّى «مكنسة المذهب» وجرّده من الدليل والتعليل، وقدم غالباً الراجح في المذهب، فإن اختلف الترجيح أطلق الخلاف، وذكر اصطلاحه في أول الكتاب كما هو عادة المصنّفين، ولم يقتصر على مذهب أحمد بل أشار إلى أقوال المذاهب الأخرى، وأشار إلى ذكر الوفاق والخلاف، وما وافقهم عليه الأئمة الثلاثة وغيرهم، واستعمل في ذلك الرموز، وأطال النفس في بعض المباحث وربما التجأ أحياناً إلى ذكر الدليل.

وقد اعتنى علماء الحنابلة بهذا الكتاب فشرحه أحمد بن أبي بكر محمد بن العماد الحموي وسمّاه: المقصد المنجح لفروع ابن مفلح، قال عنه بدران: قلّ أن يوجد نظيره، كما شرحه شيخ المذهب ومفتي الديار المصرية محبّ الدين أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر (٨٤٤هـ) وشرحه هذا أشبه بالحواشي منه بالشروح.

ولتقيّ الدين أبي بكر بن إبراهيم بن قندس (٨٦١هـ) حاشية على الفروع بها الكثير من التحقيق والفوائد.

ولأبي المحاسن يوسف بن محمد بن عمر الصالحي المرداوي (٨٧٨هـ) حاشية صحّح فيها ما أطلقه ابن مفلح من الخلاف، سمّاها نهاية الحكم المشروع في تصحيح الفروع^(١).

ووضع أحمد بن أبي بكر بن محمد بن العماد الحموي (٨٨٣هـ) على الفروع كتاباً سمّاه المقصد المنجح لفروع ابن مفلح.

ولعلاء الدين بن الحسن عليّ بن سليمان المرداوي (٨٨٥هـ) - صاحب كتاب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف - حاشية في تصحيح الفروع سمّاها: الدرّ المنتقى والجوهر المجموع في معرفة الراجح من الخلاف المطلق في الفروع.

وأما كتاب المبدع فهو شرح للمقنع لشيخ الإسلام موفق الدين ابن قدامة، قصد به الشارح تبين حقائقه وتوضيح دقائقه وتذليل من اللفظ صعبه وكشف النقاب عن وجه المعاني، فنّبّه فيه على ترجيح ما أطلق وصحّح فيه ما أغلق واجتهد في اختصاره^(٢).

٢ و ٣ - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف والتنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع:

كلاهما لمجدّد مذهب الإمام أحمد في الأصول والفروع، الشيخ علاء الدين عليّ بن سليمان السعدي المرداوي (٨٨٥هـ) الذي انتصب لنصرة المذهب الحنبلي وضمّ شمله حيث وجد أهل زمنه قد أكّبوا على المقنع، فألّف عليه شرحه المسمّى بالإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، بيّن فيه الصحيح من المذهب والمشهور وما اعتمده أكثر الأصحاب وذهبوا إليه، وأطال فيه المباحث والكلام.

(١) الدرر الكامنة ٤/٢٦٢، كشف الظنون ٢/٢٤٠، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤١٩ و ٤٣٧ - ٤٣٨، الفروع ١/٣، مقدّمة محقّق أصول الفقه لابن مفلح ١/٢٢ - ٢٣.

(٢) المبدع شرح المقنع ١/٢، المكتب الإسلامي، بيروت.

وطريقته في شرحه: أنه ينقل عن الإمام أحمد والأصحاب ويعزو إلى كل كتاب ما ينقل منه ويضيف إلى كل عالم ما يروى عنه، فإن كان المذهب في المسألة ظاهراً أو مشهوراً أو قد اختاره جمهور الأصحاب وجعلوه منصوراً فهذا لا إشكال فيه، وإن كان الترجيح مختلفاً بين الأصحاب في مسائل متجاذبة المآخذ، اعتمد في معرفة المذهب على ما قاله المصنّف ومجد الدين بن تيمية (٦٥٢هـ) صاحب المحرّر وابن مفلح صاحب الفروع وابن رجب صاحب القواعد وابن تيمية صاحب مجموع الفتاوى وغيرهم من الحنابلة الذين هدّبوا كلام المتقدمين ومهدّوا قواعد المذهب، فصار كتابه بذلك يغني المقلّد عن سائر كتب المذهب.

وهذا الكتاب دليل على تبخّر مصنّفه وسعة علمه وقوة فهمه.

ثم اختصر منه كتابه المسمّى بالتنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع، فصحّح فيه الروايات المطلقة في المقنع وما أطلق فيه من الوجهين أو الأوجه وقيد ما أخلّ به من الشروط وفسّر ما أبهم فيه من حكم أو لفظ واستثنى من عمومته ما هو مستثنى على المذهب وقيد ما يحتاج إليه ممّا فيه إطلاقه، وكان يحمل على بعض فروعه ما هو مرتبط بها، وزاد مسائل محرّرة مصحّحة فصار كتابه تصحيحاً لغالب كتب المذهب^(١).

٤ - مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام:

ليوسف بن حسن بن أحمد بن عبدالهادي (٩٠٩هـ) الشهير بابن المبرد الصالحي، صدر كتابه بعلم التوحيد، ثم بياب معرفة الإعراب، ثم بأصول الفقه، ثم بما يستعمل من الأدب، ثم أتبعه ببعض اصطلاحات في المذهب، ثم استرسل في الفقه على نمط وجيز، ثم ختمه بقواعد كليّة ترتّب عليها مسائل فرعيّة^(٢).

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٣٦، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ١٣/١، شذرات الذهب ٤٨٧/٧.

(٢) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٣٨ - ٤٣٩.

٥ - منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات:

لتقيّ الدين محمد بن أحمد الفتوحى المصرى الشهير بابن النجار (٩٧٢هـ) والكتاب مشهور، وهو عمدة المتأخرين فى المذهب وعليه الفتوى فيما بينهم.

جمع فيه صاحبه بين كتاب المقنع لموفق الدين ابن قدامة والتنقيح لعلاء الدين المرادوى، وزاد عليهما أشياء مهمة، وحرّر مسائله على الراجح من المذهب، فاشتغل به عامة الطلبة فى عصره، واقتصروا عليه ثم شرحه المصنّف، وغالب استمداده فيه من كتاب الفروع لابن مفلح.

جمع فيه صاحبه بين كتاب المقنع لموفق الدين ابن قدامة والتنقيح لعلاء الدين المرادوى وزاد عليهما أشياء مهمة، وحرّر مسائله على الراجح من المذهب، فاشتغل به عامة الطلبة فى عصره، واقتصروا عليه ثم شرحه المصنّف، وغالب استمداده فيه من كتاب الفروع لابن مفلح.

وشرح منتهى الإرادات الشيخ منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتى (١٠٥١هـ) اعتمد فيه على شرح مؤلف المنتهى لكتابه، وعلى شرحه نفسه على الإقناع.

وكتب محمد بن أحمد بن أحمد البهوتى المعروف بالخلوتى (١٠٨٨هـ) تحريرات على هامش نسخته متن المنتهى، وعلى المتن حاشية لعثمان بن أحمد بن سعيد النجدى (١٠٩٧هـ) مال فيها إلى التحقيق والتدقيق^(١).

٦ - ٧ - كشاف القناع عن متن الإقناع والروض المُرْبِع شرح زاد المستقنع.

كلاهما لمنصور بن يونس بن صلاح الدين بن إدريس البهوتى (١٠٥١هـ)، فأما كشاف القناع فقد فرغ من تأليفه سنة ١٠٤٦هـ، وشرح به

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٣٩ - ٤٤١.

متن الإقناع لطلب الانتفاع لموسى بن أحمد الحجاوي (٩٦٨هـ).

والمتمن جرّد مؤلفه في تحرير نقوله واختصارها وجرّده غالباً عن الدليل والتعليل، وجعله على قول واحد وهو ما رجّحه أهل الترجيح، وربّما ذكر بعض الخلاف لقوّته، أو عزا حكماً إلى قائله خروجاً من تبعته، وقد تصدّى البهوتي لشرحه شرحاً مفيداً دَعَمه بالدليل والتعليل، ومزج الشرح بالأصل، فلا يميّز بينهما إلاّ صاحب بصيرة، وتتبع المصادر التي استقى منها صاحب المتن متنه، كالمقنع والمحزّر والفروع والمستوعب، وما تيسّر للبهوتي الاطلاع عليه من شروح تلك المصادر وحواشيها كالشرح الكبير والإنصاف وغيرها، وكان تعويله في الغالب على شرح المنتهى والمبدع، كما صرّح بذلك.

وربّما عزا بعض الأقوال لقائلها خروجاً من عهدتها، وذكر ما أهمله صاحب الإقناع من القيود، وحفل الشرح بذكر علل الأحكام وأدلتها على طريق الاختصار، وبيّن المعتمد من المواضع التي تعارض كلام صاحب المتن فيها، وما خالف فيها المنتهى، متعرّضاً لذكر الخلاف فيها ليعلم مستند كلّ منهما.

وكتب الشيخ محمد الخلوّتي عليه تعليقات جرّدت بعد موته، ولصاحبه كتاب في شرح غريب لغاته^(١).

وأما الروض المربع فقد شرح به زاد المستقنع في اختصار المقنع لموسى بن أحمد الحجاوي أيضاً، فقصّد إلى توضيح غامضه وتوضيح معانيه ودقائقه، وحلّ مشكله والإشارة إلى مسائل تمسّ الحاجة إليها وفوائد يحتاج إليها، ونبّه على ما خالف فيه المذهب^(٢).

وقد تميّز بعبارته المختصرة الواضحة وأسلوبه الرفيع، فكان من

(١) الإقناع في فقه الإمام أحمد ٢/١، دار المعرفة بيروت، كشّاف القناع ١٠/١، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٤١ - ٤٤٢ شذرات الذهب ٣٨٤/٨.

(٢) الروض المربع شرح زاد المستقنع ١/١، دار المؤيّد ومؤسسة الرسالة.

مظاهر العناية به كثرة الحواشي التي كتبت عليه.

٨ - ٩ - غاية المنتهى ودليل الطالب:

كلاهما للشيخ مرعي بن يوسف بن أحمد الكرمي - نسبة لطور كرم قرية بقرب نابلس - ثم المقدسي (١٠٣٣هـ) فأما غاية المنتهى فقد جمع فيه بين «الإقناع» و«المنتهى» وسلك فيه مسالك المجتهدين فأورد فيه اتجاهات له كثيرة، يعنونها بلفظ: ويتجه، ولكنه جاء متأخراً على حين فترة من علماء هذا المذهب، حيث تمكن التقليد من أفكارهم، فلم ينتشر انتشار غيره من كتب التقليد.

وتصدى لشرحه أبو الفلاح عبدالحوي بن محمد بن العماد فشرحه شرحاً لطيفاً دلّ على فقهه وجودة قلمه، لكنّه لم يتمه، ثمّ ذيل على شرحه هذا العلامة الجراعي فوصل فيه إلى باب الوكالة ثمّ اخترمته المنية، ثمّ تلاهما الشيخ الفقيه مصطفى بن سعد بن عبدة السيوطي الرحيباني ثمّ الدمشقي (١٢٤٣هـ) فاستوفى شرحه وكان ينقل المسألة من «المنتهى» ثمّ ينقل عبارة شرحها للشيخ منصور البهوتي، وينقل أيضاً المسألة من كتاب «الإقناع» ثمّ ينقل عبارة شرحه، وكان إذا وصل إلى اتجاه لم يحقّقه، بل قصارى أمره أن يقول: لم أجده لأحد من الأصحاب، فكان كتابه عبارة عن جمع بين الشرحين من غير تصرف.

ثمّ تلاه تلميذه حسن بن عمر بن معروف الشطي (١٢٧٤هـ) فأخذ في مواضع الاتجاه من الغاية والشرح وانتصر للشيخ مرعي وبين صواب تلك الاتجاهات، ومن قال بها غيره من العلماء، وذكر في غضون ذلك مباحث رائقة وفوائد لا يستغنى عنها^(١).

وأما دليل الطالب لنيل المطالب فهو مختصر بالغ مصتفه في إيضاحه، وبين فيه الأحكام أحسن بيان ولم يذكر فيه إلا ما جزم بصحته أهل

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٤٣ - ٤٤٤.

التصحيح، وما عليه الفتوى فيما بين أهل الترجيح.

اعتنى فقهاء الحنابلة بشرحه، ومن أهمها الشرح المسمّى بمنار السبيل شرح الدليل لإبراهيم بن محمد بن سالم بن ضُوبان (١٣٥٣هـ) ذكر فيه الدليل والتعليل ليكون وافياً بالعرض من غير تطويل، وزاد في بعض الأبواب مسائل يحتاج إليها، وربّما ذكر رواية ثانية أو وجهاً ثانياً لقوة الدليل، واعتمد في نقله على: كتاب الكافي لموفق الدين ابن قدامة (٦٢٠هـ) وعلى شرح المقنع لعبدالرحمن ابن قدامة (٦٨٢هـ) وكتاب الفروع لابن مفلح والقواعد لابن رجب وغيرها من كتب الحنابلة^(١).

- ١٠ - ١١ - ١٢ - كافي المبتدي وأخصر المختصرات ومختصر الإفادات:

هذه المتون الثلاثة للفقير محمد بن بدر الدين بن بلبان (١٠٨٣هـ) الذي كان يقرأ الفقه لطلاب المذاهب الأربعة، وقد اعتنى الفقهاء من بعده بكتبه.

فأما «كافي المبتدي» فشرحه أحمد بن عبدالله بن أحمد الحلبي الأصل (١١٨٧هـ) شرحاً لطيفاً محرراً وسمّاه: الروض النديّ شرح كافي المبتدي.

وأما أخصر المختصرات فهو متن مختصر جداً، اختصر فيه كافي المبتدي، وقد شرحه عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الدمشقي (١١٩٢هـ) شرحاً محرراً منقّحاً.

وأما مختصر الإفادات فهو وسط بين الإسهاب والإيجاز، استمده صاحبه من «الإقناع»، وصدّره بالعبادات ثم أحكام البيع والربا، ثم كتاب الآداب وفضله فصولاً، ثم أتبعه بفضل الصلاة على النبي ﷺ، وفضل ذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإخلاص، ثم أتبع

(١) منار السبيل في شرح الدليل ٥/١، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ٤٤٢ - ٤٤٣.

ذلك بعقيدته التي اختصر بها «نهاية المبتدئين» لابن حمدان، ثم ختم الكتاب بوصية نافعة^(١).

واعتنى فقهاء الحنابلة في هذا الدور كذلك بمصادر الدور السابق، وخاصة منها مصنفات موقّق الدين ابن قدامة، فصنّف القاضي علاء الدين المرداوي المعروف بابن مغلي (٨٢٨هـ) كتاباً على مقنع ابن قدامة وسماه التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع، ذكر فيه أنّه اقتضب ما في كتاب الإنصاف من تصحيح ما أطلق الشيخ موقّق الدين في المقنع من الخلاف^(٢).

وكان أول من شرح المقنع هو الإمام عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة (٦٨٢هـ) سلك فيه مسلك الاجتهاد في المذهب حيث اعتمد على ذكر المسألة من المقنع، ثم يذكر مذهب الموافق فيها والمخالف لها، ويذكر ما لكل من دليله، ثم يستدلّ ويعلّل للمختار، ويزيّف دليل المخالف^(٣).

ثم شرحه سيف الدين أبو البركات ابن المنجا (٦٩٥هـ) وسماه الممتع شرح المقنع، قال في مقدمة كتابه أنّه أحبّ أن يشرح المقنع ويبين مراده ويوضّحه، ويذكر دليل كل حكم ويصحّحه، وطريقته أنّه يذكر المسألة ويبين دليلها، ويحقّق المسائل والروايات، ولم يتعرّض لغير مذهب الإمام أحمد^(٤).

ومن شروحه أيضاً: شرح القاضي برهان الدين إبراهيم بن محمد الأكمل ابن مفلح (٨٨٤هـ) مزج المتن بالشرح، ولم يتعرّض فيه لمذاهب المخالفين إلا نادراً، ومال فيه إلى التحقيق وضّمّ الفروع سالكا مسلك

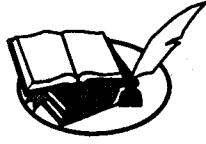
(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٢) كشف الظنون ٦٥٢/٢.

(٣) المدخل إلى مذهب أحمد ص ٤٣٥.

(٤) المدخل إلى مذهب أحمد ص ٤١٩ و ٤٣٥ - ٤٣٦.

المجتهدين في المذهب، ولذلك اعتبر هذا الشرح أنفع شروح المقنع للمتوسطين، وعلى طريقته سار شارح «الإقناع» ومن استمد^(١).



(١) المدخل إلى مذهب أحمد ص ٤٣٥.

مقاربة نقدية

★ الحركة التطورية الجديدة في الفقه ★

— المذهب المالكي نموذجاً —^(١)

لما بدأ الفقهاء يجنحون إلى معنى من الالتزام والاختصار انتقل بذلك الفقه من وضع التنقيح إلى وضع التقنين الذي هو وضع المختصرات المقتصرة على بعض الأقوال الفقهية التي كانت مدونة في مصادر دور الترجيح ودور التطبيق.

وابتدأت على ذلك تظهر الأوضاع المختصرة التي هي المتون التي عكف الناس عليها والتزموها من مثل مختصر ابن الحاجب في الفقه المالكي، وكتاب الكنز للنسفي في الفقه الحنفي، وكتاب المنهاج للنووي في الفقه الشافعي، إلى غير ذلك.

فتميز القرن السابع بكونه قرن التزام للمنهج التقيني الذي هو مبني على الاقتصار والاختصار، وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ خليل في القرن الثامن يغرق في طريقة الالتزام ويساير ابن الحاجب - رجل

(١) محاضرات مغربية ص ٨٥ - ٨٨، أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص ٦٨ و ١٠٤، ومضات فكر ١/١٤٥ - ١٤٨، مجلة الهداية، السنة ٢٧، صفر - ربيع الأول ١٤٢٣هـ، مقال بعنوان: فاس من خلال المخطوطات التونسية، وجميعها للعلامة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور.

المختصرات - فيزيد عليه في كثرة المسائل حتى بلغ مائة ألف مسألة بالمنطوق غير المفهوم، ويزيد عليه بالاختصار حتى جاء مختصر الشيخ خليل أقل حجما من مختصر ابن الحاجب مع أنه يزيد عليه بالمسائل بأربعين في المائة تقريبا.

في هذا الوقت كان ابن عرفة يقاوم هذه الطريقة في دروسه وفي فتاويه وفي تأليفه المختصر، كأنه يتحدى به الشهرة التي اشتهر بها مختصر ابن الحاجب الفرعي.

وسلك ابن عرفة في فقهه الطريقة التي عبر عنها أصحابه، أو عبر عنها هو بنفسه «بالتفقه» وهي طريقة بنيت على إحياء الأقوال المتروكة، أو المحكوم عليها بالضعف، أو المحكوم عليها بالمرجوحية، للنظر فيها من النواحي النقدية التي سبق أن نظر في أمثالها على ذلك المنهج الإمام اللخمي في كتابه التبصرة.

فنشأ هذا المنهج الجديد الذي هو منهج التفقه، وهو أن الراجع راجح، والمفتى به مفتى به، ولكن لا مانع مع ذلك من أن ننظر إلى غير الراجع، وإلى غير المفتى بها، وأن نناقش الأدلة بين هذا وذاك، لا على معنى أننا سنفتي أو نحكم بتلك الأقوال المتروكة، ولكن على معنى أننا نجعل البحث فيها رياضة فقهية، وذلك ما عبر عنه بالتفقه.

وبهذه الطريقة الجديدة أحيى ابن عرفة منهج البحث والاختيار والترجيح، وربما كان يأخذ ببعض ذلك في فتاويه كما نقل عنه تلاميذه، وخاصة منهم محمد بن خلفه بن عمر التونسي المشهور بالأبي (٨٢٨هـ).

وإذا كان ابن عرفة قد وقف بهذه الطريقة عند حد التفقه لا الفقه، بحيث إنه لم يعطها أثرا عمليا، فإن تلاميذه من بعده الذين نشأوا على طريقته قد جعلوا من هذا التفقه فقها، حيث أدخلوا في فتاويهم - ولا سيما الذين تولوا منصب القضاء منهم - الاختيارات والترجيحات التي كان ابن عرفة يسير عليها، كما نرى ذلك في نوازل أبي القاسم البرزلي (٨٤٤هـ).

وفي شرح ابن ناجي (٨٣٩هـ) على المدونة، وفي شرحه على مختصر ابن الحاجب، وفي أحكام ابن ناجي التي بنى عليها كثير ممن أتى بعد ذلك من مخالفة العمل القضائي للراجح أو المشهور، ودرج عليها الشيخ يحيى المازوني المغيدي (٨٨٣هـ) فقيه مازونة في كتابة المشهور: الدرر المكنونة في نوادر مزونة، وتأثر بها أبو العباس الونشريسي (٩١٤هـ) في كتابه: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والمغرب، بحيث إنها كوّنت اتجاهاً جديداً قد تكون الأحداث أُلجأت إليه ورجّحته، وبيّنت أنّ ما بني عليه الترجيح والاختيار إنّما كان مستندا إلى أمور من الإرهاق أصبحت غير متجلية بتبدل الأحوال، ولا سيما في الانقلابات الاجتماعية الهائلة التي ظهرت في القرنين الثامن والتاسع حيث عظمت في هذه الفترة مشكلة الأندلس، وتقاطر اللاجئين الأندلسيون على البلاد المغربية، وبدت نذر التدهور الاقتصادي والسياسي، وحدثت للناس في حياتهم الاجتماعية أفضية فقهية على قدر ما أحدثوا، فتطلّعوا إلى قضاء عادل بصير بالأحوال يتصرّف بالاختبار وحسن التطبيق وتحقيق مناط الأحكام، جاريا على ما يلائم التطلّعات الاجتماعية خاصّة وأنّ كثيراً من الأمور التي لو درجنا فيها على ما كان الفقهاء المتقدّمون يأخذون به من الترجيح لأصبحنا بذلك غير مستطيعين أن نحقق المصالح التي من أجلها شرّعت تلك الأحكام.

ولذلك تتابعت الكتب التي بدأت تستند إلى إفتاء المفتين وإلى تصرّفات القضاة فتجعل ذلك قانوناً ملزماً ينبغي أن تكمّل به الأوضاع الفقهية القديمة، فأصبح قاضي فاس أبو الحسن الزقاق (٩١٢هـ) يجمع المسائل التي جرى فيها العمل بفاس على خلاف المشهور من المذهب المالكي «لما قد فشا من قبح حال وحيلة» فاتخذ العمل القضائي الفاس مرجعاً في الأقطار الإفريقية بما ورد في لامية الزقاق، ثمّ ما ورد بعد ذلك في كتاب «العمليات العامة» ممّا اختلف فيه عمل بعض المراكز المالكية عن بعض، وما اختلف فيه بعض تلك المراكز عن مناهج الترجيح والاختيار التي كان مأخوذاً بها في المدونات القديمة للمذهب المالكي.

واعتمد فقهاء تونس على فقهاء فاس يدرسون كتبهم ويجمعون فتاويهم ويتنافسون في رسائلهم، فطلع عليهم الونشريسي بالمعيار، وأبو الحسن الصغير بتقييده على المدونة، وابن غازي (٩١٩هـ) بتكميله للتقيد.

واستهل القرن الحادي عشر بالشيخ يوسف الفاسي وأخيه عبدالرحمن (١٠٩٦هـ) فعمت شهرتهما وتآدت بشهرة الذين تابعا عليها فيما بعد من آل الفاسي الفهريين مثل الشيخ عبدالقادر الفاسي (١٠٩١هـ) الذي ملأت حياته هذا القرن كله، والشيخ محمد المهدي الفاسي، وكان من أشهر كتب آل البيت الفاسي: نظم العمل الفاسي الذي لم يخل منه بيت فقيه.

كما عظمت شهرة الشيخ عبدالواحد بن عاشر (١٠٤٠هـ) بأراجزه: مورد الضمان، والمرشد المعين وما أحاط بهما من آثار الشهرة والعناية، وذاع صيت أبي العباس المقرئ (١٠٤١هـ) غربا وشرقا، واشتهر أبو محمد ميارة (١٠٧٢هـ) برسائله وشروحه على المرشد المعين وعلى لامية الزقاق، فرسخت سمعة فاس الفقهية باختصاص أئمة الفقه المالكي بفاس بتحقيق المذهب وتصحيح نقوله والرجوع إلى أمهات الدواوين ومجازبة الأنظار مع كبار فقهاء المذهب المالكي بمصر من أهل القرن الحادي عشر وتقويم مباحثهم، وذلك ما ظهرت به كتب الشيخ ابن رخال (١١٤٠هـ) في تعقيبه لشراح المختصر الخليلي: الأجهوري وتلاميذه الشبرخيتي والخرشي والزرقاني، وذلك ما اشتهر به الشيخ محمد بن الحسن بتاني (١١٩٤هـ) في حاشيته على الزرقاني، والشيخ محمد الرهوني (١٢٣٠هـ) في حاشيته على الزرقاني، حتى أصبح الفقه المالكي عالة عليهم، لا يستقيم بحث فقهي بالغرب والشرق إلا عن طريق تحاريرهم، وختم القرن الحادي عشر بركني العلم والأدب الإمام أبي عليّ اليوسفي (١١٠٢هـ) والشيخ ابن زاكور (١١٢٠هـ).

وكان يظهر مثل ذلك في غير فاس من مراكز الفقه المالكي الأخرى، لا سيما تونس، حيث كان الشيخ قاسم عظم (١٠٠٩هـ) في القرن العاشر برسائله الشهيرة وتحقيقاته متجها - في كثير من المسائل التي حدثت بعد

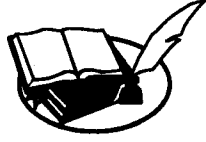
ابتداء الحكم العثماني، أو في أواخر العهد الحفصي - إلى الأخذ بالفتوى، أو الإشارة على القضاة في الحكم بأن يأخذوا بغير ما صرح به في الكتب بأنه الذي عليه القضاء أو عليه الفتوى، عملاً بالمنازع الاجتهادية التي ترجع إلى هذا الضرب من الاجتهاد الذي بيّن أبو إسحاق الشاطبي أنّه لا يمكن أن ينقطع، وهو ما يعود إلى تحقيق المناط.

وعلى ذلك بنيت المنظومات الخاصّة بالعمل التونسي التي أشهرها كتاب «لقط الدرر في العمل المشتهر» لقاضي تونس محمد السنوسي بن مهنيّة (١٢٥٥هـ) وجرى على ذلك منهج الفقهاء في القرن الثاني عشر بين التونسيين والفاسيين، فكانت منازع الشيخ محمد التاودي ابن سودة (١٢٠٩هـ) بشرحه على العاصميّة وانتشار مجموعة فتاويه، وما نوّه به تلميذه التونسي الشيخ محمد بن سليمان المناعي (١٢٤٧هـ) والشيخ عليّ التسولي (١٢٥٨هـ) بشرح التحفة وحاشيته في شرح الزقّاقية ومجموعة فتاويه، تتقابل مع منازع الشيخ إسماعيل التميمي (١٢٤٨هـ) والشيخ محمد المحجوب (في الرسائل وفي الأحكام التي يمكن أن يصدق عليها بما يسمّى بالأحكام القياسية)، التي هي عبارة عن البحث في صور تطبيق الأحكام وبيان ما ينبغي أن يؤخذ به على ما يسنده النظر الفقهي الصحيح من تطبيق الحكم على المحلّ الذي ينطبق عليه.

ويتبع هذا مظهر من عناية التونسيين بتلك الأوضاع الفقهية المهمة في حاشية حسن الشريف (١٢٣٤هـ) على شرح ميارة على اللاميّة، وحاشية الشيخ أحمد بن الطاهر والشيخ محمد بن سلامة (١٢٦٦هـ) على التاودي.

وهكذا نستطيع أن نستخلص من خلال هذا العرض السريع أنّه رغم الجوّ العام الذي طبع هذا الدور الفقهي من انحطاط الهمم عن طلب الدليل وانكباب الناس على التقليد البحث، وتمكّن التقليد من العقول بحيث كادت مناهج المتقدّمين ومسالكهم أن تذهب أدراج الرياح، فإنّه قد انتصب لنصرة الحركة التطورية الجديدة في الفقه ثلّة ممّن خبروا ضرورة اختلاف مقتضيات التراجيح والاختيارات والتصرفات بسبب اختلاف البلدان وتباين عوائدها

وأعرافها، فلم يزل بهم الفقه حيّاً نامياً متجدّداً، ولم يزل عمل التطبيق ومجاراة ما بين الفقه في أحكامه وبين الحوادث في انطباق تلك الأحكام عليها أمر واقع لم ينقطع أبداً.



نشاط المرأة المسلمة في هذا الدور

عرف هذا الدور الفقهي نساءً اشتهرن بالفضل الباهر والتقدم الظاهر مما يندر وجود أمثالهنّ، كنّ قد أحطن بالمعارف العلميّة على اختلاف أنواعها، وتوسّعن في فهم الفقه واستيعابه وتبحرن في أحاديث الأحكام حتى صرن مضرب الأمثال في فهم الدين والتفقه فيه، تتخيّر الواحدة منهنّ أحياناً لنفسها في استنباط الأحكام وتتصدّر الإفتاء والتدريس وتصفّ الكتب ويقرأ عليها النساء والرجال على السواء، ويرتحل إليها أعلام عصرها يستجيزونها.

فهذه الشيخة الصالحة أمّ زينب فاطمة بنت عياش بن أبي الفتح بن محمد البغدادية (٧١٤هـ) كانت من العالمات الفاضلات، تحضر مجلس الشيخ تقيّ الدين بن تيميّة، وتستفيد منه ومن غيره، وكان ابن تيميّة يتعجب من حرصها وذكائها حتى أثنى عليها وكان يصفها بالفضيلة والعلم، ويذكر عنها أنّها كانت تستحضر كثيراً من المغني أو أكثره، ولذلك كان يستعدّ لها من كثرة مسائلها وحسن أسئلتها وسرعة فهمها.

وقد انتفع بها نساء أهل دمشق، ثمّ لما تحوّلت إلى القاهرة حصل بها النفع وارتفع قدرها وبعد صيتها، وكانت قد تفقّحت عند المقدسين^(١).

وهذه أمّ محمد زينب (٧٢٢هـ) بنت أحمد عمر بن أبي بكر بن شكر

(١) البداية والنهاية ٧٢/١٤، الدرر الكامنة ٢٢٦/٤.

المقدسي يرتحل إليها الطلبة، وحدثت بمصر والمدينة المنورة^(١).

وأم عبدالله زينب (٧٤٠هـ) بنت الكمال أحمد بن عبدالرحيم المقدسية التي تفردت وروت كتباً كباراً حتى تكاثر عليها الطلبة وتزاحموا للأخذ عنها، وكان ممن قرأ عليها ابن أختها شمس الدين محمد (٧٨٩هـ) ابن المحب الحنبلي المعروف بالصامت، والشيخ سعد بن عبدالله السبكي (٧٩٩هـ)^(٢).

وهذه مريم ست القضاة (٧٥٨هـ) بنت الشيخ عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن الحنبلي التي أجازت لولدها شمس الدين بن عبدالقادر النابلسي، وذكر ابن حجر أنها أجازت كذلك لشيخته فاطمة بنت خليل الحنبلي^(٣).

وهذه زينب (٧٩٩هـ) بنت عبدالله بن عبدالحليم بن تيمية الحنبلي بنت أخي الشيخ تقي الدين، قد سمعت من أعلام عصرها وأجازت للشيخ ابن حجر العسقلاني^(٤).

وكان ممن أجاز لابن حجر كذلك من أعلام النساء في القرن الثامن:

خديجة بنت العماد أبي بكر بن يوسف بن عبدالقادر الخليلي (٨٠٢هـ) ثم الصالحية^(٥)، وشمس الملوك (٨٠٣هـ) بنت ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الدمشقية^(٦)، وأم عمر (٨٠٥هـ) كلثوم بنت الحافظ تقي الدين محمد بن رافع السلامي الدمشقية^(٧)، وسمع على زينب

(١) شذرات الذهب ٢١٠/٦.

(٢) شذرات الذهب ٣٠١/٦، ٣٠٧ و٥٤/٧، ١١٣، الدرر الكامنة ١١٧/٢.

(٣) شذرات الذهب ٣٧٦/٦، الدرر الكامنة ٣٤٥/٤ - ٣٤٦.

(٤) شذرات الذهب ١١٣/٧.

(٥) شذرات الذهب ١٤٠/٧، الضوء اللامع ٢٧/١٢.

(٦) شذرات الذهب ١٥٣/٧، الضوء اللامع ٦٩/١٢.

(٧) شذرات الذهب ١٧٨/٧، الضوء اللامع ١١٨/١٢.

(٨٠٣هـ) بنت العماد أبي بكر بن أحمد بن محمد بن جعوان^(١)، وسمع من ست الكل^(٢) (٨٠٣هـ) بنت أحمد بن محمد الزين^(٢)، وسمع كذلك من خديجة (٨٠٣هـ) بنت أبي بكر بن عبد الملك الصالحية المعروفة ببنت اللورى^(٣)، ومن عائشة (٨٠٣هـ) بنت أبي بكر بن محمد بن عمر بن قوام البالسية، الصالحية^(٤).

وكان ابن حجر قد قرأ الكتب الكثيرة على أم يوسف فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسية الصالحية الحنبلية (٨٠٣هـ) ومدحها بقوله: ونعمة الشیخة كانت^(٥).

كما قرأ على أم عيسى (٨٠٦هـ) مريم بنت أحمد بن أحمد بن شمس الدين محمد بن إبراهيم الأذري، الكثير من مسموعاتها، وأشياء كثيرة بالإجازة، ومدحها بقوله: ونعمت الشیخة كانت ديانة وصيانة ومحبة في العلم^(٦).

وروى عن عائشة (٨١٦هـ) بنت محمد بن عبد الهادي بن محمد بن قدامة المقدسي الأصل أبوها، الصالحية الحنبلية المذهب، وقرأ عليها كتباً عديدة، وأخذ عنها الأئمة^(٧).

وسمع عن سارة (٨٠٥هـ) بنت علي بن عبد الكافي السبكي^(٨).
وغيرهن كثيرات.

وهذه دهماء (٨٣٧هـ) أخت الإمام المهدي أحمد بن يحيى، كانت

- (١) شذرات الذهب ١٥٢/٧ الضوء اللامع ٤٠/١٢.
- (٢) شذرات الذهب ١٥٢/٧، الضوء اللامع ٥٧/١٢.
- (٣) شذرات الذهب ١٥٢/٧، الضوء اللامع ٢٦/١٢.
- (٤) شذرات الذهب ١٥٧/٧، الضوء اللامع ٥٧/١٢.
- (٥) شذرات الذهب ١٥٨/٧، الضوء اللامع ١٠١/١٢.
- (٦) شذرات الذهب ١٨٠/٧، الضوء اللامع ١٢٤/١٢.
- (٧) شذرات الذهب ٢٥٠/٧، الضوء اللامع ٨١/١٢.
- (٨) شذرات الذهب ١٧٥/٧، الضوء اللامع ٨١/١٢.

عالمة فاضلة، أخذت العلم عن أخيها وقرأت عليه، ثم صنفت شرحاً لمنظومة الكوفي في الفقه والفرائض، وشرحت مختصر المنتهى، وكانت تدرس الطلبة بمدينة ثلاثا حتى توفيت هناك^(١).

وكذلك كانت فاطمة بنت الإمام المهدي أحمد بن يحيى مشهورة بالعلم، ولها مع والدها مراجعات في مسائل فقهية، حتى قال والدها: إن فاطمة ترجع إلى نفسها في استنباط الأحكام، وكان زوجها الإمام المطهر يرجع إليها فيما يشكل عليه من مسائل، وإذا ضايقه طلبة العلم في بحث، دخل إليها فتفيده الصواب، فيخرج بذلك إليهم، فيقولون ليس هذا منك، وإنما هو من خلف الحجاب^(٢).

وهذه ست العيش (٨٤٠هـ) أم عبدالله وأم الفضل عائشة بنت القاضي علاء الدين بن محمد بن علي الكنانية العسقلانية الأصل، ثم المصرية الحنبلية، حضرت على جدّها فتح الدين القلانسي، وسمعت من العزّ ابن جماعة، والقاضي موفق الدين الحنبلي، وناصر الدين الحراوي، ولها إجازة من محبّ الدين الخلاطي وجماعة من الشاميين والمصريين، وأكثر عنها الطلبة وسمع عليها الأئمة وكانت من الذكاء على جانب كبير تطالع كتب الفقه فتفهم وتحفظ^(٣).

وأم عبدالله نشوان بنت جمال الدين عبدالله بن علي الكنانية ثم المصرية الحنبلية (٨٧٧هـ) روى عنها جماعة من الأعيان منهم القاضي كمال الدين الجعفري النابلسي، وكان قريبها قاضي الحنابلة عزّ الدين الكناني لا يقوم لمن يدخل عليه بيته من النساء إلاّ لها لعلوّ همّتها وعقلها وتديبرها، وقد حمد طلبة العلم محبتها فيهم وصبرها عليهم^(٤).

(١) الدر الطالع ص ٢٥٩.

(٢) الدر الطالع ص ٥٤٣.

(٣) شذرات الذهب ٣٦٩/٧، الضوء اللامع ٧٨/١٢ - ٧٩.

(٤) شذرات الذهب ٤٦٦/٧، الضوء اللامع ١٢٩/١٢ - ١٣٠.

وهذا التقي الفاسي المالكي شيخ الحرم قد سمع بالمدينة من فاطمة ابنة الشهاب الحرازي، وقرأ بالقاهرة على مريم ابنة الأذري^(١).

وهذا إبراهيم بن عليّ بن عطية بن ظهيرة (٨٩١هـ) الشافعي عالم الحجاز ورئيسه، قد أجاز له علماء كثيرون منهم: جدّته لأبيه كمالية ابنة القاضي تقي الدين الحراني، وجدّته لأمّه كمالية ابنة القاضي علي النويري^(٢).

وكان محبّ الدين أبو بكر أحمد بن شرف الدين (٩١٦هـ) خطيب الخطباء بالمسجد الحرام الشافعي، قد أخذ على جدّته لأمّه أمّ الفضل خديجة، وتدعى سعادة بنت وجيه الدين عبدالرحمن بن أبي الخير^(٣).

وهذه عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر بنت الباعوني المعروفة بالباعونية (٩٢٢هـ) العالمة العاملة التي نالت من العلوم حظًا وافرا، قد أجزت بالإفتاء والتدريس، وألّفت عدّة مؤلفات، ووضعت الشروح، ولخّصت المصنّفات واختصرت الكتب، وكتبت الأراجيز^(٤).

وهذه الشيخة الصالحة المتفكّهة الحنفيّة خديجة (٩٣٠هـ) بنت محمد بن حسن البابي الحلبي المعروف بابن البيلوني الشافعي، تختار مذهب أبي حنيفة مع أن أباه وأخوتها شافعيون^(٥).

فلا غرابة بعد ذلك أن ترتقي المرأة العالمة إلى منصب الشورى وتستأثر به في بعض البلدان من دون الرجال، فنرى الشيخ فتح الله بن عبدالله بن موسى من علماء زليطن الليبية الذي تولّى القضاء سنة ١٠٤٠هـ

(١) الضوء اللامع ١٨٧.

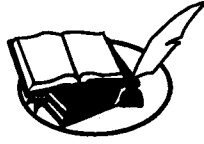
(٢) الضوء اللامع ٨٩/١.

(٣) شذرات الذهب ١١١/٨.

(٤) شذرات الذهب ١٥٢/٨.

(٥) شذرات الذهب ٢١٤/٨ - ٢١٥.

في عهد رمضان داي والي طرابلس، يستخلص لمشورته مريم بنت فواز الشبلية^(١).



(١) أعلام ليبيا ص ٤١، إحالة رقم ٢.

استخلاص ونتائج

إنّ أهمّ ما نخرج به من نتائج واستخلاصات من هذا الدور الفقهي الذي استمرّ على مدى ستّة قرون، هو:

١ - أنّ التآليف الفقهي منذ بداية هذا الدور، أصبح يسير على منهجين:

الأوّل: منهج متابعة التلخيص والتحرير والتهديب لمسائل الأحكام الموضوعة على الأسلوب الذي تركناه في الدور السابق.

والثاني: منهج التفاصيل في الصور العمليّة لمسائل الأحكام والتوثيق ودراستها من حيث الوفاء بتحقيق المصالح الشرعيّة المنوطة بها على حسب مقتضيات الأحوال، وقد ظهرت على هذا المنهج الثاني كتب الأحكام والتوثيق، وتبعها ازدهار التحقيق الفقهي في جزئيات المسائل العمليّة الذي طفحت به الفتاوى والرسائل، ونشأت من هذا الاتّجاه القضائي التوثيقي أن انفتحت للقضاة أبواب واسعة للاجتهاد^(١).

٢ - أنّ هذا الدور الفقهي قد شهد تطوّراً دخل على المعاني الفقهيّة وألفاظها الاصطلاحية، وعرف نزعة قويّة إلى تحليل المعاني وتمحيصها أنتجت تدقيقاً في المصطلحات والضوابط ارتبطت به التحارير الفقهيّة في المذاهب، وحفلت به الرسائل والفتاوى، واستندت إليه تصرّفات القضاة

(١) ومضات فكر ٧٢/٢ - ٧٣.

التي تولد عنها اختلاف جريان العمل وتطور الصيغ الوثيقية^(١).

وانضمّ إلى ذلك التطور الذي دخل على المعاني الفقهية وألفاظها الاصطلاحية، عمل آخر قصد به إلى ضبط المعاني الفقهية الفرعية بذاتها، بوضع حدود لأبواب العبادات وضروب المعاملات والعقود بطريقة التحديد المنطقي الجامع المانع.

٣ - أن طرق التدريس كانت تختلف باختلاف الشيوخ، فمنهم من كان يعتمد على طريقة تقليدية، وهي الطريقة التي تعتمد على النقل والحفظ والتلقّي المحض، ومنهم من كان يعتمد على طريقة النظر والمناقشة والتعمق في البحث الذي يرشد إلى طريق الاجتهاد في الفروع وتعليل الأحكام، وإثارة وجوه الخلاف والردّ عليها، وقد كان لهذه الطريقة أثرها في ازدهار المباحث الفقهية في هذا الدور.

٤ - أن أكثر الفقهاء قد غلب عليهم التقليد وألفوا الجمود واشتغلوا بما بشرح المطولات المملّة أو بحلّ الرموز التي عقدها من قبلهم، فتخدرت الأنظار بسبب الاختصار، وصرفت الأعمار في تتبع التديقات ممّا لا تدعو الحاجة إليه في غالب الأحيان، ولا يفيد إلا فائدة قليلة جدّاً، نسيانا منهم لمقاصد الشريعة.

وصار أغلبهم مذهبيين لا فقهاء مجتهدين إلى الحدّ الذي أصبح فيه المذهب مقدّم عند أصحابه على الكتاب والسنة لانحطاط الهمم عن طلب الدليل وانشغالها بالتقليد المحض، حتى بلغ الأمر ببعض الفقهاء أنّهم كانوا يؤثرون مذهبهم في بعض المسائل على ما يعلمونه صحيحاً ثابتاً عن رسول الله ﷺ، فإذا جوبهوا بذلك قالوا: ولكن المرء يدافع عن مذهبه في الظاهر^(٢).

فهذا متعصّب جدّاً يعادي غيره من أصحاب المذاهب، كثير الحطّ

(١) ومضات فكر ٧٤/٢.

(٢) البدر ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

على علمائهم يتمنى تلفهم، ويدعى بطلان الصلاة برفع اليدين فيها، ويصنّف في ذلك كتاباً^(١)، وذاك يقع في أئمة المذاهب ويرى ذلك عبادة^(٢).

وهكذا سقط الفقه في هوة سحيقة، وصار الخلاف نقمة بسبب الفرقة حتى اصطلح البعض على تسمية هذا الدور بعصر الانحطاط أو عصر الجمود والتأخر نظراً لانحطاط الهمم عن طلب الدليل وانكباب الناس على التقليد المحض، وأصبحت الحاجة إلى النظر والتحقيق والترجيح ضعيفة جداً إن لم نقل منعدمة عند هذا الصنف من الفقهاء بحيث كادت معه مناهج المتقدمين ومسالكهم أن تذهب أدراج الرياح.

ولكن رغم ذلك فإنّ هذا الدور قد أنتج من العلماء الكبار ممّن يعملون بالأدلة ويذهبون إلى الاجتهاد، ويدعون التعويل على التقليد، ممّن يقلّ نظيرهم من أهل العصور المتقدّمة، حيث كملت لديهم آلات الاجتهاد فلم يتعصبوا لمذهب بل يدورون مع الدليل حيث دار، حتى صارت لهم اختيارات يخالفون فيها أحياناً المذاهب الأربعة لما يظهر لهم من دليل الحديث كما هو الشأن بالنسبة للشيخ العلامة شمس الدين محمد بن يوسف بن إلياس (٧٨٨هـ)^(٣)، وابن تيمية وجلال الدين السيوطي والإمام الشوكاني وغيرهم.

ولم يكن هذا المنهج ليغيب عن كثير من إخوانهم الفقهاء الذين سموا بأنفسهم وارتقوا إلى البحث في المسائل المتفق عليها والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة، وذكر دليل كلّ حكم وتصحيحه، فقد ذكر شهاب الدين القرافي في الفرق الثامن والسبعين: أنّه يجب على فقهاء العصر تفقد مذاهبهم فكل ما وجدوه على خلاف الإجماع أو القواعد أو النصّ أو القياس الجليّ السالم من المعارض الراجح، يحرم عليهم الفتيا به ولا

(١) شذرات الذهب ٣٧٤/٦، البدر الطالع ص ١٧٤.

(٢) شذرات الذهب ٥٥/٧.

(٣) شذرات الذهب ٥٠/٧.

يعرى مذهب من المذاهب عنه^(١).

وهكذا سعى هذا الصنف من الفقهاء إلى تحقيق المسائل وشرحها مع ذكر أدلتها ومذاهب المخالفين لها، وبيان مقاصدها، وصنّفوا الكتب في الفقه المقارن، فاشتملت تأليفهم مذاهب الأئمة الأعلام وأتباعهم، مع الاعتناء بنصوص هؤلاء الأئمة وفتاويهم، والاجتهاد في تحرير النقول، وتحقيق وجه ارتباطها بأصولها حتى رأينا جمال الدين التحريري المالكي (٨٠٧هـ): يحبّ الفقهاء الشافعية وتعجبه مذاكرتهم^(٢)، ورأينا ابن الجمال المكي الشافعي (١٠٧٢هـ) الذي كان شافعي المذهب وكتب في الانتصار لإمام مذهبه كتاباً سمّاه: الانتصار النفيس لجناب محمد بن إدريس - أي الإمام الشافعي - لم يمنعه ذلك من شرح نظم الدر المهتدي في الفرائض على مذهب الحنيفة^(٣).

وكان الشيخ ملا عليّ قاري الحنفي (١٠١٤هـ) معروفاً بكثرة الاعتراضات على الأئمة، ولا سيّما الإمام الشافعي وأصحابه، واعترض على الإمام مالك في إرسال يديه، حتّى نهى كثير من العلماء عن مطالعة مؤلفاته، في حين رأى غيرهم أنّ مثل تلك الكتابات هي دليل صحّة وليس علامة مرض، حتّى أنّ الإمام الشوكاني قال: «وهذا دليل على علوّ منزلته، فإنّ المجتهد شأنه أن يبيّن ما يخالف الأدلّة الصحيحة، ويعترضه، سواء كان قائله عظيماً أو حقيراً، فتلك شكاة ظاهر عنك عراها»^(٤).

وهكذا عرف هذا الدور صنفين من الفقهاء كان لهم الأثر البالغ على المناهج الدراسية وعلى الإنتاجات الفقهية تأثراً وتأثيراً، وقد مسكا الحركة الفقهية من طرفيها، بين الحركة والجمود، وبين اليقظة والركود.

٥ - أنّ كثيراً من الفقهاء لم يكونوا بمعزل عن أوضاع الحياة

(١) الفروق ١٠٩/٢.

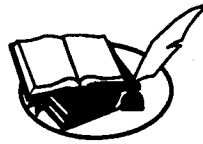
(٢) شذرات الذهب ١٩٣/٧ - ١٩٤، الضوء اللامع ٤٢/٥ - ٤٣.

(٣) كشف الظنون ٦٠٦/٥ - ٦٠٧.

(٤) البدر الطالع ص ٤٤٩.

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فمنهم من اشتهر إضافة إلى تحصيل العلم بمواقفه الجهادية ضد الاستعمار، وتحريك عزائم أهل الإسلام لنصرة الدين، حتى نال الكثير منهم شرف الشهادة في سبيل الله، ومنهم من أسهم بمواقفه في تصوّر طرق الإصلاح وسياسة البلاد، وبمشاركته المتميزة في النشاط الوطني، فكانوا محلّ تقدير وإعجاب.

- ٦ - لما سيطر العثمانيون على سائر البلاد الإسلامية، انضاف إلى المراكز الفقهية القديمة، مركزا عظيما من مراكز التوجيه الفقهي والتخريج فيه، وهو المركز التركي الذي أسس للعلم في العاصمة الإسلامية الجديدة أساسا راسخا، وازداد المذهب الحنفي نشاطا وانتشارا في سائر المراكز الفقهية الأخرى، ودخل بلاد المغرب العربي التي كان قد انفصل عنها منذ الأدوار الأولى، وفرض وجوده إلى جنب المذهب المالكي، وتواصلت الأصول المالكية والحنفية بهذا المركز كما لم تتواصل في أيّ مركز آخر، في حين استقلّ المذهب الحنبلي في أواخر هذا الدور الفقهي بالحجاز، وحلّ في قلوب أهل نجد محلاّ مقبولا.



الجزء الثالث

يشمل الدور الأخير من تاريخ الفقه وهي الفترة
التاريخية الممتدة من منتصف القرن الثالث عشر الهجري إلى
الآن.



الدور السابع

دور احتكاك الفقه بالقوانين الوضعية
والمدارك الحقوقية الأجنبية
من منتصف القرن الثالث عشر الهجري إلى الآن

تمهيد:

بينما كانت الحياة تدبّ دبيبها الهائل في الحضارة الغربية، وتنتهض وتهبّ من مرقدها، وتخطو إلى الأمام خطوات عملاقة، محطمة بذلك أغلال أجيالها الوسطى تحطيمًا، وقابضة على العلوم، تشعل مصابيح النهضة نحو العصور الحديثة، كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعف أعظم مبلغ، ومن التدنّي والانحطاط أعمق دركة، حتّى بدا جامدًا ساكنًا، لا يستطيع مجاراة أوروبا اختراعًا وارتقاءً، وتوالت الأيام على العالم الإسلامي وهو هاجع مستغرق في هجعتة لا يستيقظ، وشهدت الدولة العثمانية التي حكمت المسلمين قرونا عديدة هبوطا من شامخ عزّها إلى حضيض المذلة والهوان، فدارت الأقدار بالشرق والغرب أعظم دورة عرفها تاريخ البشرية.

وصاحب ذلك كلّه تفكّك في أوصال الدولة العثمانية، وانحلال في الولايات العربية منها، فإذا بالدول الغربية المجنونة بثورتها الصناعية المدججة بأسلحة العلم الحديث وعجائب الاختراع، تحمل على جوانب العالم الإسلامي، وتخضع لها الأقطار الواحد منها تلو الآخر، بدءا بالجزائر، ثمّ اليمن، ثمّ تونس فمصر، ثمّ ليبيا والمغرب، ثمّ سوريا ولبنان

والعراق وفلسطين والأردن، وغيرها من الأقطار، ولم يمض غير اليسير من الزمن حتى كانت الدول الأروبية في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري ومطلع القرن الرابع عشر قد اقتسمت جميع العالم الإسلامي، ما عدا قلب الجزيرة العربية.

ويومها قال الجنرال اللنبي - قائد الحملة الإنكليزية على الجبهة المصرية الفلسطينية، حينما دخل القدس: «الآن انتهت الحروب الصليبية».

ووقف الجنرال كورو - القائد الفرنسي - على ضريح صلاح الدين الأيوبي في دمشق، وقال: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

ثمّ كان القضاء المبرم على كيان الدولة العثمانية التي كانت تنازع وتلفظ أنفاسها الأخيرة، شاهداً على آخر دور من أدوار إذلال الغرب للشرق، حيث أعلن كمال أتاتورك إلغاء نظام الخلافة رمز وحدة المسلمين.

وبينما كان العالم المسيحي يقيم الأفراح في كلّ العالم احتفاءً بهذا النصر، كان العالم الإسلامي في ماتم صامت يبكي عزاً ضائعاً وملكاً مسلوباً وكرامة مهدورة وذلة وانكساراً، يشتكي ويتوجع، كما قال أحمد شوقي:

الهند والهة ومصر حزينة تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس أمحا من الأرض الخلافة ماح؟

وهكذا غدت البلاد الإسلامية مرتعاً للغزاة الصليبيين ومرتعا للمستعمرين الغاصبين، وخضعت بلاد المسلمين عقوداً طويلة لسيطرة الغرب القاهر الذي غالى في إيلام المسلمين وقهرهم، ثمّ تحرّكت طلائع اليقظة من جسم الأمة الساكن، واستيقظت دعوة الإصلاح التابعة من روح الإسلام في كلّ قطر من أقطار العالم الإسلامي، وظهر جيل الرّواد من المصلحين، وأخذت مبادئ التجدد والإصلاح تنمو نموّاً مطّرداً، وتنتشر انتشاراً واسعاً، فقام في كلّ بلد من بلدان المسلمين عدد من رواد الإصلاح ودعاته ينتهون الغافلين ويوقظون النائمين ويحضّون الخاصة ويستحثّون العامة، وينادون

بوجوب استقصاء الشريعة الإسلامية واستدرار خيرها واستثمار الأوفق منها لمقتضيات العصر.

وتوالت الصرخات وأوقدت المصابيح فتحرك المسلمون، وداروا حول أنفسهم فرأوا تعاسة أحوالهم، وما حلّ بساحتهم، وأخذت نفوسهم تجيش وتضطرب، ومشاعرهم تهتاج وتنبعث وقواهم تثور ثوراناً عجباً بلغ أقصى أعماقه.

ورغم بحر المطامع الغربية الطامي، وشدة تضيق الاحتلال الصليبي الضارب في العالم الإسلامي ومن حوله على غير انقطاع ولا حد، فإن روح الإصلاح لم تخفت، بل ظلت تتمخض تمخضاً شديداً منتقلة من حال حاضر إلى آخر مقبل^(١).

وظهر الجيل الثاني من المصلحين من أمثال عبدالعزيز الثعالبي وسالم بو حاجب والظاهر بن عاشور بتونس ومحمد عبدة ورشيد رضا بمصر وعبدالرحمن الكوكبي وشكيب أرسلان بالشام وعبدالحميد بن باديس بالجزائر وعلال الفاسي بالمغرب وغيرهم.

غير أن فريقاً آخر من المسلمين الذين بلغت منهم مؤثرات الحضارة الغربية مبلغاً عظيماً، وتوغل فيهم تيارها توغلاً كبيراً، فقطعوا مع جذورهم واعتبروا أن ميراث الإسلام هو ميراث التخلف والانحطاط، كانوا هم الذين تسلّموا في أغلب البلاد العربية زمام أمور هذه الأمة، وتقلّدوا مواقع القرار في أغلب البلاد، وحاولوا تطبيق الأنموذج الغربي في التغيير لاختصار الطريق العربي إلى النهضة ولتحقيق التقدّم، فإذا بهم قد أوجدوا واقعا عربياً ممسوخاً مشوّهاً قلقاً مضطرباً، وطبقوا تجربة «الحدّاثة والتقدّم» تطبيقاً قسرياً، حيث غدت القوانين الوضعيّة الغربية هي السائدة في أنظمة الحكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع في أغلب البلاد العربية والإسلاميّة، فتعطلت

(١) شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي ٢٠/١ - ٢٣، ٢٥٩ - ٢٦٠، ٢٧٠ - ٢٧١.

نتيجة ذلك جوانب عظيمة من أحكام الفقه الإسلامي، فكانت تجربتهم تقليدا مبتسرا لم يرافقها أي إصلاح فكري أو ثقافي أو نظمي.

ورغم ما حققته هذه الكيانات من إنجازات في مجالات زيادة المتعلمين والأطباء والمهندسين وتوسعت في بناء الجيوش والهيكل العسكرية والأشكال التنظيمية، وتكديس بعض المنتجات الاستهلاكية للحضارة الغربية الحديثة، لكنها كانت مسؤولة عن عملية تجهيل المواطن العربي وتحطيم إرادته وكرامته وتدمير إنسانيته وتجاوز تراثه وتشويه هويته وجعله يتمرغ في التبعية الاقتصادية والغذائية والتكنولوجية والفكرية والثقافية والتربوية، بحيث لا يستطيع أن يستغني عن مستغليه من الغربيين بعد قرن ونصف من محاولات النهضة والتقدم^(١).

وقد استهدف التغريب في الدرجة الأولى إبعاد الإسلام عن المستويات السياسية والقانونية، حيث كانت الدولة الحديثة القائمة على إبداع غربي ملزمة منطقياً بالتمثل القانوني للغرب، بنقله ونسخه وتقليده، فجرى استبدال الشرع بالدساتير الغربية، وأبعد علماء الشريعة وفقهائها عن المجالات الحقوقية والإدارية^(٢).

وإزاء التباين في منهج الفريقين ووسائل كل منهما لتحقيق الإصلاح العام في العالم الإسلامي، ونظرا للانحرافات الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تمت ممارستها من قبل النخب السياسية التي أتت لها فرصة الوصول إلى حكم البلاد الإسلامية، حدث صدام بين التيارين استمر لفترة طويلة، بدأ فكرياً من خلال المجادلات والنقاشات السياسية - حول نظم الحكم -، والتربوية - حول مناهج التعليم وبرامجه -، والاجتماعية - حول القضايا المتعلقة بالمرأة - والاقتصادية - حول النظم الاقتصادية الكفيلة بتحقيق العدالة الاجتماعية - ثم تحول إلى صراع عنيف

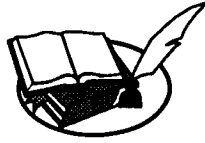
(١) فادي إسماعيل: الخطاب العربي المعاصر ص ٥ - ٦.

(٢) فادي إسماعيل: الخطاب العربي المعاصر ١١٤.

ركب خلاله الطرفان خطط العنف والمشاكسة، وحذق أنصارهما فنّ الشتم والسباب، فاتهم الطرف الأول بأنه مجتث من أصوله، منبت من جذوره، يعاني الاستيلاّب الحضاري، واتهم الطرف الثاني بالرجعيّة والماضويّة والجمود.

ويا ليتته وقف الجدال عند هذا الحدّ، ولكنته أدّى وللأسف إلى مواجهات عنيفة وابتلاءات قاسية أنتجت عنفا متبادلا ودماء.

وككلّ المحن التي حدثت طوال الأجيال التي مرّ بها تاريخ الإسلام والمسلمين على اختلاف مظاهرها وصورها، فقد كان من شأنها أن تمهّد السبيل أمام المخلصين من أبناء الأمة من أجل النقد والمراجعة، وإعادة النظر والتأمّل، فكان أن برز قادة هم أميل إلى انتهاج مناهج الرفق والموادعة، منهم إلى ركوب خطط العنف والمشاكسة، نأمل من وراء دعوتهم أن نجني أطيّب الثمار، ورغم أنّ هناك مخاوف ومحذورات تقرّأ في جبهة المستقبل، إلا أنّ في جبهة المستقبل أيضاً تقرّأ الآمال الحسان^(١).



(١) شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي ٢٧٧/١.

مظاهر العناية بالقرآن والسنة في هذا الدور

١ - القرآن الكريم:

ظلّ حال التفسير في بداية هذا الدور على ما كان عليه الحال في الدور السابق من الركود والجمود، لا يتعداه، ولا يحاول التخلص منه، حتى جاء عصر النهضة العلميّة الحديثة، فأتجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى التحرّر من قيد هذا الركود، والتخلّص من نطاق هذا الجمود، ونظروا في كتاب الله نظرة - وإن كان لها اعتماد كبير على ما دونه الأوائل في التفسير - أثرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيراً لا يسعنا إنكاره، حيث تخلّصوا من الاستطرادات العلميّة التي حشرت في التفسير حشراً ومزجت به على غير ضرورة لازمة، وعملوا على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلي الذي كاد يذهب بجمال القرآن وجلاله، وتمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية على رسول الله ﷺ، أو على أصحابه عليهم رضوان الله تعالى، وألبسوا التفسير ثوباً أدبياً اجتماعياً يظهر روعة القرآن ويكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية، والتوفيق بجدّ بالغ وجهد ظاهر بين القرآن وما جدّ من نظريات علميّة ثابتة، على تفاوت بين الموقّنين في الغلو والاعتدال^(١).

وكان هذا اللون من التفسير - أي التفسير العلمي - أكثر رواجاً وأعظم

(١) التفسير والمفسرون ٢/٤٩٥ - ٤٩٦.

قبولاً عند المتأخرين، حيث استشرى أمره في هذا الدور الأخير، وراج لدى المثقفين الذين لهم عناية بالعلوم، وعناية بالقرآن الكريم، وكان من أثر هذه النزعة التفسيرية أن أخرج المهتمون بها كثيراً من الكتب يحاول فيها أصحابها أن يحتملوا القرآن كل علوم الأرض والسماء، وأن يجعلوه دالا عليها بطريق التصريح أو التلميح، باعتبار أن ذلك من أهم دلالات صدقه وإعجازه وصلاحيته للبقاء^(١).

ومن أهم الكتب التي ظهرت فيها هذه النزعة التفسيرية: كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد لرجل الإصلاح الإسلامي عبدالرحمن الكواكبي (١٢٦٥هـ/١٨٤٩م - ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) والكتاب عبارة عن مجموعة مقالات له، نشرها في بعض الصحف عندما زار مصر سنة ١٣١٨هـ.

وفي هذا الكتاب نجد المؤلف ينحاز انحيازاً بليغاً إلى التفسير العلمي، ويعتبر أن مسألة إعجاز القرآن أهم مسألة في الدين، ثم يأخذ في بيان ما اشتمال القرآن على ما جدّ من نظريات علمية تؤيد إعجاز القرآن^(٢).

ومال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٨٦٦م - ١٣٣٢هـ/١٩١٤م) في تفسيره محاسن التأويل، لهذه النزعة العلمية، كما يتضح من خلال نقله أقوال أحد أطباء عصره في مضار لحم الخنزير المبنية على التجارب الحسية^(٣).

وكان الشيخ محمود شكري الألوسي (١٩٢٢م) - وهو حفيد الشيخ الألوسي صاحب تفسير روح المعاني - قد وضع تأليفاً بعنوان: ما دلّ عليه القرآن ممّا يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان، حاول فيه التوفيق بين القرآن وبين ما استحدثه علماء الفلك من نظريات وترجيحات وقواعد علمية^(٤).

(١) المرجع السابق ٤٩٧/٢.

(٢) التفسير والمفسرون ٤٩٨/٢.

(٣) المحتسب عبدالمجيد عبدالسلام: اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص ٥٤.

(٤) اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص ٢٦٩.

ويظهر أنّ أستاذ المجاهدين الجزائريين الشيخ عبدالحميد بن باديس قد سائر هذا اللون من التفسير، ويتضح ذلك من خلال دروسه التي كان يلقيها على مرّيته والتي جمعت في كتاب بعنوان: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير^(١).

وكان مصطفى صادق الرافعي كذلك من أنصار هذه النزعة التفسيرية، ومن المؤيدين لها في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وفيه عقد بحثاً خاصاً لموضوع: القرآن والعلوم^(٢).

وكذلك الدكتور عبدالعزيز إسماعيل في كتابه الإسلام والطب الحديث الذي جمع فيه مقالاته التي نشرها في مجلة الأزهر، وفيه يقرّر أنّ القرآن ليس بكتاب طبّ أو فلك، ولكنّه يشير أحياناً إلى سنن طبيعّية ترجع إلى هذه العلوم، وفسّر بعض الآيات الكونية تفسيراً علمياً أظهر به وجه الإعجاز فيها^(٣).

ويعتبر الفيلسوف الإسلامي الشيخ طنطاوي جوهرى (١٢٧٨هـ/١٨٧٠م - ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م) من أعظم علماء العصر الحديث تشيّعاً للنزعة التفسيرية العلمية، وأكثرهم جمعا وإنتاجا لهذا التفسير العلمي في تفسيره: الجواهر، الذي حاول فيه أن يفسّر القرآن تفسيراً ينطوي على كلّ ما وصل إليه البشر من علوم، وقرّر أنّ في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية.

غير أنّ هذا المؤلف قد لاقى الكثير من لوم العلماء على مسلكه الذي سلكه في تفسيره، لما فيه من التكلّف الذي يذهب بغرض القرآن ويصرف القارئ عن هدي القرآن وجلاله وجماله^(٤).

(١) اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

(٢) التفسير والمفسرون ٥٠١/٢، اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص ٢٧٩ - ٢٨١.

(٣) التفسير والمفسرون ٥٠٢/٢، اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص ٢٨٣، ٢٩١ - ٢٩٣.

(٤) التفسير والمفسرون ٥٠٤/٢ - ٥١٧، اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص ٢٧٥ - ٢٧٧.

وعلى نفس النهج سار تلميذه حنفي أحمد في كتابه التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، وكذلك عبدالرزاق نوفل في كتبه: الله والعلم الحديث، والإسلام والعلم الحديث، والقرآن والعلم الحديث.

ومن أشهر المعاصرين المهتمين اليوم بمسائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الدكتور زغلول النجار، والشيخ عبدالمجيد الزندانى، اللذان أثبتا ما وصلا إليه من أبحاث في محاورات كثيرة وإنتاجات غزيرة.

ومن أشهر الذين نعوا على من يأخذ بهذا المسلك التفسيري، الشيخ محمود شلتوت، وأمين الخولي، ومحمد رشيد رضا، ومحمد مصطفى المراغي رحمهم الله.

كما أنكر الشيخ محمد عزّة دروزة (١٣٠٥هـ/١٨٨٨م -) في كتابه التفسير الحديث، استخراج النظريات العلمية والفنية والكونية من الآيات القرآنية للتدليل على صدق القرآن وإعجازه^(١).

وإضافة إلى هذا المنحى العلمي في التفسير، ظهر منهج آخر في هذا العصر يمتاز بمنحى أدبي اجتماعي، يكاد يكون جديدا وطارئا على التفسير، وهو ابتكار يرجع فضله إلى مفسري هذا العصر الحديث، ويعود فضله إلى مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٤هـ/١٨٤٨م - ١٣٢٣هـ/١٩٠٥هـ).

هذه المدرسة التي نظرت للقرآن نظرة بعيدة عن التأثير بمذهب من المذاهب، ووقفت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، ولم تغترّ بما اغترّ به كثير من المفسرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية التي كان لها أثر سيئ في التفسير، ولم تجرؤ على الخوض في الغيبات التي لا تعرف إلا من جهة النصوص الشرعية القاطعة، وأبعدت التفسير عن التأثير باصطلاحات العلوم والفنون التي زجّ بها في التفسير بدون أن يكون في حاجة إليها، ونهجت بالتفسير منهجا أدبيا اجتماعيا كشفت من خلاله عن

(١) اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص ٦٢.

بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأمم عامة بما أرشد إليه القرآن وما أثبتته العلم من نظريات ثابتة، ودفعت ما ورد من شبه على القرآن وفندت ما أثير حوله من شكوك وأوهام بحجج قوية، وذلك بأسلوب شيق أخذ يستهوي القارئ^(١).

غير أنّ ما يؤخذ على هذه المدرسة أنّها أعطت للعقل حرية واسعة، فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز والتمثيل، وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لا تحتل، وطعنت في بعض الأحاديث تارة بالضعف وتارة بالوضع مع أنّها أحاديث صحيحة رواها الشيخان.

ويعتبر الشيخ محمد عبده زعيم هذه المدرسة وعميدها، ومتمن سار على منهجه وترسم خطاه وتأثر بطريقته، السيد محمد رشيد رضا (١٢٨٢هـ/١٨٦٥م - ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) والشيخ محمد مصطفى المراغي (١٢٩٨هـ/١٨٨١م - ١٣٦٣هـ/١٩٤٥م) وهما خير من أنجبت هذه المدرسة^(٢).

وتجدر الإشارة إلى أنه قد ظهر في هذا العصر أشخاص تأولوا القرآن تأويلات زائفة على مقتضيات أهوائهم، فحرّفوا كتاب الله عن مواضعه باسم التجديد المزيف، وبدّلوا أحكام الله باسم الحداثة والتقدم، دون أن يراعوا في فهمه قوانين البلاغة، أو يتطرقوا إلى تفسيره باعتماد السنّة القوليّة والعملية الثابتة، فأدخلوا في تفسير القرآن آراء سخيفة ومزاعم منبوذة، فتأولوا آيات الحدود من مثل حدّ السرقة وحدّ الزنى تأويلات لا تخضع لقواعد اللغة ولا تقرّها السنّة ولا تتفق وحكمة التشريع، وفسّروا آيات الربا والحجاب تفسيراً يتضارب وأصول الشريعة العامة.

(١) التفسير والمفسرون ٥٤٧/٢ - ٥٤٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ٥٤٩/٢ - ٥٥١.

وقد تقبل بعض المخدوعين من العامة وأشباه العامة تلك الأفهام الزائفة، في حين رفضها بكل إباء من حفظ الله عليهم دينهم وعقولهم^(١).

وإضافة إلى العناية بتفسير القرآن الكريم، ظهرت في هذا الدور بوادر استئناف لحركة النشاط والتأليف في علوم القرآن، التي كان قد توقّف نموّها مع الإمام السيوطي في أواخر القرن التاسع وبداية القرن العاشر، فألّف الشيخ طاهر الجزائري كتاباً بعنوان: التبيان في علوم القرآن، فرغ من تأليفه سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٧م، وصنّف الشيخ محمد علي سلامة كتاباً حافلاً سمّاه: منهج الفرقان في علوم القرآن^(٢).

ثمّ وضع الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني كتاباً جليلاً سمّاه: مناهل العرفان في علوم القرآن، عرض فيه جميع المباحث المتعلقة بعلوم القرآن بأسلوب عذب، يتيسر فهمه، عالج فيه شبهات العصر وضّمّنه خطأ منيعاً من خطوط الدفاع عن الكتاب والسنة، وجلّى أسرار التشريع وحكمه كلّما دعاه المقام، فجاء كتاباً نفيساً في موضوعه جامعاً في ميدانه.

ووضع الشيخ الشهيد صبحي صالح كتاباً بعنوان مباحث في علوم القرآن، تميّز بشدّة بالتحقيق والتدقيق في المسائل، وعلى منواله كتب الشيخ متاع قطان وسائره في العنوان، كما وضع كثير من أفاضل العلماء كتباً تتناول بعض مباحث علوم القرآن، تمتاز بدقّة البحث، ووضعت كذلك الرسائل والدراسات الجامعيّة في مختلف الكليات والجامعات الإسلاميّة تتناول بالبحث بعض المسائل الدقيقة من مباحث علوم القرآن.

- ٢ - السنة النبويّة:

تسلّمت البلاد الهنديّة منذ المرحلة الثانية من الدور السابق مشعل خدمة السنة النبويّة، حيث أفسحت هذه البلاد صدرها لخدمة الحديث وعلومه والاعتناء برواية السنة وبحث الروايات وانتقاد الأسانيد ونقد الرجال

(١) التفسير والمفسرون ٥٢٢/٢ - ٥٤٦.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ٣٨/١.

وبيان علل الحديث في همّة عظيمة، فوضعوا الشروح الممتعة والتعليقات النافعة على الأصول الستّة وغيرها والمؤلفات الكبيرة في أحاديث الأحكام وشرح الآثار^(١).

ومن بين المعتمدين منهم بخدمة الستّة الدكتور السيّد معظم حسين الذي اعتنى بتصحيح كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري، وقدم له مقدّمة جليّة، عرض فيها ترجمة المؤلف، ونبذة هامّة عن تاريخ تدوين الحديث، ونشأة علم المصطلح^(٢).

وقام الشيخ محمد عبدالحّي اللكنوي الهندي (١٣٠٤هـ) بشرح كتاب المختصر في مصطلح أهل الأثر للسيّد الشريف الجرجاني، في كتاب سمّاه: ظفر الأمانى في شرح مختصر الجرجاني، وقد طبع المختصر وشرحه ظفر الأمانى بالهند^(٣).

كما بذلت المملكة العربيّة السعوديّة بكلّ افتخار جهوداً في العناية بطبع الكثير من مصتفات الستّة النبويّة، وتوزيعها مجاناً.

وللشيخ لأبي عبدالله محمد البشير ظافر المالكي الأزهري (١٣٢٥هـ) كتاب: تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيّد المرسلين.

ومن المعتمدين بدراسة الستّة في هذا الدور، الشيخ المحدث حبيب الله الشنقيطي الذي قام بجمع كتاب جليل في الأحاديث المتفق عليها بين البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسمّاه: زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، رتبه على حروف المعجم، وقد بلغت أحاديثه ألفاً ومائتين كلّها متصلة الإسناد، ثمّ شرّحه شرحاً وسطاً جمع فيه كثيراً من الفوائد الفقهيّة والحديثيّة، وسمّاه: فتح المنعم ببيان ما احتجج لبيانه من زاد

(١) أبو زهو محمد: الحديث والمحدثون ص ٤٤١.

(٢) المرجع السابق ص ٤٤١ - ٤٤٢.

(٣) نفس المرجع ص ٤٩٤.

المسلم، كما تصدّى في هامش هذا الكتاب الجليل لبيان مواضع كلّ حديث من زاد المسلم في الصحيحين، من الكتب والأبواب ممّا يدلّ دلالة واضحة على اتّساع حفظه ونباهة شأنه ورسوخ قدمه في علوم السنّة^(١).

ومن العلماء المعاصرين الذين اختصّوا بدراسة الحديث واستيعابه، الشيخ ناصر الدين الألباني الذي قام بعملية تجريد وتصفية لجميع الأحاديث، ووضع في ذلك: سلسلة الأحاديث الصحيحة، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة التي اشتملت على أكثر من خمسة آلاف حديث، حيث قام بتصفية كتب التفسير والفقه والرقائق وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات المنكرة، فضلاً عن مؤلفاته الأخرى التي تدور كلّها في فلك خدمة السنّة ككتاب: ضعيف أبي داود، وضعيف الجامع الصغير، وضعيف الترغيب والترهيب وغير ذلك.

كما ألف الشيخ محمد محمد أبو زهو كتاباً بعنوان: الحديث والمحدّثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنّة النبوية، نال به المؤلّف: شهادة العالمية مع لقب أستاذ في علوم القرآن والحديث سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦ م، من الجامع الأزهر الشريف.

وألف الشيخ الدكتور مصطفى السباعي كتاباً بعنوان: السنّة ومكانتها في التشريع، نال به المؤلّف: شهادة العالمية من درجة أستاذ في الفقه والأصول وتاريخ التشريع الإسلامي من كلّية الشريعة في الجامع الأزهر سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩ م.

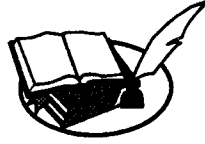
وصنّف الدكتور الشهيد صبحي صالح كتاب: علوم الحديث مصطلحه، كما ألف الدكتور محمد عجّاج الخطيب كتاب: السنّة قبل التدوين، اهتمّ فيه بدراسة عناية الأمة الإسلامية بالحديث النبوي الشريف قبل مطلع القرن الهجري الثاني، كما ألف كتاب: أصول الحديث علومه

(١) الحديث والمحدّثون ص ٤٥٣.

ومصطلحه تناول فيه بالدراسة أهمّ القواعد والأسس التي أتبعته في قبول الحديث وردّه، وفي تحمّله وآدائه.

وما يلحق بذلك من علوم مختلفة تتعلّق بأحوال الرواة والمرويات، وما يترتّب على ذلك من أحكام بين القبول والردّ.

وفي أواخر القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الهجري انتشرت المعاهد العليا والجامعات في مختلف البلاد الإسلاميّة التي اهتمت بدراسة علوم الشريعة، ومنها علوم الحديث، فأقدم طلبتها على تأليف الدراسات المنهجية والرسائل الجامعية المعمّقة في مختلف فروع علوم الحديث.



مميّزات هذا الدور

١ - سيادة نظام الامتيازات القنصلية:

إنّ ما ظهر في نظام الدولة العثمانية من أمر الامتيازات القنصلية قد مكّن لغير المسلمين شوكة قائمة ذات شأن في المجتمع الإسلامي، وصاحب تلك الامتيازات ضعف الدول الإسلامية في المجال الدولي أمام الدول الأخرى، حتّى انتهى الأمر بفرض قوانين غير إسلامية على البلاد الإسلامية، بالنسبة إلى بعضها بنقل القانون الأجنبي، وبالنسبة إلى البعض الآخر بإصدار قانون باسم الدولة الإسلامية يخالف صريحه الأحكام الإسلامية، مثل القانون المشهور: بقانون الجزاء الهمايوني، وهو القانون العثماني الذي صدر سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٩ م، والذي بمقتضاه عطّلت رسميًا إقامة الحدود الشرعية بأمر من السلطان العثماني الذي يعتبر خليفة المسلمين^(١).

فكان هذا المعنى من تعطيل الأحكام الشرعية وتقرير أحكام مخالفة لها طورًا، والأخذ بقوانين تنسب إلى سيادة الامتيازات القنصلية تارة أخرى، عاملاً جديداً في زيادة تلاشي الوازع الديني في نفوس المسلمين، وأصبح المسلمون متواضعين تواضعاً عملياً على أنّ الدين معطل وعلى أنّ أحكامه العملية في الحدود والمعاملات أحكام لا تقال ولا ينبغي أن تقال، وأنّ استسلامهم هذا قد أصبح أمراً مقبولاً، وأصبح شعورهم الديني أو

(١) ابن عاشور محمد الفاضل: ومضات فكر ١/١٤٨، ١٥٠.

الوازع الذي يزعمهم عن مخالفة الدين عقيما أو ميّتا تماما، ولم تبق لهم من ناحية إعلانها إلا ناحية ما يتعلّق بنظام الأسرة وأحكام الزواج ممّا يعبر عنه بالأحوال الشخصية، ذلك أنّ العدول عنها والعبث بها يعرّض الأسرة إلى أن يصير الناشئون من أبنائها ناشئين بطريقة محرّمة غير شرعية، وذلك ما لم يصل فتور وازعهم الديني إلى إباحتها يومئذ^(١).

ثمّ سارت بعد ذلك أغلب البلاد الإسلامية إلى اعتماد قوانين أجنبية خاصة في المجالين المدني والجنائي، وكان ذلك الاختيار أعظم الأرزاء التي بلي بها المسلمون في حياتهم حيث جعلتهم يستشعرون بأنّ تلك القوانين التي يحتكمون إليها لا تنبع من ذاتيتهم ولا تمتّ إليهم بصلة، فلا يجدون لها احتراما لأنّها غير مستمدة من روح ديانتهم، ولا يعرفون لها قداسة لأنّها ناشئة من روح غير روح حضارتهم.

- ٢ - صدور مجلة الأحكام العدلية:

في أواخر القرن الثالث عشر الهجري رأّت الدولة العثمانية أنّ الحاجة ماسة لوضع قانون مدني لتخرج محاكمها من طور الارتباك والاختلاف الناشئين عن الأقوال المختلفة في كتب الفقه الحنفي، وتقرّر الأحكام الشرعية على مقتضى الصياغة القانونية، فعهدت إلى لجنة مؤلفة من سبعة علماء محققين وفقهاء مبرزين في ذلك الوقت، برئاسة أحمد جودت باشا ناظر ديوان الأحكام العدلية، لوضع كتاب في أحكام المعاملات «يكون مضبوطا سهل المأخذ عاريا من الاختلافات حاويا للأقوال المختارة سهل المطالعة... ليصير هذا الكتاب معتبرا مرعي الإجراء في المحاكم الشرعية مغنيا عن وضع قانون لدعاوي الحقوق التي ترى في المحاكم النظامية... ولتحصل به الكفاءة في تطبيق المعاملات الجارية على القواعد الفقهية على حسب احتياجات العصر».

«وبموجب الإرادة العلية اجتمعت اللجنة في دائرة ديوان الأحكام

(١) ومضات فكر ١٥٠/١ - ١٥١.

العدلية وبادرت إلى ترتيب مجلة مؤلفة من المسائل والأمور الكثيرة الوقوع اللازمة جداً من قسم المعاملات الفقهية، مجموعة من أقوال السادات الحنفية الموثوق بها، وقسمت إلى كتب متعددة وسميت بالأحكام العدلية^(١).

وكانت اللجنة كلما فرغت من قسم أعطت منه نسخة لمقام مشيخة الإسلام ونسخاً أخرى لمن له مهارة ومعرفة كافية في علم الفقه ثم تجري ما يلزم من التعديلات بناء على بعض الملاحظات، ثم تحرر نسخة مهذبة وتعرضها على الصدر الأعظم، وكان أول قسم رفع إليه المقدمة والكتاب الأول الذي هو كتاب البيوع.

وتم إنجاز هذه المجلة في مدة سبع سنوات، حيث صدرت الإرادة السنية السلطانية في سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٧م بلزوم العمل بجميع ما تضمنته المجلة، فجرى العمل بمقتضاها في جميع البلاد التابعة للدولة العثمانية ما عدا الجزيرة العربية واليمن ومصر.

وقد جاءت المجلة في مقدمة وستة عشر كتاباً، فأما المقدمة فقد اشتملت على مقالتين: تناولت المقالة الأولى تعريف علم الفقه وتقسيمه، وتناولت المقالة الثانية بيان القواعد الفقهية، وعددها تسع وتسعون قاعدة، وهي عبارة عن القواعد التي جمعها ابن نجيم ومن سلك مسلكه من الفقهاء رحمهم الله، وليس الغاية من جمعها - كما جاء في التقرير - أن يحكم القضاة بمجرد الاستناد إلى واحدة من هذه القواعد ما لم يقفوا على نص صريح، وإنما لما لها من فوائد كلية في ضبط المسائل، بحيث أن من أطلع عليها أمكنه أن يضبط المسائل بأدلتها، وعن طريق هذه القواعد يمكن للإنسان تطبيق معاملاته على الشرع ولو على وجه التقريب، وبناء على

(١) من التقرير الذي تقدم به المرحوم عالي باشا الصدر الأعظم، فيما يتعلّق بالمجلة في غرة محرم سنة ١٢٨٦هـ/٥ ماي ١٨٧٦ (انظر: شرح المجلة لسليم رستم الباز ص ٩ - ١٥، درر الحكّام شرح مجلة الأحكام لعلي حيدر ٩/١ - ١٣، تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٥٤٧ - ٥٥٤).

ذلك لم تكتب هذه القواعد تحت عنوان كتاب أو باب، بل أدرجت في المقدمة.

وأما الستة عشر كتاباً، فكلّ كتاب منها قسّم إلى أبواب، وكلّ باب إلى فصول، وجعل في أول كلّ كتاب مقدّمة تشتمل على الاصطلاحات الفقهية المتعلقة بذلك الباب، ثمّ بعد ذلك يقع ذكر المسائل على الترتيب، دون خلط بين بين المسائل والمبادئ كما في الكتب الفقهية القديمة، ولإجل إيضاح تلك المسائل الأساسية أدرج فيها كثير من المسائل المستخرجة من كتب الفتاوى على سبيل التمثيل^(١).

ومجموع مواد المجلة: ألف وثمانمائة وإحدى وخمسون - ١٨٥١ - مادة، ذات أرقام متسلسلة على منوال القوانين الحديثة ليسهل الرجوع إليها والإحالة عليها، اشتملت المقدمة منها على مائة مادة.

وتعتبر هذه المجلة أعظم آثار الدولة العثمانية منذ نشأتها، وأول بوادر التجديد في الكتابة الفقهية المعاصرة بأسلوب الصياغة القانونية الحديثة، غير أنّ ما يعاب على اللجنة الرسمية المكلفة بوضع المجلة أنّها التزمت المذهب الحنفي واقتصرت على الأقوال المختلفة داخل هذا المذهب دون محاولة الاستفادة من المذاهب الأخرى التي تسمح بفسحة في بعض الجوانب ممّا ضيق فيه الحنفية كأحكام المشاركات العقدية.

ولذلك فكرت الدولة العثمانية بإعادة النظر في المجلة وأحكامها وتوسيع نطاقها وانتخبت سليم رستم الباز، وكان عضواً في مجلس شورى الدولة في الآستانة للقيام بهذا الشأن مع نخبة من فقهاء أعلام.

وكان سليم رستم الباز قد بسط للمجلة شرحاً وافياً أوضح فيه ما غمض من أسرارها، وزاد فيها ضوابط مهمة وفروعا كثيرة، وكان يعزو كلّ فرع إلى أصله، وأورد الحجج والدلائل وتعليقات المسائل، ويبيّن ما هو الأقوى وما عليه الفتوى معتمداً في ذلك على ما نقّحه العلماء الأعلام وما

(١) انظر: التقرير في المصادر السابقة.

صَحَّحه الأئمة العظام من المتقدمين والمتأخرين^(١).

كما قام علي حيدر أفندي - مدرّس المجلّة في كليّة الحقوق في الأستانة ورئيس محكمة التمييز وأمين الفتيا ووزير العدليّة في الدولة العثمانية - بشرح المجلّة شرحاً وافياً عوّل عليه القضاة والمحامون، وأوجبت الدولة العثمانية تدريسه في مدرسة الحقوق، وصدقت عليه دائرة الفتيا الإسلامية العالية باعتباره جامعاً لشرح مواد المجلّة كلّها^(٢).

وغيرها من الشروح التي وصلت إلى أكثر من مائة، فضلاً عن الشروح المفردة لقواعد المجلّة، التي أشهرها: شرح القواعد الفقهية للشيخ أحمد بن محمد الزرقا، الذي سعى لجعلها مادة دراسية مستقلة يجري تدريسها على حدة إلى جانب الأبواب الفقهية التقليدية في برنامج المدارس الشرعية النظامية بسورية وتولّى تدريسها بنفسه مدة عشرين عاماً^(٣).

- ٣ - مشروع مجلّة الأحكام الشرعية التونسية في وزارة خير الدين:

كان إصدار مجلّة الأحكام العدلية العثمانية قد فتح الباب أمام البلاد التونسية وشجّعها على القيام بمحاولات لاستخراج تقنينات تعتمد على المصادر الإسلامية مع مراعاة الأحوال القطرية وأعرافها.

وذلك أنّ الوزير خير الدين باشا حين شرع في الاتّصال بالدول الأروبية طرحت مسألة توحيد الأحكام في القطر التونسي، حيث كان يعلم هذا الوزير أنّ دول أوروبا لا ينقادون إلى إدخال رعاياهم تحت أحكام الشريعة الإسلامية في تونس إذا بقيت حالة القضاء على ما هي عليه آنذاك، إذ كان لكلّ من المذهب الحنفي والمذهب المالكي قاضٍ مطلق الحكم في النوازل، مع ما يوجد بين المذهبين من الخلاف في كثير من الفروع بل وفي المذهب الواحد تختلف الأقوال، وكان للقاضي الاجتهاد في الترجيح

(١) شرح المجلّة لسليم رستم الباز ص ٣، ٨.

(٢) درر الحكّام شرح مجلّة الأحكام لعلي حيدر ٢/١، ٧ - ٨.

(٣) مقدّمة شرح القواعد الفقهية للشيخ أحمد الزرقا ص ١٠.

والتطبيق باعتبار الأصلح والعرف، فكان القاضي يحكم في حادثة بما يخالف حكم غيره من القضاة في مثلها من الحوادث.

وكان الأوروبيون يسعون إلى جعل الأحكام معروفة لهم من قبل، مضبوطة بما لا يتوهمون معه ميل الحاكم إلى غير ما توجبه الحجّة، فما كان من الوزير خير الدين إلا أن أحضر القوانين المعمول بها في الدولة العثمانية المستمدة من مجلّة الأحكام العدلية، وكذلك القوانين المعمول بها في مصر، وكلّف أحد المهرة العارفين بالأحكام الأوروبية بأن يستخرج من أحكامهم ما يوافق حالة القطر التونسي وعرفه.

وبعد هذه الخطوات التحضيرية شكّل الوزير لجنة تتألّف من شيخ الإسلام أحمد ابن الخوجة من علماء الحنفيّة، ومن عالمين من المجلس الشرعي من أعلام المالكيّة، وهما: الشيخ محمد النيفر المفتي، والشيخ عمر ابن الشيخ قاضي باردو، ومن أحد الوجهاء العقلاء العارفين بإصلاحات البلاد وتجاريتها، وهو حسونة الحدّاد.

وكلّف هذه اللجنة باستخراج من مجموع ما قدّم لهم من وثائق، قانونا شرعيّا مطابقا للأحكام الشرعيّة والعرفية التي عليها عمل القطر التونسي من غير تخصيص بأحد المذهبيين.

فاجتمعت اللجنة وخطت خطوات واسعة في هذا المشروع الذي نيظ بها النظر فيه، ولكن عاق عن الاستفادة من ثمرة هذا العمل خروج الوزير خير الدين من الوزارة^(١).

وقد ذكر الشيخ محمد البشير النيفر - حفيد الشيخ محمد النيفر عضو لجنة تأليف المجلّة - أنّ بحوزته كراريس تشتمل على فصول كثيرة ممّا وقع الاتفاق على تدوينه^(٢).

(١) محمد بيرم الخامس: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ١/٢٦٩.

(٢) التراجم الوفيّة لأعلام الأسرة النيفرية ص ٥٠.

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أنه قد وقع بتونس كذلك إصدار مجلة الالتزامات والعقود سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م التي اعتمدت اعتماداً راسخاً على المصادر الإسلامية، وكانت قد تفوّقت في صياغتها على مجلة الأحكام العدلية، واهتمت بوضع نظرية عامة للالتزامات.

- ٤ - قصور مجلة الأحكام العدلية عن الوفاء بالحاجة الزمنية:

رغم كثرة شروح المجلة العثمانية فقد كان الشعور - كما يقول الشيخ مصطفى الزرقا -^(١) بقصور هذه المجلة عن الوفاء بالحاجة الزمنية يتزايد في نفوس المسؤولين، نظراً لالتزامها مذهباً واحداً وهو ما لا يكفي الأمة في حاجاتها التشريعية المتجددة، ولذا كان النسخ والتعديل يتخطفان منها بين الحين والحين.

ثم في البلاد العربية المنفصلة عن الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، كان الشعور متزايداً بضرورة تغييرها بمجلة أخرى أو بقانون مدني جديد يصاغ من شتى المذاهب، ويتلافى القصور والعيوب التي ظهرت في المجلة.

وفي سوريا كلّفت وزارة العدل السورية إخصائين بوضع قانون مدني مستمد من الفقه الإسلامي، وواف بالحاجات الزمنية الجديدة، وأوفدت لهذا الغرض سنة ١٩٤٩م أحد كبار القضاة إلى مصر وزوّده بكتاب إلى الدكتور عبدالرزاق السنهوري القانوني الشهير، ليتعاونوا في وضع قانون مدني مستمد من الفقه الإسلامي، وبينما كان مشروع هذا القانون المدني الذي يصل التشريع الحقوقي والحاجات الحديثة فيه بماض فقهي مجيد تليد، في طريق الإنجاز والآمال معلقة بنهايته، صادف أن وقع في العام نفسه أول انقلاب عسكري في سورية، الذي ألغى مشروع القانون المدني المستمد من الفقه الإسلامي، وأبطل العمل بأحكام المجلة واستبدلها بالقانون المدني

(١) المدخل الفقهي العام ٢١/١ - ٢٣، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٣٠٠، ٣٠٣.

المصري الجديد المستمد من التشريع الفرنسي، الذي انساق وراءه مصر في الأربعينيات تفني نفسها فيه، وتبقى على هوامشه ضائعة الجهود مضيعة لمجد الجدود.

وهكذا بين عشية وضحاها بجرّة قلم هدموا أعظم صرح فقهي في العالم وأقاموا قانونا لا مرجع فيه لقاض أو محام أو دارس إلا أصوله واصطلاحاته الأجنبية.

وبعد سنوات تلتها العراق، فألغت المجلة وأحلت محلها قانونا مدنيا أجنبي الأصول أيضاً، لكنّه رضع ترصيعا في أوله ببعض القواعد الفقهية الكلية التي في مقدمة المجلة لكي توهم الناظر لأول نظرة أنّ روح المجلة وريحها منبثان فيه.

وكذلك كان الحال بالنسبة لغيرها من البلاد العربية التي أهملت ذلك الفقه الذي تعاقبت على خدمته عشرات الأجيال من عباقرة الفقهاء وجهابذتهم ممن انقطعوا إليه ووقفوا كلّ مواهبهم عليه، وأقامت قوانين أجنبية كاملة تربطنا بعجلة التشريع والفقه الأجنبيين، وتجعل تراثنا نسيا منسياً.

وهكذا كانت أحكام المجلة، بل فكرة استمداد التشريع المدني من الفقه الإسلامي، تسير نحو الزوال في البلاد العربية ذاتها إلا شبه الجزيرة العربية التي بقيت محصنة من تأثير القوانين الأوروبية، حيث استمر في السعودية واليمن وبعض دول الخليج العمل بالتشريع الإسلامي، وأمّا بقية الدول العربية فقد وقع فيها استبدال دراسة الحقوق القانونية الغربية بدراسة الفقه الإسلامي، وأنشئت لذلك الكليات والمعاهد التي لا يدرّس فيها الفقه الإسلامي إلا في مجال ضيق يتعلّق بأحكام الأسرة المعروفة بالأحوال الشخصية.

- ٥ - تطوير منهجية التقنين:

لا أحد ينكر أنّ «مجلة الأحكام العدلية» رغم أنّ صدورها قد جاء كما يقال بعد خراب البصرة، فإنّها قد أحدثت في هذا الدور يقظة

فقهية تمثلت في اتجاه العلماء في مصنّفاتهم إلى محاولة تقنين الفقه الإسلامي في محاولة منهم لترتيب أحكامه وتنظيم مسائله، وإعادة صياغتها صياغة تجري على أساليب الصياغة القانونية الحديثة القائمة على التنظيم الدقيق والترتيب البديع والتقسيم إلى مواد وأبواب متتالية، نزولاً على حكم التطور في التأليف والتصنيف، مع عرض مسائله بتعبير لغوي واصطلاحيّ دقيق قريب إلى مدارك هذا العصر سيرا مع الأذواق القانونية المعاصرة حتى يتيسر فهمها وتسهيل دراستها، ومراعاة الاستناد إلى مصادر الفقه الإسلامي دون غيرها من المصادر، والاحتفاظ بمقومات الفقه الإسلامي وجوهره.

وكانت هذه الكتابات الحديثة قد شهدت تطوراً في منهجية التقنين من اعتماد المذهب الواحد إلى الاستفادة من جميع أقوال الفقهاء، فقهاء المذاهب المتبعة، والمذاهب غير المتبعة، الباقية منها والبالدة، المشهور منها وغير المشهور، فتخلّصت تأليفهم من نزعتها المذهبية إلى المجال الأوسع والطريق الأرحب في الاستفادة من جميع المذاهب الفقهية المختلفة، وأجريت الدراسات المقارنة داخل تلك المذاهب الفقهية، وأحياناً بين تلك المذاهب والقوانين الوضعية.

كما خرجت هذه الكتابات من ثوبها القديم الذي يميل إلى الإيجاز والاختصار إلى حدّ الإلغاز أو إلى التطويل إلى الحدّ الذي تفتنى فيه الأعمار.

وقد كانت هذه المنهجية الجديدة في التقنين مطلب دعاء الإصلاح والتجديد من أمثال عبدالرحمن الكواكبي في كتابه أمّ القرى، ومحمد عبده في تقريره الذي رفعه إلى وزارة الحقانية في نوفمبر ١٨٩٩م في بيان وجوب إصلاح المحاكم الشرعية، ومحمد مصطفى المراغي الذي أمر بتشكيل لجنة للقيام بهذا الإصلاح، أطلق عليها: لجنة تنظيم الأحوال الشخصية، ومما قاله في افتتاح عملها: «إنّ إصلاح القانون إصلاح لنصف القضاء، أمّا إصلاح النصف الآخر فهو بيد القاضي نفسه، لأنّ عليه أن

يفهم الوقائع أولاً كما هي بعد تلمس أدلتها ونقدها والموازنة بينها»^(١).

وكان يقول لأعضائها: ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان، وأنا لا يعوزني بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ما وضعتم^(٢).

على أنّ كلام الشيخ المراغي يحمل على ما هو مقرّر عند الفقهاء من جواز ترجيح غير المشهور من الأقوال لملاءمتها لأوضاع الناس وجلبها لمصلحتهم المعتمدة.

فتقدّمت بذلك مناهج التأليف في الفقه وعمّ التجديد كلّ باب من أبوابه، وظهرت هذه المحاولات الجديدة في صياغة الفقه في شكل جهود جماعية أحياناً، وفي شكل جهود فردية أحياناً أخرى.

وفيما يلي لمحة عن بعض تلك الجهود في صياغة الفقه وبناء النهضة الفقهية الحديثة.

أولاً: الجهود الجماعية:

* الموسوعات الفقهية *

على إثر المؤتمر الدولي الهام المنعقد في باريس سنة ١٩٥١ والذي أشاد بمزايا الفقه الإسلامي^(٣).

(١) المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر ص ٤١٣.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) سبق هذا المؤتمر، مؤتمر آخران أشادت جميعها بمزايا الفقه الإسلامي، وفيما يلي عرض للقرارات القانونية الدولية الثلاثة:

القرار الأول: اتّخذ مؤتمر الحقوق المقارنة المنعقد بمدينة لاهاي عام ١٩٣٧، وهو يتضمّن ثلاثة مبادئ:

١ - اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام.

٢ - اعتبارها حيّة قابلة للتطور.

٣ - اعتبارها تشريعاً قائماً بذاته ليس مأخوذاً من غيره.

القرار الثاني: اتّخذ مؤتمر المحامين الدولي عام ١٩٤٨، وهذه ترجمته: «اعترافاً بما =

وأعرب عن أمله في تأليف موسوعة فقهية على طراز موسوعات الحقوق الأجنبية، اعتبر الشيخ مصطفى الزرقا أنّ ذلك الأمل هو المرحلة الجديدة التي يجب أن يجتازها تدوين الفقه الإسلامي لكي يظهر بها جوهره، ويدنو بها ثمره.

ورأى أنّ ذلك من أعظم ما يجب أن تفكّر فيه جامعة الدول العربيّة، وأنّه من الممكن أن يعهد به إلى لجنة تتألّف من بضعة أشخاص من الفقهاء والقانونيين، يتفرّغون له مع عدد من المساعدين خلال بضع سنين^(١).

وكانت تلك الانطلاقة الحقيقيّة في التفكير لإنشاء موسوعة فقهية إسلامية.

= في التشريع الإسلامي من مرونة وما له من شأن، يجب على جمعية المحامين الدولية أن تنبئ الدراسة المقارنة لهذا التشريع وتشجّع عليها.

القرار الثالث: اتّخذ مجمع الحقوق المقارنة الدولي المنعقد في باريس سنة ١٩٥١، وهذه ترجمته: «إنّ المؤتمرين بناء على الفائدة المتحقّقة من المباحث التي عرضت أثناء: أسبوع الفقه الإسلامي، وما جرى حولها من المناقشات التي تخلص منها بوضوح:

١ - أنّ مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة حقوقيّة تشريعية لا يمارى فيها.
٢ - وأنّ اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقيّة العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات، ومن الأصول الحقوقيّة، وهي مناط الإعجاب وبها يتمكّن الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها.

يعلنون رغبتهم في أن يظلّ: أسبوع الفقه الإسلامي، يتابع أعماله سنة فسنة، ويكلّفون مكتب المؤتمر وضع قائمة للموضوعات التي أظهرت المناقشات ضرورة جعلها أساساً للبحث في الدورة القادمة.

ويأمل المؤتمر أن تؤلّف لجنة لوضع معجم للفقه الإسلامي يسهل الرجوع إلى مؤلفات هذا الفقه، فيكون معلمة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقيّة الإسلامية وفقاً للأساليب الحديثة (انظر: المدخل الفقهي العام ص ١١ - ١٢، و ٢٣ - ٢٦، ٣٠٧، ٣٠٨).

(١) المدخل الفقهي العام ٢٥/١ - ٢٦.

* موسوعة الفقه الإسلامي - دمشق :-

بعد أن أنشئت كلية الشريعة الإسلامية بجامعة دمشق عام ١٩٥٤م كان من باكورة نشاطها تنفيذ توصية أسبوع الفقه الإسلامي بباريس بشأن مشروع تأليف موسوعة الفقه الإسلامي، فأنشأت الكلية لجنة خاصة سنة ١٩٥٦م أيام عمادة المرحوم الشيخ الدكتور مصطفى السباعي، وباشرت اتصالاتها بعلماء العالم الإسلامي، ورصد لها في ميزانية الكلية لعام ١٩٥٦م مبلغاً للبدء بهذا المشروع.

وكانت هذه اللجنة برئاسة الدكتور مصطفى السباعي عميد الكلية، وبعضوية كل من الدكتور أحمد السمان والدكتور مصطفى الزرقا، والدكتور معروف الدواليبي، والدكتور يوسف العث.

وبدأت اللجنة أعمالها باستخراج الألفاظ العنوانية لموضوعات الفقه ومسائله وأحكامه من مختلف كتب المذاهب الأربعة لتكوين الهيكل اللفظي للموسوعة التي ستعرض فيها جميع أحكام الفقه في المذاهب الأربعة مرتبة حسب حروف الهجاء لكلماتها العنوانية^(١).

* موسوعة الفقه الإسلامي - مصر :-

في عهد الوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨م تشكلت لجنة مشتركة بين القطرين للتعاون على تصنيف موسوعة جامعة للفقه الإسلامي في مذاهبه المشهورة - بعد أن كانت قد سارعت إلى هذا المشروع العظيم جامعة دمشق - فتكونت لجنة خاصة بالموسوعة تابعة للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مشتركة بين السوريين والمصريين.

وكان المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية قد أصدر في سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م جزءاً نموذجياً للموسوعة على سبيل التجربة أراد به أن

(١) المدخل الفقهي العام ٢٥٤/١، التشريع والفقه في الإسلام لمناع القطان ص ٣٤٥ -

يكون تحت أنظار العلماء والمشتغلين بالفقه والقانون على أن يبدأ بإعداد الجزء الأول من أجزائها في صورته النهائية^(١).

ثم بانفصال الوحدة عام ١٩٦١م توقّف عمل اللجنة، ثمّ توبع المشروع ببطء في مصر، ثمّ تحمّست له وزارة الأوقاف المصريّة من جديد ونشطت في تنفيذه.

* موسوعة الفقه الإسلامي - الكويت - :

قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بالكويت سنة ١٩٦٧م بالإشراف على إصدار موسوعة للفقه الإسلامي باعتبارها من الضرورات العصريّة لحركة الفقه مع ما وصلت إليه العلوم الأخرى ولا سيما الدراسات الحقوقية، من تطوير في الشكل والأسلوب، لتيسير العودة إلى تراثنا الإسلامي والإفادة منه في استنباط الحلول للحاجات المستجدة، وتوفير الوقت على المختصّين في القيام بدراساتهم فيه، وتمكين غيرهم من الإمام بأبحاثه والأطلاع على ما استنبطه الفقهاء من الكتاب والسنة لتنظيم جميع شؤون الحياة.

وقد استمرّ العمل في مشروع الموسوعة في دورته الأولى خمس سنوات، أي إلى غاية سنة ١٩٧١م، تمّ فيها وضع الخطة وصنع معجم فقهي مستخلص من كتاب المغني لابن قدامة المقدسي، وإنجاز خمسين بحثاً فقهيّاً رئيسيّاً، ثمّ توقّف المشروع فترة بقصد إعادة تقويم خطواته وتوفير متطلّباته وتجميع الجهود والطاقات للمضيّ في استكماله، ثمّ عاد المشروع مجدّداً سنة ١٩٧٧م بتكوين لجنة للتخطيط والتقويم الفوري للخطوات التنفيذية، وخلال لجان متخصصة لكلّ مرحلة، والمراحل اللازمة للعمل بدءاً باستخراج المصطلحات وانتهاء بنشر الأبحاث في مجلدات الموسوعة.

وغاية الموسوعة هو صياغة الفقه الإسلامي كما هو في مراجعه

(١) موسوعة الفقه الإسلامي المصريّة ٦/١ - ٧.

الأصليّة بأسلوب سهل واضح مدعم بالاستدلال والتوجيهات وتبسيط العبارات المعقّدة التي تصادف فيه، مع الإشارة إلى اختلاف المذاهب والاجتهادات في كلّ موطن يكون فيه ذلك هامًا ومفيدًا.

وقد اعتنت الموسوعة بالشكل والإخراج عنايتها بالمضمون والمحتوى، حيث جاءت الأحكام والمسائل الفقهيّة مرتّبة ترتيبًا أبجديًا على حروف المعجم بحسب الحرف الأوّل وما يليه من الكلمة والعنوانيّة الدالة على الموضوع الفقهي.

فكلّ باحث يستطيع أن يراجع في الموسوعة عن حكم الشريعة وآراء الفقهاء في كلّ موضوع بالنظر إلى ترتيب حروف كلمته، فيراجع عن الكلمة ليرى ما تحتها من أحكام الشريعة وفقهاها في الموضوع واختلاف المذاهب والآراء الفقهيّة في ذلك مع الإحالة على مواطن البحث في مراجعه الفقهيّة الأصليّة من كتب المذاهب.

وقد أسند الإشراف على سير العمل والتخطيط الرئيسي له إلى لجنة عامّة متكوّنة من ثمانية أعضاء، يجتمعون مرتين في الشهر.

وقد التزمت اللجنة العامّة الإفادة من رصد الموسوعة في فترتها السابقة حيث نفّحت خطة الكتابة بالاستئارة بخطط المشاريع المماثلة في كلّ من مصر وسورية، والتعاون مع المشاريع المشابهة في المملكة العربية السعودية، وتبنت ما رأته صالحًا من البحوث الخمسين التي أنجزت سابقاً مع نشر قسم منها كنماذج عمليّة، كما قامت بالاتصال والتعاون مع الفقهاء والجهات العلميّة المختصّة في العالم الإسلامي^(١).

وهكذا، عرف هذا الدور موسوعات منظّمة منسّقة مرتّبة مصطلحاتها

(١) موسوعة الفقه الإسلامي ٦/١ - ٧، ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣ م، الموسوعة الفقهيّة: نشرة تعريفية ص ٨ - ١٥، ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، الكويت ١٤١٨هـ/١٩٩٧ م، دراسات الخليج والجزيرة العربيّة، العدد ١٦، ص ١٧٥ - ١٧٩، استطلاع حول الموسوعة الفقهيّة بالكويت، مجلة الوعي الإسلامي، السنة الحادية والعشرون، العدد ٢٤٦، ص ٨٤ - ٩٣.

على حروف المعجم، قد جمعت ما تشبّت من أحكام الفقه في بطون الكتب، وألفت بين مذاهبه، وضمّت الشبيه إلى شبيهه، حتى يتمكّن الباحث أن يجد الموضوع الواحد في المكان الواحد مهما تعددت المذاهب واختلفت الأبواب والكتب وتعددت الفروع، وأن يلمّ في إيجاز بما استدلّ به القائلون فيما يحتاج إلى بيان للمدارك ووجهات النظر^(١).

* مشروع القانون المدني الموحد على أساس الفقه الإسلامي^(٢):

كانت جامعة الدول العربية في منتصف السبعينيات قد كلّفت دائرتها القانونية وضع مشروع لقانون مدني تأخذ به من تشاء من الدول العربية، توحيداً للتشريع المدني فيها.

وألفت لذلك لجنة خبراء من رجال القانون، وبدأت وضع المشروع في السبعينيات مستمداً من التقنيات الأجنبية، ثمّ نبهها رشدتها العلمي إلى تغيير الاتجاه في تفكيرها، فقرّرت الدائرة القانونية في جامعة الدول العربية وضع مشروع قانون مدني موحد للبلاد العربية مستمداً من الفقه الإسلامي بمختلف مدارس ومذاهبه، واختارت لإنجاز هذا المشروع لجنة خبراء قامت خلال أربع سنوات - من عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٨٤م - بوضع نصوص للركن الأساسي من القانون المنشود وهو النظرية العامة للالتزامات، والتي هي بمثابة العمود الفقري منه، مع تأصيل تلك النصوص على الفقه الإسلامي وأصوله، مادة فمادة.

ثمّ توقّفت جامعة الدول العربية عن متابعة هذا المشروع القانون المدني الموحد، بعد أن تمت صياغة نصوص النظرية العامة صياغة كاملة، وتأصيل كثير منها تأصيلاً متيناً.

(١) موسوعة الفقه الإسلامي المصرية ٦/١.

(٢) المدخل الفقهي العام ٣١/١ - ٣٢، إحالة رقم ١، و٣٠٤/١ - ٣٠٥، المدخل إلى نظرية الالتزام العامة ص ٥، ٦، و٢٩٧ - ٣٦٠.

وقد نشر الشيخ الزرقا في آخر كتابه المدخل إلى نظرية الالتزام العامة ملحقاً تحت عنوان: نصوص مواد النظرية العامة للالتزامات في الفقه الإسلامي في مشروع قانون المعاملات المالية العربي الموحد كما أقرتها.

اللجنة العامة لتوحيد التشريعات بجامعة الدول العربية بناء على المذكرات التأصيلية والصيغ التي وضعتها لجنة خبراء الأمانة العامة في الدائرة القانونية في جامعة الدول العربية بتونس سنة ١٩٨٤م.

وجملة مواد هذا القانون ٤٣٣ مادة، مقسمة على خمسة أبواب، كالآتي:

* باب تمهيدي: يتضمّن الفصل الأول منه ٨٥ قاعدة كلية فقهية هي عدد مواد الفصل، وأما الفصل الثاني بعنوان أحكام عامة فيشمل المواد من ٨٦ إلى ١٤٥، تتعلق بالقانون وتطبيقه وبالأشخاص والأشياء والأموال الحق.

* الباب الأوّل: مصادر الالتزام، من المادة ١٤٦ إلى ٢٩٨.

* الباب الثاني: آثار الالتزام، من المادة ٢٩٩ إلى المادة ٣٤٠.

* الباب الثالث: أوصاف الالتزام، من المادة ٣٤١ إلى المادة ٣٨٢.

* الباب الرابع: انقضاء الالتزام، من المادة ٣٨٣ إلى المادة ٤٣٣.

ثانياً: المجهودات الفردية:

إلى جانب هذه المجهودات الجماعية التي تعدّ على أصابع اليد الواحدة، فقد ظهرت أيضاً على مدى هذا الدور الفقهي مجهودات فردية لتقنين الفقه الإسلامي، حاول القيام بها بعض الباحثين المتخصصين من أصحاب الكفاءات العالية، تطلّعوا إلى تدوين الأحكام الشرعية على صورة تشبه المجلة العثمانية، وقدموا محاولات ناضجة ومشروعات راقية لتقنين

الفقه الإسلامي المستمد من أصوله الشرعية والقادر أكثر من غيره على تحقيق المصلحة العامة في شتى جوانب الحياة.

ومن بين هؤلاء الذين وضعوا لبنات متينة البنيان في سبيل تحريرنا من الاستعمار التشريعي، نذكر:

١ - رائد التقنين الفقهي وزعيم المدرسة الحديثة محمد قدي باشا^(١):

وهو أحد الفقهاء المحدثين (١٢٣٧هـ/١٨٢١م - ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) ومن رجال القضاء في مصر الذين كتبوا في الفقه الإسلامي وبسطوا مسائله في لغة سهلة مفهومة قريبة إلى مدارك هذا العصر.

ألف ثلاثة كتب هي عبارة عن مشروعات لقوانين استمدّها من المذهب الحنفي، وهذه الكتب هي:

أ - الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية: وهو كتاب في أحكام الأصول الشخصية طبع ببولاق سنة ١٢٩٨هـ مصطبغا بصيغة المجلة العثمانية في ترتيبه، جمع فيه أحكام الأسرة وفق الراجح في المذهب الحنفي وذكر فيه أحكام الزواج والطلاق، والوصية والهبة والميراث، والحجر والوصية وغيرها من المسائل التشريعية المتعلقة بأحكام الأسرة.

وجعله في مواد سهلة الفهم قريبة التناول على من ليس له سابقة عهد بمزاولة فهم عبارات الفقهاء وحل رموز المتون ومعرفة اصطلاحات الشراح والمعلقين، وبلغت مواد الكتاب ٦٤٧٦ مادة.

ب - مرشد الحيران إلى معرفة أحوال الإنسان في المعاملات الشرعية: خصّصه لفقه المعاملات في المذهب الحنفي، لخصه من عدة كتب فقهية وجعله في ٩٤١ مادة، وقد سهّل المؤلف بكتابه هذا المقارنة

(١) كشف الظنون ٣٠٢/٦، مصادر الحق في الفقه الإسلامي ٦/١، إحالة رقم ١، قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف لمحمد قدي باشا.

بين القسم المدني من الشريعة على مذهب أبي حنيفة وبين القوانين الوضعية حين نظم أحكام المذهب الحنفي في المسائل المدنية في مواد وأبواب متتالية على غرار مواد وأبواب القانون المدني المصري الأجنبي الأصول.

ج - قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف: جمع فيه أحكام الوقف وكل ما تعلق به في مواد، فجاء الكتاب في سبعة أبواب اشتملت على عدد من الفصول التي ضمت ٦٤٦ مادة.

٢ - الفقيه أحمد بن عبدالله القاري المكي: (١٣٥٩هـ/١٩٤٠ م) (١).

الذي وضع كتاب: مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، هذا فيه مؤلفه حذو مجلة الأحكام العدلية لكنه بناه على الفقه الحنبلي خاصة، وبلغ به ٢٣٨٢ مادة.

ألف هذا الكتاب عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤ م، ولم ينشر إلا عام ١٤٠١هـ/١٩٨١ م بعناية الباحثين الفاضلين، الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، والدكتور محمد إبراهيم أحمد علي.

٣ - القاضي عبدالقادر عودة: (١٩٥٤ م).

الذي ألف الموسوعة الجنائية القيمة التي سماها: التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي وعلى الأخص القانون المصري، والكتاب عبارة عن دراسات في التشريع الجنائي الإسلامي - العام منه والخاص - مقارنة بالقوانين الوضعية.

وقد صاغ كتابه في ٦٨٩ مادة، استطاع من خلالها أن يظهر محاسن الشريعة وتفوقها على القوانين الوضعية وسبقها إلى تقرير كل المبادئ الإنسانية والنظريات العلمية والاجتماعية التي لم يعرفها العالم، ولم يهتد إليها العلماء إلا أخيراً.

على أن الكاتب لم يعتمد في مقارنته على مذهب واحد من مذاهب

(١) المدخل الفقهي العام ٣٠٥/١.

فقهاء المسلمين، وإنما جعل عماد مقارنته على المذاهب الأربعة المشهورة، مجتهداً في بيان أساس الخلاف بين المذاهب إن كان ثمة خلاف^(١).

- ٤ - أستاذ القانونيين الدكتور عبدالرزاق السنهوري:

صاحب كتاب مصادر الحق في الفقه الإسلامي، وغيرها من الكتب القانونية المشهورة، وهذا الكتاب هو دراسات مقارنة بالفقه الغربي، كان قد ألّفها المؤلف على طلبه قسم الدراسات القانونيّة، تناول فيه الأسباب التي تنشئ الحق قانوناً، وحصر بحثه في الحقوق ذات القيمة المالية، وهي الحقوق الشخصية والحقوق العينية كما تسمّى في لغة الفقه الغربي.

ومصادر الحق سواء كان الحق شخصياً أو عينياً، من أدق الموضوعات وأكثرها غموضاً في الفقه الغربي حاول المؤلف أن يعالجه في الفقه الإسلامي، فوضع الفقه الإسلامي إلى جانب الفقه الغربي فيما هو هام وجوهري، وفيما هو دقيق خفي، وعالج الفقه الإسلامي بأساليب الفقه الغربي، لكنّه استند إلى المصادر الأولى في الفقه الإسلامي، ورجع إلى أمهات الكتب المعتمدة في المذاهب المختلفة.

وقد وصل إلى أنّ الفقه الإسلامي نظام قانوني عظيم له صنعة مستقل بها، ويتميّز عن سائر النظم القانونيّة في صياغته.

والكتاب مهّد له بمقدمة في الحق الشخصي والحق العيني في الفقه الإسلامي واستقصاء مصادر كلّ منهما، ثمّ جعل البحث في قسمين، تفرّد القسم الأوّل منها للتصرّفات القانونيّة وأهمّها العقد، واستعرض في القسم الثاني الوقائع القانونيّة^(٢).

- ٥ - أستاذ القانون المدني والشريعة الإسلاميّة: الشيخ مصطفى

الزرقا:

(١) التشريع الجنائي مقارنا بالقانون الوضعي ٦/١ - ١٢.

(٢) مصادر الحق في الفقه الإسلامي ٥/١ - ٧.

صاحب المشروع المسمّى: «الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد»^(١)، وهو سلسلة كتب، الجزء الأول والثاني منها يسمّى: المدخل الفقهي العام، والجزء الثالث هو: المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي، والجزء الرابع هو: النظرية العامة للأحكام المدنية في الفقه الإسلامي، على غرار النظرية العامة للالتزامات في الفقه الأجنبي.

فأما المدخل الفقهي العام فقد بني على ثلاثة أقسام هي:

١ - مقدّمة تعريفية وتاريخية عن مصادر الفقه وأدوار تطوّره، وعرض في آخر فصل من فصوله خطوطاً رئيسية لخص فيها تصوّراته في عملية توحيد التشريع الجنائي للبلاد العربية على أساس الشريعة الإسلامية.

٢ - يليها عرض للنظريات الفقهية الأساسية في مباني الأحكام الفقهية: وهي النظم والركائز التأسيسية الكبرى التي تعتبر دعائم الفقه وأركانها.

٣ - ثمّ بيان للقواعد الكلية في الفقه التي صدرت بها مجلّة الأحكام العدلية مرتبة ترتيباً جديداً، مع شرح موجز لها.

ويعدّ كتاب المدخل الفقهي العام خير كتاب في التوطئة لدراسة مجلّة الأحكام العدلية - القانون المدني العثماني القديم - فهو مدخل إلى الفقه الإسلامي عامّة وإلى مجلّة الأحكام العدلية خاصّة بنى فيه نظريات فقهية عامّة لم ينسج فيها على منوال من سبقوه من شراح المجلّة، الذين جعلوا الفقه فتاوى وقضايا وجزئيات، على طريقة شرح المواد مفردة وسرد الأحكام المتفرّقة، بحيث تصلح تلك الشروح أن تكون مدوّنة للمحاكم ليرجع إليها الحكّام عند حاجاتهم إلى معرفة ما حول كلّ مادة وحكم من إيضاح وتفصيل، في حين حاول المؤلف أن يدرس المجلّة بأسلوب البحث الموضوعي كما يدرس الأساتذة الفرنسيون في كلية الحقوق بباريس مادة القانون المدني، وعلى نسق ما نشاهده في مؤلفات القانون المدني المهية

(١) المدخل الفقهي العام ٥/١ - ٣٣، ٣٢٥.

للدراصة الجامعية في الأمم الأجنبية، حتى تصلح أن تكون كتبا تعليمية في مجلة الأحكام العدلية الشرعية ومبادئها الفقهية لطلاب الحقوق في الجامعات، ولذلك جمع من أحكام القرآن والحديث وآراء الفقهاء من مختلف المذاهب ما يؤلف نظريات عامة تشبه النظريات الأوربية الحديثة فوق في محاولته توفيقا كبيرا وكان له فضل إخراج نظريات فقهية حديثة.

وأما المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي: فهو بمثابة باب تمهيدي لصياغة تلك النظرية العامة الجامعة، ويشتمل على أربعة أبواب تلقي نظرة عامة على فكرة الحق والالتزام والأموال والأشخاص.

وقد جرى فيها على طريقة حديثة في كتابة الفقه الإسلامي، وسلك فيها مسلكا عصريا حيث توصل المسائل وتعرض الكليات وتبسط النظريات وتشرح المصطلحات، ثم تستخرج الفروع من أصولها أو ترد الجزئيات إلى كلياتها، أو تطبق النظريات على موضوعاتها، وهو بمثابة باب تمهيدي لصياغة تلك النظرية العامة الجامعة، ويشتمل على أربعة أبواب تلقي نظرة عامة على فكرة الحق والالتزام والأموال والأشخاص.

وأما الجزء الرابع: فلم يصدر بسبب صدور القانون المدني السوري الذي حل محل مجلة الأحكام العدلية سنة ١٩٤٩م.

وقد نشر الشيخ الزرقا بعض مضامين النظرية العامة فيما بعد منفصلة، منها:

١ - نظرية التعسف في استعمال الحق في الشريعة الإسلامية: صياغة قانونية لها لمشروع قانون مدني مستمد من الفقه الإسلامي.

٢ - الفعل الضار: من مصادر الالتزام، مؤصلا ومستمدا من الفقه الإسلامي بمذاهبه المختلفة.

ويقوم منهجه في سلسلة: الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، على صوغ الأحكام الفقهية التي تشرح مجلة الأحكام العدلية كصياغة الفقه القانوني الحديث، ليلبس الفقه الإسلامي بذلك ثوبا جديدا يتفق مع الأذواق

القانونية المعاصرة في صياغته ومظهره، ويحافظ في الأحكام والأنظار الفقهية على أصله وجوهره، وهذا ما تقتضيه الدراسة الجامعية وحاجة العصر.

أخذ من المذهب الحنفي أساسا للبحث مع الإمام بالمذاهب الأخرى في بعض المواطن بحسب حاجة البحث ويوازن في أكثر الأحيان بين حكم الشريعة والقوانين السورية.

والكتاب ليس موسوعة للأحكام الفقهية أو الفتاوى أو مرجعا متعمقا لدقائق الفقه وتفصيله، بل هو مدخل موطأ يعلم الطالب الجامعي المفاهيم الفقهية الأساسية ومنهج التفكير الفقهي السديد، وليس تفاصيل وفروع الأحكام الفقهية التي تعج بها كتب الفقه التقليدية، وما يتضمنه الكتاب من أحكام فقهية هدفه الأساسي هو خدمة غرضه التعليمي بضرب الأمثلة وإيراد الشواهد وتشخيص المفاهيم المجردة، وتثبيت القضايا الرئيسية في ذهن الطالب.

وقد كان في نية المؤلف أن تكون السلسلة الفقهية: الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، تمهيدا لقانون مدني حديث يخرج في سورية مستمدا من الفقه الإسلامي في مختلف مذاهبه الغنية، بحيث تقوم أسسه على أحسن ما في كل منها من النظريات والمبادئ الفقهية الخالدة، فننشئ قانونا مدنيا يصل تشريعنا الحقوقي وحاجاتنا الحديثة فيه بماض فقهي مجيد زاخر.

* الاجتهاد الجماعي في ظل غياب الاجتهاد المطلق:

مما لا شك فيه أنّ درجة الاجتهاد المطلق قد تعطلت سبيل الوصول إليها منذ عصور، وما عدنا نجد من ارتقى إليها على كثرة من تطلع إليها وادعى بلوغها.

ذلك أنّ المتتبع لمقامات المجتهدين الذين جاؤوا بعد القرن الرابع الهجري يكاد يجزم بأنّ عمل هؤلاء يدور في فلك اختيار القول بين أقوال على طريقة الإنصاف، أو رجوعا إلى دليل لاستنباط حكم لم يستنبطه واحد من السابقين، لكن على المناهج التي كانوا قد سلكوها من قبل للاستدلال.

وأعجب ما في ذلك أنّ الذين دعوا إلى الاجتهاد من القدماء والمحدثين وأتوا بما عدّوه وعدّه الناس عليهم اجتهدا، لم يكونوا فيما أتوا إلّا في المراتب الدنيا من مقامات المجتهدين.

فهل زاد الواحد منهم على الاستقلال بالفتوى في مسائل معدودة، أو الانتصار لمذهب غير مذهبه أو لقول متروك أو ضعيف أو مرجوح؟^(١).

ولكن إذا كان الاجتهاد المطلق قد تعذّر علينا إدراكه، فإنّ سبيل الاجتهاد الجماعي أمر ممكن عبر المجامع الفقهية.

المجامع الفقهية تلبية لنداءات المصلحين من فقهاء الأمة:

كان الاجتهاد قد انقطع قبل هذا الدور بتنازل متتابع درجة فدرجة عند جمهرة الفقهاء، ورغم أنّ ذلك التنازل لم يشمل جميع الفقهاء لوجود قلة تدافع في كلّ عصر حكم التنازل الذي أتى على الأكثرين، فإنّ الإنقطاع قد حصل بالفعل، وقنع المسلمون علماء وعامة بحالة انقطاعه، ولم يحدث لهم اختلالا في أمرهم ولا اضطرابا كاللذين نحن فيهما اليوم.

وإنّما كان ذلك الاكتفاء في الحقيقة راجعا إلى أنّ أوضاع الحياة الفردية والاجتماعية قد استمرت منذ أن انقطع الاجتهاد المطلق إلى أن ظهرت الحركة الإصلاحية الحديثة متّحدة أو متقاربة جدّا في عامة مقوماتها، فبقيت التقادير والاعتبارات المأخوذ بها على ما هي عليه، وبقيت صور تقدير الحوادث النازلة متشابهة، فكان تشابه الحوادث قاضيا بتشابه الأدلة وتقارب مسالك الاستدلال، ولذلك فإنّ تعطل الاجتهاد المطلق وتنازل الاجتهاد في المراتب لم يكن فيما قبل هذا الدور إلّا نقصا علميا، لم يترتب عليه خلل اجتماعي.

أما بالنسبة لهذا الدور فإنّ الأوضاع قد انقلبت انقلابا تامّا بحيث أصبحت المسائل المدوّنة في كتب الفقه قليلة النظائر في الحياة العملية

(١) ابن عاشور محمد الفاضل: ومضات فكر ٣٨/٢.

الحاضرة، وذلك هو الذي جعل مشكلة الاجتهاد مصوّرة في هذا الدور بما لم تتصوّر به في القرون الماضية ولا يمكن أن تتصوّر به، فقد أصبحت مظهراً لانعزال الدين عن الحياة العمليّة واندفاع تيار الحياة بالأمّة الإسلاميّة في مجرى الهوى الذي ما جاء الدين إلّا ليخرج بالمكلفين عن داعيته، فإذا استطاعت بعض الدول الإسلاميّة أن تلتقّق قوانين للأحوال الشخصيّة تستمدّ من المذاهب المختلفة نصّاً أو تخريجاً، فأين هي من بقيّة القوانين العامّة والخاصّة؟ وأين الدارسون للشريعة والباحثون في الأحكام والداعون إلى الاجتهاد فيها من مبالغ الدراسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والقانونيّة التي تطفح على بلاد الإسلام بكلّ نظام أجنبيّ مستعار دخيل على الملة غريب على الدين؟^(١).

من هنا نبتت فكرة إنشاء مجمع فقهي يضمّ جمعا من أعلام العصر وفقهائهم من مختلف البلاد الإسلاميّة، وبدأت نداءات أعلام هذا العصر تتوالى، ومن هذه النداءات:

* نداء شيخ الإسلام محمد الطاهر بن عاشور:

رأى الشيخ الطاهر بن عاشور بثاقب بصره أنّ الحاجة قد اشتدّت إلى إعمال النظر الشرعي والاستنباط والبحث عمّا هو مقصد أصلي للشارع وما هو تبع، وما يقبل التغيير من أقوال المجتهدين وما لا يقبله.

وبيّن أنّ الطريق إلى ذلك هو: أن يسعوا إلى جمع مجمع علميّ يحضره من أكبر علماء كلّ قطر إسلاميّ على اختلاف مذاهب المسلمين في الأقطار، ويبسطوا بينهم حاجات الأمّة ويصدروا فيها عن وفاق فيما يتعيّن عمل الأمّة عليه، ويعلموا أقطار الإسلام بمقرّراتهم.

وأن يعيّنوا أسماء العلماء الذين يجدونهم قد بلغوا رتبة الاجتهاد أو قاربوا، وأنّ على العلماء أن يقيموا من بينهم أوسعهم علماً وأصدقهم نظراً في فهم الشريعة فيشهدوا لهم بالتأهل للاجتهاد في الشريعة، وأنّه يتعيّن أن

(١) ومضات فكر ٣٨/٢ - ٤٠.

يكونوا قد جمعوا إلى العلم العدالة وأتباع الشريعة لتكون أمانة العلم فيهم مستوفاة، ولا تتطرق إليهم الربية في النصح للأمة^(١).

وفي أثناء تفسيره لآية الربا، رأى أنّ مخرج المسلمين من المعاملات الربويّة يكمن في إنشاء مجمع مهمته وضع القوانين المالية المبنية على الأصول الشرعيّة، فقال: لما صارت سيادة العالم بيد أمم غير إسلاميّة، وارتبط المسلمون بغيرهم في التجارة والمعاملة، وانتظمت سوق الثروة العالميّة على القوانين التي لا تتحاشى المراباة في المعاملات ولا تعرف أساليب موااساة المسلمين، دهش المسلمون، وهم اليوم يتساءلون، وتحريم الربا في الآية صريح، وليس لما حرّمه الله مبيح، ولا مخلص من هذا المضيق إلا أن تجعل الدول الإسلاميّة قوانين ماليّة تبنى على أصول الشريعة في المصارف والبيع وعقود المعاملات المركّبة من رؤوس الأموال وعمل العمّال وحوالات الديون ومقاصّتها وبيعها، وهذا يقضي بإعمال أنظار علماء الشريعة والتدارس بينهم في مجمع يحوي طائفة من كلّ فرقة كما أمر الله تعالى^(٢).

* نداء العلامة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور:

وأما ابنه الشيخ الفاضل فقد بيّن أنّ الطريق الأقوم إلى تحقيق تلك الغاية إنّما هو الشروع في عمل علمي صحيح يبنى قبل كلّ شيء على أنّ الذي يراد بعثه أو تجديده إنّما هو اجتهاد حقّ، وليس نقضا للاجتهاد أو عبثا فيه، وذلك بتبصير الباحثين بأنّ الاجتهاد حركة عقليّة في أحكام الدين المشروعة لمصالح الأمة، وليس الاجتهاد مجرد حركة عقليّة تتّجه مباشرة إلى المصالح.

وأنّ نصوص الوحي هي مادة الاجتهاد الأولى، ومنها تستمدّ القواعد التي تكون مباني للأنظار المتحرّية تطبيق الدين على حياة العصر بما يترجّح

(١) مقاصد الشريعة ص ١٥١ - ١٥٢.

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير ٨٧/٤.

به الظنّ أنّه مراد الله من مصلحة الأمة اليوم، وإذا كان الاستنباط من الأدلة يعتمد من جهة على مسالك الاستدلال التي بحث فيها القدماء وتضمّنها علم أصول الفقه، فإنّ تلك الجهة ليست إلّا نصف أصول الشريعة الإسلامية فقط، وأمّا النصف الآخر فهو القواعد الفقهية الكلية وهو النصف الأهمّ لأنّه مبني على فهم مقاصد الشريعة.

ورأى: أنّ فقهاءنا القدامى قد أبدعوا في إبراز القواعد الفقهية إلّا أنّهم نظروا فيها إلى الناحية الاختلافية، وأنّه لو سلّط على استقراءهم استقراء لأمكن أن يستخرج به من تلك القواعد الجزئية قواعد اتّفاقية تكون أصولاً مشتركة بين المذاهب ومباني عامة للفقه الإسلامي من حيث هو، وبذلك نسمو عن النظريات الظنية إلى القطعيّات اليقينية.

وأنّه من خلال هذه القواعد الكلية القطعية التي هي ملاك مقاصد الشريعة نجدّد الاجتهاد الرشيد في أفقه الأعلى، ونمكّن للدين سلطانه على حياتنا بعد أن انفلتت عنه^(١).

* نداء الشيخ أحمد شاکر:

ودعا الشيخ أحمد شاکر إلى خطة علمية لتقنين الشريعة تقوم على: «اختيار لجنة قوية من أساطين رجال القانون وعلماء الشريعة لتضع قواعد التشريع الجديد غير مقيدة برأي أو مقيدة بمذهب إلّا نصوص الكتاب والسنة وأمامها أقوال الأئمة وقواعد الأصول وآراء الفقهاء، وتحت أنظارها آراء رجال القانون كلّهم، ثمّ تستنبط من النصوص ما تراه صواباً مناسباً لحال الناس وظروفهم ممّا يدخل تحت قواعد الكتاب والسنة ولا يضادّ نصّاً ولا يخالف معلوماً من الدين بالضرورة»^(٢).

(١) ومضات فكر ٣٩/٢ - ٤٣.

(٢) أحمد شاکر: الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر، ط القاهرة، ١٤٠٧، ص ٣٨ - ٣٩، نقلاً عن كتاب: نظرية الفقه في الإسلام للدكتور محمد كمال الدين إمام.

* نداء الشيخ مصطفى الزرقا:

في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤ م، تقدّم الشيخ مصطفى الزرقا باقتراح يقضي إنشاء مجمع فقهي إسلامي، وقد ورد في اقتراحه: «إذا أريد إعادة الحيويّة لفقه الشريعة بالاجتهاد الواجب استمراره شرعا، والذي هو السبيل الوحيد لمواجهة المشكلات الزمنية الكثيرة بحلول شرعية حكيمة، عميقة البحث متينة الدليل، بعيدة عن الشبهات والريب والمطاعن، وتهزم آراء العقول الجامدة والجاحدة على السواء، فالوسيلة الوحيدة هي: اللجوء لاجتهاد الجماعة بديلا عن الاجتهاد الفردي، وطريقة ذلك تأسيس مجمع فقهي يضم أشهر فقهاء العالم الإسلامي ممّن جمعوا بين العلم الشرعي والاستتارة الزمنية وصلاح السيرة والتقوى، ويضمّ إلى هؤلاء علماء موثوقين في دينهم من مختلف الاختصاصات الزمنية اللازمة في شؤون الاقتصاد والاجتماع والقانون والطبّ ونحو ذلك، ليكونوا بمثابة خبراء يعتمد الفقهاء رأيهم في الاختصاصات الفنيّة»^(١).

وقد كان من ثمرة هذه النداءات أن قامت المجامع الفقهية إلى جانب حركة الموسوعات الفقهية التي نشطت في أكثر من قطر إسلامي.

فكان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، والمجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، غير أنّ نشاط تلك المجامع كان مختلفا تماما عن نشاط حركة الموسوعات، فإذا كانت حركة الموسوعات الفقهية محاولة لإعادة كتابة الفقه كتابة تتلاءم مع أسلوب الكتابة العصرية، فإنّ دور المجامع يكمن في مواجهة المشكلات المعاصرة عبر الاجتهاد الجماعي.

والفرق واضح بين الإعادة والتأكيد، وبين التوليد والتجديد.

(١) متاع القطن: التشريع والفقه في الإسلام ص ٣٣٩.

١ - مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف:

وهو مجمع إقليمي تأسس سنة ١٩٦١م برئاسة شيخ الأزهر، ويتألف هذا المجمع من عدة لجان متخصصة منها: لجنة البحوث الفقهية التي أوكل إليها مهمة تقنين الأحكام الشرعية، على ضوء المذاهب المختلفة، والنظر في القضايا المستجدة، وتقرير الأحكام المناسبة لها.

وقد عقد هذا المجمع مؤتمراً عاماً دعي إليه علماء المسلمين من أقطار عديدة لمناقشة البحوث المعاصرة، وعقد أول مؤتمر له سنة ١٩٦٤م^(١).

٢ - المجمع الفقهي الإسلامي:

هذا المجمع تابع لرابطة العالم الإسلامي، تم إنشاؤه في مكة المكرمة وعقدت دورته الأولى سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، وقد كان إنشاؤه بعد سنوات من اقتراح تقدم به الشيخ مصطفى الزرقا عام ١٣٨٤هـ.

ولهذا المجمع اجتماعات دورية يبحث فيها مواضيع الساعة الملحة، ومن المواضيع التي بحثت في دوراته وخرج في شأنها بقرارات، نذكر منها: قضية سوق الأوراق المالية والبضائع - المعروفة بالبورصة -، وما يجري فيها من عقود عاجلة وآجلة على الأسهم وسندات القروض والبضائع والعملات الورقية، ومسائل طبية عديدة كمسألة زرع الأعضاء، وأطفال الأنابيب وغيرها.

٣ - مجمع الفقه الإسلامي^(٢):

هذا المجمع من الأجهزة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ففي إطار مؤتمر القمة الإسلامي الثالث أتمت لجنة من خبراء منظمة المؤتمر الإسلامي في اجتماعها في رجب ١٤٠١هـ وضع مشروع النظام الأساسي

(١) التشريع والفقه في الإسلام ص ٣٤٠.

(٢) محمد علي التسخيري: مع مؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي ٩/١ - ١٠، ٣٤١.

لمجمع فقهي إسلامي، ثم عقدت لجنة موسّعة لوضع الصيغة النهائية له، ثم عقد المؤتمر التأسيسي للمجمع الفقهي الإسلامي في مكة المكرمة (٢٦ - ٢٨ شعبان ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م).

وصرح النظام الأساسي بأن المجمع يهدف إلى:

أ - تحقيق الوحدة الإسلامية نظريًا وعمليًا عن طريق السلوك الإنساني ذاتيًا واجتماعيًا ودوليًا وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية.

ب - شدّ الأمة الإسلامية لعقيدها ودراسة مشكلات الحياة المعاصرة، والاجتهاد فيها اجتهادًا أصيلًا لتقديم الحلول النابعة من الشريعة الإسلامية.

ويسعى المجمع لتحقيق أهدافه عبر الوسائل التالية:

١ - وضع معجم للمصطلحات الفقهية ييسر على المسلمين إدراك معناها لغة واصطلاحًا عن طريق لجان متخصصة.

٢ - كتابة الفقه الإسلامي بالطريقة التي تسهّل على الدارس والناظر أخذ ما يحتاجه، وذلك بوضع موسوعة فقهية شاملة.

٣ - التعاون والتنسيق مع المجامع واللجان والمؤسسات الفقهية القائمة في العالم الإسلامي.

٤ - تقنين الفقه الإسلامي عن طريق لجان متخصصة.

٥ - تشجيع البحث الفقهي في نطاق الجامعات وغيرها من المؤسسات العلمية حول تحديات العصر وقضاياها الطارئة.

٦ - إقامة مراكز بحوث للدراسات الإسلامية في بعض أنحاء العالم تخدم أهداف المجمع.

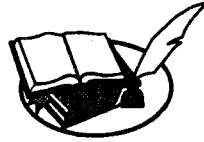
٧ - نشر بحوث المجمع بشتى الوسائل المتاحة على أوسع نطاق.

٨ - العمل على إحياء التراث الفقهي الإسلامي والعناية بأصول الفقه وكتب الخلاف.

ويتكوّن أعضاء المجمع من الفقهاء والعلماء والمفكرين في شتى

مجالات المعرفة الإسلامية، وقد استطاع هذا المجمع أن يفرض وجوده على الصعيد الفقهي الإسلامي، وأصبح مرجعا مهماً في هذا المجال، حيث كانت قراراته تترك أثرها الجيد في مجال فهم النظرة الإسلامية للمشاكل المستجدة والتي تتطلب موقفاً إسلامياً معمّقا، كما كانت ماثبات البحوث المقدمّة مكتبة فقهية تثرى المناقشات الحرّة التي تجري خلال انعقاد الدورة، فتجعل الوصول إلى الحقيقة أقرب منالا، والحلول أكثر واقعية.

ومن أمثلة القضايا المستجدة التي أصدر في شأنها المجمع قرارات وتوصيات^(١): أطفال الأنابيب، بنوك الحليب، أجهزة الإنعاش، التأمين وإعادة التأمين، النقود الورقية وتغيير قيمة العملة، تنظيم النسل، التمويل العقاري لشراء المساكن وبنائها، زراعة خلايا المخ والجهاز العصبي، استخدام الأجنة مصدرا لزراعة الأعضاء، زراعة الأعضاء التناسلية، وغير ذلك من المسائل المستجدة والقضايا المستحدثة.



(١) مع مؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي ١/١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦، ٢٠٦، ٢٠٧.

٢١٠، ٤٢٩، ٤٧١، ٤٧٦، ٤٧٩، ٤٨٠.

من أعلام هذا الدور

من خلال تتبّع تراجم الأعلام يقف القارئ على تصريحات خطيرة تشير إلى تدهور نشاط الحركة الفقهية في نهاية الدور السابق وبداية هذا الدور، في البلاد المشرقية والجزيرة العربية وكذلك في البلاد المغربية، فهذا أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي يقول بعد ما رجع من حجته: «ما بقي بالبلاد المشرقية من تشدّ له الرحال في طلب العلم» ويقول ابنه أبو عبدالله محمد - من أعلام القرن الثاني عشر للهجرة - المرافق له في حجته تلك: «ما كتنا نسمعه قبل مشاهدتنا وحضورنا هذه البلدة من إفشاء العلم والحثّ عليه وكثرة العلماء وتعاطي الفنون ومداولتها لم نر شيئاً من ذلك، إمّا لدثوره وانقراضه بموت أهله، وإمّا مجازفة المازين بهذه البلاد وهذرهم وافتخارهم بذلك بكونهم لقوا أهل العلم والصلاح، وقد قيل حدّث عن البحر ولا حرج، وحدّث عن مصر ولا حرج»^(١).

ويذكر العلامة عبدالقادر بن بدران الدمشقي أنّ الأيام التي كان بها الاعتناء بالعلم قد ولّت واضمحلت وأنّ هذا الزمان قد أصبح معانداً للعلم وأهله، قد رماهم في سوق الكساد ونادى عليهم بالحرمان حتّى أنّه لم يبق في هذا الزمن في الجزيرة العربية للعلم رسم ولا ظلّ.

ويضيف: أنّه تمضي عليه الشهور بل الأعوام ولا يرى أحداً يسأله

(١) فهرس الفهارس ١١٥٧/٢.

عن مسألة في مذهب الإمام أحمد لانقراض أهله في الجزيرة وتقلص ظلّه منها.

ثمّ يقول: ولولا أملي بنفع سكان جزيرة العرب من الحنابلة لما حرّكت قلماً، ولا خاطبت رسماً منها ولا طلاً.

ويعلّق آماله على منطقة نجد فيقول: إنّ كثيراً من سكان الجزيرة وخصوصاً أهل نجد يبذلون الآن النفيس بطبع كتب هذا المذهب ويحيون رفاة الكتب المندرسة منه^(١).

وأما بلاد المغرب فيصرّح الشيخ محمد بن الحسن الحجوي بأنّ عدد علماء القرويين لا يبلغ في القرن الرابع عشر الهجري المائتين، بل ويقول: «ولا أظنّ أنّه يوجد في المغرب كلّ ثلاثمائة فقيه الآن»^(٢).

والحقيقة أنّ هذا الجهل ما عمّ إلاّ بفعل أقوام ألفوا الجمود على ما كان عليه الآباء، وتدّرّعوا بالكسل عن طلب علوم الاجتهاد، فسدّوا على أنفسهم أبواب الترقّي وحرّموا على غيرهم فتح ما أغلقوه، ولا يزالون إلى اليوم يضربون على ذلك الوتر.

غير أنّ الله قد قيّض في هذا الدور كما قيّض في ما قبله من الأدوار ثلّة من الأعلام عرفوا بسعة اطلاعهم وصدق إخلاصهم واشتهروا بسموّ فكرهم وبعد نظرهم، قد خبروا طرق الإصلاح في مجتمعاتهم ودرسوا مناهجه، فعرفوا كيف يخاطبون أقوامهم ويتملّكون زمام التوجيه والإرشاد في بلدانهم، حتّى أشرقت شمس الأمة بنور أفكارهم وتعلّقت قلوب الناس بهم، وبعثوا في الأمة روحاً جديدة، ولكنّهم لم يجدوا الطريق موطّأ، وإنّما بليوا بكثرة المعاندين والخصماء، فنالهم من جاسديهم ما لا يليق بأمثالهم ومكانتهم، واتّهموا في دينهم وإخلاصهم، فصبروا في سبيل تحقيق الخير لأمتهم وإصلاح أوضاع مجتمعاتهم، فكانوا بحقّ رجال هذا الدور وقادة

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ص ٤٢٠، و٤٢٣.

(٢) الفكر السامي ٤/ ٢٨٢ - ٢٨٣.

نهضته في بلاد المشرق والمغرب.

فأمّا ببلاد الشرق فنذكر منهم بمصر والشام والعراق والحجاز ثلثة من الذين نقشت أسماؤهم على صفحات الأيام، وبقي ذكرهم ما بقي الإسلام.

- ١ - مصر:

ففي مصر اشتهر:

* محمد الأشموني (١٢١٨هـ - ١٣٢١هـ): أصله من أشمون جريس، قرية من أعمال المنوفية، تلقى العلوم بالأزهر، واشتهر بالذكاء وجودة التعليق وإتقان التحصيل إلى أن تأهل للتدريس فدرّس الكتب المتداولة بالأزهر صغيرة وكبيرة، وعنه أخذ كثيرون من كبار علماء الأزهر.

عمّر مائة سنة وثلاث سنوات، حتّى ألحق الأجداد بالأحفاد وصار جميع من بالأزهر إمّا تلاميذه أو ممّن في طبقتهم، ولم ينقطع عن التدريس والإفادة إلّا قبل موته ببضع سنوات^(١).

* حسن العدوي الحمزاوي المالكي (١٢٢١هـ - ١٣٠٣هـ): التحق بالجامع الأزهر فتلقى الفقه والتفسير والحديث وبعض علوم الأدب والمنطق، وقرأ جميع العلوم المتداولة بالأزهر، ثمّ جلس للتدريس في سنة ١٢٤٢هـ، وانتفع به الطلبة وأخذ عنه كثير من مدرسي الأزهر.

له تآليف عديدة منها: حاشية على شرح الزرقاني على العزبة في الفقه، وتبصرة القضاة في المذاهب الأربعة^(٢).

* محمد بن مصطفى بن يوسف بن علي الطنطاوي (١٢٤١هـ - ١٣٠٦هـ): حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وانتفع بأهل العلم وأجيز إجازة عامة، ثمّ طاف البلاد فدخل تركيا ورحل إلى الشام سنة ١٢٥٥هـ، ثمّ عاد إلى مصر سنة ١٢٦٠هـ ودخل الجامع الأزهر وانقطع

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٤١ - ٤٢.

(٢) شجرة النور الزكية ص ٤٠٧، البواقيت الثمينة ص ٩٥ - ٩٦.

لطلب العلم بهمة وجدّ واجتهاد، إلى أن صار إماماً في العلوم النقلية والعقلية مع شدة ذكائه وحفظه، ثم رجع إلى الشام واستوطن دمشق سنة ١٢٦٥هـ فأقبل عليه الطلبة، ولم يزل يقرئهم إلى سنة ١٢٧٨هـ، ثم دعاه الأمير عبدالقادر الجزائري وأرسل جميع أولاده للأخذ عنه مع غيرهم من طلاب العلم والفنون^(١).

* حسن بن الشيخ رضوان بن محمد حنفي (١٢٣٩هـ - ١٣١٠هـ): كان مالكي المذهب تادباً مع بلوغه الدرجة الاجتهادية، ولد ببلدة تسمى بيا الكبرى بمديرية بني سويف، وهاجر إلى مصر وجاور بالأزهر وجدّ واجتهد حتى بلغ مقام التدريس وهو ابن سبع عشرة سنة وأصبح من أصحاب الرسوخ.

استفاد وأفاد وتوافد الراغبون على رحابه، ووقف العلماء العارفون على أبوابه، منهم: الشيخ حسن الطويل والشيخ محمد عبده وغيرهما من علماء المسلمين في عصره.

كانت محلته مقصد العلماء ومحط رحال الأجلاء، وكان كذلك يرحل عن محلته لتذكير الناس وميزان الشرع في أمره ونهيه هو العمدة والأساس^(٢).

* محمد العباسي المهدي (١٢٤٣هـ - ١٣١٥هـ): حفظ القرآن الكريم، ثم اشتغل بالعلم سنة ١٢٥٦هـ ولّي إفتاء الديار المصرية سنة ١٢٦٤هـ وهو في الحادية والعشرين من عمره، ولأنه لم يتأهل بعد لمثل هذا المنصب الكبير أقيم له الشيخ خليل الرشيدى أميناً للفتوى يقوم بشؤونها حتى يتأهل صاحبها لها ويباشرها بنفسه، فأكب المترجم على الاشتغال بالعلم وخصوصاً الفقه حتى نال منه حظاً وافراً، وجلس للتدريس بالأزهر لإقراء كتاب الدر المختار.

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٥٨ - ٦١.

(٢) اليواقيت الثمينة ص ٩٦ - ٩٨.

باشر وظيفة إفتاء السادة الحنفية بعفة وأمانة وتدقيق وتحقيق واشتهر بين الناس بالحزم وعدم ممالأة الحكام وفي سنة ١٢٨٧هـ صدر أمر الخديوي بتوليته شيخ الأزهر، فجمع بين الإفتاء ومنصب شيخ الأزهر، وخلال مشيخته سعى لإعادة ما كان لأهل الأزهر من المرتبات الشهرية والسنوية، واستصدر أمراً من الخديوي بوضع قانون للتدريس وقانون الامتحانات.

وحين اندلعت الثورة العرابية عزل المترجم سنة ١٢٩٩هـ عن مشيخة الأزهر، وانفرد بالإفتاء، ثم أعيد بعد نهاية الثورة في نفس السنة، واستمرّ جامعاً للمنصبين قائماً بشؤونهما أتمّ قيام حتى عزل سنة ١٣٠٤هـ، ولم تحفظ عليه خلال الأربعين سنة من تولّيه منصب الإفتاء أيّ بادرة خطأ أو مخالفة للشرع، وسبب ذلك أنّه تولّاه وهو صغير، والعيون شاخصة إليه، فكان لا يفتي فتوى إلاّ بعد المراجعة والتدقيق، فحصلت له بذلك ملكة فيه حتى صار معدوم النظر لا يجاربه مجار في هذا المضمار.

له مجموع فتاوى سماها: الفتاوى المهديّة في الوقائع المصرية^(١).

* رضوان بن محمد بن سليمان المكنتى بأبي عيد المعروف بالمخللاتي (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م - ١٣١١هـ): كان شافعي المذهب، تلقى علومه بالجامع الأزهر على علماء عصره، حتّى نبغ في العلوم الشرعية والعقلية والعربية وخاصة في علوم القرآن، وشهد له أهل عصره بالتفرد.

أنتج في مختلف العلوم، وترك مجموعة من المؤلفات القيّمة في علوم القرآن والتوحيد والفقه^(٢).

* حسن بن أحمد بن عليّ الطويل (١٢٥٠هـ - ١٣١٥هـ): أحد من تفرّد في مصر بالبراعة في المعقول والمنقول، تربى بمسقط رأسه قرية منية شهالة إحدى قرى المنوفية، ثمّ انتقل إلى طنطا فاشتغل بحفظ القرآن ثمّ حضر القاهرة واشتغل بطلب العلم بالجامع الأزهر فقرأ على شيوخ عصره

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٦٢ - ٧٢.

(٢) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٨٥ - ٩٢.

مثل الشيخ محمد عlish المالكي والشيخ حسن العدوي الحمزاوي والشيخ إبراهيم السقا والشيخ محمد الأشموني وغيرهم، فظهرت عليه النجابة وكان دأبه في أول أمره مناقشة الشيوخ في الدروس بكثرة الأسئلة والتدخلات، حتى حدث ما اضطره إلى الانقطاع عن الأزهر.

ثم عاد بعد ذلك وشهد له شيوخه بالتأهيل للتدريس فدرّس بالأزهر وكان أول درس ألقاه في شوال سنة ١٢٨٣هـ، غير أنه لم يقتصر على العلوم المتداولة بالأزهر، بل بحث ونقّب وبرع في العلوم الحكمية ونظر في الهندسة والجبر وغيرها.

قرأ عليه في الأزهر كثيرون من علمائه المشهورين، مثل الشيخ محمد عبده والشيخ محمد بخيت والشيخ أحمد الزرقاني وغيرهم.

نقل إلى نظارة المعارف وعيّن للتفتيش فيها، ثم نقل مدرّساً بمدرسة دار العلوم إلى سنة ١٣١٧هـ، فعمّ الانتفاع به وتخرّج عليه جمع من أبناء هذه المدرسة من أمثال الشيخ محمد الخضري والشيخ عبدالوهاب النجار.

كان كثير الاشتغال بأمور المسلمين، دائم الهموم لما أصابهم من التأخر في مشارق الأرض ومغاربها، منتظراً فرجاً يأتيهم ولطفاً من الله يحقّهم، فتقوم فيهم دولة شعارها الدين تقوى على جمع شملهم، ولذلك لما قام المهدي بالسودان وانتصر انتصاراته المشهورة، واستولى على السودان، أحسن الشيخ حسن الطويل فيه الظنّ وقام بنصرته، وبلغ الإنكليز ذلك، وكاد يناله منهم أذى لولا أنّ سلمه الله^(١).

* عبدالكريم السناري السوداني (١٣٢٠هـ): نشأ في بلدته، وبيته بيت علم ثم هاجر إلى مصر وجاور بالأزهر وتفقه في مذهب الشافعي حتى صار إماماً فيه، ثم تحوّل لمذهب مالك، واجتهد حتى برع في كثير من العلوم، وتصدّر للتدريس ثم تحوّل إلى الإسكندرية، ثم إلى المغرب

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٩٣ - ١٠١، شجرة النور الزكية ص

ومكث بها مدة يدرّس ويفتي، وكان عالماً في الفقه بارعاً في النوازل مفتياً، حفظ تحفة الحكام لابن عاصم وكان معولاً عليها في النوازل.

رجع إلى الإسكندرية واستقرّ بها^(١).

* الشيخ محمد عبده (١٢٦٦هـ/١٨٤٩م - ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م):

درس بكتاب قريته محلة نصر بجوار مدينة طنطا المصرية، ثم أرسله أبوه إلى الجامع الأحمدى في طنطا حيث أقام ثلاث سنوات ثم انتقل إلى الجامع الأزهر ففضى فيه سنة ونصف لم يستفد فيها شيئاً يذكر وينسب ذلك إلى فساد طريقة التعليم.

ثم انتبه لنفسه ولم ير بداً من تلقى العلوم فاستنبط لنفسه أسلوباً في المطالعة وأعمل فكرته في تفهّم ما يقرأه فاستلذ العلم واستغرق في طلبه حتى أحرز منه جانباً كبيراً على ما استطاع إدراكه بتلك الطريقة.

اتفق أن ورد على مصر سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م السيّد جمال الدين الأفغانى، والشيخ محمد عبده لا يزال في الأزهر وقد أدرك الثلاثين من عمره، فتخرج عليه واقتبس منه روحاً حيّة، حتى كان ألصق التلاميذ به وأقربهم إلى طبعه وأقدرهم على مباراته، فلما قضى على السيّد جمال بالإبعاد من الديار المصرية، قال يوم وداعه لبعض خاصّته: «قد تركت لكم الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالماً».

أول ما نشر على الناس من آثاره هو ما كتبه في جريدة الأهرام لبداية نشأتها سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، وهي فصول سامية المنزع مشتملة على أصول الدعوة الإصلاحية التي صرف حياته في سبيلها.

نال في سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م الشهادة العالمية الأزهرية من الدرجة الثانية وهو ابن ثمان وعشرين سنة.

تقلّب في بعض المناصب العلمية بين تدريس في المدارس الأميرية

(١) شجرة النور الزكية ص ٤١٠، اليواقيت الثمينة ص ١٧٣ - ١٧٤.

وتحرير في الوقائع المصريّة التي نشر فيها مقالات كثيرة في إصلاح التعليم وكتابة في الدوائر الرسميّة، حتّى كانت الحوادث العربيّة التي حكم على إثرها بالنفي، فاختار سوريا.

رحّب به السوريون وأعجبوا بعلمه فأقام بينهم ستّ سنوات، وقد عهدوا إليه بالتدريس في بعض مدارسهم، ثمّ انتقل إلى باريس وهناك التقى بجمال الدين الأفغاني وأنشأ جريدة العروة الوثقى.

عاد إلى مصر بعد أن صدر في حقّه عفو، فولي القضاء وامتاز فيه بتحرّيه الحقّ، وظهرت مناقبه ومواهبه فعين سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م مستشاراً في محكمة الاستئناف، ثمّ سمي سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م عضواً في مجلس إدارة الأزهر فسعى جهده إلى إصلاح برامجه، ثمّ عين مفتياً للديار المصريّة سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م واستمرّ ينهض بمهمّة الإفتاء ستّ سنوات، إلى أن توفي.

كتب بقلمه في ترجمته لنفسه فقال: «ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين: الأوّل تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمتة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى... وأما الأمر الثاني: فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير».

من مصنفاته رسالة في التوحيد والإسلام والنصرانيّة ولتلميذه محمد رشيد رضا تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير المنار، الذي تضمّن آراء الشيخ محمد عبده ومواقفه.

وله مجموع الفتاوى التي أصدرها والتي دوّنت في مضبطة دار الإفتاء، وقد بلغ عددها ٩٤٤ فتوى، تدور موضوعاتها الرئيسيّة حول الوقف وقضاياها، والميراث ومشكلاته، والمعاملات ذات الطابع المالي والآثار الاقتصاديّة، وفي مشاكل الأسرة وقضاياها، وفي المسائل الجنائيّة.

والملاحظ أنّ ٨٠٪ من هذه الفتاوى كانت حول الحياة الماليّة

والاقتصادية وقضاياها، وفي هذه الفتاوى إضافات لفكر الإمام في الإصلاح الاجتماعي والتجديد الديني^(١).

* علي بن محمد بن أحمد المالكي الببلاوي الحسني الإدريسي
(١٢٥١هـ - ١٣٢٣هـ):

من قرية ببلاو التابعة لعمل ديروط الشريف من أعمال مديرية أسيوط، نشأ بها فحفظ القرآن ومبادئ العلوم، وحضر للأزهر سنة ١٢٩٦هـ، فقرأ به على شيوخ وقته مثل الشيخ محمد عlish والشيخ محمد الصاوي، وصحب مدة حضوره الشيخ حسونة النواوي، فكانا يسكنان معا ويحضران معا الدروس إلا في درس الفقه، فإن الببلاوي كان مالكيًا والنواوي كان حنفيًا.

جدّ واجتهد حتى تأهل للتدريس، وعيّن نقيبًا للأشراف سنة ١٣١٢هـ، فأقام على هذه الخطة نحو ثماني سنوات يجتهد معالمها ويحيي ما درس منها، حتى نقل منها شيخًا للأزهر سنة ١٣٢٠هـ، وكان آنذاك الشيخ محمد عبده مفتي مصر وعضوا بمجلس إدارة الأزهر، فكان الشيخ النواوي يسايره في أفكاره الإصلاحية حتى لم يكن له من الرئاسة غير رسومها، والكلمة كلمة المفتي.

ولما اعتزم الشيخ محمد عبده نفض يده من الأزهر استقال الببلاوي من منصبه سنة ١٣٢٣هـ، وأقام بيته مقبلا على العبادة وتلاوة القرآن حتى توفي في تلك السنة^(٢).

* حسونة بن عبدالله النواوي الحنفي (١٢٥٥هـ - ١٣٤٣هـ): ولد

(١) تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ١/٣٨٠ - ٣٩١، الفتاوى في التجديد والإصلاح الديني للشيخ محمد عبده، تحقيق محمد عمارة، ص ٥ - ١٥ زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ٢٨٠ - ٣٣٧، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ١٤٣ - ١٦٥، المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر ص ٣٩٩ - ٤٠٥.

(٢) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ١١٠ - ١١٣.

في قرية نواي التابعة لملوى من أعمال أسيوط، تلقى العلم بالأزهر على شيوخ وقته، ثم تولى التدريس في الأزهر، وعين مدرّساً للفقه بدار العلوم ومدرسة الإدارة - مدرسة الحقوق بعد ذلك - وألف أثناء تدريسه كتاب: سلم المسترشدين في الفقه الحنفي لتلاميذ مدرسة الإدارة.

حينما بدأ إصلاح نظام الأزهر بسعي من الشيخ محمد عبده، اختير الشيخ حسونة رئيساً لمجلس الإدارة، ثم شيخاً للأزهر، ولما توفي الشيخ محمد مهدي العباسي سنة ١٣١٥هـ أضيف منصب الإفتاء الذي كان يشغله إلى الشيخ النواوي، إضافة إلى رئاسة الأزهر.

استمرّ الشيخ النواوي جامعاً للمنصبين حتى وقع سنة ١٣١٦هـ خلاف بشأن إصلاح المحاكم الشرعية، وعرض على مجلس شورى القوانين اقتراح بنذب قاضيين من مستشاري محكمة الاستئناف الأهلية ليشاركا قضاة المحكمة الشرعية العليا في الحكم، فوقف الشيخ حسونة ضدّ ذلك الاقتراح، وأكبر الناس موقفه، ولا سيّما بعد أن سرى إلى الأذهان أنّ الحكومة تريد هدم الشريعة بذلك المشروع، وحاول الخديوي حمل الشيخ على قبول الاقتراح بعد تعديله وتغيير ما يراه مخالفاً للشرع منه، فأصرّ على الامتناع وقال: «إنّ المحكمة الشرعية العليا قائمة مقام المفتي في أكثر أحكامها، ومهما يكن من التغيير في الاقتراح فإنّه لا يخرج عن مخالفته للشرع، لأنّ شرط تولية المفتي مفقود في قضاة الاستئناف.

فأصدر الخديوي أمره بعزل الشيخ عن رئاسة الأزهر والإفتاء، وذلك سنة ١٣١٧هـ، فاعتكف الشيخ في منزله مقبلاً على شأنه حتى طلب سنة ١٣٢٤هـ للعودة على مشيخة الأزهر، فقبل، ثم استقال سنة ١٣٢٧هـ بسبب اختلال الأحوال في الأزهر.

وكان خلال توليته الأولى قد عين عضواً دائماً غير قابل للعزل بمجلس شورى القوانين، ولهذا بقي في المجلس بعد عزله من الأزهر والإفتاء، حتى ألغي المجلس واستعيز عنه بالجمعية التشريعية وذلك سنة

١٣٣٢هـ^(١).

* محمد مصطفى المراغي (١٣١٩هـ/١٨٨١م - ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م):

ولد بالمراغة بمديرية سوهاج، وكان بيته بيت علم، التحق بالأزهر وحصل على العالمية سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، وهو آنذاك في سنّ الثلاث وعشرين سنة، فأرسله الشيخ محمد عبده إلى السودان في خطة قاضي شرع، وترقى الشيخ المراغي في مناصب القضاء الشرعي إلى أن صار قاضي قضاة السودان، ثم قاضي قضاة مصر.

انتفع بتوجيهات الشيخ محمد عبده في إصلاح المحاكم الشرعية، وكان القضاء الشرعي يلتزم مذهباً فقهياً واحداً، فكان الشيخ المراغي أول من خرج على هذا الإجراء وعدل عن مذهب أبي حنيفة الذي كان يجري عليه القضاء الشرعي إلى مذهب مالك والشافعي وغيرهما في مسائل رأى فيها حرجاً على الناس، وأمر بتشكيل لجنة للقيام بهذا الإصلاح أطلق عليها: لجنة تنظيم الأحوال الشخصية، ومما قاله في افتتاح عملها: «إنّ إصلاح القانون إصلاح لنصف القضاء، أمّا إصلاح النصف الآخر فهو بيد القاضي نفسه، لأنّ عليه أن يفهم الوقائع أولاً كما هي، بعد تلمس أدلتها ونقدها والموازنة بينها، وكان يقول لأعضائها: «ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنّه يوافق الزمان والمكان، وأنا لا يعوزني بعد ذلك أن آتيكم بنصّ من المذاهب الإسلامية يطابق ما وضعتم».

وفي سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م اختير المراغي شيخاً للأزهر، وحين عزم على إدخال إصلاحات في نظامه عورض في ذلك فاعتزل بعد أربعة عشر شهراً من تعيينه، ثمّ عاد سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م شيخاً للأزهر فأخذ بشيء من الحرص في تنفيذ منهجه الإصلاحية، غير أنّه لم يصل به إلى الغاية التي أرادها له الشيخ محمد عبده^(٢).

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ١١٤ - ١١٩.

(٢) انظر: المجددون في الإسلام من القرن الأوّل إلى الرابع عشر ص ٤١١ - ٤١٤.

* محمد أبو زهرة (١٣١٦هـ/١٨٩٨م - ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م): من كبار علماء الشريعة الإسلامية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، انتدب للتدريس في كثير من الجهات، له أكثر من ثلاثين كتاباً في العلوم الإسلامية، منها: تاريخ المذاهب الإسلامية، العقوبة في الفقه الإسلامي، الجريمة في الفقه الإسلامي، الأحوال الشخصية، أحكام التركات والمواريث، محاضرات في الوقف، محاضرات في عقد الزواج وآثاره، وأفرد لبعض أئمة الفقه وأعلام الإسلام لكل واحد منهم مؤلفاً عن حياته وعصره وآرائه وفقهه.

- ٢ - الشام:

واشتهر ببلاد الشام:

* محمود الحمزاوي (١٢٣٦هـ - ١٣٠٥هـ): الحنفي المذهب، وليّ إفتاء الشام اثنتين وعشرين سنة وأشهرًا حتى وفاته، صنّف في التفسير والفقه وقواعده وأصوله واللغة، وله الفتاوى الحمزاوية^(١).

ومن العائلات العلمية التي كان لها فضل نشر العلم وتدريسه بالشام.

عائلة ابن عابدين: وقد اشتهر منهم:

* أحمد عبدالغني عمر المشهور بابن عابدين (١٢٣٨هـ - ١٣٠٧هـ) الحنفي المذهب، حصل على إجازات عديدة من علماء عاملين وأئمة معتبرين، وله مصنفات تفوق العشرين في الفقه والعقيدة والحديث^(٢).

* محمد علاء الدين بن محمد أمين عابدين (١٢٤٤هـ - ١٣٠٦هـ):
- ابن صاحب الحاشية على الدر المختار المشهورة بحاشية ابن عابدين -

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٢٤٨ - ٢٥٠.

(٢) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٢٥١ - ٢٥٢.

قاضي طرابلس الشام، صاحب التحريرات الرائقة والأبحاث الفائقة في جملة من علوم الفقه والحديث والأصول والتوحيد والتفسير^(١).

* أبو الخير محمد المعروف كأسلافه بابن عابدين (١٢٦٩هـ - ١٣٤٣هـ): هو ابن أحمد عبدالغني وابن عم محمد علاء الدين، نشأ في حجر والده وأخذ عن جملة من أفاضل علماء عصره منهم: محمود الحمزاوي مفتي دمشق، لازم أمانة الفتوى بدمشق ما ينيف على خمس وثلاثين سنة.

كان متضلعا في المذاهب الأربعة، وفريدا في المذهب الحنفي وكثير من العلوم العصرية، له من المؤلفات عشرون مؤلفا^(٢).

- ٣ - العراق:

وبالعراق ظهر من الفقهاء الأجلاء:

* عبدالباقي بن شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبدالله الألوسي البغدادي (١٢٥٠هـ - ١٢٩٦هـ): سعد الدين، القاضي الحنفي صاحب القول الماضي فيما يجب للمفتي والقاضي^(٣).

* طه بن أحمد بن محمد قسيم السندحي الكوراني أصلا البغدادي موطننا ودارا (١٢٣١هـ - ١٣٠٠هـ): الشافعي مذهباً المعروف بسنه لي زادة^(٤).

* محمد فيضي المفتي (١٢٣٧هـ - ١٣٠٧هـ): المشهور بالزهاوي،

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٢٥٣ - ٢٥٩.

(٢) فهرس الفهارس ١/١٥٧، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٢٩٦ - ٣٠١.

(٣) كشف الظنون ٥/٤٠٥ - ٤٠٦.

(٤) كشف الظنون ٥/٣٥٥.

الذي أخذ عن أعلام العراق حتى فاق أقرانه، فولّي إفتاء بغداد وبقي في منصبه إلى أن توفي^(١).

* عليّ الكردي (١٢٢٦هـ - ١٣١٦هـ): الذي تقلّد وظيفة التدريس ثمّ وظيفة أمين الفتوى بالعراق، وعليه تخرّج جماعة من علماء بغداد^(٢).

* نعمان بن محمود بن عبدالله بن محمود الألوسي البغدادي (١٢٥٢هـ - ١٣١٧هـ): لم يبلغ سنّ العشرين إلّا وصار من الأساتذة المعتبرين، اشتغل بالتأليف والتدريس في وطنه، ثمّ سافر إلى عاصمة الخلافة عن طريق الشام واجتمع بأعلام تلك الديار.

ألّف كتباً عديدة وتصانيف مفيدة منها الأجوبة النعمانية عن الأسئلة الهندية^(٣).

* عبدالسلام أفندي (١٢٣٤هـ - ١٣١٨هـ): من أكابر علماء العراق، أخذ العلم عن العلامة محمود شكري الألوسي، وكان مدرّساً في مدرسة القادرية محبوباً عند جميع البغداديين على اختلاف مذاهبهم^(٤).

* عبدالسلام بن الحاج سعيد البغدادي الحنفي (١٢٣٧هـ - ١٣٢٠هـ): مدرس القادرية والإمام بها، من تلاميذ المفتي الشيخ الألوسي^(٥).

* أبو المعالي محمود شكري الألوسي (١٢٧٢هـ - ١٣٤٢هـ): هو ابن عبدالله بهاء الدين بن محمود شهاب الدين، حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثماني سنين، واستوعب قسماً عظيماً من الكتب المهمة في المنقول والمعقول، والفروع والأصول وأدرك ما لم يدركه غيره.

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٣٣٥.

(٢) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٣٣١.

(٣) فهرس الفهارس ٦٧٢/٢، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٣٠٦ - ٣١٠.

(٤) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٣٣٤.

(٥) كشف الظنون ٤٦٢/٥.

ألف عدّة كتب ورسائل تتجاوز خمسين مؤلفاً ما بين مختصر ومطول^(١).

وأما أعلام الشيعة فقد استوعب ترجمتهم الشيخ محمد محسن الشهرير بأغابزرك الطهراني صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة في الجزء الأول من كتابه طبقات أعلام الشيعة الذي خصّصه لنقباء البشر في القرن الرابع عشر، وذكر ما يناهز ٩٠٠ علماً من أعلام الشيعة، من بينهم الكثير من أوتاد الفقهاء والأصوليين وتعرّض لذكر آثارهم العلميّة^(٢).

- ٤ - الحجاز:

وبرز من سكان الجزيرة أهل نجد بالخصوص الذين بذلوا النفس من أجل نشر الدعوة الوهابية الإصلاحية وأحيوا بتلك البلاد للعلم ذكراً. وكان من أشهرهم ذكراً في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري:

* أبو العباس أحمد بن زيني دحلان المكي (١٢٣١هـ/١٨١٦م - ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م): مفتي الشافعية بمكة المكرمة وأحد من نفع الله به الإسلام في هذا الدور في تلك الربوع العربيّة، له مصنفات مشهورة، منها: كتاب السيرة النبوية، ومن محامد المصادفات أن تنشأ في زمنه أوّل مطبعة بمكة فتولّأها، ومن ثمّ طبعت بعض مصنفاته^(٣). واشتهر من بعده^(٤):

* عيسى بن عكاس (١٢٦٨هـ - ١٣٣٨هـ): الذي ولد بالأحساء ونشأ بها، وقرأ الفقه المالكي والفقه الحنبلي، وعرف بحسن حفظه

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٣١١ - ٣١٩.

(٢) طبقات أعلام الشيعة، المطبعة العلميّة في النجف، ط ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

(٣) فهرس الفهارس ١/٣٩٠ - ٣٩١.

(٤) إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي ص ١١٠ - ١١٥.

واستحضاره وسمته حتى صار من أعلام عصره، وقد سافر إلى قطر بطلب من أميرها لنشر العلم وعقيدة السلف ثم عاد بعد سنة إلى مسقط رأسه فعينه الملك عبدالعزيز قاضياً ببلده سنة ١٣٣٤هـ واستمر على قضائها مدة حياته لا يأخذ مقابل وظيفته شيئاً تورعاً.

وعليه تخرج عدد غير قليل من أهل نجد ومن الإمارات العربية.

* عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ (١٢٦٥هـ - ١٣٣٩هـ): مفتي نجد وزعيمها في زمانه، ولد في مدينة الهفوف بالأحساء، ونزل به جدّه إلى مدينة الرياض فتعلّم بها الفقه والتوحيد والحديث والتفسير، ثم تصدّى للتدريس والإقراء فتخرج عليه علماء كثيرون.

* حسن بن حسين بن علي آل الشيخ (١٢٦٦هـ - ١٣٤٠هـ): ولد بالرياض وتعلم على مشايخ عصره، ثم ولي قضاء الإفلاج ثم قضاء المجمع عاصمة سدير قاضياً لها ولبلدان سدير، ثم تولى قضاء الرياض، ثم تفرغ للتدريس زمن الملك عبدالعزيز آل سعود، وعنه أخذ كثير من الناس.

* سليمان بن عطية (١٣١٧هـ - ١٣٦٣هـ) الذي ولد بمدينة حائل ودرس الفقه عن فقهاء بلده، ونظم الفقه شعراً، منه زاد المستقنع مختصر المقنع في ثلاثة آلاف بيت، ونظم البيوع في متن دليل الطالب، وله متون منظومة في قواعد الفقه وفي البيوع وله ألغاز في الفقه.

* عبدالرحمن بن قاسم (١٣٧٧هـ): من علماء نجد، الذي اشتهر بالبحث العلمي ونشر التراث.

* عبدالله العنقري بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن (١٢٩٠ - ١٣٧٣هـ): الذي ولد في ترمذ من قرى الوشم بنجد، وأخذ عن مشاهير علماء عصره، ثم ولي قضاء إقليم سدير وبقي قاضياً أكثر من ثلاثين سنة، وعلى يديه تخرج علماء كثيرون.

* عبدالرحمن بن سعدي الذي ولد في العنيزة بالقصيم سنة

١٣٠٧هـ، وتعلّم العلوم الشرعيّة، ثمّ جلس للتدريس وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ولمع نجمه، وعنه أخذ الكثيرون، وترك مصنفات عديدة في التفسير وفي أصول العقائد والتوحيد وفي الفقه، منها: حاشية على الفقه استدرك بها على جميع الكتب المتداولة والمؤلفة في المذهب الحنبلي، وكتاب إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، ربّبه على طريقة السؤال والجواب، وله الفتاوى السعدية، وغير ذلك.

* عبدالله بن حسن آل الشيخ (١٢٨٧هـ - ١٣٧٨هـ): إمام وخطيب المسجد الحرام، ولد بالرياض وبها نشأ وتعلّم، وكان داعياً للإصلاح الديني على طريقة جدّه محمد بن عبدالوهاب، عيّن في سنة ١٣٤٦هـ رئيساً للقضاة بالحجاز مع الإشراف على الحرمين الشريفين ورقابة المساجد والإشراف عليها واختيار الأئمة وتعيينهم واختيار المرشدين والوعاظ وإرسالهم إلى القرى والبوادي للإرشاد والتعليم.

* محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣١١ - ١٣٨٩هـ): الذي ولد بالرياض ودرس العلوم الشرعيّة، ثمّ صار رئيس دار الإفتاء وقاضي القضاة في نجد، ثمّ ولي رئاسة القضاء بنجد، ثمّ قاضي قضاة المملكة، وكان عالماً ذكياً راجح العقل، وله رسائل عدّة وفتاوي.

وأما الغرب الإسلامي فقد أخذ بدوره في ركب الإصلاح، وتيقّظ رواده لما يحتاج إليه من حياة نامية، وإذا ما تصدّى مؤرّخ للحديث عن الفقهاء الذين برعوا في حكمة التشريع وشملوا الحقوق برعاية وصيانة، فإنّ كثيراً من فقهاء هذه الربوع أهل لأن يذكروا في مقدمة أولائك الفقهاء.

- ١ - تونس:

فأمّا البلاد التونسيّة فقد اشتهرت فيها بيوت بإقبال أبنائها على العلم وتولّيهم للمناصب الشرعيّة كآل النيفر وآل عاشور بين فقهاء المالكية، وآل بريم وآل أبي الخوجة بين الفقهاء الحنفيّة.

وكان نظام التعليم بالمعهد الزيتوني من أسباب تنافس أصحاب

المذهبيين: المالكي والحنفي في ميدان العلم، رغم أنّ المذهب المالكي هو الذي يأخذ به معظم السكان^(١).

وقد أخرج جامع الزيتونة في ظلّ هذا النظام فقهاء أجلة يعتزّون بعلمهم، قد بلغوا غاية بعيدة في سعة العلم وتحقيق البحث، منهجهم الرجوع إلى الأصول والقواعد ومراعاة المصالح، فلا يقنعون بنقل الأقوال دون أن يتأولوها بالنقد والمناقشة.

وما زال الرسوخ في الفقه وربط الأحكام بأصولها من عناية الكثير من شيوخ جامع الزيتونة، تشهد لهذا كتاباتهم وفتاواهم ومقالاتهم التي كانت تنشر في الصحف التونسية أو المصرية^(٢).

ونذكر من بين هؤلاء:

* أبو حفص عمر بن أحمد المعروف بابن الشيخ (حدود ١٢٣٩هـ/١٨٢٦م - ١٣٢٩هـ/١٩١١م): من أبناء مدينة بنزرت، نشأ بالعاصمة ودخل الجامع الأعظم سنة ١٢٥٩هـ فتلقى العلم على كبار الشيوخ مثل: محمد بن مصطفى البارودي ومحمد سلامة ومحمد معاوية ومحمود قبادو والشاذلي بن صالح ومحمد النيفر ومحمد بن الخوجة وحمد بن عاشور وإبراهيم الرياحي وغيرهم.

جلس للتدريس بجامع الزيتونة منذ سنة ١٢٦٦هـ، وترقى في مناصب التدريس حتى عيّن سنة ١٢٨٣هـ مدرّساً من الطبقة الأولى، فدرّس كتباً عالية في علوم شتى تدريس بحث وتحقيق، لا يغادر عويصة أو عقدة إلا فتح مغلقها وأوضح مجملها بحيث يتعلّم الطالب من دروسه كيف تلتقط جواهر المعاني من أقوال المؤلفين زيادة عمّا يستفيده من العلم، فله مزية التحقيق والكشف عن أسرارها بوجه يدلّك عمّا له من سعة العارضة والغوص في أعماق المباحث إلى أبعد غاية.

(١) تونس وجامع الزيتونة ص ٧ - ٨.

(٢) تونس وجامع الزيتونة ص ٨.

كان نافذ الفكر في المباحث الغامضة قديرا على حلّ المسائل العويصة ولكنه لا يكتر من مناقشة المؤلفين وذوي الآراء، وإذا ناقش في عبارة أو رأي فبأدب واحترام.

وكانت عادته أن لا يورد بحثا أو جوابا عن اعتراض إلاّ بعد التثبيت والاستناد فيه إلى قاعدة مسلّمة، ومن هنا كان الغالب على أفهامه الاستقامة وإصابة المرمى، وإذا عثر على خلل لبعض المؤلفين التمس له المعذرة ما أمكنه وإلاّ قرّر وجه الخلل ونبه على مكانه بأدب ولطف في البيان.

وكان له عقل أشرب قوانين المنطق، فلا يروج عليه الزيف وإن صدر من عظيم أو خرج في زخرف من القول.

جرى على العناية بأمر التدريس وبذل المجهود في تحرير المسائل وتنقيحها بدون أن يعنى بأمر التأليف، إلاّ ما يقتبسه تلاميذه من تحريراته القيمة ويضعونه على حواشي نسخهم.

استمرّ على التدريس نحو من ستين عاما، وحضر الشيخ محمد عبده في زيارته الأولى لتونس سنة ١٣٠٠هـ درسا له فأعجب بقيمة الشيخ ابن عمر ودرسه أيّما إعجاب.

كان في طليعة الشيوخ الزيتونيين الذين انصرف نحوهم المصلح خير الدين معتمدا عليهم في برنامجه الإصلاحية الشامل لنواحي الرقي الاجتماعي كلّها، فانتخب سنة ١٢٧٨هـ عضوا في المجلس الأكبر ونائبا لرئيس المجلس الاعتيادي فظهرت له براعة فائقة في تطبيق القوانين، واصطفاه الوزير خير الدين لمعاضدته في إنجاز الترتيب المهمة التي نجمت عن عهد وزارته وفي مقدمتها تنظيم التعليم بجامع الزيتونة، فقد كان من أعضاء اللجنة التي سنّت القانون.

وبصفته تلك باشر تحرير بعض الفتاوى المنشورة بالرائد - الجريدة الرسمية للدولة - وشرح ما انغلق من المشاكل والتوقفات المعروضة على المجلس، وشارك في وضع القوانين وفي تطبيقها نظريًا ثم عمليًا لما أيطت بعهدته خطة رئاسة القسم التونسي من «المجلس المختلط العقاري» وكان

أول رئيس لهذا المجلس عند إحدائه، وكان بسبب ذلك محلّ إعجاب وتقدير المصلح خير الدين، ثمّ شارك في لجنة النظر في لائحة مجلة العقود والالتزامات التونسية الصادرة سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م - التي تفوّقت في صياغتها على مجلة الأحكام العدلية العثمانية - بأسلوب أعجب به أساتذة الحقوق في الجامعات الأوروبية.

قلّد سنة ١٢٩٠هـ خطة قاضي باردو - قاضي الجيش -، ثمّ سمّي سنة ١٣٠٨هـ مفتياً مالكيّاً فنهض بأعبائها وامتاز بالبراعة في تطبيق الأصول على الفروع.

دام الشيخ على تقدّم سنّه مضطّعا بالأعباء الشاقة اضطلاع الشباب، فكان وقته موزعاً بين أشغال إدارة التعليم بالجامع، والنظر في نوازل المحكمة الشرعية ونوازل المحكمة العقارية وتحرير التقارير المستفيضة والتدريس بالجامع بما عهد منه من التدقيق وسعة البحث إلى أن سنة ١٣٢٥هـ حيث بلغ ما ينيف على الخمسة والثمانين سنة، فاستعفى من وظائفه جميعاً إلّا من التدريس الذي كان يراه عنوان قيمته وأشرف تكاليفه.

وبقي على خطة التدريس لكنه لا يباشرها لشيخوخته، وقد أبت له همّته العالية أن يقبل مرتّب التدريس عن غير مباشرة فكان متخليّاً عن مرتبه ليضمّ إلى مداخيل المباشرين للتعليم بالجامع تطوّعا، ولثلاً تنقطع بينه وبينهم هذه العوائد فقد قام بتحسيس أملاك ذات بال على متطوعي الجامع الأعظم لا يزال أجره بإذن الله غير منقطع بها وبالعلم الذي بثّه في صدور الرجال^(١).

* أبو عبدالله محمد بن عثمان النجار (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م - ١٣٣١هـ/١٩١٣م):

(١) تونس وجامع الزيتونة ص ٣٠ - ٣١، و ١١٢ - ١١٦، تراجم الأعلام للشيخ الفاضل ابن عاشور ص ١٦٣ - ١٧٢، شجرة النور الزكية ص ٤٢٠ - ٤٢١، تاريخ معالم التوحيد ص ٦٢، ١٠٢، ١٣٧، تراجم المؤلفين التونسيين ٢١٣/٣ - ٢١٨، أعلام من الزيتونة ص ٤٥ - ٥٤، العلماء التونسيون لأرنولد هـ قرين ص ٣٢٩.

دخل جامع الزيتونة سنة ١٢٧٠هـ وتلقّى العلم عن والده الذي كان له مزيد اختصاص بالعلوم الحديثة، ثم عن خاله المفتي محمود قبادو النابغة الإفريقي وعن أعيان علماء عصره مثل شيخي الإسلام محمد معاوية وأحمد بن الخوجة، وكبير الشورى المالكية الشيخ محمد الشاذلي بن صالح، والمشائخ المفتين: محمد النيفر الأكبر ومحمد الطاهر بن عاشور وسالم بو حاجب وعمر بن الشيخ وغيرهم.

تولّى التدريس بجامع الزيتونة، وفي عام ١٣١٢هـ تولى منصب الإفتاء، فكان يجمع بين الفتوى والتدريس بجامع الزيتونة حتى توفي.

ذكر تلميذه محمد الخضر حسين: أنه كان واسع الاطلاع غزير العلم، ذا ذاكرة لا تخونه فيما يستودعها إياه من علم، تحريراً في العلوم التي تدرّس في جامع الزيتونة في درجات متساوية أو متقاربة، لم نر له في سعة الاطلاع والمحاضرة بالعلوم على اختلاف فنونها من نظير، شديد الاستقصاء لما يقرّره الكاتبون، كثير العناية بنقد ما يوردونه من الآراء، وكان يحبّ البحث ويتلقّى مناقشة الطلاب بصدر رحب.

ترك مصنفات كثيرة، منها: مجموع الفتاوى، وكتاب بغية المشتاق في مسائل الاستحقاق، جمع فيه ما تفرّق من مباحث هذا الكتاب وحرّر فيه أحكام النوازل التي تعرض بالقطر التونسي كثيراً، وله محررات فقهية كتبها بمناسبة ما يعرض من النوازل الهامة بالمحكمة الشرعية، وله تأليف ممتع في رؤية الهلال سمّاه تحرير المقال في أحكام رؤية الهلال، حرّر في أثناء بحثه مسائل فقهية وأصولية وفلكية^(١).

* أبو العباس أحمد ابن الخوجة الثاني (١٢٤٥هـ/١٨٣٠م -

(١) تونس وجامع الزيتونة ص ٣١، ٩٧ - ٩٩، شجرة النور الزكية ص ٤٢١ - ٤٢٢، تاريخ معالم التوحيد ص ١٣٣، ٣٤٢، ٣٤٦، تراجم المؤلفين التونسيين ١٦/٥ - ١٨، العلماء التونسيون ص ٣٧٤.

١٣١٣هـ/١٨٩٦م): نشأ في حجر علم وفضل، فقرأ على والده شيخ الإسلام محمد بن أحمد ابن الخوجة، وبلغ من عناية والده به أنه كان إذا خطرت في باله مسألة من مسائل العلم وهو في سريره، ينبّه ابنه من النوم ويلقيها إليه لئلا يفوت الابن أخذها عن أبيه.

دخل الزيتونة عام ١٢٥٨هـ فتلقى العلم عن عمّه حسن بن الخوجة وعن الشيوخ حسين البارودي وإبراهيم الرياحي وابن ملوكة ومحمد بن عاشور ومحمد بن سلامة ومحمد النيفر والشيخ معاوية وغيرهم، وأجاز له شيخ الإسلام بيرم الرابع.

تقدّم للتدريس بجامع الزيتونة وهو دون العشرين من عمره، فبهر العقول بتحقيقه وبراعة أسلوبه، ثم وقع ترسيمه مدرّساً رسمياً سنة ١٢٦٦هـ.

كان درسه مورداً لأذكياء العلماء، حسن النظر في مذاهب السياسة الشرعية، حرّر من الفتاوى الكثير، وكان يصوغها على طريقة النظر المستقلّ، فيطبّق الأصول والقواعد على الوقائع مع رعاية المصالح ومقتضيات الأحوال، ويجمع في أكثرها بين المذهبين الحنفي والمالكي.

ودأب على هذا المسلك البديع خمسة وأربعين عاماً تناول فيها تدريس أهمّ الكتب المتداولة بتدريس الجامع.

ولي القضاء الحنفي سنة ١٢٧٧هـ، فقام بأعباء هذه الخطة بما اقتضاه علمه الجزيل وذكائه الأصيل في فهم حقائق النوازل وحسن إجرائها وتنزيل النصوص الفقهية على وقائعها تنزيلاً محكماً، ثم نقل إلى الإفتاء سنة ١٢٧٩هـ، فظهرت قيمته العالية ومداركه النادرة فكان نسيج وحده في فقه الفتوى بما أوتي من الذكاء ونفاذ البصر في القضايا المسؤول عنها، وما اكتسب من الضلاعة في علم أصول الفقه ضلاعة يستطيع بها تحقيق مناط الحكم ودفع التعارض بين النصوص وترجيح الأولى منها بالانطباق على واقعة الحال.

فصدرت بهذا الأسلوب الفتاوى المحرّرة البديعة حتى توجهت إليه الأنظار في المشكلات وتناولت إليه الرقاب في الخفيات، وتعدّت شهرته حدود القطر إلى ما وراءها من بلاد الإسلام وعاصمة الخلافة، حتى طبقت شهرته العالم الإسلامي فأصبح يقصد بالاستفتاء من أقطار المغرب والمشرق ويتراجع مع أعظم فقهاء الحنفية في عصره فتاواهم واستشكالاتهم فيتلقون تحقيقاته وتنزيلاته بالإذعان والإيقان.

وقد تكوّن له من هذا المقام الفقهي العلمي مقام اجتماعي سياسي، وذلك أنّ بصيرته الحادة في تفهّم النوازل العارضة ونظره العميق في أسرار النصوص الشرعية وإحاطته بأنظار أعلام فقهاء الإسلام على اختلاف مذاهبهم قد فتحت لنظره مناهج الوصول إلى إدراك ما كان أغلب الفقهاء بمعزل عن إدراكه من تطوّرات الحالة الاجتماعية والسياسية لبلاد الإسلام وما تقتضيه الأحكام الشرعية في تلك الأطوار من الأخذ بالتنظيمات المبنية على مراعاة أصول لم تجر تقاليد الحكومات الإسلامية بمراعاتها، ولكن قواعد الشريعة الإسلامية لا ترى في مراعاتها بأسا.

وعلى هذه النظرية تفرّعت تحريرات عديدة للشيخ ابن الخوجة في تأييد الإصلاحات التي أدخلها السلطان عبدالمجيد على هيكل الحكومة العثمانية وبيان أصول الشريعة في علائق المسلمين بغيرهم ونظام الشورى وأصول الحرية، إلى غير ذلك من مهمّات الأمور التي لم يزل علماء الشرق يومئذ عن إدراك كنهها بمعزل.

وكان الشيخ ابن الخوجة في طليعة العلماء الذين اعتضد بهم خير الدين في سبيل إنجاز برنامجه الإصلاحي حيث شارك مشاركة محسوسة في تأسيس نظام جمعيّة الأوقاف وفي إصلاح ترتيب التدريس بجامع الزيتونة وفي تأسيس المدرسة الصادقية، وكان الوزير خير الدين يعرف له منزلته الفائقة ويقرّ له من الأثر في تلك المؤسسات الخالدة.

وفي سنة ١٢٩٤هـ/١٨٨٠م أسندت إليه مشيخة الإسلام، فقرّب مقامها

من منازل التأثير في سير الأمور العامة حتى كان أول من اشتهر بلقب شيخ الإسلام^(١).

* محمد الخضر حسين النفطي الجريدي التونسي (١٢٩٣هـ/١٨٧٤م - ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م): ولد بنفطة بالقطر التونسي من أسرة علم وصلاح، ودخل الزيتونة سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٧م ونبغ في العلوم، فطلب لتولي بعض الخطط العلمية قبل إتمام دراسته لكنه أبى وواظب على حضور دروس أكابر العلماء مثل عمر ابن الشيخ ومحمد النجار وسالم بو حاجب حتى نال درجة العالمية، ونظم الشعر في سنّ الثانية عشر حتى انتهى بإصدار ديوان: خواطر الحياة.

أنشأ سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م مجلة السعادة العظمى، وهي أول مجلة أنشئت بالمغرب، ولقي في سبيل بثّ رأيه الإصلاحية ما يلقاه كلّ من سلك هذا السبيل، وقد كانت خطته الإصلاح الاجتماعي والديني والعمل لإعادة مجد الإسلام، غير أنّ صدورها لم تدم إلا عاما ناقصا.

ولي قضاء بنزرت سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، والتدريس والخطابة بجامعها الكبير، ثمّ رجع إلى العاصمة وتطوّع للتدريس بجامع الزيتونة، وفي سنة ١٣٢٥هـ أصبح مدرّسا بالصادقية وكلف بالخطابة بالخلدوتية.

سافر سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م إلى الشرق فدخل مصر وفلسطين ودمشق - وكان بها أخوه زين العابدين - وبيروت واسطنبول - وكان بها خاله الشيخ المكّي بن عزّوز - ورجع إلى تونس في نفس السنة، ثمّ هاجر في العام الذي يليه فاستوطن دمشق، وهناك نصّب للتدريس في المدرسة السلطانية في كرسي الشيخ محمد عبده - وكانت سوريا لا تزال تحت سلطان العثمانيين - ثمّ اعتقل بتهمة كتم حال المتأمّرين على الدولة، ثمّ أطلق سبيله

(١) تراجم الأعلام ص ٩٣ - ١٠١، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٣٧٣ - ٣٧٧ كتاب العمر ٩٤٦/٢ - ٩٤٧، تراجم المؤلفين التونسيين ٢/٢٤٤ - ٢٤٧، تاريخ معالم التوحيد ص ١٩٢، ٣٤٢، فهرس الفهارس ١/٣٨٣ - ٣٨٤، الأعلام ١/٢٣٥، معجم المؤلفين ٢/١٠٠، العلماء التونسيون ص ٣٢١ - ٣٢٢.

بعد أن ثبتت براءته، فاضطرَّ للخروج إلى الآستانة وتولى فيها الوعظ بجامع الفاتح وعيّن منشئاً عربياً بوزارة الحرب، وحين احتلّها الحلفاء رحل مع زعماء الحركة الإسلامية وعاد إلى دمشق سنة ١٩١٨م ولما بسطت فرنسا نفوذها على سوريا سنة ١٩١٩م ترك دمشق إلى القاهرة.

أقام بقية عمره في مصر ورقى فيها إلى أعلى المناصب، وفي القاهرة أتيح له أن يقاوم حركات التغريب بدعوته إلى إنشاء جمعية الشبان المسلمين، وأنشأ بعد ذلك جمعية الهداية الإسلامية، وكانت مجلته الهداية الإسلامية وقلمه من السنة الدفاع عن المغرب وقضاياها، ورسولا قويا يستصرخ المشاركة.

واتصل بالأزهر ونال إجازته وعمل في كلياته واختير عضوا في جماعة كبار العلماء ثم شيخاً للأزهر عام ١٩٥٢م وعضوا في مجمع اللغة العربية.

أثرى المكتبة الإسلامية بعناوين كثيرة، منها: أسرار التنزيل، ورسائل الإصلاح والشريعة الإسلامية وتونس وجامع الزيتونة وترجم الرجال وبلاغة القرآن وغيرها كثير.

وله كتابات جرد فيها الشيخ قلمه للدفاع عن قضايا الإسلام المعاصرة، قرع فيها الحجّة بالحجّة وردّ على الدليل بالدليل فكان مثال العالم المحقق، وهذه الكتب هي: نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلّي عبدالرازق، والكتاب أجود دراسة فكرية كتبت ضدّ كتاب عليّ عبدالرازق، وله نقض كتاب في الشعر الجاهلي لطف حسين، والكتاب أشدّ الكتب حجّة ضدّ طه حسين، وله نقد طويل لكتاب الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن لمحمد أبي زيد الدمنهوري، وردّ الشيخ الخضر يعتبر من المراجع العالمية التي أثرى بها المكتبة الفقهية الإسلامية، وله نقد علمي ردّ به على مقال لأحد العلماء يتعلّق بالحدود في الإسلام.

وهكذا كان رحمه الله يرصد كلّ الانحرافات الفكرية التي يراد إلحاقها بالإسلام فلم يكفّ عن ملاحقة أصحابها والردّ عليهم ردودا علمية في

حدود النقد النزيه الذي يخدم الفكر والعلم^(١).

* محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦هـ/١٨٧٩م - ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م):
من بيت آل عاشور الأشراف الأندلسيين، التحق بجامع الزيتونة سنة
١٣١٠هـ/١٨٩٣م فتابر على تعليمه حتى أحرز شهادة التطويح سنة
١٣١٧هـ/١٨٩٩م، وفي سنة ١٣٢٠هـ نجح في مناظرة التدريس من الرتبة
الثانية وتولّى التعليم بصفة رسمية بالجامع الأعظم، وارتقى سنة
١٣٢٤هـ/١٩٠٥م بمناظرة إلى التدريس من الرتبة الأولى.

كان يستمرّ في إلقاء درسه بدون انقطاع مدة تربو على الساعتين لا
يرجع إلى ورقة ولا إلى كتاب في أسلوب عميق من الدرس والتحقيق
يناقش المؤلفين والمفسرين والشرح وأصحاب الآراء ويقرّع حججهم بحجّته
ويردّ تخريجاتهم بأدلة يلقيها وينسج برودها ويصقلها صقلا وينسبها إلى
مراجعتها وأصولها ومطائنها وكأنّه قد طالها منذ لحظة من كتاب بين يديه.

سمّي سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م نائبا عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة
العلميّة فابتدأ أعماله بإدخال نظم مهمّة على التعليم بحسب ما سمح به
الحال، وحرّر يومئذ لائحة في إصلاح التعليم وعرضها على الحكومة
فأمكن تنفيذ شيء منها.

ولمّا تأسست لجنة النظر في تنقيح برنامج التعليم سنة
١٣٢٩هـ/١٩١١م كان الشيخ ابن عاشور عضوا في هذه اللجنة وهو الذي
تولّى تقرير حالة التعليم، وكان الاعتماد على لائحته المشار إليها آنفا.

قدّم لائحة في بعث تعليم ابتدائيّ إسلاميّ منظمّ في خمس مدن من
مدن القطر التونسي، وهي: القيروان وسوسة و صفاقس وتوزر وقفصة.

(١) أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ص ١٧٣ - ١٧٦، أعلام
الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٣٧٨ - ٣٨١، محمد الخضر حسين: شيخ
الأزهر الأسبق، لمحمد كزّو تراجم المؤلفين التونسيين ١٢٦/٢ - ١٣٥، شيوخ
الزيتونة في القرن الرابع عشر الهجري ص ٥١ - ٧٣، العلماء التونسيون ص ٣٢١.

وفي سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م أسندت إليه خطة القضاء المالكي بعاصمة تونس، ودخل في هيئة النظارة العلمية التي تدير شؤون جامع الزيتونة، ووقع الاعتماد عليه في إصلاح حال التعليم بجامع الزيتونة وترقيته.

وفي سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٣م سمي مفتيا مالكيًا بالديار التونسية، ثم باش مفتي - رئيس المجلس الشرعي المالكي - سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ثم شيخ الإسلام المالكي وشيخ الجامع الأعظم سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، ثم فصل عن هذه الخطة بسبب دسائس خصومه ومنافسيه وما أبداه وحاوله من إصلاح غاض به المحافظين من شيوخ الزيتونة، وأبدوا معارضة صريحه لبرنامج الإصلاح، ثم عاد إلى مباشرة مهامه على رأس مشيخة الجامع الأعظم من سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م إلى سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

أسرع منذ توليته مشيخة الجامع الأعظم وفروعه في أوائل عام ١٩٤٥م إلى الاهتمام بدرس الرغبات الزيتونية والكشف عن المرامي المنطوية عليها والأهداف الساعية لتحقيقها فصار بطريق التدرج لبلوغ الهدف المنشود لها من الرقي والرفعة من الناحيتين العلمية والإدارية بما يحق للجامعة الزيتونية أن تفاخر به أرقى المؤسسات العلمية النظامية بالعالم الإسلامي آنذاك.

وبإثر استقلال البلاد عيّن عميداً للجامعة الزيتونية من سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م إلى سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

كانت بينه وبين الشيخ محمد الخضر حسين صداقة نادرة، بلغت في صفائها وامتانتها الغاية التي ليس بعدها غاية، وكان الشيخ محمد الخضر يقول: ليس إعجابي بوضاعة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم.

ترك الشيخ الطاهر ما يناهز الأربعين مؤلفاً، تنوّعت بين التفسير والحديث والمقاصد، والأدب واللغة، كما شملت الدراسات الإسلامية فضلاً عن المقالات التي كتبها في الصحف والمجلات بتونس والقاهرة ودمشق، فصنّف تفسير التحرير والتنوير الذي أمضى في تحريره حوالي

أربعين سنة، وله النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح وكشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، وله الأمالي على مختصر خليل في الفقه وحاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح في أصول الفقه، ومقاصد الشريعة الإسلامية التي انفرد بها بعد العزّ بن عبدالسلام والشاطبي، وغير ذلك من المؤلفات الغزيرة.

وله فتاوى عديدة في العبادات وفي شؤون الأسرة وفي الشؤون العامة صدرت في المجلات - المجلة الزيتونية والهداية التونسية والهداية المصرية ومجلة المنار لرشيد رضا - وفي الجرائد - الزهرة والنهضة والوزير والعصر الجديد والعمل والصبح^(١).

* محمد العزيز بن يوسف جعيط (١٣٠٣هـ/١٨٨٦م - ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م): اعتنى به والده، ولما اشتدّ عوده انخرط في سلك التعليم بجامع الزيتونة الأعظم، وتحصّل على كلّ الشهادات العلميّة التي يمنحها هذا المركز العلمي إلى أن سمي أستاذاً به عند إحداث هذه الخطة سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م.

تلمذ على شيوخ كبار منهم: ابن عمّه محمد بن حمّودة جعيط وسالم بو حاجب ومحمد الخضر حسين.

تولّى العديد من الوظائف بدءاً بخطة التدريس بالجامع الأعظم منذ عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، ثمّ مدرّساً بالمدرسة الصادقية سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، وتقلّد منصب الإفتاء المالكي سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٩م، وسمّي سنة

(١) تونس وجامع الزيتونة ص ١٢٣ - ١٢٦، التقويم الذهبي التونسي ص ٢، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور للشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة ١٥٣/١ - ١٧٢، وما بعدها، تراجم المؤلفين التونسيين ٣/٣٠٤ - ٣٠٩، أعلام من الزيتونة ص ١٢٧ وما بعدها، ٢٤٠ وما بعدها، شيوخ الزيتونة في القرن الرابع عشر الهجري ص ٩٨ - ١٠٦، محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه لإيتاد خالد الطّبّاع، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور لبلقاسم الغالي، العلماء التونسيون ص ٣٣٠.

١٣٥٨هـ/١٩٣٩م شيخاً للجامع الأعظم وفروعه وفي سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م سمي شيخ الإسلام المالكي.

ثم كلف سنة ١٣٧٦هـ/١٩٤٧م بوزارة العدل مع بقائه في خطة مشيخة الإسلام، وسمي عند الاستقلال مفتياً للديار التونسية إلى سنة ١٩٦٠م.

حاضر ودرّس وألف المؤلفات ونشر الفتاوى وأسهم في ترشيد وتنظيم القضاء التونسي بفرعيه الشرعي والعدلي فوضع المجلات وسنّ القوانين.

جمع الأستاذ محمد بوزغيبه فتاواه وحققها، أثناء إعداد رسالة علمية حول الشيخ جعيط وفقهه، كان قد أصدرها الشيخ على مدى ثلاثين سنة - ما بين ١٩٢٩ و ١٩٦٠ - تتناول مسائل العبادات والمعاملات والآداب والسلوك، وتعالج قضايا تتعلق بأحكام الأسرة والتأمين وكثير من المسائل الحوية التي لم تفقد حيويتها حتى اليوم.

وهي حافلة بالأدلة الشرعية.

أسهم في الحياة العلمية والاجتماعية لوطنه لا بوظائفه وبفتاواه فحسب، وإنما كذلك بالتحليل في مجالات مختلفة بل وبإصداره مجلتي: الإجراءات الشرعية والأحكام الشرعية.

من بين إصلاحاته الجريئة التقنين الذي أحدثه، حيث أصدر مجلتي شرعيتين: مجلة الإجراءات الشرعية ومجلة الأحكام الشرعية التي أعدها سنة ١٩٤٨م وبعد أن كوّن لجنة للنظر في مسودة هذه المجلة، ووقعت العديد من الجلسات، همّش المستعمر هذا المشروع.

كانت له مواقف سياسية رائدة، خاصة فيما عرف بتونس في الثلاثينات بحوادث التجنيس، حيث تحدّى السلطة الفرنسية وعاضد الحركة الوطنية وأكد يومها أنّ المتجنّس مرتدّ، لا يدفن في مقابر المسلمين إلا إذا تاب وأعلن إسلامه مجدّداً، وكان الشيخ آنذاك أحد أعضاء المجلس

الشرعي المالكي الذي أعلن أنه يتعين على المتجنس التائب عند حضوره لدى القاضي أن ينطق بالشهادتين مجدداً، ويصرّح بأنه يتخلّى عن الجنسية التي اعتنقها، وزاد الشيخ جعيط شرطاً: وينبغي أن تتمثل توبة المتجنس في الإقلاع عن الامتيازات التي تحضّل عليها بموجب جنسيته الجديدة.

وفي فجر الاستقلال صرّح أحد القادة البارزين أن تونس ستكون دولة لائكية في نظامها بعد الاستقلال، فأنكر الشيخ محمد العزيز جعيط على قيام دستور لائكي تساس به البلاد التونسية وصرّح بلزوم التنصيص في الدستور على أن تكون الحكومة إسلاميّة ودينها الإسلام، وكتب مقالاً في المجلة الزيتونيّة بعنوان: الإسلام دين ودولة وقوميّة.

ولمّا وقع إثر الاستقلال توحيد القضاء وأدمجت المحاكم الشرعية بقضاتها وسائر موظفيها في إطار محاكم الحقّ العام سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م اختار الشيخ جعيط الإحالة على المعاش، ونظراً لما كان يتمتع به الشيخ من علم واسع وثقة عزّ نظيرها خيّرتة الحكومة الأولى سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م - في عهد الاستقلال - أن يكون الرئيس الأوّل لمحكمة التعقيب - أي القاضي الأوّل لكافة المحاكم الموحدة الشرعيّة والعدليّة - إلاّ أنّه أحجم عن مباشرة هذا المنصب ولازم بيته، فوقع التفكير في إحداث خطّة المفتي وإسنادها إليه، فصدر سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م أمر إحداث منصب مفتي الديار التونسية، وأسندت إلى الشيخ جعيط، فاستمرّ على مباشرة الإفتاء حتّى أقال منها سنة ١٩٦٠^(١).

* محمد الفاضل بن عاشور (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م - ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م):

من أبرز ثمار الزيتونة ونوابغها ومن أعلام الثقافة والفكر في الغرب

(١) فتاوى شيخ الإسلام محمد العزيز جعيط ص ١ - ٦، و ١٩ - ٢٦، تراجم المؤلفين التونسيين ٣٧/٢ - ٤١، أعلام الزيتونة ص ٢٧١، ٢٩٢، ٢٩٨ شيوخ الزيتونة ص ٩٣ - ٩٧، العلماء التونسيون ص ٣٥٣.

الإسلامي خاصة وفي العالم الإسلامي عامة، كان من عائلة علم ومن بيت فقه ورئاسة، فقد انخرط والده في خطط شرعية مختلفة وسبقه في ذلك أجداده فتسّموا ذرى المجد الشرعي، وعرف عمّاه منصّات الحكم والقضاء والدفاع.

ابتدأ القراءة في سنّ السادسة، وكان في سنّ العاشرة قد أعاد حفظ القرآن سلكة ثانية وابتدأ تعلّم اللغة الفرنسيّة على معلمين خصوصيين في ساعات معيّنة بالمنزل.

وابتدأ في سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م قراءة دروس في مبادئ القراءة والتوحيد والفقه والنحو في مسجد مجاور لبيته، وفي آخر السنة التحق بالتعليم الزيتوني، فنجح في التطويح سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م وانتسب إلى كلية الآداب بجامعة الجزائر عام ١٩٣١م ونجح سنة ١٩٣٢هـ في المناظرة وسمّي مدرّساً، وكان قد اتّصل بالصحافة منذ عام ١٩٢٨م.

تقلّب في مناصب التدريس بالزيتونة إلى أن أصبح مدرّساً من الطبقة الأولى سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م واستمرّ على التدريس بتلك الصفة حتى سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، ثمّ ابتدأت رحلته في الخطط الشرعية فولّي مفتي المالكية بالمحكمة الشرعية سنة ١٩٥٣م، ثمّ انتخب سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م لقضاء الحاضرة، هذه الخطة التي شغلها قبله جدّه محمد الطاهر بن عاشور الأوّل، ثمّ والده محمد الطاهر بن عاشور.

وبعد ما يقرب من ستّة أشهر وقع توحيد القضاء وأدمجت المحاكم الشرعية بقضاتها وسائر موظّفيها في إطار محاكم الحقّ العام على إثر الاستقلال، فسمّي الشيخ الفاضل رئيس دائرة بمحكمة التعقيب، واستمرّ على رئاستها مدّة أربع سنوات وخمسة أشهر.

وفي سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م سمّي عميدا للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، ثمّ مفتيا للجمهورية التونسية سنة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، مع بقاء مباشرته لعمادة كلية الشريعة بعد أن رفض تولّي الإفتاء مقابل التنازل عن العمادة، ودام مباشراً للخطين مدة ثمانية أعوام حتى اختاره الله لجواره.

درّس بالمدرسة التونسية للحقوق - التي أدمجت سنة ١٩٧٢م في كلية الحقوق - فكان الشيخ الفاضل يحاضر فيها عن التشريع الإسلامي.

طاف البلاد شرقا وغربا، فدخل مصر والحجاز والجزائر والشام وليبيا والمغرب الأقصى، وزار فرنسا والنمسا واليونان ويوغسلافيا وبلغاريا، واشترك في مؤتمر المستشرقين باستانبول عام ١٩٥١ م، ونظّم أناشيد للشبان إبان الأزمة القومية سنة ١٩٣٩م تحديا لمحاولة الحكومة الفرنسية فرض أناشيد أجنبية على طلبة المدارس.

وأهم ما كان يؤثر في الحركة الاجتماعية بتونس في عهد شبابه هو نهضة الأمم الإسلامية نهضة شعبية بعد سقوط الخلافة العثمانية لتحقيق آمال الخلاص اعتمادا على الكفاح الشعبي.

كان آية إعجاب في المحافظة على ما يطالع وخزنه عنده، يرجع إليه في محاضراته العلمية والأدبية المرتجلة في الكلية والمحافل والمجامع والجمعيات والإذاعة داخل تونس وخارجها.

كتب في التاريخ وترجم لأصناف من الرجال الفقهاء، وترجم للأدباء ولرجال السياسة، وكتب دراسات مستفيضة جامعة، ونشر كتابه الحركة الأدبية والفكرية في تونس الذي أرّخ به لنهضة الفكر والأدب في تونس منذ عام ١٨٨١ إلى منتصف القرن العشرين^(١).

- ٢ - المغرب الأقصى:

وأما بالمغرب الأقصى فنذكر:

* أبو محمد عبدالقادر بن عبدالكريم الورديني الشفشاوني

(١) مقدمة كتاب تراجم الأعلام للشيخ الفاضل بن عاشور - ترجمة لنفسه في حديث أجرته معه مجلة الندوة -، الحركة الأدبية والفكرية في تونس للشيخ الفاضل بن عاشور - نفس الحوار مع الشيخ - تراجم المؤلفين التونسيين ٣/٣١٠ - ٣١٤، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ص ١٧٧ - ١٧٨، أعلام من الزيتونة ص ١٣٠، أعلام من الزيتونة ٢٨٤ - ٣٠٠.

(١٣١٣هـ): صاحب كتاب سعد الشموس والأقمار وزبدة شريعة النبي المختار في المذاهب الأربعة الذي سلك فيه مسلك كتاب القوانين الفقهية لابن جزى المالكي، وصاحب كتاب شمس الهداية لتذكار أهل النهاية وإرشاد أهل البداية، وهو في القضاء على المذاهب الأربعة وغيرهم من المذاهب ذوي الأحكام المتبعة^{(١)(٢)}.

* جعفر بن إدريس الكتاني الحسني (١٣٢٣هـ): من علماء فاس وحامل راية المذهب المالكي على كاهله، وبيته بفاس معروف بالصلاح والعلم، كان كثير التصنيف والتقييد حتى قاربت مؤلفاته المائة، بقي مدة وعليه المدار في النوازل والأحكام وإلى قوله المرجع.

توفي بفاس عن نيف وأربعين سنة، ولمّا بلغت وفاته أهل مكة المكرمة صلّوا عليه بالمسجد الحرام صلاة الغائب، وخلف عدّة أولاد كانوا أوطاد العلم، درّسوا من بعده وأفتوا.

* أبو عبدالله محمد المهدي بن محمد بن خضر الحسني الوزاني الفاسي (١٣٤٢هـ): مفتي فاس وفقهها العارف بمدارك الأحكام والنوازل ومسائل المذهب، وصاحب التأليف والرسائل العديدة، منها: حاشية على شرح التاودي على التحفة، والنوازل جمع فيها فتاوى المتأخرين من علماء المغرب، والمعيار جمع فيه فتاوى المتأخرين والمتقدمين، وشرح العمل الفاسي.

كان مفتيا مقصودا في المهمات من سائر الجهات، أقرأ العلوم وانتفع به الكثير من الفضلاء^(٣).

* أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر الزكاري المعروف بابن الخياط الفاسي (١٢٥٢هـ - ١٣٤٣هـ): كان من وعاء الفقه المالكي

(١) شجرة النور الزكية ص ٤٣١ - ٤٣٢.

(٢) فهرس الفهارس ١/١٨٧ - ١٨٨، شجرة النور الزكية ص ٤٢٣.

(٣) شجرة النور الزكية ص ٤٣٥ - ٤٣٦.

وحملته العارفين بأصوله وفروعه، خاتمة علماء فاس.

أدرك شيوخ أواخر القرن الثالث عشر وأخذ عنهم قراءة وسماعاً^(١).

* محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي (١٢٩١هـ/١٨٧٤م - ١٣٧٦هـ /): بدأ تعليمه في سنّ السابعة فكان يتلقى القرآن الكريم على الفقيه محمد بن عمر السوداني حفيد الشيخ التاودي الشهير، ثم دخل سنة ١٣٠٧هـ القرويين فدرس على جلة الشيوخ.

وفي سنة ١٣١٦هـ ابتدأ في إلقاء الدروس بعدما أذن له بعض شيوخه، ولم تكن القرويين تعرف إذ ذاك امتحانا وإنما كان يقوم مقامه إذن شيوخها الكبار لتلاميذهم في التدريس، ثم تتوزع الشهرة والإقبال بقدر طول الباع.

اشتغل في التجارة في غير أوقات الدروس تديبا، ودخل معترك الحياة وقرع باب السياسة وتقلب في وظائف سامية عديدة، ثم استعفى سنة ١٣٢٣هـ وأقبل على نشر العلم بفاس والاشتغال بشيء من التجارة تكفيا بها عن كلّ وظيف إلى سنة ١٣٣٠هـ، وعرضت عليه أثناء مدة الإعفاء وظائف مهمة فأعرض عنها اختيارا للسلامة.

وفي سنة ١٣٣٠هـ سمي نائب الصدارة العظمى في وزارة العلوم والمعارف، فقبله رجاء النفع ونشر العلم.

وفي سنة ١٣٣٢هـ باشر تنظيم المجلس التحسيني لإصلاح التعليم بالقرويين، فأسس هذا المجلس وألف قوانينه التحسينية لكن الكثير من الشيوخ نفروا عن ذلك فاستعفى وعاد من حيث أتى، فرجع من الرباط إلى فاس للإقبال على الدرس والتأليف والتكفي بشيء من التجارة.

وفي سنة ١٣٣٩هـ عاد لوظيفة نيابة الصدارة العظمى فبتّ روح

(١) شجرة النور الزكية ص ٤٣٦.

النهضة في مدارس التعليم، بإحياء العلوم المدروسة والتشبع من علوم العصر.

بلغت تأليفه أكثر من خمسين بين مطوّل ومختصر، أكثرها شهرة كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي^(١).

- ٣ - ليبيا:

وبالقطر الليبي برز الكثير من أعلام الفقهاء الذين كانت لهم اليد الطولى في تثبيت هذا القطر على عروبه وثقافته ، فكان من هؤلاء:

* حسين بن محمد بن عبدالكريم النائب الأوسي الأنصاري (١٢٢٣هـ - ١٢٩٨هـ): نشأ بطرابلس، وقرأ العلوم على أعلام عصره، وشيوخ مصره، رحل إلى تونس ولقي الشيخ إبراهيم الرياحي وحلبته، ثم رحل إلى مصر، ونال بها علماً وافراً.

برع في العلوم الشرعية، وكان له تصرّف في شتى الفنون، واليد الطولى في سائر العلوم، وتمكّن من الفقه، وتقدّم في معرفة المفروض والمسنون، وولّي النيابة الشرعية بنفس الثغر، وسار فيها بسيرة مرضية ناهيك من عدل أظهر، ومن فضل به اشتهر^(٢).

* محمد بن عبدالرزاق بن عبدالرحمن بن عزّ الدين اليشتي (١٢٣٦هـ - ١٣١٠هـ): تلقى العلم ببلده، ثمّ رحل إلى الأزهر سنة ١٢٦٧هـ ومكث هناك أربع سنوات، ثمّ رجع إلى مدينة الزاوية وتولّى التدريس فيها.

كان مثالا للجدّ في الدرس، وأخلص للعلم فانقاد له، وبذل النصح لتلامذته ففتح الله على يديه مغاليق قلوبهم.

(١) ترجمة لنفسه من إنشائه في كتابه الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ٩/١ - ٢٣.

(٢) أعلام ليبيا ص ١٠٠ - ١٠١.

كان أول شيخ ينشر العلم بمدينة الزاوية نشرًا لم يسبق له مثيل، فهو معلّمها الأول، وأستاذها الأكبر، وكلّ من جاء بعده فهو تلميذه مباشرة أو بالواسطة.

تولّى الإفتاء بمدينة الزاوية، فكانت الأمور تنتهي إليه في كلّ ما يتعلّق بها علماً وسياسة، وكان ربّما يحتاج إليه الأمر في مركز الحكومة، وهو مشغول بقراءة الدرس، فيبقى الرسول في الانتظار إلى حين إنهاء الدرس وختمه^(١).

* أحمد بن محمد بن سالم بن أحمد بن رمضان بن مسعود (١٢٤٢هـ - ١٣١٥هـ): من علماء زليطن، كان علامة محققاً، أخذ على علماء زليطن، ثمّ رحل إلى الأزهر لطلب العلم، وأخذ عن الشيخ محمد عليّش شيخ المالكية، والشيخ حسن العدوي، وأحمد السنهوري، وإبراهيم السقا، وغيرهم من أفاضل العلماء حتى برع في العلوم الأزهرية منقولها ومعقولها.

عاد إلى بلده سنة ١٢٧٧هـ واشتغل بتدريس العلم دراسة تحقيق وتدقيق، وأسند إليه قضاء زليطن الشرعي، ف قضى حياته بين خدمة العلم، وفصل النزاعات^(٢).

* محمد كامل بن مصطفى (١٢٤٤هـ/١٨٢٨م - ١٣١٥هـ/١٨٩٧م):

كان عالماً فقيهاً، حفظ مذهب أبي حنيفة في وقت لم يكن له في طرابلس علماء أفذاذ وكاد أن ينقرض من طرابلس.

حفظ القرآن الكريم بمدينة الزاوية وأتمّه إجازة وتجويداً قبل السادسة عشرة، رحل إلى طرابلس فدرس بها ثلاثة أعوام حتى أجاد النحو وتوابعه والفقه وملاحقه والحديث وفروعه، ثمّ توجه إلى مصر والتحق بالجامع الأزهر عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م، فدرس الفقه المالكي والحنفي دراسة

(١) أعلام ليبيا ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٥ - ٤٦ .

مستوفاة، فدرس أقرب المسالك للشيخ الدردير وشرح الدردير على مختصر خليل وحواشي الشيخ الدسوقي والخرشي وغيرها.

وقرأ في مذهب أبي حنيفة مراقي الفلاح وحواشيه للشيخ أحمد الطحطاوي وشرح الدر المختار على متن تنوير الأبصار بحواشي الشيخ الطحطاوي كذلك وغيرها.

عاد إلى طرابلس بعد سبع سنوات، فجلس للإفادة ولم يتجاوز السادسة والعشرين، ودرّس في مدارس عديدة بطرابلس أهمها المدرسة الرشيدية وهي المدرسة النظامية الوحيدة التي أسسها العثمانيون، والتي ما كانت تضارعها في البلاد مدرسة في حسن نظامها واختيار المدرّسين وإعداد الطلاب.

رحل إلى مصر وتونس سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م وتركيا والحجاز، وولّي الإفتاء عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م وبقي مفتياً لطرابلس إلى أن توفي.

صنّف كتاب الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية، التي بدأ في جمعها سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، إذ كان الناس يوجهون إليه برسائلهم وأسئلتهم من قبل أن يعيّن مفتياً رسمياً، والكتاب يحتوي على ألفين ونيّف من الأسئلة التي وجّهها إليه أبناء طرابلس وأجوبتها في مجال العقيدة والعبادات والمعاملات والأحوال الاجتماعية.

وعندما بدأ الشيخ في جمع فتاويه حذف كثيراً من الأسئلة وأدخل على كثير منها الاختصار والتهذيب، كما ضمّ إلى فتاويه بعض الأسئلة التي وجّهت إليه وهو طالب في مصر، ومدّرس في طرابلس، وزائر بتونس، وحاج في البقاع المقدّسة سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٧م.

امتاز كتابه الفتاوى بأسلوب سهل وعبارة واضحة، وكان في فتاويه صاحب رأي واستنباط، وأحياناً يتوقّف في الفتوى تحرياً ويسأل عنها علماء

عصره من شيوخ الأزهر وأعلام الزيتونة، فكان يرأسل صديقه مفتي الديار المصرية الشيخ العباسي المهدي، وصديقه الشيخ أحمد بن الخوجة مفتي تونس.

وقد طبع الكتاب سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥ م^(١).

* الطاهر بن محمد بن عبدالرزاق البشتي (١٢٨٣هـ - ١٣٢٨هـ):
نسبة إلى قرية الأبشات بالزاوية، كان أحد علماء الزاوية، ومن شعرائها وأدبائها، درس ببلده، وتمكّن في مدّة قصيرة من التفقه في مذهب مالك ومذهب أبي حنيفة، ثمّ رحل إلى الأزهر في أوائل القرن الرابع الهجري لاستكمال دراسته.

رجع إلى الزاوية بعد تخرّجه سنة ١٣٠٩هـ فدرّس بمسقط رأسه بقرية الأبشات، ثمّ تولّى الإفتاء بالزاوية سنة ١٣١٤هـ، فكان يفتي على مذهبي مالك وأبي حنيفة.

لما شرعت إيطاليا تتدخّل في شؤون طرابلس لدى حكومة الآستانة، وتسعى لاحتلالها، ذهب في وفد من الطرابلسيين والبرقاويين إلى الآستانة سنة ١٣١٩هـ لرفع شكوى إلى السلطان عبدالحميد.

كانت له بعض مقطوعات شعرية ضاعت فيما ضاع من كتبه أيام الجلاء الذي حدث لسكان الزاوية أثناء حروبهم مع الإيطاليين^(٢).

* عمر بن محمد بن أحمد بن عمر المسلاتي (١٨٤٨م - ١٩٢٣ م):
مفتي طرابلس، أخذ عن فقهاء مدينة طرابلس، ثمّ رحل إلى الأزهر سنة ١٨٧٠، واستقرّ هناك ١٣ سنة، أخذ العلم عن مشاهير عصره، منهم: شيخ المالكية محمد عليّش، وأحمد الرفاعي، والباجوري، وأجازوه إجازة عامّة في مختلف العلوم.

(١) أعلام من طرابلس ص ٢١٤ - ٢٢٤.

(٢) أعلام ليبيا ص ١٣٩ - ١٤١.

عاد إلى طرابلس سنة ١٨٨٣، واشتغل بالتدريس، نحو أربعين سنة من حياته، انفع خلالها طبقات متعددة من طلبة العلم.

تقلّب منذ ١٩٠٦ في الوظائف القضائية، وفي سنة ١٩١٠، عيّن من الآستانة بأمر من شيخ الإسلام، مفتياً في النواحي الأربعة، ثم مفتياً عاماً لمدينة طرابلس سنة ١٩١٣.

لما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ أنشئ فرع لجمعية الاتحاد والترقي في مدينة طرابلس لجعل البلاد تركية في جميع مظاهرها، فأسرع هو وثلة من إخوانه إلى تأسيس حزب سياسي سمّوه «جمعية الجامعة العثمانية»، واختير رئيساً لها، ومبدأ هذه الجمعية المحافظة على عروبة البلاد وعثمانيتها.

قام سنة ١٩١٣ مع جماعة معه على إصلاح مدرسة أحمد باشا فوضعوا لها نظاماً خاصاً وسمّوها «كلية أحمد باشا» وأسندت رئاستها إلى صاحب الترجمة، وكان أوّل من تبرّع للتدريس بها، واستمرّ نشاطه العلمي بها بعد صلاة الظهر من كلّ يوم، إلى أن أحيل على التقاعد سنة ١٩٢١^(١).

* عمر بن أحمد بن عمّار الميساوي (١٩٣٠م): من علماء الزاوية وأفاضل رجالها، تخرّج في الأزهر، وأخذ العلم على كبار العلماء في عصره، وأجازه الشيخ محمد بن محمد عليش، ابن الشيخ عليش الكبير، بجميع مروياته بإجازة مؤرخة في سنة ١٣١٧هـ، ثمّ رجع إلى طرابلس، فتصدّر لتدريس العلوم الشرعية والعربية، واشتهر بإصابة الرأي فيما كان يصدر عنه من مسائل علمية، فكان موضع ثقة الناس واحترامهم.

كان من أوّل الثائرين على الاحتلال سنة ١٩١١، ومن أوّل الذين انضمّوا إلى صفوف المجاهدين، فقبض عليه الإيطاليون ونفوه إلى إيطاليا أربع سنوات.

(١) أعلام ليبيا ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

وفي سنة ١٩١٩ وقع استبدال أسرى مسلمين بأسرى إيطاليين، فاخترته حكومة مصراتة من بين من اختارتهم من الأسرى، ثم عيّنته مفتياً، فكان أميناً على العلم، متحرّياً فيما يفتي به.

هاجر إلى مصر سنة ١٩٢٤ بعد دخول الإيطاليين طرابلس، وأقام بالإسكندرية، وفي سنة ١٩٢٦ انتخب عضواً في مؤتمر الخلافة العام، مندوباً عن طرابلس، واستقرّ بالإسكندرية إلى أن توفي بها^(١).

* أحمد الفساطوي (١٩٣٦هـ): نسبة إلى فساطو، بلدة مشهورة في جبل نفوسة، من رجالات طرابلس الذين اشتهروا في فجر حياتهم بالنشاط الوطني، وبتحصيل العلم.

رحل إلى الأزهر سنة ١٣١٩ م، وسجّل اسمه في رواق المغاربة، وكان له فيه نشاط علمي، وفيه تخرّج، ثمّ رجع إلى وطنه سنة ١٣٢٧هـ، وأسندت إليه رئاسة المدرسة الإسلامية العليا.

بذل جهده في تربية النشء، وكان مع علمه صحفياً ممتازاً، بأدبه وفتنه، وكان معدوداً في الوطنيين الذين كانت لهم مواقف ضدّ السياسة الإيطالية^(٢).

* إبراهيم بن مصطفى بن إبراهيم بن مصطفى بن محمد بن أبي بكر (١٢٧٣هـ - ١٣٦٢هـ/١٩٤٣ م): كان فقيهاً عالماً، وأديباً شاعراً، نشأ في بيت علم وفضل وأدب، وكان والده مفتياً بطرابلس، وكان جدّه مفتياً بها قبل والده.

كان نسيجاً وحده، بين الفقهاء في شعره وأدبه، وبين الشعراء في فقهه وعلمه.

ابتدأ حياته العلميّة بالتلقّي عن شيوخ طرابلس، فدرس الفقه المالكي

(١) المرجع السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢) نفس المرجع ص ٧٣.

والحنفي، والحديث والتفسير، وما يتصل بهذه العلوم من الأصول والفروع والوسائل والمصطلحات.

تولّى التدريس بطرابلس، وفي العهد العثماني شغل مناصب عديدة في المحاكم من سنة ١٣٠٦هـ إلى سنة ١٣٢٤هـ، ثم عيّن مفتياً لطرابلس سنة ١٣٢٤هـ، فقام بالوظيفة خير قيام.

لما احتلّ الطليان طرابلس سنة ١٩١٢، هاجر إلى الشام، ثم عاد إلى طرابلس، فعين عضواً في المحكمة الشرعية العليا، ثم رئيساً لها، وبقي فيها خمسة عشر عاماً بين العضوية والرئاسة^(١).

* رحومة بن محمد الصاوي (١٢٨٣هـ - ١٣٦٦هـ): من علماء زليطن، العالم المجاهد، تلقى العلم عن علماء بلده، وجاور في المدينة المنورة مدة من الزمن.

له مشاركة في العلوم الشرعية أصولها وفروعها، وحديثها وتفسيرها، وفي العلوم العربية، اشتغل بتدريس العلوم بزليطن، واختير مدرّساً في الجامع الحميدي «جامع بو منجل» سنة ١٣٢٨هـ، وإماماً به وخطيباً.

لما احتلّ الإيطاليون طرابلس سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١ م، كان من أنصار الجهاد، والمحرضين عليه بخطبه الجمعة ودروسه المسجدية.

عين سنة ١٣٣٩هـ في وظيفة القضاء الشرعي بزليطن، واعتقله الإيطاليون سنة ١٣٤١هـ في جماعة كثيرة من أعيان زليطن، وحكم عليه بالسجن المؤبد مع مصادرة ممتلكاته، قضى منها عشر سنوات في الاشتغال بالتأليف والنظم والجمع وشرح المتون وإلقاء الدروس، ثم أفرج عنه.

عين مدرّساً بمصراتة لمدة ثلاث سنوات، ثم مدرّساً ببلده زليطن، فانتفع به خلق كثير، وتخرّج عليه أساتذة كرام^(٢).

(١) أعلام ليبيا ص ١٤ - ١٧.

(٢) أعلام ليبيا ص ١١٢ - ١١٣.

* محمد بن محمد بن منصور بن صالح البكوش (١٩٤٩ م): من علماء زليطن، تلقى ببلده مبادئ العلوم ثم رحل إلى الأزهر لطلب العلم سنة ١٣٢٠هـ، وانتسب إلى رواق المغاربة، وأخذ العلم عن الشيخ بخيت المطيعي، وحسن السقا خطيب الأزهر إذ ذاك، وغيرهما، وشارك في جميع العلوم، ثم رجع إلى مسقط رأسه سنة ١٣٢٧هـ، فأسندت إليه وظيفة القضاء في عدة بلدان من وطنه.

وفي سنة ١٩٣٨ أراد الإيطاليون إجبار الليبيين على التجنس، فأفتى بتحريم ذلك، على الرغم من أن كثيراً ممن ينتسبون إلى العلم قد أفتوا بجواز ذلك.

وفي سنة ١٣٥٠هـ انتخب عضواً في المحكمة الشرعية العليا^(١).

* أحمد بن علي الشارف (حدود ١٨٧٢م - ١٩٥٩ م): من علماء زليطن، كان عالماً فاضلاً، وشاعراً ملهماً، عرف بشيخ الشعراء، ولّى سنة ١٩٠٦ الخطابة والتدريس بمسجد بني مسلم بمسلاتة، ثم ولى القضاء الشرعي في تاورغة نحو خمس سنوات، ثم القضاء بالقربولّي عشر سنوات. سجنه الطليان لشعره الحماسي الذي كان يلهب به همم المجاهدين، ولما أطلق سراحه التحق بالمجاهدين بغريان التي لم تحتل بعد، فتولّى وظيفة كاتب أوّل لمفتي غريان.

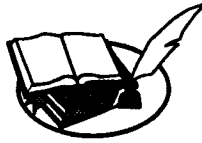
وإثر صلح بنيادم سنة ١٩١٩ عيّن على قضاء سرت، وحين شكلت المحكمة الشرعية العليا بطرابلس سنة ١٩٢٢ عيّن عضواً بها، ثم رئيساً لها سنة ١٩٤٣، ثم أحيل على التقاعد^(٢).

ولا يسعنا قبل أن نختم هذه الرحلة المباركة مع حركة الفقه في تطوّراته وتقلّباته إلا أن نشيد بأعلام الفقهاء المعاصرين الذين ملأوا الربع الأوّل من القرن الخامس عشر الهجري بدراساتهم الفقهية الحديثة

(١) المرجع السابق ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٢) نفس المرجع ص ٦٩ - ٧١.

المتخصصة، والذين يدرسون قضايا الطائفة بأنظار مستقلة وآراء تستضيء بالأدلة، ويشبعون المواضيع المستحدثة بحثاً في جميع جوانبها تفريعاً وتأصيلاً، وتفسيراً وتعليلاً، وتمحيصاً وتحقيقاً، وينفتحون على جميع المذاهب الفقهية للاستفادة منها والترجيح بينها، في غير عصبية مذهبية مقبلة وإنما سيراً مع أرجح الآراء وأقواها دليلاً، وأكثرها ملاءمة لأوضاع العصر ومقتضياته بلا هوى متبع ولا زيغ مبتدع... ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).



(١) سورة التوبة - الآية ١٠٥ - .

مقاربة نقدية

١ - تأثير الفكر الإصلاحى الحديث فى الفقه ومسائله :

من خلال خلاصة المعلومات العامة المتعلقة بتطور الحياة الفكرية للإسلام فى القرن الماضى يستطيع الدارس أن يقرر بأن أهم المباحث التى شغلت العالم الإسلامى، قد نشأت أول ما نشأت فى ميدان دعوات المصلحين الذين جعلوا موضوع نظرهم حالة المجتمع الإسلامى من حيث مقارنته بالمجتمعات الأوروبية الناهضة فى تأخره وتقدمها^(١).

وقد نشأ فى محيط هذا المذهب الفكرى الواسع مباحث المعضلات الفقهية التى طرحتها الحياة المعاصرة بكل ما فيها من حركة وتجدد، وتطرقت نشرات الدعوة العامة التى أشهرها: مجلة المنار، إلى مشاكل كثيرة تتعلق بالتشريع الإسلامى منها ما يرجع إلى المعاملات المدنية كمسألة البنوك والربا ومسألة شركات التأمين، وشهادات الاستثمار بصورها المختلفة، وكثير من المشكلات المالية، ومنها ما يرجع إلى مسائل من أحكام العادات - كما سماها الشاطبى - مثل مسألة الزكاة ومسألة اللباس ومسألة تحديد أوائل الشهور العربية، ومنها ما يرجع إلى أحكام من الأحوال الشخصية مثل مسألة أقصى أمد الحمل، ومسألة تعدد الزوجات، ومسألة الطلاق، ومسألة استقلال المرأة الاقتصادى، وغيرها من المسائل التى نشأت

(١) مجلة الهداية التونسية عدد ١ سنة ٢٧ ص ٥٦، مقال بعنوان: الترابط بين الحكمة

العقلية والحكمة الشرعية للشيخ المرحوم الفاضل ابن عاشور.

عن اتصال الشرق بالغرب ممّا يمسّ الحياة اليومية في تطوّراتها وتقلّباتها^(١). واستمرّت مجلّة المنار تنظر نظراً متكرّراً مجدّداً في الأحكام الشرعيّة على أساس الدعوة الإصلاحية، وذلك بالرجوع إلى الأصول، وباعتبار المعاني والعوائد، وباعتبار الضرورات والحاجات، والتجرّد عن الالتزام المذهبي^(٢).

وهكذا تناولت أنظار البحث والتعليم الأحكام الفقهية وتعلّقت بها أحاديث الترجيح والاستفسار والاختيار بصفة لم تعهد مثلها الأحكام الفقهية من قبل، إذ أصبح البحث يجري خارج ميادين الدراسة الفقهية فيولّد المناقشات الفكرية ويثير المجادلات القلمية من كلّ ما هو خارج عن ميادين الدراسة الفقهية وعن العمل الفقهي في الدراسة والتحرير ممّا هو مستقلّ عن سيطرة الفقهاء في التدريس والقضاء.

غير أنّ هؤلاء المصلحين لم يتوجّهوا إلى الفقه والتشريع بصورة مباشرة، إذ كانوا يمثلون مذهباً إصلاحياً شاملاً، وتناولوا في نظرهم الإصلاحية عامّة نواحي الحياة الفردية والاجتماعية، فولّد ذلك فكرة منهجية كانت قوام مذهب عام تناول العقيدة والأخلاق والاجتماع والسياسة والاقتصاد.

وقد وقف الفقهاء في أكثر هذه المسائل أولاً غير مكترئين، ثمّ متعجّبين، ثمّ منكرين أو مناصرين، فدخلت تلك المباحث سواء بإنكارهم أم بمناصرتهم مجال البحث الفقهي بالمعنى الأخصّ، وأصبحت حقيقة واقعة في عمل الفقهاء لا مناص لهم عنها في ميدان النظر وفي ميدان العمل.

وهكذا نشأ البحث في هذه المسائل ومثيلاتها - التي هي من صميم

(١) مجلّة الهداية ص ٥٦، ومضات فكر ١٥٢/١ - ١٥٣، الفتاوى في التجديد والإصلاح الديني للأستاذ الإمام محمد عبده ص ٢٣، ٢٤، ٣٠.

(٢) ابن عاشور محمد الفاضل: ومضات فكر ١٥٢/١.

الفقه - أول ما نشأ في محيط الحركة الإصلاحية التي كانت المرجع الأصلي لإثارة تلك المسائل من خلال قيام دعاة الإصلاح بطرحها وبحثها ومعالجتها في نشرات الدعوة العامة التي أشهرها: مجلة المنار، ودعوا فيها إلى حلول متمشية مع الطرائق التي درجوا عليها في حل مشاكل الإسلام العامة^(١)، وهنا تتجلى الخصوصية العجيبة لهذا الوضع الغريب، فهؤلاء الدعاة الذين قاموا على رأس الحركة الإصلاحية لم يكونوا يوماً ما فقهاء بالمعنى الخاص، ولم يكن الفقه موضوع تخصصهم العلمي أو العملي، ولكن رغم ذلك فقد كان أثرهم على الفقه مباشراً في جميع الأحوال، وما ذاك إلا لأنهم انطلقوا في دعوتهم من خلال المناداة بفقه حديثي يقوم على الأدلة ولا يلتزم التقليد، وبضرورة العودة إلى الكتاب والسنة والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد ونبد التقليد والجمود^(٢).

فقاوم جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤هـ/١٨٣٨م - ١٣١٥هـ/١٨٩٧م) المتمزق المذهبي ونادى بضرورة ترميم الوحدة الإسلامية، ونادى عبدالرحمن الكواكبي (١٢٦٥هـ/١٨٤٩م - ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) بالترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن متبعوها تقليداً، فلا نعرف مأخذ كثير من أحكامها، وأن نعتمد ما نعلم من صريح الكتاب وصحيح السنة وثابت الإجماع، ورأى أنه لا مانع من ترك النقول المتخالفة خصوصاً منها المتعلقة ببعض القليل من الأصول، والاجتماع على الرجوع إلى ما نفهمه من النصوص، أو ما يتحقق عندنا حسب طاقتنا أنه جرى عليه السلف^(٣).

ومن هنا حملت هذه الدعوات في طياتها التنبيه إلى ما خلفته عصور الانحطاط من مناهج في التأليف والتدريس والإفتاء والقضاء باعتبارها هي التي كرّست المذهبية الضيقة والاتباع الأعمى، والوقوف عند اجتهادات

(١) مجلة الهداية التونسية عدد ١ سنة ٢٧ ص ٥٥ - ٥٦.

(٢) المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، د سعيد محمد الجليدي ص ١٧٤، ومضات فكر ٣٠٩/٢.

(٣) أم القرى ص ١٣، ١٥.

وآراء مضت عليها قرون مع أنّ كثيراً من هذه الآراء كان يعالج مسائل غير ثابتة، تغيّرت بتغيّر الزمن والأحوال وأصبحت الأحكام والاجتهادات السابقة غير ملائمة لما في هذا العصر.

وقد استجاب المعنيون بالفقه ودراسته وتطبيقه لدعوات الإصلاح التي ظهرت في هذا الدور، لمّا عرفوا أسباب جموده فبدلوا جهوداً كبيرة في سبيل إماطة ما علق بهذا الفقه من شوائب، وتجلية ما شابه من غموض ومحاولة تقديمه بصورة تجعله أسهل تناولاً وأكثر تعبيراً عن قيمته وأهميته العلميّة والعملية^(١).

ولولا الرواسب التي يعاني منها المجتمع الإسلامي، والعوائق السياسيّة والفكرية المعادية للإسلام وأهله، أو الجاهلة بقيمته كشرعية صالحة للتطبيق أبداً، لوصلت هذه الجهود إلى غايتها المقصودة، ولكن لعلّها سبّغت الحياة في التدرّج، فكما أنّ التقليد والجمود بدأ تدريجياً من اجتهاد مطلق إلى اجتهاد مقيد إلى اجتهاد في المذهب إلى تقليد مع بعض اجتهاد إلى تقليد مطلق عبر مدد متفاوتة، فكذلك انتهاؤه يكون بإذن الله تعالى تدريجياً، بدأ بالتنبيه إلى الحالة السيئة التي انتهى إليها الفقه بسبب التقليد والركود ثمّ برسم الطريق إلى الخروج عن هذا الوضع الراهن وكيفية الانتقال إلى الوضع الأمثل الذي يستردّ به الفقه مكانته الأولى في عصور ازدهاره^(٢).

ومن هذه الملاحظات المتسلسلة يتضح لنا في جلاء كيف أنّ الحركة الفقهية التي ميّزت نهضة الإسلام الحاضرة لم تنشأ في ميدان الدراسة الفقهية، وإنّما نشأت في ميدان الحركة الإصلاحية، ثمّ انصبّ تيارها على الحركة الفقهية انصباباً فأسفر في مجراها كرها لا طواعية.

وتلك هي الحقيقة التي تبدو ملاحظتها - كما مرّ - غريبة بينما تتلخّص في أنّ الفقه تأثر بغير الفقه، وأنّ مدرسة حكمية صرفة قد مسّت

(١) المدخل لدراسة الفقه الإسلامي ص ١٧٤.

(٢) المدخل لدراسة الفقه الإسلامي ص ١٧٤.

آثارها حياة الفقه فقضت فيها بهزة تطوّر عظيم كان موجّها إليها لا متكوّنا منها^(١).

- ٢ - قضايا التشريع المعروضة على النظر في هذا الدور:

من خلال النظر الإصلاحية الحديث في الفقه ومسائله تكوّنت مجموعة ممّا نستطيع أن نسمّيه قضايا التشريع الإسلامي، بعضها يرجع إلى أمور ثابتة في حياتنا مستقرّة في أوضاعنا القانونية التشريعية والاجتماعية نريد النظر فيها وتهذيبها بالتفقه في معانيها ومراميتها لما يرتبط بها من إصلاح أحوالنا الاجتماعية والسياسية، ونوع آخر مرتبط بشيء لم يكن موجودا في أوضاعنا ومعاملاتنا ولكنّه وجد إلى جنبنا ومسّ بنا وتردّدنا في أن نقدم عليه أو لا نقدم، فأردنا أن لا نقدم عليه إلاّ بوجه^(٢).

وجاءت اليقظة الإسلامية الاجتماعية تنبه الناس إلى ما كانوا ذاهلين عنه من تعطيل الأحكام الشرعية وجريان القضاء بقوانين غير إسلامية، وبدأوا يحاولون مشكلة تطبيق الشرع الإسلامي في القوانين تطبيقا كاملا، فنشأ من ذلك لون جديد من قضايا التشريع الإسلامي، وهو لون: أشياء مهجورة هي في عقيدتنا وليست في واقعنا، نريد أن نرجعها إلى واقعنا حتى يكون عملنا التطبيقي موافقا لحقائقنا الاعتقادية، فأصبحت طرائق قضايا التشريع الإسلامي التي عرضت على النظر في هذا الدور هي هذه الثلاث^(٣).

١: أمور فينا نريد أن نتحلّل منها: رغم أنّها ثابتة في حياتنا مستقرّة في أوضاعنا القانونية التشريعية والاجتماعية، ولكننا نريد أن نعيد تنظيمها وترتيبها، وأغلب هذه القضايا ممّا يعود إلى أحكام من الأحوال الشخصية، والعامل الحقيقي الذي يثير هذا النوع من القضايا هو حرصنا على أن نكون

(١) مجلّة الهداية التونسية عدد ١ سنة ٢٧ ص ٥٦.

(٢) ابن عاشور محمد الفاضل: ومضات فكر ١/١٥٣.

(٣) ومضات فكر ١/١٥٣ - ١٥٦ بتصرّف.

دائما وفي جميع أحوالنا وأوضاعنا بعداء عن ماضيها وحاضرنا ومتجهين إلى ما يسمّى بالحدائث، ممّا هو في الحقيقة ليس إلّا فضل الثوب الذي تنزعه أوروبا من حاضرها، وهذا الذي أثار مشاكل الطلاق ومشاكل تعدّد الزوجات وغيرها، خلال النظر في إصلاح أحوالنا الاجتماعيّة والسياسيّة.

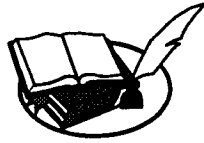
٢: وأمور بعدت عنّا نريد أن نردّها إلى واقعنا: وهي الأشياء المهجورة من ديننا والتي نريد أن نعيدها إلى الحياة العمليّة، والمسلمون جميعا يتمنّون هذا، وليس منهم من ينكره نظريّا، ولكنهم على التفاوت يستصعبونه، بعضهم يستصعبه استصعابا ذاتيّا، وبعضهم يستصعبه باستصعاب الطريق المؤدي إليه، وكلّ ذلك راجع إلى ما عندنا من فتور الإيرادات والدافع الديني، وهو فتور ثابت من باب أولى بعد أن ثبت فتور الوازع.

٣: وأمور مرتبكة نريد أن نقدم عليها بوجه: وأكثر هذه الأمور تتعلّق بالمعاملات المدنيّة، وهي أمور قد مسّت بحياتنا حقّا وأصبحنا ننظر إليها نظرنا إلى الحاجي أو حتّى إلى الضروري، فارتبكنا بين الإقدام عليها والإحجام عنها باعتبار ما لنا من شره للإقدام عليها ممّا نرى من المنفعة العاجلة في تحصيلها من جهة، وباعتبار ما في ضميرنا من وازع ديني، ممّا جعل ذلك ثقيلًا علينا من جهة أخرى، فأصبحنا مضطّرين إلى أن نعالج الناحية الأخرى وأن نرضيها جهد المستطاع بأن نلتمس لنا - ولو على سبيل الوهو أو التخيل - وجها يجعل هذا العمل الذي نريد أن نقدم عليه عملا مسموحا به.

وبذلك صار النوع الأوّل والنوع الثالث نوعين من المشاكل يرجعان إلى عقد نفسيّة موجودة في المجتمع الإسلامي، لا طريق إلى حملها على الحقيقة إلّا بمعالجة تلك العقد.

وعلى ذلك فإنّ الحلول إنّما هي حلول ينبغي أن تتّجه إلى معالجة اليقين الإيماني بصورة تقويّ الدافع وتقويّ الوازع في نفوس المؤمنين، على معنى يجعل الجلب والدفع منظورا فيهما دائما إلى العقيدة الدينيّة التي ينبغي أن تكون مسيطرة طاغية على دواعي الشهوة والشره.

وإذا نحن أتجهدنا - كما يقول المرحوم العلامة الشيخ الفاضل بن عاشور -^(١) إلى معالجة هذه العقدة النفسية قبل المشاكل التشريعية، فإننا سنلاحظ أنّ جمهور المسلمين سينكرون من أنفسهم ما عرفوا الآن إذا ما تمّ هذا العلاج، لأنّ كلّ واحد منهم يشعر بما يشعر به ضعيف الإرادة الذي يسره أن يقال له: إنك مستقيم ولكنه موقن بأنّه لا يستطيع الاستقامة، وكذلك نحن في موقفنا من هذه المشاكل الدينية، يسرنا أن يقال لنا: إنّنا لسنا مخالفين للدين، مع أنّنا لا نستطيع أن نكبح جماح أنفسنا عمّا يخالف الدين، فنريد أموراً معينة بصورها المضبوطة ونريد من الدين أن يحلّلها لنا إلزاماً، فإذا حلّلها فقد أرضى طموحنا، وعالج قضيتنا وحلّ مشكلتنا لأنّها قضية نفسية، وإذا قال لنا: ينبغي أن تسلكوا مسلكاً آخر وأن تعرضوا عن هذا، فإننا لن نجد من يقيننا ما يمكن أن يحملنا على الإعراض عن شيء ألفناه أو على ترك شيء نؤمن منه مصلحة، لأنّ وازعنا الديني أضعف من ذلك.



(١) ومضات فكر ١٥٥/١ - ١٥٦.

استخلاص ونتائج

من أهم ما يمكن استخلاصه:

١ - أن تعطل الاجتهاد المطلق وتنازل الاجتهاد في المراتب لم يكن فيما قبل هذا الدور إلا نقصا علميا، لم يترتب عليه خلل اجتماعي، وأما بالنسبة لهذا الدور فإن الأوضاع قد انقلبت انقلابا تاما بحيث أصبحت المسائل المدونة في كتب الفقه قليلة النظائر في الحياة العملية الحاضرة، وذلك هو الذي جعل مشكلة الاجتهاد مصورة في عصرنا الحاضر بما لم تتصور به في القرون الماضية ولا يمكن أن تتصور به^(١).

٢ - أن الأساليب التأليفية في الكتب الفقهية القديمة لم تعد ملائمة لحاجات هذا العصر، لذلك تغيرت هذه الأساليب في هذا الدور نزولاً على حكم التطور في التأليف والترتيب، فكان هذا الدور بحق عصر العناية في ترقية العلوم الشرعية، والتي منها الفقه.

٣ - أن مجلة الأحكام العدلية باعتبارها أول تقنين حديث للفقه الإسلامي قد انتهجت أسلوب الاختيار بين الأقوال داخل المذهب الواحد - الذي هو المذهب الحنفي - محاولة منها لتيسير عمل القضاة في العودة إلى الأحكام المراد تطبيقها، ثم تطور هذا المنهج في محاولات فردية وأخرى جماعية توصلت إلى اعتماد منهج للتقنينات الحديثة في الفقه الإسلامي يقوم

(١) ومضات فكر ٣٩/٢.

على الاستفادة من اجتهادات جميع المذاهب الفقهية المختلفة بعد تلمس أدلتها والنظر في وجوه استدالاتها والموازنة بين آرائها، والنظر في مدى تحقيقها للمصلحة الجماعية المعبرة.

٤ - أن الفقه الإسلامي حين أتى عليه هذا الدور الذي هو دور الاحتكاك بالقوانين الوضعية والمدارك الحقوقية الأجنبية استطاع أن يجد من متانة مصطلحه ما حماه من أن يفسد التعبير الدخيل جوهره النقي، وأن يجد من ثروته ما تفضل به على المعاني القانونية فجاءت أصيلة محكمة خالصة من التقعر والالتواء^(١)، حتى أن أستاذ القانونيين في العصر الحديث، الدكتور عبدالرزاق السنهوري قد صرح بأن الفقه الإسلامي نظام قانوني عظيم له صنعة يستقل بها ويتميز عن سائر النظم القانونية في صياغته^(٢).

٥ - أن اهتمام الدعوات الإصلاحية بالمعضلات الفقهية وتناولهم للقضايا المستحدثة، يندرج ضمن المشروع الإصلاحي الذي يهدف إلى تحقيق نهضة حديثة.

٦ - أن حلول هذه المشاكل ينبغي أن يرجع إلى تصميم المسلمين على أن حب الله هو الأولى بأن يتبع، وأن الآخرة خير لنا من الأولى، وأن العبرة بالمحافظة على كياننا قبل العبرة بالمحافظة على أرباح جزئية، وأن قلب المؤمن ينبغي أن يوظف على أن خيره كله في اتباع أوامر الدين ونواهيه، مع ما يمكن من التصرف في أحكام الدين وحسن تطبيقها، ومراعاة الظروف التي تنطبق فيها على ما يضمن التقدم الذي دعانا الإسلام إليه^(٣).

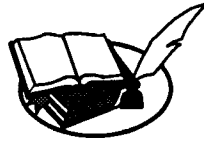
٧ - أن خلال مرحلة الجهاد ضد الاستعمار، كان العلماء والفقهاء

(١) المرجع السابق ٧٧/٢.

(٢) السنهوري: مصادر الحق في الفقه الإسلامي ٦/١.

(٣) ومضات فكر ١٥٧/١.

وتلاميذهم يعبرون عن مواقفهم بكل جرأة في سياسة البلاد، وطرق الإصلاح، ويقودون المقاومة الشعبية، وقد اشتهروا بنشاطهم الوطني وبمشاركتهم المتميزة في الصحافة التي ألبسوها ثوب العفة والنزاهة، فكانت لهم مواقف شريفة في مراميها نزيهة في غاياتها جريئة في الصدع بها، تخطت حدود ميدان العلوم والفقه والتشريع، ومست من قريب ميادين الدفاع عن حوزة الوطن.





الخاتمة

لقد نشأت حركة الفقه أول ما نشأت بأرض الهجرة التي بها نزلت أغلب الأحكام وبها تكوّنت الشريعة العملية، وفيها نشأت نواة الاجتهاد الأولى، فاجتهد النبي ﷺ، وأذن لأصحابه بالاجتهاد في حياته، وكان يقرّهم على ما أصابوا الحقّ في ما اجتهدوا فيه، وإن رأهم أخطؤوا أرشدهم إلى وجه الصواب في المسألة.

وبوفاة النبي ﷺ أصبح الصحابة الذين مارسوا الاجتهاد بين يدي النبي، المرجع لعموم المسلمين، ثمّ دعت مصلحة الإسلام والمسلمين أن يخرج كثير من الصحابة من المدينة المنورة فتوزّعوا في الأقاليم واستوطنوا بلدانا متفرقة.

فكان توزّعهم في تلك الأمصار المختلفة قد أنشأ حركة اجتهادية في كلّ بلد نزلوا بها، فتأسست بهم الحركة الاجتهادية في تلك البلدان وتكوّنت بهم المراكز الفقهية الأولى، التي تعمقت وتجدّرت مع أعلام التابعين، ثمّ تأصلت مع أئمة اشتهرت المذاهب الفقهية بالإضافة إلى أسمائهم.

وكانت هذه المذاهب تتفاعل تفاعلا تطوّريًا في العمل الفقهي بما كوّن صورة واحدة من التطوّر يرجع إلى تفصيل أدوار، يعتبر كلّ دور من الأدوار مشتركًا بين تلك المذاهب بصورة تتقرّر بالمقارنة الزمنية وتأثير التآليف والأوضاع بعضها في بعض.

وهذا المعنى من التفاعل إنّما يدلنا على حقيقة ما ينقل من أنّ اختلاف أئمة هذه الأمة رحمة، إذ أنّ اختلافهم لم يكن على معنى الاختلاف الذي ينزع الأثمار من أغصانه، ولكّنه كان على معنى الاختلاف المجدي المثمر الذي يبني ولا يهدم^(١).

وكانت نشأة علم أصول الفقه لأجل ضبط مواقع الخلاف بين أمصار الفقهاء التي تأسست بفقهاء الصحابة، وتكوّن فيها فقهاء التابعين، ثمّ تكوّن فيها فقهاء تابعي التابعين الذين كان بهم استقرار المذاهب والإفصاح عن القواعد الأصولية التي كان الفقه يسير عليها من قبل بدون أن يفصح عنها الفقهاء.

فكانت نشأة علم أصول الفقه لضبط مواقع الخلاف ولبیان نتائج الاختلافات بين الفقهاء في قواعدهم بما يبدو في الفروع التي تختلف فيها فتاويهم لأجل الاختلاف فيما بينهم في الأصول الذي هو خلاف يرجع إلى أنواع الأدلة وإلى الطرق المختلفة لاستفادة الخلاف الذي كان جاريا بين الفقهاء فيما أفتوا من الفروع الفقهية سواء أكان في الجيل الأول أم في الجيل الثاني أم في الجيل الثالث.

ثمّ كان اتجاه الفقهاء إلى البحث عمّا يسمّى بحكمة الشريعة، وأنّجها في موازنة الأقوال وتقديرها والحكم على بعضها بالإثبات، وعلى بعضها بالطرح إلى تحكيم المصالح، فنظروا إلى ما تقصد إليه الشريعة من تحقيق المصالح للعباد، ووازنوا بين الأقوال الفقهية باعتبار ما يكون منها أكثر تحقيقا للمصالح.

ومن هذا العمل الذي هو بيان حكم المشروعية وبيان مصالح الأحكام وعللها برز فنّ جديد نشأ في أوّل أمره فنا ضئيلا في مبدئه، وهو فنّ القواعد والفروق الفقهية، ثمّ ازدهر هذا العمل بإثر حركة التنقيح أو الترجيح، وكان هذا الازدهار الذي ازدهر به فنّ القواعد والفروق متسببا في

(١) محاضرات ص ٣٨٠ - ٣٨١، ٣٨٩.

دخول الفقه في عمل الاقتصار والاختصار الذي شاع في المختصرات التي عكف عليها الفقهاء.

فأتى هذا الوضع الجديد بلون جديد في التفكير والتأليف يختلف اختلافا جوهرياً عن اللون الذي اصطبغت به كتب أصول الفقه، فكان أن برز هذا الفنّ المستقلّ إلى جنب فنّ الفقه، وهو فنّ يعتمد على طريقة تنزل إلى الأحكام الفرعية ثم تستخرج منها العلل والضوابط فتسمو بها إلى المراجع الكلية التي تجعلها قواعد جامعة أو فروقا مبيّنة لمناشئ الاختلاف بين المسائل^(١).

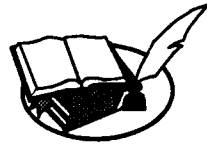
فكان هذا العلم جديرا بأن يمتاز عن علم أصول الفقه فسّمى علم القواعد أو الفروق، ويعرف أيضاً بعلم الأصول القريبة.

ثم جاء الإمام الشاطبي بما يعتبر عملاً بنائياً مكّماً للنقص الذي كان بادياً في علم أصول الفقه، فقرر المقاصد الشرعية على صورة منهجية جامعة حاول بها دائماً السمو إلى المقام الأعلى الذي هو مقام الاتفاق على المبادئ القطعية^(٢) فتأسس بذلك علم جديد هو علم المقاصد.

وهكذا نلاحظ أنّ لعلم الفقه علوم شرعية عديدة ذات صلة بمكان، منها: أصول الفقه والقواعد الفقهية والخلاف والمقاصد الشرعية.

ونرجو من الله فسحة من الوقت لاستكمال التأليف في تاريخ هذه العلوم التي هي ذات صلة بمكان، في ظلّ الأشغال الصارفة وتشتت البال في طلب الرزق الحلال لعلنا نستكمل بها الإفادة فيما جرت به الإرادة.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

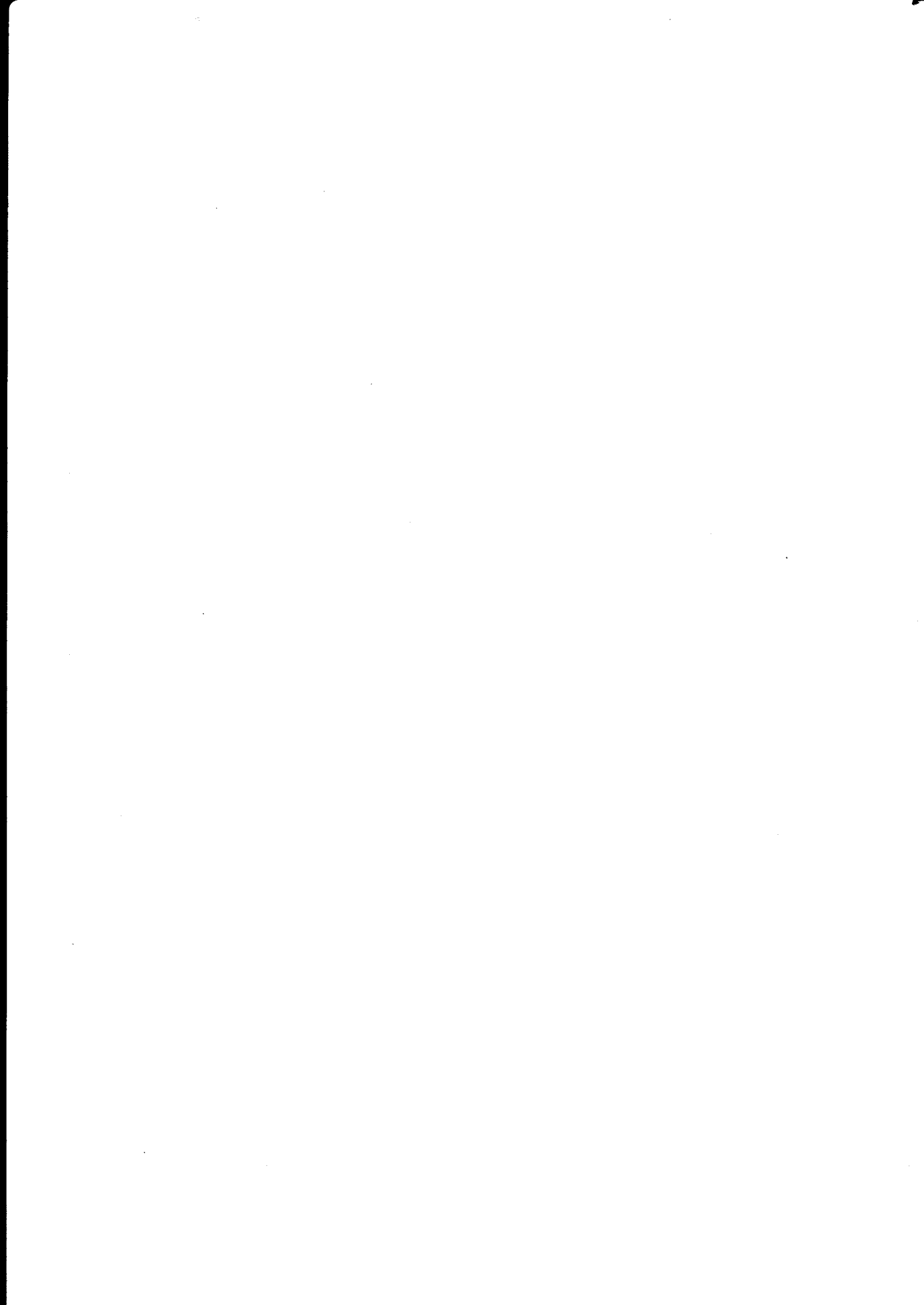


(١) محاضرات ص ٣٤٣، ٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) محاضرات ص ٣٦١، ٣٦٤.

الفهارس

- * الآيات القرآنية.
- * الأحاديث النبوية والآثار.
- * الأعلام المترجم لهم.
- * المصادر والمراجع.
- * المحتويات.



★ الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
-------	-------	--------

سورة البقرة

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	٣٢
﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾	٥٤	٥٦
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾	٨٣	٧٨ ، ٧٦
﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْهَا نَأْتِ بَحَيْرٍ مِثْلَهَا﴾	١٠٦	٦٨
﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾	١٢٥	٣٩
﴿قَدْ رَأَىٰ نَقْلَبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلْتُوَلِّينَاكَ قِبْلَةً رَضِينَهَا قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾	١٤٤	٧٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾	١٥٩	١١٧
﴿وَاللَّهُكَ إِلَهٌُ وَحِيدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	١٦٣	٧٦
﴿فَمَنْ أَنْطَرَّ غَيْرَ بَابِغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِيْمَةَ عَلَيْهِ﴾	١٧٣	٥٧ ، ٥٤
﴿أَلَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾	١٧٧	٥٢
﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	١٧٧	٥١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾	١٧٨	٥٩
﴿كُتِبَ عَلَيْكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ﴾	١٨٠	٤٩
﴿وَمَن خَافَ مِن مُّوْسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾	١٨٣	٥٤
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِيََامُ﴾	١٨٣	٤٩
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ		
وَيَذِّكُرُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْقُرْآنِ﴾	١٨٥	٧٦ ، ٣٠
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾	١٨٥	٥٨
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ		
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾	١٨٧	٨٠
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ﴾	١٨٩	٤٣
﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾	١٨٩	٥٣
﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ﴾	١٨٩	٥١
﴿فَإِن أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	١٩٣	٥٣
﴿فَإِن أُخْضِرْتُمْ فَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾	١٩٦	٥٠
﴿وَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن		
صِيَابِهِ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ تَصَدَّقَ﴾	١٩٦	٥٠
﴿وَمَن وَضَّ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا سَوْقَ وَلَا حِدَالَ		
فِي الْحَجِّ﴾	١٩٧	٥٣
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾	١٩٨	٤٩
﴿وَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا		
إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾	٢٠٣	٥٤
﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فِللَّوَالِدَيْنِ		
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَأَن السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِن		
خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾	٢١٥	٤٥
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾	٢١٧	٢٨
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ		
وَمُنْفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾	٢١٩	٦٢ ، ٤٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لِّمَنْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾	٢٢٠	٤٥ ، ٥١
﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّىٰ يُوْمِنُوْا﴾	٢٢١	٤٠
﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْمَجْبُوحِ﴾	٢٢٣	٢٨
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾		
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾	٢٢٨	٤٧ ، ٤٩
﴿وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾	٢٢٨	٥٢
﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُبَيِّنَا حُدُودَ اللَّهِ﴾	٢٢٩	٥٢
﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَ الرِّضَاعَةَ﴾	٢٣٣	٥٠ ، ١٣٣
﴿لَا تُضَاكِرُ وَاِلِدَةً يَوْلِدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهَا يَوْلِدُهَا﴾	٢٣٣	٥٣
﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَزْوَاجَهُنَّ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾	٢٣٤	٤٩
﴿حَنِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾	٢٣٨	٥٠
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	٢٤١	٤٩
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾	٢٤٥	٥١
﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ﴾		
﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	٢٦٨	٥٦
	٢٧٥	٦٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَمَسُّوا إِلَهَ الْبَنَاتِ وَيَمَسُّوا الصَّامِتَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٢٧٦	٦٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	٢٧٧	٦٤
﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلكُمْ زُورٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾	٢٧٨	٦٤
﴿وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْفَرٍ فَمَنْطِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾	٢٧٩	٦٤
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	٢٨٠	٥٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَأْتُوا اللَّهَ حَقَّ تَأْتِيهِمْ وَمَا تُحِبُّونَ﴾	٢٨١	٣١

سورة آل عمران

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾	٧٧	٩٠
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾	٩٢	٥١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيضًا مِنَ الَّذِينَ آوَوْا إِلَيْكُمْ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾	٩٧	٧٦ ، ٤٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾	١٠٠	٣٨
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	١٣٠	٦٣
﴿وَالْكَاذِبِينَ الْغَيْظَ وَالْمَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٣٤	١٩٦
﴿وَمَنْ يَقُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	١٦١	١٣٥

سورة النساء

٤٥	١٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾
٥٢	١٩	﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾
٧٦	١٩	﴿وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾
٤٩	٢٤	﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾
٥٩ ، ٥٧	٢٨	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٧٨﴾﴾
		﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ
٧٦	٢٩	بِالْبَطْلِ﴾
١٠٢	٢٩	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾
		﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ
٦٢	٤٣	تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾
		﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ
٤٩	٥٨	بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾
٧٣	٥٩	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾
		﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
		بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ
٢٨	٦٥	وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾
١٣	٧٨	﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾
		﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرْرِ وَالْجَاهِدُونَ
٣٣	٩٥	فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾
٧٧ ، ٤٩	١٠٣	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾
		﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ
٢٧	١١٣	تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾
		﴿فِيُظَاهِرُ مِنَّ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَعْتَ أُجِلَّتْ لَكُمْ
٦٣	١٦٠	وَيَصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾

سورة المائدة

٥٤	١	﴿أَجَلَتْ لَكُمْ يَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾
٦٦	٣	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُجِلَ لَكُمْ قُلْ أُجِلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمُ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾
٥٤ ، ٤٥	٤	﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُذَكِّرَ يَسْمَعَهُ عَلَيْكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥﴾﴾
٥٩	٦	﴿الْيَوْمَ أُجِّلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾
٥٤	٩	﴿يُؤَسِّرُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾
٧٩	١١	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾
٧٩	٣٢	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾
٤٧	٣٣	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْغَنِيِّ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَلِّدَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٦١﴾﴾
٦٥ ، ٦٣	٩١	﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا أَقْبُوا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ أَقْبُوا وَءَامَنُوا ثُمَّ أَقْبُوا وَأَحْسَنُوا﴾
٥٤	٩٣	

سورة الأنعام

٢٥٤	٧٩	﴿وَجْهَتْ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
-----	----	---

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾	٨٢	٨١
﴿وَذُرُوا ظُهُورَ ٱلْءِثْمِ وَءَاطِنَهُ﴾	١٢٠	٥٢
﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ ءِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	١٥٢	٤٥
﴿وَقَدْ فَصَلَ لَكُمْ مَآ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ءِلَّا مَا أَضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾	١١٩ ، ١٥٧ ، ٥٩	٦٥
﴿وَلَا تَسْأَلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ ءِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾	١٥١	٦٥

سورة الأعراف

﴿قُلْ ءِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي ٱلْفَوَاحِشَ مَآ ظَهَرَ مِنهَا وَمَآ بَطَنَ وَٱلْءِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَآ لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَنًا﴾	٣٣	٥١
﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَآ لَا تَعْلَمُونَ﴾		
﴿يُحَدِّثُوكُمْ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَةِ وَٱلْءِنْجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾	١٥٧	٦٠
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّعَةِ ٱبَّآنَ مَرْسَنَهَا قُلْ ءِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُحِيطُ بِرُوحِنَا ءِلَّا هُوَ﴾	١٨٧	٤٢

سورة الأنفال

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْءَنْفَالِ قُلِ ٱلْءَنْفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	١	٤٦
﴿ءِٓن يَكُن مِّنْكُمْ عَشْرُونَ صَٰدِقُونَ يَقُولُوا مَآ نُنَادِيْنَ وَإِن يَكُن مِّنْكُمْ ءِٓنَآءَةٌ يَقُولُوا ٱلْفَا مَنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾	٦٥	٦٨
﴿ٱلَّذِينَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَعَقًا ءِٓن يَكُن مِّنْكُمْ ءِٓنَآءٌ صَٰبِرَةٌ يَقُولُوا مَآ نُنَادِيْنَ وَإِن يَكُن مِّنْكُمْ ٱلْفُ يَقُولُوا ٱلَّذِينَ يَأْذِنُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	٦٦	٦٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مَا كَانَتْ لِيَنبِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ ۚ لَوْ كَانَتِ الْأَرْضُ وَرُيُودُهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَمَتَّتْ أَشْجَارُ الْأَرْضِ وَالْأَنْجَامُ كُلُّهَا ۖ وَإِن تُسْمَدُ الْأَرْضُ بِنُحُورِ الْعِبَادِ ۖ وَإِنَّ عَلَيْهَا لَغَافَلَ كَثِيرَةٌ ۚ لِيَكْتَأُوا مِنْهَا حِزْبًا ۗ قُلْ إِنَّمَا أُحْذَرُ أَنَّ مُكَذِّبِي بَدَأَ الْفِتْنَةَ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَنِ ذَلِكِ عَظِيمٌ﴾	٦٧	٩٧
﴿لَوْ لَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	٦٨	٩٧
﴿تَكُلُوا مِنْ مَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا وَطَيِّبًا﴾	٦٩	٩٧

سورة التوبة

﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	٣٤	٥٣
﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَقَتَلَ الْكٰفِرِينَ﴾	٤٣	٩٧
﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكَ مَا زَادوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾	٤٧	٩٧
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَعْلُومِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةُ لَوْلَاهُمْ﴾	٦٠	١٣٠
﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوْلَونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾	١٠٠	٣٥٠ ، ٣٤٨
﴿وَقُلْ اصْمَلُوا فسيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	١٠٥	١٣٣١
﴿لِيَسْفَهَوْا فِي الَّذِينَ يَلْسِنُوا قَوْلَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾	١٢٢	١٥
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّهُ﴾	١٢٨	١١٢
﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِينِ﴾	٢٧٥	٥٣

سورة هود

﴿أَمْ يَقُولُونَ افترناه قل فأتوا بعشر سورٍ مثليه مفتركتٍ وأدعوا من استظفئهم من دون الله إن كنتم صٰدقين﴾	١٣	٣٢
﴿قَالُوا يَشعِيبُ مَا نفقهُ كَثيرًا وَمَا نَقُولُ﴾	١٩	١٣

سورة الحجر

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾﴾

١٥٥ ٩

سورة النحل

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

٧١ ، ٢٧ ٤٤

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا

٧٢ ، ٢٧ ٦٤

فِيهِ﴾

﴿وَمِنَ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا

٦٩ ٦٧

حَسَنًا﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ

٥١ ، ٤٨ ٩٠

وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾

٧١ ١٠١

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكِّي﴾

٧١ ١٠١

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ

٧١ ١٠٢

الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

سورة الإسراء

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

٥٢ ٣٤

﴿وَإِن مِّنْ مَّوَدَّةٍ إِلَّا يَصْخُبْ بِهِمْ وَلَكِن لَّا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

١٣ ٤٤

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ

٤٢ ، ٤١ ٨٥

مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

﴿قُلْ لِيِنِ اجْتَمَعَتِ آلِإِسْ وَالْحِجُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

٣٢ ٨٨

لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

٣١ ١٠٦

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ حُكْمٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾

سورة الكهف

١٩٢	٦٢	﴿لَقَدْ لَبِيتْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَسَبًا﴾ ﴿وَسْتَأْتُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْكَاتِ قُلْ سَأْتَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾
٤١	٨٣	﴿٨٣﴾

سورة طه

٢٥٤	٥٥	﴿٥٥﴾ ﴿وَسْتَأْتُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾
٤٣	١٠٥	﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾
٤٣	١٠٦	﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾
٤٣	١٠٧	﴿١٠٧﴾

سورة الحج

٥٠	٢٩	﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدْوَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا﴾ ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾
٥٢	٣١	﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ﴾ ﴿الزُّورِ﴾
٥٩ ، ٥٨	٧٨	﴿هُوَ اجْتَنِبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

سورة المؤمنون

٧٧	٩	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ يَخْفَوْنَ﴾
----	---	--

سورة النور

٥٢	٣	﴿وَحَرِيمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾
٥٤	٥٨	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾
٣٢٩	٦٠	﴿وَالْفَرْعَادِ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا...﴾

سورة الفرقان

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣١﴾﴾

٣١ ٣٢

سورة الشعراء

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوَنَ ﴿٣٤﴾﴾
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

٦٧ ٢٢٤
٦٧ ٢٢٧

سورة الروم

﴿وَمَا آتَيْنَهُم مِّن رَّبِّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْنَهُم مِّن زَكَاةٍ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْمَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

٦٣ ٣٩

سورة لقمان

﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾
﴿يَتَّبِعُ أَقْبِرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿٣٨﴾﴾

٨١ ١٣
٦٦ ١٧

سورة الأحزاب

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٩﴾﴾
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾
﴿وَدَعَّ أَدْنَاهُمْ ﴿٤١﴾﴾
﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴿٤٢﴾﴾

٢٦ ٣٦
٧٦ ٤٠
٥٢ ٤٨
٥٠ ٥٠

سورة الزمر

٣٤٨	١٧	﴿فَبَيِّنْ عِبَادَ﴾
٣٤٨	١٨	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

سورة الدخان

٣٠	٣	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾
----	---	--

سورة الأحقاف

١٣٣	١٥	﴿رَحْمَةً وَفَصْلَةً فَلْيَتُورَنَّ شَهْرًا﴾
-----	----	--

سورة محمد

٩٧	٣٠	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرْسَلْنَاكُمْ قَلْعَةً مِّنْهُنَّ بِسْمِئِهِمْ﴾
----	----	---

سورة الحجرات

٢٦	١	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانفُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾
----	---	---

سورة الطور

٣٢	٣٤	﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾
----	----	---

سورة النجم

٢٧	٣	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾
٢٧	٤	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَحْمٌ يُّوحَىٰ ﴿٤﴾﴾

سورة المجادلة

٧٠ ، ٦٩	١٢	﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جَعُونَكَ سَدَقَةً﴾
٦٩	١٣	﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جَعُونَكَ سَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

سورة الحشر

٧٣	٧	﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾
١٩٧	٨	﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
١٩٧	٩	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخْرِجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾
١٩٨	١٠	﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾

سورة الممتحنة

٥١	٩	﴿إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَلَمْتُمْ عَلَيْهِ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ﴾
----	---	---

سورة التحريم

٣٩	٥	﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾
----	---	--

سورة المزمل

٦٩	٤ - ١	﴿يَأْتِيَا الرَّمْلَ ﴿١﴾ ثُمَّ الْيَلَّ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ أَقْصَى مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ وَرَبَّلَ الْقُرْآنَ تَرْبِيلًا ﴿٤﴾﴾
----	-------	--

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ
وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُعَذِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِيمٌ أَن لَّنْ
نُحْصِيَهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَأَقْرَءُوا مَا نَشَرْنَا مِنَ الْقُرْآنِ﴾

٦٩ ٢٠

سورة المرسلات

٣٤ ٤٨

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾

٣٤ ٥٠

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

سورة النازعات

٤٣ ٤٤ - ٤٢

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِمُهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرِهَا
﴿٤٣﴾ إِنَّكَ رَبُّكَ مُنْهَبِهَا ﴿٤٤﴾﴾

سورة التكويد

٦٥ ٩

﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾

سورة العلق

٣١ ١

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾

٣٣ ، ٣١ ٥

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾

سورة الضحى

٣٤ ٥

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾

سورة القدر

٣٠ ١

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾

★ الأحاديث النبوية والآثار

مخرجه الصفحة

طرف الحديث أو الأثر

- ١ -

٢٦٧	البخاري	أبرز عمر بن عبدالعزيز سريره يوماً للناس، ثم أذن لهم فدخلوا، فقال: ما تقولون في القسامة؟...
٩٦	مسلم وأحمد	أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة
١٠٣	النسائي وأحمد	أتى رسول الله ضيف فقال لبلال
١٥	البخاري	أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرقّ أفئدة
١٤	الشيخان	الفقه يمان والحكمة يمنية
٢٢٢	أحمد	أتيت رسول الله من آخر الليل فصلّيت خلفه
١٣٣	مالك	أتي عثمان بن عفان بامرأة قد ولدت في ستة أشهر
٨٢	النسائي وأحمد	أخذ نبيّ الله حريراً فجعله في يمينه، وأخذ ذهباً فجعله في شماله
٨٥	مسلم	ارجع فأحسن وضوءك
١٧٢	الترمذي وابن ماجه	أرحم أمّتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر
١١١	البخاري	أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده
١١٨	مالك	الاستئذان ثلاث فإن أذن لك فادخل وإلاّ فارجع
٩٢	الترمذي	استعن بيمينك وأوماً بيده إلى الخطّ
٢٣٤	الشيخان	استقرئوا القرآن من أربعة

الصفحة	مخرجه	طرف الحديث أو الأثر
٧٦	الشيخان	استوصوا بالنساء خيراً أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه
١٨١	البخاري	اسق يا زبير ثم يبلغ الماء الجدر ثم أمسك
٩٠	البخاري	أصببت الستة وأجزأتك صلاتك
١٠٠	أبو داود	اطلبني أول ما تطلبني على الصراط
٢٦٤	الترمذي وأحمد	أعطى النبي الجدة السدس
١١٨ ، ٨٣	مالك والجماعة إلا النسائي	أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل
٣٥١ ، ٢٨٢	الترمذي وابن ماجه	أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم قالها أم لا؟
١٠٣	مسلم وأبو داود	اقرأ في كل سبع ولا تزد على ذلك ، فإن لزوجك عليك حقاً
٢٩٠	الشيخان	اقرأوا القرآن من أربعة نفر
٢٣٤	مسلم	أفضانا عليّ
٢٤٠	البخاري	اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق
٢٩١ ، ٩١	أبو داود	ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي
٢٣٩	البخاري	ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة
٢٩٠	الشيخان	بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام
٩٩	أحمد	أمر الرسول بما عجز فرجم
٢٣٥	أحمد	أمر النبي ابن مسعود فصعد على شجرة ، أمره أن يأتيه
١٤٠	مالك وأصحاب السنن	أمكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله
١٠١	أحمد	أنا أفضي بينكم
١٤٣	أبو داود	إن ابني هذا سيد وإني أرجو أن يصلح الله به بين فئتين من أمتي
١٧٤	البخاري	إن أخاك رجل صالح
١١٧	البخاري	إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالسوق
٢٤٠	الترمذي	إننا كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم
١٥٦	البخاري	انظر ما كان من حديث رسول الله فاكثبه
١٧٥	البخاري	إن عبدالله رجل صالح لو كان يصلي من الليل

الصفحة	مخرجه	طرف الحديث أو الأثر
٢٣٩	البخاري	انفذ على رسلك حتى تنزل ساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام
٨٠	البخاري	إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين
١١٧	أحمد	إنكم تزعمون إن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله
١٦٨	الترمذي وأحمد	إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه
٨٧	أحمد	إن الله عز وجل لا يستحي من الحق إذا فعل أحدكم فليتوضأ
١٦٨	أبو داود وابن ماجه وأحمد	إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به
		إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر
٣٩٢	أبو داود	دينها
٥٥	البخاري ومالك	إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ
٨٠	البخاري	إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار
١٠٣	البخاري	إنما يكفيك هكذا، وضرب النبي بكفيه الأرض
١٣٢	مسلم	إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة
٩٨	الشيخان	إن هذا بلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض
٨٩	البخاري	إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه
٨٠	أبو داود	إن وسادك لعريض طويل إنما هو الليل والنهار
٩٨	الشيخان	أهريقوها واكسروها
١٣	البخاري	أولوها له يققها

- ب -

٣١٠، ٩٣	البخاري وأبو داود وابن ماجه	بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض
٨٦	أحمد	بل أنت تربت يدك، نعم يا أم سليم عليها الغسل إذا وجدت الماء
٧٥	البخاري ومسلم	بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله
٤٢	الشيخان	بيننا أنا مع النبي في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مرّ اليهود
١٦٨	الشيخان	بيننا أنا نائم إذ رأيت قدحاً أتيت فيه بلبن فشربت منه
١٦٨	البخاري	بيننا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليّ وعليهم قمص
١٨٢	النسائي	بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ندعو الله ونذكره
٨٧	البخاري	بينما نحن جلوس مع النبي في المسجد دخل رجل

- ت -

ابن ماجه ٨٥

مالك ٧٣

تأخذ إحدائكم ماءها وسدرها فتطهر فتحسن الطهور
تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكنم بهما كتاب الله وستة نبيته

- ح -

أبو داود وأحمد ١٢٧، ٢٨١

الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله

- خ -

الشيخان ٢٣٤، ٢٨٢

خذوا القرآن عن أربعة

- د -

مسلم ٢٣٩

دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء
أهلي

- س -

النسائي ١٨٢

مسلم ٢٤٠

سبقكم بها الغلام الدوسي
سئلت عائشة عن المسح على الخفين فقالت

- ص -

مسلم، وابن ماجه ٧٧

البخاري ٧٨

الشيخان ٢٩٠

الترمذي ٣٩

صلّ معنا هذين
صلّوا كما رأيتموني أصلي
صم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود
صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا

- ط -

١٣٢ مالك طلق عبدالرحمن بن عوف امرأته البتة وهو مريض

- ع -

٣١٠، ٩٣ البخاري وأحمد العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر

- ف -

٨٦ أحمد فأتى يشبهها ولدها من شقائق الرجال
 ٨٣ فرض رسول الله زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر مسلم ومالك والترمذي والنسائي
 ١٧٨ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام الشيخان
 ٧٩ فيما سقت السماء والأنهار والعيون أو كان بعلا العشر البخاري ومالك وأصحاب السنن

- ق -

٤٢ الترمذي وأحمد قالت قريش ليهود أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل عنه
 ١٠٢ أبو داود قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا
 ١١٣ البخاري قدم حذيفة بن اليمان على عثمان وكان يغازي أهل الشام
 ٢٧٧ الترمذي وأبو داود وابن ماجه القضاة ثلاثة، قاضيان في النار، وقاض في الجنة
 ٢٦٣ البخاري قدم رسول الله المدينة ليس له خادم، فأخذ أبو طلحة بيدي
 ٧٩ البيهقي قطع النبي ﷺ سارقاً من المفصل
 ٩٨ البخاري وأحمد قوموا إلى سيديكم أو خيركم

- ك -

١٣٢ مالك كانت ضوال الإبل في زمان عمر بن الخطاب إبلا مؤتلة
 ٤٤ مسلم كانت اليهود إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهم
 ٧٠ مسلم ومالك كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات

الصفحة	مخرجه	طرف الحديث أو الأثر
١٤٠	مسلم	كان النبي يصبح جنباً من غير طهر ثم يصوم
٧٩	الترمذي	كتب رسول الله كتاب الصدقة فلم يخرج به إلى عماله
٧٦	مسلم وأبو داود وأحمد	كلّ المسلم على المسلم حرام
٢٦٣	الترمذي وأحمد	كتاني رسول الله ببقلة كنت أجتنيها
٣٣	أبو داود وأحمد	كنت إلى جنب رسول الله فغشيت السكينة
٨٣	البخاري	كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد
٨٤	البخاري	كيف وقد قيل

- ل -

٢٣٨	البخاري	لأعطين الراية غدا رجلاً يفتح على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
٨٦	البخاري والنسائي	لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعه، لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
٢٦١	الشيخان	لقد أوتيت زمماراً من زمامير آل داود
١٣٤	مسلم	لقد قرأت على رسول الله بضعا وسبعين سورة
١٦٩	البخاري	لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمّتي أحد
١٦٩	الترمذي	لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء
١٠٠	أبو داود	لك الأجر مرتين
٢٦٣	مسلم	اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته
١٠٤	البخاري	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد
٢٩٣، ٢٣٩	ابن ماجه	اللهم اهد قلبه وثبت لسانه
١٨١	مسلم	اللهم حبب عبديك هذا وأمه إلى عبادك
٢٢٢	البخاري والترمذي وابن ماجه	اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب
٢٢٢	أحمد	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
٢٣٩	مسلم	اللهم هؤلاء أهلي
٢٣٩	أحمد	اللهم وال من والاه وعاد من عاداه

الصفحة	مخرجه	طرف الحديث أو الأثر
١٣١	البخاري	لو اشترك فيها أهل صنعاء لقتلتهم
١٣٢	مالك	لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعاً
١٦٩	الترمذي	لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب
٢٣٤	الترمذي وأحمد	لو كنت مؤمراً أحداً دون مشورة المؤمنين لأمرت ابن أم عبد لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها كما قسم
١٣٧	البخاري	النبي خبير
٧٨	الشيخان	ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة
٧٨	أبو داود وأحمد	ليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول
٨١	البخاري	ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه
٧٨	الدارقطني	ليس في أقل من خمس ذود شيء
١٨٢	الترمذي	لا أشك أن أبا هريرة سمع من رسول الله ما لم نسمع
٧٣	الترمذي وأبو داود	لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري
٩١	مسلم	لا تكتبوا عتي، ومن كتب عتي غير القرآن فليمحه
٨٠	البخاري	لا نورث ما تركناه صدقة
٨٠	أبو داود وأحمد	لا يرث القاتل شيئاً
١٠٣	النسائي وأحمد	لا يصلح ذلك ولكن بع تمرك ثم ابتع حاجتك
١٠١	البخاري	لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة
١٨٤	أحمد	لا يمنع أحدكم مخافة الناس أن يقول بالحق إذا شهد أو علمه

ما أشكل على أصحاب رسول الله شيء فسألنا عنه عائشة إلا

١٧٨	الترمذي	وجدنا عندها منه علماً
٩٦	مسلم وأحمد	ما ترون في هؤلاء الأسارى
١٧٩	الترمذي	ما رأيت أحداً أفصح من عائشة
٨٤	أحمد	ما كل الحديث سمعناه من رسول الله، كان يحدثنا أصحابنا
٩١	البخاري	ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان
١١٩	أحمد وابن ماجه	ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء

الصفحة	مخرجه	طرف الحديث أو الأثر
١٧٠	أحمد	ما نعد أن السكينة تنطق على لسان عمر ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر، إلا نزل فيه
١٦٩	الترمذي وأحمد	القرآن على نحو ما قال عمر
٢٩١، ٩٢	الدارمي	ما يرغبني في الحياة إلا الصادقة والوهط
٨٥	أحمد	مرّ رسول الله بطعام قد حسنه صاحبه فأدخل يده
٢٦٣	مسلم	مرّ رسول الله فسمعت أمي أم سليم صوته، فقالت
٩٠	الترمذي	من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال أخيه لقي الله
٩٠	وأبو داود وأحمد	وهو عليه غضبان
٢٣٤	أحمد	من سرّه أن يقرأ غصّاً كما أنزل فليقرأه
١٥٠	ابن ماجة	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة
١١٩	أحمد	من قال عليّ ما لم أقل فليتبوّأ مقعده من النار
٩٩	مسلم ومالك	من قتل قتيلاً له عليه بيّنة فله سلبه
٢٣٩	الترمذي وابن ماجة	من كنت مولاه فعليّ مولاه
١٨١	مسلم وأحمد	من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه

- ن -

١٤	الشيخان	الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا
٨٥	البخاري وابن ماجة	نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهنّ الحياء أن يتفقهن
٧٦	الشيخان	إنّ الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته
٨٢	الجماعة	نهى النبيّ عن أكل كلّ ذي ناب من السباع وكلّ ذي مخلب من الطير
٨٢	الشيخان	نهى النبيّ عن أكل لحوم الحمر الأهلية

- ه -

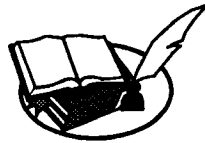
١٣٢	مالك	هذا شهر زكّاتكم، فمن كان عليه دين فليؤدّ دينه
٣١٨	البخاري وأحمد	هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه؟

- و -

٣٩	الشيخان	وافقت ربّي في ثلاث، فقلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام
٢٤٠	مسلم وابن ماجه	والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي
٨٩	الجماعة	والذي نفسي بيده لأقضيّن بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم ردّ
٧٨	مسلم	وقت صلاتكم بين ما رأيتم
١٠٤	البخاري	الولاء لمن أعتق وإن اشترطوا مائة شرط
١٣٦	أحمد	والله ما أحد أحقّ بهذا المال من أحد، وما أنا بأحقّ به

- ي -

١٨٢	الترمذي	يا أبا هريرة أنت ألزمتنا لرسول الله وأحفظنا لحديثه
		يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قطّ
١٦٩	البخاري	إلا سلك فجا غير فجاك
١٣٥	الترمذي	يا أهل العراق اكنموا المصاحف التي عندكم وغلّوها
٢٦٣	الشيخان	يا رسول الله : خادمك أنس ادع الله له
١٧٨	الشيخان	يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام
١٠٢	أبو داود وأحمد	يا عمرو صلّيت بأصحابك وأنت جنب
٢٨٢	أبو داود	يا معاذ إنّي لأحبك، والله إنّي لأحبك
٢٦٠	الشيخان	يسرا ولا تعمّرا وبشرا ولا تتفرا وتطاوعا ولا تختلفا
٨٧	مسلم وأحمد	يغسل ذكره ويتوضّأ
٤٠	الترمذي وابن ماجه	يقضي الله في ذلك



★ الأعلام المترجم لهم (١)

- ١ -

إبراهيم الرياحي: ١٠٥٠
 إبراهيم بن عبد الرفيع الربعي: ١٠٣١
 إبراهيم بن عبد الصمد = ابن بشير
 ٨٥٧
 إبراهيم بن عبد الواحد: ٨٢١
 إبراهيم بن علي بن ظهيرة: ١١٣٥
 إبراهيم بن علي الفيروزبادي = أبو
 إسحاق الشيرازي: ٨٢٨
 إبراهيم بن فتوح: ١١٠٣
 إبراهيم بن محمد الطبري: ١١٣٣
 إبراهيم بن مصطفى بن إبراهيم: ١٣٢٨
 إبراهيم بن منصور العراقي: ٨٠٢
 إبراهيم النخعي: ٢٥٥
 الأبي: محمد بن خليفة: ١٠٣٧
 أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي: ٦٨٧
 أحمد بن إبراهيم الجرجاني: ٦٠٦
 أحمد بن أحمد البرنسي - زروق -: ١٠٦٩

آسية بنت عبد الواحد المقدسية: ٩٢٠
 إبان بن عثمان بن عفان: ٢١٠
 إبراهيم بن أحمد الحسيني: ١٠٠٨
 إبراهيم بن أحمد الصقال: ٨٣٧
 إبراهيم بن أحمد المروزي: ٥٨٣
 إبراهيم بن إسحاق الحربي: ٥٤٠
 إبراهيم بن إسماعيل اللواتي: ٧٢٢
 إبراهيم بن أبي بكر العوفي: ٩٧٩
 إبراهيم بن جابر: ٦٠١
 إبراهيم بن حسن اللقاني: ٩٥٧
 إبراهيم بن حسن بن يحيى التونسي:
 ٧١١
 إبراهيم بن خالد = أبو ثور: ٤١٣
 إبراهيم بن خالد بن أحمد الصنعاني:
 ١١١٢

(١) لم نعتبر في ترتيب أسماء الأعلام: ابن، أبو، ال، أم، بنت.

- أحمد بن أبي أحمد الطبراني: ٦٠٤
 أحمد بن إسماعيل الطالقاني: ٨٤٠
 أحمد أفندي بن عبد النبي: ١٠٥٤
 أحمد أفندي: - منلا أحمد -: ١٠٥٣
 أحمد بن أبي بكر الزبيدي: ١١١٦
 أحمد بن الحارث بن مسكين: ٥٨١
 أحمد الحجّار الحلبي: ٩٩٣
 أحمد بن حسين البارودي: ١٠٥٩
 أحمد بن الحسين البردعي: ٥٨٩
 أحمد بن الحسين بن علي = أبو بكر البيهقي: ٦٩٨
 أحمد بن الحسين الفناكي: ٦٩٠
 أحمد - حميدة - بن الخوجة: ١٠٦٠
 أحمد بن حنبل: ٤٠٨
 أحمد بن خالد الخلال: ٥٢٧
 أحمد بن خلف المسيلي: ٧٢١
 أحمد ابن الخوجة الثاني: ١٣٠٩
 أحمد بن رشيد: ١١٦٠
 أحمد بن رضي الدين الناشري: ١١١٧
 أحمد بن زاغو التلمساني: ١٠٨٢
 أحمد بن زيني دحلان: ١٣٠٣
 أحمد بن سلمان بن الحسن النجاد: ٥٩٩
 أحمد السويدي: ١٠٠٨
 أحمد الشريف: ١٠٥٥
 أحمد بن شهاب الدين الغزي: ٩٩٣
 أحمد زروق: ١٠٦٩، ١٠٨٧
 أحمد بن ظهير الدين - ابن ظهير: ١١٣٤
 أحمد عبد الغني عمر - ابن عابدين -: ١٣٠٠
- أحمد بن عبدالله الثابتي: ٦٧٩
 أحمد بن عبدالله بن سهل - ابن البقال -: ٦٨٢
 أحمد بن عبدالله الصعبي: ٧٣٩
 أحمد بن عبدالله بن عبد الرحمن: ٧٠٩
 أحمد بن عبدالله بن عرفة بن ذكوان: ٧٢٨
 أحمد بن عبدالله الكرماني: ٦٥٨
 أحمد بن عبد المحسن بن فتح الله: ١٠٨٩
 أحمد بن عبد الملك = ابن المكوي: ٧٢٧
 أحمد بن عثمان الملياني: ٨٦٥
 أحمد بن علي البلوي: ١١٠٦
 أحمد بن علي القسطلاني: ٨٧٧
 أحمد بن علي المنجور: ١٠٧١
 أحمد بن علي الرازي الجصاص: ٥٩١
 أحمد بن علي الشارف: ١٣٣٠
 أحمد بن عمر الديربي: ٩٧١
 أحمد بن عمر بن سريح: ٥٩٦، ٦٠٤
 أحمد بن عمرو الشيباني: ٦٠٩
 أحمد بن عيسى بن زيد بن علي: ٥٤٤
 أحمد بن أبي الفتح الدينوري: ٨٣٣
 أحمد الفساطوي: ١٣٢٨
 أحمد القباب: ١٠٦٨
 أحمد بن كامل بن خلف = ابن شجرة: ٥٧٠
 أحمد بن محمد الصاوي: ٩٦٠
 أحمد بن محمد الأثرم: ٥٣٧

أحمد بن محمد بن سليمان: ٦٠٢
أحمد بن محمد الضبي - ابن المحاملي:

٦٧٦

أحمد بن محمد الطحاوي: ٥٨٠
أحمد بن محمد بن عبد الهادي: ١١١٣
أحمد بن محمد العبدي: ٦٧٤، ٨٣٨

أحمد بن محمد بن علي بن حجر:
١١٤٢

أحمد بن محمد القابلي: ١١١٥

أحمد بن محمد القدوري: ٦٦٥

أحمد بن محمد القزويني: ٦٧٢

أحمد بن محمد القلشاني: ١٠٤٠

أحمد بن محمد بن محمد الطبري:
١١٣٣

أحمد بن محمد مكي الحسيني: ٩٤٩

أحمد بن محمد النيسابوري: ٦٠٧

أحمد بن محمود الأبي: ١٠٥٨

أحمد بن مصطفى برناز: ١٠٥٧

أحمد بن المظفر - ابن زين التجار:-
٨٠١

أحمد بن معالي بن بركة الحربي: ٨٣٤

أحمد بن المعذل: ٤٩٩

أحمد المكودي: ١٠٧٥

أحمد بن نصر الداودي: ٧٢١

أحمد بن نصر الله التستري: ٩٧٧

أحمد بن يحيى الحسيني: ٦٣٨

أحمد بن يعقوب - أبو الفوارس :-
٦٥٩

أبو إدريس الخولاني: ٢٨٦

أحمد بن محمد الأخوي: ١١٢٨

أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي:
٥٩١

أحمد بن محمد الإسفراييني = أبو
حامد: ٦٧٥

أحمد بن محمد الإسكندراني: ٥٨١

أحمد بن محمد بن إسماعيل
الطهطاوي: ٩٤٩

أحمد بن محمد الجزار: ٧٢٣

أحمد بن محمد بن جزي الكلبي:
١٠٩٨

أحمد بن محمد الجوهري: ٦٨٥

أحمد بن محمد بن الحجاج: ٥٣٩

أحمد بن محمد بن حسين البارودي:
١٠٥٩

أحمد بن محمد الخلال: ٥٩٨

أحمد بن محمد بن سالم: ١٣٢٤

أحمد بن محمد بن سعدي: ٧١٥

أحمد بن محمد بن صاعد: ٨٤٧

أحمد بن محمد الصاوي: ٩٦٠

أحمد بن محمد العدوي = الدردير
٩٥٨

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن
الطبري: ٥٩١

أحمد بن محمد بن عبد الغني: ٨٢٢

أحمد بن محمد بن عمر - ابن الخياط
الفاقي -: ١٣٢١

أحمد بن محمد بن عمر العقابي: ٨٤٩

أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال: ٧٣٣

إسماعيل وهبي بن محمد القونوي :
١١٧١

إسماعيل بن يحيى المزني : ٥٢٩
الأسود بن يزيد النخعي : ٢٤٦
الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم :
٩٦٢

أشهب بن عبدالعزيز : ٤٥٢
أصبع بن الفرغ : ٤٥٧
أصبع بن خليل : ٤٨٩
ابن بنت الأعز : ٨٠٥
ابن أمير الحاج : شمس الدين محمد :
٩٨١

أمين الدين محمد النويري : ١١٣٧
أمين الواعظ بن محمد أفندي : ١٠٠٨
أنس بن مالك : ٢٦٢
أوج باشا : نور الدين حمزة : ١١٦٧
ابن أبي أويس الأصبحي : ٤٤٧
إيأس بن معاوية : ٢٧٦
أيوب السختياني : ٢٧٩

- ب -

باشماقجي زادة : علي بن محمد حفيد
سيد علي : ١١٧٠

بارودجي زادة : نائب بكتاش بن عمر :
١٠٠٧

باقشير : عبدالله بن محمد : ١١٢٢
القاضي الباقلاني : محمد بن الطيب :
٦٦٩

الإسبيري : محمد بن يوسف : ٩٨٤

أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي : ١٠٩٨

إسحاق بن إبراهيم بن مسرة : ٦٢٩

أبو إسحاق بن إبراهيم الدينوري : ٦٣٦

أبو إسحاق الإسفراييني : ٦٩٦

إسحاق بن إسماعيل بن حماد : ٥٠٠

إسحاق بن راهويه : ٣٦٣

إسحاق بن الفرات بن الجعد : ٤٥٥

إسحاق بن محمد الزبيدي : ١١٢٤

أبو إسحاق بن منصور الففصي : ٧١٤

إسحاق بن منصور الكوسج : ٥٣٨

إسحاق بن يوسف الصردفي : ٨٧٦

أسد بن الفرات : ٤٦٨

أسعد بن أبي بكر الإسكندراني : ١١٣٢

أسلم بن عبد العزيز : ٦٣٢

أسماء بنت يزيد بن السكن : ٣٢٧

إسماعيل بن أحمد الإسماعيلي : ٦٨٧

القاضي : إسماعيل بن إسحاق : ٥٩٢

إسماعيل بن أبي بكر الحسيني : ١١١٧

إسماعيل التميمي : ١٠٤٨

إسماعيل بن عبدالله المغربي : ١٠٠٣

إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري : ٣٠١

إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي :
٩٩٣

إسماعيل بن مكي بن عوف : ٧٩٦

إسماعيل بن أبي المهاجر : ٢٩٩

إسماعيل بن القاسم بن محمد : ١١١١

إسماعيل نعيم بن إبراهيم العلانية :
١١٧٠

- أبو بكر البيهقي: ٦٩٨
 بكر خواهر زادة: ٨٤٨
 أبو بكر السمعاني: ٨٤٥
 بكر بن سواده: ٣٠٣
 أبو بكر الشاشي: ٨٣٠
 أبو بكر الطرطوشي: ٧٩٥
 أبو بكر بن عبدالرحمن: ١٩٣
 أبو بكر بن عبدالله = القفال المروزي
 الصغير ٦٩٥
 بكير بن عبدالله بن الأشج: ٢٩٢
 أبو بكر بن العربي: ٨٧٠
 أبو بكر بن علي بن موسى الهاملي:
 ١١٢٤
 أبو بكر بن محمد - ابن خياط -:
 ١١١٧
 أبو بكر بن محمد اليافعي: ٨٧٦
 أم البهاء فاطمة بنت محمد البغدادية:
 ٩١٨
 بهاء الدين بن علي اللخمي: ٨٠٤
 بهاء الدين محمد بن محمد باقر:
 ١٠٢٨
 بهرام بن عبدالله: ٩٥٣
 البهلول بن راشد: ٤٦٧
- ت -
- تاج الدين بن أحمد المدني: ١١٥٤
 تاج الدين السبكي: ٩٨٨
 تاج الدين عبدالوهاب = عرب شاه ٩٨٢
- باعلوي أحمد شريف: ١١٢٢
 بامخرمة: أحمد بن عبدالله اليميني:
 ١١٢١
 أم البدر بدر بنت فخر الدين بن تيمية:
 ٩٢١
 بدر الدين الزركشي: ٩٦٣
 بدر الدين القرافي: ٩٥٦
 البرادعي: خلف بن أبي القاسم
 الأسدي: ٧١٣
 البربري: محمد بن يحيى بن عمر: ٦٢٦
 بركات بن محمد الخطاب: ١١٥٠
 برهان الدين إبراهيم بن التاج
 عبدالوهاب: ١٠١٦
 برهان الدين إبراهيم الصنهاجي: ١٠٠٣
 برهان الدين بن إبراهيم بن ظهيرة: ١١٣٥
 برهان الدين إبراهيم العسقلاني: ٩٧٣
 برهان الدين إبراهيم بن فرحون: ١١٤٥
 برهان الدين بن إبراهيم الفزاري: ٩٨٧
 برهان الدين بن إبراهيم بن مفلح: ٩٩٨
 برهان الدين اللقاني: ٩٥٧
 برهان الدين بن نصر العسقلاني: ٩٧٣،
 ٩٧٦
 بشر بن الحسين: ٦٠٩
 ابن بشير: إبراهيم بن عبدالصمد: ٨٥٧
 ابن بشير: محمد بن سعيد: ٤٨٢
 ابن البقال: أحمد بن عبدالله بن سهل:
 ٦٨٢
 بقي بن مخلد: ٥٧٣
 أبو بكر أحمد الخولاني: ٧٠٩

- ث -

ثابت بن أسلم البناني: ٢٧٩
أبو ثور: إبراهيم بن خالد: ٤١٣

- ج -

جابر بن زيد: ٢٦٦
جعثل بن همام: ٣٠٢
جعفر بن أحمد بن عليّ القميّ: ٦١٠
جعفر بن إدريس الكتاني: ١٣٢١
جعفر بن محمد بن جعفر القميّ: ٦١٠
جعفر بن محمد المروزي: ٦٦٣
جعفر الصادق بن محمد الباقر: ٣٩٧
جعفر بن عبدالرحيم المخاني: ٧٣٩
جعفر بن عبدالله الدامغاني: ٨٢٧
ابن الجلاب: عبيدالله بن الحسن: ٦٦٩
جلال الدين الدواني: ١٠٢٠
جلال الدين السيوطي: ٩٦٦
جلال الدين عبدالله بن أحمد الكوفي: ١٠٠٦
جلال الدين عبدالله بن شاس: ٧٩٧
جلال الدين نصر الله التستري: ١٠١٥
جمال الدين الحصري: ٨٠٨
جمال الدين ابن الصفاوي: ٧٩٨
جمال الدين عبدالحميد الشيرازي: ١٠١٨
جمال الدين عبدالصمد - ابن
الحرستاني -: ٨١٤
جمال الدين علي بن المسلم: ٨١٠

تاج الدين عبدالوهاب بن خلف = ابن
بنت الأعرّ: ٨٠٥
تاج الدين عبدالوهاب بن عفيف الدين
اليافعي: ١١٣٩
تاج الدين عبدالوهاب العلوي: ٩٩٢
تاج الدين الفزاري: ٩٨٦
تاج العارفين بن أبي بكر العثماني:
١٠٤٤
ابن التبان: عبدالله بن إسحاق: ٧٠٦
تجنّي الوهاية: ٩٢٠
ابن التركماني: عثمان بن إبراهيم: ٩٤٢
التسولي: علي بن عبدالسلام: ١٠٧٧
تقيّة بنت محمد بن أموسان: ٩١٩
تقيّ الدين إبراهيم بن مفلح: ٩٩٨
تقيّ الدين أحمد بن تيمية: ٩٩٤
تقيّ الدين أحمد بن عمر المقدسي:
٩٧٦
تقيّ الدين أحمد بن كمال الدين الشمني:
٩٤٤
تقيّ الدين بن زيتون: ١٠٣٠
تقيّ الدين السبكي: ٩٨٨
تقيّ الدين عبدالله بن محمد الزيرباتي:
١٠١٢
تقيّ الدين محمد بن أحمد الفاسي:
١١٥٢
تقيّ الدين محمد بن أحمد - ابن
النّجار: ٩٧٥
تقيّ الدين محمد بن أحمد اليافعي: ١١٣٨
تقيّ الدين بن محمد الدمشقي: ٩٩١

- جمال الدين عمر بن إدريس الأنباري: ١٠١٥
جمال الدين محمد بن حسين القماط: ١١٢١
جمال الدين محمد بن رضي الدين اليميني: ١١١٨
جمال الدين محمد بن الصديق: ١١٢٥
جمال الدين محمد بن ظهيرة: ١١٣٤
جمال الدين محمد بن عبدالسلام: ١١٢١
جمال الدين محمد بن عبداللطيف الزرندي: ١١٢٧
جمال الدين بن محمد عليّ الطيّب: ١١٢٥
جمال بن عمر المكي: ١١٣٢
جمال النساء بنت أحمد البغدادية: ٩٢٠
جميل بن كريب = أبو كريب: ٣٠٤
الجنيد بن محمد البلياني: ١٠١٩
ابن الجوهري محمد بن أحمد: ٩٧١
الجويني: إمام الحرمين، عبدالملك بن عبدالله: ٨٤٢
جوى زادة محيي الدين محمد: ١١٦٧
جوى زادة محيي الدين محمد بن محمد: ١١٧٠
- ابن الحاجب: جمال الدين عثمان: ٧٩٨
- ابن الحاجب: عماد الدين محمد: ١٠٩٧
ابن الحاجب: محمد بن أحمد بن خلف: ٨٧٠
الحارث بن قيس الأعور: ٢٤٩
الحارث بن مسكين: ٤٥٨
حامد بن عليّ العمادي: ٩٨٤
أبو حامد الإسفراييني: ٦٧٥
أبو حامد الغزالي: ٨٤٣
حامد بن محمود الحراني: ٨٥٢
حبان بن أبي جبلة: ٣٠٣
أم حبيبة عائشة بنت معمر: ٩١٩
حبيب بن أبي ثابت: ٢٥٩
حبيب بن أبي حبيب: ٤٤٧
حبيب الله بن عبدالله العلوي الدهلوي: ١٠١٩
حرملة بن يحيى التجيبي: ٤٦٢، ٥٣٠
ابن حزم الظاهري: ٧٣٦
حسن بن إبراهيم الزيلعي: ٩٤٩
الحسن بن أحمد الإصطخري: ٦٠٤
الحسن بن أحمد البتاء: ٦٨١
حسن بن أحمد بن عليّ الطويل: ١٢٩٣
الحسن بن أحمد بن محمد - الجلال -: ١١١٠
الحسن بن أحمد بن يزيد: ٥٩٧
الحسن البصري: ٢٦٩
الحسن بن حامد البغدادى: ٦٨٠
الحسن بن حبيب الدمشقي: ٥٨٦
حسن بن حسين بن عليّ آل الشيخ: ١٣٠٤

- الحسن بن الحسين بن أبي هريرة: ٥٩٧
الحسن بن رحال: ١٠٧٤
حسن بن رضوان حنفي: ١٢٩٢
الحسن بن زياد: ٤٢٤
الحسن بن سالار الغزنوي: ١٠٠٩
الحسن بن سعيد بن حمّاد: ٥٤٤
أبو الحسن بن سليمان: ٧١٤
حسن العدوي الحمزاوي: ١٢٩١
الحسن بن عليّ بن خلف: ٥٩٨
حسن بن عليّ العطار: ٩٧١
الحسن بن عليّ بن فضال: ٥٤٤
حسن بن عليّ المسيلي: ٨٦٣
حسن بن عمّار الشرنبلالي: ٩٤٨
الحسن القرشي: ٧١٧
الحسن بن محمد بن إبراهيم الكواري: ٦٩٠
حسن بن محمد برتقيز: ١٠٦٤
الحسن بن محمد بن الحنفيّة: ٢٠٧
الحسن بن محمد الزعفراني: ٥٢٧
الحسن بن محمد بن شعيب = أبو عليّ السنجي: ٦٨٩
حسن بن محمد الهذّة: ١٠٤٩
أبو الحسن ابن المقلوب السوسي: ٧١٥
الحسن بن منصور الأوزجندي: ٨٥٠
حسن بن عبدالله النواوي: ١٢٩٧
أبو الحسين - قاضي الحرمين -: ٦٠٧
الحسين بن أحمد اليزدي: ٨٤٧
حسين بن إبراهيم البارودي: ١٠٥٨
حسين البارودي الثاني: ١٠٥٩
- حسين بن جمال الدين الخوانساري: ١٠٢٨
الحسين بن أبي زرعة: ٥٨٦
الحسين بن سعود الفراء: ٨٤٥
الحسين بن سعيد بن حمّاد: ٥٤٤، ٦٠١
الحسين بن عبدالنبيّ: ١١٧٠
الحسين بن عتيق الربيعي: ٧٩٨
الحسين بن عليّ بن جعفر: ٦٨٨
الحسين بن عليّ الصيرمي: ٦٦٦
الحسين بن عليّ الكرابيسي: ٥٢٧
الحسين بن أبي القاسم البغدادي: ١٠١١
الحسين بن القاسم بن علي: ٧٤٠
حسين بن محمد الأوسي: ١٣٢٣
حسين بن محمد صالح الحسيني: ١٠٢٨
الحسين بن يوسف بن المطهر: ١٠١٦
الحقّار: محمد بن عليّ الغرناطي: ١١٠٠
حفصة بنت سيرين: ٣٢٩
الحكم بن عتيبة: ٢٥٨
حلولو: أحمد بن عبدالرحمن: ١٠٤١
حمّاد بن أبي سليمان: ٢٥٨
حمد بن ناصر بن معمر: ١١٥٩
حمزة بن عبدالله بن محمد الناشري: ١١٢٢
حمزة بن يوسف بن الحوراء: ٧١٧
حميدة بن محمد بيرم: ١٠٦٣

ابن خويز منداد: محمد بن أحمد: ٦٧٣
 أم الخير فاطمة بنت علي بن المظفر: ٩١٨

- د -

دادة خليفة: برهان الدين إبراهيم بن
 بخشي: ٩٨٢

داود بن علي بن خلف: ٤١٥

ابن دحية: عمر بن حسن: ٨٧٤

ددة خليفة: كمال الدين: ١١٦٩

درّاس بن إسماعيل: ٦١٨

أم الدرداء: خيرة بنت أبي حدرد: ٣٢٧

أبو الدرداء: عويمر الأنصاري: ٢٨٤

الدردير: أحمد بن محمد العدوي:

٩٥٨

الدسوقي: محمد بن أحمد بن عرفة:

٩٥٩

ابن دقيق العيد: تقي الدين محمد:

٩٦٠

دهماء: ١٢٣٤

دهن اللوز بنت نورنجان: ٩٢٠

- ذ -

ابن أبي ذئب: هشام بن شعبة: ٣٥٩

أبو ذرّ الهروي: عبدالله بن أحمد: ٧٤١

- ر -

ابن راشد القفصي: محمد بن عبدالله:

١٠٣١

حميد الدين حمد الله الحسيني: ١١٦٥

حنش بن عبدالله: ٢٩٦

الإمام أبو حنيفة النعمان: ٣٦٨

حنيف الدين بن عبدالرحمن العمري:

١١٣١

حيدرة بن عمر الزندوردي: ٦٠١

حيدر بن محمد بن إبراهيم الشيرازي:

١٠١٩

- خ -

خارجة بن زيد: ٢٠٤

خالد بن أحمد النقشبندي: ١٠١٠

خالد بن أبي عمران التجيبي: ٣٠٥

خالد الكردي الشهرزوري: ٩٩٤

خديجة بنت سحنون: ٦٢٢

خديجة الشاهجانية: ٧٧٠

خديجة بنت العماد: ١٢٣٣

ابن خطيب الدهشة: نور الدين محمود:

٩٩١

الخطيب شمس الدين محمد بن أحمد:

ابن الخل: محمد بن المبارك: ٨٣٠

ابن بنت خلدون: عبدالمنعم بن

إبراهيم: ٧١١

خلف بن أبي بكر التحريري: ١١٥١

خلف بن أبي القاسم الأسدي =

البرادعي ٧١٣

خليل بن إسحاق الجندي: ٩٥٢

خواجة زادة: مصطفى بن يوسف: ١١٦٣

- ز -

- ابن زرب: محمد بن يبقى: ٧٢٦
 زَرَّ بن حيش: ٢٤٩
 ابن أبي زرعة: محمد بن عبدالله: ٤٦٣
 أبو زرعة: وليّ الدين العراقي: ١٠١٠
 زفر بن الهذيل: ٤٢٤
 الزقاق: علي بن قاسم: ١٠٦٩
 القاضي زكرياء الأنصاري: ٩٦٨
 الزملكاني: كمال الدين محمد بن عليّ:
 ٩٨٧
 ابن أبي زمنين: ٧٣٠
 أبو الزناد: عبدالله بن ذكوان: ٢١٥
 زهير بن الحسن = أبو نصر
 السرخسي: ٦٩٨
 ابن زويج: محمد بن عيسى: ٧١٩
 ابن الزيات: أبو الحسن عليّ: ٨٦٥
 زياد بن عبدالرحمن: ٤٨١
 زيد بن عبدالله اليميني: ٨٧٦
 ابن أبي زيد القيرواني: ٧٠٥
 زيد بن أسلم: مولى ابن عمر: ٢١٧
 زيد بن ثابت: ١٧١
 أبو زيد الدبوسي: ٦٩٢
 زينب بنت أحمد بن أبي بكر: ١٢٣٢
 زينب بنت أبي سلمة المخزومية: ٣٢٧
 زينب الشعرية: أمّ المؤيد: ٩٢٠
 زينب بنت الكمال: ١٢٣٣
 زينب بنت عبدالله بن عبدالحليم بن
 تيمية: ١٢٣٣

- الراعي الغرناطي: محمد بن إسماعيل:
 ١١٠١
 ابن الرايس: فضل بن نصر التاهرتي: ٦٢١
 الربيع بن أنس: ٣٠٨
 ربيعة الرأي: ٢١٤
 ربيعة بن سميع: ٣١٧
 ربيع بن سليمان بن عطاء الله: ٦١٧
 الربيع بن سليمان المرادي: ٥٢٩
 رجاء بن حيوة: ٢٨٧
 رجاء بن عيسى الأنصاري: ٦٦١
 رحومة بن محمد الصاوي: ١٣٢٩
 ابن رشد الجدّ: أبو الوليد محمد:
 ٨٦٩
 ابن رشد الحفيد: أبو الوليد محمد:
 ٨٧١
 الرضاع: محمد بن قاسم: ١٠٤١
 رضوان بن محمد بن سليمان: ١٢٩٣
 ابن الرفعة: نجم أحمد بن محمد: ٩٦١
 رفيع بن مهران: ٢٦٩
 ركن الدين أحمد بن محمد القرمي:
 ١٠٢٥
 ركن الدين شافع بن عمر الجبلي:
 ١٠١٤
 ركن الدين عزيز بن محمد القزويني:
 ٨٤١
 رمضان أفندي: ١٠٥٣
 روح بن الفرّج - أبو الزنباع -: ٥٨١
 الروياني: عبدالواحد بن إسماعيل: ٨٣٩

ابن سراج الغرناطي: محمد بن محمد:
١١٠١

السرخسي: محمد بن أحمد بن سهل:
٨٤٧

أبو السرور محمد: ١١٤٧

سعد الدين التافنازي: ١٠٢٣

سعد الدين عيسى بن أمير خان: ١١٦٧

سعد الدين فضل الله الشامكاني: ١٠٢٢

سعد بن عبدالله بن أبي خلف: ٦١٠

سعد بن عبدالله المعافري: ٤٤٨

سعد الله بن عيسى بن أمير خان: ١١٦٧

سعد الله بن نصر: ٨٣٤

أبو السعود العمادي: ٩٤٧

أبو سعيد بن الأعرابي: ٧٣٩

سعيدة بنت عبدالملك: ٩٢٠

سعيد بن جبير: ٢٥١

سعيد بن حسان الصائغ: ٤٨٥

أبو سعيد الخدري: ١٨٣

سعيد الشريف الطرابلسي: ١٠٨٨

سعيد بن كثير بن عفير: ٤٥٦

سعيد بن محمد الغساني: ٥٧٤

سعيد بن مسعود التجيبي: ٣٠٠

سعيد بن المسيب: ١٨٧

سعيد بن أبي هند: ٤٨٢

سفيان الثوري: ٤٠٤

سفيان بن سعيد الثوري: ٣٦٠

أم السلامة بنت أحمد: ٧٦٩

أبو سلمة بن عبدالرحمن: ١٩٤

ابن أبي سلمة: عبدالعزيز الماجشون: ٣٥٩

أم سلمة: هند بنت أبي أمية: ٣٢٩

زين الدين أبو بكر بن حسين العثماني:
١١٣٩

زين الدين عبدالسلام الزواوي: ٨٢٥

زين الدين عبدالرحمن بن علي
الزرندي: ١١٢٩

زين الدين بن نجيم: ٩٤٦

- س -

سالم بن إبراهيم الصنهاجي: ١٠٠٤

سالم بن أحمد بن فتح: ٧٣٨

سالم بن سالم المقدسي: ٩٧٧

سالم بن عبدالله: ٢٠٠

ابن أبي سبرة: ٣٥٩

سّ العيش أم عبدالله: ١٢٣٥

سّ الكتبة نعمة: ٩١٩

ستية: أم عبد الواحد: ٧٧٠

سحنون بن سعيد التنوخي: ٤٧٢

سراج الدين البلقيني: ٩٦٤

سراج الدين الحسين بن يوسف: ١٠١٣

سراج الدين عبداللطيف الحسيني:

١١٢٥

سراج الدين عبداللطيف بن محمد

الفاسي: ١١٥٥

سراج الدين عمر بن أحمد المصري:

١١٣٨

سراج الدين عمر بن علي = قارىء

الهداية: ٩٤٣

سراج الدين عمر ابن الملقن: ٩٦٣

ابن شبلون: عبد الخالق بن خلف: ٧٠٨
 ابن شجرة: أحمد بن كامل: ٥٧٠
 شرف الدين أحمد بن عبد الرحمن بن
 عسكر: ١٠١٢
 شرف الدين أحمد بن قدامة: ٩٩٧
 شرف الدين عبد الرحيم الزيرياتي:
 ١٠١٥
 شرف الدين عبد الغني الحراني: ٩٧٦
 شرف الدين محمود الشريشي: ٩٩٠
 شريح القاضي: ٢٤٧
 الشريف التلمساني: محمد بن أحمد:
 ١٠٧٨
 الشريف التونسي: حسن بن عبد الكبير:
 ١٠٤٧
 الشريف الكركي: محمد بن عمران:
 ١٠٠١
 شعيب بن الحسين: ٨٦٣
 شمس الدين الكرمانلي: ١٠٠٩
 شمس الدين محمد بن أحمد البساطي:
 ٩٥٣
 شمس الدين محمد بن أحمد الرملي:
 ٩٧٠
 شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني:
 ١٠٠١
 شمس الدين محمد بن أحمد القرافي:
 ٩٥٣
 شمس الدين محمد بن أحمد النابلسي:
 ١١٥٦

ابن سلمون المسيلي: ٧٢١
 سليمان بن بلال: ٤٤٣
 سليمان بن خلف = أبو الوليد الباجي:
 ٧٣٤
 سليمان بن سالم القطان: ٦٢٢
 سليمان بن عبد الله بن محمد بن
 عبد الوهاب: ١١٥٩
 سليمان بن أبي العزّ الأذري: ٩٤١
 سليمان بن عطية: ١٣٠٤
 سليمان بن علي الجبلي: ٦٣٧
 سليمان بن المغيرة: ٣٦٠
 سليمان بن يحيى بن عمر الأهدل: ١١٢٤
 سليمان بن يسار: ٢٠٤
 سند بن عنان الأزدي: ٧٩٦
 سهل بن محمد الصعلوكي: ٦٩٣
 ابن أبي سوار: ٧٢٠
 السيد الجرجاني: علي بن محمد:
 ١٠٢١
 سيف الدين عبد الغني بن فخر الدين
 الحراني: ٨٥٤
 السيوري: عبد الخالق بن عبد الوارث: ٧١٢
 ابن السيوفي: بدر الدين حسن بن علي:
 ٩٩٢

- ش -

الإمام الشافعي = محمد بن إدريس: ٣٩٠
 شاه وليّ الله الدهلوي: ١١٧٣
 أبو شبرمة: عبد الله ابن شبرمة: ٤٠٤

شهاب الدين أحمد بن عليّ النويري:
١١٤٧
شهاب الدين أحمد بن عمر الربيعي: ١٠٠٢
شهاب الدين أحمد بن محمد الشلبي: ٩٤٨
شهاب الدين الأذرعى: ٩٩٠
شهاب الدين عبدالرحمن بن محمد بن
عسكر: ١٠١١
شهاب الدين القرافي: ٩٥٠
شهاب الدين المقرئ: ١٠٨٤
ابن شهاب الزهري: ٢١٠
شهدة بنت أحمد بن الفرّج: ٩١٨
شهدة بنت أبي نصر الإبري: ٩١٨
شيخ زادة: محمد بن مصلح الدين
القوجوي: ١١٦٧

- ص -

صاعد بن أحمد الطليطلي: ٧٣٨
صالح بن أحمد بن حنبل: ٥٣٨
صالح البلقيني: علم الدين: ٩٦٥
صالح بن حسين الكواش: ١٠٤٦
صالح بن محمد بن نوح العمري: ١١٥٤
صالح بن مهدي بن عليّ: ١١١١
ابن الصبّاغ: عبدالسيّد بن عبدالواحد:
٨٢٩
صدر الدين الثاني: ١٠٢٨
صدر الدين سليمان بن أبي العزّ: ٨٠٩
صدر الدين محمد بن عماد الدين
الجويني: ٨٠٣

شمس الدين محمد بن البرزالي: ١٠١٣
شمس الدين محمد بن الشبريني: ٩٦٩
شمس الدين محمد بن شرف الدين: ٩٨٠
شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن
عسكر: ٦٧٤
شمس الدين محمد بن عبدالله التمرتاشي:
٩٤٧
شمس الدين محمد ابن عسكر: ٩٧٤
شمس الدين محمد بن عليّ، ابن
طولون: ٩٨٣
شمس الدين محمد بن غازي: ١٠٧٠
شمس الدين محمد القهستاني: ١٠٢٦
شمس الدين محمد بن محمد الآمدي: ١١٥٥
شمس الدين محمد بن محمد الفناري:
١١٦١
شمس الدين محمد بن مسلم الصالحي:
١١٥٤
شمس الدين محمد بن مفلح: ٩٩٧
شمس الدين محمد بن يوسف القونوي:
٩٨٠
شهاب الدين الألوسي: ١٠٠٧
شهاب الدين أحمد البخاري: ١١٣٠
شهاب الدين أحمد بن شمس الدين
البخاري: ١١٣٠
شهاب الدين أحمد بن عبدالعزيز: ٩٧٥
شهاب الدين أحمد بن عثمان اليمني:
١١٢٣
شهاب الدين أحمد بن عليّ الحسني:
١١٥٢

طليب بن كامل اللخمي: ٤٤٨
طه بن أحمد الكوراني: ١٣٠١

- ظ -

ظافر بن الحسين الأزدي: ٧٩٧
ظهير الدين ظهيرة بن محمد ابن ظهيرة:
١١٤٨

- ع -

عائشة: أم المؤمنين: ١٧٦، ٣١٩
عائشة الباعونية: ١٢٣٦
عائشة بنت الحسن الوركانية: ٧٧٠
عائشة بنت طلحة التيمية: ٣٣٠
ابن عابدين: محمد أمين: ٩٨٤
عامر الشعبي: ٢٥٦
ابن أبي عامر: عبدالرحمن بن سعود:
٧١٩

عبادة بن الصامت: ٢٨٣
ابن عبّاد الهروي: ٦٩٩
أبو العباس الأبيوردي: ٦٧٩
عبدالأعلى بن وهب = ابن وهب:
٤٨٨
عبدالباقي بن شهاب الدين الآلوسي:
١٣٠١

عبدالباقي الزرقاني: ٩٥٧
ابن عبدالبر: يوسف بن عبدالله: ٧٣٣
عبدالجبار بن خالد السرتي: ٦٢٠
عبدالجبار بن محمد الخواري: ٨٤٤

صدر الدين موهوب بن عمر الجزري:
٨٠٥

صدقة بن الحسين بن بختيار: ٨٣٤
صديق بن علي المزجاجي: ١١٢٥
صفى الدين عبدالؤمن بن عبدالحق:
١٠١٤

صلاح الدين منصور بن يونس البهوتي:
٩٧٨

- ض -

الضحّاك بن مزاحم: ٣٠٧
ضياء الدين عبدالرحمن بن سعد القزويني:
١٠٢٥
ضياء الدين محمد بن محمد الهندي:
١١٢٧

- ط -

طاهر بن أحمد بن عبدالرشيد: ٨٤٩
طاهر بن برهان الدين: صدر الإسلام
البخاري: ٨٤٨
طاهر بن عبدالله الطبري: ٦٧٧
طاهر بن محمد بن عبدالرزاق البشتي:
١٣٢٦

طاهر بن نصر الله بن جهيل: ٨١٣
طاووس بن كيسان: ٢٩٣
ابن طرار: أبو الفرج المعافى: ٥٦٩
ابن الطلاع: محمد بن فرج: ٨٦٨
طلق بن جابان: ٣٠١

- عبدالرحمن بن أبي الفتح الحلواني : ٨٣٣
عبدالرحمن بن عبدالغني : ٨٢٢
عبدالرحمن بن عبدالله البعلي : ١٠٠١
عبدالرحمن بن عبدالمؤمن : ٦٣٦
عبدالرحمن بن عفان الجزولي : ١٠٦٦
عبدالرحمن بن عليّ الجوزي : ٨٣٦
عبدالرحمن بن عليّ الكناني : ٧١٠
عبدالرحمن بن عيسى العمري : ١١٣١
عبدالرحمن الغرياني : ١٠٨٦
عبدالرحمن بن غنم : ٢٨٦
عبدالرحمن الفاسي : ١٠٦٦
عبدالرحمن بن القاسم : ٢١٣
عبدالرحمن بن قاسم النجدي : ١٣٠٤
عبدالرحمن بن كمال الدين ابن العديم :
٩٤١ ، ٨١٠
عبدالرحمن بن أبي ليلي : ٢٥٠
عبدالرحمن بن المبارك : ٣٦٣
عبدالرحمن بن محمد = اللبيدي :
٧١٠
عبدالرحمن بن محمد الحضرمي :
١١٢٤
عبدالرحمن بن محمد السجلماسي :
١٠٠٢
عبدالرحمن بن محمد بن فوران
المروزي : ٧٠٠
عبدالرحمن بن موسى المغربي : ١٠٠٤
عبدالرحمن بن نجم الدين : ٨٢٠
عبدالرحمن بن هارون القنازعي : ٧٣١
عبدالرحيم بن أحمد الكتامي : ٧١٧
عبدالجليل بن مخلوف الصقلي : ٦٦١
ابن عبدالحكم : عبدالحكم بن عبدالله :
٤٥٩
ابن عبدالحكم : محمد بن عبدالحكم :
٤٦٠
عبدالحكيم بن شمس الدين السيلكوتي :
١١٧٣
عبدالحق بن عبدالرحمن الأزدي : ٨٦٤
عبدالحق بن محمد بن هارون : ٧٢٣
عبدالحميد الصائغ : ٨٦٠
عبدالحميد بن عمران الصديقي : ٨٦٧
عبدالحميد بن عبدالعزيز : ٥٨٦
عبدالخالق بن خلف = ابن شبلون :
٧٠٨
عبدالخالق ابن عبدالوارث = السيوري :
٧١٢
عبدالرحمن بن أحمد الجامي : ١٠٢٢
عبدالرحمن بن إسماعيل الدمشقي : ٨١٧
عبدالرحمن الأوزاعي : ٤٠١
عبدالرحمن بن الباز اليحصبي : ٧١٧
عبدالرحمن بن أبي جعفر : ٤٥٦
عبدالرحمن بن رافع : ٣٠٢
عبدالرحمن بن زياد بن أنعم : ٣٠٥
عبدالرحمن بن سعدي : ١٣٠٤
عبدالرحمن بن صخر = أبو هريرة :
١٨٠
عبدالرحمن بن عبدالعليّ : ٨٠٣
عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي : ٦٦١
عبدالرحمن الغماري : ٨٢٥

- عبدالغني بن عبدالواحد الجماعيلي: ٨٠٦
- عبدالغني بن عبدالواحد بن علي: ٨٢١
- عبدالقادر بن عبدالكريم الورديني: ١٣٢٠
- عبدالقادر بن عبدالظاهر الحراني: ٨٥٢
- عبدالقادر بن عمر التغلبي: ١٠٠١
- عبدالقادر الفاسي: ١٠٧٢
- عبدالقادر بن يحيى الطبري: ١١٣٤
- عبدالقوي بن محمد البجائي: ١١٥١
- عبدالكريم السناري: ١٢٩٤
- عبدالكريم بن عبدالصمد الطبري: ٧٧٦
- عبدالكريم بن عبدالله العباسي: ١١٣٢
- عبدالكريم بن محمد الرافعي: ٨٤١
- عبدالكريم بن نجم الدين: ٨٢١
- عبداللطيف الخجندي: ٨٤٠
- عبدالله بن ابراهيم الاصيلي: ٧٢٦
- عبدالله بن ابراهيم الحسيني: ١١٣٢
- عبدالله بن أحمد بن ابراهيم الأبياني: ٦١٨
- عبدالله بن أحمد باكثير: ١١٤١
- عبدالله بن أحمد بن حنبل: ٥٣٩
- عبدالله بن أحمد الشريف التلمساني: ١٠٨٠
- عبدالله بن أحمد بن طالب الأغلبي: ٦١٣
- عبدالله بن أحمد بن علي الحضرمي: ١١٢٠
- عبدالله بن أحمد بن عود العماد: ٧٩٤
- عبدالرحيم بن خالد الإسكندراني: ٤٤٨
- عبدالرزاق بن همام: ٣٦٣
- عبدالرؤوف المناوي: ٩٧٠
- عبدالسلام أفندي: ١٣٠٢
- عبدالسلام بن الحاج سعيد: ١٣٠٢
- عبدالسلام بن السمح: ٧٣٦
- عبدالسلام بن عبدالله الخضر: ٨٥٤
- عبدالسلام بن عمر المارديني: ١١٧١
- عبدالعزیز بن أحمد الجزري: ٦٨٤
- عبدالعزیز البخاري: ٦٩٣
- عبدالعزیز بن جعفر = غلام الخلال: ٥٩٩
- عبدالعزیز بن أبي حازم: ٤٤٢
- عبدالعزیز بن حمد بن ابراهيم: ١١٦٠
- عبدالعزیز بن حمد بن معمر: ١١٦٠
- عبدالعزیز بن عبدالسلام عز الدين: ٨١٧
- عبدالعزیز بن عبدالعظيم الطرابلسي: ١٠٨٦
- عبدالعزیز بن عبدالله الداركي: ٥٧٧، ٦٧٥
- عبدالعزیز بن عبدالله الناصري: ١١٥٩
- عبدالعزیز بن عمر بن محمد: ١١٤١
- عبدالعزیز بن محمد البصري: ٦٦٩
- عبدالعزیز بن محمد الرحبي: ١٠٠٧
- عبدالعزیز بن محمد بن عبيد الدراوردي: ٤٤٣
- عبدالعزیز بن محمد بن النعمان: ٦٥٨
- عبدالعزیز بن يحيى الكناني: ٥٣١
- عبدالغفور البغدادي: ١٠١١

عبدالله بن أحمد بن محمد بن المغلس :
٦٠١
عبدالله بن إسحاق = ابن تَبَّان : ٧٠٦
عبدالله بن أسعد اليافعي : ١١٣٨
عبدالله بن إسماعيل البرقي : ٦٢١
عبدالله أفندي : ١٠٥٤
عبدالله بن حسن آل الشيخ : ١٣٠٥
عبدالله بن الحسن الصعدي : ١١٠٨
عبدالله بن الحسين الدامغاني : ٨٢٧
عبدالله بن الحسين السويدي : ١٠١٠
أبو عبدالله الحلبي : ٦٩٩
عبدالله بن سليمان بن داود : ٨٧٣
عبدالله بن شبرمة = أبو شبرمة : ٣٦٠
عبدالله بن شهاب الدين اليزدي : ١٠١٧
عبدالله بن رفاعة السعدي : ٨٠١
عبدالله بن الزبير الحميدي : ٥٣١
عبدالله الزويزي : ٧٢٠
عبدالله بن طاووس : ٢٩٧
عبدالله ابن ظهيرة : ١١٣٤
عبدالله بن عباس : ٢١٨
عبدالله بن عبد الباقي : ٨٣٤
عبدالله بن عبد الحكم : ٤٥٤
عبدالله بن عبد اللطيف آل الشيخ : ١٣٠٤
عبدالله بن عبدالله الدكاري : ١١٥١
عبدالله بن عبيد الله = ابن أبي مليكة :
٢٣١
عبدالله بن علي بن أبي شيبة : ٣١٧
عبدالله بن عمر : ١٧٣
عبدالله بن عمر بن أحمد القيسي : ٦٣٣

عبدالله بن عمر الدبوسي : ٦٩٣
عبدالله بن عمر بن عبدالله : ١١٢٣
عبدالله بن عمر بن غانم الرعيني : ٤٦٦
عبدالله بن عمرو بن العاص : ٢٨٩
عبدالله العنقري : ١٣٠٤
عبدالله بن غالب بن تمام : ٧١٩
عبدالله فروخ : ٤٦٤
عبدالله بن محمد بن الأشج : ٦٢٣
عبدالله بن محمد بن خالد = ابن
مرتيل : ٤٨٨
عبدالله بن محمد الخوارزمي : ٦٧٩
عبدالله بن محمد بن سعد الله : ٧٩٣
عبدالله بن محمد ابن فرحون : ١١٤٤
عبدالله بن محمد بن عبدالله ابن فرحون :
١١٤٦
عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب : ١١٥٩
عبدالله بن محمد بن علي الفهري : ٨٠٤
عبدالله بن محمد بن قاسم : ٦٣٤
عبدالله بن محمد الهاشمي : ١٠٢١
عبدالله بن المغيرة بن أبي بردة : ٣٠٤
عبدالله بن مسعود : ٢٣٣
عبدالله بن مسلمة القعني : ٤٩٨
أبو عبدالله المقرئ : محمد : ١٠٦٦
عبدالله بن نافع الصائغ : ٤٤٤
أم عبدالله نشوان : ١٢٣٥
عبدالله بن الوليد بن سعيد الأنصاري :
٦٦٢
عبدالله بن وهب : ٤٥٠
عبدالله بن يحيى بن دحون : ٧٣٢

عبدالله بن أحمد بن محمد بن المغلس :
٦٠١
عبدالله بن إسحاق = ابن تَبَّان : ٧٠٦
عبدالله بن أسعد اليافعي : ١١٣٨
عبدالله بن إسماعيل البرقي : ٦٢١
عبدالله أفندي : ١٠٥٤
عبدالله بن حسن آل الشيخ : ١٣٠٥
عبدالله بن الحسن الصعدي : ١١٠٨
عبدالله بن الحسين الدامغاني : ٨٢٧
عبدالله بن الحسين السويدي : ١٠١٠
أبو عبدالله الحلبي : ٦٩٩
عبدالله بن سليمان بن داود : ٨٧٣
عبدالله بن شبرمة = أبو شبرمة : ٣٦٠
عبدالله بن شهاب الدين اليزدي : ١٠١٧
عبدالله بن رفاعة السعدي : ٨٠١
عبدالله بن الزبير الحميدي : ٥٣١
عبدالله الزويزي : ٧٢٠
عبدالله بن طاووس : ٢٩٧
عبدالله ابن ظهيرة : ١١٣٤
عبدالله بن عباس : ٢١٨
عبدالله بن عبد الباقي : ٨٣٤
عبدالله بن عبد الحكم : ٤٥٤
عبدالله بن عبد اللطيف آل الشيخ : ١٣٠٤
عبدالله بن عبدالله الدكاري : ١١٥١
عبدالله بن عبيد الله = ابن أبي مليكة :
٢٣١
عبدالله بن علي بن أبي شيبة : ٣١٧
عبدالله بن عمر : ١٧٣
عبدالله بن عمر بن أحمد القيسي : ٦٣٣

- عبدالله بن يزيد: ٣٠١
عبدالمحسن بن يعيش الحراني: ٨٥٢
عبدالمعطي السملائي: ٩٧٠
عبدالمملك بن بحر الجلاب: ٧٣٩
عبدالمملك بن حبيب: ٤٨٦
عبدالمملك بن عبدالله = الجويني: ٨٤٢
عبدالمملك بن عبدالعزيز بن جريح: ٣٥٨
عبدالمملك بن عبدالله بن محمود: ٦٦٢
عبدالمملك بن عيسى بن درباس: ٨٠٢
عبدالمملك بن الماجشون: ٤٤٥
عبدالمملك بن المنعم القلعي: ١١٣٢
عبدالمنعم بن إبراهيم = ابن بنت
خلدون: ٧١١
عبد النبي المغربي: ١٠٠٤
عبدالواحد بن إسماعيل = الروياني:
٨٣٩
عبدالواحد بن الحسين الصيمري: ٦٧٥
عبدالواحد بن عاشر: ١٠٧٢
عبدالواحد بن محمد: ٦٦٤
عبدالوارث بن حسن = ابن معتب:
٧٠٨
عبدالوهاب بن سليمان بن علي: ١١٥٧
عبدالوهاب بن عبدالواحد: ٨١٩
عبدالوهاب بن محمد بن رامين: ٦٧٩
عبدالوهاب بن النحاس: ٧٩٤
عبدالوهاب بن نصر: ٦٧٠
عبدالله بن الحسن = ابن الجلاب: ٦٦٩
عبدالله بن الحسين الكرخي: ٥٨٩
عبدالله بن عبدالله بن عتبة: ٢٠٢
عبدالله بن عمرو السلماني: ٢٤٦
عبدالله بن محمد العكبري: ٦٧٩
أبو عبيد القاسم بن سلام: ٣٦١
العتبي: محمد بن أحمد: ٤٩٠
عثمان بن سعيد بن كثير: ٨٠٣
عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري: ٨١٦
عثمان بن عبدالحكم الجذامي: ٤٤٨
عثمان بن عبدالله الدمشقي: ١١٣٢
عثمان بن عيسى بن درباس: ٨٠٢
عثمان بن عيسى بن كنانة: ٤٤٣
عثمان بن مالك: ٧١٧
عرب شاه: تاج الدين عبدالوهاب: ٩٨٢
عروة بن الزبير: ١٩٠
عز الدين بن إبراهيم العسقلاني: ٩٧٣
عز الدين عبدالسلام بن وجيه الدين:
١١٢٣
عز الدين محمد بن أحمد النويري:
١١٣٧
عطاء بن أبي رباح: ٢٢٨
ابن عطاء الله الإسكندري: ٧٩٩
عطاء بن أبي مسلم الخراساني: ٣٠٧
ابن أبي عصرون: عبدالله بن محمد:
٨١٢
عفيفة بنت أحمد: أم هانئ الفارفانية:
٩١٩
عفيف الدين عبدالله الشجري: ١١٢٢
عقبة بن عامر: ٢٩١
عكرمة: مولى ابن عباس: ٢٢٦
علاء الدين حجي بن موسى: ٩٨٩

علاء الدين الرومي: ١١٦٦

١٠٢٨

علاء الدين علي بن يوسف: ١١٦٥

علاء الدين علي البكائي: ١١٦٥

علاء الدين علي بن سليمان المرداوي:

١١٤٢

٩٧٤

علاء الدين علي بن محمود الهروي:

علاء الدين علي بن بلال الأملي: ٧٤٠

علاء الدين علي بن يحيى السمرقندي:

١٠٢٣

علاء الدين علي بن جار الله ابن ظهيرة: ١١٣٠

أبو علي الحسن اليوسي: ١٠٧٣

علاء الدين علي النويري: ١١٤٨

علاء الدين علي بن الحسين بن حرب: ٥٨٢

علاء الدين علي بن يحيى السمرقندي:

١٠٢٥

علاء الدين علي بن الحسين الموسوي: ٦٨٥

علاء الدين الكاساني: ٨٠٨

أبو علي ابن خلدون: ٧١٤

علاء الدين بن محمد بن أحمد

أبو علي الداودي: ٦٩١

السمرقندي: ٨٥٠

علاء الدين علي بن محمد بن أحمد الحسني:

ابن علاق الغرناطي: محمد بن علي:

١٢٩٧

١٠٩٩

علاء الدين علي بن محمد البزدوي: ٨٤٩

علقمة النخعي: ٢٤٤

أبو علي المرورودي: ٦٩٩

ابن علويه الأبهري: ٦٦٨

علاء الدين علي بن محمد البزدوي: ٨٤٩

علاء الدين علي بن محمد البزدوي: ٨٤٩

علاء الدين علي بن أبي رافع: ٣١٧

علاء الدين علي بن أحمد التجيبي: ٨٦٤

علاء الدين علي بن زياد التونسي: ٤٦٥

علاء الدين علي بن أحمد بن جمال الدين: ١١٥٧

أبو علي السنجي: ٦٩٦

علاء الدين علي بن أحمد الدامغاني: ٨٢٧

علاء الدين السويدي البغدادي: ١٠٠٧

علاء الدين علي بن أحمد بن سعيد = ابن حزم

الظاهري: ٧٣٦

علاء الدين علي بن أبي طالب: ٢٣٧

علاء الدين علي بن أحمد العدوي الصعيدي: ٩٥٨

علاء الدين علي بن عبد القادر: ١٠٨٥

علاء الدين علي بن أحمد الكوفي: ٦٠٢

علاء الدين الكندي: ١٣٠٢

علاء الدين علي بن أحمد النعيمي: ٦٩٠

علاء الدين علي بن عبد الله بن إبراهيم = المتيطي: ٨٦٦

علاء الدين علي بن إسماعيل الأبياري: ٧٩٧

علاء الدين علي بن عبد الله البصير: ٩٨٣

علاء الدين علي بن أسباط: ٥٤٤

علاء الدين علي بن أبي عبد الله الدامغاني: ٨٢٧

علاء الدين علي بن أصغر بن عبد الصمد البكري:

علاء الدين علي بن عبد الواحد السجلماسي: ١٠٨٤

١١٧٣

عمر بن أسعد بن المنجي : ٨٥٢
 عمر بن إسماعيل بن يوسف : ٨٧٥
 عمران بن موسى الطرابلسي : ٨٦٧
 عمرة بنت عبدالرحمن : ٢٠٥ ، ٣٢٨
 عمر بن حسين الأمدي : ١١٧١
 عمر بن أبي الحسين ابن الصابوني :
 ٧٢٠
 عمر بن الحسين بن عبدالله : ٥٨٧
 عمر بن الخطاب : ١٦٧
 عمر ابن الشيخ : ١٣٠٦
 عمر بن عبدالرحمن السعيدي : ١٠٨٧
 عمر بن عبدالعزيز بن مازة : ٨٤٨
 عمر بن مجد السراج اليماني : ١١١٩
 عمر بن محمد بن أحمد المسلاتي : ١٣٢٦
 عمر بن محمد بن معيد السراج : ١١٢٠
 عمر بن محمد بن يوسف ابن حماد :
 ٥٩٥
 عمرو بن الحارث : ٣٦٢
 عمرو بن دينار : ٢٣٠
 عمرو بن مقدم : ثابت بن هرمز : ٣١٧
 عمرو بن محمد بن عمرو السوسي :
 ٧١٥
 عناية الله بن عبدالله الوابكني : ١٠٢٧
 أبو عون عبدالله بن عون : ٣٦٠
 عياض بن موسى اليحصبي : ٨٥٨
 عيسى بن إبان اليحصبي : ٤٢٦
 عيسى بن أحمد الغبريني : ١٠٣٦
 عيسى بن دينار : ٤٨٣
 عيسى بن سعادة السجلماسي : ٦٢٠

علي بن عقيل بن محمد : ٨٣٢
 علي بن عمر بن أحمد = ابن القصار : ٦٦٩
 علي بن فتح بن عبدالله : ٨٦٥
 علي الفلصادي : أبو الحسن : ١١٠٤
 علي بن محمد = الماوردي : ٦٧٦
 علي بن محمد الاستنبولي : ٩٤٨
 علي بن محمد بن إسحاق : ٦٦٣
 علي بن محمد البصري : ٦٧٣
 علي بن محمد بن خلف = ابن
 القاسبي : ٧٠٨
 علي بن محمد الربيعي = اللخمي : ٨٥٥
 علي بن محمد الزرويلي : ١٠٦٥
 علي بن محمد الشوكاني : ١١١٤
 علي بن محمد علي بن جميل : ٨٢٥
 علي بن محمد بن عيسى العدني : ١١٤٠
 علي بن محمد ابن فرحون : ١١٤٣
 علي بن محمد بن كاس : ٥٨٧
 علي بن محمد بن ناصر الدين المنوفي :
 ٩٥٥
 علي بن محيي الدين الشيرازي : ١٠١٩
 علي بن مخلوف النويري : ٩٥١
 علي بن موسى بن يزداد القمي : ٦٠٨
 علي بن النعمان : ٦٥٨
 علي بن يوسف الدرويش : ١٠٥٨
 عماد الدين محمد بن حزب الله = ابن
 الحاج : ١٠٩٧
 عماد الدين محمد بن يونس الأربلي : ٨١٤
 عمر بن أحمد بن عمّار الميساري :
 ١٣٢٧

فخر الدين عبدالرحيم بن عبدالكريم:

٨٥٤

فخر الدين محمد بن تيمية: ٨٥٣

فخر الدين ابن هبة الله: ٨١٥

فرات بن إبراهيم بن فرات: ٦٠٢

أبو الفرج القامي: ٦٩١

الفضل بن شاذان: ٥٤٤

أم الفضل كريمة القرشية: ٩٢٠

فضل بن نصر التاهرتي = ابن الرايس:

٦٢١

ابن أبي الفهم التنوخي: ٥٨٧

ابن فورك: محمد بن الحسن: ٦٩٤

- ق -

ابن القاسبي: علي بن محمد بن خلف:

٧٠٨

القاسم بن إبراهيم: ٥٤٤

قاسم بن أصبغ: ٦٢٧

أبو القاسم البرزلي: ١٠٣٩

قاسم بن سعيد العقباني: ١٠٨٢

قاسم بن زروق: ١٠٤٣

القاسم بن محمد: ٢٠٠

القاسم بن محمد الجمحي: ٧٣٩

قاسم بن محمد بن قاسم بن سيّار:

٦٣٠

القاسم بن عليّ: المنصور بالله العياني:

٧٤٠

قاسم بن قطلوبغا: ٩٤٥

عيسى بن عكاس: ١٣٠٣

عيسى بن علاء: ٦١٩

عيسى بن مسعود الزواوي: ٩٥١

عيسى بن مسكين: ٦١٣

عين شمس بنت أحمد ابن أبي الفرج:

٩١٩

- غ -

ابن غازي: محمد بن أحمد: ١٠٧٠

ابن غانم علي بن محمد المقدسي:

٩٤٨

غلام الخلال: عبدالعزيز بن جعفر بن

أحمد: ٥٩٩

غيّاث الدين محمد الواسطي: ١٠٠٩

- ف -

فاطمة بنت سعد الخير: ٩١٩

فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي:

٩١٩

فاطمة بنت عيّاش البغداديّة: ١٢٣٢

فاطمة بنت المهدي: ١٢٣٥

فتيان بن أبي السمع: ٤٥٦

فتيان بن مباح الحراني: ٨٥١

ابن الفخّار: محمد بن عمر: ٧٣٠

٧٤١

فخر الدين إسماعيل بن يحيى الشيرازي:

١٠١٩

فخر الدين طريح بن محمد النجفي: ١٠١٧

أبو كريب: جميل بن كريب: ٣٠٤
 كريمة بنت عبد الوهاب القرشية: ٩٢٠
 كريمة المروزية: أم الكرام: ٧٧٠
 كمال الدين ابن العديم: ٧٩٤، ٨٠٩
 كمال الدين محمد بن عبدالله الموصللي:
 ٨١١

كمال الدين محمد بن عبدالواحد =
 ابن الهمام: ٩٤٣
 كمال الدين محمد بن يوسف الربيعي: ٩٩٢
 كمال الدين موسى البكري: ١١٢٢

- ل -

ابن لبّ: فرج بن قاسم: ١٠٩٧
 الليدي: عبدالرحمن بن محمد: ٧١٠
 لقمان بن يوسف: ٦٢٣
 ابن لهيعة: عبدالله بن عقبة: ٣٦٢
 الليث بن سعد: ٤٠٦
 ابن أبي ليلى: محمد بن عبدالرحمن: ٣٦٠

- م -

ماجد بن هاشم البحراني: ١٠٢٨
 المازري: محمد بن عليّ: ٨٥٦
 ابن ماكولا: ٦٨٨
 مالك بن أنس: ٣٧٧
 الماوردي: عليّ بن محمد: ٦٧٦
 المبارك بن عليّ الطباخ: ٨٧٧
 المتيطي: عليّ بن عبدالله: ٨٦٦
 مجاهد بن جبر: ٢٢٤

قارء الهداية: سراج الدين عمر بن
 عليّ: ٩٤٣
 قاضي زادة: شمس الدين أحمد:
 ١١٦٩

ابن قاضي شهبة: تقي الدين بن شهاب
 الدين: ٩٩٢
 قبيصة بن ذؤيب: ٢٠٧
 قتادة بن دعامة السدوسي: ٢٧٥
 قرة جلبي زادة: عبدالعزیز بن حسام
 الدين: ١١٧٠

القزديري: عبداللطيف بن حسن
 الجالقي: ٩٨٣

ابن القصار: عليّ بن عمر: ٦٦٩
 قصير الحنفي: ١٠٢٦
 قطب الدين محمد بن سلطان: ٩٨٢
 قطب الدين محمد بن علاء الدين
 الهندي: ١١٣٠

القفال الشاشي: محمد بن عليّ: ٦٠٥
 القفال المروزي الصغير: أبو بكر
 عبدالله: ٦٩٥

أبو قلابة: عبدالله بن زيد: ٢٦٧
 قمير بنت عمرو الكوفية: ٣٣٠
 ابن قيّم الجوزية: شمس الدين
 محمد بن أيوب: ٩٩٦
 قيس بن أبي حازم: ٢٥٠

- ك -

كثيرة بن مرة: ٢٨٧

محمد بن أحمد بن عيسى البغدادي:

٦٦٢

محمد بن أحمد الغباري: ٦٨٢

محمد بن أحمد بن قدامة: ٨٢٤

محمد بن أحمد القرشي: ١١٢٩

محمد بن أحمد بن مجاهد: ٦٦٩

محمد بن أحمد المرداوي: ٩٧٨

محمد بن أحمد بن مساهل: ١٠٨٨

محمد بن أحمد بن موسى السخاوي:

١١٥٠

محمد بن أحمد النيسابوري: ٨٧٧

محمد بن أحمد ابن الوشاء: ٦٦١

محمد بن إدريس الشافعي: ٣٩٠

محمد بن إسحاق بن خزيمة: ٥٧١

محمد بن أسعد الصديقي = جلال

الدين الدواني: ١٠٢٠

محمد بن إسماعيل بن صلاح: ١١١٣

محمد الأشموني: ١٢٩١

محمد بن أصبغ: ٨٧٠

محمد أفندي بن أحمد أفندي: ١٠٥٤

محمد الباقر بن علي بن الحسين: ٢٠٨

محمد باقر بن محمد تقي الأصهباني: ١٠٢٨

محمد بن بدر الدين البلباني: ١٠٠٠

محمد برناز: ١٠٥٥

محمد بن أبي بكر عاصم: أبو يحيى:

١١٠٢

محمد بن أبي بكر القرشي: ١١٤٠

محمد بن أبي بكر الهمداني: ١٠٢٧

محمد بيرم الأول: ١٠٦١

محمد بن إبراهيم ابن ظهيرة: ١١٣٦

محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى:

١١٠٨

محمد بن إبراهيم بن فتاة: ١٠٤٤

محمد بن إبراهيم بن المنذر: ٥٧٢

محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد: ٨٢٢

محمد بن أحمد البغدادي: ٦٨٠، ٦٣٣

محمد بن أحمد البهوتي: ٩٧٨

محمد بن أحمد الحسن بن الفاسي:

١١٥١

محمد بن أحمد بن الحداد: ٥٨٣

محمد بن أحمد الرهوني: ١٠٧٦

محمد بن أحمد الزليطني: ١٠٨٦

محمد بن أحمد الزهري: ابن محرز:

٨٦٥

محمد بن أحمد بن أبي سعد: ٨٤٦

محمد بن أحمد بن سهل =

السرخسي: ٨٤٧

محمد بن أحمد الطبري: ١١٣٤

محمد بن أحمد بن عبدالعزيز =

العتبي: ٤٩٠

محمد بن أحمد بن عبدالله الأموي:

٦٢٩

محمد بن أحمد بن عبدالله المروزي: ٦٠٦

محمد بن أحمد بن عرفة = الدسوقي:

٩٥٩

محمد بن أحمد عظم: ١٠٤٠

محمد بن أحمد بن علي الفاكهي:

١١٥٧

محمد الخضر حسين: ١٣١٢
 محمد بن خليل غلبون: ١٠٨٩
 محمد بن داود الظاهري: ٦٠٠
 محمد أبو راس: ١٠٨٥
 محمد رضي الدين ابن أبي الخير:
 ١١٤٦
 محمد أبو زهرة: ١٣٠٠
 محمد بن زهير بن أخطل: ٧٠١
 محمد بن زاكور: ١٠٧٤
 محمد زيتونة: ١٠٤٥
 محمد بن سحنون: ٤٧٦
 محمد بن أبي السرور البهوتي: ٩٧٩
 محمد بن سعدون الميروقي: ٨٧٣
 محمد بن سعيد بن شرف الأجدابي:
 ٧١٤
 محمد سعيد الزواوي: ١٠٨٥
 محمد بن سلامة القضاعي: ٦٦٢
 محمد بن سليمان بن سعيد: ١١٦٣
 محمد بن سليمان بن سومر: ١٠٠٢
 محمد بن سليمان الصعلوكي: ٦٠٧
 محمد بن سليمان المناعي: ١٠٤٧
 محمد بن سليمان النعالي: ٦٦١
 محمد بن سماعة: ٤٢٦
 محمد السنوسي ابن مهنية: ١٠٤٩
 محمد بن السيد عبدالرسول بن قلندر:
 ١١٤٢
 محمد بن سيرين: ٢٧٣
 محمد بن شجاع: ٤٢٧
 محمد بن شعبان: أبو عبدالله: ١٠٥٥

محمد بيرم الثالث: ١٠٦٢
 محمد بيرم الثاني: ١٠٦١
 محمد بيرم الرابع: ١٠٦٢
 محمد التاودي: ١٠٧٥
 محمد بن تقي الدين عبدالباقي: ١٠٠٠
 محمد تقي الكاشاني: ١٠٢٩
 محمد بن جرير الطبري: ٥٦٧
 محمد بن جزى الكلبي: ١٠٩٥
 محمد بن جعفر بن إسماعيل: ٦٠٨
 محمد بن حبان السمرقندي: ٥٧٠
 محمد بن الحسن = ابن فورك: ٦٩٤
 محمد بن الحسن بن إبراهيم: ٦٨٨
 محمد بن الحسن البناني: ١٠٥٧
 محمد بن الحسن الحجوي: ١٣٢٢
 محمد بن الحسن الشيباني: ٤٢٢
 محمد بن الحسن الطوسي: ٦٨٦، ٨٣٨
 محمد بن الحسن بن علي الطوسي:
 ٦٨٦
 محمد بن حسن الهدية: ١٠٤٥
 محمد بن الحسين = أبو يعلى الفراء:
 ٦٨١
 محمد بن حسين البارودي: ١٠٥٨
 محمد بن حسين بن ظهيرة: ١١٣٤
 محمد بن الحسين بن فروخ: ٦١٠
 محمد حسين بن مصطفى برناز: ١٠٥٧
 محمد بن حمودة برتقيز: ١٠٦٤
 محمد بن حميدة ابن الخوجة: ١٠٦٠
 محمد بن حيدرة: ٨٣٩
 محمد بن خالد البرقي: ٥٤٣

محمد بن عبد السلام الهواري: ١٠٣٢
 محمد بن عبداللطيف الخجندي: ٨٤٠
 محمد بن عبدالله الأبهري: ٦٦٧
 محمد بن عبدالله بن أحمد البرّاز: ٦٧٤
 محمد بن عبدالله الإسكندري: ابن عين
 الدولة: ٨٠٣
 محمد بن عبدالله البصري: ٦٧٣
 محمد بن عبدالله البلخي: ٦٠٨
 محمد بن عبدالله البيضاوي: ٦٧٩
 محمد بن عبدالله الخرشي: ٩٥٨
 محمد بن عبدالله الزركشي: ٩٧٢
 محمد بن عبدالله بن أبي السعادات:
 ٨٣٨
 محمد بن عبدالله بن شوعان: ١١٢٤
 محمد بن عبدالله الصيرفي: ٥٨٤
 محمد بن عبدالله بن عيسى = ابن أبي
 زمنين: ٧٣٠
 محمد بن عبدالله بن محمد: ٦٣٦
 محمد بن عبدالله بن يحيى: ٦٢٦
 محمد بن عبدالله بن يونس التميمي:
 ٧٢٣
 محمد عبدالمعطي بن أحمد السخاوي:
 ١١٥١
 محمد بن عبد الملك الكرجي: ٨٤٦
 محمد بن عبد المنعم الأسدي: ٦٧٢
 محمد بن عبدوس: ٤٧٨
 محمد بن عبدون بن أبي ثور: ٦٢٣
 محمد بن عبد الوهاب: ١١٥٨
 محمد بن عبدويه: ٨٧٤

محمد بن شعبان الطرابلسي: ١٠٨٨
 محمد بن شهاب الدين الخافي: ١٠٢٥
 محمد ابن شهاب الدين الطوسي: ٨٠١
 محمد بن صالح بن أم شيان: ٦٦٨
 محمد صالح بن محمد إسماعيل
 البرغاني: ١٠٢٩
 محمد بن صالح بن ملوكة: ١٠٥١
 محمد صنع الله الخالدي: ٩٩٣
 محمد الطاهر بن عاشور الأول: ١٠٥٢
 محمد الطاهر بن عاشور الثاني: ١٣١٤
 محمد بن الطيّب = الباقلائي: ٦٦٩
 محمد بن الفضل النيسابوري: ٨٧٧
 محمد ابن عابدين: ١٣٠١
 محمد بن عاصم: أبو بكر: ١١٠٠
 محمد بن عاصم: أبو يحيى: ١١٠٠
 محمد العباسي المهدي: ١٢٩٢
 محمد عبده: ١٢٩٥
 محمد بن عبد الجبار الرعييني: ٨٦١
 محمد بن عبد الحفيظ النعاس: ١٠٨٩
 محمد عبدالحَيّ بن أحمد الدمشقي:
 ١٠٠٠
 محمد بن عبد الغفّار العلماوي: ٨٥١
 محمد بن عبد الرحمن التاجي: ٩٨٤
 محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير:
 ١١٤٦
 محمد بن عبد الرحمن الرعييني: ١١٤٨
 محمد بن عبد الرحمن الغزّي: ٩٩٣
 محمد بن عبد الرزاق اليشتي: ١٣٢٣
 محمد بن عبد السلام البناني: ١٠٧٤

- محمد بن مصطفى العمادي: ١١٦٩
 محمد مصطفى المراغي: ١٢٩٩
 محمد الفاضل بن عاشور: ١٣١٨
 محمد فيضي: ١٣٠١
 محمد بن القاسم بن شعبان: ٥٨١
 محمد كامل بن مصطفى: ١٣٢٤
 محمد بن اللباد = أبو بكر: ٦١٦
 محمد بن المبارك: ٨٣٠
 محمد محب الدين ابن أبي الخير: ١١٤٦
 محمد المحجوب: ١٠٥٧
 محمد ابن المحجوبة: ١٠٥٦
 محمد بن محمد بن أحمد السخاوي:
 ١١٥٠
 محمد بن محمد بن أحمد المروزي:
 ٦٠٧
 محمد بن محمد الحطاب: ١١٤٩
 محمد بن محمد الخضراوي: ١٠٤٥
 محمد بن محمد الدوكالي: ١٠٧٦
 محمد بن محمد الربيعي التونسي:
 ١٠٠٤
 محمد بن محمد السرقسطي: ١١٠٢
 محمد بن محمد بن سفيان: ٥٨٧
 محمد بن محمد الطيب التلافلاتي:
 ٩٨٤
 محمد بن محمد الطيب بن سلامة:
 ١٠٥١
 محمد بن محمد بن عبدالله ابن فرحون:
 ١١٤٥
 محمد بن محمد العلاء البخاري: ١٠٢٦
 محمد بن عتاب بن محسن: ٧٣٢
 محمد بن عرفة الورغمي: ١٠٣٣
 محمد بن عطاء الله الهروي: ١٠٢٤
 محمد بن عطية البصري: ٦٦٩
 محمد علاء الدين بن محمد أمين
 عابدين: ١٣٠٠
 محمد بن علي بن الأزرق: ١١٠٥
 محمد بن علي بن إسماعيل = القفال
 الشاشي: ٦٠٥
 محمد بن علي بن الحسين القمي: ٦١٠
 محمد بن علي الخروبي: ١٠٨٣
 محمد بن علي الدامغاني: ٦٦٦
 محمد بن علي بن سهل النيسابوري:
 ٦٩٣
 محمد بن علي السنوسي: ١٠٩٠
 محمد بن علي الشوكاني: ١١١٤
 محمد بن علي بن الفخار: أبو بكر:
 ١٠٩٤
 محمد بن علي بن الفخار: أبو عبدالله:
 ١٠٩٦
 محمد بن علي النويري: ١١٣٦
 محمد ابن العماد المقدسي: ٨٠٧
 محمد بن عمر بن الأخضر: ٦٨٤
 محمد بن عمر الواقدي: ٤٩٨
 محمد العميدي السمرقندي: ٨٥٠
 محمد بن عيسى = ابن زويج: ٨١٧
 محمد بن عيسى التميمي: ٨٦٦
 محمد بن عيسى المعافري: ٤٨٥
 محمد بن مصطفى الطنطاوي: ١٢٩١

- محمد بن محمد بن عليّ الإسفراييني: ١٠٢٢
- محمد بن يحيى الزيدي: ١١٠٧
- محمد بن يبقى = ابن زرب: ٧٢٦
- محمد بن يحيى: بهران الزيدي: ١١١٠
- محمد بن يحيى بن الحسين: ٦٣٨
- محمد بن يحيى بن عمر = البريري: ٦٢٦
- محمد بن يعقون بن إسحاق: ٦٠٢
- محمد بن أبي يعلى الفراء: ٨٣٤
- محمد بن يوسف بن مطروح: ٤٨٩
- محمد بن يوسف: ٥٩٤
- محمد بن يوسف الإسيري: ٩٨٤
- محمود الحمزاوي: ١٣٠٠
- محمود شكري الألوسي: ١٣٠٢
- النووي: محيي الدين بن شرف: ٩٨٥
- محيي الدين عبدالقادر بن سراج الدين الفاسي: ١١٥٦
- محيي الدين عبدالقادر العبادي: ١١٥٣
- محيي الدين عبدالقادر بن محمد الفاسي: ١١٥٥
- محيي الدين بن فضلان: ٨٣١
- محيي الدين محمد بن عليّ القرشي: ٨١٣
- محيي الدين محمد بن يحيى النيسابوري: ٨٤٤
- مريم ستّ القضاة: ١٢٣٣
- ابن مرتنيل: عبدالله بن محمد بن خالد: ٤٨٨
- مرثد بن عبدالله: ٢٩٢
- مرعي بن يوسف المقدسي: ٩٧٨
- محمد بن محمد بن عليّ النويري: ١١٣٧
- محمد بن محمد الفطيسي: ١٠٩٠
- محمد بن محمد أكمل الدين: البابر تي: ٩٤٢
- محمد بن محمد بن محمش الزيادي: ٦٩٥
- محمد بن محمد المكني: ١٠٨٨
- محمد بن محمد أبو منصور الأزدي: ٧٠٠
- محمد بن محمد بن منصور البكوش: ١٣٣٠
- محمد بن محمد بن النعمان: ٦٨٥
- محمد بن محمود بن بون الخوارزمي: ١١٢٨
- محمد بن مصطفى الأزهرى: ١٠٥٥
- محمد بن مصطفى البارودي: ١٠٥٩
- محمد بن مصطفى حميد الكفوي: ١١٣٢
- محمد بن مقاتل: ٤٢٧
- محمد بن المنكدر: ٢١٦
- محمد المهدي الوزاني: ١٣٢١
- محمد بن موسى الخوارزمي: ٦٦٥
- محمد ميارة: ١٠٧٢
- محمد النجار: ١٣٠٨
- محمد بن نصر المروزي: ٦٠٣
- محمد بن النعمان: ٦٥٨
- محمد بن هارون الكتاني: ١٠٣٣

- منذر بن سعيد البلوطي: ٦٣٤
 منصور بن إسماعيل بن عمر: ٥٨٢
 منصور بن عمر الكرخي: ٦٧٩
 منلا حنفي: محمد التبريزي: ١٠٢٦
 منلا خسرو: محمد بن فرامرز: ١١٦٢
 المنلا عبدالرحمن البغدادي: ١٠١٠
 منلا عليّ قاري الهروي: ١١٣١
 المنلا مختار بن فتحي البغدادي: ١٠٠٧
 ابن المنمر: عليّ بن محمد: ٧٢١
 ابن المنير: عليّ بن محمد بن منصور:
 ٩٥٠
 مهدي بن حسن بن أحمد القزويني:
 ١٠١٧
 ابن الموّاز: محمد بن إبراهيم: ٤٦١
 المواق: محمد بن يوسف: ١١٠٥
 موسى بن أحمد الحجّاجي: ٩٩٩
 موسى بن أحمد - ابن الزين اليماني -:
 ١١١٠
 أبو موسى الأشعري: ٢٦٠
 موسى بن أبي الجارود: ٥٣١
 موسى بن سليمان: ٤٢٥
 أبو موسى عمران الهواري: ١٠٨٦
 موسى بن فرج الهواري: ٧٢٣
 موسى الكاظم: ٥٤٢
 موسى بن عيسى بن أبي حاج الفاسي:
 ٧١٦
 موسى بن يحيى الصديني: ٧١٥
 موقّق الدين سلامة بن صدقة: ٨٥٢
 موقّق الدين عبدالله بن أحمد: ٨٢٣

- أبو مروان المالكي: ٧٤٠
 المزني: إسماعيل بن يحيى: ٥٢٩
 ابن مزين: يحيى بن إبراهيم: ٤٨٨
 مسروق بن الأجدع الهمداني: ٢٤٥
 مسلم بن يسار: ٢٧٤
 مصطفى بن عبدالكريم: ١٠٥٦
 مصطفى بوغازلي: ١٠٥٨
 مصطفى بن محمد البارودي: ١٠٥٩
 مصطفى بن محمد بيرم: ١٠٦٣
 أبو مصعب: أحمد بن أبي بكر: ٤٤٧
 مصلح الدين مصطفى الرومي: ١١٦٤
 مطرف بن عبدالله: ٤٤٦
 ابن معتب: عبدالوارث بن حسن: ٧٠٨
 معاذ بن جبل: ٢٨٠
 معاذة بنت عبدالله العدوية: ٣٢٩
 المعلّى بن منصور: ٤٢٥
 معمر بن راشد الأزدي: ٣٦٣
 معن بن عيسى: ٤٤٦
 المغيرة بن عبدالرحمن المخزومي: ٤٤٢
 المغيرة بن مقسم: ٢٥٩
 مفتي شيخ الرومي: عبدالكريم: ١١٦٨
 المفضل بن إسماعيل = أحمد بن
 إبراهيم بن الإسماعيلي: ٦٨٨
 المفضل بن محمد بن مسعود التنوخي:
 ٦٦٣
 مكحول بن عبدالله: ٢٨٨
 ابن مكوى: أحمد بن عبدالملك: ٧٢٧
 مكّي بن أبي طالب: ٧٤١
 ابن أبي مليكة: ٢٣١

نصر بن عبدالرزاق الجبلي : ٨٣٧
 نصر بن فتيان بن مطر : ٨٣٥
 نصر الله بن محمد اللاذقي : ٨١١
 نصير الدين أحمد بن عبدالسلام بن
 عكبر : ١٠١٤

نظام الدين عبدالحَيّ الجرجاني : ١٠٢٢
 نفيس الدين : أبو الحرم مكّي : ٧٩٦
 النعمان بن محمد : ٦٢٤

نعمان بن محمود الآلوسي : ١٣٠٢
 نوح بن مصطفى القونوي : ٩٤٩
 نور الدين عليّ الأجهوري : ٩٥٧
 نور الدين عليّ الحسني : ١١٤٠
 ذو النون بن أحمد السرماري : ١٠٢٦

- ه -

هارون بن عبدالله الزهري : ٤٩٩
 هارون بن نصر القرطبي : ٦٣١
 أبو هريرة : ١٨٠
 هشام بن عبيدالله : ٤٢٥
 هلال بن يحيى : ٤٢٧
 ابن الهمام : كمال الدين محمد : ٩٤٣

- و -

وجيه الدين عبدالرحمن بن حسين
 اليمني : ١١٢٣
 وجيه الدين القوصي : ٧٩٤
 ابن الورّان الرازي : عماد الدين محمد :
 ٨٤١

موقّق الدين عبدالله بن محمد : ٩٧٦
 موقّق الدين عبدالله المقدسي : ٩٧٢
 موقّق الدين عليّ اليمني الناشري :
 ١١١٩
 موهب بن حيي : ٣٠٠
 مير غياث الدين منصور الشتكي : ١٠٢٧

- ن -

ابن ناجي القيرواني : قاسم بن يحيى :
 ١٠٣٧
 ناصر بن الحسين العمري : ٧٠٠
 ناصر الدين الزواوي : ١٠٧٨
 ناصر الدين اللقاني : ٩٥٥
 ناصر الدين نصر الله العسقلاني : ٩٧٣
 نافع مولى ابن عمر : ٢٠٦
 نامي الأريلي : ١٠٠٧
 نجم الدين أحمد النميري : ٩٧٢
 نجم الدين الخبوشاني : ٨٠١
 نجم الدين خضر بن شمس الدين
 النجفي : ١٠١٧
 نجم الدين بن عبدالوهاب : ٨٢٠
 نجم الدين محمد بن محبّ الدين
 الطبري : ١١٣٣
 ابن النحوي : يوسف بن محمد : ٨٦٢
 النسفي : عمر بن محمد بن أحمد : ٨٥٠
 نسيم الدين محمد بن سعيد الكازوني :
 ١١٣٩ ، ١٠٢٠
 أبو نصر السرخسي : ٦٩٨

يحيى بن معمر: ٤٨٧
 يحيى بن يحيى بن بكير: ٤٩٨
 يحيى بن يحيى الليثي: ٤٨٤
 يخشى الخليفة الأماسي: ١١٦٦
 يزيد بن أبي حبيب: ٢٩٢
 يعقوب بن شيبة: ٥٠٠
 أبو يعلى الصغير: محمد بن أبي خازم:
 ٨٣٥
 أبو يعلى الفراء: ٦٨١
 يوسف بن أحمد بن كج: ٦٨٩
 يوسف بن حمّود بن خلف: ٧١٨
 يوسف بن القاسم الميانجي: ٦٦٣
 يوسف بن عبدالله بن محمد = ابن
 عبدالبر: ٧٣٣
 يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف:
 ٥٩٦، ٦٠١
 يوسف بن عمرو بن يزيد الفارسي: ٤٥٦
 يوسف بن محمد = ابن النحوي: ٨٦٢
 يوسف بن محمد برتقيز: ١٠٦٤
 يوسف بن محمد بن سليمان الهمداني:
 ٧٣٦
 يوسف بن يحيى البويطي: ٥٢٨
 أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم: ٤٢١
 يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن
 حمّاد: ٥٩٤
 يونس بن عبدالأعلى الصدي: ٤٦٣، ٥٣٠

أبو الوليد الباجي: سليمان بن خلف:
 ٧٣٤
 وليّ الدين عبدالوليّ الخولاني: ١١١٨
 الونشريسي: أحمد بن يحيى: ١٠٦٩
 وهب بن منبه: ٢٩٥
 ابن وهب: أبو وهب عبدالأعلى:
 ٤٨٨

- ي -

يحيى بن إبراهيم = ابن مزين: ٤٨٨
 يحيى بن إبراهيم الخجندي: ١١٣٠
 يحيى الأهدل: ١١١٢
 يحيى بن الحسين بن القاسم: ٥٤٥،
 ٦٣٧
 يحيى بن حمزة بن عليّ: ١١٠٨
 يحيى بن سالم بن سعيد العمراني:
 ٨٧٤
 يحيى بن سعيد الأنصاري: ٣٠٤
 يحيى بن صالح الصنعاني: ١١١٤
 يحيى بن عبدالعزيز: ٦٣١
 يحيى بن عبدالرحمن بن وافد: ٧٢٩
 يحيى بن عبدالله بن بكير: ٤٥٦
 يحيى بن عبدالله بن يحيى الليثي:
 ٦٢٨
 يحيى بن عمر: ٦١٤
 يحيى المازوني: ١٠٨٣
 يحيى بن محمد بن محمد الحطاب:
 ١١٥٠



★ الأسر العلمية

ابن الذكي : ٨١٣	الأزجي : ٦٨٤
السمعاني : ٨٤٥	الإسماعيلي : ٦٨٦
الطبري : ١١٣٣	البارودي : ١٠٥٨
ابن ظهيرة : ١١٣٤	برتقيز : ١٠٦٤
ابن عابدين : ١٣٠٠	بيرم : ١٠٦٠
ابن عبدالواحد : ٨٢١	ابن تيمية : ٨٥٣
ابن العديم : ٨٠٩	ابن جهيل : ٨١٢
العكبري : ٦٨٢	الجيلي : ٦٨٤
القرءاء : ٦٨٣ ، ٨٣٤	ابن الحنبلي : ٨١٩
ابن فرحون : ١١٤٣	ابن الخوجة : ١٠٦٠
النويري : ١١٣٦ ، ١١٤٧	الدامغاني : ٨٢٧

المصادر والمراجع^(١)

- ١ -

- * الأمدى: أبو الحسن سيف الدين ت ٦٣١هـ.
- ١ - الإحكام في أصول الأحكام. دار الكتب العلميّة، بيروت، طبعة ١٤٠٣/١٩٨٣، راجعها جماعة من العلماء بإشراف الناشر.
- * ابن الأثير: محمد بن عبدالله القضاعي ت ٦٥٨هـ.
- ٢ - الحلة السيرة. حققه وعلق حواشيه: الدكتور حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، مصر، ط ١/١٩٦٣.
- * ابن الأثير: عز الدين الشيباني ت ٦٣٠هـ.
- ٣ - أسد الغابة في معرفة الصحابة. تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، دار الشعب، مصر.
- ٤ - الكامل في التاريخ. دار بيروت، ط - ١٣٨٦/١٩٦٦.
- * الإمام أحمد: أبو عبدالله ابن حنبل ت ٢٤١هـ.
- ٥ - المسند. تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط ١٣٦٩/١٩٥٠.
- * أرنولد: هـ قرين.

(١) * التجأت في بعض الأحيان إلى اعتماد طبعتين مختلفتين للكتاب الواحد نظراً لطول المدة التي استغرقها إخراج هذا التأليف، وقد أشرت إلى ذلك في محاله.

- ٦ - العلماء التونسيون ١٨٧٣/١٩١٥.
- ترجمة حفناوي عمايرية وأسماء معلّى، دار سحنون والمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» ط ١ - ١٤١٦ / ١٩٩٥.
- * الأزهري: محمد البشير ظافر.
- ٧ - البواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة.
- دار الآفاق العربيّة، ط ١، سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- * إسماعيل: شعبان محمد.
- ٨ - تهذيب شرح الأسنوي على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي.
- مكتبة جمهورية مصر، ومكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.
- * إسماعيل: فادي.
- ٩ - الخطاب العربي المعاصر، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة ١٩٧٨ - ١٩٨٧.
- المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط ٢، ١٤١٣/١٩٩٣.
- * إسماعيل: موسى.
- ١٠ - عمل أهل المدينة وأثره في الفقه الإسلامي.
- دار ابن حزم، بيروت، ودار التراث ناشرون، الجزائر، ط ١، ١٤٢٤/٢٠٠٤.
- * الأشقر: محمد سليمان.
- ١١ - أفعال الرسول ودلالاتها على الأحكام الشرعية.
- مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨/١٩٨٨.
- * أغابزرك الطهراني: محمد محسن.
- ١٢ - نقباء البشر في القرن الرابع عشر.
- المطبعة العلمية، النجف، ط ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
- * إمام: محمد كمال الدين.
- ١٣ - نظرية الفقه في الإسلام - مدخل منهجي -
- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط ١٤١٨/١٩٩٨.
- * أمين: أحمد.
- ١٤ - ظهر الإسلام.
- دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٥، ١٣٨٨/١٩٦٩.
- ١٥ - زعماء الإصلاح في العصر الحديث.
- دار الكتاب العربي، بيروت (لم تذكر تاريخ الطبع ولا عددها).

- ب -

- * الباجي: أبو الوليد ت ٤٧٤هـ.
- ١٦ - المنهاج في ترتيب الحجاج. تحقيق عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م. * باز: سليم رستم.
- ١٧ - شرح المجلة. دار التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦/١٤٠٦.
- * الإمام البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ.
- ١٨ - الجامع الصحيح (مع شرح ابن حجر). تعليق عبدالعزيز بن باز، واعتناء محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣/١٤٢٤.
- * ابن بدران: عبدالقادر الدمشقي.
- ١٩ - المدخل إلى مذهب الإمام أحمد. صححه وقدم له وعلق عليه الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥/١٤٠٥.
- * ابن بتمام: أبو الحسن عليّ الششتري ت ٥٤٢هـ.
- ٢٠ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق الدكتور إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ط ١، ١٩٧٩/١٣٩٩.
- * ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبدالملك ت ٥٧٨هـ.
- ٢١ - الصلة في تاريخ علماء الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم. دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني - ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية - ط ٢، ١٩٨٩/١٤١٠.
- * البطليوسي: عبدالله بن محمد ابن السيّد ت ٥٢١هـ.
- ٢٢ - الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم. تحقيق الدكتور: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ٢٠٠٣/١٤٢٤.
- * البغدادي: إسماعيل باشا.

- ٢٣ - هدية العارفين: أسماء المؤلفين وأثار المصنفين.
المكتبة الإسلامية والجعفرية، تبريري، طهران، ط ٣ سنة ١٣٨٧هـ.
- * البهوتي: منصور بن يونس بن إدريس ت ١٠٥١هـ.
- ٢٤ - كشاف القناع عن متن الإقناع.
راجعه وعلّق عليه الشيخ هلال مصلحي مصطفى هلال، مكتبة النصر الحديثة، المملكة العربية السعودية.
- ٢٥ - الروض المربع شرح زاد المستقنع.
خرّج أحاديثه عبدالقدوس محمد نذير، دار المؤيد ومؤسسة الرسالة.
* البوطي: محمد سعيد رمضان.
- ٢٦ - ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية.
مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٥، ١٤٠٦/١٩٨٦.
- * بونار: رابع.
- ٢٧ - المغرب العربي: تاريخه وثقافته.
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ٢، - ١٩٨١م.
- * بيرم الخامس: محمد ت ١٣٠٧هـ.
- ٢٨ - صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار.
دار صادر، بيروت، ط ١ - ١٣٠٣هـ.

- ت -

- * التجاني: عبدالله بن محمد بن أحمد ت ق ٨هـ.
- ٢٩ - تقييد الرحلة، المعروفة برحلة التجاني.
قدّم لها العلامة المؤرخ التونسي حسن حسني عبدالوهاب الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ط ١٩٨١م.
- * الإمام الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى ت ٢٧٩هـ.
- ٣٠ - السنن.
تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- * التسخيري: محمد عليّ.
- ٣١ - مع مؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي (المؤتمرات الفقهية).
دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١ - ١٤٢٤/٢٠٠٣.
- * التسولي: عليّ بن عبدالسلام ت ١٢٥٨هـ.

- ٣٢ - البهجة في شرح التحفة - وبهامشها حلى المعاصم - دار الفكر، لبنان.
* ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن ت ٨٧٤هـ.
- ٣٣ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة. المؤسسة المصرية العامة، (نسخة مصوّرة عن دار الكتب بمصر، مع استدراقات وفهارس جامعة.
* التنبكتي: أحمد بابا ت ١٠٣٦هـ.
- ٣٤ - نيل الابتهاج بتطريز الديباج. تحقيق الدكتور عليّ عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣/٢٠٠٤.
* تيمور: أحمد باشا.
- ٣٥ - أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث. دار الآفاق العربية، مصر، ط ١٤٢٣/٢٠٠٣.
* ابن تيمية: تقيّ الدين أحمد ت ٧٢٨هـ.
- ٣٦ - رفع الملام عن الأئمة الأعلام. دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ١٩٨٠.
- ٣٧ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام. جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، بمساعدة ابنه محمد، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، ومكتبة المعارف المغرب.

- ج -

- * الجرجاني: السيّد الشريف ت ٨١٦هـ.
- ٣٨ - التعريفات. تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥/١٩٨٥.
* ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد ت ٨٣٣هـ.
- ٣٩ - غاية النهاية في طبقات القراء. عني بنشره ج. برجستراسر: G. Bergstrasser، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢ - ١٩٨٠/١٤٠٠.
- ٤٠ - النشر في القراءات العشر. أشرف على تصحيحه ومراجعته عليّ محمد الضبّاع، ط، دار الكتاب العربي، بيروت.

- * ابن جزري: أبو عبدالله محمد بن أحمد ت ٧٤١هـ.
- ٤١ - القوانين الفقهية.
دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٤/١٩٨٤.
- * جميط: عبدالعزيز.
- ٤٢ - فتاوى شيخ الإسلام محمد العزيز جميط.
دراسة وتحقيق محمد بن إبراهيم بوزغبية، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس، ط ١، ١٩٩٤م.
- * ابن الجلاب: عبيدالله بن الحسين ت ٣٧٨هـ.
- ٤٣ - التفريع.
دراسة وتحقيق الدكتور: حسين بن سالم الدهماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨/١٩٨٧.
- * الجليدي: سعيد محمد.
- ٤٤ - المدخل لدراسة الفقه الإسلامي.
مطابع عصر الجماهير، ليبيا، ط ١٩٩٨م.
- * الجندي: أنور.
- ٤٥ - الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا.
الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- * الجودي: محمد بن محمد بن صالح ت ١٣٧٣هـ.
- ٤٦ - تاريخ قضاة القيروان.
تقديم وتحقيق أنس العلاني، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» ط ١، ٢٠٠٤م.
- * الجويني: عبدالملك بن عبدالله - إمام الحرمين - ت ٤٧٨هـ.
- ٤٧ - الورقات في الأصول، ومعها شرح العبادي على شرح المحلّي على الورقات.
دار الفكر، بيروت.

- ح -

- * حاجي خليفة: مصطفى بن الله القسطنطيني ت ١٠١٧هـ.
- ٤٨ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
مكتبة المتنبي، بغداد، ط ١٤١٤/١٩٩٤.
- * ابن حارث الخشني: أبو عبدالله محمد ت ٣٦١هـ.

- ٤٩ - قضاة قرطبة وعلماء إفريقية.
عني بنشره وصححه وراجع أصله عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي،
مصر، ط ٢ - ١٤١٥/١٩٩٤.
- * ابن حبان: الحافظ أبو حاتم محمد ت ٣٥٤هـ.
- ٥٠ - مشاهير علماء الأمصار.
تصحيح المستشرق:م. فلايشهمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،
القاهرة، ١٣٧٩/١٩٥٩.
- * الحجواوي: موسى بن أحمد أبو النجات ٩٦٠هـ.
- ٥١ - الإقناع في فقه الإمام أحمد.
دار المعرفة بيروت، لبنان.
- * ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ.
- ٥٢ - الإصابة في تمييز الصحابة.
دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٣٢٨هـ.
- ٥٣ - تهذيب التهذيب.
دار صادر بيروت، ط ١، ١٣٢٧هـ.
- ٥٤ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.
دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٤/١٩٩٣.
- ٥٥ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري.
تعليق عبدالعزيز بن باز، واعتناء محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، ط
١، ١٤٢٤/٢٠٠٣.
- * الحجوي: محمد بن حسن الثعالبي ت ١٣٧٦هـ.
- ٥٦ - الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي.
اعتنى به أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١،
١٤١٦/١٩٩٥.
- * ابن حزم: أبو عبدالله علي بن أحمد الظاهري ت ٤٥٦هـ.
- ٥٧ - الإحكام في أصول الأحكام.
حققه وراجعته: لجنة من العلماء، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧/١٩٨٧.
- ٥٨ - المحلى.
دار الفكر، طبعة مصححة ومقابلة على النسخة التي حقّقها أحمد محمد شاكر.
* حسن: إبراهيم حسن.

- ٥٩ - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي.
دار إحياء التراث العربي، مصر، ط ١٩٦٤/٧.
* حسن: عليّ إبراهيم.
- ٦٠ - مصر في العصور الوسطى: من الفتح العربي إلى الفتح العثماني.
مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٩٩٣ م.
* الحسنّي: هاشم معروف.
- ٦١ - تاريخ الفقه الجعفري: عرض ودراسة.
تقديم محمد جواد مغنّية، دار النشر للجامعيين.
* حسين: محمد الخضر ت ١٣٧٧ هـ.
- ٦٢ - تونس وجامع الزيتونة.
جمع وتحقيق علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، دمشق، ط ١٩٧١/١٣٩١.
* الخطّاب: أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن ت ٩٥٤ هـ.
- ٦٣ - مواهب الجليل لشرح مختصر خليل.
دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م.
* الحكيم: محمد تقّي.
- ٦٤ - الأصول العامة للفقه المقارن.
دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.
* الحفناوي: محمد إبراهيم محمد.
- ٦٥ - التعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما في الفقه الإسلامي.
دار الوفاء، مصر، ط ٢، ١٤٠٨/١٩٨٧.
* الحموي: ياقوت، أبو عبدالله شهاب الدين ت ٦٢٦ هـ.
- ٦٦ - معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.
تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط ١ - ١٩٩٣ م.
* ابن حميد: صالح بن عبدالله.
- ٦٧ - رفع الحرج في الشريعة الإسلامية.
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١.
* حميد الله: محمد.
- ٦٨ - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.
دار النفائس، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢/٢٠٠١.
* الحميدي: محمد بن فتوح بن عبدالله ت ٤٨٨ هـ.

- ٦٩ - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر.
تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي، مصر.
* حيدر: عليّ.
- ٧٠ - درر الحكام شرح مجلّة الأحكام.
تعريب فهمي الحسيني، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١/١٩٩١.

- خ -

- * الخالدي: محمود.
- ٧١ - الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية.
دار الفكر، عمان، ط ١، ١٤٠٤/١٩٨٤.
- * الخضري: محمد.
- ٧٢ - تاريخ التشريع الإسلامي.
دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ٩، ١٣٩٠/١٩٧٠.
- * الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن عليّ ت ٤٦٣هـ.
- ٧٣ - تاريخ بغداد.
نسخة مصوّرة عن طبعة الخانجي، القاهرة، ١٣٤٩/١٩٣١.
- * الخطيب: محمد عجاج.
- ٧٤ - أصول الحديث: علومه ومصطلحه.
دار الفكر، بيروت، ط ٤، ١٤٠١/١٩٨١.
- ٧٥ - السنة قبل التدوين.
دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٠/١٩٨٠.
- * خلاّف: عبدالوهاب.
- ٧٦ - السياسة الشرعية.
مؤسسة الرسالة.
- * ابن خلدون: عبدالرحمن ت ٨٠٨هـ
- ٧٧ - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف بتاريخ العلامة ابن خلدون.
دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٨٣.

- ٧٨ - المقدمة.
دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٩/١٩٩٨.
- * ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين ت ٦٨١هـ.
- ٧٩ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.
تحقيق إحسان عباس، دار صادر ودار الثقافة، بيروت.
* خوجة: حسين ت ١١٤٥هـ
- ٨٠ - ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان.
تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.
* ابن الخوجة: محمد ت ١٣٦١هـ.
- ٨١ - تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد.
تحقيق الجيلاني بن الحاج علي وحمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٩٨٥/٢.
- ٨٢ - صفحات من تاريخ تونس.
تحقيق الجيلاني بن الحاج علي وحمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٩٨٦/١.
- * ابن الخوجة: الشيخ محمد الحبيب.
٨٣ - محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية.
طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، القطر، ٢٠٠٤/١٤٢٥.
- ٥ -
- * الدارمي: عبدالله بن عبدالرحمن ت ٢٥٥هـ.
- ٨٤ - السنن.
مطبعة الحلبي، القاهرة، ط ١٣٩٨/١٩٧٨.
- * أبو داود: سليمان بن الأشعث ت ٢٧٥هـ.
- ٨٥ - السنن.
مراجعة وتعليق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء السنة النبوية.
* الدمشقي: شمس الدين ت ٧٦٥هـ.
- ٨٦ - ذيل تذكرة الحفاظ.
دار إحياء التراث العربي، بيروت (مطبوع بذيل تذكرة الحفاظ للذهبي).
* الدبّاغ: عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله ت ٦٩٩هـ.

- ٨٧ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان. المطبعة العربية التونسية، ط ١٣٢٠هـ، مذيّل الروايات والأخبار والتراجم والآثار بإفادات لأبي القاسم قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (٨٣٩هـ).
الطبعة الثانية: المكتبة العتيقة، تونس، ط ٢ - ١٤١٣/١٩٩٣، تصحيح وتعليق مجموعة من المحققين.
* الدبوسي: أبو زيد عبيدالله عمر ت ٤٣٠هـ.
- ٨٨ - تأسيس النظر. تحقيق مصطفى محمد القبّاني الدمشقي، دار ابن زيدون، بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.
* الداودي: شمس الدين محمد بن عليّ ت ٩٤٥هـ.
- ٨٩ - طبقات المفسرين. ضبطه ووضع حواشيه عبدالسلام عبدالمعين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢/١٤٢٢.
* دحلان: أحمد بن زيني ت ١٣٠٤هـ.
- ٩٠ - السيرة النبوية. دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط ١، ١٩٩٦/١٤١٧.
* ابن أبي دينار: محمد بن أبي القاسم الرعيني ت نحو ١١٠٩هـ.
- ٩١ - المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. تحقيق وتعليق محمد شّام، المكتبة العتيقة، تونس، ط ٣، ١٩٦٧/١٣٨٧.

- ذ -

- * الذهبي: أبو عبدالله شمس الدين ت ٧٤٨هـ.
- ٩٢ - تذكرة الحفاظ. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
* الذهبي: محمد حسين الذهبي.
- ٩٣ - التفسير والمفسرون. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ر -

- * الراعي: شمس الدين محمد ت ٨٥٣هـ.

- ٩٤ - انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك.
تحقيق محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨١م.
* الرفاعي: أبو القاسم عبدالكريم ت ٦٢٣هـ.
- ٩٥ - العزيز شرح الوجيز.
تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية
بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
* ابن رشد: أبو الوليد - الجدّ - ت ٥٢٠هـ.
- ٩٦ - البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة.
تحقيق الدكتور محمد حجّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤/١٩٨٤.
- ٩٧ - المقدمات لبيان ما اقتضته المدونة من الأحكام (مطبوع مع المدونة الكبرى).
دار الفكر، بيروت، ط ١٤٠٦/١٩٨٦.
* ابن رشد: أبو الوليد - الحفيد - ت ٥٩٥هـ.
- ٩٨ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد.
دار المعرفة، بيروت، ط ٨، ١٤٠٦/١٩٨٦.
* ابن رشيق: أبو عليّ الحسين ت ٦٣٢هـ.
- ٩٩ - لباب المحصول في علم الأصول.
تحقيق محمد غزالي عمر جابي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء
التراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط ١، ١٤٢٢/٢٠٠١.
* الرضاع: أبو عبدالله محمد بن قاسم ت ٨٩٤هـ.
- ١٠٠ - شرح حدود ابن عرفة الموسوم بالهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن
عرفة الوافية.
تحقيق محمد أبو الأجفان والظاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط
١/١٩٩٣م.

- ز -

- * الزاوي: الطاهر أحمد.
١٠١ - أعلام ليبيا.
دار إحياء الكتب العربية، ط ١ - ١٣٨١/١٩٦١.
- ١٠٢ - ترتيب القاموس المحيط للفيروزآبادي.
الدار العربية للكتاب، ط ٣، ١٩٨٠.

- * الزرقا: أحمد بن محمد ت ١٣٥٧هـ.
- ١٠٣ - شرح القواعد الفقهية.
تصحيح وتعليق مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم، دمشق، ط ٢،
١٩٨٩/١٤٠٩.
- * الزرقا: مصطفى أحمد ت ١٤٢٠هـ.
- ١٠٤ - المدخل الفقهي العام.
دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٨٨/١٤١٨.
- ١٠٥ - المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي.
دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٩/١٤٢٠.
- * الزرقاني: محمد عبدالعظيم.
- ١٠٦ - مناهل العرفان في علوم القرآن.
دار الفكر، بيروت، ط ١٤٠٨/١٩٨٨.
- * زكرياء: أبو يحيى الأنصاري ت ٩٢٦هـ.
- ١٠٧ - لب الأصول وشرحه غاية الوصول.
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر.
- * الزركشي: بدر الدين محمد بن عبدالله ت ٧٩٤هـ.
- ١٠٨ - البرهان في علوم القرآن.
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط ٢.
- ١٠٩ - الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة.
تحقيق سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٠/١٤٠٠.
- * الزركلي: خير الدين ت ١٩٧٦.
- ١١٠ - الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين. ط ٣.
- * الزنجاني: شهاب الدين محمود بن أحمد ت ٦٥٦هـ.
- ١١١ - تخريج الفروع على الأصول.
حقّقه وقَدّم له وعلّق حواشيه الدكتور: محمد أديب الصالح، مكتبة العبيكات،
ط ١، ١٩٩٩/١٤٢٠.
- * أبو زهرة: محمد.
- ١١٢ - تاريخ المذاهب الإسلامية.
دار الفكر العربي، القاهرة.

- ١١٣ - الشافعي: حياته وعصره، آراؤه وفقهه.
دار الفكر العربي، القاهرة.
* أبو زهو: محمد محمد.
١١٤ - الحديث والمحدثون.
دار الكتاب العربي، بيروت، ط، ١٤٠٤/١٩٨٤.
* الزواوي: الشيخ عيسى بن مسعود.
١١٥ - مناقب سيدنا الإمام مالك (مطبوع مع المدونة الكبرى ومقدمات ابن رشد).
دار الفكر، بيروت، ط ١٤٠٦/١٩٨٦.
* زيدان: جرجي.
١١٦ - تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر.
دار مكتبة الحياة، لبنان، ط ٣.
* ابن أبي زيد: أبو محمد عبدالله ت ٣٨٦هـ.
١١٧ - الرسالة الفقهية، مع غرر المقالة في شرح غريب الرسالة لأبي عبدالله محمد بن منصور بن حمارة المغراوي.
إعداد وتحقيق محمد أبو الأجنان والهادي بن حمّو، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٨٦م.
١١٨ - النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأئمة.
تحقيق الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٩م.
* زيد: مصطفى.
١١٩ - النسخ في القرآن الكريم.
دار الوفاء، مصر، ط ٣، ١٤٠٨/١٩٧٨.

- س -

- * السباعي: مصطفى ت ١٣٩٥هـ.
١٢٠ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي.
المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥/١٩٨٥.
* السبكي: تاج الدين ت ٧٧١هـ.
١٢١ - طبقات الشافعية الكبرى.
تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى الحلبي
مصر، ط ١ - ١٣٨٦هـ.

- * ستانلي: لينبول.
١٢٢ - سيرة القاهرة.
- ترجمه عن الإنجليزية: حسن إبراهيم حسن، وعلي إبراهيم حسن، وإدوار حليم، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤، ١٩٩٣ م.
* السخاوي: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ت ٩٠٢ هـ.
- ١٢٣ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.
دار مكتبة الحياة، بيروت.
- * السراج: الوزير محمد بن محمد الأندلسي ت ١١٤٩ هـ.
- ١٢٤ - الحلل السندمية في الأخبار التونسية.
تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، ط ١٩٧٠.
- * السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد ت ٤٩٠ هـ.
- ١٢٥ - أصول السرخسي.
تحقيق أبو الوفاء الأفغاني، دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٧٢ هـ.
- ١٢٦ - المبسوط.
دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢.
- * سزكين: فؤاد.
- ١٢٧ - تاريخ التراث العربي.
نقله إلى العربية الدكتور محمود فهمي حجازي، وراجعه الدكتور عرفة مصطفى والدكتور سعيد عبدالرحيم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
- * ابن سعد: محمد الزهري ت ٢٣٠ هـ.
- ١٢٨ - الطبقات الكبرى.
دار صادر، بيروت.
- * سلام: الشيخ محمد عز الدين ت ١٤٢٠ هـ.
- ١٢٩ - نظام الإرث في الإسلام.
تقديم ومراجعة فتحي العبيدي، المطبعة العصرية، تونس، ط ١، ٢٠٠٣/١٤٢٤.
- * السنهوري: عبدالرزاق.
- ١٣٠ - مصادر الحق في الفقه الإسلامي.
دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، لبنان.

- * السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن ت ٩١١هـ.
- ١٣١ - الإتيان في علوم القرآن.
دار الفكر، بيروت.
- ١٣٢ - إسعاف المبتأ برجال الموطأ (مطبوع مع كتاب تنوير الحوالك).
دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٣٣ - تاريخ الخلفاء.
تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (لم تذكر دار النشر ولا رقم الطبعة ولا تاريخها).
- ١٣٤ - تلويح الراوي في شرح تقريب النواوي.
حققه وراجع أصوله عبدالوهاب عبداللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩/١٣٩٩.
- ١٣٥ - تزيين الممالك بمناب سيتلنا الإمام مالك (مطبوع مع المدونة الكبرى ومقدمات ابن رشد).
دار الفكر، بيروت، ط ١٩٨٦/١٤٠٦.
- ١٣٦ - تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك.
دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٣٧ - الجامع الصغير (مع فيض القدير).
مكتبة مصر، ط ٢، ٢٠٠٣/١٤٢٤.
- ١٣٨ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة.
ط، حجرية.
- ١٣٩ - نظم العقيان في أعيان الأعيان - تراجم مشاهير القرن التاسع للهجرة -
حرره الدكتور فيليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، ١٩٢٧م.

- ش -

- * الشاشي: محمد بن أحمد الففال ت ٥٠٧هـ.
- ١٤٠ - حلية العلماء.
تحقيق الدكتور ياسين أحمد درادكة، مؤسسة الرسالة ودار القلم.
- * الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم ت ٧٩٠هـ.
- ١٤١ - الاعتصام.
تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣/١٤٢٤.

- ١٤٢ - الإفادات والإنشادات.
تحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٤٣ - فتاوى الإمام الشاطبي.
تحقيق وتقديم الدكتور محمد أبو الأجفان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٤،
٢٠٠١/١٤٢١.
- ١٤٤ - الموافقات.
اعتنى بضبطه وترقيمه ووضع تراجمه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه الشيخ
عبدالله دراز، دار الفكر العربي.
* الشافعي: محمد بن إدريس ت ٢٠٤هـ.
- ١٤٥ - الأم، برواية الربيع بن سليمان.
دار الشعب، مصر، ١٩٦٨/١٣٨٨.
- ١٤٦ - الرسالة.
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.
* شاه ولي الله الدهلوي: أحمد بن عبدالرحيم ت ١١٧٧هـ.
- ١٤٧ - حجة الله البالغة.
دار إحياء العلوم، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
الطبعة الثانية: دار الجيل، ط ١، ٢٠٠٥/١٤٢٦، تحقيق الشيخ السيد سابق.
* الشعراني: عبدالوهاب بن أحمد ت ٩٧٣هـ.
- ١٤٨ - الطبقات الصغرى.
وضع حواشيه محمد عبدالله شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩/١٤١٩.
* شمام: محمود.
- ١٤٩ - أعلام من الزيتونة.
الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس ١٩٩٦/١٤١٧.
* شمام: محمود، والساحلي: محمد العزيز.
- ١٥٠ - شيوخ الزيتونة في القرن الرابع عشر الهجري.
المطبعة العصرية، تونس، ٢٠٠٠/١٤٢١.
* الشهرستاني: أبو الفتح ابن عبدالكريم ت ٥٤٨هـ.
- ١٥١ - الممل والنحل.
دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٩٨٦/١٤٠٦ (مطبوع بهامش الفصل في الممل
والنحل لابن حزم).

- * الشوكاني: محمد بن عليّ ت ١٢٥٠هـ.
- ١٥٢ - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.
دار الفكر، بيروت.
- ١٥٣ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.
تحقيق الدكتور حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق، ط ١،
١٩٩٨/١٤١٩.
- ١٥٤ - نيل الأوطار شرح متقى الأخبار.
دار الجيل، بيروت.
- * الشيباني: محمد بن الحسن ت ١٨٩هـ.
- ١٥٥ - المبسوط.
تصحيح وتعليق أبو الوفا الأفغاني، ط، مطبعة عالم الكتب.
- * الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم ت ٤٧٦هـ.
- ١٥٦ - طبقات الفقهاء.
تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط ٢.
- ١٥٧ - المهذب.
طبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، مصر، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

- ص -

- * الصعدي: عبدالمتعال.
- ١٥٨ - المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر.
مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٦/١٤١٦.
- * ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن ت ٦٤٢هـ.
- ١٥٩ - مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث.
دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨/١٣٩٨.

- ض -

- * الضبي: أحمد بن يحيى ت ٥٩٩هـ.
- ١٦٠ - بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس.
دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني - ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية -
ط ١، ١٩٨٩/١٤١٠.

- * ابن أبي الضياف: أحمد ت ١٢٩١هـ.
 ١٦١ - إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان.
 تحقيق محمد شمّام، الدار التونسية للنشر، ط/١٩٩٠.
 * ضيف: شوقي.
 ١٦٢ - تاريخ الأدب العربي.
 دار المعارف، مصر.

- ط -

- * الطباع: إياد خالد.
 ١٦٣ - محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه.
 دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢٦/٢٠٠٥.
 * الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد ت ٣٢١هـ.
 ١٦٤ - مختصر الطحاوي.
 حقّقه وعلّق عليه أبو الوفا الأفغاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار
 إحياء العلوم، بيروت.
 * الطيبي: أمين توفيق.
 ١٦٥ - دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس.
 الدار العربية للكتاب، ط ١٩٩٧م.

- ظ -

- * الظفيري: مريم محمد صالح.
 ١٦٦ - مصطلحات المذاهب الفقهية، وأسرار الفقه المرموز في الأعلام والكتب والآراء
 والترجيحات.
 دار ابن حزم،، بيروت، ط ١، ١٤٢٢/٢٠٠٢.

- ع -

- * ابن عابدين: محمد أمين ت ١٢٥٢هـ.
 ١٦٧ - ردّ المختار على الدرّ المختار: المعروف بحاشية ابن عابدين.
 تقديم عبدالجليل العطا، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- ١٦٨ - مجموعة رسائل ابن عابدين.
دار إحياء التراث العربي، لبنان.
- * ابن عاشور: شيخ الإسلام محمد الطاهر ت ١٣٩٤هـ.
- ١٦٩ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.
الشركة التونسية للتوزيع.
- ١٧٠ - أليس الصبح بقريب.
دار سحنون، تونس، ودار السلام، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧/٢٠٠٦.
- ١٧١ - تفسير التحرير والتنوير.
الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨٤م.
- ١٧٢ - مقاصد الشريعة الإسلامية.
المطبعة الفتية، تونس، ط ١، ١٣٦٦هـ.
- * ابن عاشور: العلامة محمد الفاضل ت ١٣٩٠هـ.
- ١٧٣ - أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي.
مطبعة النجاح، تونس.
- ١٧٤ - تراجم الأعلام.
الدار التونسية للنشر.
- ١٧٥ - الحركة الأدبية والفكرية في تونس.
الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢م.
- ١٧٦ - محاضرات مغربية.
الدار التونسية للنشر. الطبعة الثانية: بعنوان: محاضرات، مركز النشر الجامعي، ط ١٩٩٩.
- ١٧٧ - ومضات فكر.
الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، الجزء الأول ١٩٨١م، والجزء الثاني ١٩٨٢م.
- * ابن عبد البر: أبو عمرو القرطبي ت ٤٦٣هـ.
- ١٧٨ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (بهامش الإصابة لابن حجر).
دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١/١٣٢٨هـ.
- ١٧٩ - جامع بيان العلم وفضله.
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- * العبلري: محمد بن محمد الحيجي ت ٦٩٠هـ.
- ١٨٠ - الرحلة المغربية.

- حققه وقدم له وعلّق عليه محمد الفاسي، ط، المغرب.
 * عبده: الشيخ محمد ت ١٣٢٣هـ.
- ١٨١ - الفتاوى في التجديد والإصلاح الديني.
 تحقيق محمد عمارة، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس.
 * عبدالرازق: مصطفى.
- ١٨٢ - تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية.
 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٤٤م.
 * عبدالوهاب: حسن حسني ت ١٣٨٨هـ.
- ١٨٣ - كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين.
 مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي، وبشير البكوش، دار الغرب
 الإسلامي، بيروت، ط ١/١٩٩٠.
 * القاضي عبدالوهاب: أبو محمد علي بن نصر ت ٤٢٢هـ.
- ١٨٤ - المعونة على مذهب عالم المدينة.
 تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٨٥ - التلقين في الفقه المالكي.
 تحقيق أبي أويس محمد بوخبزة، أبي الفضل بدر بن عبدالإله، دار الكتب
 العلمية بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
 * ابن عذارى: أبو عبدالله المراكشي ت ٦٩٣هـ.
- ١٨٦ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.
 تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وإ. ليفي برونسال، دار الثقافة، بيروت.
 * أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم ت ٣٣٣هـ.
- ١٨٧ - طبقات علماء إفريقية وتونس.
 تقديم وتحقيق علي الشابي، ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، ط
 ١٩٨٥/٢م.
- * ابن العماد: شهاب الدين أبو الفلاح ت ١٠٨٩هـ.
- ١٨٨ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب.
 تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار القلم، بيروت.
 * عودة: عبدالقادر ت ١٩٥٤م.
- ١٨٩ - التشريع الجنائي مقارنا بالقانون الوضعي.
 دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ١٩٨٥/١٤٠٥.

- * عياض: أبو الفضل اليحصبي ت ٥٤٤هـ.
 ١٩٠ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك.
 تحقيق د. أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، ليبيا.

- غ -

- * الغالي: بلقاسم.
 ١٩١ - شيخ الإسلام الأعظم محمد الطاهر بن عاشور.
 دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٧/١٩٩٦.
 * الغبريني: أبو العباس أحمد بن أحمد ت ٧٠٤هـ.
 ١٩٢ - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية.
 تحقيق رابع بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
 * الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥هـ.
 ١٩٣ - إحياء علوم الدين.
 دار الكتاب العربي، بيروت.
 ١٩٤ - المستصفي من علم الأصول.
 دار الفكر، بيروت.
 ١٩٥ - المنخول من تعليقات الأصول.
 حققه وخرّج نصّه وعلّق عليه، محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط ٢،
 ١٩٨٠/١٤٠٠.
 * الغزّي: نجم الدين ت ١٠٦١هـ.
 ١٩٦ - الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة.
 تحقيق الدكتور جبرائيل سليمان جبّور، دار الثقافة، بيروت.
 ١٩٧ - الوجيز.
 اعتنى به نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.
 ١٩٨ - الوسيط.
 تحقيق أحمد محمود إبراهيم، دار السلام، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- ف -

- * ابن فرحون: برهان الدين إبراهيم ت ٧٩٩هـ.

- ١٩٩ - إرشاد السالك إلى أفعال المناسك.
دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق
والدراسات «بيت الحكمة»، تونس، ط ١، ١٩٨٩م.
- ٢٠٠ - الديباج المنهّب في معرفة أعيان علماء المنهّب.
دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤١٧/١٩٩٦.
- * ابن الفرضي: أبو الوليد عبدالله الأزدي ت ٤٠٣هـ.
٢٠١ - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس.
عني بنشره وصححه السيّد عزّت العطار الحسيني الخانجي، مصر،
١٩٥٤/١٣٧٣.
- الطبعة الثانية بعنوان: تاريخ علماء الأندلس، دار الكتاب المصري، ودار
الكتاب اللبناني - ضمن سلسلة المكتبة الأنديسيّة - ط ٢، ١٩٨٩/١٤١٠.
- * فريد: محمد بك المحامي.
٢٠٢ - تاريخ الدولة العليّة العثمانية.
تحقيق د. إحسان حقّي، دار النفائس، بيروت، ط ٢ - ١٩٨٣/١٤٠٣.
- * الفوزان: صالح بن فوزان بن عبدالله.
٢٠٣ - من مشاهير المجتهدين في الإسلام: ابن تيمية وابن عبد الوهاب.
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة
العربية السعودية.

- ق -

- * القاري: علي بن سلطان محمد الهروي.
٢٠٤ - شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر لابن حجر.
دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١٣٩٨/١٩٧٨.
- * ابن القاضي: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ت ١٠٢٥هـ.
٢٠٥ - ذرة الحجال في أسماء الرجال - ذيل وفيات الأعيان -
تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث،
القاهرة، ط ١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- ٢٠٦ - لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد (ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات).
تحقيق محمد الحجّجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط،
١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

- * ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم ت ٦٧٦هـ.
٢٠٧ - المعارف.
دار الكتب، بيروت، ط ١٩٦٠م.
- * ابن قدامة: موفق الدين المقدسي ت ٦٢٠هـ.
٢٠٨ - الكافي.
دار هجر، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ٢٠٩ - روضة الناظر وجة المناظر.
تحقيق سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١،
١٩٨١/١٤٠١.
- ٢١٠ - المغني: شرح مختصر الخرقي.
تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي وعبدالفتاح محمد الحلوة، دار عالم الكتب
الرياض، ط ٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ٢١١ - عمدة الفقه.
المكتبة العصرية بيروت، ط ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
* قلدي: محمد باشا ت ١٣٠٦هـ.
- ٢١٢ - قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف.
دراسة وتحقيق مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية.
دار السلام، مصر، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- * القرافي: بدر الدين ت ٩٤٦هـ.
٢١٣ - توشيح اللدياج.
تحقيق وتقديم أحمد الشتيوي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٣/١٩٨٣.
- * القرافي: شهاب الدين أحمد بن إدريس ت ٦٨٤هـ.
٢١٤ - الذخيرة.
دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٤م.
- ٢١٥ - شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول.
تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، دار الفكر ومكتبة الكليات الأزهرية، مصر،
ط ١، ١٣٩٣هـ.
- * القرشي: عبدالقادر بن محمد ت ٧٧٥هـ.
- ٢١٦ - الجواهر المضية في طبقات الحنفية.
تحقيق الدكتور عبدالفتاح الحلوة، طبعة الحلبي بالقاهرة ودار العلوم بالرياض.

- * القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد ت ٦٧١هـ.
- ٢١٧ - الجامع لأحكام القرآن.
- دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٣٦٩/١٩٥٠.
- * القرضاوي: الشيخ يوسف.
- ٢١٨ - الخصائص العامة للإسلام.
- مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٦، ١٤٠٩/١٩٨٨.
- * القطن: مناع خليل.
- ٢١٩ - التشريع والفقه في الإسلام: تاريخاً ومنهجاً.
- مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢/١٩٨٢.
- * ابن قطلوبغا: زين الدين قاسم ت ٨٧٩هـ.
- ٢٢٠ - تاج التراجم في من صنف من الحنفية.
- عني بتحقيقه إبراهيم صالح، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار المأمون للتراث بيروت.
- * القلصادي: أبو الحسن علي ت ٨٩١هـ.
- ٢٢١ - رحلة القلصادي.
- دراسة وتحقيق أستاذنا الدكتور محمد أبو الأجنان، الشركة التونسية للتوزيع.
- * ابن القنفذ: أبو العباس أحمد بن حسن الخطيب ت ٨٠٩هـ
- ٢٢٢ - شرف الطالب في أسنى المطالب - وفيات ابن قنفذ - (ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات).
- تحقيق محمد الحجّبي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- ٢٢٣ - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية.
- تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبدالمجيد التركي، الدار التونسية للنشر، ط/١٩٦٨.
- * القنوجي: صديق بن حسن ت ١٣٠٧هـ.
- ٢٢٤ - أبجد العلوم.
- أعدّه للطبع ووضع فهارسه عبدالجبار زكار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط ١٩٧٨م.
- * ابن القوطية: ت ٣٦٧هـ.

- ٢٢٥ - تاريخ افتتاح الأندلس.
تحقيق إبراهيم الأنباري، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني - ضمن
سلسلة المكتبة الأندلسية - ط ٢، ١٩٨٩/١٤١٠.
* ابن قيم الجوزية:
٢٢٦ - إعلام الموقعين عن رب العالمين.
تحقيق عبدالرؤف سعد، دار الجيل، بيروت، ط، ١٩٧٣م.

- ك -

- * الكاساني: أبو بكر بن مسعود ت ٥٨٧هـ.
٢٢٧ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع.
نشر زكرياء علي يوسف، مطبعة العاصمة، القاهرة.
* الكتاني: عبدالحق بن عبدالكبير.
٢٢٨ - فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات.
اعتنى به الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢ -
١٩٨٢/١٤٠٢.
* الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد ت ٧٦٤هـ.
٢٢٩ - فوات الوفيات والذليل عليها - ذيل على كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان -
تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
* ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء ت ٧٧٤هـ.
٢٣٠ - البداية والنهاية.
مكتبة المعارف، بيروت، ط، ١٩٩٠/١٤١٠.
٢٣١ - تفسير القرآن العظيم.
دار المعرفة، بيروت، ط، ١٩٨٢/١٤٠٢.
* كحالة: عمر رضا.
٢٣٢ - معجم المؤلفين: تراجم مصتفي الكتب العربية.
مكتبة المشنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٩٥٧/١٣٧٦.
* الكرخي: أبو الحسن عبيدالله ٣٤٠هـ.
٢٣٣ - أصول الكرخي (مطبوع مع كتاب تأسيس النظر للدبوسي).
دار ابن زيدون، ومكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

- * كزّو: أبو القاسم محمد.
 ٢٣٤ - محمد الخضر حسين: شيخ الأزهر الأسبق.
 دار المغرب العربي، تونس ط ١، ١٩٧٣ م.
 * الكنتاني: محمد بن صالح عيسى ت ١٢٩٢ هـ.
 ٢٣٥ - تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان.
 تحقيق وتعليق محمد العنابي، تونس، ط ١/ ١٩٧٠.

- ل -

- * اللكنوي: أبو الحسنات محمد بن عبدالحّي ت ١٣٠٤ هـ.
 ٢٣٦ - الفوائد البهية في تراجم الحنفية.
 دار المعرفة، لبنان، طبعة مصوّرة عن طبعة كراتشي ١٣٩٣ هـ.
 * لوثرروب: ستودارد.
 ٢٣٧ - حاضر العالم الإسلامي.
 نقله إلى العربية عجاج نويهض (وفيه فصول وتعليقات وحواش مستفيضة بقلم
 الأمير شكيب أرسلان).
 دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٤، ١٩٧٣/١٣٩٤.

- م -

- * الإمام ابن ماجة: أبو عبدالله محمد بن يزيد ت ٢٧٣ هـ.
 ٢٣٨ - السنن.
 تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر.
 * الإمام مالك بن أنس ت ١٧٩ هـ.
 ٢٣٩ - الموطأ.
 تعليق محمد فؤاد عبدالباقى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
 * المالكي: أبو بكر عبدالله بن محمد ت نحو ٤٧٤ هـ.
 ٢٤٠ - رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأكلهم وسير من
 أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم.
 حققه بشير البكوش، وراجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي،
 بيروت، ط ٢، ١٩٩٤/١٤١٤.

- * الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد ت ٤٥٠هـ.
- ٢٤١ - الحاوي الكبير.
- تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- * مؤنس: حسين.
- ٢٤٢ - معالم تاريخ المغرب والأندلس.
- دار المستقبل، مصر، ط ١/١٩٨٠.
- * المحتسب: عبدالمجيد عبدالسلام.
- ٢٤٣ - اتجاهات التفسير في العصر الراهن.
- مكتبة النهضة الإسلامية، الأردن، ط ٣، ١٤٠٢/١٩٨٢.
- * محفوظ: محمد.
- ٢٤٤ - تراجم المؤلفين التونسيين.
- دار الغرب الإسلامي، ط ١ - ١٤٠٤/١٩٨٤.
- * المحلّي: جلال الدين محمد بن أحمد ت ٨٦٤هـ.
- ٢٤٥ - شرح جمع الجوامع (مع حاشية البناني).
- دار الفكر، بيروت.
- * محمود: أحمد باكير.
- ٢٤٦ - إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي.
- دار قتيبة بيروت، ط ١، ١٤١١/١٩٩٠.
- * مخلوف: محمد بن محمد.
- ٢٤٧ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية.
- دار الفكر، بيروت.
- * المدني: محمد.
- ٢٤٨ - المسائل التي بناها الإمام مالك على عمل أهل المدينة.
- دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط ١، ١٤٢١/٢٠٠٠.
- * المرغيناني: برهان الدين علي بن أبي بكر ت ٥٩٣هـ.
- ٢٤٩ - الهداية شرح بداية المبتلي.
- المكتبة الإسلامية (لم يذكر تاريخ الطبعة ولا مكانها).
- * المزني: إسماعيل بن يحيى ت ٢٦٤هـ.

- ٢٥٠ - المختصر (بهامش كتاب الأم للشافعي).
دار الشعب، مصر، ط ١٩٦٨/١٣٨٨.
- * المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ.
- ٢٥١ - مروج الذهب ومعادن الجوهر.
تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة مصر، ط ٤ -
١٩٦٤/١٣٨٤.
- * الإمام مسلم: أبو الحسين ابن الحجاج ت ٢٦١هـ.
- ٢٥٢ - الصحيح (بشرح النووي).
دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٩٨٧/١٤٠٧.
- * المشاط: حسن بن محمد ت ١٣٩٩هـ.
- ٢٥٣ - الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم أهل المدينة.
دراسة وتحقيق الدكتور عبدالوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، دار الغرب
الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٠/١٤١١.
- * المصراطي: علي مصطفى.
- ٢٥٤ - أعلام من طرابلس.
- دار مكتبة الفكر، ليبيا، ط ٢ - ١٩٧٢/١٣٩٢.
- * ابن مفلح: شمس الدين أبو عبدالله محمد ت ٧٦٣هـ.
- ٢٥٥ - أصول الفقه.
حقّقه وعلّق عليه وقدم له الدكتور فهد بن محمد السدحان، مكتبة العبيكان،
المملكة العربية السعودية، ط ١/١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- * المقدسي: بهاء الدين ت ٦٢٤هـ.
- ٢٥٦ - العدة شرح العمدة.
دار الحديث، مصر، ط ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- * مقديش: محمود ت نحو ١٢٢٨هـ.
- ٢٥٧ - نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (المعروفة بدائرة مقديش).
تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١/١٩٨٨.
- * المقرئ: أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ت ١٠٤١هـ.
- ٢٥٨ - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب.
حقّقه د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١٩٦٨/١٣٨٨.

- * المناوي: عبدالرؤوف بن تاج العارفين ت ١٠٣١هـ.
 ٢٥٩ - فيض القدير شرح الجامع الصغير.
 مكتبة مصر، ط ٢، ١٤٢٤/٢٠٠٣.
 * ابن منظور: أبو الفضل محمد بن مكرم ت ٧٧١هـ.
 ٢٦٠ - لسان العرب.
 دار صادر، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٤م.
 * المواقي: محمد بن يوسف البغدادي ت ٨٩٧هـ.
 ٢٦١ - التاج والإكليل في شرح مختصر خليل (بهامش مواهب الجليل).
 دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
 * موسى: محمد يوسف.
 ٢٦٢ - تاريخ الفقه الإسلامي.
 دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
 * ميكولش: موراني.
 ٢٦٣ - دراسات في مصادر الفقه الإسلامي.
 نقله عن الألمانية سعيد بحيري وعمر صابر عبدالجليل، ومحمود رشاد حنفي،
 وراجع الترجمة.
 محمود فهمي حجازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١،
 ١٩٨٨/١٤٠٩.

- ن -

- * ابن نجيم: زين الدين ت ٩٧٠هـ.
 ٢٦٤ - الأشباه والنظائر.
 تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق.
 * ابن النديم: أبو الفرج محمد.
 ٢٦٥ - الفهرست.
 تحقيق رضا تجدد، طبعة طهران، ١٣٥٠/١٩٧١.
 * الإمام النسائي: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب ت ٣٠٣هـ.
 ٢٦٦ - السنن (بشرح السيوطي وحاشية السندي).
 المكتبة التجارية الكبرى، ط ١، ١٣٤٨/١٩٣٠.

- * النووي: أبو زكرياء يحيى بن شرف ت ٦٧٦هـ.
- ٢٦٧ - شرح صحيح مسلم.
دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٤٠٧/١٩٨٧.
- ٢٦٨ - المجموع شرح المهذب.
حقّقه وعلّق عليه وكمّله بعد نقصانه الشيخ محمد بخيت المطيعي، مكتبة الإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- ٢٦٩ - التتقيح في شرح الوسيط.
تحقيق أحمد محمود إبراهيم، دار السلام، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- * النيسابوري: أبو عبدالله محمد ت ٤٠٥هـ.
- ٢٧٠ - معرفة علوم الحديث.
اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه السيّد معظم حسين، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط ٢، ١٣٩٧/١٩٧٧.
- * النيفر: محمد الشاذلي ت ١٤١٨هـ.
- ٢٧١ - عنوان الأريب عمّا بالمملكة التونسية من عالم أديب.
المطبعة الرسمية، ط ١ - ١٣٥١/١٩٣٢.
- * النيفر: محمد البشير ت ١٣٩٤هـ.
- ٢٧٢ - التراجم الوفية لأعلام الأسرة النيفرية.
راجعته وأعدّه محمد المختار النيفر، ط، ١٩٧٧م.

- ه -

- * ابن هشام: أبو محمد عبدالملك ت ٢١٨هـ.
- ٢٧٣ - السيرة النبوية.
تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي.
- * هيتو: محمد حسن.
- ٢٧٤ - الإمام الشيرازي، حياته وآراؤه الأصولية.
دار الفكر، ط ١، ١٤٠٠/١٩٨٨.

- و -

- * الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد ت ٤٦٨هـ.

- ٢٧٥ - أسباب النزول.
تحقيق سعيد محمود عقيل، دار الجيل، بيروت، ط ٢٠٠١ م.
* وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.
- ٢٧٦ - موسوعة الفقه الإسلامي.
٢٧٧ - الموسوعة الفقهية: نشرة تعريفية.
* وزارة الأوقاف بمصر.
- ٢٧٨ - موسوعة الفقه الإسلامي.
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط ١٤١٠/١٩٩٠.
* الونشريسي: أحمد بن يحيى ت ٩٤١ هـ.
- ٢٧٩ - المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب.
خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي،
ط ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م.
- ٢٨٠ - الوفيات (ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات).
تحقيق محمد الحجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط،
١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م.

- ي -

- * اليافعي: عفيف الدين عبدالله بن أسعد ت ٧٦٨ هـ.
٢٨١ - مرآة الجنان وهبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان.
تحقيق عبدالله الجبوري، ط ١ - ١٤٠٥ / ١٩٨٤.
* ابن أبي يعلى: أبو الحسين محمد ت ٥٢٦ هـ.
٢٨٢ - طبقات الفقهاء الحنابلة.
تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١،
١٩٩٨/١٤١٩.
مقالات واستطلاعات:
- * مقالتان بعنوان: فاس من خلال المخطوطات التونسية، والترابط بين الحكمة العقلية والحكمة الشرعية للمرحوم العلامة محمد الفاضل بن عاشور.
مجلة الهداية التونسية: السنة ٢٧، صفر-ربيع الأول ١٤٢٣ هـ، أبريل-ماي ٢٠٠٢ م.
- * مقال بعنوان: علماء سوسة ودورهم في بناء الحضارة، للمرحوم الشيخ محمد الشاذلي النيفر.

ملتقى يحيى بن عمر بمدينة سوسة، أكتوبر ١٩٧٦، وزارة الشؤون الثقافية، تونس.

* مقال بعنوان: رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دراسة بيبلوغرافية لأهم شروحها، لحسن الزين الفيلاي.

ملتقى عبدالله بن أبي زيد القيرواني شوال ١٤١٣هـ/أفريل ١٩٩٣ م، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس، ط ١، ١٩٩٤م.

* مقال بعنوان: حضور المدونة الكبرى في المؤلفات والحلقات الدراسية المالكية، لمحمد المنوني.

ملتقى الإمام سحنون جمادى الثانية ١٤١٢هـ/ديسمبر ١٩٩١ م، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس، ط ١، ١٩٩٣م.

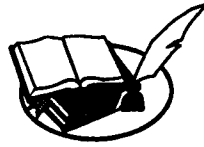
* استطلاع حول الموسوعة الفقهية بالكويت.

دراسات الخليج والجزيرة العربية: العدد ١٦.

* استطلاع حول الموسوعة الفقهية بالكويت.

مجلة الوعي الإسلامي: السنة الحادية والعشرون، العدد ٢٤٦.

* التقويم الذهبي التونسي.





المحتويات

الصفحة	الموضوع
٦ - ٥	الإهداء
١١ - ٧	المقدمة
١٩ - ١٣	مدخل: تعريف علم الفقه وأدواره
١٦ - ١٣	تعريف علم الفقه
١٩ - ١٧	أدوار الفقه الإسلامي

الجزء الأول

٥٥٣ - ٢١	الأدوار الثلاثة الأولى من تاريخ الفقه الإسلامي
١٠٥ - ٢٣	* الدور الأول: دور التأسيس
٢٥ - ٢٣	تمهيد
١٠٥ - ٢٦	مصادر التشريع في هذا الدور
٣٧ - ٣٠	* نزول القرآن، جمعه، ترتيبه، خصائصه
٤٧ - ٣٧	* طريقة تشريع الأحكام في هذا الدور
٤٨ - ٤٧	* طبيعة النصوص القرآنية
٥٥ - ٤٨	* منهج القرآن في بيان الأحكام
٧١ - ٥٦	* خصائص التشريع الإسلامي
٧٤ - ٧٢	* مفهوم السنة وواجب العمل بها
٨٣ - ٧٤	* وظائف السنة النبوية

الصفحة	الموضوع
٨٣ - ٩١	* كيفية تلقي الصحابة السنة عن رسول الله
٩١ - ٩٥	* ما دون من السنة في هذا الدور
٩٦ - ٩٨	* من اجتهادات النبي
٩٨ - ٩٩	* من اجتهادات أصحاب النبي بحضرته
١٠٠ - ١٠٥	* من اجتهادات أصحاب النبي في غيبته
١٠٦ - ٣٣٤	* الدور الثاني: دور اجتهاد الصحابة والتابعين، وظهور المراكز الفقهية
١٠٦ - ١٠٧	تمهيد
١٠٨ - ١٤٢	المرحلة الأولى: عصر الخلفاء الراشدين
١١١ - ١١٤	مصادر الفقه في هذا الدور
١١٥ - ١٢٧	منهج الصحابة في رواية الحديث
١٢٧ - ١٢٩	منهج الصحابة في استنباط الأحكام الفقهية
١٣٠ - ١٤٢	من اجتهادات الصحابة في هذه المرحلة
١٤٣ - ٣٣٠	المرحلة الثانية: عصر صغار الصحابة وكبار التابعين
١٤٧ - ١٦٥	مظاهر العناية بمصادر الفقه في هذه المرحلة
١٦٦ - ٣٠٨	مراكز الفقه في هذا الدور وأشهر القائمين عليها من الصحابة والتابعين
١٦٦ - ٢١٧	* المدينة المنورة
٢١٧ - ٢٣٢	* مكة المكرمة
٢٣٢ - ٢٦٠	* الكوفة
٢٦٠ - ٢٧٩	* البصرة
٢٨٠ - ٢٨٨	* الشام
٢٨٩ - ٢٩٢	* مصر
٢٩٢ - ٢٩٦	* اليمن
٢٩٧ - ٣٠٦	* إفريقية التونسية
٣٠٦ - ٣٠٨	* خراسان
٣٠٩ - ٣١٧	حركة تدوين الفقه في هذا الدور
٣١٨ - ٣٣٠	نشاط المرأة المسلمة في هذا الدور
٣٣١ - ٣٣٤	استخلاص ونتائج

- * الدور الثالث: دور التأصيل والتفريع، أو استقرار المذاهب الفقهية ... ٣٣٥ - ٥٥٦
- تمهيد ٣٣٧ - ٣٣٧
- مصادر الفقه في هذا الدور ٣٣٨ - ٣٤٧
- * مناقشات استدلالية بين الأئمة ٣٤٧ - ٣٥٧
- تسلسل الحلقة العلمية في مجال التشريع والفقه ٣٥٨ - ٣٦٥
- المرحلة الأولى: مرحلة التأصيل أو ظهور أئمة المذاهب الفقهية ٣٦٦ - ٤١٦
- * أبو حنيفة النعمان ٣٦٩ - ٣٧٦
- * مالك بن أنس ٣٧٧ - ٣٨٩
- * محمد بن إدريس الشافعي ٣٩٠ - ٣٩٦
- * جعفر الصادق ٣٩٧ - ٤٠٠
- * عبدالرحمن الأوزاعي ٤٠١ - ٤٠٣
- * سفيان الثوري ٤٠٤ - ٤٠٥
- * الليث بن سعد ٤٠٦ - ٤٠٧
- * أحمد بن حنبل ٤٠٨ - ٤١٢
- * أبو ثور ٤١٣ - ٤١٤
- * داود الظاهري ٤١٥ - ٤١٦
- المرحلة الثانية: مرحلة التفريع أو تدوين فقه أئمة المذاهب ٤١٧ - ٥٤٦
- * مدرسة أبي حنيفة ٤٢٠ - ٤٢٨
- * حركة التدوين والتفريع في المذهب الحنفي ٤٢٩ - ٤٤٠
- * مدرسة مالك ٤٤١ - ٥٠١
- * حركة التدوين والتفريع في المذهب المالكي ٥٠٢ - ٥١٣
- مقاربة نقدية ٥١٣ - ٥٢٢
- تأصيل المسائل ٥٢٢ - ٥٢٥
- * مدرسة الشافعي ٥٢٦ - ٥٣٢
- * حركة التدوين والتفريع في المذهب الشافعي ٥٣٣ - ٥٣٥
- * مدرسة أحمد بن حنبل ٥٣٦ - ٥٤٠
- * مدرسة الإمام الصادق ٥٤١ - ٥٤٦

استخلاص ونتائج ٥٤٧ - ٥٥٣

الجزء الثاني

- الأدوار الثلاثة اللاحقة من تاريخ الفقه الإسلامي ٥٥٥ - ١٢٤٢
- * الدور الرابع: دور التطبيق أو عصر مجتهدي المسائل ٥٥٧ - ٧٧٠
- تمهيد ٥٥٧ - ٥٥٩
- مظاهر العناية بمصادر الفقه في هذا الدور ٥٦٠ - ٥٦٥
- المرحلة الأولى: النبضات الأخيرة لعصور الاجتهاد المطلق ٥٦٦ - ٦٣٨
- * ابن جرير الطبري ٥٦٧ - ٥٧٠
- * ابن حبان السمرقندي ٥٧٠ - ٥٧١
- * ابن خزيمة ٥٧١ - ٥٧٢
- * ابن المنذر النيسابوري ٥٧٢ - ٥٧٣
- * بقي بن مخلد ٥٧٣ - ٥٧٤
- * سعيد الغساني ٥٧٤ - ٥٧٧
- * أبو القاسم الداركي ٥٧٧
- * ابن ميسر القرطبي ٥٧٧
- مراكز الفقه في هذه المرحلة وأشهر القائمين عليها من الأئمة الأعلام .. ٥٧٨ - ٦٣٨
- * مصر ٥٧٨ - ٥٨٤
- * الشام ٥٨٤ - ٥٨٨
- * العراق ٥٨٨ - ٦٠٢
- * بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر ٦٠٢ - ٦٠٩
- * بلاد المغرب ٦٠٩ - ٦٢٥
- * الأندلس ٦٢٥ - ٦٣٥
- * اليمن وبلاد الحجاز ٦٣٥ - ٦٣٨
- المرحلة الثانية: جنوح الفقهاء إلى التقليد وغلق باب الاجتهاد ٦٣٩ - ٧٦٥
- تمهيد ٦٣٩ - ٦٤٥
- جهود العلماء وعملهم في هذه المرحلة ٦٤٥ - ٦٥٦

٦٤٦	* تعليل ما استنبط الأئمة من أحكام
٦٤٨ - ٦٤٧	* الترجيح بين الآراء المتعددة في المذهب
٦٥٦ - ٦٤٨	* الانتصار للمذهب
٧٤١ - ٦٥٧	..	مراكز الفقه في هذه المرحلة وأشهر القائمين عليها من الأئمة الأعلام
٦٦٤ - ٦٥٧	* مصر والشام
٦٨٦ - ٦٦٤	* العراق
٧٠٣ - ٦٨٦	* بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر
٧٢٤ - ٧٠٣	* بلاد المغرب
٧٣٩ - ٧٢٥	* الأندلس
٧٤١ - ٧٣٩	* اليمن وبلاد الحجاز
٧٧٠ - ٧٤٢	حركة التدوين في دور التطبيق
٧٤٧ - ٧٤٥	* حركة التدوين في المذهب الحنفي
٧٥٩ - ٧٤٨	* حركة التدوين في المذهب المالكي
٧٦٣ - ٧٦٠	* حركة التدوين في المذهب الشافعي
٧٦٥ - ٧٦٤	* حركة التدوين في المذهب الحنبلي
٧٧٠ - ٧٦٦	استخلاص ونتائج
٩٢١ - ٧٧١	الدور الخامس: دور النقد والتنقيح والاختيار
٧٧٣ - ٧٧١	تمهيد
٧٨٢ - ٧٧٤	مظاهر العناية بمصادر الفقه في هذا الدور
٧٩١ - ٧٨٢	جهود العلماء وعملهم في هذه المرحلة
٧٨٦ - ٧٨٢	..	* وضع المصطلحات المتعلقة بعلامات الإفتاء والترجيح في المذاهب
٧٨٧ - ٧٨٦	* انتشار المختصرات الفقهية
٧٩١ - ٧٨٨	* اتساع التأليف في مسائل الأحكام وكتب النوازل
٨٧٨ - ٧٩٢	..	مراكز الفقه في هذه المرحلة وأشهر القائمين عليها من الأئمة الأعلام
٨٠٧ - ٧٩٢	* مصر
٨٢٥ - ٨٠٧	* الشام
٨٣٩ - ٨٢٦	* العراق

- * بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر ٨٣٩ - ٨٥٤
- * بلاد المغرب ٨٥٥ - ٨٦٧
- * الأندلس ٨٦٧ - ٨٧٤
- * اليمن وبلاد الحجاز ٨٧٤ - ٨٧٨
- حركة التدوين في هذا الدور ٨٧٩
- * حركة التدوين في المذهب الحنفي ٨٨٨ - ٨٩١
- * حركة التدوين في المذهب المالكي ٨٩٢ - ٨٩٧
- * حركة التدوين في المذهب الشافعي ٨٩٨ - ٩٠٤
- * حركة التدوين في المذهب الحنبلي ٩٠٥ - ٩٠٩
- مقاربة نقدية: المذاهب الفقهية بين الاختصار والاختيار ٩١٠ - ٩١٤
- استخلاص ونتائج ٩١٥ - ٩٢١
- * الدور السادس: دور التفقه أو توليد المسائل وابتكار الأنظار والأبحاث ٩٢٢ - ١٢٤٢
- تمهيد ٩٢٢ - ٩٢٥
- مظاهر العناية بالقرآن والسنّة في هذا الدور ٩٢٦ - ٩٣٣
- جهود الفقهاء في هذا الدور ٩٣٣ - ٩٣٨
- * متابعة التلخيص والتحرير والتهذيب لمسائل الأحكام ٩٣٣ - ٩٣٤
- * تسليط الأنظار المجرّدة على الأقوال، وإحياء الأقوال المتروكة والاستدلال لها ٩٣٤ - ٩٣٥
- * فتح باب العمل القضائي، أو منهج التفاصيل في الصور العملية لمسائل الأحكام ٩٣٥ - ٩٣٨
- مراحل النشاط الفقهي في هذا الدور ٩٣٨ - ٩٤٠
- مراكز الفقه في هذه المرحلة وأشهر القائلين عليها من الأئمة الأعلام .. ٩٤١ - ١١٧٥
- * مصر ٩٤١ - ٩٧٩
- * الشام ٩٧٩ - ١٠٠٤
- * العراق ١٠٠٥ - ١٠١٨
- * بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر ١٠١٨ - ١٠٢٩
- * بلاد المغرب ١٠٢٩ - ١٠٩٤

١١٠٧ - ١٠٩٤	* الأندلس
١١٦٠ - ١١٠٧	* اليمن وبلاد الحجاز
١١٧١ - ١١٦٠	* تركيا
١١٧٥ - ١١٧١	* بلاد الهند
١١٧٦	حركة التدوين في هذا الدور
١١٩١ - ١١٧٧	* حركة التدوين في المذهب الحنفي
١٢٠٧ - ١١٩٢	* حركة التدوين في المذهب المالكي
١٢١٦ - ١٢٠٨	* حركة التدوين في المذهب الشافعي
١٢٢٥ - ١٢١٧	* حركة التدوين في المذهب الحنبلي
١٢٣١ - ١٢٢٦	مقاربة نقدية: الحركة التطورية الجديدة في الفقه
١٢٣٧ - ١٢٣٢	نشاط المرأة المسلمة في هذا الدور
١٢٤٢ - ١٢٣٨	استخلاص ونتائج

الجزء الثالث

١٢٤٣	الدور الأخير من تاريخ الفقه
		* الدور السابع: دور احتكاك الفقه بالقوانين الوضعية والمدارك الحقوقية الأجنبية
١٣٤١ - ١٢٤٥	تمهيد
١٢٤٩ - ١٢٤٥	مظاهر العناية بالقرآن والسنة في هذا الدور
١٢٥٨ - ١٢٥٠	مميزات هذا الدور
١٢٨٨ - ١٢٥٩	* سيادة نظام الامتيازات القنصلية
١٢٦٠ - ١٢٦٠	* صدور مجلة الأحكام العدلية
١٢٦٥ - ١٢٦٣	* مشروع مجلة الأحكام الشرعية التونسية في وزارة خير الدين
١٢٦٦ - ١٢٦٥	* قصور مجلة الأحكام العدلية عن الوفاء بالحاجة الزمنية
١٢٦٨ - ١٢٦٦	* تطوير منهجية التقنين
١٢٨٨ - ١٢٦٨	الجهود الجماعية والفردية لبناء النهضة الفقهية الحديثة
١٢٧٤ - ١٢٦٨	* الجهود الجماعية

١٢٨٠ - ١٢٧٤	* المجهودات الفردية
١٢٨١ - ١٢٨٠	الاجتهاد الجماعي في ظل غياب الاجتهاد المطلق
١٢٨٥ - ١٢٨١	* المجامع الفقهية: تلبية لنداءات المصلحين من فقهاء الأمة
١٢٨٨ - ١٢٨٦	* المجامع الفقهية
١٣٣٠ - ١٢٨٩	من أعلام هذا الدور
١٣٠٠ - ١٢٩١	* مصر
١٣٠١ - ١٣٠٠	* الشام
١٣٠٣ - ١٣٠١	* العراق
١٣٠٥ - ١٣٠٣	* الحجاز
١٣٢٠ - ١٣٠٥	* تونس
١٣٢٣ - ١٣٢٠	* المغرب الأقصى
١٣٣٠ - ١٣٢٣	* ليبيا
١٣٣٨ - ١٣٣٢	مقاربة نقدية
١٣٣٥ - ١٣٣٢	* تأثير الفكر الإصلاحى الحديث في الفقه ومسائله
١٣٣٨ - ١٣٣٦	* قضايا التشريع المعروضة على النظر في هذا الدور
١٣٤١ - ١٣٣٩	استخلاص ونتائج
١٣٤٤ - ١٣٤٢	الخاتمة
١٤٤٢ - ١٣٤٥	الفهارس
١٣٦٠ - ١٣٤٧	* فهرس الآيات القرآنية
١٣٦٩ - ١٣٦١	* فهرس الأحاديث النبوية والآثار
١٤٠٠ - ١٣٧٠	* فهرس الأعلام المترجم لهم
١٤٠١	* فهرس الأسر العلمية
١٤٣٤ - ١٤٠٢	* فهرس المصادر والمراجع
١٤٤٢ - ١٤٣٥	* فهرس المحتويات

